

اعداد مكتبة الروضة الحيدرية المكتبة الرقمية

السر سائل
حاسة داسا
البحر مجمع
حاسة داسا

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بغداد

كلية العلوم الإسلامية

منهج القرآن الكريم في التربية القيادية

أطروحة مقدمة

إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد

لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية

تخصص "أصول دين"

تقدم بها الطالب

محمد يوسف علي صغير

بإشراف الأستاذ الدكتور

محمد صالح عطية الحمداني

٢٠٠٥ م

١٤٢٦ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

﴿وَأَقْبِتْ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾^(١).

وقال ﷺ:

﴿إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها مراحلة﴾^(٢).

(١) سورة طه: آية: ٣٩.

(٢) صحيح البخاري- كتاب الرقاق- باب رفع الأمانة: ٢٣٨٣/٥ رقم (١١٣٣)؛ صحيح مسلم- كتاب فضائل الصحابة- باب قوله ﷺ "الناس كإبل مائة": ١٩٧٣/٤ رقم (٣٥٤٧) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٢٣٩/٣ رقم (١٦٥١).

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ: "منهج القرآن الكريم في التربية القيادية" قد جرى تحت إشرافي في كلية العلوم الإسلامية وهي مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية.

المشرف

أ. د. محمد صالح عطية الحمداني

معاون العميد للدراسات العليا

أ. محمود مطلوب أحمد

الإهداء

- إلى حبيبي وقرّة عيني قائد البشرية ومربي الإنسانية ﷺ
أملاً في شفاعته ومرجاء
- إلى القيادات المؤمنة التي أثرت في تاريخ أمتنا عبر تأميرها الطويل
ثناءً وعرفانا
- إلى الأمل المتجدد والغد المشرق جيل المجد القادم والنصر الموعود
أملاً ومرجاء
- إلى من سعوا لرعايتي وتربيتي، وضحوا في سبيل إعدادي وتأهيلي والدي ووالدي وإخواني
براً واحساناً
- إلى نريئة الحياة، ومهجة الفؤاد، وقلذات الكبد نزوجتي وأبنائي
حباً وحناناً
- إلى كل من سعي لتربية نفسه أو غيره وفق منهج القرآن الكريم في التربية القيادية
تقديراً واحتراماً
- إلى كل من كان لي محباً، وعلي مشفقاً، وعني سائلاً
شكراً وامتناناً
- إلى كل من كان لي في قلبه مكان، وفيه باله حضور، وفيه دعائه نصيب
إخلاصاً ووفاءً
- إلى هؤلاء جميعاً أهدي ثمرة هذا الجهد

شكر وثناء

عملاً بقوله تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دِينِي إِنَّي تَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(١) فإنني أحمد الله تعالى وأشكره أن أمدني بالعافية وأسبغ علي نعمه ووقفني لإنجاز هذه الدراسة.

وعرفاناً بالجميل ووفاء لأهل الفضل فإنه يسرني أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من قدم لي عوناً أوقف إلى جواربي موجهاً ومشجعاً خلال مسيرتي العلمية عموماً وخلال مدة إعداد هذه الدراسة على وجه الخصوص، وكلهم عندي مفضلٌ ولدي معروفٌ وفي الوجدان خالدٌ ، وفي مقدمتهم الأستاذ الدكتور/ محمد صالح عطية الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على هذه الدراسة وكان لتوجيهاته وارشاداته أكبر الأثر في إخراجها بهذه الصورة فجزاه الله عني وعن طلابه خير الجزاء.

وأنتقد بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الكرام رئيس وأعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بقراءة هذه الأطروحة ومناقشتي في محتوياتها، كما أتقدم بالشكر إلى كلية العلوم الإسلامية عمادةً ودكاترةً وموظفين، بالإضافة إلى إدارة الدراسات العليا والمكتبة.

وشكري الجزيل إلى جامعة الحديدة ممثلة برئاستها ونيابة الدراسات العليا وأمانتها العامة والشؤون المالية، بالإضافة إلى عمادة كلية التربية وأساتذتي الكرام في قسم الدراسات الإسلامية والقرآن وعلومه لرعايتهم المستمرة لي وزملائي طلاب الدراسات العليا.

كما لا يفوتني أن أسلو شكراً خاصاً وتقديراً عالياً لجميع الدكاترة والأساتذة والزملاء الذين وقفوا إلى جواربي ومدوا لي يد العون والمساعدة ولم يبخلوا علي بأرائهم وكتبهم وأجهزتهم خلال إعداد هذه الدراسة ، وكذلك الأعراف الذين قاموا بالطباعة أو وقفوا إلى جوارب أسرتي خلال مدة سفري خارج اليمن.

والى المؤسسات العلمية ومراكز البحث التي فتحت لي بابها شكرٌ خاصٌ على ماتقدمه من تسهيلاتٍ مختلفةٍ للباحثين ، وفي مقدمتها جامعة العلوم والتكنولوجيا باليمن ، ومركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية بالرياض.

وفي الختام يسرني أن أتقدم بجزيل شكري وامتثاني إلى هذا البلد الكريم الذي فتح لي بابه لمواصلة دراساتي العليا رغم كل ما يعانیه من آلام وجراح سائلاً المولى ﷻ أن يفرج همه وأن يكتب له الخير وسائر بلاد المسلمين.

راجياً أن أكون عند حسن ظن الجميع.

الباحث

الخلاصة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على قائد البشرية ومربي الإنسانية سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فإن موضوع القيادة من أهم الموضوعات وأكثرها تأثيراً في حياة الأفراد والمجتمعات ، الأمر الذي يوجب الاهتمام بتربية القادة واعدادهم من خلال منهج تربوي متكامل يجعل من العقيدة الإسلامية مرتكزاً ومن الوسطية والاعتدال سمةً ومن التدرج أسلوباً.

إن المنهج التربوي الناجح هو الذي يهتم بالمبدعين والموهوبين وذوي الاستعداد القيادي فيسارع إلى اكتشافهم واحتضانهم وتطوير قدراتهم وإمكاناتهم، وتربيتهم تربيةً متكاملةً تشمل جميع جوانب الحياة المختلفة قبل أن يوصلهم إلى المواقع القيادية الملائمة للقدرات والخبرات التي اكتسبوها حتى يتمكنوا من الإسهام في خدمة مجتمعاتهم والقيام بواجباتهم القيادية على الوجه المطلوب ، وهو أمرٌ تحرص عليه أمم الأرض جميعاً وتسخر له كافة الإمكانيات المادية والمعنوية.

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة كي تمثل خطوةً على طريق معالجة أزمة القيادة قلةً وأداءً ، فاعليةً واستشعاراً، من خلال إبراز معالم المنهج القرآني في تربية القيادات واعدادها والذي أصبح العمل على إبرازه والأخذ به يمثل واجباً دينياً وضرورةً اجتماعيةً لتحسين واقع الأمة وتجنبيها مزيداً من الصراعات والنكبات.

ولعل أبرز أسباب اختيار الموضوع تكمن في أهميته وحاجة الأمة إليه ولاسيما في ظل حالة التخلف والتمزق التي تعيشها، وتعدد مناهج التربية القيادية .

وقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى مقدمة وستة فصولٍ وخاتمة ، حيث تم تفصيل الحديث عن المنهج القرآني في التربية القيادية مفهوماً وأهميةً وخصائص وأهدافاً ، فضلاً عن جوانب التربية القيادية وأساليبها وأبرز مؤسساتها.

وكان من أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث:

١- أن انتشار الأمة من واقعها السيء يتطلب البحث عن ذوي الاستعداد القيادي ولخضاعهم لعملية تربية متكاملة يركز فيها على تنقية الشوائب وغرس القيم النبيلة والمبادئ السامية، وتنمية القدرات والمهارات وإيجاد التوازن بين الطاقات ، كما يركز فيها على تكوين التصور الصحيح عن النفس والكون والحياة وكيفية التعامل مع الأشخاص والأحداث.

٢- أن أهم العلوم الواجب اكتسابها خلال مرحلة التربية القيادية هي العلوم المتعلقة بثقافة العلوم الإنسانية المتمثلة في علوم الشريعة والتربية والتاريخ ، وعلوم الفلسفة والآداب والنفس

والاجتماع ، وكذا علوم الإدارة والسياسة واللغة ، فضلاً عن استعراض التجارب البشرية للوقوف على جوانب النجاح والإخفاق فيها.

٣- أن أهم المراحل وأخطرها في حياة الإنسان هي مرحلة الطفولة التي يقضيها الطفل في المنزل قبل ذهابه إلى المدرسة ، الأمر الذي يوجب توفير الاستقرار الأسري للأولاد ولشباع حاجاتهم المختلفة ولاسيما الوجدانية منها ، فضلاً عن استغلال هذه المرحلة في غرس القيم النبيلة والمبادئ السامية والثقة بالنفس في شخصية الطفل .

٤- أن تنمية القدرات وتطوير المهارات وظهور الإبداعات إنما يتم في ظل أجواء الحرية ، في حين يتسبب الكبت والقهر والاستبداد في القضاء عليها وتعطيلها.

٥- أن موضوع تربية القيادات وإعدادها معني به الرجل والمرأة على حدٍ سواء كلٌ حسب فطرته التي فطره الله عليها وفي حدود قدراته التي أودعها الله تعالى فيه .

وهناك عددٌ من التوصيات التي وجهها الباحث في ختام هذه الدراسة إلى مؤسسات التربية والإعداد القيادي ، وإلى الجهات المؤثرة في حياة الأمة ، فضلاً عن التوصيات الموجهة إلى الباحثين ومراكز الدراسات والبحوث .

قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
	المقدمة
الفصل التمهيدي : مدخل إلى التربية القيادية	
١	المبحث الأول: مفهوم المنهج القرآني وأهميته.
١	المطلب الأول: المنهج في اللغة والاصطلاح.
٣	المطلب الثاني: القرآن في اللغة والاصطلاح.
٥	المطلب الثالث: المراد بالمنهج القرآني وأهميته.
١٥	المبحث الثاني: مفهوم التربية القيادية وأهميتها.
١٥	المطلب الأول: التربية في اللغة والاصطلاح.
١٨	المطلب الثاني: القيادة في اللغة والاصطلاح.
٢٦	المطلب الثالث: المراد بالتربية القيادية وأهميتها.
الفصل الأول : خصائص التربية القيادية	
٤١	المبحث الأول: الريانية.
٤١	المطلب الأول: مفهوم الريانية وأهميتها.
٤٤	المطلب الثاني: مظاهر الريانية.
٤٧	المبحث الثاني: الشمول والتكامل.
٤٧	المطلب الأول: مفهوم الشمول والتكامل وأهميتهما.
٤٩	المطلب الثاني: مظاهر الشمول والتكامل.
٥٣	المبحث الثالث: الإنسانية والعالمية.
٥٣	المطلب الأول: مفهوم الإنسانية والعالمية وأهميتهما.
٥٧	المطلب الثاني: مظاهر الإنسانية والعالمية.
٦١	المبحث الرابع: الوسطية والاعتدال.
٦١	المطلب الأول: مفهوم الوسطية والاعتدال وأهميتهما.
٦٩	المطلب الثاني: مظاهر الوسطية والاعتدال.
٧٣	المبحث الخامس: الواقعية.
٧٣	المطلب الأول: مفهوم الواقعية وأهميتها.

الصفحة	الموضوع
٧٦	المطلب الثاني: مظاهر الواقعية.
٨٤	المبحث السادس: الإيجابية والفاعلية.
٨٤	المطلب الأول: مفهوم الإيجابية وأهميتها.
٩٠	المطلب الثاني: مظاهر الإيجابية.
٩٢	المبحث السابع: التدرج والمرحلية.
٩٢	المطلب الأول: مفهوم التدرج وأهميته.
٩٦	المطلب الثاني: مظاهر التدرج والمرحلية.
الفصل الثاني : أهداف التربية القيادية.	
١٠٣	المبحث الأول: بناء وإعداد القيادات.
١٠٣	المطلب الأول: أسس البناء والإعداد.
١٢٣	المطلب الثاني: مراحل البناء والإعداد.
١٦٤	المبحث الثاني: وضع الرجل المناسب في المكان المناسب
١٦٤	المطلب الأول: معايير اختيار القيادات.
٢٠٠	المطلب الثاني: طرق الوصول إلى القيادة.
٢١٠	المطلب الثالث : طلب القيادة .
٢١٥	المبحث الثالث: إتقان الأداء
٢١٥	المطلب الأول: مفهوم الإتقان وأهميته.
٢٢٢	المطلب الثاني: العوامل المؤدية إلى إتقان الأداء.
الفصل الثالث : جوانب التربية القيادية	
٢٤٢	تمهيد
٢٤٤	المبحث الأول: الجانب الروحي.
٢٤٤	المطلب الأول: مفهوم الجانب الروحي وأهميته.
٢٤٧	المطلب الثاني: أهم القيم الروحية الواجب اكتسابها.
٢٥١	المطلب الثالث: عوامل تنمية الجانب الروحي.
٢٦٠	المبحث الثاني: الجانب الأخلاقي.
٢٦٠	المطلب الأول: مفهوم الجانب الأخلاقي وأهميته.
٢٦٣	المطلب الثاني: أهم القيم الأخلاقية الواجب اكتسابها.

الصفحة	الموضوع
٢٧١	المطلب الثالث: عوامل تنمية الجانب الأخلاقي.
٢٧٦	المبحث الثالث: الجانب الاجتماعي.
٢٧٦	المطلب الأول: مفهوم الجانب الاجتماعي وأهميته.
٢٧٨	المطلب الثاني: أهم القيم الاجتماعية الواجب اكتسابها.
٢٨٤	المطلب الثالث: عوامل تنمية الجانب الاجتماعي.
٢٨٨	المبحث الرابع: الجانب العقلي.
٢٨٨	المطلب الأول: مفهوم الجانب العقلي وأهميته.
٢٩٠	المطلب الثاني: أهم القيم العقلية الواجب اكتسابها.
٢٩٣	المطلب الثالث: عوامل تنمية الجانب العقلي.
٢٩٨	المبحث الخامس: الجانب السياسي.
٢٩٨	المطلب الأول: مفهوم الجانب السياسي وأهميته.
٣٠١	المطلب الثاني: أهم القيم السياسية الواجب اكتسابها.
٣١١	المطلب الثالث: عوامل تنمية الجانب السياسي.
٣١٤	المبحث السادس: الجانب الوجداني.
٣١٤	المطلب الأول: مفهوم الجانب الوجداني وأهميته.
٣١٦	المطلب الثاني: أهم القيم الوجدانية الواجب اكتسابها.
٣٢٢	المطلب الثالث: عوامل تنمية الجانب الوجداني.
٣٢٥	المبحث السابع: الجانب الجسمي.
٣٢٥	المطلب الأول: مفهوم الجانب الجسمي وأهميته.
٣٢٧	المطلب الثاني: أهم القيم الجسمية الواجب اكتسابها.
٣٣١	المطلب الثالث: عوامل تنمية الجانب الجسمي.
٣٤٠	المبحث الثامن: الجانب الاقتصادي.
٣٤٠	المطلب الأول: مفهوم الجانب الاقتصادي وأهميته.
٣٤٤	المطلب الثاني: أهم القيم الاقتصادية الواجب اكتسابها.
٣٥٤	المطلب الثالث: عوامل تنمية الجانب الاقتصادي.
الفصل الرابع : أساليب التربية القيادية	
٣٦١	تمهيد
٣٦٢	المبحث الأول: التربية بالقدوة.

الصفحة	الموضوع
٣٧٢	المبحث الثاني: التربية بالموعظة.
٣٧٩	المبحث الثالث: التربية بالحوار.
٣٨٨	المبحث الرابع: التربية بالقصة.
٤٠١	المبحث الخامس: التربية بالأمثال.
٤٠٧	المبحث السادس: التربية بالأحداث.
٤١٦	المبحث السابع: التربية بالتكاليف.
٤٢١	المبحث الثامن: التربية بالثواب والعقاب.
الفصل الخامس : مؤسسات التربية القيادية	
٤٢٨	المبحث الأول: الأسرة.
٤٢٨	المطلب الأول: مفهوم الأسرة وأهميتها.
٤٣٢	المطلب الثاني: أهداف تكوين الأسرة ومقومات بنائها.
٤٤١	المطلب الثالث: وظيفة الأسرة ودورها التربوي.
٤٤٧	المبحث الثاني: مؤسسات التعليم المختلفة.
٤٤٧	المطلب الأول: مفهوم المؤسسات التعليمية وأهميتها.
٤٥٠	المطلب الثاني: محتوى المنهج التربوي الإسلامي وأسس نظامه.
٤٥٢	المطلب الثالث: وظائف المؤسسات التعليمية ودورها التربوي.
٤٥٣	المطلب الرابع: واقع المؤسسات التعليمية وكيفية النهوض بها.
٤٥٦	المبحث الثالث: المسجد.
٤٥٦	المطلب الأول: مكانة المسجد وأهميته في حياة الأمة.
٤٥٩	المطلب الثاني: وظيفة المسجد ودوره التربوي.
٤٦٢	المطلب الثالث: واقع المسجد وكيفية النهوض برسالته.
٤٦٦	المبحث الرابع: وسائل الإعلام والاتصال.
٤٦٦	المطلب الأول: مفهوم الإعلام وأهميته .
٤٦٩	المطلب الثاني: وظيفة وسائل الإعلام والاتصال ودورها التربوي.
٤٧١	المطلب الثالث: الحاجة إلى الإعلام الإسلامي وكيفية النهوض به.
٤٧٥	المبحث الخامس: مؤسسات المجتمع المدني.
٤٧٥	المطلب الأول: مفهوم المجتمع المدني وأبرز مكوناته.
٤٧٧	المطلب الثاني: أهمية مؤسسات المجتمع المدني

الصفحة	الموضوع
٤٧٨	المطلب الثالث: وظائف مؤسسات المجتمع المدني ودورها التربوي وكيفية النهوض بها.
٤٨٠	المبحث السادس: مؤسسات التدريب والتأهيل القيادي.
٤٨٠	المطلب الأول: مفهوم التدريب ودعائمه.
٤٨٢	المطلب الثاني: أهمية التدريب والحاجة إليه.
٤٨٧	المطلب الثالث: أنواع وأساليب التدريب الفعالة.
٤٨٩	المطلب الرابع: سمات برامج التدريب الناجحة وخطوات تصميمها.
٤٩٠	الخاتمة
٥٠١	قائمة المصادر والمراجع

المقدمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه

أجمعين .

أما بعد...

فإن موضوع القيادة من أهم الموضوعات وأخطرهما لما تمثله من أهمية قصوى وتأثير بالغ في حياة الأفراد والمجتمعات ، إذ لا يمكن أن تستغني عنها أمة أو ينجو من تأثيرها فرد . ومن هنا كان اهتمام أمم الأرض جميعاً بتربية وإعداد القادة وتأهيلهم بما يمكنهم من أداء مهامهم والقيام بواجباتهم القيادية على الوجه المطلوب ، وتسخير كافة الإمكانيات اللازمة لذلك.

والتربية القيادية تمثل سنة إلهيةً تدل عليها تربية الله ﷻ لأنبيائه ورسله عليهم السلام وإعدادهم لهم قبل بعثتهم وتكليفهم بتحمل أعباء الدعوة والرسالة ، وضرورة واقعيةً تفرضها متغيرات العصر وطبيعة الحياة ونوعية المهام والواجبات الملقاة على عاتق القيادات. قال تعالى : ﴿ وَالْقَاتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾^(١) . ومنذ القدم جاءت الرسالات والدعوات لتقويم سلوك الشخصية الإنسانية وتمييزها والارتقاء بها، وأولى الأنبياء والمرسلون والدعاة والقادة والمصلحون موضوع تربية وإعداد القادة اهتماماً بالغاً ، وهو ما يتضح من خلال تربية الأنبياء عليهم السلام لأتباعهم، واقتصار أهداف التربية في المجتمعات القديمة على إعداد النخب الحاكمة ، فضلاً عن تعدد مؤسسات التربية القيادية وانتشار مراكز التدريب والتأهيل القيادي في العصر الحديث.

إن المشكلة الأساسية التي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم تتمثل في عدم استغلال العقول والثروة البشرية وسوء توزيعها في مواقع الحياة المختلفة، الأمر الذي نتج عنه العديد من المضاعفات الخطيرة والمدمرة في مجالات الحياة المختلفة، ذلك أن الله ﷻ يخلق في كل جيل نخبة من الأفراد يزودهم بدرجات من الفهم والعلم والقدرة والكفاءة لتنشأ من بينهم قيادات المجتمع التي يسند إليها إدارة شؤونه وتحمل مسؤولياته وتغيير واقعه، ولتظل مهمة البقية من أفراد هذا المجتمع متمثلة في حسن الاقتداء والتنفيذ. قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ لِرِجَاتٍ لِيُؤَدُّوا فِي مَا آتَاكُمْ ﴾^(٢).

والمنهج التربوي الناجح هو الذي يتمكن من اكتشاف الاستعداد القيادي لدى الأفراد مبكراً ويعمل على تطويره وتمييزه، كما يعمل على تربية هؤلاء الأفراد وإعدادهم إعداداً قيادياً متكاملًا ثم يوزعهم على المواقع القيادية بما يتناسب مع قدراتهم وإمكاناتهم ، وبذلك يتيح لهم الفرصة لتحمل المسؤولية والقيام بواجباتهم تجاه مجتمعهم وأمتهم .

(١) سورة طه: الآية: ٣٩ .

(٢) سورة الأنعام: الآية: ١٦٥ .

وبعد أذكىاء الطلبة وأوائل الصفوف والمتفوقون دراسياً والمسيطرون على زملائهم من أبرز الخامات البشرية التي يجب الاهتمام بها والتركيز عليها خلال مرحلة البحث والتنقيب عن ذوي الاستعداد القيادي ؛ لأنهم يمثلون طليعة الجيل وصفحته المشرقة ومن بينهم يظهر الأمراء الأخيار والأغنياء السمحاء والحكام المؤمنون بقيم الحرية والعدالة والشورى والعمل الجماعي ،بينما يعد المتخلفون عقلياً الراسيون دراسياً المنقادون دائماً متردية المجتمع ونطيحته، والموطن الخصب لظهور الأمراء الأشرار والأغنياء البخلاء والحكام الدكتاتوريين الذين يسيطرون بالقوة ويصادرون الحريات ويعيئون في الأرض فساداً .

إن من المؤسف حقاً أن تركز الدول غير الإسلامية على الأذكىاء والموهوبين والمتفوقين وتمنحهم الاهتمام والرعاية والعناية وتهيي لهم من الإمكانيات ما يؤهلهم للقيام بدور النخبة وتولي قيادة المجتمع في مختلف المجالات ، بينما يختلف الأمر في الدول الإسلامية حيث يتم إقصاء الأذكىاء والموهوبين وذوي الاستعداد القيادي عن مؤسسات التربية والإعداد القيادي ومن ثم تفريقهم وإهدار طاقاتهم والقضاء على قدراتهم القيادية عبر ما يواجهونه من إقصاء متعمد عن المواقع القيادية في الداخل لصالح الأغنياء والمتخلفين، وكذا عبر ما تمارسه المؤسسات الأجنبية والدول المتقدمة من عملية استقطاب واسعة لهذه النخب للاستفادة من طاقاتها ولمكاناتها وخبراتها ، الأمر الذي يفسح المجال أمام المتخلفين والراسيين وذوي الإمكانيات المحدودة للحصول على فرص الإعداد والاستثمار بالمواقع القيادية⁽¹⁾.

ولعل المشكلات المتعددة التي تعانيها الأمة اليوم في مختلف مجالات حياتها ناجمة عن هذه السياسة الخاطئة التي أوجدت قيادات فاشلة لا تلتزم بعقيدة ولا تحرص على وطن ، وبالتالي سفكت في عهداها الدماء، وهُتكت الأعراض ، واستبُيحت الأوطان، وانتُهكت الحرمات، وأهدرت الإمكانيات ودُدت الثروات، وعُيبت بقيم الأمة وكرامتها ، وأصبح معظم هذه القيادات مطية لأعداء الأمة وأداةً لتنفيذ مخططاتهم في بلاد المسلمين، وما ذاك إلا لنقص في الإعداد وضعف في التربية وعشوائية في التخطيط .

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي تمثل خطوة على طريق معالجة مشكلة القيادة وإبراز معالم المنهج القرآني في التربية القيادية والذي أصبح العمل على إبرازه وتطبيقه واجباً دينياً وضرورة اجتماعية لتحسين واقع الأمة وتجنيبها مزيداً من الصراعات والمغامرات الفاشلة ، كما تكمن أهمية هذه الدراسة أيضاً في كونها تمثل دراسة أكاديمية مستقلة تُعنى بموضوع تربية وإعداد القيادات في ضوء المنهج القرآني إذ لم يحض هذا الموضوع رغم أهميته بدراسة أكاديمية مستقلة من قبل حسب علم الباحث .

(1) يراجع : هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس - د/ ماجد عرسان الكيلاني - طبعة دار الفرقان للنشر والتوزيع- عمان-

ويمكن إيجاز أهم أسباب اختيار الموضوع فيما يأتي :

- ١- الإسهام في معالجة مشكلة القيادة من خلال الكتابة في موضوع تربية وإعداد القيادات كمدخل طبيعي لإيجاد القيادة الفاعلة .
- ٢- غياب الإعداد المنظم والتأهيل العلمي المدروس للشخصيات القيادية أو المرشحة لتولي المواقع القيادية ، وعدم توفر الشروط القيادية في كثيرٍ ممن يتصدون لمواقع القيادة في الأمة.
- ٣- حاجة الأمة الإسلامية بمختلف فئاتها إلى التعرف على منهج القرآن الكريم في إعداد وتربية القيادات للأخذ به في تربية الأفراد علّ منهم من يصل إلى موقع قيادي أو يصبح قائداً فيعيد للأمة مجدها وكرامتها ويحقق لها النصر والتمكين بإذن الله تعالى .
- ٤- تعدد المناهج الخاصة بتربية وإعداد القادة الأمر الذي يوجب ضرورة إبراز معالم المنهج القرآني في تربية وإعداد القيادات ، حتى تتمكن مؤسسات التربية القيادية المختلفة من استيعابه وتطبيق مفرداته.
- ٥- غياب المنهج القرآني في التربية القيادية عن مؤسسات التربية والإعداد القيادي بدعوى عدم وجود منهج متكامل في إعداد القادة وتربيتهم الأمر الذي دفع الباحث لجمع شتات الموضوع وإبراز جوانبه المختلفة .
- ٦- إثبات صلاحية المنهج القرآني في تربية وإعداد القيادات من خلال إبراز النماذج القيادية التي نجح هذا المنهج في تربيتها وإعدادها والمتمثلة في الأنبياء عليهم السلام والصحابة الكرام ، وقدرته مجدداً على إنجاب الشخصية القيادية القادرة على تحقيق العبودية لله ﷻ ، والقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض، وتحرير الأمة وقيادة البشرية المعذبة إلى بر الأمان.
- ٧- رغبة الباحث للكتابة في موضوع تحتاج إليه الأمة يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويستند إلى نصوص الشريعة وأقوال العلماء مع مراعاة فقه الواقع ومتطلبات العصر .

وقد تمثلت المنهجية التي سار عليها الباحث خلال إعداد هذه الأطروحة فيما يأتي:

- ١- الاستدلال بالآيات القرآنية التي تعرضت بشكل مباشر أو غير مباشر لإعداد القادة وتربيتهم ، والمواصفات الواجب توافرها فيهم، وكذا الآيات القرآنية التي تحدثت عن إعداد الله ﷻ لأنبيائه ورسله عليهم السلام والجوانب القيادية في حياتهم وحياة القادة والحكام الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، مع نسبة هذه الآيات وغيرها مما هو مثبت في ثنايا الأطروحة إلى سورها في المصحف الشريف.
- ٢- الاستشهاد بالسنة النبوية بمفهومها العام الذي يشمل السيرة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، مع تخريج الأحاديث من كتب الحديث المعتمدة بذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث إن وجد ، فضلاً عن الحكم عليها من خلال أقوال العلماء وذكر اسم الصحابي راوي الحديث.
- ٣- حياة الصحابة الكرام باعتبارهم النموذج الحي الذي جسّد المنهج القرآني في التربية القيادية والدليل الأبرز على نجاح هذا المنهج وإمكانية تطبيقه .



- ٤- الإشارة إلى سير القادة والزعماء والشخصيات التي أثرت في تأريخ البشرية وكان لها دورٌ فاعلٌ في قيادة عملية الإصلاح والتغيير في مجتمعاتها .
- ٥- الاستعانة بأقوال المفسرين والعلماء من رواد الفكر الإسلامي والسياسة الشرعية في توضيح بعض القضايا المتعلقة بالموضوع .
- ٦- الاستشهاد بالأبيات الشعرية المناسبة للموضوع ونسبتها إلى قائلها مع عدم الإكثار منها .
- ٧- الترجمة لما عدى المشاهير من الصحابة الكرام والأعلام .
- ٨- توضيح المصطلحات الغريبة وتخريجها من كتب اللغة المعتمدة .
- ٩- توضيح الأماكن والبلدان الواردة في الأطروحة والتي تحتاج إلى توضيح
- ١٠- التحليل والمناقشة لبعض القضايا التي تقتضي طبيعتها المناقشة والتحليل وبما لا يخل بالسياق العام للموضوع .
- ١١- التوسع في الحديث عن أهداف التربية القيادية وجوانبها كونها تمثل القسم العملي الذي يجب أن تركز عليه مؤسسات التربية القيادية .
- ١٢- عدم استقصاء جميع الآيات والأحاديث الواردة في الموضوع محل البحث والاقتصار على الاستشهاد فقط خشية الإطالة ، ولأن مجال الدراسة ليس مخصصاً لذلك .
- ١٣- تكرار الاستشهاد ببعض الآيات والأحاديث والأحداث في أكثر من موضع من الأطروحة لدلالاتها على المراد واشتمالها على عدة قضايا .
- ١٤- ذكر البيانات الكاملة عن المصدر في الهامش عند ذكره لأول مرة ، والاكتفاء بذكر اسم المصدر بعد ذلك إلا إذا كان هناك مصدر مشابه فإنه يتم إضافة اسم المؤلف إلى المصدر .
- ١٥- ترتيب المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم حسب ترتيب الحروف الهجائية ، وتقسيمها إلى ما يتعلق بالكتب العامة والرسائل العلمية والمجلات والدوريات وغيرها .
- ١٦- ذكر المصدر مباشرةً في الهامش عند نقل اللفظ والمعنى منه، وكتابة ينظر عند إيراد المعنى دون اللفظ ، أما عند أخذ الفكرة فقط من المصدر أو الرغبة في إحالة القارئ للاستزادة فإنه يتم كتابة المصدر مسبقاً بكلمة يراجع .
- ١٧- ربط الموضوع بالواقع ربطاً مختصراً خشية الإطالة وبحسب ما تقتضيه طبيعة الموضوع .

وقد اقتضت طبيعة المنهج الذي سلكه الباحث خلال إعداد هذه الأطروحة تقسيمها إلى مقدمة وستة

فصولٍ وخاتمةٍ على النحو الآتي:

- المقدمة : وقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج الدراسة ، فضلاً عن أهم المصادر التي رجع إليها الباحث ، والصعوبات التي واجهته خلال إعداد هذه الأطروحة .

- الفصل التمهيدي : وفيه تم الحديث عن مفهوم المنهج القرآني في التربية القيادية في مبحثين اشتملا على مفهوم المنهج والقرآن والتربية والقيادة ، وكذا المراد بالتربية القيادية مفهومها وأهميتها.
- وفي الفصل الأول الذي جاء في سبعة مباحث تم الحديث عن خصائص التربية القيادية، المتمثلة في الريانية والشمول والتكامل والإنسانية والعالمية ، وكذا الوسطية والاعتدال والواقعية، بالإضافة إلى الإيجابية والفاعلية والتدرج والمرحلية.
- أما الفصل الثاني الذي خصص للحديث عن أهداف التربية القيادية فقد اشتمل على ثلاث مباحث تناول الباحث فيها بناء وإعداد القيادات، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، بالإضافة إلى إتقان الأداء، وتم التركيز فيها على أسس بناء وإعداد القيادات ، ومراحل البناء والإعداد ، وكذا المعايير الواجب توفرها في الشخصية القيادية ، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، وطرق الوصول إلى القيادة ، فضلاً عن إتقان الأداء مفهومه وأهميته وأبرز العوامل المؤدية إليه.
- وفي الفصل الثالث تم تفصيل الحديث حول جوانب التربية القيادية في ثمانية مباحث خصصت للحديث عن الجانب الروحي والأخلاقي والاجتماعي، وكذا الجانب العقلي والسياسي والوجداني، بالإضافة إلى الجانبين الجسمي والاقتصادي، حيث تناول الحديث عن كل جانب من هذه الجوانب المفهوم والأهمية وأهم القيم الواجب اكتسابها فيه وعوامل تنميته.
- وبعد ذلك جاء الفصل الرابع بمباحثه الثمانية التي خصصت للحديث عن أساليب التربية القيادية المتمثلة في التربية بالقدوة والموعظة والحوار، وكذا التربية بالقصة والأمثال والأحداث، بالإضافة إلى التربية بالتكاليف والتربية بالثواب والعقاب.
- وفي الفصل الخامس والأخير تناول الباحث مؤسسات التربية القيادية في ستة مباحث ضمت الأسرة ومؤسسات التعليم المختلفة والمسجد، بالإضافة إلى مؤسسات الإعلام والاتصال ومؤسسات المجتمع المدني وكذا مؤسسات التدريب والتأهيل القيادي.
- وأخيراً جاءت الخاتمة التي احتوت على أبرز النتائج والتوصيات التي خرج بها الباحث من هذه الدراسة.

وكانت أهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث طوال مدة إعداد هذه الأطروحة ممثلة في القرآن الكريم ، والسنة النبوية بمعناها العام الذي يشمل السيرة المطهرة أيضاً ، ثم تأتي كتب التفسير وعلوم القرآن والتاريخ ، بالإضافة إلى كتب اللغة وتراجم الرجال ، والكتب المتخصصة في مجال القيادة والتربية وعلم النفس .

وتكمن أبرز الصعوبات التي واجهت الباحث خلال إعداد هذه الأطروحة فيما يأتي:

- ١- عدم وجود دراسات سابقة مستقلة في مجال التربية القيادية ، وندرة الكتابة في هذا الموضوع ولاسيما من وجهة النظر الإسلامية .
- ٢- سعة الموضوع وتشعبه وتعدد جوانبه ومجالاته .



٣- حساسية الكتابة في مجال القيادة والجوانب المتعلقة بها.

٤- الأحداث التي مرت بها الأمة العربية والإسلامية ولاسيما العراق حيث يدرس الباحث ، والتي كان لها انعكاساتها السلبية على نفسيات الباحثين وقدرتهم على التواصل مع مراكز البحث المختلفة .
وبفضل الله ﷻ وتوفيقه ثم بدعم وتشجيع أهلي الأعمام وأساتذتي الأفاضل وزملائي الكرام تمكنت من تجاوز هذه الصعوبات وإخراج هذه الأطروحة بالصورة التي هي عليها الآن والتي أرجو أن تكون مقبولة .

وختاماً فإن الجهد الذي بذلته والعمل الذي أقدمه لا أدعي فيه كمالاً فالكمال لله وحده ، كما لا أدعي فيه استيعاب جميع جوانب الموضوع ؛ لإدراكي التام أنه جهد بشري يعتريه الخطأ والقصور ، لذلك فإنني أعتذر سلفاً عن كل خطأ أو تقصير ، وحسبي أنني لم أدخر وسعاً في إخراج هذه الأطروحة بالصورة المطلوبة ، فإن أصبت فمن توفيق الله ومنته علي ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان ، سائلاً المولى ﷻ أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله في ميزان حسناتي ووالدي يوم القيامة :
﴿ **وَمَّا لَا يَفْعَلُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ (١)

(١) سورة الشعراء: الآيتان ٨٨ ، ٨٩ .

الفصل التمهيدي

مدخل إلى التربية القيادية

المبحث الأول: مفهوم المنهج القرآني وأهميته.

المبحث الثاني: مفهوم التربية القيادية وأهميتها.

المبحث الأول

مفهوم المنهج القرآني وأهميته

المطلب الأول

المنهج في اللغة والاصطلاح

المنهج في اللغة:

المنهج: مشتق من مادة نهج يهجه نهجاً، وهو الطريق البين الواضح، ويطلق على الطريق المستقيم. وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً. واستتهج الطريق: صار نهجاً، والمنهج النظام والخطة المرسومة للشيء،⁽¹⁾ فجميع تصاريف كلمة "منهج" تدل على أنه الطريق الواضح البين المؤدي إلى الغرض المطلوب والغاية المقصودة.

والمنهج والمنهاج بمعنى واحد، ومنه قوله تعالى: {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}.⁽²⁾ قال ابن عباس رضي الله عنهما "سبيلاً وسنة" وروي عنه أيضاً: "سنة وسبيلاً"،⁽³⁾ ورجح ابن كثير⁽⁴⁾ رحمه الله تعالى التفسير الأول لظهوره في المعنى ومناسبته للسياق ثم قال: "أما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل والسنن والطرائق"⁽⁵⁾.

وقال ابن حجر⁽⁶⁾ رحمه الله تعالى: "والمنهاج السبيل أي: الطريق الواضح".⁽⁷⁾

(1) ينظر: لسان العرب- محمد بن مكرم بن منظور- ط:- دار صادر- بيروت- مادة نهج: ٣٨٢/٢، مختار الصحاح- محمد بن أبي بكر الرازي- تحقيق: محمود خاطر- طبعة مكتبة لبنان - بيروت: ٢٨٤/١.

(2) سورة المائدة- الآية: ٤٨

(3) تفسير القرآن العظيم - أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي- ط: ١- دار الفكر - بيروت: ٦٧/٢.

(4) هو الحافظ الكبير أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي، الفقيه الشافعي انتهت إليه رئاسة العلم في التأريخ والحديث والتفسير، له العديد من المصنفات، توفي سنة ٧٧٤هـ. ينظر: طبقات الحفاظ: جلال الدين السيوطي- ط: ١- دارالكتب العلمية - بيروت: ٥٣٤/١، شذرات الذهب في أخبار من ذهب- أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي- طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ٢٨٧/٣.

(5) تفسير القرآن العظيم: ٦٧/٢.

(6) شيخ الإسلام وإمام الحفاظ أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، برع في الحديث وتقدم في جميع فنونه، له الكثير من المصنفات في فنون شتى من العلوم، توفي سنة ٨٥٢هـ. ينظر: طبقات الحفاظ للسيوطي ٥٥٢/١، شذرات الذهب: ٢٧٠/٤.

(7) فتح الباري في شرح صحيح البخاري- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب- طبعة دار المعرفة- بيروت: ٤٨ / ١.

المنهج في الاصطلاح:

يعود في الأصل إلى كلمة يونانية تعني البحث أو النظر أو المعرفة, وهو: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة, تهيمن على سير العقل وتحديد عملياته حتى يصل إلى النتيجة المطلوبة",⁽¹⁾ وعُرف أيضاً بأنه: "الكيفية التي بها نقول شيئاً أو نعلمه أو نفعله طبقاً لمبادئ معينة وحسب ترتيب معنى".⁽²⁾

والمنهج بالمعنى العلمي: "مجموعة من الإجراءات التي ينبغي اتخاذها بترتيب معين لبلوغ هدف معين"⁽³⁾. وقد وردت الكلمة بلفظ منهاج في قوله تعالى: { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا }.⁽⁴⁾ وفسرت الشريعة بالقرآن والمناهج بالسنة, وعلى ذلك: "فالمناهج إذن تطبيق للقرآن وتجسيد في حياة الفرد وتأريخ البشر لتعاليمه".⁽⁵⁾

(1) مناهج البحث العلمي - عبد الرحمن بدوي - طبعة دار النهضة - القاهرة: ٥.

(2) مقدمات في المنهاج - عبد السلام ياسين - ط: ٢ - دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية - مصر: ٢٣.

(3) المصدر نفسه: ٢٤.

(4) سورة المائدة - الآية: ٣٨.

(5) مقدمات في المنهاج: ٢٤.



المطلب الثاني القرآن في اللغة والاصطلاح

• القرآن الكريم في اللغة:-

• اختلف العلماء في تعريف القرآن الكريم في اللغة إلى آراء عدة يمكن إجمالها والإشارة إليها بإيجاز فيما يأتي:-

ذهب أصحاب الرأي الأول إلى أن لفظ القرآن اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله تعالى غير مهموز. (1)

وذهب أصحاب الرأي الثاني إلى أن لفظ القرآن اسم مشتق غير مهموز، وأنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضمته إليه لقران الحروف والآيات والسور فيه، أو مشتق من القرائن وهي جمع قرينة؛ لأن آياته يصدق بعضها بعضاً ويشابه بعضها بعضاً. (2)

أما أصحاب الرأي الثالث وهم جمهور القراء والمفسرين فقد ذهبوا إلى أن لفظ القرآن اسم مشتق من "قرأ" بمعنى تلا، فهو في الأصل كالقراءة مصدر قرأ قراءة وقرآنًا كالرجحان والغفران، سمي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر. (3)

والراجح أن القرآن مصدر مرادف للقراءة بمعنى التلاوة، ثم أطلق هذا المعنى اللغوي على كلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد ﷺ وأصبح خاصاً به دون سواه. (4)

وقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما كلمة "قرآنه" الواردة في قوله تعالى: { لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ } (5) فسرهما بمعنى التلاوة والقراءة. (6)

(1) ينظر: لسان العرب- مادة قرأ: ١٢٨/١، الإتيان في علوم القرآن- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي- ط: ١- دار ابن كثير- دمشق، بيروت: ١/١٦١

(2) ينظر: لسان العرب- مادة قرأ: ١٢٩/١، معاني القرآن- أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء- طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر: ٣/٢١١، والبرهان في علوم القرآن- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي- ط: ٢- دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت: ١/١٧٨، الإتيان في علوم القرآن: ٢/١٦٢

(3) ينظر: لسان العرب- مادة قرأ: ١٢٨/١، والإتيان في علوم القرآن: ١/١٦٢.

(4) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري- طبعة دار الفكر- بيروت: ١٨٧-١٨٩، ونكت الانتصار لصحة نقل القرآن- أبو بكر الباقلاني- طبعة مكتبة منشأة المعارف- مصر: ٥٦، ومناهل العرفان في علوم القرآن- محمد عبد العظيم الزرقاني- تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث- ط: ١- دار الفكر- بيروت: ١/١١.

(5) سورة القيامة- الآيات: ١٦- ١٨.

(6) ينظر: صحيح البخاري- محمد بن إسماعيل البخاري- تحقيق: مصطفى ديب البغا- ط: ٢- دار ابن كثير، دار اليمامة- بيروت- كتاب التفسير- باب إن علينا جمعه وقرآنه: ٤/١٨٧٦ رقم (٤٦٤٤).



قال الطبري⁽¹⁾ رحمه الله: " فأما القرآن فإن المفسرين اختلفوا في تأويله, والواجب أن يكون تأويله على قول ابن عباس t من التلاوة والقراءة, وأن يكون مصدراً من قول القائل قرأت القرآن, كقولك: الخسران من خسرت, والغفران من غفر الله لك"⁽²⁾.

وقال الزرقاني: " أما لفظ القرآن: فهو مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى: { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ }"⁽³⁾. ثم نقل من هذا المعنى المصدرى وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي ٣ من باب إطلاق المصدر على مفعوله"⁽⁴⁾.

وأما في الاصطلاح فإن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المعجز المنزل على محمد ٣, المتعبد بتلاوته, المكتوب في المصاحف, المنقول بالتواتر من أول الفاتحة إلى آخر الناس.⁽⁵⁾

المطلب الثالث

المراد بالمنهج القرآني وأهميته

(1) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري الإمام الحافظ ، من أئمة التفسير والقراءات والحديث والفقه والتأريخ ، له العديد من المصنفات ، توفي سنة ٣١٠ هـ. ينظر: طبقات المفسرين - أحمد بن محمد الأندروني - تحقيق: سلمان بن صالح الخزي - ط: ١ - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة: ٩٥/١ ، طبقات المفسرين - جلال الدين السيوطي - تحقيق: علي محمد عمر - ط: ١ - مكتبة وهبه - القاهرة: ٤٨/١ .

(2) جامع البيان للطبري: ١ / ٦٥ ، ينظر: نكت الانتصار: ٥٦ .

(3) سورة القيامة: الآيتان: ١٧، ١٨ .

(4) مناهل العرفان في علوم القرآن: ١/١١١ .

(5) ينظر: المصدر نفسه: ١٥/١ - ١٧ .

يراد بالمنهج القرآني القواعد التي وضعها القرآن الكريم والخطة التي رسمها وسار عليها لتحقيق السعادة والصلاح للبشرية في مجالات حياتها المختلفة في ضوء الآيات القرآنية والسنة النبوية بمعناها العام الذي يشمل السيرة المطهرة أيضاً.

أما أهمية المنهج القرآني فإنها تتجلى في أن القرآن الكريم كتاب الله الخالد أنزله على خاتم رسله محمد ﷺ ليكون دستور البشرية وهداية الإنسانية ومنقذها من ظلمات الكفر والغواية، كما أنه سر الهداية ومنبع الإعجاز المتجدد، فضلاً عن كونه دستور الحياة ومنهجها، وعصمة المتمسكين به ونجاتهم.

قال تعالى: {الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ ۙ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } (1)

وقال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا } (2). وقال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } (3).

وقد ورد عن علي عليه السلام أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إلا أها سنكون فشتة. فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعنه حتى قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد. من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم). (4)

"نعم فيه نبأ من قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا، ففيه نبأ من قبلنا من الأمم السابقة والقرون الماضية، فيه من قصص الأنبياء والمرسلين، والأمم والجماعات والأشخاص والحوادث والكائنات، والمسيرة التاريخية للجماعة البشرية ما فيه عبرة لمن اعتبر، وذكرى لمن كان له قلب نابض، وعقل واع متدبر.

(1) سورة إبراهيم: الآية ١

(2) سورة النساء: الآية ١٠٥

(3) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(4) سنن الترمذي - محمد بن عيسى الترمذي - تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون - طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت - كتاب فضائل القرآن - باب ما جاء في فضل القرآن: ١٧٢/٥ رقم (٢٩٠٦) وقال الترمذي: "حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول".

وفيه خبر ما بعدنا من أحوال اليوم الآخر، وحياة الدار الآخرة يوم يقوم الناس لرب العالمين، وفيه حكم ما بيننا من المشاكل والمسائل التي نحتاج فيها إلى بيان وإرشاد من المسائل الاعتقادية والفكرية، والمسائل الأخلاقية والسلوكية والمعاملات المالية، وفروع العبادات والأحكام الشرعية الشخصية وغير شخصية، ما من حكم شرعي ديني أو قضية أو مشكلة تلامس دنيا الناس وحياتهم إلا وله في كل ذلك عرق ينبض أو معين لا ينضب، وله هدى وبيان وإرشاد إما بالنص أو الاستنباط.

لقد كان هذا القرآن العظيم مشعل هداية على طريق الإنسانية أضاء لها فأخرجها من الظلمات إلى النور، وحدث في العالم كله من القيم والمفاهيم والمعايير ما صعد بالإنسانية من دركها الأسفل إلى أبهى صورها وأسمى كماالاتها".⁽¹⁾

ويمكن الإشارة إلى أهم الخصائص والمميزات التي تفردها بالمنهج القرآني فيما يأتي:-

1- إنه المنهج الوحيد الذي تكفل الله تعالى بحفظه:

فهو الكتاب الوحيد المصان من كل تحريف أو تبديل تتعرض له النصوص كما تعرضت الكتب الإلهية السابقة، وهو ما يدل عليه قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} .⁽²⁾ فالمتأمل لصيغة الآية يرى أنها تدل على التأكيد من عدة أوجه منها: اسمية الجملة وتأكيدها بحرف إن، ودخول اللام المؤكدة على الخبر، وهو أمر لم يتوفر لأي كتاب إلهي غير القرآن. قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيْبَانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ} .⁽³⁾

والسر في تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم بنفسه وإيكال حفظ الكتب السماوية السابقة إلى أهلها؛ أن تلك الكتب جيء بها على التوقيت فهي كتب مؤقتة لرسالات مؤقتة لأزمنة مؤقتة لقوم مخصوصين بخلاف القرآن الكريم الذي جيء به على التأييد، فهو كتاب خالد لرسالات خالدة خلود الزمان، عامة لجميع البشر، الأمر الذي يقتضي حفظه من التغيير والتبديل.⁽⁴⁾

"ونحن ننظر اليوم من وراء القرون إلى وعد الله الحق بحفظ هذا الذكر، فنرى المعجزة الشاهدة بربانية هذا الكتاب- إلى جانب غيرها من الشواهد الكثيرة.

لقد كان هذا الوعد على عهد رسول الله ٣ مجرد وعد، أما هو اليوم من وراء كل تلك الأحداث الضخام، ومن وراء كل تلك القرون الطوال، فهو المعجزة الشاهدة على ربانية هذا الكتاب".⁽⁵⁾

2- كونه يمثل خطاب الله تعالى الأخير إلى البشرية:

(1) المنتخب في تفسير القرآن- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- مصر: ٦٢٥

(2) سورة الحجر: الآية ٩.

(3) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(4) ينظر: النبأ العظيم- د. محمد عبدالله دراز- طبعة سنة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م: ٩، كيف نتعامل مع القرآن العظيم- د. يوسف القرضاوي-

مركز بحوث السنة والسيرة- قطر: ٢٢.

(5) في ظلال القرآن- سيد قطب- ط: ١١- دار الشروق- بيروت، القاهرة: ٢٢٢٧/٤.

فهو الكتاب الخاتم المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين, ولذلك جاء مصدقاً لما سبقه من الكتب الإلهية مشتملاً على ما فيها من الكمالات مضافاً إليها من التوجيهات والإرشادات التي تكفل سعادة البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}. (1)

قال ابن كثير "جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها, أشملها وأعظمها وأكملها, حيث جمع فيه محاسن ما قبله, وزاده من الكمالات ما ليس في غيره, فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها". (2)

ويؤكد سيد قطب رحمه الله: هذا المعنى في معرض حديثه عن القرآن الكريم فيصفه بأنه مصدر الرسالة المحمدية "الرسالة التي جاءت تعرض الإسلام في صورته النهائية الأخيرة؛ ليكون دين البشرية كلها, ولتكون شريعته هي شريعة الناس جميعاً, ولتهيمن على ما كان قبلها وتكون هي المرجع النهائي, ولتقيم منهج الله لحياة البشرية حتى يرث الله الأرض ومن عليها". (3)

3- الريانية:

فواضعه هو الله تعالى خالق البشر العالم بهم وبما يصلحهم, قال تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (4)، وهذا يعني أنه: "وحده المنهج المبرراً من نتائج الجهل الإنساني والقصور الإنساني - براءته من نتائج الضعف البشري - فواضعه هو خالق الكائن الإنساني, العليم بما يصلحه ويصلح له, وهو المطلع على خفايا تكوينه وتركيبه, وخفايا الملبسات الأرضية والكونية كلها في مدى الحياة البشرية كذلك". (5)

4- العالمية:

فهو منهج الله الخالد الذي يخاطب البشر في كل زمان ومكان على إختلاف ألسنتهم وألوانهم وتباعد ديارهم وأماكنهم. قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}. (6)، فهذا خطاب من الله تعالى لنبيه ﷺ أن يقول للناس جميعاً: {إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} وهو خطاب يشمل الأحمر والأسود والعربي والعجمي, وهذا من شرفه وعظمته ﷺ أنه خاتم النبيين, وأنه مبعوث إلى الناس أجمعين.

(1) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(2) تفسير القرآن العظيم: ٦٦/٢.

(3) في ظلال القرآن: ٩٠١/٢.

(4) سورة الملك: الآية ١٤.

(5) هذا الدين - سيد قطب - ط: ٧ - دار الشروق - بيروت، القاهرة: ٢٢، ٢٣.

(6) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.



قال تعالى: { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا }⁽¹⁾ و "العالمين" كل ما سوى الله تعالى من المخلوقات فيتناول جميع الثقلين من الجن والإنس، فدللت هذه الآية أنه رسول للخلق أجمعين في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة"⁽²⁾.

"وهذا النص مكي وله دلالاته على إثبات عالمية هذه الرسالة منذ أيامها الأولى، لا كما يدعي بعض المؤرخين غير المسلمين أن الدعوة الإسلامية نشأت محلية ثم طمحت بعد اتساع رقعة الفتوح أن تكون عالمية، فهي منذ نشأتها رسالة للعالمين، طبيعتها طبيعة عالمية شاملة، ووسائلها وسائل إنسانية كاملة، وغايتها نقل هذه البشرية كلها من عهد إلى عهد، ومن نهج إلى نهج عن طريق هذا الفرقان الذي نزله الله على عبده ليكون للعالمين نذيراً، فهي عالمية للعالمين والرسول يواجهه في مكة بالتكذيب والمقاومة والجحود"⁽³⁾.

5- الشمول والتكامل:

الأمر الذي يعني وفاؤه بكل حاجات البشر في مختلف مجالات حياتهم، فقد "اشتمل القرآن الكريم على أصول الشريعة، وقواعدها في الحلال والحرام، وجاءت أكثر أحكامه مجملية تشير إلى مقاصد الشريعة، وتضع بيد الأئمة والمجتهدين المصباح الذي يستنبطون في ضوئه أحكام جزئيات الحوادث في كل زمان ومكان، وهذا سر خلود الشريعة، وشمول قواعدها الكلية، ومقاصدها العامة لما يحدث في حياة الناس من أفضيات"⁽⁴⁾. قال تعالى: { مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ }⁽⁵⁾ وقال تعالى: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ }⁽⁶⁾.

يقول الإمام الشاطبي⁽⁷⁾: "القرآن فيه تبيان كل شيء...؛ فالعالم به على التحقيق عالم بجميع الشريعة ولا يعوزه منها شيء والدليل على ذلك أمور منها النصوص القرآنية من قوله تعالى: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا }⁽⁸⁾، وقوله: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ }⁽⁹⁾... وقوله جل شأنه: { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ }⁽¹⁾. يعني الطريق المستقيمة ولو لم يكمل في الشريعة جميع معانيها لما صح إطلاق هذا المعنى عليه حقيقة"⁽²⁾.

(1) سورة الفرقان: الآية ١.

(2) التفسير الكبير - محمد الرازي فخر الدين - طبعة دار الفكر - بيروت: ٤٥/٢٤.

(3) في ظلال القرآن: ٢٥٤٨/٥.

(4) التشريع والفقاه الإسلامي - مناع القطان - ط: ٢ - مؤسسة الرسالة - بيروت: ٤٨.

(5) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

(6) سورة النحل: الآية ٨٩.

(7) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي فقيه مالكي أصولي، أحد أبرز العلماء وأكثرهم فهماً وذكاءً وتقواً وورعاً له العديد من المصنفات من أشهرها الموافقات في أصول الشريعة، توفي سنة ٧٩٠هـ. ينظر: الأعلام - خير الدين الزركلي - ط: ٥ - دار العلم للملايين - بيروت: ٧٥/١.

(8) سورة المائدة: الآية ٣.

(9) سورة النحل: الآية ٨٩.

(1) سورة الإسراء: الآية ٩.

(٢) الموافقات في أصول الشريعة - إبراهيم بن موسى الشاطبي - تحقيق: عبد الله دراز - طبعة دار المعرفة - بيروت: ٣٦٩/٣.

6- العطاء والتجدد:

يتضح ذلك من خلال تشريعه لعدد من الأصول والقواعد الثابتة والمبادئ العامة التي لا تخرج مصالح الإنسان عن حدودها، وترك الفروع والجزئيات وتفصيلات التطبيق ليستوعب من خلالها تطور الزمان وبروز الحاجات وتعدد المصالح في حدود المبادئ العامة التي رسمها.

فلقد جاء المنهج القرآني موافقاً للمقومات العامة المشتركة للبشرية والتي لا تتغير وإنما تنمو وتتشكل مع بقاء أصلها الثابت المتمثل في الفطرة الإنسانية، قال تعالى: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (3).

والمنهج القرآني بهذا الثبات وهذه المرونة كفل لأحكامه وتشريعاته البقاء والنمو والتجدد والصلاحية، والقدرة على التطبيق ومعالجة أوضاع البشرية على مدى التاريخ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. (4) وبهذا ندرك أنه "مع ثبات الأسس التي قام عليها المنهج القرآني، وثبات أحكامه إلا أن الله تعالى قد أودعها مرونة عجيبة جعلتها تتسع لمواجهة كل جديد، ومعالجة كل حادث بغير عنق ولا إرهاب" (5).

7- أنه المنهج الوحيد الذي حرر الإنسان من عبودية الإنسان:

عبر مسيرة التاريخ الطويل لم تذوق البشرية طعم الحرية سوى في ظل المنهج القرآني حيث لا عبودية إلا لله تعالى وحده لا شريك له، وبالتالي يتحرر الناس من عبادة غير الله U ويخضعون جميعاً لإله واحد سبحانه، فقد جاء المنهج القرآني ليحرر الإنسان من كل العبوديات التي استعبدته وسيطرت عليه وليثبت عبودية واحدة لله وحده، وليجعل من علاقة الإنسان بربه أساساً ثابتاً تتحدد على ضوئه علاقته بسائر المخلوقات الأخرى، قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ} (6). إن التحرر الحقيقي يتمثل في تحرر العقل والفكر قبل تحرر البدن ومن هنا عاب الله U على اليهود والنصارى انقيادهم الأعمى خلف أحبارهم ورهبانهم والتزامهم بما يشرعونه لهم ووصفهم بالشرك في قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لَإِلَهِ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (7). "وهم لم يكونوا يعبدون الأحبار والرهبان، وإنما كانوا - فقط - يقررون لهم بحق التشريع لهم من دون الله، وبحق وضع المناهج لحياتهم بالتشريع. فقال الله عنهم: "إنهم اتخذوهم أرباباً، وأنهم خالفوا عن أمر الله لهم بالتوحيد، وإنهم مشركون" (1).

(3) سورة الروم: الآية ٣٠.

(4) ينظر: العدالة الاجتماعية - سيد قطب - طبعة دار الشروق - بيروت، القاهرة: ١٨.

(5) عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية - د. يوسف القرضاوي - ط: ٢ - دار الصحوة - القاهرة: ١٠.

(6) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(7) سورة التوبة: الآية ٣١.

(1) هذا الدين: ١٩.

إن عملية التحرير في المنهج القرآني "تبدأ بتحرير الإنسان من داخله بتطهير قلبه وتصفيه نفسيته، وهذا التحرير الداخلي أو البناء الداخلي لكيان الإنسان هو في المنهج القرآني حجر الزاوية في عملية بناء الإنسان، وإقامة المجتمع الحر السعيد"⁽²⁾. قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} (3).

8- أنه المنهج الوحيد الذي أسعد البشرية:

لقد جربت البشرية ولا زالت أنظمة مختلفة ومناهج شتى أوكلت إليها مهمة تسيير حياتها عبر تأريخها الطويل إلا أن هذه المناهج أثبتت فشلها وعدم قدرتها على تحقيق السعادة للأفراد والمجتمعات، بعكس المنهج القرآني الذي جربته الأمة وأثبتت نجاحه وقدرته على إسعاد الأفراد وإصلاح المجتمعات وحل مشكلات البشرية، ففي ظله وتحت سلطانه سعدت الأمة ونعمت بالأمن والاستقرار، واكتست عزاً بعد ذل، وعلماً بعد جهل، وهدى بعد ضلال، واجتماعاً بعد فرقه، وأخوة بعد عداوة، بنص شهادة القرآن الكريم والتأريخ البشري.

أما القرآن الكريم فقد شهد بذلك في قوله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (4) وقوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (5).

وأما التأريخ فلا يزال يشهد بعظمة البناء وروعة الحضارة التي قامت على أساس المنهج القرآني، كما يبين لنا " أن التوجيهات الاجتماعية والإنسانية للقرآن الكريم كانت السند الطبيعي للفكر الإداري الإسلامي الذي ساد تطبيقه في صدر الدولة العربية الإسلامية ويكمن فيها سر نجاح الإدارة العامة في تلك الدولة المترامية الأطراف التي شملت مساحات شاسعة من المعمورة، وكان انحراف إدارتها العامة فيما بعد عن هذه التوجيهات السديدة سبب تفككها وانهارها"⁽⁶⁾.

(1) دولة الرسول ٣ من التكوين إلى التمكن - د. كامل سلامة الدقس - ط: ١ - دار عمار - عمان: ٢٣١.

(2) سورة الرعد: الآية ١١.

(3) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.

(4) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(5) الفكر الإداري الإسلامي والمقارن - د. حمدي أمين عبد الهادي - ط: ١ - دار الحمادي للطباعة - القاهرة: ٤١.

وكما أصلح المنهج القرآني المجتمع الذي نزل فيه والأمة التي طبقت تعاليمه في القرون الأولى فإنه كفيل بإصلاح أوضاع الأمة اليوم ومعالجة قضاياها المختلفة, وسيظل بإذن الله تعالى رغم مرور الأزمان وتعاقب الأجيال يمثل الدواء لكل داء, والحل لكل أشكال.

"ومن المعلوم أن أفضل أنواع العلاج ما جربه المريض فحسم داءه وعجل شفاؤه, والأحمق من الناس هو الذي يدع الدواء المجرب الموفور عنده ليبحث عن دواء جديد لدى أعدائه, مع أن هذا الدواء الذي يلتسمه لم يشف أصحابه ولم يهيئ لهم العافية, ولم يزد لهم إلا خبالاً".⁽¹⁾

"ولعل ما يؤكد صدق عظمة المنهج القرآني والشريعة الإسلامية أن ذلك التقدم الحضاري والإنساني الذي حققته الأمة الإسلامية بقيادة الرسول الكريم وخلفائه من بعده قد دام ما دام تمسكها بذلك المنهج, وما دام حرصها على تطبيقه وتنفيذه, وأنها قد ضلت طريقها إلى هذا التقدم الحضاري والإنساني يوم أن انصرفت عن التحاكم إلى المنهج الإسلامي وتحولت عن تطبيق أحكامه ومبادئه وتوجيهاته, فانزوت بين الأمم وقل شأنها وشان أفرادها, وعلى ذلك فإن هذا التلازم في التغيير بين الاحتكام أو عدم الاحتكام إلى المنهج الإسلامي وحال الأمة الإسلامية إنما يعطي خير دليل على صلاحية استخدام هذا المنهج ووجوب التحاكم إليه في شتى الأمور والنواحي التي تناولها"⁽²⁾. قال تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }.⁽³⁾

ولقد حذر القرآن الكريم من الإعراض عن هذا المنهج واتباع غيره من المناهج وبين خطورة ذلك على حياة الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة فقال تعالى: { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ }.⁽⁴⁾ قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما عداه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بأرائهم وأهوائهم".⁽⁵⁾ ويرى سيد قطب رحمه الله تعالى: "أن الجاهلية بهذا التحديد القرآني تعني حكم البشر للبشر, وعبودية البشر للبشر, وبالتالي فإنها ليست مرحلة من الزمان, ولكنها وضع من الأوضاع وجد بالأمس ويوجد اليوم ويوجد غداً وهو الوضع المناهض للمنهج القرآني".⁽⁶⁾

(1) الحل الإسلامي فريضة وضرورة- د. يوسف القرضاوي- ط: ٣- مكتبة وهبة- مصر: ١٤٢، ١٤٣.

(2) القيادة الإدارية في الإسلام- عبد الشافي محمد أبو الفضل- ط: ١- المعهد العالي للفكر الإسلامي- القاهرة: ١١٦، ١١٧.

(3) سورة الأنعام: الآية: ١٥٣.

(4) سورة المائدة: الآية: ٥٠.

(5) تفسير القرآن العظيم: ٦٨/٢.

(6) في ظلال القرآن: ٩٠٤/٢.

وفي موطن آخر يبين سبحانه وتعالى نتيجة التمسك بهذا المنهج وفائدتها، وعاقبة التخلي عنه ومآلها في ختام حديثه عن قصه الصراع بين آدم **U** وإبليس اللعين في قوله تعالى: { قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى }. (1)

قال الشوكاني (2) رحمه الله تعالى: "إن الله **U** جعل لمن اتبع هداه وتمسك بدينه أن يعيش في الدنيا عيشاً هنيئاً غير مهموم ولا مغموم ولا متعب نفسه كما قال سبحانه: { فَلْنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً }. (3) وجعل لمن لم يتبع هداه وأعرض عن دينه أن يعيش عيشاً ضيقاً وفي تعب ونصب، ومع ما يصيبه في هذه الدنيا من المتاعب فهو في الأخرى أشدّ تعباً وأعظم ضيقاً وأكثر نصباً". (4)

وفي ختام الحديث عن أهمية المنهج القرآني لا بد من الإشارة إلى أبرز الفروق الجوهرية بينه وبين غيره من المناهج الوضعية رغم أنه لا وجه للمقارنة بينهما وذلك فيما يأتي:

1- إن المنهج القرآني دين يتعبد الناس به ربهم الأمر الذي يوجب الثواب لمن عمل به والعقاب لمن تركه بعكس المناهج الوضعية التي هي من صنع البشر. قال تعالى: { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }. (5)

2- إن المنهج القرآني منهج متكامل يشتمل على جميع جوانب الحياة الإنسانية، بينما تقتصر المناهج الوضعية على جوانب معينة فقط ومع ذلك فإنها لا تفي بها كاملة. قال تعالى: { مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ }. (6)

3- إن المنهج القرآني يضبط علاقات الإنسان الداخلية والخارجية، ويحاسب فيه الناس على أعمالهم الفردية والجماعية المقتصرة عليهم والمتعدية إلى غيرهم، بينما تقصر المناهج الوضعية مهمتها في ضبط بعض العلاقات الجماعية والسلوكيات الظاهرة فقط. قال تعالى: { لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }. (7)

4- إن المنهج القرآني يعمل على تنظيم علاقة الإنسان في جوانبها المختلفة المتمثلة في جانب العلاقة مع الله تعالى، وجانب العلاقة مع النفس والمجتمع، بينما تقتصر المناهج الوضعية على تنظيم علاقة الإنسان بالمجتمع فقط، وحتى

(1) سورة طه: الآيات: ١٢٣-١٢٦.

(2) محمد بن علي بن محمد الشوكاني نسبة إلى شوكان إحدى قرى قبائل خولان باليمن، نشأ في أسرة علم وقضاء وتقوى، برز في فنون مختلفة من العلم كاللغة والحديث واللغة والتفسير والأدب والمنطق وله في كل منها مؤلفات، من أبرز مؤلفاته نيل الأوطار في الفقه وفتح القدير في التفسير، توفي سنة ٢٥٠هـ. ينظر: الأعلام للزركلي: ٢٩٨/٦، معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة - طبعة المكتبة العربية - دمشق: ١٤١/١١.

(3) سورة النحل: الآية ٩٧.

(4) فتح القدير - محمد بن علي الشوكاني - ط: ١ - دار ابن كثير - دمشق، بيروت: ٤٦٢/٣.

(5) سورة الأنعام: الآية ١٦٢.

(6) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

(7) سورة البقرة: الآية ٢٨٤.

هذه العلاقة تقدم في إطار من الأمر والنهي مبتور من الترغيب والترهيب خالٍ من الرحمة والمودة. قال تعالى: {وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} (1).

5- إن المنهج القرآني منهج تحلية وتخلية يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يدعو إلى الفضائل ويحذر من الرذائل حفاظاً على الفرد والمجتمع، بينما لا يتوفر شيء من ذلك في المناهج الوضعية. قال تعالى: {وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (2)

6- إن المنهج القرآني يحتوي على بيان هدف الإنسان وغايته في الحياة والمتمثل في عبادة الله U والقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض، ويرسم له الطريق لتحقيق ذلك الهدف والقيام بتلك المهمة رابطاً في كل ذلك بين عمله في الدنيا وجزائه في الآخرة، بينما يعيش الإنسان في ظل المناهج الوضعية حياة التخبط والشقاء دون هدف أو غاية، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (3) وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} (4) وقال تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} (5).

7- إن المنهج القرآني يتمتع بهيبة في النفوس والقلوب، ومنهجية في الأعمال والتصرفات، وبالتالي فإنه يحترم حياً ويطاع اختياراً لصدوره عن الله U، بعكس المناهج الوضعية التي لا يهابها الناس إلا خوفاً واضطراباً وفي بعض الأحوال عند خوف الرقباء.

8- إن من أهم أهداف المنهج القرآني بناء وإعداد الإنسان الصالح القادر على القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بناءً متيناً يقوم على أساس التوازن بين متطلبات الروح والجسد، وإعداداً متكاملًا يشمل جوانب حياته المختلفة، بينما تسعى المناهج الوضعية إلى إعداد المواطن الصالح دون أن تتمكن من استيعاب جوانب الإعداد المختلفة، وشتان بين بناء وإعداد الإنسان الصالح الذي يتحرك في أرجاء الأرض جميعاً وإعداد المواطن الصالح الذي لا يتجاوز نفعه حدود وطنه.

(1) سورة النساء: الآية ٣٦.

(2) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

(3) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(4) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(5) سورة القصص: الآية ٧٧.

9- إن المنهج القرآني يكفل تحقيق السعادة للمتزمين به في الدنيا والآخرة، بعكس المناهج الوضعية التي تقتصر في برامجها على الدنيا فقط ومع ذلك لا يمكن أن تحقق السعادة للمتزمين بها حتى في الدنيا. قال تعالى: { قَالَ اهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يَأْتِيكُمْ مِنْي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } (1).

هذه أبرز الفروق الجوهرية بين المنهج القرآني والمناهج الوضعية وهناك فروق وفروق لا يتسع المجال لحصرها وإبرازها. (2)

"ولأن هذا هو الفارق الأصيل بين طبيعة منهج الله ومناهج الناس، فإنه يستحيل الالتقاء بينهما في نظام واحد، ويستحيل التوفيق بينهما في وضع واحد، ويستحيل تليفق منهج نصفه من هنا ونصفه من هناك، وكما أن الله لا يغفر أن يشرك به، فكذلك هو لا يقبل منهجاً مع منهجه.. وهذه كذلك سواء بسواء، لأن هذه هي تلك على وجه اليقين". (3) قال تعالى: { أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } (4).

(1) سورة طه: الآيتان: ١٢٣، ١٢٤.

(2) ينظر: تأريخ التشريع الإسلامي - د. حامد محمود إسماعيل: ٩، ١٠ (نقلاً عن: منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع - د. محمد السيد يوسف - ط: ١ - دار السلام - القاهرة: ٣٩-٤١).

(3) معالم في الطريق - سيد قطب - ط: ١٠ - دار الشروق - بيروت، القاهرة: ١٦٦، ١٦٧.

(4) سورة البقرة: الآية ٨٥.



المبحث الثاني مفهوم التربية القيادية وأهميتها

المطلب الأول التربية في اللغة والاصطلاح

التربية في اللغة:

بالعودة إلى المعاجم اللغوية، نجد أن كلمة التربية ترجع إلى ثلاثة أصول لغوية هي:-

1- رَبَا , يَرِيو , رُبُوًّا بمعنى: زاد ونما, ومنه قوله تعالى: { وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّ لِيَرْبُؤَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ } (1).

2- رَبَى , يَرَبِيٌّ بمعنى: نشأ وترعرع.

3- رَبَّ يَرْبُّ بمعنى: أصلحه وتولى أمره وساسه وقام عليه ورعاه. (2)

وذهب ابن فارس (3) إلى أن الراء والباء تدل على أصول ثلاثة هي:-

إصلاح الشيء والقيام عليه.

لزوم الشيء والإقامة عليه.

ضم الشيء للشيء. (4)

قال الراغب (5) " الرب في الأصل التربية وهو: إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام " (6).

وقال البيضاوي (7): " التربية هي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً " (8).

وبناءً على ما سبق فإن هناك عدداً من العناصر التي تتكون منها عملية التربية وهي:

(1) سورة الروم: الآية ٣٩.

(2) ينظر: لسان العرب- مادة ربا: ١٤ / ٣٠٤.

(3) الإمام العلامة اللغوي المحدث أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، ولد في قزوين ونشأ بهمدان وأقام بالري، كان رأساً في الأدب بصيراً بفقاه مالك مناظراً متكلماً، ومذهبه في النحو على طريقة الكوفيين له العديد من المصنفات والرسائل، مات بالري سنة ٣٩٥ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي- تحقيق / شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي- ط: ٩- مؤسسة الرسالة- بيروت: ١٧/١٠٣، طبقات المفسرين للسيوطي ٩٣/١.

(4) ينظر: معجم مقاييس اللغة- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا- ط١- دار إحياء التراث العربي- بيروت مادة ربا: ٣٧٨.

(5) أبو القاسم حسين بن محمد بن الفضل الأصفهاني المعروف بالراغب، ذكره السيوطي تحت إسم المفضل بن محمد، أديب من الحكماء العلماء، سكن بغداد له العديد من المصنفات، توفي سنة ٥٠٢ هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة- جلال الدين السيوطي- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- طبعة دار أحياء الكتب العربية- مصر: ٢/٢٧٩، طبقات المفسرين للسيوطي: ١/١٦٨.

(6) معجم المفردات في ألفاظ القرآن- الراغب الأصفهاني- تحقيق: نديم مرعشلي- طبعة دار الفكر- بيروت: ١٨٩.

(7) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي القاضي البيضاوي الشافعي، كان إماماً مبرزاً صالحاً متعبداً زاهداً، ولي قضاء القضاة بشيراز ودخل تبريز وناظر فيها، له العديد من المصنفات أبرزها المصباح في أصول الدين وأنوار التنزيل الذي اختصر فيه الكشف، توفي سنة ٧٩١ هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢/٢٧٦، طبقات المفسرين للسيوطي: ١/٢٥٤.

(8) أنوار التنزيل وأسرار التأويل- ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي- طبعة دار الجيل ومؤسسة شعبان للنشر والتوزيع- بيروت: ١/٥٢.

1- المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها.

2- تنمية مواهبه واستعداداته كلها وهي كثيرة ومتنوعة.

3- توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب كلها نحو صلاحها وكما لها اللائق بها.

4- التدرج في هذه العملية حالاً فحالاً وشيئاً فشيئاً.⁽¹⁾

كما يستخلص من العناصر السابقة نتائج أساسية في منهج التربية وهي:

1- إن التربية عملية هادفة لها أغراضها وأهدافها وغاياتها.

2- إن المربي الحق على الإطلاق هو الله تعالى؛ لأنه هو الخالق، خالق الفطرة وواهب المواهب، وهو الذي سن سنناً لنموها وتدرجها وتفاعلها، كما أنه شرع شرعاً لتحقيق كما لها وصلاحها وسعادتها.

3- إن التربية تقتضي خطياً متدرجاً تسير فيها الأعمال التربوية والتعليمية وفق ترتيب منظم متصاعد، ينتقل مع الناشئ من طور إلى طور ومن مرحلة إلى أخرى.

4- إن عمل المربي تالٍ وتابع لخلق الله تعالى وإيجاده، كما أنه تابع لشرعة ودينه وأحكامه.⁽²⁾

"وهكذا تدور كلمة التربية في اللغة حول تنشئة الطفل مادياً بتغذيته ورعايته جسمياً، وعقلياً بتزويده بما يناسبه من ظروف المعرفة الإنسانية والثقافة البشرية، وتغذيته روحياً بتزويده بما يهذب نفسه ويزكيها ويسموها بها".⁽³⁾

وقد استخدمت كلمة التربية في اللغة اللاتينية للدلالة على تربية النبات والحيوانات، وللدلالة على الطعام وتهذيب البشر دون تفريق بين هذه الأحوال جميعاً.⁽⁴⁾

التربية في الاصطلاح:

اختلفت تعريفات العلماء والمربين للتربية باختلاف نظرتهم وفلسفتهم في الحياة، وكذا باختلاف دياناتهم ومعتقداتهم التي يدينون بها، فالتربية عند اليونان تهدف إلى مساعدة الفرد على تحقيق النمو المتكامل والاهتمام بنواحي حياته المختلفة، بينما تهدف في المفهوم الإسلامي إلى تحقيق التوازن بين حاجات الإنسان الروحية والمادية وإعداده حتى يتمكن من القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض.⁽⁵⁾

والتربية في ذاتها: "علم يبحث في أهداف تنمية الفرد من النواحي البدنية والفكرية والخلقية، والمناهج

والوسائل التي تستخدم لتحقيق هذه الأهداف".⁽⁶⁾

أما المفهوم الحضاري الشامل للتربية: فيعني "أنها العملية الواعية المقصودة وغير المقصودة لإحداث

نمو وتكيف مستمر للفرد، من جميع جوانبه الجسمية والعقلية والوجدانية، من زوايا مكونات المجتمع، وإطار ثقافته،

(1) ينظر: مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام - عبد الرحمن الباني - ط: 2 - المكتب الإسلامي - الرياض: 11، 12.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 13، 14، التربية بالموعظة الحسنة - عصام حسن حجازي - رسالة ماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة - كلية التربية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة: 13.

(3) أصول الفكر التربوي في الإسلام - د. عباس محجوب - ط: 1 - دار بن كثير - دمشق، بيروت: 15.

(4) ينظر: أصول التربية - د. أحمد علي الحاج محمد - ط: 1 - دار المناهج للنشر والتوزيع - عمان: 14.

(5) ينظر: تطور النظريات والأفكار التربوية - عمر محمد التومي الشيباني - طبعة دار الثقافة - بيروت: 13، أصول الفكر التربوي في الإسلام: 16.

(6) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية - د. أحمد زكي: 308.

وأشبطه المختلفة: الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والعلمية، على أساس من خبرات الماضي، وخصائص الحاضر، واحتمالات المستقبل، فتعمل على تشكيل الأجيال الجديدة في مجتمع إنساني، في زمان ومكان معين، وتنمية كل مكونات شخصياتهم المنفردة، وبما يمكنهم من تنميتها إلى أقصى درجة ممكنة من خلال ما يكتسبونه من معارف واتجاهات ومهارات، بما يجعل كل فرد مواطناً يحمل ثقافة مجتمعه، متكيفاً مع نفسه ومع بيئة ومواقف الحياة المتغيرة، ومنتجاً يساهم في أحد مجالات العمل والإنتاج، وحارساً لقضايا أمته والإنسانية جمعاء".⁽¹⁾

ومن هنا يمكن القول أن التربية هي الأسلوب الأمثل في التعامل مع الأفراد والمجتمعات والأمم وفق منهج خاص ووسائل محددة بهدف إحداث تغيير إيجابي في النفس الإنسانية وقيادة البشرية نحو الأفضل، وتحقيق السعادة الإنسانية في الدنيا والرضا الإلهي في الآخرة.

ويتسق الفهم الإسلامي للتربية مع كل ما سبق حيث يرى " أنها الإعداد الروحي والنفسي للفرد بحيث يكون مؤهلاً لتلقي التعليم والثقافة على نحو موجه فيأخذ ما هو أساس وبناء وما هو بسبيل أن يمدّه بالقدرة على أداء رسالته في الحياة والمجتمع، هذه الرسالة الجامعة بين هدفي الدنيا والآخرة من حيث البناء والعمل والسعي إلى آفاق التقدم دون أن يكون ذلك على حساب القيم الخلقية أو المسؤولية الفردية بل لحسابها ودعماً لها".⁽²⁾

ولقد حدد المنهج القرآني مهمة النبي ٣ في ثلاثة عناصر متكاملة تتمثل في التلاوة والتركية والتعليم، فبالتلاوة يكون الإنسان أقرب إلى ربه حيث السمو الروحي والصفاء النفسي، وبالتركية يتم إصلاح النفوس وتهذيب الطباع وشد الإنسان إلى المألى الأعلى كلما حاولت مثبطات الأرض والمادة أن تمسك به وتحد من انطلاقته، وأما التعليم فهو السبيل إلى إنارة الفكر وإمداده بالهدايات المختلفة التي اشتمل عليها القرآن الكريم في مجالات الحياة المختلفة.⁽³⁾ قال تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}.⁽⁴⁾

(1) أصول التربية للحاج: ١٤، ١٥.

(2) التربية وبناء الأجيال في ضوء القرآن - د. أنور الجندي - طبعة دار الكتاب اللبناني - بيروت: ١٥٣.

(3) ينظر: نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع - محمد الغزالي - بحث مقدم إلى ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية بجامعة أم القرى - مكة المكرمة: ١.

(4) سورة الجمعة: الآية: ٢.

المطلب الثاني القيادة في اللغة والاصطلاح

القيادة في اللغة:

القيادة مصدر قاد، يقال: قاد الجيش قيادة إذا رأسه ودبره، والقود في اللغة نقيض السوق، يقال: يقود الدابة من أمامها ويسوقها من خلفها. (1)

وفي هذا المعنى اللغوي إشارة لطيفة مفادها أن المكان الطبيعي للقائد هو المقدمة ليكون دليلاً لجماعته وأتمته إلى الخير، ومرشداً لهم إلى الصواب، وقوة لهم في التزامه وسلوكه وتميزه. (2)

و " إذا رجعنا إلى الفكر اليوناني واللاتيني كنقطة انطلاق لتحديد معنى القيادة لوجدنا أن كلمة قيادة، (leadership) مشتقة من الفعل " يفعل أو يقوم بمهمة " وذلك كما ذكر " أرندت " (Arendt) - لأن الفعل اليوناني (Archein) بمعنى يبدأ أو يقود أو يحكم يتفق مع الفعل اللاتيني (Agere) ومعناه يحرك أو يقود. وكان الاعتقاد السائد في الفكرين يقوم على أن كل فعل من الأفعال السابقة ينقسم إلى جزأين: بداية يقوم بها شخص واحد، ومهمة أو عمل ينجزه آخرون " (3).

أما القيادة في الاصطلاح:

فقد اختلفت الآراء وتعددت في تعريف القيادة حتى أصبح من المستحيل الاتفاق على تعريف خاص بالقيادة، كما أصبح من الصعوبة ترجيح بعض التعريفات على بعض، ويرجع هذا الاختلاف والتباين بين المفكرين في تحديد معنى دقيق للقيادة إلى جملة من الأسباب التي يمكن إيجاز أهمها فيما يأتي:

1- أن بعض الباحثين والمفكرين يرى أن القيادة خصيصة من خصائص الجماعة، وبالتالي فهي مرادفة للمكانة أو المركز أو النشاط الذي تقوم به الجماعة، وهذا الفهم يؤكد على أهمية القيادة ويقلل من شأن القائد، بينما يرى البعض الآخر، أن القيادة خصيصة من خصائص الفرد لما يتسم به من سمات شخصية، وهذا الفهم يؤكد على أهمية القائد ويقلل من شأن القيادة.

2- وجود نظريات متعددة في الفكر الإداري منها ما يمثل النظريات الكلاسيكية للتنظيم التي تركز على القائد وتصوره بالرجل العظيم، ومنها ما يمثل النظريات السلوكية التي تركز على المجموعة، زيادة على النظريات الأخرى التي تحاول التوفيق بين الجانبين.

(1) ينظر لسان العرب- مادة قود: ٣/٣٧٠، مختار الصحاح- مادة قود: ١/٢٣٢.

(2) أزمة القيادة وعلاجها في واقعنا الإسلامي المعاصر- محمد الحسن- ط: ١- دار الثقافة- الدوحة: ٨.

(3) القيادة الإدارية- د. نواف كنعان- ط: ١- دار العلوم - الرياض: ٦٦.

- 3- تعدد جوانب القيادة وعناصرها, وتركيز كل فريق من علماء النفس والاجتماع وعلماء القانون والسياسة والإدارة على جوانب معينة بحسب فهمهم وبحسب الجوانب المتعلقة بهم مما أدى إلى اختلافهم في تحديد مفهوم القيادة.
- 4- اختلاف المنطلقات الفكرية لرجال الفكر الإداري المعاصر, واختلاف المداخل والمناهج وأساليب البحث التي أنتجها كل منهم في تحديده وتعريفه لمفهوم القيادة.⁽¹⁾

وقبل الحديث عن تعريف القيادة وماهيتها لا بد من إلقاء الضوء على أبرز مداخل القيادة وأهم النظريات التي تمثلها وبتركيز شديد وذلك على النحو الآتي:

1- المدخل الفردي

خلاصة هذا المدخل في تفسيره لعملية القيادة أنه يرجعها إلى شخصية القائد والسمات التي يتمتع بها, وأن من تتوفر فيه هذه السمات تكون لديه القدرة على القيادة في جميع المواقف وبفاعلية كبيرة, وتتمثل أهم نظريات المدخل الفردي في نظرتي الرجل العظيم والسمات ولكل مفهومها ومميزاتها وعيوبها.⁽²⁾

2- المدخل الاجتماعي:

" إذا كانت دراسات وأبحاث علماء النفس- في مجال الشخصية الإنسانية- قد أسهمت إلى حد ما في ظهور المدخل الفردي, فإن دراسات وأبحاث علماء الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي قد أسهمت بالمقابل في ظهور المدخل الاجتماعي, وذلك من خلال تأكيدها على أن مفهوم الجماعة له تأثير جوهري على تحديد مفهوم القيادة وخصائصها. ويقيم المدخل الاجتماعي فهمه للقيادة على أساس أن العامل المشترك بين القادة ليس هو سمات شخصية معينة, ولكنه القدرة على إظهار كفاءة أفضل في مواقف معينة.. كما ينظر إلى القيادة على أنها دالة للموقف الاجتماعي الذي توجد فيه".⁽³⁾

وتتمثل أهم نظريات المدخل الاجتماعي في كل من نظرتي التابعين والموقف ولكل مفهومها ومميزاتها وعيوبها أيضاً.⁽⁴⁾

(1) ينظر: المصدر السابق: ٨٧، القيادة الإدارية- د. خميس السيد- ط: ١- عالم الكتب- القاهرة- مصر: ٣٥، الاتجاهات الحديثة في القيادة الإدارية- د. محسن العبودي- طبعة دار النهضة العربية- مصر: ٦٨، القيادة الإدارية في الإسلام لعبد الشافي أبو الفضل: ١٩.

(2) يراجع: علم النفس الاجتماعي- د. حامد عبد السلام زهران- عالم الكتب - القاهرة: ٤، القيادة الإدارية لنواف كنعان: ٢٥٣، الاتجاهات الحديثة في القيادة: ٢٤، القيادة الإدارية في الإسلام لعبد الشافي أبو الفضل: ١٦.

(3) القيادة الإدارية لنواف كنعان- ص ٢٨٩، ينظر: القيادة الإدارية في الإسلام لعبد الشافي أبو الفضل: ١٩.

(4) يراجع: القيادة الإدارية لنواف كنعان: ٢٩١، القيادة الإدارية - د. خميس السيد: ٤٥، الاتجاهات الحديثة في القيادة: ٢٦، القيادة الإدارية في الإسلام لعبد الشافي أبو الفضل: ٢٠.



3- المدخل التوفيقي:

يقوم هذا المدخل على محاولة التوفيق بين المدخلين الفردي والاجتماعي، من خلال النظر إلى القيادة على أنها عملية تفاعل اجتماعي بين شخصية القائد والمتغيرات المحيطة بالموقف القيادي بشكل عام لاسيما ما يتعلق منها بمجموعة التابعين⁽¹⁾. وتتمثل أهم نظريات هذا المدخل في النظرية التفاعلية التي تتميز بعدد من المميزات كما أنها لا تخلو من العيوب كسابقاتها من النظريات القيادية⁽²⁾.

وفيما يأتي استعراض لأبرز تعريفات القيادة في مفهوم الفكر الإداري الحديث:

- ١- القيادة هي: "النشاط الذي يمارسه شخص للتأثير في الناس، وجعلهم يتعاونون لتحقيق هدف يرغبون في تحقيقه"⁽³⁾.
 - ٢- القيادة: "هي عملية التأثير في السلوك الإنساني، بهدف تحقيق مهمة ما بالأسلوب الذي يرغب فيه القائد"⁽⁴⁾.
 - ٣- القيادة: "هي فن التأثير في الأفراد"⁽⁵⁾.
 - ٤- القيادة: "هي عملية تحريك الناس نحو الهدف"⁽⁶⁾.
- والتعريف الأخير هو الذي يختاره الباحث لوضوحه ودلالته على المراد بالعملية القيادية واشتماله على أهم عناصرها.

ومن خلال استعراض التعريفات السابقة بما فيها التعريف المختار يمكن استخلاص الحقائق الآتية:

- ١- إن القيادة ظاهرة اجتماعية توجد حيث توجد الجماعة.
- ٢- إن أساس القيادة يتمثل في الدفع بالجماعة ومساعدتها لتحقيق الأهداف المشتركة المتفق عليها بين أفرادها.
- ٣- أن مهمة القائد تتمثل في تحريك الجماعة نحو تحقيق أهدافها في جو من الود والتعاون.
- ٤- أن القائد لا بد أن يمتاز بسمات معينة تميزه عن بقية أفراد الجماعة.
- ٥- أن عملية التأثير تعد جوهر التفاعلات التي تقوم عليها عملية القيادة⁽⁷⁾.

(1) تراجع: القيادة الإدارية لنواف كنعان: ٣٠٨، القيادة الإدارية في الإسلام لعبد الشافي أبو الفضل: ٢٢.

(2) ينظر: علم النفس الاجتماعي: ٢٥٧، القيادة الإدارية-لنواف كنعان: ٣٠٨، الاتجاهات الحديثة في القيادة: ٢٩.

(3) القيادة الإدارية لنواف كنعان: ٧٠.

(4) تولي القيادة " فن القيادة العسكرية وعلمها " - العقيد صامويل هيز والمقدم وليم توماس- ترجمة سامي هاشم ط: ١- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت: ٢٣٥.

(5) المصدر نفسه: ١٨.

(6) صناعة القائد- د. طارق السويدان و فيصل باشرحيل- ط: ١- دار ابن حزم- بيروت: ٤٠.

(7) ينظر: مدى توافق السمات القيادية مع المعايير الإسلامية في اختيار القائد التربوي- طاهر حامد الحاج محمد- طبعة مكتبة جدة: ٦٤

كما يتضح من التعريفات السابقة أن هناك ثلاثة شروط أساسية لا بد من توافرها لوجود القيادة وهي:

- ١- وجود جماعة من الناس شخصين أو أكثر.
- ٢- وجود شخص من بين أعضاء الجماعة قادر على التأثير الإيجابي في سلوك بقية الأعضاء.
- ٣- وجود هدف مشترك تسعى الجماعة إلى تحقيقه.

مفهوم القيادة في المنهج الإسلامي:

يرى الدكتور حامد رمضان أن القيادة في المنهج الإسلامي تعني: "مقدرة الفرد الذي يتمتع بصفات إسلامية معينة في التأثير على سلوك أفراد معينين بأسلوب إسلامي من أجل تحقيق أهداف محددة في ظل العقيدة والشريعة الإسلامية".^(١)

بينما يذهب الدكتور طارق السويدان إلى أن القيادة في المنهج الإسلامي: "هي عملية تحريك الناس نحو الهدف الدنيوي والأخروي وفق قيم وشريعة الإسلام".^(٢) وهو تعريف يجمع بين الدقة والشمول وهو ما يمكن إيضاحه فيما يأتي:

إن وصف القيادة بأنها عملية وصف دقيق يشير إلى أن القيادة تفاعل مستمر بين كافة العناصر والمكونات وأنها خطوات مستمرة أعد لها بإتقان.

إن مبعث التحريك هو الاهتمام بمن يكلف بمهمة ما وإشعاره بذلك، ولعل أهم سمات التحريك الفعال تتمثل فيما يأتي:

أ. اكتشاف الطاقات والقدرات وتنميتها والاستفادة منها في تحقيق الأهداف المرسومة قال تعالى حاكياً عن ذي القرنين: { حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا }.^(٣)

ب. المحافظة على روح الفريق الواحد، وتشجيع العمل الجماعي المشترك لتحقيق الأهداف: قال تعالى: { وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ }.^(٤)

ج. مساعدة الأفراد وتشجيعهم على إنجاز الأعمال: قال تعالى: { وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ }.^(٥)

(١) القيادة الإدارية- بحث منشور في مجلة الدراسات التجارية الإسلامية- كلية التجارة- جامعة الأزهر- العدد الأول- السنة الأولى: ٨٨.

(٢) صناعة القائد: ٤١.

(٣) سورة الكهف: الآية: ٩٣.

(٤) سورة المائدة: الآية: ٢.

(٥) سورة التوبة: الآية: ١٠٥.

- د. ممارسة مبدأ القيادة بالقدوة والمثل الحي: قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} (1).
- هـ. إفساح المجال للتنافس المحمود بين العاملين من أجل أداء أفضل: قال تعالى: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} (2).
- و. دراسة معوقات التنفيذ وإيجاد الحلول المناسبة لها: قال تعالى: {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ* لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} (3).
- ز. تعزيز الدافع الذاتي للأفراد تجاه الرسالة التي يحملونها والهدف الذي ينبغي تحقيقه: قال تعالى: {مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (4).
- ح. تعبئة المشاعر والأحاسيس ورفع الروح المعنوية لدى العاملين: قال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (5).

ط. الاحتفاء بالنجاحات والإنجازات التي تحقها المنظمة أفراداً وجماعات (6): قال تعالى: {وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ* بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} (7).

3- أن الناس يراود بهم الأتباع وهم العنصر الأساس في عملية القيادة والشيء الوحيد الذي يشترك فيه جميع القادة، إلا أنه قد يطلق على الإنسان قائداً وإن لم يتبعه أحد ما دام يتمتع بالاستعداد القيادي والمواصفات القيادية المطلوبة، ويتحول إلى قائد فعلي عندما يوجد له أتباع ومن هنا كان وصف المولى U لإبراهيم م ببقوله: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} (8) رغم قلة عدد متبعيه.

كما نجد أن بعض الأنبياء عليهم السلام لم يتبعهم أحد ولا شك أن ذلك عائد إلى قصور في أمهم وليس فيهم كما جاء في الحديث الصحيح الذي يرويه ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (عرضت علي الأمر فجعل من النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه أحد) (9).

ويجب على القائد معرفة أتباعه معرفة تامة حتى يتمكن من استغلال طاقاتهم وقدراتهم ووضع كل منهم في موقعه المناسب. قال تعالى: {قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ* قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنَّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ* قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ

(1) سورة الأحزاب: الآية: ٢١.

(2) سورة المطففين: الآية: ٢٦.

(3) سورة التوبة: الآيتان: ٤٦ ، ٤٧.

(4) سورة النحل: الآية: ٩٧.

(5) سورة آل عمران: الآية: ١٣٩.

(6) ينظر: مقومات القائد التربوي الناجح: ١٥٦.

(7) سورة الروم: الآيتان: ٤ ، ٥.

(8) سورة النحل: الآية: ١٢٠.

(9) صحيح البخاري - كتاب الطب - باب من لم يرق - ٢١٧٠/٥ رقم (٥٤٢٠)، صحيح مسلم - مسلم بن الحاج - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت - كتاب الإيمان - باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير محاسبة ولا عذاب: ١٩٩/١ رقم (٢٢٠) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - محمد فؤاد عبد الباقي - طبعة دار إحياء الكتب العربية - القاهرة: رقم ٦٠/١ رقم (١٣١).

إِلَيْكَ طَرْفَكَ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝ (1)

وهناك بعض الخصال التي تؤثر تأثيراً مباشراً في الموقف القيادي مثل: توقعات الأتباع ومستوى نضجهم وسلوكهم مع قائدهم، زيادة على مدى استعدادهم لتحمل المسؤولية وإدراكهم لأهمية الأعمال المطلوب إنجازها. (2)

ويمكن تلخيص أهمية الأتباع ومدى تأثيرهم في الموقف القيادي من خلال استعراض قصة موسى **ع** مع بني إسرائيل ومدى خذلانهم له في المواقف المختلفة ومن أبرزها تخاذلهم عن دخول الأرض المقدسة. (3) قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدُخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَنْدُخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۝ (4)}

وبالمقابل نجد نصرة الصحابة رضوان الله عليهم للنبي **ص** والذي تدل عليه العديد من مواقفهم البطولية المشرفة ومن أبرزها موقفهم يوم بدر عندما استشارهم في ملاقاته المشركين وتأبيدهم لذلك على الرغم من أنهم خرجوا لأخذ القافلة ولم يكونوا مستعدين للقتال. قال تعالى: {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝ (5)}

(1) سورة النمل: الآيات: ٣٨-٤٠

(2) ينظر: علم النفس الاجتماعي أسسه وتطبيقاته- د. زين العابدين درويش وآخرون- ط: ٣- مركز النشر لجامعة القاهرة- مصر: ١٦٥-١٦٧.

(3) يراجع: في ظلال القرآن: ٢/٨٦٩-٨٧١.

(4) سورة المائدة: الآيات: ٢٠-٢٦.

(5) سورة الأنفال: الآية: ٧.

ففي ذلك الموقف تحدث العديد من أبطال الصحابة مؤيدين لقرار القتال ومباركين له، وكان من أبرز هؤلاء المتحدثين في ذلك الموقف المقداد بن عمرو⁽¹⁾ حيث كان مما قال: (وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَقُولُ كَمَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَمَرْيَمُ فَتَاتِلَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ، وَلَكِنْ نَقَاتِلْ عَن يَمِينِكَ وَعَن شِمَالِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفِكَ)⁽²⁾.

وتستهدف عملية التحريك للأتباع تحقيق الأهداف المشتركة والمرغوبة، إلا أن هذه الأهداف متعددة منها ما هو خاص بالقائد، ومنها ما هو خاص بالجماعة ككل، ومنها ما هو خاص بكل فرد منها، وهنا يأتي دور القائد الفعال الذي يمتلك القدرة على الموازنة بين هذه الأهداف جميعاً والعمل على تحقيقها⁽³⁾، ولن يتحقق له ذلك إلا إذا كان مؤمناً بالهدف الذي يسعى إلى تحقيقه.

"إن للمسلم غاية بعيدة قصوى حددها الله تعالى له وكلفه بتحقيقها، وهي خلافة الأرض وإعمارها مادياً ومعنوياً. وطاعة المسلم لربه وتحقيق الغاية التي كلف بها يحقق له رضى الله تعالى وثوابه. وهذا هو أقصى ما يصبوا إليه المسلم في جميع أفعاله. وبينما هو يعمل نحو تحقيق هذه الغاية لا بد لكل فعل من أفعاله من أن يكون له هدف قريب محدد ومرتبب بهذا الفعل المعين. ولا بد لهذا الهدف القريب المحدد من أن يكون ضمن إطار الغاية القصوى للوجود ويؤدي إليها".⁽⁴⁾ قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}.⁽⁵⁾ وقال تعالى: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}،⁽⁶⁾ "فرغم كل مكاسبه الشخصية والمكاسب الجماعية لأتباعه، إلا أن المسلم ملتزم بهدف عمران الأرض، فلا يخرب ولا يدمر من أجل استفادة قاصرة بل يعمل على إعمار الأرض بشتى الأعمال وفق منهج الله".⁽⁷⁾

أما الهدف الأسمى للمسلم فهو الآخرة ولذلك يربط كل أهدافه الدنيوية بهذا الهدف الدائم، لقوله تعالى:

{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا}.⁽⁸⁾

(1) المقداد بن عمرو بن ثعلبة صحابي جليل، حالف الأسود بن عبد يغوث في الجاهلية فتنبأه فكان يقال له المقداد بن الأسود فلما حرم الإسلام التبني قبل له المقداد بن عمرو، هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية وهو أول من عدا به فرسه في سبيل الله وفارس المسلمين الوحيد يوم بدر وكلهم فرسان، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وتوفي في خلافة عثمان t سنة ٣٣هـ. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب - يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر - تحقيق: علي محمد البجاوي - ط: ١ - دار الجيل - بيروت: ١٤٨٠/٤، الاصابة في تمييز الصحابة - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق: علي محمد البجاوي - ط: ١ - دار الجيل - بيروت: ٢٠٠٢/٦.

(2) صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب إذ تستغيثون ريكم: ٤ / ١٤٥٦ رقم (٣٧٣٦).

(3) ينظر: القيادة الإدارية - د. نواف كنعان: ٧١، وفن القيادة في الإسلام - أحمد عبد ربه مبارك بصيوص - ط: ١ - مكتبة المنار - الأردن: ٣٠.

(4) القيادة التربوية في الإسلام - مفيدة إبراهيم - ط: ١ - دار مجدلاوي - عمان - الأردن: ١٦٥.

(5) سورة البقرة: الآية: ٣٠.

(6) سورة هود: الآية: ٦١.

(7) صناعة القائد: ١٨٦.

(8) سورة القصص: الآية: ٧٧.

وقوله تعالى: { قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }⁽¹⁾.

ومع أن المسلم يعمل لأهداف دنيوية مباحة إلا أنه يربط بنية صالحة تحيل هذه الأهداف إلى عبادة يؤجر عليها المباحات إلى أجر وثواب، وهو في كل ذلك مقيد بضوابط وقيم الشريعة الإسلامية لا يتعداها ولا يتجاوزها مهما ظهر له من المصالح في مخالفتها.

ومن خلال ما سبق من حديث على المنهج والقران والتربية والقيادة يمكن القول أن مفهوم المنهج القرآني في التربية القيادية يعني جملة القواعد التي وضعها القرن الكريم والخطة التي رسمها وسار عليها في عملية بناء وإعداد القيادات وتأهيلها للقيام بواجباتها في قيادة الأمة والارتقاء بها في مجالات حياتها المختلفة، كما تتمثل في التعريف بالتربية القيادية وأهميتها والأهداف المتوخاة من هذه التربية، وكذا جوانب التربية القيادية وخصائصها، بالإضافة إلى أساليب ومؤسسات التربية القيادية ونماذج تطبيقه للتربية القيادية كل ذلك في ضوء الآيات القرآنية والسنة النبوية بمعناها العام الذي يشمل السيرة الشريفة وسيرة السلف الصالح رضوان الله عليهم جميعاً.

(1) سورة الأنعام: الآية: ١٦٢.



المطلب الثالث المراد بالتربية القيادية وأهميتها

يراد بالتربية القيادية: الإعداد المتكامل للشخصيات التي تتمتع بالموهب والقدرات الخاصة والاستعداد القيادي أو المرشحة لتولي المواقع القيادية، من خلال برنامج متكامل يشمل جميع جوانب الشخصية الإنسانية وتنمية مهاراتها وقدراتها المختلفة بما يمكنها من التكيف مع متطلبات الحياة والقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض. أما أهمية التربية القيادية فليس هناك من يجهل أن التربية هي السبيل الأمثل لإعداد الأجيال إعداداً شمولياً متكاملأ لقيادة حركة الحياة بحنكة واقتدار، وبما يحقق إنسانية الإنسان ويرتقي بمكانه الأوطان.

"وغير خاف أن الأمم التي تنشأ مستقبلاً أفضل لأجيالها تراجع منظومتها التربوية كاملة بين الفينة والأخرى، لاكتشافها مكامن الخلل والإخفاق والعمل على تسديدها، وأماكن التميز والإبداع والعمل على تعزيزها، ساعية إلى تحقيق قصب السبق لأجيالها في ميدان المعرفة المتقدمة وتطبيقاتها المتنوعة للحفاظ على ديمومة إقلعها الحضاري.

وغداً واضحاً ذلك التركيز على المقومات المعنوية للأجيال الصاعدة- تركية وحفزاً وتدعيماً- لكونها المشكلة للنسيج الفكري والنفسي والعاطفي والانفعالي للإنسان، والحاكمة لسلوكه في الحياة ودوافعه فيها، والحاملة لبذور الاتجاه ومقومات تغيير الاتجاه" (1).

وتسعى عملية التربية إلى تحقيق التمكن من ضبط النفس والسيطرة على العواطف والأفكار، والاستعداد لتجنب الآثار السيئة للوراثة والسيطرة على البيئة حتى يتمكن الإنسان من القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض على الوجه المطلوب، إنطلاقاً من الأساس الذي تنبثق عنه التربية في المنهج القرآني وهو قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝} (2). "والمراد بالتركية في الآية طهارة العقائد والأفكار، واستقامة الأعمال والأخلاق" (3).

وإذا كانت تربية الأجيال عموماً تكتسب هذه الأهمية فإن تربية وإعداد القادة تتطلب اهتماماً خاصاً، إذ أن القيادة تعبير طبيعي عن حاجات الفرد والجماعة، ذلك أن كل فرد مزود بدافعي حب السيطرة والخضوع، ويختلف هذان الدافعان في النفس الإنسانية قوة وضعفاً باختلاف الأشخاص والظروف (4)، كما "أن حياة الإنسان تتطلب تنظيمًا حكيمًا يعمل على ضبط نوازعه وتوجيهها الوجهة الصحيحة؛ لأنه فرداً وجماعة ينسى في معظم الأحيان أن دائرة حريته محددة فيما يقدمه من أفعال، وما يتخذ من مواقف ويلتزمه من أهداف، وأنه فيما وراء ذلك محكوم بسنن ونواميس إلهية تفوق طاقاته وقدراته جميعاً، ودونها لا يمضي حق وعدل، ولا يستقيم نظام كوني ولا وجود بشري" (5).

(1) النبي المربي- د. أحمد رجب الأسمر- ط: ١- دار الفرقان للنشر والتوزيع- عمان: ٧.

(2) سورة الجمعة: الآية: ٢.

(3) النظام الإلهي للرفي والانحطاط- محمد تقي الأمين- ترجمة: مقتدى الأزهرى- ط: ١- دار الصحوة للنشر والتوزيع- القاهرة: ٣١

(4) ينظر: القيادة وفعاليتها في ضوء الإسلام- أحمد ماهر البقري- طبعة المكتب الجامعي الحديث- الاسكندرية- مصر: ٢٢.

(5) حول تشكيل العقل المسلم- عماد الدين خليل- طبعة مطبعة الفيصل- الكويت: ١٠٢، ١٠٣.

أما الجماعة فإن حاجتها إلى من يسوس أمرها ويحمل همومها وتدين له بالولاء والطاعة أمر واضح حيث " تحتاج الجماعة إلى رئيس يقودها، وهي بدون رئيس كالجسم بدون رأس، أو كالقطيع التائه يسير بلا راع نحو المجهول تتقاذفه الأهواء حتى يسقط فريسة بين أنياب المفترسين". (1)

ويمكن إجمال أهمية التربية القيادية من خلال استعراض الجوانب الآتية:
أولاً: أهمية القيادة وطبيعة دور القائد:

أكد المنهج القرآني على حتمية القيادة كضرورة اجتماعية في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات، وعني في توجيهاته المختلفة بإرساء مبادئ القيادة السوية، كما عمل على إيجاد القواعد والمقومات الكفيلة بإنجاحها، وتميز في كل ذلك بالجمع بين مثالية المبادئ وواقعية التطبيق، وزيادة على ذلك فقد أولى موضوع القيادة أهمية قصوى وعدها ضرورية لتنظيم حياة المجتمع البشري وإقامة العدل بين أفرادها، والحيلولة دون أن يأكل القوي الضعيف، قال تعالى: { وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } (2).

والقيادة في حقيقتها أمر مسلم به منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها، فما خلت أمة من الأمم إلا وقد بعث الله إليها من يصح مسار عقيدتها، ويقوم اعوجاج أفرادها، ويبصرها بحقيقة الهدف الذي وجدت من أجله. قال تعالى: { وَوَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } (3).

وقد أشارت العديد من الآيات إلى أهمية القيادة وضرورة وجود القائد كما في قصة بني إسرائيل حين تسلط عليهم جالوت وجنده واضطهدوهم وأذاقوهم مرارة الذل والهوان، الأمر الذي دفعهم للتنادي من أجل تغيير هذا الواقع والتحرر من هذا الوضع، وكان أول عمل لهم هو البحث عن الشخصية القيادية التي يمكن أن تجمع كلمتهم وتوحد صفهم وتقودهم في معركة التحرير، قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } (4).

وبالمقابل نجد أن غياب القيادة عامل مهم من عوامل انحراف الأتباع واختلافهم وتفرق كلمتهم، وهو ما نلاحظه في قصة بني إسرائيل أيضاً حين عبدوا العجل عند غياب موسى **U** وذهابه لملاقاة ربه، وهو ما حكاة الله **U** في قوله تعالى: { وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوَارٍ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ } (5).

(1) لمحات في فن القيادة - ج. كوارتوا - تعريب: المقدم الهيثم الأيوبي - ط: ٢ - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت: ١٢.

(2) سورة البقرة: الآية: ٢٥١.

(3) سورة النحل: الآية: ٣٦.

(4) سورة البقرة: الآية: ٢٤٦.

(5) سورة الأعراف: الآية: ١٤٨.

أما السنة النبوية فقد دلت في جانبها القولي والعملي على تلك الأهمية حيث تتجلى دلالة السنة القولية من خلال قوله ٣: في الحديث الذي يرويه أبو سعيد الخدري t: (إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم) (1)، وقوله ٣ في الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمرو بن العاص t: (لا تخل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلا أمروا عليهم أحدهم، ولا تخل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة يتأجى اثنان دون صاحبهما). (2) ففي الحديثين أوجب ٣ "تأشير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع" (3) وقد علق الإمام الشوكاني رحمة الله تعالى على هذين الحديثين بقوله: "وفيها دليل على أنه يشرع لكل عدد بلغ ثلاثة فصاعداً أن يؤمروا عليهم أحدهم، لأن في ذلك السلامة من الخلاف الذي يؤدي إلى التلاف فمع عدم التأشير يستبد كل واحد برأيه ويفعل ما يطابق هواه فيهلكون، ومع التأشير يقل الاختلاف وتجتمع الكلمة... وإذا شرع هذا لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض أو يسافرون فشرعيته لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار ويحتاجون لدفع التظالم وفصل التخاصم أخرى وأولى" (4).

وجه الاستدلال بالحديثين أن " في الحديث الأول: أمر لأي جماعة بأن تؤمر واحداً منها عليها" فليؤمروا " والأمر إذا أطلق يقتضي الوجوب، وفي الحديث الثاني: نفى ٣ الحل عن ترك التأشير، ونفي الحل يدل على التحريم" (5).

وأما دلالة السنة العملية فإن المتتبع لمسيرة الدولة الإسلامية في عهد النبوة يدرك أنه ٣ كان قائد الأمة في سلمها وحررها، وأنه دوام على تأثير القيادات سواءً عند بعث السريا (6) أم عند خروجه من المدينة (7). **وقد انعقد الإجماع على أهمية القيادة وضرورة تنصيب القائد، وفي ذلك يقول الإمام الماوردي (8) رحمه الله: "وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع" (9).**

وينبع اهتمام المنهج القرآني بالقيادة من كونها فريضة شرعية وضرورة بشرية أوجبها الشرع ودعا إليها وعدها الركيزة الأساسية لوحدة الأمة وقيامها بوظائفها المختلفة وهو ما يتضح من خلال الآتي:

(1) سنن أبي داود- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني- تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد- طبعة دار الفكر- كتاب الجهاد- باب القوم يسافرون ويؤمرون أحدهم: ٣٦/٣ رقم (٢٦٠٨). قال النووي: "حديث حسن رواه أبو داود باسناد حسن". المجموع في شرح المهذب- محي الدين النووي- تحقيق: محمود مطرعي، ط: ١- دار الفكر- بيروت: ٣٣٠/٤.

(2) مسند الإمام أحمد - أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني - طبعة مؤسسة قرطبة- مصر: ١٧٦/٢ رقم (٦٦٤٧). قال الهيثمي بعد أن ساق الشطر الثاني من الحديث: "رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وهو لين وبقية رجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد- علي بن أبي بكر الهيثمي- طبعة دار الريان- القاهرة: ٦٣/٨، وقال الشوكاني بعد أن ساق الحديثين: "حديث عبد الله بن عمرو وأبي سعيد قد أخرج بنحوهما البزار بإسناد صحيح". نيل الأوطار- محمد بن علي الشوكاني- طبعة دار الجبل- بيروت: ١٥٧/٩.

(3) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية- تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية- ط: ١- دار الكتب العلمية- بيروت: ١٣٧ (4) نيل الأوطار: ١٥٧/٩.

(5) القيادة العسكرية في عهد الرسول ٣ - د. عبد الله محمد الرشيد- ط: ١- دار القلم- دمشق: ١٤.

(6) السرايا: جمع سرية وهي طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمئة تبعث إلى العدو، سميت بذلك لأنها تسري ليلاً في خفية لئلا يحس بها العدو. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر- المبارك بن محمد الجزري- تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي- طبعة المكتبة العلمية- بيروت: ٣٦٣/٢، لسان العرب- مادة سري: ٣٨٣/١٤.

(7) ينظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول ٣: ١٥.

(8) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي صاحب التصانيف، ولي القضاء في بلدان شتى وكان يميل إلى الاعتزال له مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير والأصول والأدب من أبرزها الأحكام السلطانية وأدب الدنيا والدين، توفي سنة ٤٥٠ هـ ببغداد. ينظر: سير أعلام النبلاء: ٦٤/١٨، طبقات الفقهاء - إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي - تحقيق خليل الميس - طبعة دار القلم - بيروت: ١٣٨/١.

(9) الأحكام السلطانية والولايات الدينية- أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي- طبعة دار ابن خلدون- الاسكندرية: ٧.

1- أنها ضرورة لكل تجمع بشري:

قال تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } (1).

يقول ابن خلدون (2) رحمه الله: "إن البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم إلا باجتماعهم وتعاونهم على حصول قوتهم وضرورياتهم، وإذا اجتمعوا دعت الضرورة إلى المعاملة واقتضاء الحاجات، ومدخل كل واحد منهم يده إلى حاجته يأخذها من صاحبه لما في الطبيعة الإنسانية من الظلم والعدوان.. ويمانع الآخر عنها بمقتضى الغضب والأنفة.. فيقع التنازع المقضي إلى المقاتلة، وهي تؤدي إلى سفك الدماء.. وإذهاب النفوس وانقطاع النوع وهو مما خصه الباري سبحانه بالمحافظة فاستحال بقاؤهم دون حاكم يزع بعضهم عن بعض واحتاجوا من أجل ذلك إلى الوازع، وهو الحاكم عليهم". (3) قال تعالى: { وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } (4).

2- تحقيق الاستخلاف الذي أراده الله تعالى:

قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } (5).

قال القرطبي (6) رحمه الله: "هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع وتجتمع به الكلمة، وتتفد به أحكام الخليفة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة.. ودليلنا قوله تعالى: { يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ } (7) ثم أن الصديق t لما حضرته الوفاة عهد إلى عمر بن الخطاب في الإمامة ولم يقل أحد هذا غير واجب علينا ولا عليك؛ فدل على وجوبها وأنها ركن من أركان الدين الذي به قوام المسلمين". (8)

(1) سورة النحل: الآية: ٣٦.

(2) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الإشبيلي الأصل، قاضي القضاة نزيل القاهرة وقاضي المالكية بها، كان بارعاً في الأصول والتأريخ والأدب وغيرها من الفنون، من أشهر مصنفاته كتابه المقدمة، توفي في رمضان سنة ٨٠٨هـ بالقاهرة. ينظر: ذيل التقييد- أبو الطيب محمد ابن أحمد الفاسي- تحقيق / كمال يوسف الحوت- ط: ١- دار اكتب العلمية- بيروت: ١٠٠/٢.

(3) مقدمة ابن خلدون- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي- ط: ٤- دار القلم- بيروت: ١٨٧.

(4) سورة البقرة: الآية: ٢٥١.

(5) سورة البقرة: الآية: ٣٠.

(6) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي المالكي القرطبي، من كبار المفسرين، رحل في طلب العلم واستقر في مصر له العديد من المصنفات الدالة على إمامته وسعة علمه وكثرة إطلاعه من أبرزها كتابه الجامع لأحكام القرآن توفي سنة ٦٧١هـ. ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي: ١/٢٤٦.

(7) سورة ص: الآية: ٢٦.

(8) الجامع لأحكام القرآن الكريم- أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي- ط: ٢- دار إحياء التراث العربي- بيروت: ١/ ٢٦٤، ٢٦٥.

3- تنفيذ أحكام الله وإقامة حدوده:

قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} (1)

وقال تعالى: { وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } (2).

"وتنفيذ أحكام الله وإقامة حدوده لا تتم إلا بوجود حكومة شرعية لها قائد يسير أمرها وقضاة يفصلون بين الناس في المنازعات ويقيمون الحدود ... وأمراء يسيرون الأمور في المناطق والمدن المختلفة للدول الإسلامية، وجند يحمون الحدود ويحفظون الأمن". (3)

وقد تعارف البشر منذ القدم على أهمية القيادة وضرورة وجود القائد وهو ما لخصه الأفوه الأودي (4) وهو أحد

الشعراء الجاهليين بقوله:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
والبيت لا يبني إلا على عمدٍ
فإن تجمع أوتادٌ وأعمدةٌ
وساكنٌ بلغوا الأمر الذي كادوا (5)

وذهب علماء الاجتماع إلى أن القيادة " ظاهرة اجتماعية توجد في كل موقف اجتماعي، وتؤثر في نشاط الجماعة المنظمة التي تعمل لتحقيق هدف معين فوجود الجماعة يتطلب وجود من ينظم العلاقات بين أعضائها ويوجههم؛ لأن الجماعة لا يمكن أن تعمل بدون توجيه، ومن هنا فإنه طالما وجدت مجموعة من الأفراد فإنهم سيتطلعون إلى شخص يكون قادراً على التأثير فيهم، والتفاعل معهم لتحقيق الأهداف التي يسعون لتحقيقها". (6)

أما علماء النفس فيذهبون إلى أننا كأفراد: "نعيش معظم فترات حياتنا في ظل تبعية من جانب الفرد وإشراف من غيره.. فالفرد خلال طفولته يعتمد كلياً على والديه يتلقى منهم العون والتوجيه، وفي مرحلة دراسته يخضع لإشراف وتوجيه مدرسية بجانب والديه، ثم عندما ينتقل إلى حياة العمل يخضع لتوجيه رؤسائه ومديره حتى يصبح هو نفسه قائداً ومرشداً... وكل هذا يُكوّن لدى الفرد العادي عادة تقبل الانقياد لقائدة من تلقاء نفسه في كثير من النواحي، وتصبح القيادة عنده وسيلة مرغوبة لحفظ أمنه من خلال العلاقات التي كانت تحكم سلوكه في نشأته الأولى، وتتكون لديه هالة من التقدير والهيبة لقائدة.. وهذه كلها - في نظر علماء النفس - رواسب نفسية ترتبط بالقيادة". (7)

ولعل أهمية القيادة عند علماء الإدارة تكمن في الآتي:

(1) سورة النساء: الآية: ١٠٥.

(2) سورة المائدة: الآية: ٤٤.

(3) مدى توافق السمات القيادية مع المعايير الإسلامية في اختيار القائد التربوي: ٥٦.

(4) هو صلاة بن عمرو بن مالك بن الحارث الأودي، ينتسب إلى مذحج ويكنى بأبي ربيعة، وهو جاهلي قديم ذكر بعض المؤرخين أنه أدرك المسيح عيسى . ينظر: الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني - ط: ٣ - دار أحياء التراث العربي - بيروت: ١٦٩/١٢.

(5) كتاب الاختيارين - الأخفش الصغير - ط: ٢ - مؤسسة الرسالة - بيروت: ٧٧.

(6) القيادة الإدارية لنواف كنعان - : ٦٩، وينظر: سايكولوجية الجماعات والقيادة - لويس كامل ملكية - ط: ٢ - مكتبة دار النهضة المصرية - القاهرة: ٢٦٠ - ٢٦٢.

(7) القيادة الإدارية لنواف كنعان: ٦٨.

- 1- أنها حلقة الوصل بين العاملين وبين خطط المؤسسة وتصوراتها المستقبلية: قال تعالى: { وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (1).
- 2- أنها البوتقة التي تنصهر بداخلها كافة المفاهيم والسياسات والاستراتيجيات: قال تعالى: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } (2).
- 3- أنها قيادة المنظمة من أجل تحقيق الأهداف المرسومة: قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلَكًا يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } (3).
- 4- تدعيم الجوانب الإيجابية في المنظمة وتقليص الجوانب السلبية بقدر الإمكان: قال تعالى: { حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَرْغَبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ إِمَّا مِنْ ظَلَمٍ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا * وَإِمَّا مِنْ آمَنٍ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا } (4).
- 5- السيطرة على مشكلات العمل ورسم الخطط اللازمة لحلها: قال تعالى: { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا } (5).
- 6- تنمية وتدريب ورعاية الأفراد لما يمثلونه من رأس مال حقيقي للمنظمة: قال تعالى: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (6).
- 7- مواكبة المتغيرات المختلفة وتوظيفها لصالح المنظمة. (7)
- كما يلخصون دور القائد ومهامه في التفكير والتوجيه التغيير وكذا التحريك والتحفيز والتفعيل فضلاً عن التفويض التدريب والتأثير وتوفير المناخات المناسبة لنجاح العمل. (8)
- ثانياً: الأزمات التي تعانيها الأمة في مجال القيادة:

(1) سورة النور: الآية: ٥٥.

(2) سورة آل عمران: الآية: ١٠٣.

(3) سورة البقرة: الآية: ٢٤٦.

(4) سورة الكهف: الآية: ٨٦.

(5) سورة النساء: الآية: ٨٣.

(6) سورة الجمعة: الآية: ٢.

(7) ينظر: القيادة في القرن الحادي والعشرين - د. طارق السويدان، د / أكرم العدلوني - طبعة قرطبة للإنتاج الفني - الرياض: ٢٠٠٠.

(8) ينظر: المصدر نفسه: ٥١ - ٦٢.

تعاني البشرية اليوم من أزماتٍ متعددةٍ بتعدد جوانب حياتها، وتختلف وطأة هذه الأزمات من أمة إلى أخرى، ولعل أزمة وجود القائد الفعال من أهم الأزمات التي تعانيها الأمة الإسلامية اليوم.

"إن مشكلة القيادة ترتبط بالخصائص الذاتية للمجتمع وقوانينه الأساسية واستهدافاته وغاياته.. وفوق كل هذا بالأساس النظري العقائدي للمجتمع.. فإذا ما تطرقنا إلى مشكلة القيادة في المجتمع المسلم واجهتنا أفكار ووجهات نظر أهم وأعظم.

فالمجتمع المسلم يقوم على معتقدات معينة وله أهداف محددة، ويقوم على أساس إيماني يجعله يستلهم مصدراً معيناً للهداية حتى يحدد لحظة للنصر بادئاً من أبسط الشؤون اليومية إلى القيام بأمر الحكم والدولة، ومن ثم فإن شخصاً يملك أرقى المواهب الإدارية ثم يفتقر في تكوينه الإيماني والفكري إلى التلقي من منبع الهداية فلا شك في أنه لا يصلح لشيءٍ من أمور القيادة في مجتمع المسلمين"⁽¹⁾؛ لأن هذا الأمة إنما تحتاج إلى قيادات تجمع بين الكفاءة الإدارية والدراية الفنية في مجالات الحياة المختلفة وبين الإيمان بربها والتجرد لدينها والإخلاص لأمتها.

ومما يؤسف له أن الأمة الإسلامية اليوم لم تتجح في تبني وتربية هذا النوع من القيادات بالقدر الذي يحقق لها العزة والكرامة، وينتشلها من واقع الذل والهوان، ويأخذ بيدها إلى صدارة الأمم، وهو ما يمكن إعادته إلى جملة من الأسباب التي يأتي في مقدمتها:

- 1- وقوع أكثر البلاد الإسلامية تحت وطأة الإستعمار الذي عمل على صبغ المجتمع الإسلامي بصبغته وطبعه بثقافته، والذي خلف وراءه طبقة من الأشخاص الذين رباهم بيده وصنعهم على عينه وسلمهم مراكز القيادة والقرار في كثير من بلدان المسلمين.
- 2- طول فترة الجمود والركود والتبعية التي عاشتها المجتمعات الإسلامية والتي جعلت المسلمين متخلفين في مجالات العلوم بشكل عام، ودفعتهم إلى استقاء أنظمتهم وقوانينهم من الآخرين دون مراعاة للاختلافات والتباينات القيمية والعقائدية والثقافية والحضارية.⁽²⁾
- 3- عدم الاهتمام بجانب التربية والإعداد القيادي وتفعيل دور مؤسسات التربية والتعليم والتدريب والتأهيل القائمة.

إن أزمة القيادة التي تعانيها الأمة اليوم ذات أبعاد مختلفة وجوانب متعددة يمكن إجمالها في الآتي:

1- أزمة تخلف:

تعيش الأمة الإسلامية اليوم أزمة تخلف في كل شيء، في القيم والأخلاق والفكر والثقافة وفي السياسة والاقتصاد، وكذلك في أساليب المعيشة وبقية جوانب الحياة المختلفة، وقبل ذلك كله في الموقع فبعد أن كانت أمة رائدة أصبحت تسير في آخر الركب رغم امتلاكها لجميع مقومات القيادة والزعامة، وعلى رأسها المنهج الصافي ممثلاً في القرآن الكريم، والنموذج الحي ممثلاً في السنة المطهرة، فضلاً عما تمتلكه من رصيد الفطرة والتجربة.

(1) الإسلام والحضارة ودور الشباب - مجموعة أبحاث ووقائع اللقاء الرابع للندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض: ٣٦٩.

(2) ينظر: المصدر نفسه: ٣٧٠.

إن لظاهرة التخلف آثارها السيئة على الأفراد والأحزاب والمجتمعات، كما أن لها آثارها السيئة كذلك على جميع قطاعات المجتمع، وهي قبل ذلك كله وباء يصيب الجميع فتبقى القلة الواعية مكبلة بتخلف الأغلبية الساحقة وتدور في فلكها عاجزة عن تحضرها والارتقاء بها.⁽¹⁾

2- أزمة فاعلية القيادات:

وجدت هذه الأمة لتؤدي رسالة مهمة تمتد بامتداد الزمان وتستمر إلى أن يرث الأرض ومن عليها وذلك بنص قوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} ⁽²⁾ وهي المهمة التي استشرعها السلف الصالح رضوان الله عليهم وأعلنها ربي بن عامر t حين خاطب قائد الفرس بقوله: "إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة".⁽³⁾

وهؤلاء الروم يصف فاعليتهم عمرو بن العاص t بعد سماعه لحديث النبي r الذي يرويه المستورد القرشي t حيث يقول سمعت رسول الله r يقول: [تقوم الساعة والروم أكش الناس. فقال له عمرو: أبص ما تقول. قال: أقول ما سمعت من رسول الله r. قال: لئن قلت ذلك إن فيهم لخصلاً أربعاً: إهمر لأحلمر الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقةً بعد مصيبة، وأوشكهم كربةً بعد فرة، وخيرهم لمسكينٍ ودينيرٍ وضعيف، وخامسةٌ حسنةٌ جميلةٌ وأمنعهم من ظلم المملوك].⁽⁴⁾

ولاشك أن عدم فاعلية القيادات ينعكس سلباً على جميع جوانب الحياة الأمر الذي دفع علماء الإدارة للتشديد على الفعالية كصفة أساسية من صفات القائد، وجعلوا للقائد الفعال مواصفات خاصة تميزه عن غيره، ومهارات يتعين توفرها فيه حتى يتمكن من النجاح في مهمته وتحقيق السعادة لأُمَّته.⁽⁵⁾

3- أزمة استشعار:

قلة من القادة فقط هم الذين يستشعرون ثقل القيادة وأمانة المسؤولية، وأن التفريط فيها أو التقصير والإهمال يعد خيانة لله تعالى وللرسول r وللأمة لمجموع أفرادها بنص قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ

(1) ينظر: دليل التدريب القيادي - د / هشام الطالب - ط: ٢ - المعهد العالمي للفكر الإسلامي - الولايات المتحدة الأمريكية: ٢٧.

(2) سورة آل عمران: الآية: ١١٠.

(3) تاريخ الأمم والملوك - أبو جعفر بن محمد بن جرير الطبري - ط: ١ - دار الكتب العلمية - بيروت ٤٠١/٢.

(4) صحيح مسلم - كتاب الفتن وأشرط الساعة - باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس: ٤/٢٢٢٢ رقم (٢٨٩٨).

(5) ينظر: القيادة في القرن الحادي والعشرين: ٢١، ٥٨.

وَالرَّسُولَ وَتَخَوُّنُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ }⁽¹⁾ وقوله ۳ في الحديث الذي يرويهِ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن مرعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسؤول عن مرعيته...)⁽²⁾.

ولقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يدركون عظم الأمانة وخطر المسؤولية فيفتانوا في خدمة الأمة وإسعاد أفرادها ومع ذلك يتهمون أنفسهم بالتقصير، فهذا عمر بن الخطاب **t** يقول: "فو الله ما أستطيع أن أصلي وما أستطيع أن أرقد وإني لأفتح السورة فما أدري في أولها أنا أو في آخرها... من همي بالناس منذ جاءني هذا الخبر"⁽³⁾ أي منذ وليت أمرهم.

وهذا عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول في إحدى خطبه: "ألا إني لست بخيركم، ولكني رجل منكم، غير أن الله جعلني أتقلكم حملاً"⁽⁴⁾.

4- أزمة ضعف الأداء:

يعد ضعف الأداء من القضايا السلبية التي تعود على صاحبها بالضرر، والقيادات أكثر الناس حاجة إلى تحسين الأداء وإتقانه؛ لأهمية ذلك وخطورة المهام الملقاة على عواتقهم وتأثر مجموعات كبيرة من البشر بأدائهم، ومن هنا كانت القوة بمفهومها الشامل من أبرز مواصفات القائد الفعال. قال تعالى: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ }⁽⁵⁾ وقال ۳ لأبي ذر **t** عند ما طلب الولاية: (يا أبا ذر إنك ضعيف وإلها أمانته وإلها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها ختها وأدى الذي عليه فيها)⁽⁶⁾.

ويعزو بعض الباحثين مشكلة ضعف الأداء لدى القائد وعدم فاعليته إلى عدد من المتغيرات المزاجية والمعرفية والدافعية، وكذا الأخلاقية القيمية والثقافية.⁽⁷⁾

وكان عمر **t** يستعيز من ضعف القائد ويقول: "أشكوا إلى الله جلد الخائن وعجز الثقة"⁽⁸⁾، وثبت عنه أنه استلقى على الأرض ورفع يديه إلى السماء في آخر حجة له وقال: "اللهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط"⁽⁹⁾.

(1) سورة الأنفال: الآية: ٢٧.

(2) صحيح البخاري- كتاب الأحكام- باب كراهة التطاول على الرقيق: ٩٠١/٢ رقم (٢٤١٦)، صحيح مسلم- كتاب الإمارة - باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر: ١٤٥٩/٣ رقم (١٨٢٩). والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٢/ ٢٨٤ رقم (١١٩٩).

(3) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي- تحقيق: د. زينب إبراهيم القاروط- ط: ٣- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان: ٧٣.

(4) الطبقات الكبرى- أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع- طبعة دار صادر- بيروت: ٣٤٠/٥.

(5) سورة القصص: الآية: ٢٦.

(6) صحيح مسلم- كتاب الإمارة- باب كراهة الإمارة بغير ضرورة: ١٤٥٧/٣ رقم (١٨٢٥).

(7) يراجع: علم النفس الاجتماعي أسسه وتطبيقاته: ١٧٩-١٨٢.

(8) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: ١٢١.

(9) الطبقات الكبرى: ٣/٣٣٤.



هذه الأزمات وغيرها من الأزمات التي تعانيها الأمة في مجالات حياتها المختلفة بشكل عام وفي مجال القيادة بشكل خاص لا يمكن تجاوزها سوى بإعادة تربية الأمة تربية متكاملة مع التركيز على تربية وإعداد القيادات إعداداً يراعى فيه ما يأتي:

أولاً: على المستوى الفردي:

1- استشعار المرض الذي تعانيه الأمة والواقع المؤلم الذي تعيشه: قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } (1)

2- الاتجاه نحو صياغة الحياة صياغة إسلامية متكاملة تشمل جميع جوانب الحياة: قال تعالى: { صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً } (2)

3- الشعور الجاد بقيمة العلم والتحصيل والتدريب وأهمية التخصص الدقيق فيما يفيد الأمة: قال تعالى: { وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ } (3)

ثانياً: على المستوى الجماعي:

1- إحياء دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشمول مفهومه: قال تعالى: { وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (4)

2- إقامة العلاقات بين أفراد المجتمع، وتشجيع التعايش المستمر والتفاعل الإيجابي بين فئاته: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (5)

3- الاتجاه الفعال نحو الأعمال المؤسسية: قال تعالى: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } (6)

4- دعم التكامل الإيجابي والاستفادة من القدرات المختلفة وحسن توظيفها: قال تعالى: { لَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ } (7)

هذه بإيجاز شديد أبرز القضايا التي يجب التركيز عليها خلال تربية الأمة حتى تتمكن من تجاوز واقعها والخروج من أزماتها المتعددة. (8)

(1) سورة الرعد: الآية: ١١.

(2) سورة البقرة: الآية: ١٣٨.

(3) سورة التوبة: الآية: ١٢٢.

(4) سورة آل عمران: الآية: ١٠٤.

(5) سورة الحجرات: الآية: ١٣.

(6) سورة المائدة: الآية: ٢.

(7) سورة الزخرف: الآية: ٣٢.

(8) ينظر: صناعة القائد: ٤٧.

ثالثاً: الضرورات التي يفرضها الواقع:

هناك العديد من الضرورات التي توجب الاهتمام بتربية القادة وإعدادهم إعداداً خاصاً يجمع بين الالتزام الديني ومتطلبات القيادة المعاصرة وفي مقدمة هذه الضرورات ما يأتي:

تصحيح التصور الخاطئ لدى البعض والمتمثل في أن القيادة شرف ينبغي إحرازه، الأمر الذي جعلهم يسعون للوصول إليها والسيطرة عليها بمختلف الوسائل المشروعة وغير المشروعة وإغفال أنها أمانة يحاسب عليها الإنسان يوم القيامة بين يدي الله ﷻ. قال تعالى: { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } (1). وقال ٣ لعبد الرحمن بن سمرة (2) t (يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها) (3).

إزدياد حمى التنافس على القيادة، الأمر الذي أضعف الأمة ومكن الأعداء، واستنفذ الجهود واستفرغ الطاقات والإمكانات وأفناها في المجهول، وهو ما يؤكد أهمية التربية القيادية التي تهذب النفوس وتدعو إلى التكامل الفعال. قال تعالى: (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) (4)

وجود العديد من الشخصيات المبدعة والموهوبة التي لم تجد من يأخذ بيدها تربية وتنمية وتفعيلاً، الأمر الذي قد يدفعها إلى القيام ببعض السلوكيات والتصرفات التي تعود بالضرر عليها وعلى أمتها. قال تعالى: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (5).

(1) سورة الأحزاب: الآية: ٧٢.

(2) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس العبشمي، أسلم يوم الفتح وشهد تبوك مع النبي ٣، ثم شهد فتوح العراق وهو الذي افتتح سجستان وكابل وغيرهما في خلافة عثمان t ثم نزل البصرة وتوفي بها سنة ٥١ هـ. ينظر: الاستيعاب: ٨٣٥/٢، الإصابة: ٢١٠/٤.

(3) صحيح البخاري- كتاب الإمارة- باب من لم يسأل الإمارة أعين عليها : ٢٦١٣/٦ رقم (١٧٢٧)، صحيح مسلم- كتاب الإمارة- باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها: ١٤٥٦/٣ رقم (١٦٥٢) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٢٨٢/٢ رقم (١١٩٧).

(4) سورة الأنفال: الآية: ٤٦.

(5) سورة الجمعة: الآية: ٢.



5- الغياب الكبير لمؤسسات التربية المختلفة:

غياب الأسرة عن القيام بدورها, وغياب دور المعلم في المدرسة, وغياب مفهوم التعليم الذي اقتصر على التلقين المجرد, وغياب الإمام عن أداء دوره في المسجد, وغياب مؤسسات الإعلام المختلفة عن القيام بدورها في توعية المجتمع وتنقيفه, وغياب... وغياب... وغياب. (1) قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا } (2)

" إن قضية صناعة القائد هي قضية أمة, وعلى الأمة جميعها أن تحاول النهوض بمؤسساتها, وتحل مشكلاتها, ولذا فإن مستقبل النهوض بالبشرية سيعتمد من الآن فصاعداً على نوعية الإنسان القائد الذي تعده المؤسسات القيادية مما يعني أنه لا بديل عن الاهتمام بها وضرورة الإنفاق عليها بسخاء". (3)

رابعاً: اهتمام الأمم الأخرى بتربية وإعداد القيادات:

تولى أمم الأرض كافة اهتماماً كبيراً بمسألة تربية وإعداد القادة, وتركز تركيزاً خاصاً على تنشئتهم فتوفر لهم أكفأ المربين وأمهر المتخصصين, وتسخر لإعدادهم وتأهيلهم كافة الإمكانيات المادية والمعنوية, كما تحتضنهم في مدارس خاصة بالمبدعين والموهوبين وذوي النبوغ العقلي والتفوق العلمي, وتخضعهم لبرامج مكثفة لتوسيع مداركهم وتنمية مهاراتهم وفق تخطيط مدروس ومتابعة مستمرة حتى ينشأوا ملمين بواقع أمتهم محيطين بمشكلاتها قادرين على التعامل معها, بينما نجد الأمر في أمتنا أبعد ما يكون عن التخطيط والمتابعة والإعداد والتربية لاسيما في القرون المتأخرة حيث نجده يتوقف على القوة والغلبة, أو القرابة والعلاقة, أو المال والجاه, وفي معظم الحالات تسفك الدماء وتهدر الإمكانيات وتبدد الطاقات دون فائدة رغم أننا أمة القرآن والإيمان التي تمتلك المنهج والتجربة.

إن نظرة سريعة إلى ما توليه الأمم الأخرى من اهتمام بتربية وإعداد القيادات يمكن أن يدفعنا لمراجعة وأنفسنا أفراداً ومؤسسات فنعمل على إعداد البرامج اللازمة لإعداد وتأهيل القادة إعداداً علمياً مدروساً يراعى فيه موروثنا الحضاري وقيمنا الاعتقادية, مع الحرص على التخصص الدقيق واكتساب المهارات اللازمة للقيادة في ضوء المنهج القرآني الشامل لجميع مجالات الحياة.

وهناك العديد من النماذج في العصور القديمة والحديثة والتي يمكن من خلالها التعرف على مدى اهتمام الأمم الأخرى بتربية وإعداد القادة, فإفلاطون (4) مثلاً وهو أحد كبار الفلاسفة اليونان يذهب إلى تقسيم المجتمع إلى طبقات ثلاث: طبقة الفلاحين والصناع, وطبقة المحاربين, وطبقة الحكام, وهو يولي عناية فائقة بتربية الحكام

(1) ينظر: صناعة القائد: ٢٤.

(2) سورة التحريم: الآية: ٦.

(3) صناعة القائد: ٢٣.

(4) هو فيلسوف يوناني تتلمذ على يد سقراط وتتلمذ عليه أرسطو, يعده الفلاسفة نموذجاً للمذهب المثالي وأحد كبار الأطباء. ينظر: عيون الأنبياء في طبقات الأطباء - أبو العباس أحمد بن القاسم بن يونس - تحقيق د.نزار رضا - طبعة دار مكتبة الحياة - بيروت: ٤١/١, شذرات

وتهذيبهم , ويجزم أن الحكومة العادلة لا ترتجل ارتجالاً وإنما يجب التمهيدي لها بالتربية والتعليم, ويرى أنه لا بد أن يكون الحكام فلاسفة يعملون الخير ويريدونه إرادة صادقة.⁽¹⁾

أما الهند: فقد جعلت المواقع القيادية حكراً على طبقة البراهمة الأمر الذي جعل هذه الطبقة تحصل على امتيازات خاصة في التربية والتعليم والإعداد والتأهيل أكثر من غيرها من الطبقات.⁽²⁾

وفي الصين: كانت أغراض التربية القديمة تتمثل في إعداد القادة وتزويدهم بالمعارف القديمة التي تتصل بنظام المجتمع وصلات أفراده ببعض , وإعداد أفراد الشعب ليتحلوا بالسلوك الحسن في جميع أعمالهم وممارساتهم, بينما كانت التربية في مصر القديمة مقصورة على إعداد الطبقة الأرستقراطية بفئاتها المختلفة , وكانت التربية في أوربا خاصة بالأحرار غايتها إعداد الرجل القوي في المعارك ليتولى القيادة ثم يأتي الاهتمام بعد ذلك بإعداده أدبياً مع إغفال الاهتمام بالجانب الأخلاقي.⁽³⁾

وفي العصر الحديث أولت الدول المتقدمة اهتماماً خاصاً بتربية وإعداد القادة, ففي فرنسا مثلاً يتوقف اختيار القادة على عملية الإعداد والتدريب التي تلقوها, والتي ترتبط بدورها بعملية الإصلاح الإداري التي مرت بعدة مراحل ابتداءً من عام 1837م وكان من أبرز معالمها إنشاء المدرسة الوطنية للإدارة عام 1945م لتقوم بإعداد طبقة من القادة الإداريين وتأهيلهم لشغل الوظائف القيادية الكبرى, فضلاً عن إعداد الكوادر العالية من الموظفين قبل التحاقهم بالوظيفة العامة عبر برنامج تدريبي يستمر قرابة سنتين ونصف, ولا يسمح لكل راغب بالاشتراك في البرنامج وإنما عليه اجتياز عدد من الاختبارات المعقدة حتى يتم قبوله بعد ذلك.⁽⁴⁾

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فقد كان اختيار القادة يتم بناءً على مقدار الولاء الشخصي دون اشتراط الكفاءة , ثم تطور الأمر إلى اعتماد نظام الجدارة الذي يقوم على الامتحانات لتحديد صلاحية المرشحين, مما دفع الجامعات ومراكز البحث لإعداد برامج تدريب القادة قبل الخدمة وأثناءها, وهي برامج قصيرة المدى تركز على تنمية المهارات في مجالات العلاقات الانسانية, والعلوم السلوكية, والمعارف التكنولوجية, فضلاً عن التدريب على عقد المؤتمرات وقيادة مشروعات التنمية.⁽⁵⁾ ويمكن أن يقاس على هذين النموذجين نماذج كثيرة في كل من الصين واليابان وألمانيا ودول جنوب شرق آسيا.

(1) ينظر: الجمهورية - إفلاطون - ترجمة: حنا الجناز - ط: ٢ - بيروت: ٤٣، ٧٥.

(2) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة - ط: ٢ - الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض: ٥٣٤.

(3) ينظر: علم الاجتماع التربوي - د. عبد الله الرشدان - ط: ١ - دار عمار للنشر والتوزيع - عمان - الأردن: ٤٥، أصول الفكر التربوي في الإسلام: ٦١، ٦٢.

(4) ينظر: القيادة الإدارية لحميس السيد: ١٦٣، الاتجاهات الحديثة في القيادة الإدارية للعبودي: ٣٠١.

(5) ينظر: القيادة الإدارية لحميس السيد: ١٩٢.



ولكي تقلع أمتنا مجدداً لا بد أن تعيد النظر في تربية أجيالها، وأن تركز أشد التركيز على إعداد القيادات منطلقاً من المنهج القرآني الذي يمثل منهجاً متكاملًا في تربية وإعداد القادة أساسه العقيدة والأخلاق والعمل، وهدفه الإبداع والتميز والإتقان، مستفيدة مما يمنحها هذا المنهج من تجربة حية ورسوخ معنوي يتجاوز بها كل مناطق الحظر التي فرضها عليها الأعداء.

ونظراً لأهمية التربية القيادية ركز عليها المنهج القرآني وأفرد لها منهجاً متكاملًا يشمل الأهداف التي يراد تحقيقها، والجوانب التي تشملها، والخصائص التي تميزها، وكذا الأساليب المستخدمة فيها، والمؤسسات القائمة عليها، فضلاً عن المواصفات المطلوب توافرها في الشخصية القيادية والنماذج الحية التي تجسد هذا المنهج واقعاً عملياً في حياتها، وهناك العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومواقف السلف الصالح التي توضح هذه الأهمية ومنها:

- 1- قوله تعالى في حق يوسف **U** : { **وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَنْتَمَهَا عَلَى آبَائِكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** }⁽¹⁾.
- 2- قوله تعالى في حق موسى **U** : { **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** }⁽²⁾.

تبين هذه الآية جانباً من تربية الله **U** لأتباعه وهم قادة البشر، ويمتن المولى **U** فيها على موسى **U** بعد أن يحكي طرفاً من تربيته وإعداد له ذلك أن: "موسى - **U** - ذاهب لمواجهة أقوى ملك في الأرض وأطغى جبار إنه ذاهب لخوض معركة الإيمان مع الطغيان، إنه ذاهب إلى خضم من الأحداث والمشكلات مع فرعون أول الأمر؛ ثم مع قومه بني إسرائيل وقد أذلهم الإستعباد الطويل وأفسد فطرتهم، وأضعف استعدادهم للمهمة التي هم منتدبون لها بعد الخلاص، فربه يطلعه على أنه لن يذهب غفلاً من التهيؤ والاستعداد، وأنه لم يرسل إلا بعد التهيئة والإعداد، وأنه صنع على عين الله منذ زمان، ودرّب على المشاق وهو طفل رضيع، ورافقته العناية وسهرت عليه وهو صغير ضعيف، وكان تحت سلطان فرعون وفي متناوله وهو مجرد من كل عدة ومن كل قوة فلم تمتد إليه يد فرعون؛ لأن يد القدرة كانت تسنده، وعين القدرة كانت ترعاه في كل خطاه، فلا عليه اليوم من فرعون وقد بلغ وربه معه قد اصطنعه لنفسه واستخلصه واصطفاه"⁽³⁾

- 3- قوله تعالى في حق النبي **ر** : { **وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ * وَلَا آخِرَ خَيْرٍ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ * وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ** }⁽⁴⁾.

(1) سورة يوسف: الآية: 6.

(2) سورة طه: الآية: 39.

(3) في ظلال القرآن: 4/ 2334.

(4) سورة الضحى: 1- 8.

4- مرحلة الدعوة السرية واتخاذ دار الأرقم مركزاً للتربية والإعداد:

عند الحديث عن أهمية التربية القيادية لابد من الإشارة إلى معلم بارز من معالم اهتمام النبي ﷺ بهذه المسألة والمتمثل في بناء القاعدة الصلبة خلال مرحلة الدعوة السرية وفي دار الأرقم بن أبي الأرقم⁽¹⁾ الذي أتخذة المسلمون مركزاً جديداً يتجمعون فيه" ويتلقون عن رسول الله ﷺ كل جديد من الوحي, ويستمعون له- عليه الصلاة والسلام- وهو يذكرهم بالله, ويتلو عليهم القرآن, ويضعون بين يديه كل ما في نفوسهم وواقعهم, فيرببهم- عليه الصلاة والسلام- على عينه, كما تربى هو على عين الله ﷻ, وأصبح هذا الجمع المؤمن هو قرة عين النبي ﷺ وهو رأس ماله المذخور".⁽²⁾ كما مثل طليعة الفتح الإسلامي وتولى قيادة البشرية ونشر الإسلام في ربوع الأرض.

إن " التفوق الحقيقي الذي أحرزته أمة القرآن لم يكن لأنها أكثر عدداً وأقوى عدة, بل كان التفوق الحقيقي في عظمة البناء الروحي والخلقي والاجتماعي ومن ثم السياسي والقيادي الذي أسسه المنهج القرآني..

لقد تربى الحيل الفريد على منهج القرآن وحده, وعاش القرآن وبالقرآن وفي جو القرآن, فتشربت قلوبهم وعقولهم وأرواحهم معاني القرآن وتوجيهاته وآدابه, فتربت ضمائرهم وأخلاقهم وعقولهم على القرآن, ونمت في إطاره, فكانت حياتهم كلها من صنع المنهج القرآني, فوصلت إلى تلك القمة السامقة المؤتمنة على دين الله, التي تقوم على هذا الدين, وتتولى قيادة البشرية".⁽³⁾

"إن الدعوة والقيادة, والدين والدولة صنوان لا يفترقان, فلا بد من تربية الفرد الداعية القائد, الذي يحمل عبء الهداية وعبء القيادة. فالمنهج الرياني الذي رسمه المولى ﷺ, ونفذه المرابي الأعظم ﷺ في المرحلة المكية كان يهدف إلى تربية رجل الدعوة والقيادة, ومجتمع الدين والدولة, القادر على إصلاح نفسه وإصلاح غيره, فهو مجتمع الهداة المهتدين لا مجتمع الصالحين في ذاتهم المنطوين على أنفسهم.

إن ما تحتاج إليه الإنسانية قديماً وحديثاً هو هذا الصنف من الناس: رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه, وضع الواحد منهم رضا الله نصب عينيه وغاية ما يتمنى, ويضع إرادة الله فوق إرادته, ويتطهر من كل رجس ليحمل رسالة الله لتحرير عباد الله وتحكيم شرع الله".⁽⁴⁾

(1) هو عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أحد السابقين الأولين إلى الإسلام، أسلم وهو شاب صغير وكان داره على الصفا وهي الدار التي كان النبي ﷺ يجلس فيها مع أصحابه في صدر الإسلام وقد أوقفها الأرقم حتى باعها أحفاده لأبي جعفر المنصور، شهد

المشاهد كلها وتوفي في خلافة معاوية t سنة ٥٣هـ. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ١/١٣١، الإصابة: ١/٤٣.

(2) التربية القيادية- د. منير الغضبان- ط: ١- دار الوفاء- مصر: ١/١٩٨.

(3) دولة الرسول من التكوين إلى التمكين: ٢٣٥.

(4) المصدر نفسه: ١٩٩.

الفصل الأول

خصائص التربية القيادية

- المبحث الأول: الربانية.
- المبحث الثاني: الشمول والتكامل.
- المبحث الثالث: الإنسانية والعالمية.
- المبحث الرابع: الوسطية والاعتدال.
- المبحث الخامس: الواقعية.
- المبحث السادس: الإيجابية والفاعلية.
- المبحث السابع: التدرج والمرحلية.

المبحث الأول الربانية

المطلب الأول مفهوم الربانية وأهميتها

الربانية نسبة إلى الرب وهو الله تعالى، والرباني هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، والمراد بصغار العلم ما وضح من مسائله، ويكباره ما دق منها. وقيل: يعلمهم جزئياته، وقيل: كلياته أو أصوله قبل فروعه أو مقدماته قبل مقاصده^(١). قال تعالى: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ} (٢). قال صاحب الظلال رحمه الله: "قوله لهم: كُونُوا رَبَّانِيِّينَ " منتسبين إلى الرب، عباداً له وعبداً، توجهوا إليه وحده بالعبادة، وخذوا عنه وحده منهج حياتكم، حتى تخلصوا له وحده فتكونوا "رَبَّانِيِّينَ" بحكم علمكم للكتاب وتدارسكم له فهذا مقتضى العلم بالكتاب ودراسته"^(٣).

وقال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} (٤). والمراد: بالربانيين في الآية العلماء والحكماء والقضاة وبقية قيادات المجتمع^(٥).

"الربانية حالة من الانجذاب الكامل والانصياع الشامل، والانقياد الكلي لأمر الله وشرعه الذي أنزل، وسلوك طريق نبيه الذي أرسل"^(٦).

وتعد سمة الربانية أهم خصائص التربية القيادية في المنهج القرآني، بل إنها تمثل القاعدة الأساسية التي تقوم عليها هذه التربية، وبدونها لا يمكن أن يكون للتربية معنى فضلاً عن أن تحقق هدفاً. وهي أهم سمة يجب أن تقوم عليها التربية القيادية ابتداءً وانتهاءً، وسيلةً ونهجاً، وأن ترتبط بها قولاً وعملاً، حيث يتحقق التجرد، وتخلص النوايا، وتصديق النفوس، ويحصل الهدى والتوفيق.

(١) ينظر: صحيح البخاري - كتاب العلم - باب العلم قبل القول والعمل: ٣٧/١ رقم (١٠)، فتح الباري: ١/١٦١، فتح القدير ١/٣٥٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ٧٩.

(٣) سيد قطب: ٤١٩/١.

(٤) سورة المائدة: الآية: ١٤٤.

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٧٨/١، فتح القدير: ٦٩/٢، ٧٠.

(٦) نحو صحوة إسلامية في مستوى العصر - د. فتحي يكن - ط: ٢ - مؤسسة الرسالة - بيروت: ١٤٢.

إن حاجة الأمة إلى الريانية اليوم تفوق حاجتها إلى الطعام والشراب والهواء، لأنها الصفة التي تشرق بها الحياة، وتصلح بها الأعمال، وتنال بها سعادة الدنيا والآخرة.

ويطلق على القائد أنه ريانى إذا كان وثيق الصلة بالله تعالى، عالماً بدينه، ملتزماً بمنهج الإسلام في جميع شؤونه وتعاملاته^(١). قال تعالى: { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ }^(٢).

والريانية ليست حالة تظهر في بعض المناسبات أوفي جانب من الجوانب، وإنما هي حالة حضور دائم في جميع جوانب الحياة، كما أنها ليست حالة مصطنعة متكلفة وإنما هي حالة فطرية تلقائية تتجلى في كل حركة من حركات الإنسان وسكناته^(٣). قال تعالى: { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }^(٤).

إن الريانية صبغة العالم في دعوته وعصمة القائد في قيادته. وشفافية المسلم في مظهره ومخبره وفي سره وعلانيته، وهي باختصار شديد حالة عيش مع الله تعالى في جميع الظروف والأحوال، فهي شكر في اليسر، وصبر في العسر، وأنس عند الوحشة، واعتصام عند الفتن، وهي فرج عند الهم، وتعزية عند البلاء، وتوبة عند الذنب، كما أنها تمنح الإنسان قوة عند الضعف، وعزة على الأعداء، وصموداً أمام الباطل، وقدرة على مواجهة الفتن والمغريات^(٥). قال تعالى مخبراً عن يوسف U على لسان امرأة العزيز: { وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَن نَّفْسِهِ فَاَسْتَعْصَمَ }^(٦). وقال تعالى عن موسى U: { فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّآ لَمُدْرِكُونَ * قَالَ كَلَا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ }^(٧).

وأما محمد ﷺ فقد قال U عنه: { إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا }^(٨). وكذلك يجب أن يكون الأمر بالنسبة للقيادات المؤمنة في كل زمان ومكان تتربى على الريانية وتلتزمها في شؤون حياتها، وتربي عليها أمتها، حتى تستحق عون الله تعالى وتأييده وتوفيقه وحفظه ورعايته.

(١) ينظر: المصدر السابق: ٤٧، ١٤٦، الخصائص العامة للإسلام- د. يوسف القرضاوي- ط: ٦- مكتبة وهبة- مصر: ٢٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ٧٩.

(٣) ينظر: نحو صحوة إسلامية في مستوى العصر: ١٤٢.

(٤) سورة الأنعام: الآية: ١٦٢.

(٥) ينظر: نحو صحوة إسلامية في مستوى العصر: ١٤٢- ١٤٦.

(٦) سورة يوسف: الآية: ٣٢.

(٧) سورة الشعراء: الآية: ٦١.

(٨) سورة التوبة: الآية: ٤٠.

وقد روى أبو هريرة **t** عن النبي **ﷺ** أنه قال في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه **U**: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه) (١).

وقال **ع** لابن عباس رضي الله عنهما: (يا غلام إنني أعلمك كلمات احفظ الله تحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقاليم وجفت الصحف) (٢).

إن الشخصيات القيادية أكثر تعرضاً من غيرها للفتن والمغريات فجميع الشهوات متاحة لها ومعرضة عليها من جنس ومال وقدرة على استغلال المنصب والنفوذ، وهي بحاجة إلى أن تستعصي على هذه المغريات وأن ترفع شعار يوسف **U: { قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ } (٣). حتى تتمكن من تحقيق أهدافها والحفاظ على مكتسباتها، ولا يمكن أن تصل إلى ذلك ما لم تكن قيادات ربانية.**

وإذا كانت هذه أهمية الربانية بالنسبة للقيادات فإن طريقها للوصول إليها يتمثل في التمسك بالمنهج القرآني وتطبيقه في جميع شؤونها، والإقتداء بسيرة النبي **ﷺ** إقتداءً كاملاً، وسلوك الطرق التربوية المؤدية إلى الربانية ومنها:

١. طريق مجاهدة النفس: قال تعالى: { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ } (٤).
 ٢. طريق قصر النفس عن الأهواء والشهوات: قال تعالى: { لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } (٥).
 ٣. طريق الارتباط الكامل بالإسلام والعيش به وله: قال تعالى: { وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ } (٦).
- وهذه الطرق جميعاً لا يمكن سلوكها والصبر عليها أو الاستفادة من نتائجها ما لم تتجسد في منهج متكامل يتربى عليه الإنسان منذ نعومة أظفاره وحتى نهاية حياته (٧).

(١) صحيح البخاري - كتاب الرقاق - باب التواضع: ٢٣٨٤/٥ رقم (٦١٣٧).

(٢) سنن الترمذي - كتاب صفة القيامة والرقائق والورع: ٦٦٧/٤ رقم (٢٥١٦) وقال: "حديث حسن صحيح".

(٣) سورة يوسف: الآية: ٣٢.

(٤) سورة آل عمران: الآية: ٧٩.

(٥) سورة المائدة: الآية: ٦٣.

(٦) سورة آل عمران: الآية: ١٤٦.

(٧) ينظر: نحو صحوة إسلامية في مستوى العصر: ١٤٩، ١٥٠.

المطلب الثاني مظاهر الربانية

إن الربانية كخصيصةٍ من أهم خصائص التربية القيادية الإسلامية تقوم على جانبين لا يمكن إغفال أحدهما أو التفريط فيه وهما: ربانية المصدر والمنهج، وربانية الغاية والوجهة، ويمكن إيجاز الإشارة إليهما فيما يأتي:

أولاً: ربانية المصدر والمنهج:

يقصد بربانية المصدر والمنهج أن يكون المصدر الذي تنبثق عنه التربية القيادية والمنهج الذي تستمد منه تصوراتها وأهدافها وأساليب عملها منهج رباني خالص من عند الله U وليس منهجاً وضعياً مصدره التصورات الفلسفية التي ينشؤها الفكر الإنساني، ودور البشر بما فيهم النبي R إنما ينحصر في تلقي هذا المنهج وفهمه والالتزام به وتطبيق قواعد في مختلف مجالات الحياة. (١) قال تعالى: { لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ } (٢).

وتندرج السنة بأقسامها المختلفة ضمن إطار الوحي الإلهي الذي تقتصر مهمة النبي R فيه على البيان والتبليغ والشرح و التوضيح. قال تعالى: { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى } (٣). وقال تعالى: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (٤)

وتعني ربانية المصدر كذلك أن المنهج القرآني الذي تنبثق عنه هذه التربية حق في مصدره وتنزله، وحق في خبره وحكمه، كما تعني أنه لم ينبثق عن إرادة فرد أو جماعة وإنما انبثق إرادة الله U الذي يريد لعباده الهدى والنور والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة (٥).

قال تعالى: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } (٦). وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } (٧).

(١) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته - سيد قطب - طبعة سنة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م: ٧١.

(٢) سورة القيامة: الآيات ١٦ - ١٨.

(٣) سورة النجم: الآيتان: ٣ ، ٤ .

(٤) سورة النحل: الآية: ٤٤ .

(٥) ينظر: الخصائص العامة للإسلام: ٣٢، مدخل لمعرفة الإسلام - د. يوسف القرضاوي - ط: ١ - مؤسسة الرسالة - لبنان، ص: ١٣٥، منهج

القرآن الكريم في إصلاح المجتمع ص: ٣٧.

(٦) سورة المائدة: الآية: ٤٨ .

(٧) سورة يونس: الآية: ٥٧.

إن التربية القيادية الإسلامية وهي تقصر دور الفكر البشري على التلقي والفهم والتطبيق لمفردات هذا المنهج فإنها تعده أداة قيمة يوكل إليها إدراك مميزات هذا المنهج ومقوماته وتحكيمها في كل ما حوله من القيم والأوضاع والالتزام الدقيق بها دون زيادة أو نقصان، كما تدعوه إلى الاستفادة القصوى من الرعاية والعناية التي توفرها له التربية الإسلامية عموماً والقيادية على وجه الخصوص^(١). قال تعالى: { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ }^(٢).

أما ربانية المنهج فتعني أن التربية القيادية منبثقة عن منهج رباني خالص، رباني في عقائده وعباداته، وآدابه وأخلاقه، وفي تشريعاته ونظمه بل وفي جميع جوانبه^(٣). قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }^(٤).

ثانياً: ربانية الغاية والوجهة:

وتعني أن الغاية الأساسية والهدف البعيد للتربية القيادية في المنهج القرآني هو تحسين الصلة بالله U وتحقيق مرضاته، وبالتالي فهي تهدف إلى أن يجعل القائد المسلم غايته القصوى وهدفه البعيد إرضاء الله تبارك وتعالى، انطلاقاً من إدراكه التام أن مصيره ومرجه إليه. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ }^(٥).

والتربية القيادية في المنهج القرآني بكل جوانبها وأبعادها ومحتوياتها إنما تسعى لإعداد القيادات الفاعلة لتكون ربانية الغاية والوجهة قادرة على الجمع بين تحقيق العبودية لله U والقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض. قال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }^(٦).

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: "إن غاية الوجود الإنساني هي العبادة لله بمعنى العبودية المطلقة لله وحده، بكل مقتضيات العبودية، وأولها الائتمار بأمره وحده في كل أمور الحياة صغيرها وكبيرها، والتوجه إليه وحده بكل نية وحركة، وكل خالجة وكل عمل، والخلافة في الأرض وفق منهجه"^(٧).

إن الإيمان المطلق بربانية التربية القيادية في المنهج القرآني مصدراً ومنهجاً، وغاية وهدفاً، وفلسفة وأسلوباً ينتج عنه عدد من الآثار التربوية المهمة والمؤثرة في حياة الفرد والمجتمع والتي يمكن أجمالها فيما يأتي:

١- العصمة من التناقض والاختلاف: قال تعالى: { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا }^(٨).

٢- البراءة من التحيز والظلم والهوى: قال تعالى: { وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا }^(٩).

(١) ينظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ٧٥، ٧٦.

(٢) سورة العنكبوت: الآية: ٤٣.

(٣) ينظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ٧٧، الخصائص العامة للإسلام: ٣٢.

(٤) سورة فصلت: الآيات: ٤١، ٤٢.

(٥) سورة الإنشقاق: الآية: ٦.

(٦) سورة الذاريات: الآية: ٥٦.

(٧) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ١٢٥.

(٨) سورة النساء: الآية: ٨٢.

(٩) سورة الكهف: الآية: ٤٩.

- وقال تعالى: { وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ }^(١).
- ٣- التحرر من العبودية لغير الله: قال تعالى: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }^(٢).
- ٤- التحرر من عبودية الأناية والشهوة: قال تعالى: { وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ }^(٣).
- ٥- التمتع بالهيبه والاحترام وسهولة الانقياد: قال تعالى: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }^(٤).
- ٦- تحديد غاية الوجود الإنساني وهدفه: قال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }^(٥).
- ٧- الاهتداء إلى الفطرة البشرية وكيفية التعامل معها: قال تعالى: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }^(٦).
- ٨- حماية النفس الإنسانية من التمزق والصراع: قال تعالى: { يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ }^(٧). وقال تعالى: { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }^(٨).
- فإذا استقرت هذه الآثار في نفس الشخصية القيادية وتحققت في حياتها كانت ربانية في سلوكها وتصرفاتها وفي جمع شؤونها^(٩).

(١) سورة المائدة: الآية: ٤٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ٦٤.

(٣) سورة يوسف: الآية: ٢٣.

(٤) سورة النساء: الآية: ٦٥.

(٥) سورة الذاريات: الآية: ٥٦.

(٦) سورة الروم: الآية: ٣٠.

(٧) سورة يوسف: الآية: ٣٩.

(٨) سورة الزمر: الآية: ٢٩.

(٩) الخصائص العامة للإسلام: ١٠-١٧، ٤٣-٤٩.

المبحث الثاني الشمول والتكامل

المطلب الأول مفهوم الشمول والتكامل وأهميتهما

تعد خاصية الشمول والتكامل من أهم الخصائص التي تتميز بها التربية الإسلامية في تربيتها للشخصية القيادية، حيث تعنى بأبعادها المختلفة روحاً عقلاً وجسماً وعاطفةً، فهي ترقى الروح بالإيمان والعبادة، وتنمي العقل بالتعليم والتنقيف، وتزكي النفس بالأخلاق والتهديب، وتقوي الجسم بالإشباع المشروع لحاجاته الأساسية ووقايته من الأمراض، كل ذلك في توافقٍ عجيب بين متطلبات الروح والجسد، وبين نزعة الإنسان الفردية وميله الاجتماعي؛ الأمر الذي يؤهله لأداء مهامه والقيام بواجباته القيادية على الوجه المطلوب^(١).

وهذا الشمول الذي تتميز به التربية القيادية إنما هو منبثق عن خاصية الشمول التي يتصف بها المنهج القرآني الذي يمثل منهجاً ربانياً متكاملًا يشمل جميع جوانب الحياة المختلفة، كما ينبثق عن خاصية الربانية التي تعد أولى الخصائص وأهمها، وهذا الشمول والتكامل يستوعب الزمن كله، ويستوعب الحياة جميعها، كما يستوعب الكيان الإنساني كله^(٢). قال تعالى: { مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ }^(٣).

وللشمول في المنهج القرآني صور ثلاث:

الصورة الأولى: رد الوجود كله بما فيه ومن فيه، بنشأته وحركته وكل انبثاقه فيه، وكل تطور وتغيير إلى إرادة المولى U وتديبره وتنسيقه. قال تعالى: { إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }^(٤).

الصورة الثانية: أن المنهج القرآني يتناول الحقائق الكلية الكبرى جميعاً: حقيقة الألوهية، وحقيقة الكون، وحقيقة الحياة، وحقيقة العبودية، وحقيقة الإنسانية، ويربط بين مجموع هذه الحقائق في تصور منطقي شامل يتعامل مع فطرة الإنسان وفكره ووجدانه ومع مجموع كينونته الإنسانية في كل متكامل.

الصورة الثالثة: أن المنهج القرآني يخاطب الكينونة الإنسانية بجميع جوانبها وبكل أشواقها وحاجاتها واتجاهاتها، ويردها إلى جهة واحدة تتعامل معها، وتتوجه إليها، وتتلقى عنها تصوراتها وقيمها وشرائعها وهي الله U خالق كل شيء ومدبره^(٥). قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ }^(٦).

وقد تفردت التربية القيادية بخاصية الشمول والتكامل انطلاقاً من طبيعة المنهج القرآني الذي تنبثق عنه وعمومه لجميع البشر على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وفئاتهم، وخلود رسالته لجميع الأزمنة والأمكنة، فهو المنهج

(١) ينظر: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة - د. عبد الحميد الصيد الزنتاني - ط: ١ - دار العربية للكتاب - ليبيا: ٤٤٣.

(٢) ينظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ١٥٦ - ١٩٢، الخصائص العامة في التصور الإسلام: ٩٥.

(٣) سورة الأنعام: الآية: ٣٨.

(٤) سورة النحل: الآية: ٤٠.

(٥) يراجع: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ١٥٤ - ١٩٢..

(٦) سورة الإنشقاق: الآية: ٦.

الذي يخاطب جميع الأجناس والطبقات والفئات والأجيال، وهو كذلك المنهج الذي يخاطب الإنسان كله روحه وعقله وجسمه ووجدانه، وفي جميع مراحل العمرية وأحواله المعيشية^(١). ولهذا جاءت هذه التربية مستوعبة لجميع شؤون الإنسان، منظمة لجميع علاقاته مع خالقه ونفسه ومجتمعه، جامعة ما تفرق في المناهج التربوية الأخرى؛ انطلاقاً من استنادها إلى الوحي الإلهي الصادر عن الله U العالم بخلقه وما يصلحهم ويصلح لهم. قال تعالى: {الْأَيُّهَا مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} {^(٢)}.
 إن من أبرز عيوب المناهج التربوية الوضعية ضيق أفقها ومحدودية نظرتها، وهو أمر طبيعي ناتج عن قصور العقل البشري الذي ينظر إلى الأمور والأشياء من جانب واحد غافلاً عن بقية الجوانب، فالإنسان مهما أوتي من علم وفكر وتجربة يعجز كل العجز عن تكوين منهج شامل، ويرجع ذلك إلى أنه محدود الكينونة من ناحية الزمان والمكان، ومن ناحية العلم والتجربة والإدراك، وفوق ذلك محكوم بضعفه وميله وشهوته ورغبته، فوق ما هو محكوم بقصوره وجهله.

وهكذا لا يمكن أن تأتي فكرة بشرية، أو منهج وضعي، يتمثل فيه الشمول أبداً فأفكار البشر دائماً جزئية وقتية، ومن ثم يقع النقص، ويقع الاضطراب الذي يحتم التغيير، فأما حين يضع الله جل شأنه منهجاً لخلقه فلا ريب أنه يأتي مبرئاً من كل ما يعتور الصنعة البشرية من القصور والنقص، والضعف والتفاوت^(٣) قال تعالى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا} {^(٤)}.
 وقد استوعبت التربية القيادية في المنهج القرآني كل ما يحتاج إليه الإنسان في حياته والقائد في مجال عمله من قيم ومبادئ، وقوانين وشرائع، وعلوم ومعارف، وخبرات ومهارات، تنظم حياته وتكفل سعادته، وتحقق له النجاح في الدنيا والآخرة. قال تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} {^(٥)}. وقال تعالى: {أَفَعَيِّرَ اللَّهُ أَتَّبِعِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا} {^(٦)}.
 يقول سيد قطب رحمه الله: "لقد نزل هذا الكتاب مفصلاً محتوياً على المبادئ الأساسية التي يقوم عليها نظام الحياة جملة، كما أنه تضمن أحكاماً تفصيلية في المسائل التي يريد الله تثبيتها في المجتمع الإنساني، مهما اختلفت مستوياته وأحواله، وبهذا كان في كتاب الله غناء عن تحكيم غير الله في كل شأن من شؤون الحياة. هذا ما يقرره الله تعالى في كتابه، فمن شاء أن يقول: "إن البشرية في طور من أطوارها لا تجد في هذا الكتاب حاجتها فليقل، ولكن فليقل معه أنه والعياذ بالله - كافر بهذا الدين، مكذب بقول رب العالمين"^(٧).

(١) ينظر: الخصائص العامة للإسلام: ٩٥-٩٧.

(٢) سورة الملك: الآية: ١٤.

(٣) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ٤٨.

(٤) سورة النساء: الآية: ٨٢.

(٥) سورة النحل: الآية: ٨٩.

(٦) سورة الأنعام: الآية: ١١٤.

(٧) في ظلال القرآن: ٣/١١٩٤.

المطلب الثاني

مظاهر الشمول والتكامل

تتعدد مظاهر الشمول والتكامل التي تتميز بها التربية القيادية لتشمل جوانب المنهج القرآني من عقائد وعبادات ومعاملات، ومن أخلاق وتشريعات وعلاقات وغيرها من الجوانب^(١).

وهناك مظهر آخر من مظاهر شمول التربية القيادية وتكاملها يتمثل في الشمول والتكامل التربوي لمجالات الحياة، وجوانب الشخصية، ومراحل التربية، وجوانب التطبيق، وهو ما يسعى الباحث إلى إبرازه فيما يأتي لاتفاقه مع طبيعة الموضوع:

أولاً: شمول مجالات الحياة وتكاملها:

تمتاز التربية القيادية بشمولها لكل مجالات الحياة، وجميع ميادين النشاط البشري، فلا تدع مجالاً من المجالات إلا وترى الإنسان عليه، وتزوده بأهم القيم والمبادئ المتعلقة به، وتعمل على تنمية هذه المجالات في شخصيته، حتى تنشأ القيادات الإسلامية مستوعبة لكل المجالات قادرة على التفاعل الإيجابي مع كافة أوجه النشاط البشري.

المهم أنها لا تدع الإنسان وحده بدون هداية الله U في أي مجال من مجالات حياته، وفي أي نشاط يقوم به: مادياً كان أو روحياً، فكرياً أو عملياً، دينياً أو دنيوياً، سياسياً أو اقتصادياً^(٢).

إن شمول التربية القيادية لكافة مجالات الحياة الفردية والاجتماعية أمر مهم يوحي للإنسان أنه كل شامل فيستريح من فصام النظريات التربوية الوضعية التي تشتت الإنسان ثم لا تتمكن من جمعه مرة أخرى، بعكس المنهج القرآني الذي تستند إليه التربية القيادية والذي يجمع بين ذلك كله ويعدده من الأسس التي يجب أن تبنى على ضوءها الشخصية القيادية، فهو ليس تصوراً عقدياً وحسب، ولا دينياً عبادياً روحانياً وكفى، ولا نظاماً اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً مجرداً، وإنما هو منهج حياة ودستور أمة يجمع بين كمال التشريع ودقة التوجيه، بين جلال العقيدة وجمال العبادة، كما يضم إلى إمامة المحراب قيادة الحرب^(٣).

إن المنتبغ لآيات القرآن الكريم يجد ذلك كله: فهو يجد الجمع بين الدنيا والآخرة في قوله تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} ^(٤)، ويجد العقيدة والعبادة في قوله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ} ^(٥).

(١) راجع: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ١٥٦، الخصائص العامة للإسلام: ١٠٢ - ١١٢.

(٢) ينظر: الخصائص العامة للإسلام: ١٠٠.

(٣) ينظر: فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين - جمعه أمين عبد العزيز - ط: ٢ - دار الدعوة - الاسكندرية: ٣٠.

(٤) سورة القصص: الآية: ٧٧.

(٥) سورة البينة: الآية: ٥.

كما يجد الحكم والقضاء والسياسة في قوله تعالى: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } (١).

ويواصل قراءته وتدبره فيقف على آيات الاقتصاد والمعاملات المالية، وآيات الاجتماع والشؤون الإدارية، وآيات الدعوة والأساليب التربوية، كما يقف على آيات الجهاد والعلاقات الدولية، كل ذلك في ظل تربية متكاملة ترشده إلى أبرز القيم، وتحدد له أهم ضوابط الفهم.

ثانياً: شمول جوانب الشخصية الإنسانية وتكاملها:

فالتربية القيادية تسعى إلى تحقيق التكامل والشمول في بناء وإعداد القيادات، وبالتالي لا تقتصر على جانب واحد من جوانب التربية والإعداد، وإنما تعنى بجميع الجوانب الروحية والعقلية والوجدانية والجسمية، فهي لم تهتم بتنمية الروح على حساب الجسم، ولا بالفكر على حساب الوجدان، ولا بواحد من الجوانب على حساب غيره، وإنما هو اهتمام كلي شامل متوازن، من غير إفراط ولا تفريط، وبذلك يتم بناء الشخصية القيادية القادرة على العطاء والإبداع والقيام بواجباتها القيادية في جميع الأحوال (٢).

وتكامل جوانب الشخصية الإنسانية في التربية القيادية يتفق مع تصور المنهج القرآني لوحدة الإنسان الفرد، ووحدة الإنسانية جمعاء، فالشخصية الإنسانية وحدة متكاملة، وقواها المختلفة موحدة الاتجاه فهي ليست جسماً مستقلاً عن الروح والعقل، وليست عقلاً منفصلاً لا علاقة له بالجسم والروح، كما أنها ليست روحاً هائمة بلا رابط من عقل وجسم، ولكنها كيان واحد متكامل الأجزاء والجوانب (٣).

والعقيدة الإسلامية هي الأساس الأول الذي يقوم عليه منهج البناء والإعداد، وهي عقيدة شاملة لكل جوانب الشخصية الإنسانية فهي: "لا تتولى روح الفرد وتهمل عقله وجسده، أو تتولى شعائره وتهمل شرائعه، أو تتولى ضميره وتهمل سلوكه، وإنما لا تتولاه فرداً وتهمل جماعته، ولا تتولاه في حياته الشخصية وتهمل نظام حكمه أو علاقات دولته، إنها الفكرة الكاملة الشاملة التي تمتد خيوطها في الحياة الإنسانية امتداد الشرايين في الكائن الحي وامتداد الأعصاب" (٤). قال تعالى: { صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ } (٥).

(١) سورة النساء: الآية: ٦٥.

(٢) سيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن جوانب التربية القيادية في الفصل الثالث إن شاء الله.

(٣) ينظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ١٧٢.

(٤) السلام العالمي والإسلام - سيد قطب - ط: ١٣ - دار الشروق - القاهرة: ١٣.

(٥) سورة البقرة: الآية: ١٣٨.



ثالثاً: شمول مراحل التربية وتكاملها:

تهتم التربية القيادية باستيعاب الشخصية الإنسانية استيعاباً متكاملًا يشمل مراحل حياته المختلفة ابتداءً بمرحلة ما قبل الولادة مروراً بمراحل الولادة والطفولة والشباب والنضج، وانتهاءً بمراحل الكبر والشيخوخة وما بعد الموت. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ }^(١).

وقال تعالى: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ }^(٢).

وقد قسم المنهج القرآني هذه المراحل إلى مراحل تأسيس ومراحل بناء وإعداد، وهي مراحل مترابطة تمثل مجموعها مرحلة العمر والحياة الدنيا، وجعل لكل مرحلة منهاجاً محدداً واضح الخطوات والمعالم، ينمو مع نمو المراحل وينتظمها جميعاً في شمول وتكامل فريد، وخلال هذه المراحل العمرية يبرز تكامل المنهج وتكامل الوسائل والمؤسسات التربوية القائمة على تنفيذ هذا المنهج^(٣).

رابعاً: شمول جوانب التطبيق وتكاملها:

تحرص التربية القيادية على بناء وإعداد الشخصية القيادية المطبقة للمنهج القرآني في جميع شؤون حياتها تطبيقاً متكاملًا يشمل جميع جوانب هذا المنهج وجزئياته بعيداً عن الانتقاء والتجزئة والتبعض. قال تعالى: { أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ }^(٤). وقال تعالى: { وَأَحْذَرُهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ }^(٥).

فلا يجوز إهمال جانب من جوانب المنهج القرآني أو مبدأ من مبادئه أو جزئية من جزئياته مهما صغرت، ذلك أنه كل متكامل يكمل بعضه بعضاً^(٦)، ولذلك قاتل أبو بكر الصديق **t** مانعي الزكاة وعدهم مرتدين، الأمر الذي أجاز قتل رجالهم وسبي ذراريهم وغنيمه أموالهم^(٧).

(١) سورة الحج: الآية: ٥.

(٢) سورة الروم: الآية: ٥٤.

(٣) تراجع: التربية في الإسلام النظرية والمنهج - د. عدنان علي رضا النحوي - ط: ١ - دارالنحوي للنشر - الرياض: ٢٧٥ - ٤٠٦.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٨٥.

(٥) سورة المائدة: الآية: ٤٩.

(٦) ينظر: منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع: ٣٩٧، ٣٩٨.

(٧) تراجع: تأريخ الأمم والملوك: ١٠١ / ٢، الانتشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق - د. علي محمد الصلابي - ط: ٢ - مكتبة الصحابة -

الشارقة: ٢٠٧ - ٣٢٢.

والدعوة إلى تطبيق المنهج القرآني لا تعني تطبيق جانب دون آخر أو جزء دون جزء، وإنما تعني التطبيق الشامل لكافة مجالات هذا المنهج حتى تستفيد منه البشرية، وهذه العملية تبدأ بتربية الأفراد ولاسيما القيادات على الالتزام الكامل بالإسلام والبدء بتطبيقه على النفس والأهل. قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } (١).

وهكذا نجد أن التربية القيادية تعمل على تربية القيادات على الالتزام الكامل بالمنهج القرآني، بكل جوانبه وبكل أصوله وفروعه دون أن تغفل جانباً منه، أو تعرض عن شيء من أحكامه؛ لأنها في موقع القدوة والمسئولة عن الالتزام بهذا المنهج وتطبيقه في حياة الأمة، فلا يجوز لها أخذ جانب العقيدة والإيمان وإغفال جانب العبادة والأخلاق، ولا يجوز لها العناية بالعبادات والشعائر وإهمال الأخلاق والفضائل، كما لا يقبل منها الالتزام بجميع ما ذكر مع الإعراض عن جانب الشريعة أو التهاون في تطبيقه؛ لأنه الجانب الذي نظم الله به حياة البشرية (٢). قال تعالى: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } (٣).

(١) سورة الرعد: الآية: ١١.

(٢) ينظر: الخصائص العامة للإسلام: ١١٣.

(٣) سورة الحديد: الآية: ٢٥.



المبحث الثالث الإنسانية والعالمية

المطلب الأول مفهوم الإنسانية والعالمية وأهميتهما

الإنسان في مفهوم التربية القيادية القرآنية مخلوق مكرم، خلقه الله U وكرمه على سائر المخلوقات، واختاره ليكون خليفته في أرضه بعد أن فضله بالعقل وميزه بالعلم. قال تعالى: { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا }^(١).

وهناك العديد من المظاهر الدالة على هذا التكريم الإلهي للإنسان والتي يمكن الإشارة إلى أبرزها فيما يأتي:

- ١- تميزه بالعنصر الروحي: قال تعالى: { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ }^(٢).
- ٢- خلقه في أحسن صورة وأجمل هيئة: قال تعالى: { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ }^(٣).
- ٣- تعليمه أسماء الأشياء: قال تعالى: { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا }^(٤).
- ٤- استخلافه في الأرض: قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً }^(٥).
- ٥- تسخير الكون بما فيه لخدمة الإنسان: قال تعالى: { أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً }^(٦).
- ٦- منحه العقل والنطق والتميز: قال تعالى: { الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ }^(٧) ومن ثم فليس هناك قيمة مادية في هذا الوجود تعلق على قيمة هذا الإنسان أو تهدر من أجلها كرامته.

(١) سورة الإسراء: الآية: ٧٠.

(٢) سورة ص: الآيتان: ٧١، ٧٢.

(٣) سورة التين: الآية: ٤.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٣١.

(٥) سورة البقرة: الآية: ٣٠.

(٦) سورة الرحمن: الآيات: ١ - ٤.



ومن هنا جاء تميز التربية القيادية القرآنية بالإنسانية في تعاملها مع البشر والارتقاء بهم اتباعاً ومتبوعين، مسالمين ومحاربين، كما يأتي اتصافها بالعالمية من خلال انفتاحها على جميع الأجناس واستيعابها لجميع الأفراد بغض النظر عن ألوانهم وأجناسهم وأوطانهم ما دامت معايير الاصطفاء والانتقاء متوفرة لديهم. إن المنهج القرآني الذي تنبثق عنه هذه التربية ليس منهجاً عنصرياً ولا قومياً، ولا محدوداً بحدود جغرافية أو إقليمية أو زمنية، وإنما هو منهج عالمي يسع في طياته الزمان والمكان والأجناس والألوان. قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }^(١). وقال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }^(٢).

يقول سيد قطب رحمه الله: "إن هذا الدين ليس إعلاناً لتحرير الإنسان العربي! وليس رسالة خاصة بالعرب!.. إن موضوعه هو "الإنسان".." نوع "الإنسان".." ومجاله هو "الأرض" كل "الأرض" إن الله - سبحانه - ليس رباً للعرب وحدهم ولا حتى لمن يعتقدون العقيدة الإسلامية وحدهم.. إن الله هو "رب العالمين".." وهذا الذي يريد أن يرد "العالمين" إلى ربهم، وأن ينتزعهم من العبودية لغيره"^(٣).

إن إنسانية المنهج القرآني وعالميته لا تعني قسر الناس على اتباعه وإكراههم على ترك عقائدهم، وإنما تعني الانفتاح على الآخرين واحترام معتقداتهم التي يؤمنون بها مهما كانت محرفة أو باطلة، كما تعني الرغبة في هدايتهم والحرص على إنقاذهم ودعوتهم إلى العقيدة الصحيحة والمنهج القويم ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة وعبر النقاش الدائم والحوار المستمر. قال تعالى: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ }^(٤). وقال تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالْتِي هِيَ أَحْسَنُ }^(٥).

يقول سيد قطب رحمه الله: "إن الإسلام لم يشأ أن تكون وسيلته إلى حمل الناس على اعتناقه هي القهر والإكراه في أي صورة من الصور، حتى القهر العقلي عن طريق المعجزة لم يكن وسيلة من وسائل الإسلام كما كان في الديانات قبله، من نحو الآيات التسع لموسى، والكلام في المهد وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لعيسى... لقد شاء الإسلام أن يخاطب القوى المدركة في الإنسان، ويعتمد عليها في الإقناع بالشرعية والعقيدة، وذلك جرياً على نظرته الكلية في احترام هذا الإنسان وتكريمه"^(٦).

ومن هنا كانت دعوة المنهج القرآني إلى تقرير حرية العقيدة واحترامها، وعدم التبرم من اختلاف العقائد والمناهج وتعددتها. قال تعالى: { وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ }^(٧). وقال

(١) سورة الأنبياء: الآية: ١٠٧.

(٢) سورة سبأ: الآية: ٢٨.

(٣) معالم في الطريق: ٦٩.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٢٥٦.

(٥) سورة النحل: الآية: ١٢٥.

(٦) نحو مجتمع إسلامي - ط: ٦ - دار الشروق - بيروت: ١٠٣، ١٠٤.

(٧) سورة الكهف: الآية: ٢٩.



تعالى: { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } (١).

إن اعتراف المنهج القرآني بحرية العقائد واحترامها لا يعني إقرارها والرضا بواقعها وإنما إتاحة الفرصة لأصحابها للمقارنة بينها وبين عقيدة الإسلام الحقة وصولاً إلى الإيمان الصادق الذي يقوم على الحرية التامة والافتتاح الكامل دون ضغط أو إكراه، وفي سبيل ذلك لا بد من إزالة جميع العوامل والمؤثرات التي تُعَبِّدُ الناس لبعضهم أو تحول بينهم وبين خالقهم. قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ انْتِهَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (٢).

فالآية الكريمة تشير إلى جانب من الجوانب التي شرع من أجلها الجهاد والمتمثل في قتال الطواغيت الذين يجعلون من أنفسهم آلهة تعبد من دون الله ويحولون بين البشر وبين خالقهم U، بينما تشير آيات أخرى إلى مشروعية الجهاد دفاعاً عن العقيدة وحماية أماكن العبادة ونصرة المستضعفين؛ وضمان حرية العقيدة والعبادة لجميع المتدينين (٣). قال تعالى: { أَدْنُ لِلَّذِينَ يُفَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } (٤).

وتتطلق التربية القيادية في تعاملها مع الأفراد وإعدادها للقيادات من نظرة المنهج القرآني للناس جميعاً على أنهم يشكلون وحدة إنسانية لا تمايز بين أفرادها وشعوبها في الأصل والطبيعة أو الغاية والمصير، فالناس جميعاً ينحدرون من أصل واحد تجمعهم رابطة واحدة هي رابطة الإنسانية. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } (٥). وهذا الأصل يعود إلى أب واحد ينتسب إلى التراب، قال تعالى: { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ } (٦).

والطبيعة الإنسانية واحدة لا تختلف فهي واحدة من حيث ارتباطها بالأرض وما فيها من زينة ومتاع وشهوات، قال تعالى: { زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } (٧).

(١) سورة هود: الآيتان: ١١٨، ١١٩.

(٢) سورة الأنفال: الآية: ٣٩.

(٣) ينظر: منهج التربية في التصور الإسلامي - د. علي أحمد مدكور - ط: ١ - دار الفكر العربي - القاهرة: ٩٢ - ٩٦.

(٤) سورة الحج: الآيتان: ٣٩، ٤٠.

(٥) سورة النساء: الآية: ١.

(٦) سورة ص: الآية: ٧١.

(٧) سورة آل عمران: الآية: ١٤.



وهي واحدة من حيث استعدادها لقبول الخير والشر والصلاح والفساد، قال تعالى: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا }^(١). ثم إن الغاية والإنسانية واحدة تتمثل في تحقيق العبودية والقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض. قال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }^(٢). وقال تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً }^(٣).

وكذلك الأمر بالنسبة للمصير الإنساني فلا بد أن تلقى كل نفس أجلها، ولا بد أن تبنى البشرية جميعاً، ثم يكون هناك بعث وحساب وجنة ونار، قال تعالى: { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ }^(٤). ولعل أبلغ ما يدل على وحدة الأصل والمصير قوله تعالى: { مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى }^(٥).

وانطلاقاً من هذه الوحدة الإنسانية المتكاملة التي تنتظم الناس جميعاً جاء تقرير المنهج القرآني لمبدأ المساواة الكاملة بين الأفراد والأمم في الحقوق والواجبات والتكاليف والتشريعات والحصول على الفرص والامتيازات وإلغاء جميع مظاهر التمييز القائمة على التعصب للون والجنس أو الطائفة والطبقة أو الوطن والقومية، وتقرير المبدأ القرآني في التفاضل والذي يقوم على أساس التقوى والعمل الصالح^(٦). قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }^(٧).

(١) سورة الشمس: الآيات: ٤- ١٠.

(٢) سورة الذاريات: الآية: ٥٦.

(٣) سورة البقرة: الآية: ٣٠.

(٤) سورة آل عمران: الآية: ١٨٥.

(٥) سورة طه: الآية: ٥٥.

(٦) ينظر: نحو مجتمع إسلامي: ٩٤- ٩٦، منهج التربية في التصور الإسلامي: ٩٧- ٩٩.

(٧) سورة الحجرات: الآية: ١٣.



المطلب الثاني مظاهر الإنسانية والعالمية

تتمثل أبرز مظاهر الإنسانية والعالمية في تربية وإعداد القادة في المنهج القرآني فيما يأتي:

أولاً: تكوين الإنسان الصالح:

تسعى التربية القيادية الإسلامية إلى تكوين الإنسان الصالح الذي يستطيع أن يعيش بقيم الحق والعدل والفضيلة في كل مكان، وليس المواطن المحصور في إطار المواطنة الضيقة التي تحصر الفكر والسلوك والولاء والانتماء داخل حدودٍ جغرافيةٍ ضيقةٍ محدودة الزمان والمكان.

لقد أثمرت الوطنية الضيقة وتربية المواطن المحدود في قيمه وانتمائه كثيراً من الآفات والشور التي تعاني منها البشرية اليوم حتى أصبح من بين الأفراد من يشكو التخمة ومن يشكو من الجوع إلى حد الهلاك. فيها من يعانون وفترة الإنتاج ويلقون بالفائض في براميل القمامة وأعماق البحار، وفيها المحاصرون الذين يموتون جوعاً ويبحثون عما يسد رمقهم من القوت ولو كان ميتةً أو من براميل القمامة. فيها الأغنياء الدائنون الذين يفرضون شروطهم ويمتصون دماء البشر، وفيها الفقراء المدينون الذين يخضعون لكل عمليات الابتزاز والاستغلال والظلم، ويدفعون كرامتهم ومستقبل أجيالهم ثمناً لقروض لم يستفيدوا منها شيئاً.

فيها من يصنع أسلحة الدمار الشامل وبييعها ليزداد ثراءً، وفيها من ينفق على هذه الأسلحة ثروات أمته ليحمي كرسيه، وفيها من تصب عليه هذه الأسلحة صباً حتى الموت. وهكذا تحرق الأخطار بالبشرية من كل جانب بسبب الأنانية، والطمع، والظلم، والاستغلال، والتعصب بألوانه المختلفة، بسبب الحضور القوي للمواطن والغياب المستمر للإنسان⁽¹⁾.

إن البشرية اليوم بأمس الحاجة إلى تنمية مفهوم الإنسانية بمعناه العالمي الشامل وغرسه في نفوس الأجيال، ولا يحقق ذلك سوى المنهج القرآني الذي يقوم على أساس المساواة بين البشر وعدم التفرقة بينهم على أساس طبقي أو عنصري أو طائفي، ويخاطب أرواحهم وقلوبهم وضمايرهم مباشرة، ويحترم إنسانيتهم وأدميتهم. ولعل أبرز الفروق بين المنهج القرآني في التربية والمناهج التربوية الأخرى هو اقتضار هذه المناهج على إعداد المواطن الصالح بينما يسعى المنهج القرآني لتحقيق هدف أشمل وأعمق وهو إعداد الإنسان الصالح من حيث هو إنسان لا من حيث هو مواطن في هذه البقعة من الأرض أو في ذلك المكان⁽²⁾.

ولذلك اهتم المنهج القرآني في تربية وإعداد القادة بالجانب الإنساني في الشخصية وركز عليه كثيراً، ودعا إلى تنميته من خلال العبادات والمعاملات الإسلامية المختلفة، وشرع من الوسائل ما يكفل المحافظة عليه والارتقاء به.

(1) ينظر: منهج التربية في التصور الإسلامي: ١٠٠، ١٠١.

(2) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٢.

وانطلاقاً من هذا الاهتمام فإن الشخصية القيادية مطالبة بأن تعي دورها وتستنشر مسؤوليتها عن النوع الإنساني كله دعوة وهداية وقيادة، وأن تدرك أن الرسالة التي تحملها رسالة عالمية لا تقف عند حد ولا تختص بجنس كما يجب عليها أن تقوم بواجبها تجاه الكون والحياة عمارة واستخلاقاً^(١).

ومن هذا المنطق كانت التربية القيادية في المنهج القرآني قائمة على معاني الحق والعدل والوفاء والإنسانية حتى مع الأعداء. قال تعالى: { وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ }^(٢). وقال تعالى: { وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ }^(٣).

وأكدت على مراعاة الجانب الإنساني عند القتال فحرمت قتل الشيخ الكبير والعاجز والمرأة والصبي، ورجل الدين المنقطع للعبادة، والفلاح المسالم الذي لم يشترك في القتال، كما حرمت الغدر والخيانة والتمثيل بجثث القتلى أو تعذيب الأسرى بل دعت إلى الإحسان إليهم ومعاملتهم معاملة إنسانية راقية^(٤). قال تعالى: { فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَّخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَٰ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا }^(٥). وقال تعالى: { وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا }^(٦).

وقد دفع هذا التعامل الإنساني أعداء الإسلام للدخول فيه ومصالحة المسلمين وتفضيل العيش في كنف الدولة الإسلامية على الاستقلال أو العيش تحت سلطان أبناء جلدتهم من الأكاسرة والقيصرة، كما دفع كثيراً من الكتاب والمؤرخين لإنصاف القادة المسلمين والإشادة بإنسانيتهم.

يقول المؤرخ سوبرهايم: "إن صلاح الدين لم يكن متعصباً ولم يكن ليحمل ضغينة أو بغضاء للصليبيين باعتبارهم بشراً ولا للمسيحيين الخاضعين لحكمه، لذلك لم يضرب الصليبيين كمسيحيين، بل كان يضربهم كأعداء بادأوا العرب العداء وجاءوا ليضربوا الإسلام في دياره"^(٧).

(١) ينظر: الخصائص العامة للإسلام: ٨١.

(٢) سورة النحل: الآية: ٩١.

(٣) سورة المائدة: الآية: ٨.

(٤) ينظر: الأحكام السلطانية للماوردي: ٤٥، بين العقيدة والقيادة - محمود شيث خطاب - ط: ١ - دار القلم - دمشق، بيروت: ١٢٢ - ١٢٥.

(٥) سورة محمد: الآية: ٤.

(٦) سورة الإنسان: الآية: ٩.

(٧) بين العقيدة والقيادة: ٣٤٤.



ثانياً: تقرير مبدأ تكافؤ الفرص:

عملت التربية القيادية على إتاحة الفرصة لجميع أفراد المجتمع الإسلامي للوصول إلى القيادة وتولي مسؤولياتها دون أن تجعلها حكراً على فرد أو أسرة أو طبقة، الأمر الذي يعزز جوانب الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع ويقضي على العداوات والصراعات، ويدفع إلى استغلال كافة القدرات والإمكانات وتسخيرها في خدمة الأمة، وهو ما يلمس في تنوع الأنبياء عليهم السلام واختلاف أجناسهم ولغاتهم وقومياتهم وبلدانهم وأمهم التي بعثوا فيها. قال تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } (١). وقال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ } (٢).

كما نجد هذا الأمر واضحاً في تنوع الفئة المؤمنة التي ناصرته النبي ﷺ وحملت معه أعباء الدعوة الإسلامية، فقد تعددت لغاتهم وأجناسهم وقومياتهم فكان منهم القرشي كعلي، واليماني كأبي موسى الأشعري، والرومي كصهيب، والحبشي كبلال، والفارسي كسلمان، وغيرهم y جميعاً، ومع ذلك أتاحت لهم الفرصة جميعاً لينالوا حظهم من التربية والإعداد القيادي وليصلوا بعد ذلك إلى العديد من المواقع القيادية والمناصب العالية في الدولة الإسلامية فقد كان بلال t مؤذن الرسول ﷺ وخازن بيت المال، وتولى أبو موسى الأشعري t عدداً من الولايات في عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، وتقلد سلمان الفارسي t ولاية المدائن (٣) في عهد عمر t، بينما تولى عمار بن ياسر t ولاية الكوفة (٤)، وحمل سالم (٥) مولى أبي حذيفة t راية المهاجرين في قتال المرتدين يوم اليمامة (٦)، وقبل ذلك تولى زيد بن حارثة وابنه أسامة رضي الله عنهما قيادة الجيش الإسلامي في عهد النبي ﷺ.

(١) سورة النحل: الآية: ٣٦.

(٢) سورة إبراهيم: الآية: ٤.

(٣) المدائن: عاصمة الأكاسة ومسكن ملوكهم، بناها الإسكندر وقيل: كسرى أنوشروان وأقام بها، فُتحت على يد سعد بن أبي وقاص t سنة ١٦ للهجرة في خلافة عمر t، وقد سميت المدائن لأنها سبع مدائن بين كل مدينة وأخرى مسافة قريبة أو بعيدة وهي قريبة من بغداد وبها قبر الصحابييين الجليلين حذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي رضي الله عنهما. ينظر: معجم البلدان - أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر - تحقيق مركز جمعه الماجد - ط: ١ - دار الفكر المعاصر - بيروت، دمشق: ٧٤/٥.

(٤) الكوفة: مدينة مشهورة في سواد العراق، سميت الكوفة لاستدارتها، وقيل: لاجتماع الناس بها، وقيل: لأنها قطعة من البلاد، وقيل: لموضعها من الأرض وذلك لأن كل رملة يخالطها حصباء تسمى كوفة وقيل غير ذلك، بناها سعد بن أبي وقاص عقب انتصار المسلمين بالقادسية. ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع - أبو عبيد عبد الله عبد العزيز البكري الأندلسي - تحقيق: مصطفى السقا - ط: ٣ - عالم الكتب - بيروت: ١١٤١/٤، معجم البلدان: ٤/٤٩٠.

(٥) سالم بن مقل مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، صحابي جليل وأحد السابقين الأولين وأحد حفاظ القرآن المجيدين، كان يؤم المهاجرين بقباء وفيهم عمر t قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة، كان من فضلاء الموالى ومن خيار الصحابة وكبارهم وهو معدود في المهاجرين، كان حامل لواء المهاجرين يوم اليمامة حيث استشهد رحمه الله تعالى بعد أن أبلى بلاءً حسناً. ينظر: الاستيعاب: ٥٦٧/٢، الإصابة: ١٣/٣.

(٦) اليمامة مدينة تقع في نجد وتسمى جوى تنسب إلى طائر يسمى يمام، وقيل: من الأمام، وسميت باليمامة نسبة إلى اليمامة بنت سهم، فتحها المسلمون في خلافة الصديق على يد خالد بن الوليد وفيها قتل مسيلمة الكذاب. ينظر: معجم البلدان: ٥/٤٤١.

وبعد ذلك جاء صلاح الدين ليوحد الأمة ويحرر القدس من أيدي الصليبيين وهو كردي الأصل، وقهر قطز^(١) التتار في عين جالوت وهو من المماليك، كما حاز محمد الفاتح شرف فتح القسطنطينية^(٢) وهو من بلاد الترك^(٣).

إن ما سبق من تعدد القيادات الإسلامية واختلاف أجناسها وألوانها يؤكد إنسانية التربية القيادية القرآنية وعالميتها وعدم اختصاصها بجنس أو لون أو لغة، وأن ميزان التفاضل فيها إنما هو بالإيمان والعمل الصالح والكفاءة والمقدرة على تطوير الذات واستيعاب المتغيرات وإجادة التعامل مع السنن الإلهية في الكون والحياة. قال تعالى: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }^(٤).

(١) السلطان والملك المظفر سيف الدين قطز بن عبد الله المعزي، كان من أنبل مماليك المعز ثم صار نائب السلطنة، وكان فارساً شجاعاً ديناً سائماً محبباً إلى الرعية، هزم التتار وطهر الشام منهم في موقعة عين جالوت ثم صار سلطان المسلمين، استشهد وهو عائد إلى مصر سنة ٦٥٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢٣/٢٠٠.

(٢) القسطنطينية ويقال القسطنطينية، كان اسمها بيزنطية فانتقل إليها ملك الروم قسطنطين الأكبر وبنى عليها سوراً وسماها قسطنطينية فصارت عاصمة دولة الروم واسمها اسطنبول، وهي مدينة جميلة ولها خليج من البحر يحيطها من الشرق والشمال وقد مدح النبي ٣ فاتحها وجيشها، حاصرها المسلمون مراراً حتى فتحت في القرن الثامن الهجري على يد محمد الفاتح رحمه الله. ينظر: معجم البلدان: ٤/٣٧٤.

(٣) يراجع: بين العقيدة والقيادة: ٣٠٧-٥٠٦.

(٤) سورة الحجرات: الآية: ١٣.



المبحث الرابع
الوسطية والاعتدال

المطلب الأول
مفهوم الوسطية والاعتدال وأهميتهما

الوسطية في اللغة: اسم لما بين طرفي الشيء، وتأتي صفة بمعنى: خيار، والوسط بمعنى: العدل، ووسط كل شيء خياره وأعدله^(١). قال تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا }^(٢). أي عدولاً خياراً^(٣). قال صاحب المنار^(٤) عند تفسيره هذه الآية " قالوا: إن الوسط هو العدل والخيار، وذلك إن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تقصيره وتفريط، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة، فهو شر ومذموم، فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر، أي المتوسط بينهما"^(٥). ومنه قول زهير بن أبي سلمى^(٦) في معلقته:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم
إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم^(٧).

ويقصد بالوسطية والاعتدال " التوسط بين طرفين متقابلين أو متضادين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويحيف عليه"^(٨). وقال تعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا }^(٩). وقال تعالى: { وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا }^(١٠)

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة- مادة وسط: ١٠٥٢، لسان العرب- مادة وسط: ٤٢٦/٧.

(٢) سورة البقرة: الآية: ١٤٣.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري: ٧/٢.

(٤) محمد رشيد بن علي رضا البغدادي الأصل، ولد بنواحي طرابلس الشام وتعلم في طرابلس ثم انتقل إلى القاهرة وتتلذذ على يد الشيخ محمد عبده، رحل إلى عدد من البلدان، كان معدوداً في رجال الإصلاح الإسلامي، وكان من العلماء في التفسير والتأريخ والأدب، أسس مجلة المنار ومن أشهر مؤلفاته تفسير المنار والوحي المحمدي توفي بمصر سنة ١٣٥٤هـ.. ينظر: الأعلام للزركلي: ١٢٦/٦، معجم المؤلفين: ٣١٠/٩.

(٥) تفسير المنار- محمد رشيد رضا- ط: ٢- دار المعرفة- بيروت: ٤/٢.

(٦) زهير ابن أبي سلمى بن ربيعة بن رباح المزني، ولد في بلاد مزينة من نواحي المدينة وكان يقيم بنجد، وهو حكيم الشعراء في الجاهلية وكانت عائلته كلها شعراء، توفي قبل الهجرة. ينظر: طبقات فحول الشعراء- محمد بن سلام الجمحي- تحقيق: محمود شاكر- طبعة مطبعة المدني- القاهرة: ١٣/١، الأغاني: ٢٨٨/١٠.

(٧) ديوان زهير- زهير بن أبي سلمى- طبعة دار صادر- بيروت :

(٨) الخصائص العامة للإسلام: ١١٥.

(٩) سورة الفرقان: الآية: ٦٧.

(١٠) سورة الإسراء: الآية: ٢٩.

والوسطية والاعتدال أمر مهم في القضايا الإنسانية، حيث جعل الله U تركيبة الإنسان والكون والحياة محكومة بقانون الوسطية، التي يعني تجاوزها أو التقصير فيها الإخلال بنظام الكون واضطراب الحياة. قال تعالى: { إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ }^(١). وقال تعالى: { وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ }^(٢).

والإنسان بحاجة إلى الوسطية والاعتدال في جميع شؤونه حتى يعيش حياة هادئة سليمة، بل إنه لا بد أن يكون معتدلاً في كثير من الحالات شاء أم أبى، فالشجاعة مثلاً لها حدود ينبغي عدم تجاوزها وإلا تحولت إلى تهور يؤدي بصاحبه إلى التهلكة، والحذر له حدود أيضاً فإذا تجاوزها صار جنباً وإحجاماً يقضي على صاحبه، وهكذا في بقية أمور الحياة.

لكن المشكلة الحقيقية تكمن في تحديد الوسطية في القضايا المختلفة وهو أمر تتحكم فيه المناهج والمذاهب الاجتماعية والثقافية التي يسير عليها الناس والتي تتغير بتغير الزمان والمكان والبيئة والثقافة، الأمر الذي يجعل حياة كثير من البشر تتأرجح بين المثالية المفرطة والمادية البحتة، ومن الواقعية البهيمية إلى الخيالية الحاملة مما يسبب فقدان الثقة في الكثير من القيم والمبادئ^(٣)، وهنا تتجلى نعمة الله U على هذه الأمة حين جعل الوسطية لها شعاراً والاعتدال لها سمة. قال تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا }^(٤).

ففي الآية الكريمة إشارة واضحة إلى خيرية هذه الأمة وأفضلية منهجها ووسطيتها واعتداله، وهو ما يؤكد سيد قطب رحمه الله بقوله: "وإنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط، سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو الوسط بمعناه المادي والحسي، أمةً وسطاً في التصور والاعتقاد، أمة وسطاً في التفكير والشعور، أمة وسطاً في التنظيم والتنسيق، أمةً وسطاً في الارتباطات والعلاقات، أمة وسطاً في الزمان، أمة وسطاً في المكان"^(٥).

إن وسطية المنهج القرآني في تربية وإعداد القادة أفرزت على مدى تاريخ الأمة الطويل نماذج من القيادات التي تجمع في نظرتها للحياة وتعاملها مع الأشياء بين الأصالة والمعاصرة والثبات والمرونة، وبين المحلية والعالمية، والمثالية والواقعية، الأمر الذي كان له تأثير إيجابي على حياة البشرية جمعاء. وتتبع أهمية الوسطية والاعتدال في التربية القيادية من كون المنهج القرآني في التربية قائم في أساسه على الوسطية والاعتدال، مما يوجب أن تكون التربية المنبثقة عنه متصفة بالوسطية والاعتدال أيضاً، وبالتالي فإن أي خلل ينشأ في تكوين الشخصية القيادية إنما ينتج عن اختلال التوازن فيها ووقوعها بين الإفراط والتفريط.

(١) سورة القمر: الآية: ٤٩.

(٢) سورة الحجر: الآية: ٢١.

(٣) ينظر: فصول في التفكير الموضوعي - د. عبد الكريم بكار - طبعة دار القلم - دمشق: ١٤٦، ١٤٧.

(٤) سورة البقرة: الآية: ١٤٣.

(٥) في ظلال القرآن: ١/١٣١.

والوسطية والاعتدال في تحديد المقادير المطلوبة من الاهتمامات أمر أكبر من أن تقدر عليه الشخصية الإنسانية بعقلها المحدود وعلمها القاصر، فضلاً عن تأثير ميولها ونزعتها الشخصية، ومن هنا كان المنهج القرآني في التربية هو المنهج الوحيد المؤهل لإحداث التوازن المطلوب بين قوى الحياة المختلفة وإعطاء كل شيء في الوجود حقه. بحساب ودقة متناهية؛ وذلك لارتباطه بالخالق U الذي خلق كل شيء وعلم أسراره وحدد ما يصلحه ويصلح له^(١). قال تعالى: { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }^(٢). وقال تعالى: { مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ }^(٣).

ومن هنا كانت نظرة التربية القيادية الإسلامية للشخصية الإنسانية تتسم بالوسطية والاعتدال والتوازن والبعد عن المغالاة والشطط في الأساليب والاتجاهات، فكما تحرم على الإنسان الانسياق وراء نزواته والخضوع لشهواته وغرائزه صيانة له عن التدني والانحطاط إلى درك الحيوان، تحرم عليه كذلك الرهينة وكبت مطالبه المادية الطبيعية التي أودعها الله فيه حفاظاً عليه من تعطيل فطرته وتكدير حياته^(٤). قال تعالى: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا }^(٥).

"فضلاً عما سبق، فإن خاصية "الاعتدال" تجعل المجتمع الإسلامي مجتمعاً إنسانياً "وسطاً" لا يسرف في أموره ولا يفرط فيها، ولا يتبع الرهبانية فيجمد، ولا ينساق وراء المادية فيتفسخ ولا ينشغل بديناه بما يغفله عن أخراه، بل يوازن بينهما ويعادل بين مطالبهما فيكون بحق "مجتمع القدوة النموذجي" لكل المجتمعات الإنسانية تحتذي به، وترسم خطاه، وتستهدي بهداه"^(٦).

لقد أسهم تميز التربية القيادية الإسلامية بالوسطية والاعتدال إلى حد كبير في تخريج شخصيات قيادية متوازنة في سلوكها وتصرفاتها، بعيدة عن الغلو والتشدد تلتزم الإسلام وتطبقه في جميع مجالات الحياة بيسر وسهولة، وهو ما يمكن الإشارة إليه فيما يأتي:

(١) ينظر: الخصائص العامة للإسلام: ١١٦.

(٢) سورة الملك: الآية: ١٤.

(٣) سورة الملك: الآية: ٣٠.

(٤) ينظر: فلسفة التربية الإسلامية للزنتاني: ٤٤٦.

(٥) سورة القصص: الآية: ٧٧.

(٦) فلسفة التربية الإسلامية للزنتاني: ٤٤٨.



أولاً: تكوين الشخصية القيادية المتوازنة:

والمراد بالتوازن هنا توفر المقادير اللازمة من الاهتمامات المطلوبة في جانبي الفكر والسلوك، فالشخصية القيادية التي يربيهها المنهج القرآني شخصية متوازنة في كل جوانبها وفي جميع مجالات حياتها، ففي إدراكها توازن بين ما تدركه فتسلم به مباشرة وبين ما تتلقاه فتبحث عن علله وأسرارها، وبين عالم الغيب والشهادة، وبين طلاقة المشيئة الإلهية وثبات السنن الكونية، بين عبودية الإنسان المطلقة ومقام الإنسان الكريم في الكون، وفي تفكيرها توازن بين العقل والنقل والعلم والإيمان، وبين الأصالة والمعاصرة والمحافظة والتجديد، بين الاجتهاد والتقليد والثوابت والمتغيرات، وكذا بين الانغلاق والانفتاح والاندماج والتميز، وبين النص الديني والفهم البشري، كما أن في اهتماماتها توازن بين متطلبات الروح والجسد، بين الدوافع الفطرية والحاجات المكتسبة، وبين الجوانب الفردية والاجتماعية^(١). قال تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} (٢). وقال تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا} (٣).

وقد حرصت التربية القيادية على إيجاد نوع من التوازن والتكامل بين جوانب الشخصية الإنسانية الأساسية وهي: العقل والروح والجسم والعاطفة فعملت على تمتيتها وتلبية متطلباتها بما يحقق الغاية من وجودها ويضمن قيامها بواجباته المختلفة في تناسق وانسجام بشكل متوازن سوي لا إفراط فيه ولا تفريط، وبذلك تكون التربية القيادية الإسلامية قد قدرت فطرة الإنسان وطبيعته البشرية وحاجة روحه على التحليق والتسامي في أجواء الإيمان والنور، وحاجة جسمه إلى إشباع متطلباته العضوية والحيوية بما تتسجم به حياته، وحاجات عقله إلى الإدراك والفهم واكتساب العلوم والمعارف، فضلاً عن حاجات نفسه إلى إشباع عواطفها ومشاعرها واحاسيسها بما يكفل اتزانها، كما قدرت نزعتها الفردية إلى التملك والاستقلال والاعتزاز بالذات، ونزعتها الاجتماعية إلى العيش مع الآخرين والتعاون معهم لما فيه مصلحة الجميع وتحقيق منافعهم المشتركة، ولا شك أن البشرية اليوم بأمس الحاجة إلى القيادات المتوازنة في أفكارها ومبادئها وفي اهتماماتها وسلوكياتها أكثر من أي وقت مضى^(٤).

(١) يراجع: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ١٩٣-٢٤٤، الخصائص العامة للإسلام: ١١٥.

(٢) سورة القصص: الآية: ٧٧.

(٣) سورة الملك: الآية: ٢٩.

(٤) ينظر: فلسفة التربية الإسلامية للزنتاني: ٤٤٤.

ثانياً: البعد عن الغلو والتشدد:

والغلو هو الإفراط ومجاوزة الحد في كل شيء^(١). قال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ} ^(٢) أي لا تجاوزوا الحق في الدين ففقرطوا فيه ولا تتجاوزوا حد التوسط والاعتدال^(٣). ويمكن القول أن الغلو: "هو مجاوزة الحد في الأمر المشروع، وذلك بالزيادة فيع أو المبالغة إلى الحد الذي يخرج عن الوصف الذي أراده الشارع العليم الخبير الحكيم"^(٤).

وقد اشتمل المنهج القرآني على العديد من الآيات والأحاديث التي نهت عن المغالاة والتشدد واشتملت على ذم المغالين والمتشددين. قال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ} ^(٥). وقال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} ^(٦). وقال تعالى: {ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} ^(٧).

وعن ابن مسعود **t** قال: قال رسول الله **ﷺ**: (هلك المشطعون". قالها ثلاثاً)^(٨). والمتطعون هم المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم^(٩).

وقال **ع** في الحديث الذي يرويه أبو هريرة **t**: (إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا وبشروا، واسنعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)^(١٠).

قال ابن حجر رحمه الله: "والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب"^(١١).

وهناك العديد من المظاهر الدالة على الغلو والتشدد في الدين منها:

(١) ينظر: لسان العرب- مادة غلا: ١٥ / ١٣٢.

(٢) سورة النساء: الآية: ١٧١.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري: ٦ / ٣٤.

(٤) الوسطية في القرآن الكريم- د. محمد علي الصلاحي- ط: ١ - مكتبة الصحابة - الشارقة - الإمارات: ٤٦.

(٥) سورة النساء: الآية: ١٧١.

(٦) سورة المائدة: الآية: ٧٧.

(٧) سورة الحديد: الآية: ٢٧.

(٨) صحيح مسلم- كتاب العلم- باب هلك المتطعون: ٤ / ٢٠٥٥ رقم (٢٦٧٠).

(٩) شرح النووي على مسلم- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي- ط: ٢- دار إحياء التراث العربي: ١٦ / ٢٢٠.

(١٠) صحيح البخاري- كتاب الإيمان- باب الدين يسر: ١ / ١٨ رقم (٣٠).

(١١) فتح الباري: ١ / ٩٤.

- ١- كثرة الافتراضات والأسئلة عما لم يقع مما عفا الله U عنه وسكت عنه رسوله ٣.
 - ٢- المبالغة في التطوع المؤدي إلى ترك الأفضل أو تضييع الواجب، كمن يقوم الليل وينام أو يتأخر عن صلاة الجماعة.
 - ٣- العدول عن الرخص المشروعة في مواضعها والأخذ بالعزائم.
 - ٤- الاشتغال بمسائل الفروع على حساب الأصول، وبذل الجهد في المختلف فيه وإهمال المتفق عليه
 - ٥- التكفير بالمعصية أو الكبيرة، وجعل الأصل في الأشياء الحظر أو الحرمة وليس الإباحة والحل كما نص عليه الشارع الحكيم.
 - ٦- النقاش في المسائل التي فرضتها ظروف معينة وحصل بسببها خلاف بين الأمة مثل: الكلام في مسائل الصفات وخلق القرآن، والخلاف الذي جرى بين الصحابة رضوان الله عليهم^(١).
- ولعل أهم الأسباب المؤدية إلى الغلو والتشدد في الدين هي:**

- ١- البيئة المتشددة.
- ٢- التكوين النفسي والفكري للإنسان وعدم وجود المربي.
- ٣- الذكاء الفطري المقترن بالفراغ وعد المعرفة بالأولويات.
- ٤- الاعتماد على النفس فقط في تحصيل العلم والمعرفة.
- ٥- الأخذ عن غير العلماء العاملين .
- ٦- خلو الساحة من العلماء العاملين الذين يضبطون الفكر والتصور والسلوك.
- ٧- تعطيل المنهج القرآني والتحاكم إلى غيره.
- ٨- غلبة الحظوظ النفسية واتباع الهوى.
- ٩- الرغبة في تحقيق القرب من الله U مع الغفلة عن أبعاد ومعالم الطريق.
- ١٠- الوقوع في الإغراءات الدنيوية.
- ١١- الكراهية للإسلام مع التظاهر بحبة.
- ١٢- المعاناة من الشدة والكراهية والضغط النفسي.
- ١٣- معاناة الأمة من المؤامرات الداخلية والخارجية.
- ١٤- التصدر للتعليم والفتوى قبل الحصول على العلم والفهم اللازمين.
- ١٥- عدم إدراك العواقب المترتبة على الغلو والتشدد أو نسيانها^(٢).

أما أهم الآثار الناجمة عن الغلو والتشدد فيمكن إجمالها في الآتي:

(١) يراجع: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث للغزالي: ٧-١٢ (نقلاً عن: آفات على الطريق- د. السيد محمد نوح- ط: ١- دار اليقين- المنصورة- مصر: ٣/ ١٣٨- ١٤٠).

(٢) يراجع: آفات على الطريق: ٣/ ١٤٠- ١٤٦.

- ١- كراهية الناس ونفورهم عن المغالي والمتشدد في الدين.
 - ٢- الفتور وعدم القدرة على المواصلة ومن ثم التقصير في أوامر الدين.
 - ٣- تضييع الوقت والجهد في غير فائدة للنفس أو الأمة.
 - ٤- التقصير في حقوق النفس والأهل والمجتمع.
 - ٥- القلق والاضطراب النفسي.
 - ٦- تفريق الأمة وتمزيقها.
 - ٧- تشويه صورة الإسلام والمسلمين وتغيير الناس من الملتزمين^(١).
- وقد عالج المنهج القرآني ظاهرة الغلو والتشدد علاجاً حاسماً حيث ربي أفراداً على الوسطية والاعتدال واتخذ لضمان ذلك عدداً من الخطوات والإجراءات التي من أبرزها:
- ١- تطبيق المنهج القرآني في جميع مجالات الحياة وجوانبها وبما يضمن إشباع حاجة التدين لدى الإنسان وتحقيق الأمن والاستقرار والسعادة لأفراد المجتمع، قال تعالى: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }^(٢). وقال تعالى: { قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }^(٣).
 - ٢- تشجيع العلماء العاملين على القيام بواجبهم في الدعوة والتعليم و التربية ، وتحذيرهم من كتمان العلم أو المتاجرة به. قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }^(٤).
 - ٣- حث الأمة على الالتفاف حول العلماء العاملين والرجوع إليهم في الملمات. قال تعالى: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }^(٥). وقال تعالى: { وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ }^(٦).
 - ٤- التبصير بفقهاء العبودية الحقة، والدعوة إلى الله، وآداب الفتوى، وشروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترتيب الأولويات وفهم الواقع ومعرفة مقاصد الشريعة ومراتب الأحكام، والإمام بسنن الله تعالى في الكون والإنسان والحياة. قال تعالى: { فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا

(١) ينظر: آفات على الطريق: ٣/ ١٤٦ - ١٥١.

(٢) سورة الروم: الآية: ٣٠.

(٣) سورة البقرة: الآية: ٣٨.

(٤) سورة البقرة: الآية: ١٧٤.

(٥) سورة النحل: الآية: ٤٣.

(٦) سورة النساء: الآية: ٨٣.



- رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ }^(١). وقال تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }^(٢). قال تعالى: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي }^(٣).
- ٥- مداومة النظر في التاريخ البشري عامة والإسلامي بصفة خاصة والتفكر في أحداثه وأخذ العظة والعبرة منها في كيفية التعامل مع هذه الظاهرة. وقال تعالى: { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ }^(٤).
- ٦- تصنيف المغالين والمتشددين، وإحسان معاملتهم، وفتح أبواب الحوار والنقاش معهم، والتعرف على مشكلاتهم ومساعدتهم في حلها، والعمل على إعادة تأهيلهم وإدماجهم في المجتمع، وقبل ذلك كله التعامل معهم بروح الأب الحنون والأخ المشفق لا العدو المنقم، فقد حاور الله U إبليس وقد عصاه، وأمر موسى وهارون أن يخاطبا فرعون باللين رغم ادعائه الربوبية. قال تعالى: { فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى }^(٥).
- ٧- معالجة التفريط والأخذ على أيدي المفرطين في الدين والمستهترين بالقيم الدينية والاجتماعية الذي يمثلون عاملاً من أهم عوامل ظهور الغلو والتشدد. قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }^(٦).
- ٨- التنبيه الدائم على العواقب الناجمة عن الغلو والتشدد على الفرد والمجتمع. قال تعالى: { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً }^(٧).
- ٩- وضع البرامج العملية المفيدة لشغل أوقات الفراغ، وتفريغ طاقات الأفراد، وتأهيلهم تأهيلاً علمياً وتنمية قدراتهم ومهاراتهم بما يعود عليهم وعلى مجتمعاتهم بالفائدة^(٨). قال تعالى: { وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ }^(٩).
- ومن خلال ما سبق تتضح أهمية الدور الذي تقوم به التربية القيادية في تخريج شخصيات قيادية تتصف بالوسطية والاعتدال والنضج والبعد عن الغلو والتشدد، الأمر الذي يؤهلها لاستيعاب أتباعها، ويضمن لها الاحترام لدى أعدائها، ويمكنها من قيادة أمتها إلى بر الأمان.

(١) سورة التوبة: الآية: ١٢٢.

(٢) سورة النحل: الآية: ١٢٥.

(٣) سورة يوسف: الآية: ١٠٨.

(٤) سورة الروم: الآية: ٤٢.

(٥) سورة طه: الآية: ٤٤.

(٦) سورة النور: الآية: ١٩.

(٧) سورة الأنفال: الآية: ٢٥.

(٨) يراجع: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف - د. يوسف القرضاوي - ط: ٣ - دار الصحوة، دار الوفاء - مصر: ١٣٠ - ٢٠٠، آفات على

الطريق: ٣ / ١٥٢ - ١٥٤.

(٩) سورة العصر: الآيات: ١ - ٣.

المطلب الثاني مظاهر الوسطية والاعتدال

تتسم التربية القيادية الإسلامية بالوسطية والاعتدال في جميع جوانبها، وهي ليست جانباً نظرياً فقط، وإنما هي جانب عملي أيضاً تحرص على إكسابه لكل من يلتزم منهاجها التربوي، ومن هنا تأتي مظاهر وسطية التربية القيادية واعتدالها لتشمل العديد من الجوانب المختلفة التي يمكن الإشارة إلى أهمها فيما يأتي:

أولاً: الوسطية والاعتدال في جانب الاعتقاد:

وهو ما يتمثل في الآتي:

- ١- وسطيتها في الإيمان بين الخرافيين الذين بالغوا في الاعتقاد بكل شيء والماديين الذين قصرُوا إيمانهم على المحسوسات من الأشياء فقط، حيث تثبت الإيمان بالله U وملائكته واليوم الآخر وغير ذلك مما يتعلق بعالم الغيب والشهادة. قال تعالى: { **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** }^(١).
- ٢- وسطيتها في مجال التوحيد بين الملاحدة المنكرين لوجود الله U وبين دعاة التعدد الذين اتخذوا الأوثان وعبدوا الأصنام حيث أثبتت وجود الله U ووحدانيته وأفردته تعالى بالعبودية. قال تعالى: { **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** }^(٢).
- ٣- وسطيتها في باب الأسماء والصفات بين المعطلة الذين عطلوا صفات الله U وبين المشبهة الذين شبهوا المولى U بخلقه، حيث أثبتت الله تعالى ما يليق به من صفات الكمال والجلال التي أثبتتها لنفسه أو أثبتتها له رسوله ٣ وأمنت بها من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل. قال تعالى: { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** }^(٣).
- ٤- وسطيتها في أفعال العباد بين القدرية الذين أنكروا خلق أفعال العباد وبين الجبرية الذين أسندوا فعل العبد إلى الله U وقالوا أن العبد مجبور على فعله، حيث تعتقد أن أفعال العباد مخلوقة لله U ، وأنها تنسب إلى الإنسان على الحقيقة، وأن الله U خلق للإنسان من العقل ما يمكنه من التميز بين الحسن والقبيح والنافع والضار. قال تعالى: { **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** }^(٤).
- ٥- وسطيتها في باب العلاقة بالأنبياء عليهم السلام بين المكذبين الذين كفروا بالرسول وكذبواهم وقتلوا بعضهم، وبين المغالين الذين أفرطوا في محبة بعضهم حتى عبدوهم من دون الله، حيث دعت إلى الإيمان بهم جميعاً، دون تفريق بينهم أو تفضيل بعضهم على بعض أو تجاوز للحد في محبتهم. قال تعالى: { **آمَنَ**

(١) سورة البقرة: الآية: ٢٨٥.

(٢) سورة الإخلاص: الآيات: ١- ٤.

(٣) سورة الشورى: الآية: ١١.

(٤) سورة البلد: آية: ١٠.

الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }^(١).

٦- وسطيتها في النظرة إلى الحياة الدنيا بين دعاة المادية والإباحية الذين أنكروا وجود الآخرة واعتبروا الدنيا دار قرار فعاثوا فيها فساداً وعملوا على إشباع شهواتهم ورغباتهم بمختلف الطرق والوسائل، وبين دعاة الانزواء والرهبانية الذين كبتوا حاجاتهم الفطرية وحرموا طيبات ما أحل الله لهم، حيث عدت الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء ومع ذلك دعت الإنسان إلى إشباع حاجاته الفطرية والتمتع بطيبات الحياة الدنيا وفق ضوابط الشريعة الإسلامية وبما لا يشغله عن الغاية الكبرى وهي الآخرة. قال تعالى: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا }^(٢). وغير ذلك من المعاني التي حرصت التربية القيادية على ترسيخها في نفوس القيادات^(٣).

ثانياً: الوسطية والاعتدال في جانب العبادة:

تحرص التربية القيادية على إعداد القيادات وتربيتها على معاني الوسطية والاعتدال في جانب العبادة فهي وسط بين المغالين والمقصرين، وبين المتشددین والمتساهلين، وهو ما ينعكس إيجابياً على مجالات حياتها المختلفة، فقد ذم الله سبحانه وتعالى الإفراط في العبادة والغلو فيها في معرض حديثه عن النصارى فقال تعالى: { وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ }^(٤)، والمراد بالرهبانية في الآية المبالغة في العبادة والانقطاع عن المجتمع، وإيثار العزلة والتبتل^(٥).

وفي الآية إشارة إلى أن الرهبانية هي بدعة ابتدعها النصارى وألزموا بها أنفسهم وليست أمراً شرعه الله U، ولذلك كانت النتيجة عدم قدرتهم على المحافظة عليها لمشقتها وصعوبتها، كما أن في الآية ذم لهم؛ لابتداعهم في دين الله، ولعدم قيامهم بما ألزموا به أنفسهم^(٦).

وبالمقابل ذم سبحانه وتعالى الإهمال والتقصير والتفريط في العبادات، فقال U: { فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَا }^(٧). فالآية الكريمة تحذر من إضاعة الصلاة والتفريط فيها لأنها أساس الدين وخير أعمال العباد، ومن ضيعها فهو لما سواها من الواجبات أضيع، كما تحذر من اتباع الشهوات وترتب العذاب الأليم على ذلك.

(١) سورة البقرة: الآية: ٢٨٥.

(٢) سورة القصص: الآية: ٧٧.

(٣) يراجع: الوسطية في القرآن الكريم: ١٩٠ - ٣٧٤.

(٤) سورة الحديد: الآية: ٢٧.

(٥) ينظر: محاسن التأويل - محمد جمال الدين القاسمي - تصحيح وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي - ط: ١ - دار إحياء الكتب العربية -

القاهرة: ١٦ / ٥٦٩٨.

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤ / ٣١٥.

(٧) سورة مريم: الآية: ٥٩.

وكما ورد الذم للإفراط والمغالاة في العبادة والتفريط والتضييع فيها فقد ورد الأمر الصريح بالوسطية والاعتدال في قوله تعالى: { وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا } (١). وقوله تعالى: { وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ } (٢).

وتتمثل الوسطية والاعتدال في جانب العبادات في أدائها بشروطها وأركانها المتمثلة في الإخلاص والموافقة للشرع. قال تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } (٣). وقال تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } (٤).

وحدود الوسطية والاعتدال التي ينبغي تربية القيادات عليها في جانب العبادة قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (٥). وحديث أنس ابن مالك t قال: (جاء ثلاثة رهط إلى بيت أزواج النبي r يسألون عن عبادة النبي r فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي r وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله r إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا...؟ أما إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لاكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني) (٦).

ثالثاً: الوسطية والاعتدال في جانب الأخلاق:

فالتربية القيادية القرآنية وسط بين غلاة المثاليين الذين رفعوا الإنسان إلى مصاف الملائكة فوضعوا له من القيم والآداب ما لا تحتمله نفسه ولا تطيقه فطرته، وبين غلاة الواقعيين الذين أنزلوا الإنسان إلى مرتبة الحيوان فأرادوا له من السلوكيات ما لا يليق بإنسانيته.

وهي وسط كذلك بين الروحانيين الذين يعتبرون الإنسان روحاً علوياً سجن في جسد أرضي، ولا يصفو هذا الروح ولا يسمو إلا بتعذيب هذا الجسد وإهمال متطلباته، وبين الماديين الذين عدوا الإنسان جسداً

(١) سورة الإسراء: الآية: ١١٠.

(٢) سورة الأعراف: الآية: ٢٠٥.

(٣) سورة البينة: الآية: ٥.

(٤) سورة الأنعام: الآية: ١٥٣.

(٥) سورة الجمعة: الآية: ٩.

(٦) صحيح البخاري - كتاب النكاح - باب الترغيب في النكاح: ٥/ ١٩٤٩ رقم (٤٧٧٦)، صحيح مسلم - كتاب النكاح - باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه: ٢/ ١٠٢ رقم (١٤٠١) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٩٩/٢ رقم (٨٨٥).

محضاً وكياناً مادياً صرفاً لا مكان للروح فيه، وبالتالي أهملوا الروح وقرعوا لإشباع متطلبات الجسد^(١). قال تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ }^(٢).

"إن الشخصية الإنسانية كما صورها المنهج القرآني مخلوق مركب فيه العقل، وفيه الشهوة، وفيه غريزة الحيوان، وروحانية الملاك، قد هُدي للنجدين، وتهيأ بفطرته لسلوك السبيلين، إما شاكراً وإما كفوراً، فيه استعداد للفجور استعداداً للنعوى ومهمته جهاد نفسه ورياضتها حتى تنزكى"^(٣). قال تعالى: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا }^(٤)

ومن هنا كانت الشخصية القيادية القرآنية مطالبة بمجاهدة نفسها حتى تتمكن من تحقيق الوسطية والاعتدال في جميع شئونها، وحتى تستطيع أن تقف موقفاً وسطاً في أخلاقها بين التواضع والذل ، والتهور والجبن، وبين التقدير والإسراف.

ويمكن تحديد الوسطية والاعتدال في جانب الأخلاق في قوله تعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا }^(٥). وقوله تعالى: { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }^(٦).

وكذلك قول عائشة رضي الله عنها (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اخنار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما وادنتم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله منها)^(٧).

(١) يراجع: الخصائص العامة للإسلام: ١٢٣ - ١٤٣، الوسطية في القرآن: ٣٤٧ - ٤٤٧.

(٢) سورة محمد: الآية: ١٢.

(٣) الخصائص العامة للإسلام: ١٤٤ ، ١٤٥.

(٤) سورة الشمس: الآيات: ٧- ١٠.

(٥) سورة الفرقان: ٦٧.

(٦) سورة الأعراف: الآية: ٣١.

(٧) صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب صفة النبي ﷺ: ٣/١٣٠٦ رقم (٣٣٦٧)، صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب مبادئه ﷺ للأثام واختياره من المباح أسهله: ٤/١٨١٣ رقم (٢٣٢٧).



المبحث الخامس

الواقعية

المطلب الأول

مفهوم الواقعية وأهميتها

ومعنى واقعية التربية القيادية الإسلامية قابليتها للتطبيق في واقع الحياة والتفاعل الإيجابي مع جوانبها المختلفة مع مراعاة الخصائص العامة والخاصة لطبيعة الكون والإنسان والحياة، فهي ليست نظرية عقلية منشؤها خيال جامح أو فكر شاطح، ولكنها منهج تربوي وثيق الصلة بالواقع البشري بمعطياته المختلفة، كما أنها ليست قوالب نظرية سرعان ما تتحطم على أرض الواقع، وليست مثلاً وجدانياً تدركه الأشواق وتقتصر دونه الأعمال، وإنما هي منهج تربوي ينزل إلى أرض الواقع فيعالجه انطلاقاً من طبيعة المنهج القرآني المتمشية مع الواقع المعيشي بظروفه ومعطياته المختلفة.^(١)

إن الواقعية التي تتميز بها التربية القيادية في المنهج القرآني واقعية مثالية تهدف إلى الارتقاء بالشخصية الإنسانية والواقع البشري إلى أرفع مستوى وأعلى درجة يمكن أن يصل إليها البشر.

يقول صاحب الظلال رحمه الله: "إن الإسلام منهج واقعي للحياة لا يقوم على مثاليات خيالية جامدة في قوالب نظرية، بل هو يواجه الحياة البشرية كما هي بعوائقها وجوانبها، وملاستها الواقعية. يواجهها ليقودها قيادة واقعية إلى السير، وإلى الارتقاء في آن واحد، يواجهها بحلول عملية تكافئ واقعيتها، لا في خيال حالم، ورؤى مجنحة لا تجدي في واقع الحياة شيئاً"^(٢).

إن التربية القيادية الإسلامية تتعامل مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود الحقيقي المستيقن، والأثر الواقعي الإيجابي، تتعامل مع الحقيقة الإلهية متمثلة في آثارها الإيجابية وفاعليتها الواقعية الدالة على خصائص الألوهية وإبداع الصنعة الإلهية. قال تعالى: { قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلْ أَكْثَرُ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَدْكُرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }^(٣).

(١) ينظر: منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع: ٣٩٩.

(٢) في ظلال القرآن: ١/ ٢٢٦.

(٣) سورة النمل: الآيات ٥٩ - ٦٤.

وتتعامل مع الحقيقة الكونية ممثلة في مشاهدتها المحسوسة المؤثرة أو المتأثرة، الدالة على وجود الخالق ووحدانيته وعلمه وقدرته سبحانه وتعالى. قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِيَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا * وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا } (١).

كما تتعامل مع الحقيقة الإنسانية ممثلة في البشر كما هم في عالم الواقع بمكوناتهم الجسمية، وتصوراتهم العقلية، ومشاعرهم النفسية، وإشراقاتهم الروحية، الدالة على عظمة الخالق وعلمه بمخلوقاته (٢). قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } (٣).

لقد عاشت البشرية وإلى سنوات قريبة عقوداً من الصراع والتنافس الخفي والمعلن بين الشيوعية والرأسمالية كل يدعي لنفسه الكمال ويزعم أنه المنقذ والمخلص للبشرية مما تعانيه من ظلم واستبداد وتفكك وانحراف، وكانت الشيوعية أكثر تركيزاً على هذا الجانب فمنت الناس بالحرية والعدالة والمساواة والأمن والرخاء وجعلتهم يعيشون الأحلام الكاذبة والأمانى الزائفة، ولذلك سرعان ما انهارت دولتها وسقطت فكرتها، قبل أن تكمل قرناً من الزمان بعد أن اصطدمت بواقع الفطرة الإنسانية الذي خالفته وحاربه طويلاً، وقريباً ستشهد البشرية سقوطاً مدوياً آخر لبقايا الرأسمالية التي بدأت تتهاوى في أكثر من بقعة على وجه الأرض نتيجة ظلمها واستبدادها وطغيانها.

ويظل المنهج القرآني وحده هو المنهج الواقعي الذي لا يخدع الناس ولا يغشهم، ولا يجعلهم يعيشون الأمانى والأحلام، كما لا ينسلخ بهم عن واقعهم وطبيعة حياتهم، وإنما يربطهم بواقعهم ويأخذ بأيديهم للمشاركة في بنائه وإعمارهم (٤). قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } (٥).

إن واقعية المنهج القرآني في التربية هي التي مكنت الإنسان من إشباع حاجاته الأساسية والارتقاء بجسده وروحه معاً، وجعلته يتصف بالتميز والاندماج في المجتمع الذي يعيش فيه في آن واحد، كما مكنته من إيجاد التوازن المطلوب بين جوانب شخصيته المختلفة، ومكنته كذلك من تطبيق هذا المنهج في واقع حياته بسهولة ويسر بل وعن رغبة واقتناع. قال تعالى: { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (٦).

(١) سورة الفرقان: الآيات: ٤٥-٤٩.

(٢) ينظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ٢٧٥-٢٩٤.

(٣) سورة النساء: الآية: ١.

(٤) ينظر: منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع: ٣٩٩، ٤٠٠.

(٥) سورة الرعد: الآية: ١١.

(٦) سورة الأعراف: الآيتان: ٣١، ٣٢.

وتعمل التربية القيادية خلال إعدادها وتأهيلها للقيادات بواقعية متناهية تجعل من الشخصية القيادية شخصية سوية متزنة قوية: في عقيدتها وعبادتها دون رهبانية وتزمت، وفي تفتحها دون تفسخ وانحلال، وفي حزمها دون قسوة وغلظة، وفي تواضعها دون هوان ومذلة، وفي تسامحها دون خوف وخنوع، وفي اعتدادها بالذات دون كبرياء وغطرسة، وفي ميلها الاجتماعي دون ضعف وخنوع، وفي نزعتها الفردية دون أنانية وأثرة، وفي اجتهادها فيما يصلح حياتها دون غش وخداع وفي دنياها بحسن الطاعات والعبادات والسعي المشروع لنيل طبيباتها بما لا يتعارض مع مقتضيات أخراها^(١). قال تعالى: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ }^(٢).

ولا شك أن هذه الواقعية في التربية تنعكس إيجاباً على حياة الشخصيات القيادية خلال معاشتها للواقع وتعاملها الواعي مع متفرعات، ذلك أن القيادة يناط بها تحقيق أهداف معينة وغايات محددة، وتحقيق هذه الأهداف والغايات مرتبط إلى حد كبير بالواقع المعاش والاعتبارات البيئية والظروف الداخلية والخارجية المحيطة بمجال العمل، وعلى القيادة أن توائم باستمرار بين الواقع الذي تعيشه وبين المبادئ التي تؤمن بها والأهداف التي تسعى لتحقيقها.

وإذا كانت الأهداف والغايات ثابتة نسبياً فإن أرض الواقع في تغير مستمر، الأمر الذي يفرض على القيادات أن تتكيف مع واقعها وأن تجمع بين مواكبة المتغيرات والحفاظ على الغايات، حتى لا تصطدم بالواقع وتتحول أهدافها وغاياتها إلى أحلام وخيالات.

إن على القيادة أن تكون واقعية وموضوعية إذا أرادت النجاح في مهمتها وأن تأخذ في حساباتها:

١- القدرات التي تمتلكها، والظروف الشخصية التي تمر بها.

٢- ظروف وقدرات المرؤوسين والتابعين.

٣- الاعتبارات والظروف الداخلية والخارجية المحيطة بها وبالأتباع.

٤- مدى واقعية الأهداف المراد تحقيقها.^(٣)

وعلى قدر التزام القيادة بالواقعية في تخطيطها وتنفيذها تكون أقرب إلى النجاح في واجباتها. قال تعالى: { قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا تَبِعُوا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ }^(٤). وقال تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْهَكْمِ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا }^(٥).

(١) فلسفة التربية الإسلامية للزنتاني: ٤٤٩، ٤٥٠.

(٢) سورة القصص: الآية: ٧٧.

(٣) ينظر: القيادة الإدارية في الإسلام لعبد الشافي أبو الفضل: ٢٣٦، ٢٣٧.

(٤) سورة الأنعام: الآية: ٥٠.

(٥) سورة الكهف: الآية: ١١٠.

المطلب الثاني
مظاهر الواقعية

جاء المنهج القرآني في التربية القيادية واقعياً في جميع جوانبه ومجالاته، فهو واقعي في أحكامه وتكليفه، وفي نظرتة إلى الإنسان، وكذلك في نظرتة إلى الحياة وكيفية التعامل معها وهو ما يتضح من خلال الآتي:

أولاً: واقعية العقيدة:

العقيدة الإسلامية عقيدة واقعية بعيدة عن الخيالات والأوهام والخرافات ولعل أبرز الدلائل المشيرة إلى واقعيتها ما يأتي:

١- اعتماد الإيمان بها على الوحي والعقل معاً دون إلغاء لأحدهما، فهي تجعل الوحي مرشداً للعقل وعاصماً له من الزلل. قال تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ }^(١).

وقال تعالى: { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ }^(٢).

٢- دعوتها إلى الإيمان بالله واحد يتصف بجميع صفات الجلال والكمال، وهو ما يتماشى مع العقل والفطرة والواقع. قال تعالى: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا }^(٣).

٣- بشرية الرسل، وهو ما يتوافق مع طبيعة المرسل إليهم حتى يتم التبليغ ويتحقق التآسي. قال تعالى: { وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْنُونُ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا }^(٤).

٤- تقرير حقيقة اليوم الآخر بما فيه من ثواب وعقاب، وهو ما يتماشى مع منطق العقل والفطرة في عدم التسوية بين المطيع والعاصي والمحسن والمسيء. قال تعالى: { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ }^(٥). وقال تعالى: { وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ }^(٦).

ثانياً: واقعية العبادة:

جاء المنهج القرآني واقعياً في عباداته التي شرعها وطالب الإنسان بأدائها من عدة نواح منها:

١- كونها في دائرة الوسع والطاقة فلا تضيق على الناس ولا ترهقهم. قال تعالى: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا }^(٧).

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٩٠.

(٢) سورة النجم: الآيتان: ٣، ٤.

(٣) سورة الأنبياء: الآية: ٢٢.

(٤) سورة الإسراء: الآيتان: ٩٤، ٩٥.

(٥) سورة ص: الآية: ٢٨.

(٦) سورة غافر: الآية: ٥٨.

(٧) سورة البقرة: الآية: ٢٨٦.

٢- استيعابها لجزء يسير من وقت الإنسان وبما لا يشغله عن تحصيل رزقه وممارسة أنشطته المختلفة التي عدها الإسلام عبادة أيضاً. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }^(١). وقال تعالى: { لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ }^(٢).

٣- مراعاتها للظروف الخاصة والأحوال الطارئة، كالمرض والشيخوخة والسفر والإكراه وغيرها من القضايا التي شرعت من أجلها الرخص. قال تعالى: { أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٍ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ }^(٣) وقال تعالى: { وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا }^(٤).

٤- توافقتها من الفطرة الإنسانية سريعة الملل، حيث تنوعت ما بين بدنيه كالصلاة والصيام، ومالية كالزكاة، وبدنية مالية كالحج والعمرة والجهاد، وما بين يومية كالصلاة، وموسمية سنوية كالصيام والزكاة، ومرة في العمر كالحج^(٥).

٥- عمومها لجميع أوجه النشاط الإنساني الدنيوي والأخروي. قال تعالى: { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }^(٦).

ثالثاً: واقعية التشريع:

جاء المنهج القرآني بتشريعات واقعية راعت فطرة الإنسان واستوعبته في جميع جوانب حياته، وتعاملت معه كما خلقه الله U ، ولعل أبرز هذه الجوانب:

١- الجانب السياسي:

وتتجلى واقعية المنهج القرآني في ترك الحرية للأمة لاختيار الشكل المناسب الذي يقوم عليه نظام حكمها بما يتناسب مع واقعها وظروفها، ولكن بشرط عدم الإخلال بالمبادئ الأساسية التي يقوم عليها نظام الحكم الإسلامي من حرية وشورى وعدالة ومساواة. قال تعالى: { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ }^(٧).

(١) سورة الجمعة: الآيتان: ٩، ١٠.

(٢) سورة البقرة: الآية: ١٩٨.

(٣) سورة البقرة: الآية: ١٨٤.

(٤) سورة المائدة: الآية: ٦.

(٥) ينظر: الخصائص العامة للإسلام: ١٥١.

(٦) سورة الأنعام: الآية: ١٦٢.

(٧) سورة الشورى: الآية: ٣٨.



٢- الجانب الاقتصادي:

وتتمثل واقعيته في التوازن الدقيق الذي أحدثه المنهج القرآني بين الفرد والمجتمع والمحافظة على حقوق كل منهما، والاعتراف بحب الإنسان للمال والميل إلى تحصيله، وبالتالي تشريع الوسائل الملبية لهذه الرغبة. قال تعالى: { زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالحَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } (١).

٣- الجانب الاجتماعي: وتتجسد واقعية المنهج القرآني فيما يأتي:

- أ. الاعتراف بحاجة الإنسان إلى الاجتماع والاختلاط بيني جنسه وتبادل المنافع معهم. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا } (٢).
- ب. الاعتراف بالغريزة الجنسية وقوتها وتشريع الزواج لتصرفها. قال تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً } (٣).
- ج. إنصاف المرأة وتقدير دورها والنظر إليها كشريك للرجل في الحقوق والواجبات. قال تعالى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً } (٤).
- د. إباحة تعدد الزوجات كعلاج واقعي يحفظ تماسك الحياة الأسرية واستمرارها. قال تعالى: { فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ } (٥).
- هـ. إباحة الطلاق كحل واقعي عند استحالة استمرار الحياة الزوجية. قال تعالى: { الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ } (٦). وغير ذلك من مظاهر الواقعية في العقيدة والعبادة والتشريعات والتي تتواءم مع فطرة الإنسان وتكوينه الجسمي والروحي، بعكس المناهج الأخرى التي تصادم فطرة الإنسان ويستحل تطبيقها في واقع حياته (٧).

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٤.

(٢) سورة الحجرات: الآية: ١٣.

(٣) سورة الروم: الآية: ٢١.

(٤) سورة النحل: الآية: ٩٧.

(٥) سورة النساء: الآية: ٣.

(٦) سورة البقرة: الآية: ٢٢٩.

(٧) ينظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ٣٠٢-٣٠٥، الخصائص العامة للإسلام: ١٥٩، منهج القرآن الكريم في إصلاح



رابعاً: واقعية الأحكام والتكاليف:

المتأمل للمنهج القرآني وتكاليفه يدرك أنها في منتهى الواقعية ، وأنها ليست إغراقاً في الخيالات والأحلام وهو ما يلمس من خلال الآتي:

١- أنها تربط الإنسان بالآخرة دون أن تنزعه من الدنيا. قال تعالى: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا } (١).

٢- تحقيق مصلحة الإنسان وضمان سعادته في الدنيا والآخرة. قال تعالى: { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ } (٢).

٣- الجمع بين نصوص الوحي ، ومنطق العقل ، وعاطفة القلب في توافق تام وانسجام بديع.

٤- تلبية رغبات الإنسان، وإشباع غرائزه، وسد حاجته دون الإخلال بقيمة مبادئه أو كبت فطرته. قال تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (٣).

٥- مراعاة الحالات الاستثنائية ، والظروف الاضطرارية ، والفروق الفردية بين المكلفين. قال تعالى: { لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ } (٤).

٦- السهولة واليسر والبعد عن العنت والإرهاق (٥). قال تعالى: { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } (٦). وقال تعالى: { مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ } (٦).

خامساً: واقعية النظرة إلى الحياة والتعامل معها:

يقرر المنهج القرآني أن الدنيا زائلة وأن الآخرة هي الباقية وبالتالي جعل منها مزرعة للآخرة، وأمر الإنسان بعمارته وتنميتها والقيام بواجبات الخلافة فيها، ولذلك لا ينبغي إهمالها والانشغال عن عمارتها ولو كان ذلك بدعوى التفرغ للعبادة كما فعل بعض النصارى، كما لا يجوز الافتتان بها والانشغال بها عن عبادة الله والاستعداد للآخرة، قال تعالى: { وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } (٧). وقال تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } (٨). وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ } (٩). وبذلك

(١) سورة القصص: الآية: ٧٧.

(٢) سورة الإسراء: الآية: ٩.

(٣) سورة الروم: الآية: ٢١.

(٤) سورة النور: الآية: ٦١.

(٥) ينظر: منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع: ٤٠١.

(٦) سورة البقرة: الآية: ١٨٥.

(٧) سورة الحج: الآية: ٧٨.

(٨) سورة العنكبوت: الآية: ٦٤.

(٩) سورة الملك: الآية: ١٥.

تبرز واقعية المنهج القرآني الذي يعمل على الارتقاء الروحي بالإنسان في الوقت الذي يمكنه فيه إشباع رغباته وتلبية احتياجاته بالطرق المشروعة. قال تعالى: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا } (٢).

يقول سيد قطب رحمه الله: " وفي هذا يتمثل اعتدال المنهج القرآني الإلهي القويم. المنهج الذي يعلق قلب واجد المال بالآخرة. ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة. بل يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفاً ، كي لا يتزهّد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها.

لقد خلق الله طبيبات الحياة ليستمتع بها الناس؛ ويعملوا في الأرض لتوفيرها وتحصيلها، فتنمو الحياة وتتجدد، وتحقق خلافة الإنسان في هذه الأرض، ذلك على أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة، فلا ينحرفون عن طريقها، ولا يُشغلون بالمتاع عن تكاليفها. والمتاع في هذه الحالة لون من ألوان الشكر للمنعم، وتقبل لعطاياه، وانتفاع بها. فهو طاعة من الطاعات يجزي عليها الله بالحسنى" (٣). قال تعالى: { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (٤).

سادساً: واقعية النظرة إلى الشخصية الإنسانية:

تتنظر التربية القيادية إلى الشخصية الإنسانية نظرة احترام وتقدير، دون غلو في شخصه وإن كان نبياً مرسلًا، ولا تحقير لدوره وإن كان فقيراً معدماً، ولعل واقعية هذه النظرة إلى الشخصية الإنسانية تتمثل فيما يأتي:

١- مراعاة الطبيعة البشرية التي تجمع بين الروح والمادة: قال تعالى: { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } (٥).

٢- مراعاة الطاقات والإمكانات التي يتمتع بها كل فرد: قال تعالى: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } (٦).

٣- مراعاة الفروق الفردية بين الأشخاص: قال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ } (٧).

٤- مراعاة الفروق النوعية بين المكلفين، قال تعالى: { وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى } (٨).

(١) سورة فاطر: الآية: ٥.

(٢) سورة القصص: الآية: ٧٧.

(٣) في ظلال القرآن: ٥/ ٢٧١١.

(٤) سورة الأعراف: الآية: ٣٢.

(٥) سورة ص: الآيتان: ٧١، ٧٢.

(٦) سورة البقرة: الآية: ٢٨٦.

(٧) سورة الأنعام: الآية: ١٦٥.

(٨) سورة آل عمران: الآية: ٣٦.

٥- مراعاة التفاوت الفطري والعملي بين الأفراد واختلافهم في الفهم والعمل: قال تعالى: { تَمَّ أَوْرَثْنَا كِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } (١).

٦- مراعاة الظروف المحيطة بالإنسان والمؤثرة على تصرفاته: قال تعالى: { وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى } (٢). وقال تعالى: { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ } (٣).

هذه هي نظرة التربية القيادية الإسلامية إلى الشخصية الإنسانية بجوانبها المختلفة، ونوازعها المتعددة، ومتطلباتها المتجددة، وهذا هو تعامل المنهج القرآني في التربية القيادية معها بكل واقعية وموضوعية (٤).

سابعاً: واقعية إعداد الشخصية القيادية وحل مشكلاتها:

تحرص التربية القيادية على الواقعية في تربية الأفراد وإعدادهم لتحمل المسؤولية، وحل المشكلات التي تعترضهم، ومن هذا المنطلق جاء اعترافها بضعف الإنسان وتقصيره ووقوعه في الأخطاء، وبالتالي فتحت له باب الأمل والتوبة لمعالجة هذه الأخطاء التي يقع فيها بما يتناسب مع واقعه والظروف المحيطة به وهو ما يمكن الإشارة إليه فيما يأتي:

١- مراعاة الضعف الإنساني:

يدرك المنهج القرآني في التربية القيادية ضعف الإنسان وعجزه فيعمل على إمداده بأسباب القوة والمنعة، ويحرص على مراعاة هذا الضعف عند تشريع الأحكام. قال تعالى: { يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا } (٥).

ومن الأمثلة الدالة على مراعاة هذا الضعف خلال مرحلة التربية والإعداد القيادي:

أ. فرض قيام الليل على المسلمين في بداية الدعوة ثم نسخه بعد ذلك: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا } (٦) وقال تعالى: { إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِّضُوا اللَّهَ

(١) سورة فاطر: الآية: ٣٢.

(٢) سورة الضحى: الآية: ٨.

(٣) سورة النحل: الآية: ١٢٦.

(٤) ينظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ٢٩٧-٣٠٢، منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع: ٤٠٥، ٤٠٦.

(٥) سورة النساء: الآية: ٢٨.

(٦) سورة المزمل: الآيات: ١-٤.



قَرَضًا حَسَنًا وَمَا تَقَدَّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ { (١).

ب. النهي عن القتال في بداية الدعوة ثم الإذن به بعد ذلك: قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ } (٢). و قال تعالى: { أُوذِيَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ } (٣).

ج. تحديد نسبة المواجهة المشروعة مع المشركين والتي لا يجوز الانسحاب فيها ثم تخفيفها. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } (٤).

ولعل من أروع المواقف التربوية في معالجة الضعف البشري موقف النبي ﷺ من الشباب الذي جاء يستأذنه في الزنا في الحديث الذي يرويه أبو أمامة **t** حيث قال له النبي ﷺ: (أحبب لأمك؟ أحبب لابنك؟ أحبب لأخنك؟ أحبب لعمنك؟ أحبب لخالك؟ كل ذلك والشاب يجيب: لا، جعلني الله فداك. والنبي ﷺ يقول فكذلك الناس لا يحبونه لأهملهم وأخواتهم وبناتهم وخالاتهم وعماتهم، ثم وضع النبي ﷺ يده على صدر الشاب وقال: "اللهم طهر قلبه واغش ذنبه وحصن فرجه" فلم يكن هناك شيء أبغض إليه من الزنا) (٥).

وهنا ندرك عظمة التربية القيادية الإسلامية حين نلمس قمة الواقعية ومنتهى الرحمة في معالجة النبي ﷺ لضعف هذا الشاب، حيث قدر فيه صراحته، وراعى شدة شهوته في هذا السن، فخاطبه خطاباً عقلائياً وأثار حميته، ورده إلى واقع الفطرة البشرية وطبيعة النفس الإنسانية وجعله حكماً في القضية، ومساهمياً في علاج مشكلته، ليكون ذلك أقرب لانقياده وأدعى لاقتناعه (٦).

٢- مراعاة التقصير البشري:

ما دام الإنسان يتصف بالضعف والعجز فإنه قد يقع في الخطأ والتقصير، ولذلك يفتح له المنهج القرآني باب الأمل والتوبة ويساعده على إصلاح خطئه وتجاوز محنته حتى لا يظل أسير الشعور بالذنب ويصل إلى مرحلة الإحباط واليأس. قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ } (٧).

إن الخطأ والتقصير أمر طبيعي في حياة البشر لا ينجو منه فرد ولا يخلو منه مجتمع، ويظل التفاوت بين الأفراد والمجتمعات في نسبة الأخطاء ونوعيتها، ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى وقوع الأخطاء في أفضل

(١) سورة المزمل: الآية: ٢٠.

(٢) سورة النساء: الآية: ٧٧.

(٣) سورة الحج: الآية: ٣٩.

(٤) سورة الأنفال: الآيتان: ٦٥، ٦٦.

(٥) مسند أحمد: ٥/٢٥٦ رقم (٢٢٢٦٥)، المعجم الكبير - سليمان بن أيوب الطبراني - تحقيق: حمدي بن عبد الحميد السلفي - ط: ٢ - مكتبة العلوم والحكم -

الموصل: ٨/١٦٢ رقم (٧٦٧٩) قال الهيثمي: "رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد: ١/١٢٩.

(٦) ينظر: منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع: ٤١٠.

(٧) سورة الأعراف: الآية: ٢٠١.

المجتمعات البشرية وخيرها على الإطلاق وهو مجتمع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم الذين تلقوا تربيتهم على يد النبي ﷺ حيث وقع عدد من الصحابة الكرام في أخطاء فردية مثل: شرب الخمر، والسرقه، والزنا، بل ومراسلة الأعداء، ومع ذلك خاطبهم الله تعالى بقوله: {وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (١).

كما وقعوا في أخطاء جماعية وصلت إلى حد عصيان الأمر النبوي حين جاءهم بالحق والتحلل من الإحرام يوم الحديبية، ومخالفة الرماة لتوجيهات النبي ﷺ يوم أحد، ومع ذلك أمر الله ﷻ بالعمو عنهم والتجاوز عن أخطائهم في قوله تعالى: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ } (٢).

إن المنهج القرآني وهو يؤكد على أهمية الواقعية في تربية وإعداد القيادات يحرص على تبصير هذه القيادات بواقعها وتربيتها على الاشتغال بإصلاحه وتغييره وعدم الالتفات إلى المسائل التي تعيق ذلك. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن شَيْءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ سُوؤُكُمْ } (٣).

وقد بلغ من فهم النبي ﷺ لواقعه ومعرفته به أن رفض إهلاك أهل مكة عندما عرض عليه ملك الجبال ذلك بعد عودته من الطائف (٤)، وعقد المعاهدة مع اليهود فور وصوله إلى المدينة لتحقيق الأمن والاستقرار وتثبيت أركان الدولة الإسلامية ثم أجلاهم عنها عند خيانتهم ونقضهم للعهد، وكذا صبره ﷺ على عبد الله بن أبي رغم علمه بنفاقه، وموافقته على عقد صلح الحديبية رغم أن شروطه في ظاهرها لصالح الأعداء.

(١) سورة آل عمران: الآيات: ١٣٣-١٣٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ١٥٩.

(٣) سورة المائدة: الآية: ١٠١.

(٤) الطائف: مدينة في الحجاز على بعد يوم على الطالع من مكة، والطائف العاص بالليل، سميت بالطائف لسور كان يحيطها وكانت تسمى وجأ نسبة إلى أحد العماليق، وهي أرض يكثر فيها الزرع والنخل والفاكهة، وبها مياه جارية، تسكنها تقيف والحميريون وبعض من قريش، فتحها النبي ﷺ سنة ٣ هـ. ينظر: معجم ما استعجم: ٨٨٦/٣، معجم البلدان: ٨/٤.



المبحث السادس الإيجابية والفاعلية

المطلب الأول مفهوم الإيجابية وأهميتها

وتعني في مفهوم المنهج القرآني أن: "يحس المسلم من وحي تصوره الإسلامي أنه - شخصياً- مطالب بأداء الشهادة لهذا الدين، لا يستريح ضميره ولا يطمئن باله... إلا أن يؤدي هذه الشهادة كاملة بكل تكاليفها في النفس والجهد والمال... وهو يؤدي هذه الشهادة أولاً في ذات نفسه بأن يطابق بين واقع حياته الشخصية في كل جزئية من جزئيات نشاطه، وبين التصور الذي يقوم عليه اعتقاده، وهو يؤديها ثانياً في دعوة الآخرين إلى هذا المنهج وبيانه لهم، وهو يؤديها أخيراً بالعمل على تحقيق منهج الله في حياة الناس، وإقامة النظام الذي ينبثق من ذلك التصور، وإقامة حياة الجماعة الإنسانية على أساس هذا النظام"^(١). قال تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا }^(٢). وقال تعالى: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ }^(٣).

وللإيجابية في المنهج القرآني صورتين رئيسيتين كما يذهب إلى ذلك الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى: الإيجابية الفاعلة في علاقة الله U بالإنسان والكون والحياة، والإيجابية الفاعلة من ناحية الإنسان ذاته في علاقته بخالقه U ثم ببني جنسه وبقية قوى الكون من حوله.

الصورة الأولى: في المنهج القرآني ليس هناك شك في إيجابية الله U في علاقته بكافة مخلوقاته وفي مقدمتها الإنسان. فالإنسان في المنهج القرآني " يتعامل مع إله موجود، خالق، مدبر، مهيم، قادر، فعال لما يريد... كامل الإيجابية والفاعلية... إليه يرجع الأمر كله. وإلى إرادته يرجع خلق هذا الكون ابتداءً، وكل انبثاقه فيه بعد ذلك، وكل حركة وكل تغير وكل تطور. ولا يتم في هذا الكون شيء إلا بإرادته وعلمه وتقديره وتدبيره. وهو - سبحانه - مباشر إرادته وعلمه وتدبيره بكل عبد من عباده في كل حال من أحواله ولكل حي ولكل شيء في هذا الوجود كذلك"^(٤).

(١) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ٢٦٦.

(٢) سورة البقرة: الآية: ١٤٣.

(٣) سورة البقرة: الآية: ١٤٠.

(٤) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ٢٥٠.

قال تعالى: { إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } (١). و قال تعالى: { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } (٢).

لقد شهدت البشرية العناية الإلهية وهي تتدخل علانية في شأن أسرة صغيرة، لتقرر الحكم في قضية امرأة وزوجها، كما شهدت في عتاب الله U لنبيه ٣ في شأن عبد الله بن أم مكتوم t وهو رجل أعمى. قال تعالى: { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } (٣). و قال تعالى: { عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُزَكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَا مِنْ اسْتَعْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى * وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى * كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ } (٤).

وشهدت هذا التدخل المباشر كذلك في الأحداث الكبرى: كالهجرة، وغزوتي بدر وأحد وغيرهما من الأحداث الكبرى، وكذلك في مواقف الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، وفي شأن الكون كله (٥). قال تعالى: { الْإِنْسَانُ أَنْفُسُهُمْ أَفَرَأَوْهُ وَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } (٦).

" إن هذه الإيجابية في علاقة الله - سبحانه - بخلائقه كلها، هي مفترق الطريق بين العقيدة الجدية المؤثرة، والعقيدة الصورية السلبية. وشمول هذه الإيجابية وتوحيدها هو مفترق الطريق كذلك بين التجمع في الكينونة الإنسانية والنشاط الإنساني، والتمزق في هذه الكينونة ونشاطها الحيوي" (٧). ولقد كان من أثر استقرار هذه الحقيقية في نفوس الصحابة الكرام ومعايشتهم لها ليل نهار أن عاشوا مع الله U في كل أحاسيسهم وجوارحهم، عاشوا في كنفه ورعايته، عاشوا يحسون وجوده، ويستشعرون عنايته، ويلمسون تدخله في جميع شؤونهم، ومن ثم وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الحساسية والطمأنينة، واليقظة والراحة، والتوكل والفاعلية، وانطلقوا يرشدون الناس، ويعمرون الأرض، وينفذون الإنسانية (٨).

(١) سورة الأعراف: الآية: ٥٤.

(٢) سورة آل عمران: الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٣) سورة المجادلة: الآية: ١.

(٤) سورة عبس: الآيات: ١- ١٢.

(٥) ينظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ٢٥٦، ٢٦٢.

(٦) سورة التوبة: الآية: ٤٠.

(٧) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ٢٥٣.

(٨) ينظر: المصدر نفسه: ٢٦٢، ٢٦٣.



أما الصورة الثانية من صور الإيجابية في المنهج القرآني فهي "إيجابية الإنسان في الكون، وإيجابية المؤمن في هذه العقيدة وفي واقع الحياة على وجه خاص.

إن هذا التصور ما يكاد يستقر في الضمير، حتى يتحرك ليحقق مدلوله في صورة عملية، وليترجم ذاته في حالة واقعية. والمؤمن بهذا الدين ما يكاد الإيمان يستقر في ضميره حتى يحس أنه قوة فاعلة مؤثرة فاعلة في ذات نفسه وفي الكون من حوله.

إن التصور الإسلامي ليس تصوراً سلبياً يعيش في علام الضمير. قانعاً بوجوده هناك في صورة مثالية نظرية! أو تصوفية روحانية! إنما هو تصميم لواقع مطلوب إنشاؤه وفق هذا التصميم. وطالما أن هذا الواقع لم يوجد فلا قيمة لذلك التصميم في ذاته، إلا باعتباره حافزاً لا يهدأ لتحقيق ذاته.

هذا ما يثيره التصور الإسلامي في شعور المسلم.. ومن ثم يجد دائماً هاتفاً ملحاً في أعماقه، يهيب به إلى تحقيق هذا التصور في دنيا الواقع، ويورقه حتى يهب للعمل، ويفرغ طاقته الإيمانية كلها في هذا العمل الإيجابي البناء. وفي إنشاء واقع تتمثل فيه هذه العقيدة في حياة الناس^(١).

إن في المنهج القرآني ما يدفع إلى الإيجابية والتفاعل البناء فحيث ما ذكر الإيمان أو المؤمنون ذكر العمل باعتباره الدليل العملي والترجمة الواقعية لهذا الإيمان. قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ }^(٢). و قال تعالى: { وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ }^(٣).

وقد أدرك النبي ٣ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم هذه الحقيقة فأسسوا دولة الإسلام في قلوبهم، وأقاموا سلطانها على أرضهم، ولم يرضوا بأقل من خضوع الأمم لها ودخولها تحت رايتها، ولذلك انطلقوا في ربوع الأرض داعين ومعلمين، مجاهدين وقاتحين، ينشرون النور والعدل، ويحررون الأرض والإنسان.

انطلقوا وهم يدركون أن عقيدتهم تحتاج إلى جهد، وأن دعوتهم لا بد لها من بذل، وأن منهجهم يحتاج إلى حركة فاعلة حتى يتحقق في واقع الحياة وهو ما كان.

والمسلم يعلم أنه مستخلف في الأرض ليقوم بعمارته وتنميتها وإصلاحها وفق منهج الله U، وهو معان على ذلك بما وهبه الله U من القوى والاستعدادات وبما سخره له من قوى الكون المختلفة. قال تعالى: { وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }^(٤).

و قال تعالى: { أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ }^(٥).

(١) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ٢٦٣ ، ٢٦٤.

(٢) سورة الحجرات: الآية: ١٥.

(٣) سورة العصر: الآيات: ١ - ٤.

(٤) سورة النحل: الآية: ٧٨.

(٥) سورة لقمان: الآية: ٢٠.



وهو مع كل ذلك موعود بالأجر الكبير والسعادة الدائمة إن هو قام بمهمته على الوجه المطلوب. قال تعالى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (٢).

ولا تكفي التربية القيادية الإسلامية بأن ترفع عن الفرد الشعور بالسلبية بل تمده بمقومات ودوافع الحركة الإيجابية كذلك، إذ تعلمه أن قدر الله U فيه وفي الكون والحياة من حوله إنما ينفذ من خلاله وعن طريق حركته هو ذاته. قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } (٣). و قال تعالى: { وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ } (٤). وقال تعالى: { قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (٥).

كما تعلمه أنه ليس مسؤولاً عن نفسه فقط وإنما هو مسؤول كذلك عن المجتمع الذي ينتمي إليه والكون الفسيح الذي يعيش في رحابه. قال تعالى: { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } (٦). و قال تعالى: { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (٧).

وبهذا كله يستشعر المسلم أن وجوده على الأرض ليس مصادفة أو فلتة عابرة، وإنما هو قدر مقدور مخطط له، ومرسوم له طريقه ووجهته وغاية وجوده، وهو ما يرفع من قيمته أمام نفسه، ويدفعه للحركة والعمل والفاعلية (٨). قال تعالى: { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } (٩).

إن التربية القيادية الإسلامية تحرص على تكوين الشخصية القيادية الفاعلة في علاقاتها بربها وفي علاقاتها بنفسها وفي علاقاتها بالمجتمع وقوى الكون المختلفة من حولها، بعيداً عن اضطراب الرؤى والأهداف أو سلبية الأعمال والتصرفات. ولذلك عملت على تكوين الرؤية الواضحة لدى الإنسان حول ذاته نشأة ومصيراً، وحول دوره في الحياة مهمة وهدفاً، لا كما تصنع كثير من المناهج والفلسفات التربوية التي تخرج أجيالاً مزعزعة العقيدة، متشقة الأفكار مضطربة الرؤى منحرفة الأخلاق والسلوك لا تعرف هدفها في الحياة ولا تدرك الحكمة من وجودها على هذه الأرض ولا تعلم شيئاً عن نشأتها الأولى ولا عن مصيرها المحتوم، وهو ما صورتها قصيدة الطلاس لإيليا أبي ماضي التي يقول فيها:

(٢) سورة النحل: الآية: ٩٧.

(٣) سورة الرعد: الآية: ١١.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٢٥١.

(٥) سورة التوبة: الآيات: ١٤، ١٥.

(٦) سورة الأحزاب: الآية: ٧٢.

(٧) سورة الأنفال: الآية: ٢٥.

(٨) ينظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ٢٦٨ - ٢٧٣.

(٩) سورة المؤمنون: الآية: ١١٥.



جئت لا أعلم من أين ؟ ولكني أتيت .
ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت .
وسأبقى ماشياً إن شئت هذا أم أبيت .
كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقي... ؟ لست أدري^(١) !.

كما تحرص التربية القيادية بشكل خاص على إعداد الشخصية القيادية التي تتسم بالحركة والنشاط والإيجابية والفاعلية؛ بعيداً عن الكسل والخمول والتفوق والسلبية، ذلك أن القادة يجب أن يكونوا متميزين في حركتهم وفعاليتهم حتى يتمكنوا من القيام بواجباتهم القيادية على الوجه المطلوب.

إن الإيجابية المطلوبة تتمثل في تحسين العلاقة بالله U والتزام منهجه، وتحرير النفس الإنسانية من أطماعها وشهواتها والارتفاع بها عن حدود الذات والأناء، وتقديم الخير للآخرين والعمل على إسعادهم، وتسخير قوى الكون المختلفة لصالح البشرية تقدماً ورخاءً وأماناً واستقراراً.

وهي في مدارها الأرحب تطبع صاحبها بطابع الإحسان، والإخلاص، والثبات على المبدأ، والصبر على الأذى، والدأب الذي لا تصرمة الخيبة ولا تقهره الظروف ولا يخالطه اليأس مهما بعدت الشقة وعز المنال وصعب المسير وهذا ما لا يقدر عليه سوى المتميزون^(٢).

إن من الإنصاف القول: إن السواد الأعظم من الناس أشخاص عاديون؛ لأنهم لا يريدون أن يبذلوا جهداً، وأن نسبة المتميزين أقل بكثير مما هو مفترض ، رغم أن بإمكان كل إنسان أن يتميز في جانب أو أكثر من جوانب شخصيته أو عمله أو سلوكه ، وكل ما يحتاج إليه هو المبادرة إلى اكتشاف ذاته ، والتعرف على جوانب تميزه ، وبذل شيءٍ من الجهد في سبيل تنميتها^(٣).

ومن المؤسف والمحزن القول: إن الغالبية العظمى من هؤلاء العاديين هم من المسلمين لا فرق في ذلك بين القادة والأفراد، وهي قاعدة لا يشذ عنها سوى نسبة ضئيلة من المتميزين الذين جاء تميزهم نتيجة جهد شخصي من قبلهم أو نتيجة وجودهم خارج بلدانهم، وهذه نسبة لا تستفيد الأمة من قدرتها وفعاليتها شيئاً، فالموجودون منهم في الخارج يستفيد الأعداء من فعاليتهم ويضيفونها لحرب الأمة الإسلامية، والمتواجدون في الداخل مضايقون ومهمشون ومستبعدون عن مواقع القرار والتأثير، ومن قدر له أن يتولى مسؤولية ما فإنه يصعب عليه الإصلاح فضلاً عن التغيير .

ويظل الأمر بيد الغالبية من العاديين والسليبين الذين يتسلق على أكتافهم الرؤساء والزعماء، ومن بين صفوفهم ينبري المنافقون والمتزلفون، وفي ظل تخاذلهم تصادر الحريات وتنتهك الحرمات وتتهب الثروات وتحتل الأوطان وهم مع كل ذلك كما قال الشاعر:

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً
وما من ذاك شيء في يديه^(٤).

يقول الدكتور هشام الطالب في كتابه القيم دليل التدريب القيادي تحت عنوان لا تكن مثل السيد العادي " ولد السيد " العادي" سنة ١٩٠١م وكانت درجاته الدراسية دون المتوسط، وتزوج الأنسة " متوسطة " في سنة ١٩٢٤م، ورزق بطفل سماه " العادي الابن " وابنة سماها " العاديه " . قضى أربعين سنة في أمور غير ذات قيمة

(١) إيليا أبي ماضي شاعر المهجر الكبير - طبعة دار اليقظة العربية - دمشق: ٣٨٥.

(٢) ينظر: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده - د. يوسف القرضاوي - ط: ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت: ٨٦.

(٣) ينظر: مدخل إلى التنمية المتكاملة - د. عبد الكريم بكر - ط: ١ - دار المسلم - الرياض: ٣١٠.

(٤) الشوقيات - أحمد شوقي - طبعة المكتبة التجارية الكبرى - مصر: ١٣٦/٢.

أو نفع وشغل عددا من المراكز التافهة. لم يجرب أبداً أي مخاطرة أو فرصة؛ وتعتمد ألا يطور مواهبه، ولم يتعاط مع أحد في أي شيء كان. كان شعاره المفضل " لا دخل لي في هذا ! إبعد عن الشر وغن له ". عاش ٦٠ سنة بدون هدف ولا خطة ولا رغبات ولا ثقة ولا عزم أو تصميم. كتبوا على شاهد قبره:
هنا يرقد:

السيد " العادي "

ولد سنة ١٩٠١م ومات سنة ١٩٢١م، ودفن سنة ١٩٦٤م.

لم يحاول أبداً أن يفعل أي شيء.

طلب من الحياة القليل.

ودفعت الحياة ثمنه!^(١)

وانطلاقاً مما سبق حرصت التربية القيادية الإسلامية على التحقق بصفة الإيجابية في أهدافها وأساليبها ، وفي فهمها للواقع وتعاملها مع النفوس البشرية ، كما حرصت على تركيز الجهود وحشد الإمكانيات من أجل بناء وإعداد القيادات الفاعلة ، المؤمنة بربها ، الملتزمة بعقيدها ، البصيرة بواقعها ، والمستوعبة لدورها وواجبها في الحياة.

وقد أثمرت هذه الجهود ظهور قياداتٍ فاعلةٍ قادت البشرية وغيرت وجه التاريخ وفي مقدمة هذه القيادات الأنبياء والمرسلون عليهم السلام، وجيل الصحابة رضوان الله عليهم، وغيرهم من قيادات الأمة عبر تاريخها الطويل ، أمثال قتيبة بن مسلم الباهلي، وصلاح الدين ، وقطرز ، ومحمد الفاتح ، والأئمة الأربعة أبو حنيفة ومالك وأحمد والشافعي ، وابن تيمية ، والعز بن عبد السلام، والشوكاني وابن الأمير ، وكذلك قيادات العصر الحديث وفي مقدمتهم جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، ومحمد رشيد رضا ، ومحمد بن عبد الوهاب ، وحسن البنا ، وعز الدين القسام ، وعمر المختار ، وأحمد ياسين وغيرهم وغيرهم من قيادات الأمة في مجالات حياتها المختلفة.

وفي ظل الأوضاع المتردية التي تعيشها الأمة اليوم يظل الأمل بعد الله U مرهوناً بوجود القيادات الفاعلة التي ينتجها منهج القرآن الكريم في بناء وإعداد القيادات، لا القيادات والزعامات المتخاذلة التي لم تأخذ نصيبها من التربية والإعداد وفق هذا المنهج.

(١) دليل التدريب القيادي: ٢٧٠.



المطلب الثاني
مظاهر الإيجابية

يعد بناء وإعداد القيادات الفاعلة أول الأهداف التي تسعى التربية القيادية في المنهج القرآني إلى تحقيقها وتسلك في سبيل تنمية هذه الفعالية والإيجابية سبلاً شتى لعل من أبرزها:

١- تحسين الصورة الذاتية للإنسان أمام نفسه والآخرين: قال تعالى: { بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ }^(١).

٢- إشعار الإنسان بقدرته على التغيير: قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ }^(٢).

٣- تكوين الجاهزية للعطاء والبذل وتعدّي النفع للآخرين: قال تعالى: { وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ }^(٣).

٤- تشجيع المبادرات الفردية والمسابقة إلى فعل الخيرات: قال تعالى: { أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ }^(٤).

٥- الحث على العمل والسعي في طلب الرزق: قال تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }^(٥).

٦- الدعوة إلى طلب العلم واحترام التخصص: قال تعالى: { فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ }^(٦).

٧- الأمر بالدعوة إلى الله ﷻ: قال تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }^(٧).

٨- الأمر بإصلاح ذات البين: قال تعالى: { لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ }^(٨).

٩- التعاون على البر والتقوى: قال تعالى: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ }^(٩).

١٠- ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قال تعالى: { وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }^(١٠).

(١) سورة القيامة: الآيتان: ١٤، ١٥.

(٢) سورة الرعد: الآية: ١١.

(٣) سورة الحشر: الآية: ٩.

(٤) سورة المؤمنون: ٦١.

(٥) سورة الملك: الآية: ١٥.

(٦) سورة التوبة: ١٢٢.

(٧) سورة النحل: الآية: ١٢٥.

(٨) سورة النساء: الآية: ١١٤.

(٩) سورة المائدة: الآية: ٢.



- ١١- الأمر بالجهاد إعلاءً لكلمة الله U وحمايةً للأوطان والحرمات: قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ انْتِهَآءَ مَا يَعْْمَلُونَ بِمَا اللَّهُ بِمَا يَسْبِغُونَ بِصِيرٍ } (٢).
- ١٢- القيام بواجب النصيحة: قال تعالى: { وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } (٣).
- ١٣- الأمر بأداء الحقوق: قال تعالى: { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فُخُورًا } (٤).
- ١٤- الدعوة للتفاعل مع الأحداث والمواقف التي تمر بها الأمة.
- وغير ذلك من مظاهر الإيجابية التي تحرص التربية القيادية على غرسها في نفوس الأفراد وتربيتهم عليها (٥).

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٠٤.

(٢) سورة الأنفال: الآية: ٣٩.

(٣) سورة الأعراف: الآية: ١٦٣.

(٤) سورة النساء: الآية: ٣٦.

(٥) يراجع: الإسلام والعلاج النفسي- د. عبد الرحمن العيسوي- طبعة دار الفكر الجامعي- الإسكندرية- مصر: ٥٥- ٦٠، مقدمات للنهوض

بالعمل الدعوي: ٢٦٢- ٢٦٨.



المبحث السابع
التدرج والمرحلية

المطلب الأول
مفهوم التدرج وأهميته

التدرج لغةً: من الدرج ، يقال: تدرج فلان أي: تصعد درجة درجة، واستدرجته أخذته قليلاً قليلاً. ودرج الصبي: أخذ في الحركة ومشى قليلاً أول ما يمشي ، ودرجت الريح: مرت مرأً هيناً^(١). ويراد بالتدرج هنا التدرج في التربية وإيصال المفاهيم ، ومراعاة الوقت المناسب في تغيير العادات والسلوكيات الخاطئة المتمكنة في النفوس ما أمكن ذلك^(٢).

والتدرج سنة من سنن الله U في الكون والإنسان والحياة ، فالقمر مثلاً يمر بمراحل متعددة حتى يكتمل ويصير بديراً ، وكذلك الإنسان الذي يولد طفلاً ضعيفاً لا يستغني عن أمه ثم ينتقل إلى مرحلة الشباب والقوة ليمر بعدها بمرحلة الرجولة والنضج وينتهي به المطاف أخيراً إن طالت به الحياة إلى مرحلة الشيخوخة بما يصاحبها من ضعف وحاجة إلى الآخرين^(٣). قال تعالى: { وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ }^(٤). وقال تعالى: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ }^(٥).

والتدرج سمة بارزة من سمات المنهج القرآني في تربية وإعداد القيادات ذلك أن عملية الإعداد والتربية لا يمكن أن تتحقق دفعةً واحدةً أو أن تكتمل بين عشية وضحاها ، إذ لابد من التهيئة النفسية والفكرية والأخلاقية والاجتماعية التي تسبق عملية الإعداد ذاتها ، والتي يتم فيها تنقية النفس البشرية مما علق بها من شوائب الجاهلية ومعوقات الحركة والانطلاق، وكذلك الأمر في بناء الأمم والمجتمعات.

" إن بناء الدولة وإصلاح المجتمع لابد فيه من التدرج؛ لأن البناء الذي انهدم في عدة قرون لا يمكن أن يتم إعادة بناء صرحه في خلال أسابيع أو أعوام قليلة ولذلك كان كثير من المصلحين يقولون: الزمن جزء من العلاج، وهذا صحيح فالدواء الذي لابد أن يتجرعه المريض فيصحو ينبغي أن يعطى له على جرعات"^(٦).

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة- مادة درج: ٣٣٥ ، لسان العرب- مادة درج: ٢ / ٢٦٦.

(٢) ينظر: منهج التربية الإسلامية- د. محمد قطب- ط: ١٠- دار الشروق- بيروت: ١ / ٢٠١.

(٣) راجع: التربية في الإسلام النظرية والمنهج: ٢٧٣-٣٤٨.

(٤) سورة يس: الآية: ٣٩.

(٥) سورة الروم: الآية: ٥٤.

(٦) فقه الدعوة الإسلامية ومشكلات الدعوة- محمد الغزالي: ١٣ ، ١٤ (نقلاً عن: منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع: ٤٢٥).

ولقد راعى المنهج القرآني سنة التدرج في كثيرٍ من تشريعاته، فالفرائض كالصلاة والصيام والزكاة تم فرضها على مراحل حتى وصلت إلى صورتها النهائية التي هي عليها الآن ، وكذلك المحرمات مثل الخمر والربا لم يأت تحريمها دفعةً واحدةً وإنما عبر عدة مراحل انطلاقاً من علم الله U بمدى سلطانها على النفوس وتغلغلها في القلوب وانتشارها بين أفراد المجتمع.

وهناك قاعدة أساسية يجب التنبيه عليها وهي أن الأمر أو النهي إذا كان متعلقاً بالمسائل الاعتقادية فإن المنهج القرآني يقضي فيها قضاءً حاسماً منذ اللحظة الأولى دون تردد أو حرج، أما عندما يتعلق بعبادة أو تقليد أو بوضع اجتماعي معقد فإن المنهج القرآني يتريث ويأخذ المسألة باليسر والرفق ، ويعالجها بتدرج ومرحلية بعد أن يكون قد هياً الظروف الواقعية التي تيسر التنفيذ والطاعة^(١).

ولعل مما يؤكد أهمية التدرج كسمة من أبرز سمات المنهج القرآني ما يأتي:

١- التدرج في طريقة الوحي:

فقد روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء، فينحس فيه - وهو العبد - الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله وينزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء...)^(٢). ولعل الحكمة من ابتداء الوحي بالرؤيا الصادقة في المنام تعويد النبي ﷺ وتدريبه إذ لو أتاه الملك فجأة فقد يصيبه شيء من الفزع والذهول ولا يستطيع أن يتلقى منه شيئاً^(٣).

٢- التدرج في نزول القرآن الكريم:

فقد كان نزول القرآن الكريم منجماً حسب الوقائع والأحداث تحقيقاً لسنة التدرج في تربية الأمة والارتقاء بها في كافة مجالات الحياة. قال تعالى: { وَقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكثٍ ونزلناه تنزيلاً }^(٤).

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ١/٢٢٩.

(٢) صحيح البخاري - كتاب بدء الوحي - باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: ٣/٤١ رقم (٣)، صحيح مسلم - كتاب التفسير - باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: ١/١٤٠ رقم (١٦٠) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١/٣٥ رقم (٩٩).

(٣) يراجع: السيرة النبوية - د. علي محمد محمد الصلابي - ط: ١ - مكتبة الصحابة - الشارقة - الإمارات: ١/٩٥ - ١٠٥.

(٤) سورة الإسراء: الآية: ١٠٦.

قال ابن كثير رحمه الله: "وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ". أي: فصلناه من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل مفزقاً منجماً على حسب الوقائع إلى الرسول ٣ في ثلاث وعشرين سنة" (١).
وقال سيد قطب رحمه الله: "لقد جاء القرآن الكريم مفزقاً وفق الحاجات الواقعية للأمة، ووفق الملابس التي صاحبت فترة التربية الأولى" (٢).

وهذا المعنى تؤكدُه أم المؤمنين عائشة رضی الله عنها بقولها: (إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ٣ - وإنني لجاريتة العبد - { بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ } (٣). وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده (٤).

يقول ابن حجر رحمه الله: "أشارت إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل، وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة والكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس إلى ذلك أنزلت الأحكام، ولهذا قالت: "ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندعها" وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف" (٥).

٣- التدرج في الدعوة:

أمر الله U نبيه ٣ بالقراءة في نفسه عندما نزل عليه الوحي أول مرة بقوله تعالى: { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } (٦). وذلك في أول نبوته ٣، ثم أمره بالتبليغ في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ } (٧).
وقوله تعالى: { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } (٨) وقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } (٩)، فانطلق ٣ في دعوته مراعيًا سنة التدرج حيث بدأ بأهله وعشيرته، ثم انتقل إلى دعوة قومه ومن حولهم من العرب قبل أن يتوجه بدعوته إلى العرب قاطبة وإلى البشرية بشكل عام انطلاقاً من قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } (١٠).

(١) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٦٩.

(٢) في ظلال القرآن: ٤/ ٢٢٥٣.

(٣) سورة القمر: الآية: ٤٦.

(٤) صحيح البخاري - كتاب الفضائل - باب بل الساعة موعدهم: ٤/ ١٨٤٦ رقم (٤٥٩٥).

(٥) فتح الباري: ٩/ ٤٠.

(٦) سورة العلق: الآية: ١.

(٧) سورة المدثر: الآيتان: ١، ٢.

(٨) سورة الشعراء: الآية: ٢١٤.

(٩) سورة المائدة: الآية: ٦٧.

(١٠) سورة الأنبياء: الآية: ١٠٧.

وخلال مدة دعوته ٣ تدرج من الدعوة السرية إلى الجهرية، ومن الكف والصفح والصبر إلى الهجرة والدفاع عن النفس ثم مقاتلة من قاتله حتى جاءه الأمر الإلهي بمقاتلة المشركين كافة حتى يكون الدين كله لله (١).

٤- التدرج في التشريع:

راعى المنهج القرآني سمة التدرج في التشريع إيجاباً وتحريماً حيث تم فرض الفرائض كالصلاة والصيام والزكاة على مراحل حتى انتهت إلى الحالة التي هي عليها الآن، ومبدأ الوراثة لم يطبق سوى في السنة الثالثة من الهجرة، وكذلك الأمر بالنسبة لقوانين النكاح والطلاق حيث لم تكتمل تشريعاتها سوى في السنة الثامنة من الهجرة، أما المحرمات كالخمر والربا وغيرها مما يتعلق بالعادات الاجتماعية فلم يأت تحريمها دفعة واحدة وإنما روعي في تحريمها التهيئة النفسية والاجتماعية للأفراد والمجتمع والأخذ بسنة التدرج والمرحلية (٢).

"وقد كانت هذه المرحلية المتدرجة في تنزيل أحكام الدين سنة نبوية في التبشير بالإسلام، حيث كانت الأحكام التعبدية والأحكام المنظمة للحياة تنزل في الوحي منجمة، ويربى عليها المسلمون منجمة كذلك، وعلى مدى ثلاثة وعشرين عاماً خلصت الحياة بالتدرج من الجاهلية إلى الرشد، وأنجزت أحكام الدين في واقع الحياة، وكما كان التدرج في تنزيل الأحكام كميّاً بتواليها أحكاماً بعد أخرى، فقد كان كيفياً أيضاً بتصاعد الحكم الواحد من الأخف إلى الأشد في التكليف إيجاباً وتحريماً كما هو معلوم في إيجاب الصلاة وتحريم الخمر...

وليست وجوه الحكمة في التدرج بخافية، بل هي جلية ظاهرة سواء في مبدأ نزول الدين، أو في الأوضاع المتشابهة، التي قد تطرأ على المسلمين في كل مكان، ومن تلك الوجوه رفع الحرج، الذي يكون بالانتقال الفجائي من حال إلى حال، فان للاف والعادة تمكناً في النفس، يصعب معها الانقلاب منها إلى ما يضادها مرة واحدة، ويكون في انتزاعها شيئاً فشيئاً ما يسهل الخروج منها كلياً إلى وضع جديد، ومنها أن في التدرج تمرساً وخبرة بما يقع إنجازها مما يساعد كثيراً على إنجاز ما ينتظر أن ينجز... ومنها أن ظهور الآثار النافعة لتطبيق بعض الأحكام يدعو إلى الانخراط في خطة الإصلاح الشاملة" (٣).

ولقد أدرك الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله أهمية التدرج والمرحلية في عملية البناء والتغيير وأراد تعليمها لولده عبد الملك عندما عاتبه على وجود بعض البدع في المجتمع الإسلامي حيث قال له: "يا بني، إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة، وعروة عروة، ومتى ما أريد مكابدتهم على انتزاع ما في أيديهم، لم آمن أن يفتقوا علي فتقاً تكثر فيه الدماء، والله لزوال الدنيا أهون علي من أن يراق في سببي محجمة من دم، أو ما ترضى أن لا يأتي علي أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة، ويحي فيه سنة، حتى يحكم الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الحاكمين" (٤).

المطلب الثاني مظاهر التدرج والمرحلية

(١) ينظر: زاد المعاد- ابن القيم الجوزية- تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط- ط: ١٤- مؤسسة الرسالة- بيروت: ١/٨٥، السيرة النبوية للصلابي: ١/١١٢ - ١٤٠.

(٢) ينظر: الخصائص العامة للإسلام: ١٦٧، منهج القرآن في إصلاح المجتمع: ٤٢٩.

(٣) في فقه التدين فهماً وتنزيلاً - د. عبد المجيد النجار - ط: ١- مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية- قطر: ١٣٠/٢ - ١٣٢.

(٤) تأريخ الخلفاء- جلال الدين السيوطي- تحقيق وتخريج: قاسم الشامي ومحمد العثماني- ط: ١- دار القلم- بيروت: ٢٧٢.

تتعدد مظاهر التدرج والمرحلية في عملية بناء وإعداد القيادات لتشمل عدداً من الجوانب والمجالات والتي يمكن الإشارة إلى أبرزها فيما يأتي:

أولاً: التدرج في تنقية الشوائب وإزالة العادات الجاهلية:

تعد البيئة الاجتماعية من أهم العوامل المؤثرة في تكوين الشخصية الإنسانية بما تشتمل عليه من قيم ومبادئ وعادات وتقاليد، وقد يكون من بين هذه العادات والتقاليد ما هو سيء مذموم إلا أن له سلطاناً على النفوس وتأثيراً كبيراً في الحياة الفردية والاجتماعية، وهنا تبرز أهمية المنهج التربوي الإسلامي وقدرته على تنقية الشوائب وإزالة العادات الجاهلية والقضاء على الأخلاق السيئة التي تأصلت في النفوس بتدرج ويسر، فهو لا يأخذ هذه النفوس بالعنف والشدة والمفاجئة بل يتلطف بالسير بها على مراحل مترتبة تنتهي بمعالجتها والارتقاء بها.

ولعل أوضح مثال على ذلك هو منهج القرآن الكريم في تحريم الخمر التي تمثل معلماً من معالم الجاهلية وعادة متغلغلة في أعماق المجتمع الجاهلي، حيث نزلت أربع آيات تدرجت بالأمر حتى وصلت به إلى مرحلة التحريم القاطع الذي أذعنت له الأمة والتزم به المؤمنون.

قال تعالى: { وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسِناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }^(١). ولأن هذه أول الآيات حديثاً عن الخمر ناسبت الإشارة فيها بالتحريم إشارة بعيدة، وفي ذلك تهيئة للنفوس وتوطئة لما سيأتي لشأنها بعد ذلك من أحكام، ثم نزل بعد ذلك قوله تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا لَأَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا }^(٢).

يقول سيد قطب رحمه الله: "وهذا النص الذي بين أيدينا كان أول خطوة من خطوات التحريم فالأشياء والأعمال قد لا تكون شراً خالصاً فالخير قد يتلبس بالشر، والشر قد يتلبس بالخير في هذه الأرض ولكن مدار الحل والحرمة هو غلبة الخير أو غلبة الشر، فإذا كان الإثم في الخمر والميسر أكبر من النفع فتلك علة تحريم ومنع وإن لم يصرح هنا بالتحريم والمنع... وفي هذا إحياء بأن تركهما هو الأولى ثم جاءت الخطوة الثانية بآية سورة النساء: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ }^(٣)

والصلاة في خمسة أوقات، معظمها متقارب، ولا يكفي ما بينهما للسكر وإلا فاقعة! وفي هذا تضيق لفرص المزاولة العملية لعادة الشرب، وكسر لعادة الإدمان التي تتعلق بمواعيد التعاطي...حتى إذا تمت هاتان الخطوتان جاء النهي الجازم الأخير بتحريم الخمر والميسر"^(١). قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ

(١) سورة النحل: الآية: ٦٧.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢١٩.

(٣) سورة النساء: الآية: ٤٣.

(١) في ظلال القرآن: ١/ ٢٢٩.



وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ۚ } (٢).

ومثال آخر على تدرج المنهج التربوي الإسلامي في تنقية الشوائب وإزالة العادات الجاهلية يتمثل في تدرج القرآن الكريم في تحريم الربا ، حيث تناول الحديث عنه في أربعة مواضع يندرج الأول منها ضمن الآيات المكية بينما تندرج الثلاثة الأخرى ضمن الآيات المدنية ويمكن إيجاز ذلك فيما يأتي:

١- قوله تعالى: { وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَا لِيُرِيُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ } (٣). ففي الآية موعظة سلبية لا ترتب ثواباً ولا عقاباً على التعامل بالربا بخلاف الزكاة التي رتب عليها الثواب المضاعف ، وفي ذلك إشارة إلى عدم قبول الربا عند الله تعالى.

٢- قوله تعالى: { فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } (٤). وفي هذا الموضع نص القرآن الكريم على أن الربا كان محرماً لدى اليهود الأمر الذي يجعل المسلمين في حالة ترقب لما يرد إليهم بشأنه من حكم.

٣- قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (٥). وفي هذا الموضع جاء النهي الصريح عن الربا الفاحش تمهيداً للنهي العام الذي ورد بعد ذلك بشأن الربا.

٤- قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ } (٦) فقد اشتملت الآيتان على بيان حرمة الربا والتهديد العظيم لكل متعامل به (٧).

ثانياً: التدرج في التكاليف:

فقد راعت التربية القيادية الإسلامية التدرج في التكاليف والفرائض كما وكيفاً حتى يكتب لها الثبات والاستقرار في النفوس وتقوم بدورها في تركيتها والارتقاء بها ومن ذلك:

- ١- الصلاة: حيث فرضت ركعتين ركعتين في أول الإسلام ، ثم زيدت في الحضر وأقرت في السفر
- ٢- الصيام: حيث فرض في أول الأمر على التخيير من شاء صام ومن شاء أفطر وفدى حتى فرض صيام شهر رمضان في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

(٢) سورة المائدة: الآيتان: ٩٠، ٩١.

(٣) سورة المائدة: الآية: ٣٩.

(٤) سورة النساء: الآيتان: ١٦٠، ١٦١.

(٥) سورة آل عمران: الآيات: ١٣٠-١٣٢.

(٦) سورة البقرة: الآيتان: ٢٧٩، ٢٧٨.

(٧) ينظر: الوسطية في القرآن الكريم: ٥٦١ ، ٥٦٢، منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع: ٤٣٠-٤٣٢.

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ { (١)}

٣- الزكاة: حيث فرضت أولاً بمكة غير محددة ولا مقيدة بنصاب أو مقادير أو شروط ، وإنما تركت لضمائر المؤمنين وحاجات الجماعة المسلمة ، حتى جاء فرضها في المدينة بنصابها ومقاديرها وشروطها في قوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صِلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (٢).

٤- الجهاد: حيث طوّل المسلمون في بداية الدعوة بالصبر والكف عن آذاهم ، ثم أذن لهم في القتال دفاعاً عن النفس ، وفرض عليهم بعد ذلك مقاتلة من قاتلهم قبل أن يستقر الأمر أخيراً على وجوب مقاتلة المشركين كافة والقضاء على فتنهم حتى تستقيم أمور الدعوة ويقضى على كل من يحول بين الناس وبين دين الله U ، وهذا التدرج يمكن ملاحظته من خلال الآيات الآتية:

أ. قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ} (٣).

ب. قوله تعالى: {أَنْ لَلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْتُهُمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ بِغَيْرِ إِذْنِ اللَّهِ وَلَئِنْ كُنْتُمْ إِلَّا رِجَالًا مَلْحُومِينَ} (٤).

ج. قوله تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} (٥)

د. قوله تعالى: {فَإِذَا انْسَلَخْتُمُ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (٦).

ومما يدل على التدرج في التكاليف ما ورد في بيعة العقبة الأولى حيث كانت خالية من معاني الجهاد والنصرة التي اشتملت عليها بيعة العقبة الثانية حتى أنها سميت ببيعة النساء لعدم ذكر الجهاد فيها، وذلك لعدم اكتمال البناء العقدي والفكري لدى المبايعين وعدم استكمال جوانب الإعداد القيادي لديهم^(٧)، وهو ما أشار إليه عبادة بن الصامت t في حديثه عن هذه البيعة بقوله: (أخذ علينا رسول الله ﷺ كما أخذ على النساء أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ...) (٨).

(١) سورة البقرة: الآية: ١٨٣.

(٢) سورة التوبة: الآية: ١٠٣.

(٣) سورة النساء: الآية: ٧٧.

(٤) سورة الحج: الآيتان: ٣٩ - ٤٠.

(٥) سورة البقرة: الآية: ١٩٠.

(٦) سورة التوبة: الآية: ٥.

(٧) ينظر: المنهج الحركي للسيرة النبوية: ١٥٣.

(٨) صحيح مسلم - كتاب الحدود - باب الحدود كفارات لأهلها ٣/ ١٣٣٣ رقم (١٧٠٩).

بينما اختلف الأمر في بيعة العقبة الثانية حيث اشتملت على السمع والطاعة والنفقة في اليسر والعسر، والجهاد والنصرة وتوفير الحماية، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقول الحق حتى سميت ببيعة الحرب^(١) بدليل ما رواه عبادة بن الصامت t في قوله: (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المشط والمكس، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم)^(٢).

ثالثاً: التدرج في مراحل الإعداد:

تمر عملية التربية القيادية الناجحة بمراحل معينة وأطوار زمنية محددة حتى تصل بالأفراد إلى مرحلة النضج والقدرة والاستعداد القيادي، وهذه المراحل هي:

١- مرحلة الانتقال من الغياب إلى الحس الاجتماعي:

وفي هذه المرحلة يتم نقل الشخصيات الخاضعة للتربية القيادية من حالة الغياب الاجتماعي الذي يبقي قدراتها العقلية وإراداتها النفسية أسيرة لصنمية الأشخاص ووثنية الأشياء إلى حالة الحضور الذي يجعلها تستشعر قيمة الرسالة التي تحملها والمهمة التي تنتظرها والتحديات التي تواجهها. قال تعالى: {أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا} ^(٣).

٢- مرحلة الانتقال من الحس إلى الوعي الاجتماعي:

وفي هذه المرحلة يتم رفع درجة الحضور الاجتماعي لدى هذه الشخصيات حتى تبلغ قدراتها العقلية درجة الوعي بغايات الحياة وسننها، وتبلغ إرادتها درجة الحرية في اختياراتها. قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} ^(٤).

٣- مرحلة الانتقال من الوعي إلى التطبيق:

وفي هذه المرحلة يتم رفع درجتي الوعي والحرية حتى تصل إلى درجة القدرة على تحويل المدركات العقلية الصائبة والإرادات النفسية المخلصة إلى أعمال صالحة واستراتيجيات عملية تقود إلى تغيير الواقع وبناء المستقبل. قال تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ} ^(٥).

والتدرج في المراحل الثلاث يقود إلى عملية إحياء شامل يتركز ميدانه في جانبي العقل والإرادة، ويكون من ثمراته حسن التعامل مع الناس والتميز بين الخير والشر والصواب والخطأ، والفقهاء بسنن التغيير والتطوير^(١).

(١) يراجع: مسند الإمام أحمد: ٥ / ٣١٦ رقم (٢٢٧٥٢)، التربية القيادية: ٢ / ٥٨ - ١١٦، السيرة النبوية للصلابي: ١ / ٤٠٢ - ٤٢١.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الأحكام - باب كيف يبائع الناس الإمام: ٦ / ٢٦٣٣ رقم (٦٧٧٤).

(٣) سورة الأنعام: الآية: ١٢٢.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٣٠.

(٥) سورة العصر: الآية: ٣.

(١) ينظر: أهداف التربية الإسلامية - ماجد عرسان الكيلاني - ط: ٢ - المعهد العالمي للفكر الإسلامي - الولايات المتحدة الأمريكية: ٣٨٣ -

٤٤٥، ٥٤٦ - ٥٤٨، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس: ٤١٢ - ٤١٤.

رابعاً: التدرج في منهج الإعداد:

وذلك بالبداية بالأهم قبل المهم والواجب قبل المندوب، وبالتفقيه من الشوائب قبل التحلية بالفضائل، انطلاقاً من قوله تعالى: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ }^(٢) حيث بدأ بالتركيزية وهي التربية قبل التعليم لأهميتها ، وقوله ٣ في الحديث الذي يرويه أبو موسى الأشعري t: (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)^(٣)

قال ابن حجر رحمه الله في تعليقه على الحديث: " ...وكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدرج لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حبيب إلى من يدخل فيه، وتلقاه بانسباط وكانت عاقبته غالباً بالازدياد بخلاف ضده"^(٤).

وفي حديث ابن عباس رضى الله عنهما (أن رسول الله ٣ لما بعث معاذاً t على اليمن قال: إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم فإذا فعلوا فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس)^(٥). فالملاحظ أن النبي ٣ بدأ بالأهم قبل المهم، وذلك من باب التلطف في الخطاب إذ لو طالبهم بالجميع أول مرة لم يأمن نفرتهم لصعوبة تركهم لما ألفوه من العادات دفعة واحدة^(٦)، ومعيار الأهمية يرتبط بعوامل مختلفة منها:

- ١- الخصوص والعموم، فالسلوكيات التي يتعدى أثرها إلى الآخرين تقدم معالجتها على السلوكيات الشخصية، فعلاج الجبن مقدم على علاج سماع الأغاني مثلاً.
- ٢- المرتبط بحقوق الله تعالى يقدم على غيره فالأمر بالصلاة والصيام مقدم على الأمر بالإحسان إلى الجيران.
- ٣- السلوكيات المؤثرة على تكوين الشخصية ومعالجة سلوكيات أخرى تقدم على غيرها مثل الاستقامة والعفة فإنها مقدمة على معالجة مسألة الأمانة.
٤. السلوكيات سريعة الأثر والخطر مقدمة على غيرها، فمعالجة المخدرات مقدمة على معالجة ظاهرة الجبن لدى الإنسان^(١).

(١) سورة الجمعة: الآية: ٢.

(٢) صحيح البخاري- كتاب العلم- باب ما كان النبي ٣ يتخولهم بالعلم والموعظة كي لا ينفروا: ٣٨/١ رقم (٦٩)، صحيح مسلم- كتاب الأشربة- باب بيان أن كل مسكر خمر وكل خمر حرام: ١٥٨٦/٣ رقم (١٧٣٣). والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١٦/٣ رقم (١٣٠٢).

(٣) فتح الباري: ١/ ١٦٣.

(٤) صحيح البخاري- كتاب الزكاة- باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة: ٥٢٩/٢ رقم (١٣٨٩)، صحيح مسلم- كتاب الإيمان- باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام: ٥١/١ رقم (١٩) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٥/١ رقم (١١).

(٥) ينظر: فتح الباري: ٣/ ٣٥٩.

(٦) ينظر: الطريق إلى التميز التربوي- عبد الله يحيى الكمالي- ط: ١- دار ابن حزم- بيروت- لبنان: ١٠٩، ١١٠.

إن التدرج في التربية وإعداد القيادات أمر في غاية الأهمية إذ لا يمكن تربية الفرد بين عشية وضحاها أو إكسابه المهارات اللازمة بمجرد القراءة والاطلاع فلا بد أن يمر بعدد من المراحل، وتتمى لديه عدد من القدرات والمهارات، وأن يستوعب المنهج التربوي بجميع جوانبه ومتطلباته بما فيها الجوانب العملية من فهم للواقع وكيفية التعامل معه، ومعرفة بالقضايا والمتغيرات وطريقة تحليلها والاستفادة منها.

خامساً: التدرج في بناء الدولة وقيادة الأمة:

إن تجربة النبي ٣ في بناء وقيادة الأمة تدل على الفقه الكامل بضرورة التدرج والمرحلية والأخذ

بهذه السنة بمختلف هذه الخطوات حيث مرت التجربة بثلاث مراحل:

١- مرحلة الجهاد التربوي للانتقال بالأفراد من الغياب الاجتماعي والخضوع لسيطرة الأشخاص والأشياء إلى مرحلة الحضور الاجتماعي وتحرير العقل والإرادة والإيمان بالهدف والرسالة، وهو ما جسده المرحلة السرية وتربية دار الأرقم.

٢- مرحلة الجهاد التنظيمي وبناء الدولة للرفع من درجة الوعي الفكري والحرية الإرادية للأفراد، وهو ما جسده مرحلة الدعوة العلنية في مكة والهجرة إلى المدينة بما تبعها من بناء للمسجد ومؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ووضع أسس الدولة الإسلامية.

٣- مرحلة الجهاد العسكري والانتشار الدعوي للوصول بالأفراد إلى درجة التطبيق العملي للمبادئ الإسلامية التي تمت تربيتهم عليها عن قناعة واختيار، وهو ما جسده السرايا والغزوات والمعارك الإسلامية بالإضافة إلى إرسال الدعاة والسفراء إلى الملوك والأمراء^(٢).

ولعل من المناسب هنا الإشارة إلى مسألة مهمة اختلفت حولها الأفهام وكثر الجدل ولاسيما في العصر الحديث حيث ظهر من ينادي بالتدرج في تطبيق الشريعة وترتيب الأولويات والبدء بالأهم ثم المهم من قضايا الأمة، وبالمقابل ظهر من ينادي برفض هذا التدرج ويرى ضرورة اختصار الطريق والقفز على المراحل رافعاً شعار خذوا الإسلام جملةً أو دعوه، مستدلاً بقوله تعالى: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِيحَازِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ} (٣).

وكان من نتيجة ذلك أن شن هؤلاء حملة شعواء على مخالفيهم ووصفهم بأفدع الصفات حتى وصل الأمر بالبعض إلى حد التكفير.

والحقيقة أن هذا الفريق ينقصه الفهم الصحيح لنصوص الشرع والوعي التام بواقع الأمة إذ أن المحرم شرعاً هو التدرج في الإيمان والاعتقاد بنص الآية ولاسيما بعد اكتمال نزول القرآن الكريم، أما تدرج التربية والتطبيق فهو أمر محمود مأمور به شرعاً لتمشيه مع طبيعة النفس الإنسانية وظروف المجتمعات البشرية التي

(٢) ينظر: هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس: ٤١٥.

(٣) سورة البقرة: الآية: ٨٥.

جاء المنهج القرآني لإصلاح أوضاعها، وهو ما تدل عليه العديد من النصوص الشرعية فضلاً عن طبيعة المرحلتين المكية والمدنية.^(١)

إن التربية القيادية الإسلامية فضلاً عما تتميز به من خصائص الريانية والشمول والاعتدال والواقعية والإيجابية والتدرج فإنها تتميز كذلك بالمبدئية حيث تربي أفرادها على المبادئ بعيداً عن تقديس الأشخاص أو إعطائهم فوق منزلتهم انطلاقاً من قول الله سبحانه وتعالى: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ }^(٢).

كما تتميز بالاستمرارية حتى بعد وصول الإنسان إلى الموقع القيادي كما هو الحال في قصة موسى **U** مع الخضر وتعلمه منه ، وحث الله **U** نبيه **U** على طلب الازدياد من العلم في قوله تعالى: { وَوَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً }^(٣).

(١) ينظر: هكذا جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس: ٤١٥ ، ٤١٦ .

(٢) سورة آل عمران: الآية: ١٤٤ .

(٣) سورة طه: الآية: ١١٤ .



الفصل الثاني

أهداف التربية القيادية.

المبحث الأول: بناء وإعداد القيادات.

المبحث الثاني: وضع الرجل المناسب في المكان المناسب

المبحث الثالث: إتقان الأداء

المبحث الأول بناء وإعداد القيادات

المطلب الأول أسس البناء والإعداد

أولاً: العقيدة

مفهوم العقيدة:

العقيدة في اللغة مشتقة من عقد، والعقد: الربط والشد بقوة، ومنه الإحكام والإبرام، والعقد: الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل في الأجسام الصلبة كعقد الحبل والبناء، ثم استعير للمعاني ومنه عقد البيع والعهد ونحوهما. (١) ومنه قيل لفلان عقيدة، " فكأن العقيدة هي العهد المشدود والعروة الوثقى، وذلك لاستقرارها في النفس ورسوخها في الأعماق". (٢)

والعقيدة التصديق بالشيء والجزم به دون شك أو ريبه. (٣)

ويذهب اللواء الركن محمود شيث خطاب: إلى أن العقيدة: مُثُلٌ عليا يؤمن بها الإنسان فيضحى من أجلها بالأموال والأنفس لأنها عنده أعلى من الأموال والأنفس. (٤)

وعلى هذا يمكن القول أن العقيدة هي ما انعقد عليه القلب والتزم به الإنسان وتعدر تحويله عنه بغض النظر عن صحة هذا المعتقد أو فساده.

أما في الاصطلاح: فهي "الإيمان الجازم بالله وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة في أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدرة والشرع ولرسوله ٣ بالطاعة والتحكيم والاتباع". (٥)

وإجمالاً فإن أهم ما اشتملت عليه العقيدة هو توحيد الله تعالى بأنواعه الثلاثة التي يمكن إيجازها فيما

يأتي:

١- توحيد الله تعالى في ربوبيته:

ومن مقتضياته: أن الإحياء والإماتة، والرزق، والنفع والضرر، والتحليل والتحريم حق لله تبارك وتعالى

لا يملك أحد منها شيئاً. قال تعالى: { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } (٦).

(١) ينظر: لسان العرب- مادة عقد: ٢٩٧/٣، مختار الصحاح- مادة عقد: ١/١٨٦.

(٢) أثر العقيدة في حياة الفرد والمجتمع - نعيم يوسف - ط: ١- دار المنارة- مصر: ١٥.

(٣) ينظر: العقائد الإسلامية- السيد سابق - ط: ٣- دار الفكر - بيروت: ٨.

(٤) ينظر: بين العقيدة والقيادة: ٤١.

(٥) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة- ناصر عبد الكريم العقل: ١٩٠.

(٦) سورة الأعراف: الآية: ٥٤.

٢- توحيد الله تعالى في ألوهيته:

ومن مقتضياته: صرف جميع أنواع العبادة له سبحانه وتعالى، والخضوع لدينه وهو الإسلام، والالتزام به في التصور والفكر والسلوك. قال تعالى: { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }^(١). وقال تعالى: { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ }^(٢)

٣- توحيد الله تعالى في أسمائه وصفاته:

ومن مقتضياته: إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ٣ من الأسماء والصفات التي تدل على الكمال والجمال دون تشبيه أو تمثيل أو تعطيل، فضلاً عن معرفتها وفقهها والشعور بأثارها والتعبد لله تعالى بها، مع التخلق بما تقتضيه من فعل المأمورات وترك المنهيات، والتحقق بها قولاً وعملاً وفهماً لفظاً ومعنى.^(٢) قال تعالى: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }^(٣)

كما يمكن القول أن مفهوم العقيدة في المنهج القرآني ينتظم أموراً ستة هي:

- ١- المعرفة بالله U ومعرفة أسمائه الحسنی وصفاته العلی، والمعرفة بدلائل وجوده ومظاهر عظمتة في النفس والكون والحياة.
- ٢- المعرفة بغير المشاهد من المخلوقات والكائنات كالملائكة والجن والشياطين.
- ٣- المعرفة بالكتب الإلهية التي أنزلها الله U لتحدد معالم الحق والباطل، ولتمثل منبع الهداية ودستور الحياة.
- ٤- المعرفة بأنبياء الله تعالى ورسله عليهم السلام الذين بعثهم ليكونوا أعلام الهدى وقادة البشرية.
- ٥- المعرفة باليوم الآخر وما فيه من بعث وجزاء وجنة ونار.
- ٦- المعرفة بالقدر الذي يسير عليه الكون ويسري على جميع الكائنات^(٤).

أهمية العقيدة في بناء القيادات:

تمثل العقيدة أهمية كبرى في حياة الإنسان تفوق ضرورة الماء والهواء؛ إذ أن غاية فقد الماء والهواء موت الأبدان ومن ثم خسارة الدنيا، بينما يعني فقدان العقيدة موت الأرواح ومن ثم خسارة الدنيا والآخرة، وشتان بين الخسارتين. قال تعالى: { أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }^(٥).

(١) سورة الأنعام: الآية: ١٦٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ٨٥.

(٣) ينظر: منهج النبي ٣ في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة- د. محمد أمحزون- ط: ١- دار السلام- مصر: ٢١.

(٤) سورة الشورى: الآية: ١١.

(٥) ينظر: العقائد الإسلامية: ٨.

(٦) سورة الأنعام: الآية: ١٢٢.



إن الإنسان بدون عقيدة مخلوقٌ تافهٌ لا قيمة له فاقدٌ لذاته غير مستوعبٍ لمهمته في الحياة ، والعقيدة الإسلامية وحدها التي تجيب على التساؤلات التي شغلت الفكر الإنساني قديماً وحديثاً وهي: من أين جئت؟ ولماذا جئت؟ وإلى أين المصير؟

لقد بدأت البشرية "حياتها مؤمنة موحدة ثم انحرفت إلى الجاهلية ضالة مشرقة بفعل عدة عوامل متشابكة كامنّة داخل الإنسان ونابعة من تركيبه النفسي، العقلي والجسدي، وفي العناصر التي يتعامل معها كالبيئة، وبعد الانحراف يأتي الرسول بذات الحقيقة، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

ولابد أن أجيالاً من ذرية آدم بعد استخلافه في الأرض ولدت مسلمة وعاشت مسلمة، حيث كانت عقيدة التوحيد عقيدته وعقيدة زوجه وأبنائه، ثم انحرفوا بنفس العوامل الذاتية والخارجية التي انحرفت بها البشرية عبر التاريخ^(١). قال تعالى: { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }^(٢).

"ولابد من إدراك أن المحرك الحقيقي للإنسان منذ القدم يتمثل في الفطرة الصافية والعقيدة الصحيحة، وأن عقدة الفطرة البشرية هي عقدة العقيدة، وأن مفتاح الفطرة البشرية هو العقيدة، وما لم تفتح بمفتاحها فستظل مجهولة الأسرار ملتوية الطرق؛ لذلك لم يبدأ المنهج الإسلامي في علاج رذائل الجاهلية وانحرافات من هذه الرذائل والانحرافات إنما بدأ من العقيدة حتى إذا خلصت نفوسهم لله وأصبحوا لا يجدون في أنفسهم حرجاً مما قضى الله أو خيرة في أمر أو نهي إلا ما يختاره الله، عندئذ بدأت التكليف، وبدأت عملية تنقية رواسب الجاهلية الاجتماعية والنفسية والأخلاقية والسلوكية"^(٣).

إن الفطرة الصافية تقود صاحبها إلى العقيدة الصحيحة، بينما تحافظ العقيدة الصحيحة على نقاء الفطرة وسلامتها وهذا ما نلاحظه في قصة إبراهيم U الذي جعله القرآن الكريم مثلاً لأصحاب الفطرة السليمة. قال تعالى: { وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ }^(٤)، وقال تعالى: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ }^(٥).

(١) في ظلال القرآن: ٣/١٣٠٤.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢١٣.

(٣) في ظلال القرآن: ٢/٩٧٣.

(٤) سورة الأنعام: الآيات: ٧٥ - ٧٩.

(٥) سورة الروم: الآية: ٣٠.

والعقيدة الصحيحة الصافية الموافقة للفطرة السليمة لا توجد إلا في الإسلام تتبع من المنهج القرآني بأصلية الكتاب والسنة صافية مشرقة ندية طرية تملأ الفؤاد إيماناً ونوراً وحياءً و يقيناً، وتفتح العقل بالحجة والبرهان. قال تعالى: { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }^(١) وقال تعالى: { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }^(٢).

إن العقيدة الحقة ليست أمراً هامشياً في حياة القيادات ولا مظهراً من مظاهر الخوف والضعف وإنما هي سنة من سنن الله في الكون، وهدفٌ أساسي في دعوة جميع الرسل وهو ما دل عليه قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ }^(٣)، كما أن لها ارتباطاً وثيقاً بإعمار الأرض وقيام الحضارات وإقامة الحق والعدل واتخاذ الأسباب الكفيلة بتحقيق ذلك بنص قوله تعالى: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ }^(٤)، فضلاً عن أنها تمثل الضابط الذي يحكم التصرفات ويوجله السلوك والدعامة الأساسية التي يقوم عليها أمر الدين وتعاليمه، ويؤسِّد عليها بناء المجتمع الفاضل، ولا قيمة لأي منهما عند انهيار هذه الدعامة، كما تفقد الأوراق المالية قيمتها إذا فقدت رصيدها الذهبي.^(٥)

إن للعقيدة الدينية الراسخة أهمية كبرى في تكوين القائد الفعال، فكما يشاد البناء الشامخ على أساس متين لا يمكن أن تبنى شخصية القائد الفعال وتنمي مهاراته إلا على أساس من العقيدة والإيمان، وكل من يقف بإمعان أمام سير القادة الذين غيروا مجرى التاريخ وأثروا في حياة البشرية يجد أن القاسم المشترك بين هؤلاء القادة جميعاً على اختلاف دياناتهم وعصورهم يتمثل في العقيدة الدينية الراسخة.

فإبراهيم U الذي قاد عملية الدعوة والتغيير في عصره كان ملتزماً عقائدياً بنص قوله تعالى: { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ }^(٦)، ووصفه بأنه كان أمة ناتج عن التزامه عقيدة التوحيد وحده، الأمر الذي أهله لأن يكون قدوة لكل من جاء بعده من الأنبياء U وأتباعهم.

وموسى U الذي واجه أقوى الجبابرة في عصره، وحرر أمة بأكملها من الاستعباد والاستبداد كان ملتزماً عقائدياً أيضاً. قال تعالى: { وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ }^(٧).

(١) سورة الشورى: الآية: ٥٢.

(٢) سورة الروم: الآية: ٢٤.

(٣) سورة الأنبياء: الآية: ٢٥.

(٤) ينظر: منهج القرآن في التربية- محمد شديد- طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية- مصر: ٦٣ والآية في سورة الحديد رقم: ٢٥.

(٥) ينظر: عقيدة المسلم- محمد الغزالي: ١٢٤، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها- محمد هيشور- ط: ١- المعهد العالمي للفكر

الإسلامي- القاهرة: ١٨٩.

(٦) سورة النحل: الآيات: ١٢٠-١٢٢.

(٧) سورة يونس: الآية: ٨٧.

ولذلك نجد المشير مونتغمري يتحدث عن أهمية العقيدة للقادة ويحثهم بصفته مسيحياً على الاقتداء بالمسيح عيسى **U** ويصفه بأنه: " قدم إلى أتباعه مجموعة من المبادئ ومثالاً من نفسه لا ينسى. وهذا ما يجب أن يفعله القادة الوطنيون في يومنا هذا، وهو ما ينقصهم على ما يظهر وعلى القادة الوطنيين في العالم الحر أن ينظروا إلى التناقض بين السلطة والعقيدة الدينية بمنظار أحسن".^(٢)

أما محمد **٣** فقد جمع بين قمة الالتزام العقائدي وعظمة القيادة البشرية في توافقٍ عجيبٍ لم تشهد البشرية له مثيلاً، فهو المؤمن المتوكل على ربه، والعاقد المتبتل في محرابه، والأب الناجح في أسرته، والداعية المتجرد لدعوته، وهو كذلك الناصح الأمين لمجتمعه، والسياسي المحنك والقائد الفذ في ميدان القتال، كل ذلك في جو من الرحمة والحكمة والحزم، وهو أمر أثبتته القرآن الكريم وشهد به أعداؤه ومعارضيه قبل أتباعه ومحبيه. قال تعالى: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ }^(٣).

و أما شهادة الأعداء فيكفي إيراد قول أبي سفيان **t** قبل أن يسلم في حوار مع هرقل وفيه (ثم كان أول ما سألني عنه أن قال كيف هو فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائهم من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشرف الناس ينبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنسرتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا ونحن منه في مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها. قال: ولم تكني كلمة أدخل فيها غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه. قلت: الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وينال منه. قال: ماذا يأمركم. قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباءكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة...)^(٤).

"إن نهوض الأمة حضارياً مرهون بقوة عقيدتها الدينية الثابتة في نفوس أبنائها.. لأن العقائد والمبادئ تنزل إلى أعماق الأمة وتخالط وجدان الإنسان وبالتالي تغدو القوة المحركة للتأريخ الاجتماعي والحضاري للأمم، ولذلك كانت مناهج الأنبياء تركز على العقيدة قبل غيرها وهذا ما اعتمده القادة المصلحون والثوار الاجتماعيون والمحاربون عبر التأريخ لتحقيق أغراضهم ونيل أهدافهم".^(٥)

لقد كان المنهج المشترك الذي اعتمده الأنبياء الكرام **U** في تربية أممهم ينطلق من دعوتهم إلى العبادة وحثهم عليها^(١) بدليل قوله تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ }^(٢).

(١) السبيل إلى القيادة- المشير اللورد مونتغمري- ترجمة: العميد حسن مصطفى - طبعة دار الطليعة - بيروت: ٦٦.

(٢) سورة التوبة: الآية: ١٢٨.

(٣) صحيح البخاري- كتاب الوحي- باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله **٣**: ١/٧، ٨ رقم (٨)، صحيح مسلم- كتاب الجهاد- باب كتاب النبي **٣** إلى هرقل: ٣/١٣٩٣ رقم (١٧٧٣) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٢/ ٢٥٦ رقم (١١٦٢).

(٤) سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها: ١٨٨، ١٨٩.

(٥) ينظر: الآيات: ٢٥، ٢٦، ٥٠، ٦١، ٨٤ من سورة هود.

(٦) سورة النحل: الآية: ٣٦.

وقد حرص النبي ﷺ على تثبيت هذا المنهج في أرض الواقع وغرسه في نفوس أصحابه ليقرر مبدئاً لا يتغير وسنةً لا تتبدل وهو أن القيادة الناجحة الرشيدة لا بد أن تكون ملتزمة عقائدياً، ولذلك ربي ﷺ أصحابه الكرام وهم جيل القيادة والريادة الذين فتحوا الدنيا ونشروا العدل وقادوا البشرية وغيروا وجه التاريخ رباهم على العقيدة ورسخ مبادئها في نفوسهم، "وكان صريحاً في الدعوة إلى ذلك لا يكتفي ولا يلوح ولا يلين ولا يحابي ولا يداهن في شيء مما أمره الله بإبلاغه حتى حسم مادة الشرك من نفوس أصحابه بالتربية الحكيمة والمتابعة المتواصلة والاختيار الموفق.. فأسس الدار الكريمة "دار الأرقم بن أبي الأرقم" التي جعلها ﷺ مقراً لتربية أصحابه على الاعتقاد الصحيح وتأسيسهم عليه بعيداً عن تأثير الجاهلية من حولهم.. فقد كان ﷺ يتخير الأشخاص أولاً ثم يتولى تربيتهم بالقرآن الكريم وبسيرته العطرة ﷺ فيغرس في نفوسهم العقيدة ويؤسسهم عليها بعيداً عن الضغط الاجتماعي من حولهم" (٣).

ومن المعلوم أن الجيل الأول الذي رباها النبي ﷺ في مكة في بداية الدعوة مثل الطليعة المباركة والقيادة الواعية التي تحملت عبء الدعوة والتربية والجهاد والفتح والتمكين لهذا الدين، وكان من الطبيعي أن تتال هذه الصفوة المختارة قسطاً أكبر من التربية والإعداد العقائدي وهو ما أولاه القرآن المكي عناية فائقة حيث ركز على بناء العقيدة وغرسها في القلوب وبيان أبعادها القلبية والقولية والعملية.

ولتحقيق ذلك مكث ﷺ ثلاثة عشر عاماً تمثل المرحلة المكية قضاها في إصلاح العقيدة وتنقيتها مما علق بها من الشوائب، وتهذيب النفوس وتصفيتها مما التصق بها من الرذائل مع التركيز على التحقق بمقتضيات لا إله إلا الله في واقع الحياة، ولم يعرض التشريع القرآني ولا النبوي في هذه المدة لشيء من التشريعات العملية إلا ماله ارتباط بالعقيدة أو كان عبادة تربطهم بالله U وتوجههم إلى الخير.

ومن هنا يمكن القول أن العقيدة الراسخة أساس القيادة الناجحة، وأنه لا يمكن أن يكون القائد بدون عقيدة يؤمن بها ويتصرف وفق تعاليمها بغض النظر عن صحة هذه العقيدة من بطلانها ذلك أن المفهوم العام للعقيدة يتمثل في الإيمان بمجموعة من المثل العليا، والأهداف العامة، والتضحية في سبيل تحقيقها، وهذا ما أكدته وقائع الحياة وسير القادة عبر التاريخ. (٤)

فالعلاقة بين العقيدة والقيادة علاقة وثيقة، ولا يمكن أن يكون القائد ناجحاً محبوباً إن لم يتحل بالفضائل الدينية التي من أبرزها الإيمان بالله تعالى والثقة به، والتوكل عليه، والإخلاص والاستقامة، والعدالة، وضبط النفس وغيرها من القيم النبيلة.

إن الإنسان لا قيمة له بدون عقيدة تجمع شمله وتثير فكره، وتمده بالطاقة الهائلة التي تعينه على مواجهة متطلبات الحياة والتغلب على صعوباتها، ولاشك أن القادة يمثلون أبرز الفئات المحتاجة إلى الالتزام العقائدي، ذلك أن العلاقة بين العقيدة والقيادة علاقة وثيقة في جميع جوانبها، فالقيادة بحاجة إلى المدد والعون

(٣) تربية النبي ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم في ضوء الكتاب والسنة - خالد بن عبد الله القرشي - ط: ١ - دار التربية والتراث - السعودية، دار المعالي - الأردن: ٦٠ - ٦٢.

(٤) يراجع: السبيل إلى القيادة (١)، بين العقيدة والقيادة: ٤١، موضوعات في فن القيادة - محمد تيسير التميمي - ط: ١ - دار الفارس - الأردن: ٥٢.

الإلهي ولا يمكن أن تحصل عليه ما لم تكن ملتزمة عقائدياً، والقيادة بحاجة إلى طاقة هائلة تعينها على الصبر والتحمل ومواجهة متطلبات الحياة ولن تجد هذه الطاقة سوى في العقيدة الحقة التي توفر لها القوة الروحية اللازمة والاستقرار النفسي المطلوب، وهي بحاجة كذلك إلى مثل عليا ومبادئ سامية تعمل من أجلها وتضحي بجهدا ووقتها وروحها في سبيل تحقيقها ونصرتها ولا يمكن أن تقدم على ذلك ما لم تكن متصفاً بالإيمان العميق والالتزام العقائدي اللامحدود، زيادة على ذلك فإن الأتباع وهم العنصر الأساس والمكون الرئيس لعملية القيادة لا يمكن أن يتفاعلوا مع القيادة أو يقدموا على التضحية ما لم تكن هناك عقيدة راسخة تربطهم بقيادتهم وأهداف سامية يعملون جميعاً من أجل تحقيقها، ولذلك ينبغي أن يكون القائد ملتزماً عقائدياً حتى يتمكن من سياسة مجتمعه وتحقيق النصر لأمته، وهو أمر اتفق عليه العلماء والمفكرون من جميع العقائد وأكدته حياة القادة العظماء على اختلاف دياناتهم.

يقول الهرثمي^(١): "فينبغي لصاحب الحرب أن يجعل رأس سلاحه في حربه تقوى الله وحده، وكثرة ذكوره، والاستعانة به، والتوكل عليه، والفرع إليه، ومساءلته التأييد والنصر، والسلامة والظفر، وأن يترك البغي والحقد... وأن يعتمد في كل ما يعمل في حروبه طلب ما عند ربه U ليجتمع له خيري الدنيا والآخرة"^(٢).
كما يؤكد القائد الشهير مونتغمري في كتابه السبيل إلى القيادة على وجود العلاقة بين العقيدة والقيادة، وضرورة أن يكون القائد متحلياً بالفضائل الدينية التي يجمها في أربع فضائل هي: الهدى، والعدالة، والانضباط، والجلادة.^(٣)

وكذلك الأمر بالنسبة للقادة الشيوعيين الذين يركزون على أهمية الاقتناع العقائدي كصفة أساسية ومميزة للقادة السوفيت، ويبررون ذلك بأن صاحب العقيدة لا يفقد قواه ولا ينحرف عن طريقه، ولا يتخاذل في المواقف الحرجة فضلاً عن انه يحقق مهامه على أكمل وجه^(٤).

إن أهمية العقيدة تكمن في رفع الروح المعنوية لأصحابها ودفعهم للعمل والإنجاز والثبات والتضحية في سبيل تحقيق الأهداف المرجوة، ولاشك أن كل عمل قيادي يتكون من عنصر مادي وآخر معنوي، وقد ذهب نابليون إلى أن قيمة المعنويات بالنسبة إلى الماديات تساوي ثلاثة إلى واحد أي أن الجيش مثلاً يتكون مما نسبته ٧٥% من الناحية المعنوية و ٢٥% من الناحية المادية، وقد أيده في ذلك عدد كبير من القادة العسكريين وإن كان بعضهم يذهب إلى تساوي النسبتين ولاسيما في العصر الحديث الذي شهد تطوراً هائلاً في مجال الأسلحة الحديثة والتقنيات العسكرية^(١).

وهذا يدل على أن المعنويات كانت ولا تزال حتى بعد ظهور الأسلحة الحديثة عاملاً مهماً في حسم المعارك وإحراز الانتصارات.

(١) لم أعثر له على ترجمة، وهو ما أشار إليه محقق الكتاب في مقدمته.

(٢) مختصر سياسة الحروب للهرثمي صاحب المأمون - تحقيق اللواء/ عبد الرؤوف عون - طبعة المؤسسة المصرية العامة - القاهرة: ١٥.

(٣) يراجع السبيل إلى القيادة: ١٦، ١٥.

(٤) ينظر: أسلوب عمل القائد - للجنرال لاشينكو - ترجمة: سمير النحاس - طبعة دار الثقافة الجديدة - القاهرة: ٧، ٨.

(١) ينظر: بين العقيدة والقيادة: ٤٢.

وهنا قد يتسائل البعض عن أهمية العقائد الباطلة والمحرفة في مسألة القيادة ومدى تأثيرها في حياة المتمسكين بها.

والجواب "إن الأمر في الاعتقاد ليس في كونه صحيحاً، إنما هو في قوة الإذعان بعد الجزم والتصديق اليقيني، فمن يعتقد بدين اعتقاداً جازماً مستيقناً مدعناً لاعتقاده فهو حامل عقيدة وإن كانت مخطئة؛ نعم إنه يجب عليه أن يطلب الحق ويهتدي بهديه، وأنه مؤاخذ فيما إذا قصر في طلب الحق، أو وصل إليه ولم يؤمن به جهلاً أو عصبية... ولكنه مادام معتقداً عقيدة تدفعه وتبعده عن الشهوات فعنده عقيدة وهو خير ممن لا اعتقاد له، ولقد قرر الفقهاء أن من له دين خير ممن لا دين له" (٢).

وبالتالي قد ينتصر المتمسك بعقيدته الفاسدة على المتخلي عن عقيدته الصحيحة والذي لا عقيدة له، كما حصل حين انهزم العرب الذين تخلو عن عقيدتهم الصحيحة أمام اليهود المتمسكين بعقيدتهم الباطلة في حرب ١٩٦٧م.

إن ما سبق الحديث عنه هو أهمية العقيدة عموماً وتأثيرها على القيادة بشكل عام سواءً أكانت هذه العقيدة صحيحة أم باطلة، أما تأثير العقيدة الإسلامية في حياة القيادة المؤمنة بها وانعكاسات ذلك على أمتها فواضح جلي لا يحتاج إلى شرح أو تفصيل، ذلك أنه يعني إنجاز الأعمال وإتقانها وأدائها على الوجه الأكمل، ويعني الثبات في وجه الأخطار والتضحية في سبيل تحقيق أهداف الأمة وقيادتها إلى بر الأمان، كما يعني حماية عقيدة الأمة ومبادئها وتحقيق العدالة والمساواة بين أفرادها وغير ذلك من المعاني العديدة التي يمثلها الالتزام العقائدي للقيادة المسلمة.

إن من أهم ما خلص إليه مونتغمري في كتابه السبيل إلى القيادة، أن على القائد أن يكون مستقيماً كل الاستقامة ولاسيما في القضايا المعنوية الكبرى والفضائل الدينية حتى يضمن النجاح لنفسه والسعادة لأمته، وضرب على ذلك بعض الأمثلة بمجموعة من القادة الذين عدهم ملتزمين عقائدياً بغض النظر عن دياناتهم وعقائدهم وجعل على رأسهم محمد ٢ وعيسى ٣ وبوذا بوصفهم مؤسسي الديانات العظمى في نظره. (٣)

(٢) العبارة للأستاذ/ محمد أبو زهرة من تقديمه لكتاب بين العقيدة والقيادة: ١٤ ، ١٥ .

(٣) ينظر: السبيل إلى القيادة: ١٩ .



ثانياً: العبادة

مفهوم العبادة:

العبادة في اللغة من العبودية، وأصل العبودية: الخضوع والتذلل.

والتعبد: التمسك، والعبادة: الطاعة، والتعبد: التذلل، والتعبيد: التذليل، يقال: بعير معبد: أي مذلل، وطريق معبد: أي مسلوكة مذلل.^(١)

ومن هنا فإن لفظ العبادة يأتي بمعنى الطاعة والخضوع والتذلل والتمسك، ويتضمن معنى الذل والخضوع لله تعالى كما يتضمن معنى الحب، فهي خضوع وحب.^(٢)

ولتحقيق العبادة بمعناها الدقيق يجب أن يكون الخضوع ناتجاً عن حب وهذا لا يتحقق سوى في حالة العبودية لله تعالى، فهو المعبود الذي يستحق غاية الحب والخضوع والإجلال والإكرام والخوف والرجاء.

ويؤكد ابن القيم^(٣) رحمه الله: على أن العبادة تجمع غاية الحب بغاية الذل والخضوع، وأن دعائم هذه العبادة هي المحبة والخوف والرجاء، وهي تنتظم جميع أعمال القلب واللسان والجوارح.^(٤)

أما العبادة في الإصطلاح فهي "الطاعة والخضوع لله سبحانه وتعالى والالتزام بما شرعه ودعا إليه رسله أمراً ونهياً وتحليلاً وتحريماً والقيام بذلك بدافع الحب للمنع المتفضل".^(٥)

ومن هنا ندرك أن العبادة المشروعة لا بد لها من أمرين:

١- الالتزام بما شرعه الله تعالى ودعا إليه رسله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم في جميع شؤون الحياة وهو ما يمثل عنصر الطاعة والخضوع لله U ، وأساسه الشعور الواعي بوحداية الله تعالى وقدرته والحاجة إليه، وبهذا يتحقق معنى قوله تعالى: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }^(٦).

٢- صدور هذا الالتزام من قلب محب لله U ، وأساسه الشعور بفضل الله U ونعمته، وإحسانه ورحمته، وجماله وكماله وبهذا يتحقق معنى قوله تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }^(٧).

ولابد لقبول العبادة من شرطين أساسيين:

(١) لسان العرب- مادة عبد: ٣/ ٢٧١.

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية- جمع وترتيب: عبد الرحمن العاصمي- ط: ١- مطابع الرياض- السعودية: ٤٦٦/١٠ ، مدخل لمعرفة الإسلام- د / يوسف القرضاوي- ط: ١- مؤسسة الرسالة- لبنان: ٦٣.

(٣) هو شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي الحنبلي المعروف بابن القيم الجوزية، أحد أبرز تلامذة ابن تيمية، له مصنفات كثيرة من أبرزها: زاد المعاد والجواب الكافي والروح وغير ذلك من المصنفات، توفي سنة ٧٥١هـ. ينظر: طبقات المفسرين للأندلسي: ٢٨٤/٢، الأعلام للزركلي: ٥٦/٦.

(٤) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - ابن القيم الجوزية - تحقيق محمد حامد الفقي - ط: ٢ - دار الكتاب العربي - بيروت ص ٧٤/١.

(٥) العبادة في الإسلام- د. يوسف القرضاوي- طبعة مؤسسة الرسالة- بيروت: .

(٦) سورة الفاتحة: الآية: ٥.

(٧) سورة الذاريات: الآية: ٥٦.



الأول: الإخلاص:

قال تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ }^(١)، وقال ٣ في الحديث الذي يرويه عمر t: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينزوجهها، فهجرته إلى ما هاجس إليه)^(٢).

الثاني: موافقة الشرع:

قال تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }^(٣) . وقال ٣ في الحديث الذي ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)^(٤).

وقد روي عن الفضيل^(٥) بن عياض رحمه الله أنه تلا قوله تعالى: { لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا }^(٦) فقال: "أخلصه وأصوبه. قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إذا كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص إذا كان لله U والصواب إذا كان على السنة"^(٧).

إن من المهم فهم حقيقة العبادة والعمل على تصحيح المفاهيم الخاطئة التي علقت بالأذهان وسيطرت على التصرفات، ذلك أن دائرة العبادة رحبة وسعة تشمل جوانب الحياة كلها وشؤون الإنسان جميعها، فهي ليست طقوساً تؤدى، وإنما روح تسري في النفس البشرية لتضبط إيقاع الحياة وفق هدى الله تعالى.

(١) سورة الزمر: الآيتان: ٢، ٣.

(٢) صحيح البخاري- كتاب بدء الوحي- باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ٣/١:٣ رقم (١)، صحيح مسلم- كتاب الإمارة- باب قوله ٣: "إنما الأعمال بالنيات": ٣/١٥١٥ رقم (١٩٠٧) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٣/٣٠٦ رقم (١٢٤٥).

(٣) سورة الأنعام: الآية: ١٥٣.

(٤) صحيح البخاري- كتاب الصلح- باب إذا استصلحوا على صلح جورٍ فالصلح مردود: ٢/٩٥٩ رقم (٢٥٥٠)، صحيح مسلم- كتاب الأقضية- باب نقض الأحكام الباطلة: ٣/١٣٤٣ رقم (١٧١٨) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٢/٢٢٦ رقم (١١٢٠).

(٥) أبو علي الفضيل بن عياض التميمي الخراساني، ولد في سمرقند وارتحل في طلب العلم، روى عن الأعمش وحמיד الطويل وغيرهم وروى عنه ابن المبارك ويحيى القطان وغيرهم، كان في بداياته حياته من قطاع الطرق ثم تاب وحسنة توبته ثم رحل إلى مكة وجاور البيت الحرام، وكان عابداً زاهداً ورع كثير الحديث، توفي في مكة سنة ١٨٧هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: ٨/٤٢١، طبقات الحفاظ- جلال الدين بن أبي بكر السيوطي- ط: ١- دار الكتب العلمية- بيروت: ١/١١٠.

(٦) سورة الملك: الآية: ٢.

(٧) مدارج السالكين: ١/٨٩.

وبهذا المعنى فهم الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم ومن بعدهم سلف الأمة الصالح معنى العبادة فردية كانت أم جماعية، قلبية كانت أم عملية ولذلك كان نداء الأنبياء جميعاً لأممهم: { يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ }^(١).

كما لخص شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) رحمه الله هذه الحقيقة عندما تحدث عن العبادة بقولين: "هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، ... والإحسان للجار واليتيم والمسكين ... والدعاء والذكر والقراءة... وحب الله، ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بفضائه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله".^(٣) ومن هنا يتضح أن الدين كله داخل في العبادة، وأن العبادة جاءت لتسع الحياة كلها، وتتنظم جمع أمورها من آداب الأكل والشرب وقضاء الحاجة إلى بناء الدولة وإدارة شؤون المجتمع وترتيب العلاقات الدولية، وأن الشعائر التعبدية المختلفة لها أهميتها ومكانتها إلا أنها ليست العبادة كلها، وأن مقتضى العبادة التي يطالب بها الإنسان هو تكييف جوانب حياته المختلفة وفق المنهج القرآني طاعةً ومحبةً لله تعالى وخضوعاً لأمره واستسلاماً.^(٤) بدليل قوله تعالى: { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }^(٥) وقوله ﷻ في الحديث الذي يرويه أبو هريرة **t**: (دينار أفقته في سبيل الله، ودينار أفقته في رقبتك، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أفقته على أهلك)^(٦). وقال ﷻ في الحديث الذي يرويه شداد بن أوس **t**: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا ذبحتهم فأحسنوا الذبحه وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته).^(٧)

أهمية العبادة في بناء القيادات:

تعد العبادة ركناً أصيلاً وأساساً متيناً من أسس بناء واعداد القيادات في المنهج القرآني، ولاسيما إذا فهمت على حقيقتها وأتيح لها أن تؤدي وظيفتها التربوية في حياة الفرد والمجتمع، بعيداً عن الفهم القاصر الذي يعد العبادة ضرباً من الطقوس والمراسيم الشكلية ويقصرها على الشعائر التعبدية فقط.

(١) سورة الأعراف: الآية: ٥٩.

(٢) شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، العالم المفسر الخطيب الواعظ المجتهد، تفقه على مذهب أحمد، كان من بحور العلم الأندكيا المعدودين، عني بالحديث وبرع في الرجال وعلل الحديث وفقهه وعلم الكلام، امتحن وأوذي مراراً توفي بدمشق في ذي القعدة سنة ٧٨٢هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢٢٨/٢٢٨، طبقات الحفاظ للسيوطي: ١/٥٢٠.

(٣) رسالة العبودية أحمد بن عبد الحليم بن تيمية- ط: ٢- المكتب الإسلامي: ٣٨، مجموع الفتاوى: ١٠/١٤٩.

(٤) ينظر: مقاصد المكلفين- د. عمر الأشقر- ط: ١- مكتبة الفلاح - الكويت: ٤٦- ٦٧، مفاهيم ينبغي أن تصحح- محمد قطب- ط: ٨- دار الشروق- القاهرة: ١٧٣، ٢٠٣.

(٥) سورة الأنعام: الآية: ١٦٢.

(٦) صحيح مسلم- كتاب الزكاة- باب النفقة على العيال والمملوك: ٦٩٢/٢ رقم (٩٩٥).

(٧) صحيح مسلم- كتاب الصيد والذبائح- باب الأمر بإحسان الذبح وتحديد الشفرة: ٣/١٥٤٨ رقم (١٩٥٥).

والحقيقة أن للعبادات دورٌ كبيرٌ في تقرير حقائق الرسالات الإلهية، وحماية الفطرة الإنسانية طالما تمثلت فيها عناصر الحب والخضوع لله U ، وتم أداؤها بنية صادقة في جوٍ من الإخلاص لله تعالى والموافقة لمنهجه.

وتتبع أهمية العبادة من شمول مدلولها الذي يكتنف الحياة الإنسانية بجميع جوانبها، بما في ذلك وظيفة الاستخلاف وعمارة الأرض التي كلف بها الإنسان، قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } (١).

ويمكن استيعاب أهمية العبادة في بناء القيادات من خلال استعراض أبرز الوظائف التي تؤديها في حياة الفرد والمجتمع وذلك من خلال ما يأتي:

١- تعميق مفهوم الاعتقاد وتثبيته في النفس الإنسانية:

ذلك أن روح العبادة يتمثل في غرس محبة الله تعالى وخشيته في القلوب والشعور بعظمته في النفوس، والتوجه إليه بما شرع من عبادات تمثل مظهراً عملياً لصدق الإنسان في دعوى الإيمان، وتذكيراً دائماً بقدرة الله تعالى وسلطانه.

"والعبادة هي المظهر الإيجابي للعقيدة، والتجسيد العملي لها، ولو أن العقيدة لم تثمر العبادة لكانت عقيدة عقيماً لا دليل عليها ولا أثر كالحبة مستقرة في باطن التربة لا تنبت ولا تزهر ولا تثمر." (٢)

٢- تثبيت القيم الأخلاقية والسلوكية في النفس الإنسانية:

من أهم الوظائف التي تقوم بها العبادة غرس المثل العليا والفضائل الكريمة وتنميتها، والقضاء على الرذائل والتخفيف من آثارها. قال تعالى: { أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } (٣).

٣- تنمية الجانب الاجتماعي:

وهوما يظهر من خلال العديد من العبادات الجماعية مثل صلاة الجماعة وغيرها من الصلوات الجامعة مثل صلاة الاستسقاء والخسوف والكسوف والتراويح، وكذلك الزكاة بما تمثله من تعاون وتكافل بين أبناء الأمة الواحدة، فضلاً عن الأثر الاجتماعي لعبادات أخرى كالحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ازْكُرُوا مَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ } (٤).

(١) سورة البقرة: الآية: ٣٠.

(٢) القرآن الكريم رؤية تربوية - د. سعيد إسماعيل علي - ط: ١ - دار الفكر العربي - مصر: ٣٤٤.

(٣) سورة العنكبوت: الآية: ٤٥.

(٤) سورة الحج: الآيتان: ٧٧، ٧٨.

٤- ربط الإنسان بخالقه تعالى ربطاً دائماً متجدداً:

تعمل العبادة على توثيق صلة العبد بربه عن طريق ما يقوم به من أداءٍ للعبادات المختلفة وتكرارها وتنوعها، مع ما يصاحب هذه العبادات من إخلاصٍ ونيةٍ واستشعارٍ دائمٍ لحضوره تعالى وقربه من العبد.

٥- أنها تمثل وسيلة تربية وتعليم و تثقيف:

فما من عبادة إلا وهي تسهم في تربية الفرد وتركيزه نفسه وتطهير روحه، فضلاً عما تتطلبه بعض العبادات من تعرف على بعض العلوم وبالصلاة مثلاً يتعرف الإنسان على معلومات فلكية لمتابعة أوقات الصلوات، وبالزكاة يتعرف على معلومات اقتصادية لاحتياجه إلى معرفة النصاب الذي تجب فيه الزكاة وأنواع المال المزكى والمقدار الواجب وإخراجه، كما يتعرف على معلومات اجتماعية من خلال تعرفه على فئات المجتمع وشرائحه المختلفة ومستوياتهم المعيشية حتى يتمكن من تحديد الأصناف المستحقة للزكاة.

وأما الصيام والحج فيتعرف الإنسان من خلالهما على معلومات تاريخية وجغرافية تتعلق بالزمان والمكان والمناخ والتضاريس، فضلاً عن المعلومات الطبية المتعلقة بالقدرة والاستطاعة، وغير ذلك من أنواع العلوم والمعارف التي يستفيد منها الإنسان خلال أدائه للعبادات. (١) قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (٢) وقال تعالى: { الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ } (٣).....

والعبادة صلة مباشرة بين العبد وربه تربيته على الإحساس بالقرب منه تعالى والتواصل المستمر معه واستشعار عونه ومدده، الأمر الذي يمنحه القدرة على الصمود ومواجهة التحديات التي تعترض طريقه ويدفعه للعمل والإبداع وهي أمور لا غنى للإنسان عنها وخاصة إذا كان ممن يتولون مواقع قيادية في مجتمعاتهم، ويمكن التعرض لأهم الآثار التربوية العامة للعبادة في حياة القيادات على النحو الآتي:

- ١- الوصول بالإنسان إلى مرتبة التقوى.
- ٢- الوصول بالإنسان إلى مرتبة المراقبة.
- ٣- الوصول بالإنسان إلى مرتبة الإحسان والإتقان.
- ٤- أنها تمثل أصلاً أساسياً مهماً من عوامل التوحد بين المسلمين.
- ٥- الإسهام في بناء وتكوين الشخصية الإسلامية المتكاملة.
- ٦- تحرير النفس الإنسانية من العبودية لغير الله تعالى
- ٧- الترقى في المقامات للوصول بالنفس البشرية إلى مقام العبودية
- ٨- الدخول في معية الله تعالى
- ٩- تربية النفس البشرية على منهج الوسطية والاعتدال.

(١) ينظر: سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها: ٢٠٠.

(٢) سورة البقرة: الآية: ١٨٣.

(٣) سورة البقرة: الآية: ١٩٧.

- ١٠- تطهير النفس البشرية وتخليصها من آفات القلب واللسان والجوارح.
- ١١- تربية النفس المسلمة على الفضائل الثابتة المطلقة التي لا تقف عند حدود الأرض أو القوم أو المصلحة.
- ١٢- منح النفس المسلمة شحنات متتالية من القوة والثقة والأمل وإزالة ما قد يعلق بها من آثام وأخطاء^(١).
- ١٣- تربية النفس المسلمة على الشعور التام بروح الطاعة والنظام والانضباط من خلال الالتزام الدقيق بأوقات ومواعيد العبادات وهيئاتها المشروعة^(٢).

وأخيراً فإن العبادة الواعية تربي المسلم على الارتباط بالمسلمين حيث ما كان ارتباطاً واعياً منظماً مبنياً على عاطفة صادقة وثقة عظيمة بالنفس الأمر الذي يكسب الفرد لذة الشعور بقوة الجماعة وعواطفها المشتركة، بالإضافة إلى لذة المناجاة الفردية والشعور بقوة الذات المسلمة التي تستمد قوتها من خالقها جل وعلا^(٣).

(١) ينظر: أصول التربية الإسلامية- د. عبد الرحمن النحلاوي- طبعة مصورة عن الطبعة الثانية- دار الفكر المعاصر- بيروت، دمشق: ٥٥-٥٨.

(٢) يراجع: بين العقيدة والقيادة: ١٠٦.

(٣) ينظر: أصول التربية للنحلاوي: ٥٥.



ثالثاً: الأخلاق

مفهوم الأخلاق:

الأخلاق في اللغة: جمع خُلُق، والخُلُق: بضم اللام وسكونها هو الطبع والسجية. وحقيقة الخُلُق: أنه اسم لصورة الإنسان الباطنة وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخُلُق اسم لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها.^(١)

أما في الاصطلاح: فقد عرف ابن مسكويه^(٢) الخلق بأنه: "حالٌ للنفس داعيةٌ لها إلى أفعالها من غير فكرٍ ولا روية".^(٣)

وعرفه الإمام الغزالي^(٤) رحمه الله بأنه: "هيئةٌ في النفس راسخةٌ، عنها تصدر الأفعال بسهولةٍ ويسرٍ، من غير حاجةٍ إلى فكرٍ وروية".^(٥)

والأخلاق حالٌ للنفس الإنسانية تصدر عنها الأفعال والتصرفات وأنماط السلوك الإنساني الخارجي بشكلٍ طبيعي لا تكلف فيه ولا تصنع، وهي تتميز بالرسوخ والثبات وتنمو بالعادة والمران، كما أنها تستند إلى الشرع والعقل المناطين بالتحسين والتقبيح، فالحسن ما حمد شرعاً وعقلاً وهو محل ثواب والقبيح ما ذم شرعاً وعقلاً وهو محل عقاب^(٦).

ومعلوم أن الله تعالى خلق الإنسان وركب في نفسه استعداداً مزدوجاً لقبول الخير والشر وسلوك طريقهما، قال تعالى: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا }^(٧). وقال تعالى: { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا }^(٨)، إلا أن الله U من رحمته بالإنسان جعل فطرته أقرب في أصلها إلى الخير والسلامة والاستقامة بنص قوله تعالى: { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ }^(٩)، وأودع هذه الفطرة أصول الأخلاق والفضائل الكريمة، وركب فيها حب موافقتها والإتيان بها

(١) ينظر: معجم المفردات في الفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: ١٥٨، لسان العرب - مادة خلق: ٨٦/١٠.

(٢) هو أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الخازن المعروف بابن مسكويه، اشتغل بالفلسفة والكيمياء والتاريخ، له العديد من المصنفات توفي سنة ٤٢١هـ. ينظر: معجم الأدباء - ياقوت الحموي - طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت: ٥/٥، الأعلام للزركلي: ١/٢١١.

(٣) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق - أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه - طبعة المطبعة المصرية - القاهرة: ٤١.

(٤) حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الفقيه الشافعي، تفقه ببلاده ثم تحول إلى نيسابور ولازم إمام الحرمين، برع في الفقه ومهر في الكلام والجدل وناظر الفلاسفة وأفصحهم، له العديد من المصنفات في الأصول والفقه والكلام توفي سنة ٥٠٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣٢٢/١٩، طبقات الفقهاء ٢٤٨/١.

(٥) إحياء علوم الدين - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي - ط: ١ - دار القلم - بيروت - لبنان: ، الأخلاق عند الغزالي - زكي مبارك - طبعة دار اليوسف للطباعة والنشر - القاهرة: ١١٦.

(٦) يراجع: الأخلاق عند الغزالي: ، المسؤولية الخلقية والجزاء عليها - د. أحمد عبد العزيز محمد الجليبي - ط: ١ - مكتبة الرشد، شركة الرياض - الرياض: ١٨ - ٤٨.

(٧) سورة الشمس: الآيات: ٧ - ١٠.

(٨) سورة الإنسان: الآية: ٣.

(٩) سورة التين: الآية: ٤.

وبغض مخالفتها، ولا يخرج عن ذلك إلا من انتكست فطرته بفعل عوامل البيئة وضلال التربية، وسيطرة الشهوات وإغواء الشيطان، وهو ما دل عليه قوله ٣: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه).^(١) ولا شك أن المراد بالفطرة في الحديث هو الإسلام.

ولكي تنمو الأخلاق الحسنة في نفس الإنسان لابد من الاستعانة ببعض الوسائل المؤدية إلى ذلك وفي مقدمتها: التدريب العملي الرياضة النفسية، والانغماس في البيئات الصالحة، وكذلك وجود القدوة الحسنة، ووجود القوانين الرادعة التي تشجع الفضيلة وتحارب الرذيلة^(٢).

وقد اهتم المنهج القرآني بموضوع الأخلاق اهتماماً كبيراً حيث صاغها حسب تصوره في الاعتقاد، وبنائها على أساس الحقيقة الكبرى للكون والإنسان والحياة، وفي ضوء مهمة الإنسان في الحياة، كما بين أهمية الأخلاق في حياة الإنسان منذ النشأة الأولى حين ذكر قصة أبينا آدم U وأثر اعتذاره عن الخطأ واعترافه بالذنب في قبول توبته فقال تعالى: { قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }^(٣). وقال تعالى: { فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }^(٤). وقران ذلك بأثر الكبر ورفض تنفيذ أوامر الله U في هلاك إبليس وطرده من رحمة الله U حيث قال تعالى: { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ }^(٥).

أهمية الأخلاق في بناء القيادات:

- للأخلاق أهمية بالغة في حياة القيادات فهي تمثل أساساً من أسس بناء الإنسان وضمانة من أهم ضمانات الحفاظ على المجتمع، ويمكن الإشارة إلى أهميتها بالنسبة للقيادات فيما يأتي:
- ١- إن قيمة الفرد إنما تقدر بأخلاقه التي يتصف بها وأعماله التي يقدمها لمجتمعه وأمته. قال تعالى: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ }^(٦).
 - ٢- أنها تمثل القواعد التي يسير عليها الأفراد في تعاملهم مع خالقهم U ومع أنفسهم ومجتمعاتهم.
 - ٣- أنها تمثل القاسم المشترك لجميع القيم الروحية والتربوية، والفكرية والسياسية، والاجتماعية والاقتصادية. قال تعالى: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنِّمِ وَالْعُدْوَانِ }^(٧).

(١) صحيح البخاري- كتاب الجنائز- باب ما قيل في أولاد المشركين: ١/ ٤٦٥ رقم (١٣١٩).

(٢) يراجع: الاخلاق الإسلامية وأسسها - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني - ط: ٥- دار القلم- دمشق: ١٨٤- ٢٠٩.

(٣) سورة الأعراف: ٢٣.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٣٧.

(٥) سورة البقرة: الآية: ٣٤.

(٦) سورة الحجرات: الآية: ١٣.

(٧) سورة المائدة: الآية: ٢.



٤- المحافظة على سلامة الفطرة الإنسانية وصيانتها من الانحراف. قال تعالى: { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }^(١).

٥- أنها تمثل مجموعة المعاني المستقرة داخل النفس الإنسانية، والتي يزن الإنسان بها حسن الفعال وقبحها. قال تعالى: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا }^(٢). وقال ٢ في الحديث الذي يرويه النواس بن سمعان t: (الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس).^(٣)

٦- أنها سبب الذكر الجميل والثناء الحسن الذي يناله الإنسان. بدليل مدح الله U لنبيه ٢ بقوله: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }^(٤).

٧- أنها سبب النجاة والفلاح والفوز بنعيم الآخرة. قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ }^(٥).

٨- أن الإنسان ينال بها من المكانة في الآخرة ما لا يناله بشيء آخر. قال ٢ في الحديث الذي يرويه جابر بن عبدالله t: (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً)^(٦).

إن الخلق هو طابع الشخصية الجوهري، والقول أن فلاناً من الناس رجلٌ خلقٌ هو أجمل مديح يصاغ له، ولذلك كان مما امتدح الله تعالى به نبيه ٢ قوله تعالى: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }^(٧)؛ لأن الخلق مزية شاملة تتصل ببقية المزايا بل وتدخل فيها، والخلق هو الموقف الواضح والتصرف الحازم والمسؤولية الواعية والصراحة والشجاعة، وهو المزية النادرة التي توحى بالثقة والاطمئنان، وهو أخيراً أساس الوفاء والمهابة اللذين يستمد منهما القائد نفوذه وتأثيره^(٨).

إن مزايا القائد الخلقية لا تتعلق بحرفته فحسب بل بحياته كإنسان هل يستطيع أن يحترم مبادئ الصدق والامانة والصراحة في المسكن والمكتب، أم أنه يدعو إليها في مقر عمله فحسب حتى إذا غير محيطه بعد ساعات تخلى عن هذه المبادئ وتكرر لها؟! وأي قوة إقناع تكون لمربٍ يخرق اليوم المبادئ التي علمها بالأمس، وبأي شعور يصغي إلى درسه مستمعون لا يجهلون من سقطاته وزلاته شيئاً؟^(٩)

(١) سورة هود: الآية: ١٢١

(٢) سورة الشمس: الآيات: ٧- ١٠.

(٣) صحيح مسلم- كتاب البر والصلة والآداب:- باب تفسير البر والإثم: ٤/١٩٨٠ رقم (٢٥٥٣).

(٤) سورة القلم: الآية: ٤.

(٥) سورة فصلت: الآية: ٣٠.

(٦) سنن الترمذي- كتاب البر والصلة- باب ما جاء في معالي الأخلاق: ٤/٣٧٠ رقم (٢٠١٨) وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٧) سورة القلم: الآية: ٤.

(٨) ينظر: بين العقيدة والقيادة: ٩٢.

(٩) ينظر: المصدر نفسه: ٩٣.

رابعاً: العلم

مفهوم العلم:

العلم: هو مجموعة المعلومات التي ترتبط لتكون نظاماً أو منهجاً، والتي تسمح لحاملها أن يتخذ قراراً في ميدان الممارسة والتطبيق".^(١)

وكلمة العلم تحمل معانيها من المنهج القرآني كتاباً وسنة، حيث أطلق القرآن الكريم لفظ العلم على ما أتاه الله عباده من معلومات وما أوحى به إلى أنبيائه ورسوله صلوات الله وسلامه عليهم من تشريعات. قال تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ^(٢). وقال تعالى: {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} ^(٣).

وتستمر الآيات الكريمة في بيان مفهوم العلم وإقرانه بالحكم والإيمان والبيان، ومعرفة المنهج السوي والنجاة من الفتن بأنواعها. قال تعالى: {يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا} ^(٤). وقال تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} ^(٥).

وأساس العلم القرآن الكريم والسنة المطهرة والفريضة العادلة التي تعني تطبيق المنهج الإلهي في واقع البشرية تطبيقاً أميناً متكاملماً سواءً في ميدان الفرائض والشعائر الدينية أوفي غيره من ميادين الحياة المختلفة، زيادة على ما يصل إليه الإنسان من نتائج وحقائق كونية من خلال تفعيل وظيفة التفكير والتأمل واستعمال أدوات البحث العلمي والتجارب العلمية مما تحتاج إليه البشرية ولا يتعارض مع المنهج الإلهي ^(٦).

أهمية العلم في بناء القيادات:

١- أنه يمثل أساساً مهماً في بناء الفرد والمجتمع، وبدونه لا يتحقق التكامل والشمول والتوازن المطلوب لتشكيل أبعاد الشخصية الإنسانية من روح وعقل ووجدان وبدن ^(٧). قال تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} ^(٨).

٢- أنه يمثل أهم الوسائل وأكثرها فعالية في تحقيق تقدم الفرد والمجتمع وازدهارهما وتحسين مستوى معيشتهم. قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} ^(٩).

٣- أنه يمثل وسيلة الإنسان الوحيدة لتكوين التصور الحقيقي عن الكون الذي يعيش فيه، وإدراك حقائقه وأسراره. قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لَأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ

(١) التربية في الإسلام النظرية والمنهج: ٣٣.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٣١.

(٣) سورة العلق: الآيات: ٣- ٥.

(٤) سورة مريم: الآية: ٤٣.

(٥) سورة البقرة: الآية: ١٢٠.

(٦) ينظر: التربية في الإسلام النظرية والمنهج: ٢٩ - ٣٥.

(٧) ينظر: فلسفة التربية الإسلامية للزنتاني: ٢٩٢، التربية الإسلامية النظرية والمنهج: ٣٤.

(٨) سورة الزمر: الآية: ٩.

(٩) سورة الحديد: الآية: ٢٥.

اللَّهُ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۗ { (١) .

٤- كونه يمثل الطريق الوحيد للاستفادة من مكونات الكون والحياة وتستخيرها لخدمة الأفراد والمجتمعات. قال تعالى: { أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ } (٢) .

٥- كونه يمثل الوسيلة الوحيدة لمعرفة تعاليم الدين على النحو الصحيح كما أراده الله U. قال تعالى: { أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } (٣) .

٦- كونه يمثل وسيلة الإنسان لمعرفة نفسه بقواها المختلفة وجوانبها المتعددة الأمر الذي يقود إلى إصلاحها والارتقاء بها. قال تعالى: { وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ } (٤) .

٧- تمكين الإنسان من القيام بواجبات الاستخلاف وعمارة الأرض والارتقاء بها وفق المنهج الرباني. (٥) قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ } (٦) .

٨- الحفاظ على الفطرة الإنسانية. قال تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } (٧) .

٩- أنه يمثل صمام أمان للفرد والمجتمع. قال ٢ في الحديث الذي يرويه أنس بن مالك t: (إن من إشرط

الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل ويشرب الخمر، ويظهر الزنا) (٨) . وقال ٢ في الحديث الذي يرويه عبد

الله بن عمرو t: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم ب موت العلماء حتى إذا

لم يبق عالماً أخذ الناس رؤوساً جهلاً فاستلوا فأفناوا بغير علم فضلوا وأضلوا) (٩) .

(١) سورة آل عمران: الآيتان: ١٩٠ - ١٩١ .

(٢) سورة لقمان: الآية: ٢٠ .

(٣) سورة محمد: الآية: ١٤ .

(٤) سورة الذاريات: الآية: ٢١ .

(٥) ينظر: منهج التربية في التصور الإسلامي: ٤٣ - ٥٤ .

(٦) سورة البقرة: الآيات: ٣٠ - ٣٣ .

(٧) سورة الأعراف: الآية: ١٧٢ .

(٨) صحيح البخاري- كتاب العلم- باب رفع العلم وظهور الجهل: ٤٣/١ رقم (٨٠) ، صحيح مسلم- كتاب العلم- باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل: ٤/٢٠٥٦ رقم (٢٦٧١) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٣/٢٨١ رقم (١٧٠٩) .

(٩) صحيح البخاري- كتاب العلم- باب كيف يقبض العلم: ١/٥٠ رقم (١٠٠) ، صحيح مسلم- كتاب العلم- باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل: ٤/٢٠٥٨ رقم (٢٦٧٣) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٣/٢٨٣ رقم (١٧١٢) .

وقد أدرك الناس هذه الحقيقة منذ أيام الجاهلية فقال شاعرهم:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة إذا جهالهم سادوا^(١)

١٠- أنه يمثل أداة تحويل المعرفة النظرية إلى عملية سلوكية، كما يمثل أداة تغيير السلوك الإنساني نحو الإيجابية^(٢). قال تعالى على لسان نبي الله يوسف: { إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون * واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون }^(٣). وقال تعالى على لسان ذي القرنين وهو يخاطب أمة ما بين السدين: { أتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال أتوني أفرغ عليه قطرا }^(٤).

١١- إن قيمة الإنسان الحقيقية إنما تكون بالإيمان والعلم الذي يمثل عاملاً من عوامل رفعة الإنسان وتفضيله على غيره.^(٥) قال تعالى: { وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم }^(٦).

١٢- أنه يمثل الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة الكبرى للوجود، والمتمثلة في معرفة الله تعالى وعبادته. وقال تعالى: { فأعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك }^(٧).

ومن خلال ما سبق تتضح مدى أهمية العلم والمعرفة في بناء القيادات لاسيما مع تعدد مهامها وتنوع مجالات عملها؛ الأمر الذي يفرض على هذه القيادات معرفة تامة بالسنن الإلهية وعدم مصادمتها، والتجارب الإنسانية للإستفادة منها، والنفسيات البشرية للتعامل معها، والقوى الطبيعية لتسخيرها في خدمة الإنسان، وهو ما يتطلب أيضاً الإلمام بالعلوم الشرعية والإنسانية والاجتماعية والنفسية حتى تتمكن من أداء دورها على الوجه المطلوب.

(١) سبق تخريج البيت: ص ٣٠.

(٢) ينظر: منهج التربية الإسلامية: ٢٧/١.

(٣) سورة يوسف: الآيتان: ٣٧، ٣٨.

(٤) سورة الكهف: الآية: ٩٦.

(٥) ينظر: منهج التربية في القرآن: ٢٤٢.

(٦) سورة البقرة: الآية: ٢٤٧.

(٧) سورة محمد: الآية: ١٩.

المطلب الثاني

مراحل البناء والإعداد

أولاً: مرحلة الاصطفاء والانتقاء

مفهوم الاصطفاء والانتقاء:

الاصطفاء لغةً: الاختيار، وهو مشتق من الصفاء الذي هو نقيض الكدر، ومنه الصفي: وهو الذي يختاره الكبير فيقدمه على غيره ويستخلصه لنفسه^(١)، ومنه قوله تعالى: { وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى }^(٢). وقوله تعالى: { قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ }^(٣). وقوله تعالى: { وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ }^(٤).

ويمكن تعريفه في الاصطلاح: بأنه اختيار نماذج من فئات المجتمع المختلفة لديها من القدرات والمهارات ما يميزها عن أقرانها، ولديها من الاستعداد ما يمكنها من الارتقاء بنفسها في مدارج الكمال البشري حتى تكون أهلاً لتحمل المسؤوليات المختلفة وأدائها على الوجه الأمثل^(٥).

وتقتضي عملية الاصطفاء أن يكون الاختيار والانتقاء صادراً من قبل صاحب الأمر والسلطان، كما هو الحال بالنسبة للرسول والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم الذين اختارهم الله U بنفسه ورياهم على عينه وأعددهم ليكونوا في غاية الكمال البشري خلقاً وخلقاً^(٦). قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ }^(٧). وقال تعالى: { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }^(٨). وقال تعالى في حق آدم U: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً }^(٩).

(١) لسان العرب- مادة صفي: ١٤ / ١٦٢.

(٢) سورة محمد: الآية: ١٥.

(٣) سورة الأعراف: الآية: ١٤٤.

(٤) سورة يوسف: الآية: ٥٤.

(٥) ينظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية- د. زياد محمود العاني- ط: ١- شركة الراشد للطباعة والنشر- بغداد: ٨٥، القيادة الإدارية في الإسلام لعبد الشافي أبو الفضل: ١٧٩.

(٦) ينظر: القيادة الإدارية في الإسلام- محمد صابر البرديسي- طبعة مجمع البحوث الإسلامية- مصر: ١٧٤، القيادة الإدارية في الإسلام لعبد الشافي أبو الفضل: ١٧٩.

(٧) سورة آل عمران: الآية: ٣٣.

(٨) سورة الحج: الآية: ٧٥.

(٩) سورة البقرة: الآية: ٣٠.

وقال تعالى في حق إبراهيم U : { وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } (١).

وقال تعالى في حق يوسف U : { وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ } (٢).

وقال تعالى في حق موسى U : { قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ } (٣).

كما أكد سبحانه وتعالى على اختياره واصطفائه للمؤمنين من أتباع الرسل فقال تعالى: { وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ } (٤). وقال تعالى: { يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (٥). ومن بين هؤلاء المؤمنين يصطفى الشهداء ويختارون ويُنْتَقُونَ انتقاءً بنص قوله تعالى: { وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } (٦)، بل إن سكان الجنة وورثة الفردوس الأعلى لهم مواصفات خاصة ينتقون بموجبها وهو ما يتضح من خلال قوله تعالى: { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } (٧).

كما تقتضي عملية الاصطفاء والانتقاء وجود شخصيات تتصف بالالتزام العقائدي والأخلاقي، وتمتلك القدرة والكفاءة والتأهيل العلمي العالي في مجال إعداد وتأهيل القيادات، كما تمتلك من الخبرة والمعرفة ما يمكنها من النجاح في اكتشاف المواهب والقدرات وتحديد ذوي الاستعداد القيادي وتهيئتهم لمرحلة الإعداد والتأهيل. إن عملية الاصطفاء والانتقاء ليست هدفاً بحد ذاتها، وإنما هي وسيلة لتربية وإعداد المجموعة المختارة للقيام بواجبات القيادة وأداء المهام المناطة بها، وهذا ما نلاحظه في حياة الأنبياء والرسل الكرام الذين تم اختيارهم من قبل الله U وإعدادهم لحمل أمانة الدعوة وخوض عمار الصراع مع الباطل، وتعبيد البشرية لله تعالى، وهو ما يتضح جلياً في قوله تعالى لموسى U : { وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي * أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي دُعْرِ * أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } (٨).

(١) سورة البقرة: الآية: ١٣٠.

(٢) سورة يوسف: الآية: ٦.

(٣) سورة الأعراف: الآية: ١٤٤.

(٤) سورة القصص: الآية: ٥.

(٥) سورة الحجرات: الآية: ١٧.

(٦) سورة آل عمران: الآية: ١٤٠.

(٧) سورة القصص: الآية: ٨٣.

(٨) سورة طه: الآيات: ٤١ - ٤٤.

وتقتضي عملية الاصطفاء والانتقاء تهيئة الأشخاص المختارين تهيئة خاصة نفسياً وجسدياً، والرفع من مستوى القدرات والمهارات التي يتمتعون بها؛ حتى يتميزوا عن غيرهم ويمكن المفاضلة بينهم وبين سواهم، ويتمكنوا من قيادة الجماهير في مسيرة الإصلاح والتغيير. ^(١) قال تعالى: { وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } ^(٢).

إن عملية الاصطفاء والانتقاء وهي تعمل على الارتقاء بالمجموعة المختارة روحياً وعقلياً وجسدياً، وتنمية المواهب والقدرات التي تميزها عن غيرها، لا تعني اعتزال المجتمع والابتعاد عنه، كما لا تعني التفرقة على النفس والسلبية في مواجهة القضايا، وإنما تعني الإيجابية في التعاطي مع القضايا المختلفة والاختلاط الفاعل بأفراد المجتمع بهدف تعزيز الجوانب الإيجابية وتقويم الجوانب السلبية، وقد مثل الأنبياء الكرام صلوات الله وسلامه عليهم حالة الاصطفاء الرباني ومع ذلك قاموا بواجبات التربية والإصلاح والتقويم لأممهم وأقوامهم ومارسوا حياة البشر بكل تفاصيلها. ^(٣) قال تعالى في حق نوح U : { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ } ^(٤). وقال تعالى في حق إبراهيم U : { وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ } ^(٥).

وهذا رسول الله ﷺ كان يحرص على دعوة الناس في كل مناسبة ويستغل اجتماعهم في الأسواق والمواسم يرشدهم إلى الله U وبلغهم دينه في الوقت الذي كان يهيء فيه النخبة القيادية والصفوة المختارة في دار الأرقم بن أبي الأرقم. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا } ^(٦).

أهمية اصطفاء وانتقاء القيادات:

خلق الله U عباده وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة وجعلهم متفاوتين في القدرات والاستعدادات والمواهب. قال تعالى: { أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ } ^(٧). وقال

(١) ينظر: نحو صحوة إسلامية في مستوى العصر: ١٨٦.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢٤٧.

(٣) ينظر: نحو صحوة إسلامية في مستوى العصر: ١٨٧.

(٤) سورة العنكبوت: الآية: ١٤.

(٥) سورة الأنبياء: الآيتان ٥١، ٥٢.

(٦) سورة الأحزاب: الآيتان ٤٥، ٤٦.

(٧) سورة الزخرف: الآية: ٣٢.

تعالى: { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } (١).

وعلى مدى تأريخ البشرية الطويل نجد أن القيادات البارزة والمؤثرة لم تأت صدفةً ولم تظهر فجأةً، وإنما جاءت بناءً على اختيار واصطفاء وانتقاء، وتولت زمام الأمور بعد تربية وإعداد وتأهيل وفي مقدمة هذه القيادات أنبياء الله تعالى ورسله U.

لقد عاش بنو إسرائيل مدة طويلة من الزمن في ظل الاستبداد والاستعباد الفرعوني حتى بعث الله إليهم موسى U بعد أن صنعه صناعة خاصة ليخوض بهم معركة التحرير والإنقاذ، وتكرر معهم الأمر نفسه بعد وفاة موسى U حين عانوا من ظلم جالوت وطغيانه وانتظروا مجيء المخلص الذي كان في هذه المرة طالوت ذو المواصفات الخاصة فخاض بهم معركة التحرير مرة أخرى.

قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ* وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (٢).

ولقد عانت البشرية قبل بعثة النبي ٣ ألواناً من الظلم والجهل والفساد ووصلت إلى الحضيض حتى بعث الله محمد ٣ هادياً ومنقذاً ومخرجاً لها من الظلمات إلى النور قال تعالى: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (٣).

وفي فترة من فترات الذل والهوان والتمزق والشتات التي مرت بالأمة الإسلامية سيطر الصليبيون على بلاد المسلمين فسفكوا الدماء وانتهكوا الأعراض وسلبوا الثروات واحتلوا بيت المقدس وعاثوا في الأرض فساداً فجاء صلاح الدين ليوحد الصفوف ويجمع الكلمة ويقود الأمة في معركة التحرير حتى تحقق على يديه النصر.

"إن الأعداد الوفيرة الضخمة من الجنود تملأ كل فج، جاهزة للتضحية والبذل، تتوقد حماساً وحيويةً أن ترى الإسلام يسود الوجود، لكنها تنتظر القائد المبصر، والرائد الحكيم الذي يخوض بها لجج البحار، وفي الظلمات المدلهمة، فيكون الريان الماهر الذي يقودها إلى شاطئ السلامة، ويحقق بها موعود الله في الأرض فأين هذا القائد؟ هل هناك معامل تخرج النخبة وتصنع القيادات؟ أم أن القيادات الفذة هبة إلهية تعز وتندر إلى أن يأذن الله بفجر جديد على يد قائد جديد". (٤)

(١) سورة الأنعام: الآية: ١٦٥.

(٢) سورة البقرة: الآيات: ٢٤٦، ٢٤٧.

(٣) سورة الجمعة: الآية: ٢.

(٤) التربية القيادية- منير الغضبان- ط: ١- دار الوفاء- المنصورة- مصر: ١/ ٧.

إن خلاصة ما توصل إليه الفكر الحديث في مسألة القيادة أنها مزيج من الفن والموهبة والوراثة والاكْتساب، وأن القادة يصنعون ولا يولدون، وأن نظرية الرجل العظيم الذي يصلح لكل شيء انتهت منذ زمن وحل محلها ما يعرف بصناعة القائد، وهو أمر يتفق مع المنهج القرآني في الإصلاح والتغيير والتربية بنص قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } (١) الأمر الذي يفرض على الأمة أن لا تقف مكتوفة الأيدي في انتظار المخلص والمنقذ طالما وهي تمتلك المنهج الرباني الصالح لتربية وإعداد القيادات، وإنما عليها المسارعة لاصطفاء الشخصيات التي يتوافر لديها الاستعداد القيادي والقيام بإعدادها وتأهيلها وتمكينها من قيادة الأمة إلى بر الأمان.

ويمكن إيجاز أهمية عملية الاصطفاء والانتقاء فيما يأتي:

أولاً: إن عملية الاصطفاء والانتقاء تمثل سنة إلهية وضرورة واقعية في اختيار القيادات:

تمثل عملية اصطفاء وانتقاء القيادات سنة إلهية وضرورة واقعية مر بها جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام والقيادات المؤثرة عبر تاريخ البشرية الطويل، وقد يوجد من يشذ عن هذه القاعدة ولا يمر عبر هذه السنة إلا أن الفرق يظل واضحاً بين القيادتين.

إن أهمية القيادة وخطورة دور القائد تتطلب الاهتمام بعملية الاصطفاء والانتقاء للشخصيات المرشحة لأي موقع قيادي وإخضاعها لعملية إعداد وتأهيل مكثف، ويمكن الإشارة إلى هذه السنة من خلال الآتي:

١ - اصطفاء الله تعالى وانتقائه لأنبيائه ورسله عليهم السلام:

لاشك أن مقام النبوة والرسالة هو أعظم المقامات البشرية لما يمثله من ارتباط مباشر مع الله **U** وتبليغ عنه، وقيامه بواجب الهداية للبشرية وقيادتها وفق منهجه سبحانه وتعالى، ولذلك اقتضت الحكمة الإلهية انتقاء الصفوة المختارة من الأنبياء والرسل عليهم السلام انتقاءً ربانياً من بين مجموع البشر، وتكميلهم بالفضائل وتنقيتهم من الرذائل، كي يجسدوا قمة الكمال البشري، ويمثلوا مشاعل الهداية لأممهم ويقوموا بواجبات الدعوة والتربية وقيادة البشرية المعذبة إلى بر الأمان. قال تعالى: { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } (٢). وقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } (٣). وقال تعالى: { اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ } (٤).

إن أبرز ملامح هذا الاصطفاء والانتقاء يمكن إدراكها من خلال الإشارة إلى العناية الإلهية التي تجلت في حفظ الله تعالى لإبراهيم **U** وهو في وسط النار، وحفظه تعالى ليوسف **U** وقد ألقى في الجب وتعرض للفتن في بيت العزيز ومكث في السجن بضع سنين، كما يمكن ملاحظتها في حفظه تعالى لموسى **U** من الغرق وقد ألقى في اليم ثم وصل إلى يد فرعون وعودته بعد ذلك لينشأ في كنف أمه، وكذلك عناية **U** بعبد الله

(١) سورة الرعد: الآية: ١١.

(٢) سورة الحج: الآية: ٧٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية: ٣٣.

(٤) سورة الأنعام: الآية: ١٢٤.

بن عبد المطلب والد النبي ٣ وإنقاذه من الذبح في قصة نذر عبد المطلب؛ لما يحمله في صلبه من نطفة طاهرة سيكون منها قائد البشرية وخاتم الأنبياء والرسل محمد ٣^(١).

٢- اصطفاء الأنبياء والرسل عليهم السلام وانتقاؤهم للنخب القيادية في أممهم:

إن القيادة ليست حكراً على طائفة معينة حتى ولو كانت ممثلة بالأنبياء والرسل عليهم السلام الذين يمثلون صفوة البشر؛ لأنهم غير مخلدين كما قال تعالى: { وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ }^(٢). ولأنهم في حاجة إلى من يناصرهم ويقف إلى جوارهم ويشد من أزهرهم ويشاركهم في تحمل أعباء الدعوة والتربية والتمكين لدين الله في الأرض، ولذلك حرصوا صلوات الله وسلامه عليهم على اختيار وانتقاء مجموعاتٍ من أتباعهم ممن يتوسمون فيهم القدرة على استيعاب المنهج الإلهي والالتزام به وتطبيقه على أنفسهم ودعوة الناس إليه، والعمل على حمايته وتحمل تبعات ذلك بإيمان راسخ وبقين ثابت.

فموسى ١ كان له صفوة مختارة من أتباعه تم اختيارهم بعناية ليمثلوا طليعة المجتمع اليهودي في تلك المرحلة وهم النقباء^(٣) الذين ذكرهم الله ١ في قوله تعالى: { وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ }^(٤). وقوله تعالى: { وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِيَّايَ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ }^(٥) إلا أنه وجد من هذه المجموعة من سقط في الامتحان وكانوا ضمن من قال: { أَرَبْنَا اللَّهُ جَهْرَةً }^(٦) كما كان منهم من تخلى عن موسى ١ في موقف الجد ولحظة الحاجة الأمر الذي اضطر موسى ١ للتبرؤ منهم وطلب النصره من ربه بقوله: { قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ }^(٧).

(١) يراجع: السيرة النبوية- أبو محمد عبد الملك بن هشام - تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد- ط: ١- دار الجيل- بيروت: ٢٨٦/١، الطريق إلى

جماعة المسلمين- حسين بن محمد بن علي جابر- ط: ٢- دار الدعوة- الكويت: ١٢٣.

(٢) سورة الأنبياء: الآية: ٣٤.

(٣) النقباء: جمع نقيب والنقيب كالأمين والكفيل، وهو شاهد القوم وضمينهم وعريفهم، وقيل للنقيب نقيباً لأنه يعلم دخيلة أمر القوم ويعرف مناقبهم وهو الطريق إلى معرفة أمورهم، وهو دون الرئيس. ينظر: لسان العرب- مادة نقب: ٧٦٥/١.

(٤) سورة المائدة: الآية: ١٢.

(٥) سورة الأعراف: الآية: ١٥٥.

(٦) سورة النساء: الآية: ١٥٣.

(٧) سورة المائدة: الآية: ٢٥.



وكذلك عيسى **u** الذي كان له حواريون^(١) مثلوا طليعة المؤمنين به والمناصرين لدعوته. قال تعالى: { وَإِذِ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }^(٢). وقال تعالى: { فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }^(٣) إلا أنه وجد من الحواريين أيضاً من سقط في الامتحان وكفر بعد إيمانه وتآمر على عيسى **u**^(٤).

وكذلك الحال بالنسبة لبقية الأنبياء عليهم السلام، فقد روى بن مسعود **t** عن النبي **r** أنه قال: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له أمنه حواريون وأصحاب: يأخذون بسننه ويتفندون بأمره، ثم إنهم تخلف من بعدهم خلوف^(٥) يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون).^(٦)

وقد أدرك **r** من أول يوم كلف فيه بتبليغ هذا الدين، أنه بحاجة ماسة لاختيار وانتقاء اللبنة القوية التي سيقم عليها بنيان هذا الدين والتي ستمثل الأعمدة والركائز لتحمل ثقل البنيان وتبعاته، وهذا ما بدأ به صلوات الله وسلامه عليه حيث أخذ يتخير لدعوته أصحاب الكفاءات العالية والمواصفات الخاصة وهو أمر مثل صعوبة بالغته ولاسيما مع تعدد طبقات المجتمعات واختلاف الناس في القدرات والمواهب، فضلاً عن حاجته **r** إلى الاستفادة من جميع الطاقات والقدرات التي يتمتع بها جميع أفراد المجتمع المسلم.

وقد رتب **r** أولوياته في هذا المجال فبدأ دعوته بانتقاء الطليعة المؤمنة والنخبة القيادية الأولى ممن توسم فيهم امتلاك مؤهلات القيادة والقابلية لتطويرها من القريبين منه والذين تربطه **r** صلة وثيقة بهم، فأبو بكر الصديق أول من تم اختياره للدعوة وأول من استجاب لها من الرجال، مثل علماً من أعلام الأمة والرجل الثاني بعد نبيها **r** وكان ذا شأن رفيع في قريش حيث كان رجلاً مألوفاً لقومه مؤلفاً لهم محبوباً سهلاً، وكان تاجراً ذا خلق ومعروف، كان أهل مكة يأتونه ويألفونه لعلمه بالأحساب والأنساب ومعرفته بقريش وأيامها زيادة على حسن مجالسته وسهولة معاملته التجارية، وكان مجلسه **t** يضم مختلف طبقات المجتمع المكي فالمتفقون ينهلون من علمه والتجار يرتادون مجلسه والعوام يفرحون بضيافته، الأمر الذي مكنه من التأثير في العديد من الذين يرتادون مجلسه، ودعوة من وثق فيهم إلى الإسلام^(٧).

(١) الحواريون: جمع حوارى أصله من التحوير وهو التبييض، والحواري الناصر والحميم، والحواريون هم الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب وهم خلاء الأنبياء وأصفيائهم، وقيل: أنصارهم، وقيل المجاهدون، وقيل الذين يصلحون للخلافة من بعدهم والمعاني متقاربه. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤٥٨/١، لسان العرب- مادة حور: ٢٢٠/٤، شرح النووي على مسلم: ٢٨/٢، فتح الباري: ٨٠/٧.

(٢) سورة المائدة: الآية: ١١١.

(٣) سورة آل عمران: الآية: ٥٢.

(٤) ينظر: التربية القيادية: ١١٨/٢، ١١٩.

(٥) الخلوف: جمع خلف، والخلف كل من يجيء بعد من مضى. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٦٥/٢، لسان العرب: مادة خلف: ٨٥/٩.

(٦) صحيح مسلم- كتاب الإيمان- باب كون النهي والمنكر من الإيمان: ٦٩/١ رقم (٥٠).

(٧) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٨٩/٢، التربية القيادية: ١١٤/١.

لقد كان أبو بكر **t** كنزاً مهماً أذخره الله تعالى لنبيه **ﷺ**، وكان انتقاؤه واصطفائه مفتاحاً لكسب العديد من الشخصيات البارزة التي مثلت فيمابعد دعائم قوية وركائز مهمة قام عليها بنیان الإسلام الشامخ .^(١) وكان من أوائل من وقع عليه الاختيار والاصطفاء أيضاً علي بن أبي طالب، وخديجة بنت خويلد، وزيد بن حارثة **y** ، ومعلوم ما مثله هؤلاء وغيرهم من نماذج مضيئة في تأريخ الإسلام، وما قدموه من جهود لنصرة هذا الدين^(٢).

وفي بيعة العقبة الثانية طلب النبي **ﷺ** من الأنصار أن يختاروا من بينهم اثني عشر نقيباً ليكونوا كفلاء على قومهم، فتم اختيار تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، وكان لهؤلاء النقباء مواقف مشرفة في نشر الإسلام وحماية الدعوة ومناصرة النبي **ﷺ**.^(٣)

ثانياً: إن عملية الاصطفاء والانتقاء تمثل أصلاً من الأصول التي تؤهل المرء لتولي القيادة في الإسلام:

القيادة في الإسلام تكليف لا تشريف ولذلك نجد المنهج القرآني ينطلق في تولي المسؤولية من مبدأ الاختيار والانتقاء، ويبتعد عن قضية الطلب وتزكية النفس، ويرفض قضية القهر والغلبة، وإن كان يتعامل مع كل منهما كأمر واقع بعد حدوثه. قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا }^(٤). وقال تعالى: { فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى }^(٥).

إن مبدأ تولي القيادة في الإسلام يقوم على أساس اختيار المرشحين لتولي المسؤولية من قبل الأمة في الإمامة العظمى، ومن قبل ولي الأمر في الولايات الأخرى لا من قبل الفرد المختار، وأصل الاختيار في هذه الحالة أن يكون لخصوصية في القدرات والمهارات التي يتميز بها الفرد المرشح عن غيره. قال تعالى: { وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمَلِكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَرَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }^(٦).

"وفي قصة يوسف **u** نلاحظ هذا الملحظ حيث أن استخلاص الملك له كان لقدرات وملكات تميز بها يوسف **u** على الملأ من حول الملك ويتضح لنا ذلك من أن الملك عندما تبين له مدى رجاحة عقل يوسف **u** ، ومدى حسن تعبيره وتأويله للرؤيا قال الملك: { ائْتُونِي بِهِ }^(٧) وفي هذا اصطفاء واستخلاص عام، فلما تيقن الملك بعد ذلك من صدقه وطهارته وأمانته وبراءة ساحته : { وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي }

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٢٨٩/٢ - ٢٩٥، التربية القيادية: ٤٤/١ - ٥٥.

(٢) يراجع: التربية القيادية: ٥٧/١ - ١٠١.

(٣) يراجع: المصدر نفسه: ١١٧/٢ - ١٢٢.

(٤) سورة النساء: الآية: ٤٩.

(٥) سورة النجم: الآية: ٣٢.

(٦) سورة البقرة: الآية: ٢٤٧.

(٧) سورة يوسف: الآية: ٥٠.

(١) وهذا اصطفاً خاصاً فوق الاصطفاء الأول، ولعلنا نجد في الآية الكريمة من قصة يوسف U ما يغني عن كل بيانٍ عن أهمية حسن الاصطفاء وفي بيان مدى أهمية توفر مبرراتٍ موضوعيةٍ حقيقيةٍ للاصطفاء وعدم الانقياد للأهواء، والاصطفاء بالمعنى المتقدم يعتبر ضرورةً ومقوماً أساسياً من مقومات القيادة الإدارية الرشيدة في الإسلام". (٢)

ثالثاً: قلة الشخصيات المؤهلة للقيادة:

للقيادة متطلباتها الخاصة من القدرات والإمكانات والمهارات، وهذه المتطلبات لا تتوفر لكل أحد؛ لأن الله U خلق عباده متفاوتين في القدرات والإمكانات حتى يكونوا مسخرين لخدمة بعضهم بعضاً كلٌّ من موقعه وحسب إمكاناته وقدراته. قال تعالى: { أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا } (٣).

يقول الدكتور محمد محمود حجازي عند تفسير هذه الآية: "ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات في الفضل والجاه وغيره، فكانت النتيجة أنهم اتخذوا بعضهم بعضاً سخرياً كلٌّ يخدم نفسه وإن كان في الظاهر يخدم غيره" (٤).

إن اختلاف القدرات والإمكانات المؤدي إلى قلة الشخصيات المؤهلة للقيادة يتطلب اصطفاً مجموعةٍ من الأفراد وانتقائهم، والقيام بعملية الإعداد والتأهيل اللازم لها حتى تتمكن من سد العجز الحاصل في القيادات وأداء واجباتها على أكمل وجه.

وقد أشار النبي ﷺ إلى قلة الشخصيات المؤهلة للقيادة وعدم توفر المتطلبات القيادية في كثير منها بقوله: (إِنَّمَا النَّاسُ كَالْإِبِلِ الْمَائَةِ لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا مَرَّاحَةً) (٥). والمرحلة هي البعير القوي القادر على الأسفار والأحمال، النجيب التام الخلق، الحسن المنظر، سريع السير، ويقع على الذكر والأنثى، وسميت راحلةً لأنها يجمع عليها الرحل (٦).

والمعنى أن المرضي الأحوال من الناس الكامل الأوصاف الحسن المنظر القادر على التحمل قليل، وأن أكثر الناس أهل نقص وأما أهل الفضل فعددهم قليل جداً فهم بمنزلة الراحلة من الإبل وكذلك العنصر القيادي في الناس، إذ لا يوجد النبيه الشجاع الدؤوب ذو الفطرة السليمة إلا بحدود واحدٍ بالمئة (٧).

(١) سورة يوسف: الآية: ٥٤.

(٢) ينظر: القيادة الإدارية في الإسلام لعبد الشافي أبو الفضل: ١٧٩.

(٣) سورة الزخرف: الآية: ٣٢.

(٤) التفسير الواضح - د. محمد محمود حجازي - ط: ١ - دار الكتاب العربي - بيروت: ٤ / ٣٩٣.

(٥) سبق تخريجه: ص ٣٦.

(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٦/١، لسان العرب - مادة أبل: ٤/١١.

(٧) ينظر: شرح النووي علم مسلم: ١٠١/١٦، فتح الباري: ٣٣٥/١١، صناعة القائد: ٨٢.

وليس معنى الحديث المتقدم أن ينتشر اليأس ويدب القنوط وتفتر الهمم، وتستسلم الأمة وتقف مكتوفة الأيدي في إنتظار القائد الملهم الذي ينتشلها من واقعها ويحقق لها النصر على أعدائها، وإنما المعنى أن تنمي المواهب وتستثمر الطاقات وتستغل القدرات وتتنافس الجهود؛ لتغيير الواقع وتحقيق النصر وبناء الحياة، وإن وقفة متأنية مع الحديث يمكن من خلالها استخلاص ما يأتي:

١- أن النبي ﷺ لم يقل القادة كإبل مائة وإنما قال الناس كإبل مائة، والأمة الإسلامية بعلمائها ومربيها وشبابها الملتزم بالمنهج القرآني المقتفي آثار سيد الأنام ليست هي الناس بل هي رواحل الإبل، وصفوة الناس ونخبة المجتمع، وطلبة الأمة، وخلاصة البشر بدليل قوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}،^(١) فكيف تساوي نفسها بالعامية واللاهين والعابثين، الأمر الذي يفرض على كل فردٍ من أبناء هذه الأمة أن يسعى لتنمية مواهبه وقدراته وتربيته نفسه وإعدادها لتحمل المسؤولية.

٢- إن الحريات تربي وتطلق الطاقات وتنمي المواهب والإمكانات، وهي منحة الله ﷻ لعباده ولها مكانتها في الحياة الإسلامية، كما أن الأموال والإمكانات المادية تتيح ما لا يتيح الفقر والحاجة، بالإضافة إلى أن التطور العلمي والتقدم التكنولوجي يضاعفان النتائج ويسهلان تحقيق الأهداف، وكثير من الناس يعيش ظروف الحرية اليوم ويتمتع بوسائل المدنية الحديثة وكلها عوامل مساعدة على النجاح والإبداع وتطوير الذات والإسراع في إعداد وتأهيل القيادات.

٣- إن نظرية صناعة القائد لا تريد من المسلمين جميعاً أن يكونوا قادة في مجالٍ واحدٍ، أو أن يجيدوا فناً معيناً، وإنما تريد منهم أن يكونوا قادة في مجالات مختلفة ورواداً في فنون متعددة، وأن يتقن كل واحد منهم تخصصاً معيناً ويبدع فيه ويبرز، ليخدم من خلاله أمته ويكون قائدها فيه مستشعراً أنه على ثغرة من ثغرات الإسلام، شعاره قول سالم مولى أبي حذيفة t: "بئس حامل القرآن أنا إن أوتيت من قبلي"^(٢).

إن صناع الحياة يدركون أن القيادة ليست مجالاً واحداً، كما أنها لم تعد حكراً على أحد، وإنما هي مائة حرفة ومهنة وصناعة وفنٍ وتخصصٍ ومجال، وأن بإمكان كل فرد أن يفقد وأن يبدع وأن يبرز في أي منها، فكل الطرق تؤدي إلى مكة، ويعقوب u ما زال يوصي أبناءه: { يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ }^(٣) فالميادين واسعة والمجالات متاحة والباب مفتوح^(٤).

رابعاً: إن عملية الاصطفاء والانتقاء تمثل سبباً من أسباب نجاح القيادات:

إن القائد الفعال هو الذي يحيط نفسه بمجموعة من القادة في صورة نواب وموظفين ومستشارين يعينونه على تحمل المسؤولية ويؤهلهم للقيام بأعبائها.

(١) سورة آل عمران: الآية: ١١٠.

(٢) الطبقات الكبرى: ٣ / ٣٧٧.

(٣) سورة يوسف: الآية: ٦٧.

(٤) ينظر: صناعة الحياة- محمد أحمد الراشد- ط: ١- دار المنطلق- دبي: ٥٩.

ومنذ القدم كانت النماذج المختارة والمنقاة هي التي تعكس صورة القيادات القائمة وتمثلها، وتوضح مدى سلامة النهج الذي تسير عليه أو انحرافه فإذا كان الانتقاء والاختيار قائماً على أسس علمية ومعايير منضبطة كان ذلك مدعاة لصورة حسنة ونتائج إيجابية يستفيد منها الفرد والمجتمع، وإذا كان الانتقاء والاختيار قائماً على الهوى منطلقاً من الجوانب الشخصية، فلاشك أن الصورة ستكون سيئة والنتائج سلبية تعود بالضرر على الفرد والمجتمع معاً.

إن مصلحة الأمة اليوم تقتضي إيلاء أهمية خاصة لقضية اختيار وانتقاء القيادات، وتحديد معايير خاصة للمرشحين لذلك تتسم بالشمول والتكامل والتشدد في تطبيقها على الجميع بلا استثناء، وهو ما يتضح جلياً في اختيار وانتقاء الله تعالى لأنبيائه ورسله، وكذلك في اختيار وانتقاء النبي ﷺ للطليعة المؤمنة والنخبة القيادية من صحابته الكرام رضوان الله عليهم، الذين مثلوا خير عون له ﷺ في تبليغ الدعوة والدفاع عنها، ونشر الرسالة وتوسيع نطاقها وقيادة الأمة من بعده إلى بر الأمان.

فقد مثل انتقاء أبي بكر الصديق **t** مفتاحاً لكسب نماذج راقية ودعائم قوية أضيفت إلى صرح الإسلام الشامخ، كما مثل صمام أمان حفظ الأمة من التمزق والاختلاف بعد وفاة النبي ﷺ^(١). وكان اختيار علي بن أبي طالب موقفاً رغم صغر سنه حيث مثل أول فدائي في الإسلام، وبرز كقائد من أبرز قيادات الأمة علماء وفقهاءً، وجهاداً وإدارة^(٢)، أما اختيار زيد بن حارثة **t** فإن مكنم التوفيق فيه بتجلي في جدارته بالإمارة بشهادة النبي ﷺ وتولييه قيادة العديد من السرايا أبرزها موقعة مؤته التي استشهد فيها **t** وأرضاه^(٣). وكذلك الأمر بالنسبة للأرقم بن أبي الأرقم الذي مثلت داره المدرسة الأولى التي تلقى فيها الصحابة الكرام تربيتهم وتعليمهم، فضلاً عما كانت تمثله من مقر سري للدعوة الإسلامية في مكة.

ولا مانع من الاستطراد قليلاً لبيان جوانب التوفيق والسداد التي حالفت النبي ﷺ في اختياره لدار الأرقم بن أبي الأرقم **t** مقراً للدعوة ومركزاً للقيادة في مكة ولعل أبرز هذه الجوانب هي:

- ١- أن الأرقم **t** لم يكن معروفاً بإسلامه، وبالتالي لم يكن يخطر بالبال أن يتم لقاء المسلمين في داره.
- ٢- أن الأرقم **t** ينتسب إلى بني مخزوم، وهي القبيلة التي ينتسب إليها صناديد المشركين وتحمل لواء الحرب ضد بني هاشم والمسلمين، وبالتالي لا يخطر في البال أن يتم اللقاء في دار الأرقم **t** ؛ لأنه يقع في وسط دور العدو حتى على فرض العلم بإسلامه.
- ٣- أن الأرقم **t** كان فتى عند إسلامه، وعند التفكير في مركز التجمع الإسلامي لن يخطر بالبال سوى دار النبي ﷺ أو دور كبار الصحابة **y**^(٤).

(١) تراجع: التربية القيادية: ١/ ٤٤، ١١٣، الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق: ٣٠، ١٢٠.

(٢) ينظر: التربية القيادية: ٨٣/١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٩٥.

(٤) المنهج الحركي في السيرة النبوية: ١/ ٤٩.

خامساً: أن الانتقاء الجيد يضمن على سلامة سير الجماعة عند فقدان قيادتها.

إن الانتقاء الجيد والاختيار الموفق للأتباع ولاسيما المرشحون للقيادة منهم يضمن على سلامة سير الجماعة عند فقدان قيادتها ، كما يضمن حيويتها وتجديدها واستمرارها على نفس المبادئ^(١)، وهذا ما توفر للمجتمع الإسلامي حيث مثل حسن اختيار النبي ﷺ وانتقاؤه للنخبة القيادية من صحابته الكرام نجاحاً كبيراً للدعوة الإسلامية وقيادتها المتمثلة في شخصية الرسول ﷺ ، فمنذ اللحظة الأولى التي فقدت فيها الأمة قائدها ﷺ برز تأثير هذا الانتقاء جلياً في موقف أبي بكر الصديق t عندما صعد المنبر وخاطب المسلمين قائلاً: "أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي دائم لا يموت، ثم تلا قوله تعالى: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ }"^(٢) فأخذ المسلمون يبكون^(٣).

وعندما ارتدت بعض قبائل العرب كان للصديق t موقفٌ حازمٌ حيث جهز الجيوش لحرب المرتدين، وقام بجمع القرآن الكريم، وقاد الأمة إلى بر الأمان خلال مدة خلافته t^(٤)، وتولى القيادة من بعده عمر t فأحسن القيادة، وسار على نفس المبادئ فنشر الإسلام، وقاد حركة الفتح الإسلامي، وأرسى دعائم الدولة الإسلامية القائمة على أسس العدل والحرية والشورى والمساواة^(٥).

إن هناك فرقاً كبيراً بين ما يقوم به المنهج القرآني في اصطفاء وانتقاء القيادات وتربيتها وإعدادها على أساس المبادئ والأخلاقيات الإسلامية، وبين ما تقوم عليه المناهج الأخرى من تربية الأفراد على الشخصية والخضوع لنظرية القائد الملهم والرجل العظيم الذي يرفع شعار: { مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ }^(٦).

• أسس الاصطفاء وضوابطه:

تقوم عملية الاصطفاء والانتقاء على عدد من الأسس والضوابط التي تضمن سلامة الاختيار وحسن الإعداد وتقود إلى نجاح عملية الإعداد والتأهيل، ولعل أبرز هذه الأسس والضوابط تتمثل فيما يأتي:
أولاً: سلامة الفطرة:

الفطرة في اللغة مشتقة من الفطر وأصل الفطر الشق، والفطرة الابتداء والاختراع، والفطرة الخلقة التي خلق عليها المولود في رحم أمه، والفطرة ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به U^(٧).

(١) ينظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية: ٩٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ١٤٤.

(٣) ينظر: صحيح البخاري- كتاب فضائل الصحابة- باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذ خليلاً: ٣/١٣٤١ رقم (٣٤٦٧).

(٤) يراجع: الانشراح ورفع الضيق بسيرة الصديق.

(٥) يراجع: الفاروق القائد- محمود شيث خطاب- ط: ٢- مكتبة الحياة- بيروت، فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب- د. علي محمد

الصلابي- ط: ١- مكتبة الصحابة- الإمارات.

(٦) سورة غافر: الآية: ٢٩.

(٧) ينظر: لسان العرب- مادة فطر: ٥٥/٥.

قال تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ }^(١).

أما الفطرة في الاصطلاح فهي: " مجموع الصفات النفسية التي يخلقها الله تعالى في الإنسان وتولد معه"^(٢)، فهي تعني الاستعداد لقبول الحق، والتمتع بقوة النماء والتطور كالبذرة. قال تعالى: { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ }^(٣). وقال تعالى: { فَطَرَتِ اللَّهُ التِّي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا }^(٤).

والفطرة من أهم العوامل المؤثرة في منهج التفكير الإنساني سواء في حال سلامتها أم انحرافها، ذلك أن الفكر يستقيم باستقامة الفطرة وسلامتها، وينحرف بانحرافها وفسادها، والمتبع لسير الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم يجد أن صفاتهم النفسية كالزهد والرحمة والشجاعة وغيرها، وصفاتهم السلوكية كالصدق والأمانة وغيرها مغروسة فيهم منذ نعومة أظفارهم^(٥).

كما أن حديث الأشج^(٦) دليل على أهمية سلامة الفطرة للمتمتع بمواصفات القيادة، فقد قال له النبي ﷺ: (إن فيك خلنين تخبهما الله: الحلم والأناة. فقال يا رسول الله: أنا خلقت لهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: بل الله جبلك عليهما. قال: الحمد لله الذي جبلني على خلنين تخبهما الله ورسوله)^(٧).

ويمكن القول أن أهم القوى التي أودعها الله U فطرة الإنسان تتمثل في الإيمان والتوحيد، وقدرة الفكر والتأمل، وطاقة العاطفة والشعور، وقوة الغرائز والميول والشهوات، وهذه القوى تتفاعل مع غيرها من القوى داخل الإنسان بطريقة ربانية، ويكون من ثمارها عطاء إنساني يشمل جوانب الحياة المختلفة، ففضيلة الإيمان والتوحيد مغروسة داخل فطرة كل مولود وتبقى سليمة بسلامة الفطرة، فإذا شوهت الفطرة اختل الإيمان والتوحيد^(٨).

ويستدل على أهمية الاستعداد الفطري للقيادة برد النبي ﷺ على الصحابة الذين وجدوا في أنفسهم من إمارة أسامة بن زيد t عليهم بقوله في الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمرو t: (إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل وأمر الله إن كان خليقاً للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلي وإن هذا لمن

(١) الأعراف: الآيتان: ١٧٢، ١٧٣.

(٢) دراسة تحليلية لشخصية الرسول ﷺ من خلال سيرته الشريفة- أ.د. محمد رواس قلعة جي - ط: ٢- دار النفائس- لبنان: ٧١.

(٣) سورة الإنسان: الآية: ٤.

(٤) سورة الروم: الآية: ٣٠.

(٥) ينظر: دراسة تحليلية لشخصية الرسول ﷺ من خلال سيرته الشريفة: ٧٢.

(٦) هو المنذر بن عمرو العبدي، اشتهر بلقبه الأشج وهو أشج بن عبد القيس، صحابي جليل وفد على رسول الله ﷺ على رأس قومه سنة ١٠ هـ وقيل سنة ٨ هـ. ينظر: الاستيعاب: ١/١٤٠، ٤/١٤٤٨، الإصابة: ٣/٤١٠.

(٧) سنن أبي داود- كتاب الديات- باب في قبلة الجسد: ٣٥٧/٤ رقم (٥٢٢٥)، مسند أحمد: ٤/٢٠٥. قال الهيثمي: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبي بكر لم يدرك عثمان". مجمع الزوائد: ٩/٣٨٧.

(٨) ينظر: التربية في الإسلام النظرية والمنهج: ١٤٢ - ١٤٧.

أحب الناس إلى بعداء^(١)، وقول عمر t عندما رأى عمرو بن العاص t: "ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميراً"^(٢).

ثانياً: السن المبكرة:

يعتقد كثير من المهتمين بشؤون الإدارة والقيادة أن متطلبات القيادة من قدرات وإمكانات واستعدادات تزرع في السنوات الأولى من عمر الإنسان لوجود القابلية القيادية، وانه بقدر التجارب التي يمر بها الإنسان في طفولته بقدر ما يكتسب من المهارات القيادية^(٣).

وهناك اتفاق بين معظم الباحثين على أن مظاهر القيادة تبدو في صورة واضحة فيما بين الثالثة والرابعة من العمر، إلا أنها تكون في صورة غير ثابتة تنتقل من طفل إلى آخر ويسفر انتقالها عن عراك وشجار ثم تبدأ مرحلة الاستقرار في السادسة من العمر وهو ما يظهر جلياً في حب السيطرة والرغبة في التزعم وكثرة الحركة والحماس والاهتمام بالمظهر، كما يعد اللعب هو الميدان الأمثل لملاحظة مدى توفر الاستعداد القيادي لدى الأطفال^(٤).

إن في الإنسان طاقة مدخرة تولد معه وتحتاج إلى اكتشاف وتنمية وتهذيب، وكلما كان ذلك مبكراً كانت إمكانية الاستفادة منه أكبر، ولذلك نجد التربية الإلهية للأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم تبدأ منذ طفولتهم وهذا ما يتضح جلياً في قصة يحيى u حيث قال تعالى: { يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا }^(٥)، وفي قصة يوسف u إشارة لطيفة للاصطفاء المبكر والرعاية الإلهية المستمرة. قال تعالى: { وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }^(٦).

وأما محمد ٣ فإن العناية الإلهية والتربية الربانية قد بدأت معه قبل ولادته ثم استمرت معه في طفولته وراففته طوال مسيرة حياته ٣. قال تعالى: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ }^(٧). وقال تعالى: { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى }^(٨).

(١) صحيح البخاري- كتاب فضائل الصحابة- باب قول النبي ٣ وأيم الله: ٦/٢٤٤٤ رقم (٦٢٥٢)، صحيح مسلم- كتاب فضائل الصحابة- باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضي الله عنهما: ٤/١٨٨٤ رقم (٢٤٢٥) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٣/١٧٨ رقم (١٥٧١).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة: ٤/٦٥٢.

(٣) ينظر: صناعة القائد: ٢٢٤.

(٤) ينظر: سمات الطفل القيادي وعلاقتها بالذكاء والابتكار - مدثر سليم أحمد- رسالة دكتوراه في علم النفس - كلية التربية - جامعة أسيوط -

مصر: ١٨ - ٢٢.

(٥) سورة مريم: الآية: ١٢.

(٦) سورة يوسف: الآية: ٦.

(٧) سورة الانشراح: الآية: ١.

(٨) سورة الضحى: الآيات: ٦ - ٨.

إن الاهتمام بالطفولة المبكرة أمر مهم في غرس المبادئ والأخلاق وتنمية المهارات والقدرات، وهي أمور لها تأثيرها الكبير في تربية وإعداد القيادات وهو ما طبقه النبي ﷺ حين اصطفى علياً t وانتقاه وعمل على تربيته وإعداده للقيادة منذ طفولته حيث أسلم وهو في الثامنة من عمره ونشأ في بيت رسول الله ﷺ^(١)، وتوسم في الحسن بن علي رضي الله عنهما مؤهلات القيادة فقال قولته المشهورة ﷺ: (إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمين من المسلمين).^(٢) وقد كان ذلك حيث تولى الحسن t الخلافة بعد أبيه فلما رأى تمزق الأمة واستمرار اختلافها تنازل بالخلافة لمعاوية t وبايعه في العام الذي سمي عام الجماعة^(٣).

وأما معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فقد رآه أبوه يوماً في فناء البيت فقال لزوجته هند بنت عتبة رضي الله عنها: "إن ابني هذا لعظيم الرأس، وإنه لخليق أن يسود قومه، فأجابته مستكبرة قومه فقط: تكلمته أن لم يسد العرب قاطبة".^(٤) فعملاً على تربيته تربية قيادية تعدت به حدود قريش والعرب وأهلته لقيادة الأمة الإسلامية بأسرها، وكذلك الأمر بالنسبة لصلاح الدين ومحمد الفاتح اللذين تم إعدادهما منذ الصغر فكان لهما دور مؤثر في تأريخ الإسلام والمسلمين^(٥).

وتكمن أهمية البدء المبكر في اصطفاء القيادات وانتقائها في سهولة تشكيل الفرد في السن المبكرة، وغرس المبادئ والأخلاق، واكتشاف المهارات والقدرات لوجود القابلية والاستعداد القيادي لديه، كما تكمن في إطالة مدة استفادة الأمة من طاقات هذه الشخصية وقدراتها وزيادة إنتاجها.

وهناك أربع علامات قد تدل على توفر الاستعداد القيادي لدى الطفل وبالتالي توجب الاهتمام بتربيته والتركيز على تنمية إمكاناته وقدراته، وهذه العلامات الأربع هي: الذكاء والمبادرة، والجرأة، والجدية^(٦).

ثالثاً: النسب الشريف

خلق الله سبحانه وتعالى البشر وجعلهم ينتسبون إلى أبٍ واحدٍ وأمٍ واحدةٍ ثم قسمهم إلى أمم ومجتمعات وجعل التقوى ميزان تفاضلهم فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} ^(٧).

(١) ينظر: التربية القيادية: ٨٣ / ١.

(٢) صحيح البخاري- كتاب فضائل الصحابة- باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي هذا سيد: ٩٦٢/٢ رقم (٢٥٥٧).

(٣) هو العام الذي سلم الحسن بن علي رضي الله عنهما الأمر فيه إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وبايعه بالخلافة هو وجماعة ممن معه وكان ذلك في سنة ٤١هـ. ينظر: الاستيعاب: ٣٨٧/١، ٣ / ١٤١٨، الإصابة: ١٥٢/٦.

(٤) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: ١٥٣/٣، صناعة القائد: ٣١.

(٥) يراجع: بين العقيدة والقيادة: ٣٠٧، ٣٧٧، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، السلطان محمد الفاتح وعوامل النهوض في عصره - د. علي محمد الصلابي - ط: ١ - دار الإيمان - الإسكندرية.

(٦) يراجع: صناعة القائد: ٢٥٠.

(٧) سورة الحجرات: الآية: ١٣.



إن اختيار الإنسان لوالديه أمر خارج عن إرادته ولذلك لم يعتبر المنهج القرآني النسب أساساً للتفاضل، وإنما أعاد أساس التفاضل إلى التقوى والعمل الصالح مما يكتسبه الناس بإرادتهم، وتقدير النسب إنما يأتي من استثمار الإنسان للأسرة التي ينحدر منها والبيئة التي ينشأ فيها ليرتقي بذاته وليس من مجرد انتسابه إليها أو وجوده فيها، ومن هنا كان بلال الحبشي **t** أكرم عند الله **U** وأعز من أبي لهب القرشي عم النبي **ﷺ**، وفي ضوء هذا المعنى يفهم قول النبي **ﷺ** في الحديث الذي يرويه أبو هريرة **t**: (الناس معادنٌ كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) ^(١).

إن أهمية النسب إنما تأتي من ارتباطه بالجانب الوراثي الذي يعنى بانتقال الصفات الوراثية في الإنسان، ذلك أن الخصائص التي يرثها الإنسان عن آبائه وأجداده تتحدد منذ اللحظة الأولى التي يتم فيها اتحاد البويضة الأنثوية بالحيوان المنوي الذكري، وهذه الخصائص تنتقل عبر الجينات التي هي حملة الاستعداد الوراثي عند الفرد.

وتعد الوراثة عاملاً مهماً يؤثر في النمو الجسمي والحسي من حيث النوع والجنس، والطول والعرض، ودرجة النضج عند الفرد، فضلاً عن تأثيرها في الصفات الحسية والنفسية والسلوكية للفرد بدرجات متفاوتة ^(٢). قال تعالى: {قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا}. ^(٣) أي: "كل أحدٍ يعمل على طريقته التي تتشاكل حاله في الهدى والظلاله، أو جوهر روحه وأحواله التابعة لمزاج بدنه" ^(٤).

وقد ذهب علماء الاجتماع إلى أن مؤثرات الحياة العملية في سلوك الإنسان تتمثل في أثر الوالدين والأجداد ومن مضى من أسلاف الأسرة، بالإضافة إلى أثر المنطقة والحدود الجغرافية والمناخ والتضاريس والأشياء المحيطة بالفرد ^(٥). قال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانُوا آبَائُهُمْ لَآ يَغْفُلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } ^(٦).

ومن هنا كان اصطفاء الله تعالى لأنبيائه ورسوله من ذوي النسب الشريف، والمكانة الرفيعة بين أقوامهم مما أسهم في التقاف الناس حولهم وقبول دعوتهم. فيوسف **U** نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي، ولذلك قال عنه النبي **ﷺ**: (الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم) ^(٧).

(١) صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب يأبها الناس إنا خلقناكم: ١٢٨٨/٣ رقم (٣٣٠٤)، صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب خيار

الناس: ١٩٥٨/٤ رقم (٢٥٢٦) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٣/ ٢٣٢ رقم (١٦٤٢).

(٢) ينظر: سايكولوجية الشخصية - د. سيد غنيم - طبعة دار النهضة - القاهرة: ٤١، الصحة النفسية والعلاج النفسي - د. حامد عبد السلام زهران - ط: ٢ - عالم الكتب - القاهرة: ٨٢.

(٣) سورة الإسراء: الآية: ٨٤.

(٤) أنوار التنزيل للبيضاوي: ٣/ ٤٦٤.

(٥) ينظر: النظام الإلهي للرقى والانحطاط: ٢٦.

(٦) سورة البقرة: الآية: ١٧٠.

(٧) صحيح البخاري - كتاب الأنبياء - باب من انتسب لإبائهم في الإسلام والجاهلية: ١٢٩٨/٣ رقم (٣٣٣٤).

وشعيب U عندما احتدم الموقف بينه وبين قومه لم يمنعهم من إيذائه سوى تأكدهم من مكانته الاجتماعية وهو ما حكاه الله U في قوله تعالى: { قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْمُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ }^(١). وأما عيسى U فقد كان من آل عمران الذين يتمتعون بمكانة رفيعة في بني إسرائيل. قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ }^(٢).

وبالنسبة لمحمد R فقد مثل صفوة الله من خلقه ، فهو من نسل إسماعيل الذبيح وإبراهيم الخليل عليهما السلام ، كما أشار إلى اصطفاء الله تعالى له في قوله R : (إِنَّ اللَّهَ U اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِبْرَاهِيمَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ) ^(٣). فهو R ينتسب إلى بني هاشم من جهة أبيه، وإلى بني زهرة من جهة أمه وهذان البطنان من أشرف العرب نسبا ^(٤).

قال القاضي عياض^(٥) رحمه الله: "وأما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فهو مما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه، ولا بيان مشكل، ولا خفي منه، فإنه نخبة من بني هاشم، وسلالة قریش وصميمها، وأشرف العرب وأعزهم نظراً من قبل أبيه وأمه، ومن أهل مكة من أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده"^(٦).

وقد سلك النبي R هذا المسلك في اختياره للنخبة القيادية والطلیعة المؤمنة من صحابته رضوان الله عليهم إلا أن ذلك لا يعني أن عملية الانتقاء والاصطفاء تقتصر على ذوي النسب الشريف فقط، فقد كان باب الإسلام مفتوحاً لكل من رغب الدخول فيه والانصهار في بوتقته، وقد أتاحت فرص التربية القيادية لكل من امتلك متطلبات القيادة، وتوفر لديه الاستعداد الذاتي لتنمية مهاراته وقدراته القيادية ومن أبرز هؤلاء زيد بن حارثة t مولى رسول الله R وقائد سرية مؤتة، وابنه أسامة بن زيد أحد قادة حروب الردة t وأرضاه.

وتكمن أهمية النسب الشريف في عملية الاصطفاء والانتقاء القيادي فيما يأتي:

١- أن ذا النسب الشريف له مكانة في النفوس جبلت عليها وكلما كان القائد ذو مكانة في قومه كان ذلك أدعى إلى الاستماع إليه والقبول منه.

(١) سورة هود: الآيتان: ٩١ ، ٩٢ .

(٢) سورة آل عمران: الآية: ٣٣ .

(٣) صحيح مسلم- كتاب الفضائل- باب فضائل نسب النبي: ٤/١٧٨٢ رقم (٢٢٢٦).

(٤) يراجع: صحيح البخاري- كتاب مناقب الانتصار- باب مبعث النبي: ، التربية القيادية: ١/ ٢٥ .

(٥) هو أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، كان من أهل العلم والتقن والذكاء والفهم، جمع المصنفات وألف الكتب، اشتهر اسمه في الآفاق، كان أعرف الناس بعلم الحديث واللغة والتاريخ، تولى القضاء في مدينة سبته ثم نقل إلى غرناطة، توفي في رمضان سنة ٥٤٤هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢٠/٢١٢، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- أحمد بن خلکان- تحقيق: د. إحسان عباس- طبعة دار الثقافة- بيروت: ٣/٤٨٣ .

(٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى- القاضي عياض اليحصبي- تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ،خالد بن محمد عثمان- ط: ١- مكتبة

- ٢- أن ذا النسب الشريف لا تتكرر عليه الصدارة والزعامة، نبوةً كانت أو ملكاً أو قيادةً ويتشرف الجميع بالعمل تحت قيادته، بعكس وضع النسب حيث يأنف الكثير من العمل تحت قيادته^(١).
- ٣- أن طيب المعدن وشرف النسب يرفع صاحبه عن سفاسف الأمور ويدفعه للاهتمام بمعاليتها كما يحجزه عن الوقوع في الدناعات^(٢).
- ٤- إن اصطفاء القائد وانتقاءه من ذوي النسب الشريف يدفع عنه العديد من المطاعن والافتراءات، ويحرره من ضغط الظروف القاهرة فيعيش حراً كريماً مطاعاً مهاباً يملك زمام نفسه، ويتصرف وفق قناعاته^(٣).

رابعاً: الخُلق الحسن:

هو مجموعة من الأخلاق الفاضلة التي يسهم في تكوينها كل من الفطرة السليمة والسجية الحسنة والأفعال الحميدة، وهي سجية متأصلة في نفس الإنسان لا تتغير بتغير أحواله أو بتغير أحوال الناس معه^(٤).

وقد امتدح الله ﷺ أنبياءه ورسله عليهم السلام بحسن الخلق رغم تغير الأحوال وتقلب صروف الدهر عليهم، ورغم مواقف أمهم المختلفة معهم فقال تعالى عن نوح ﷺ: { ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا }^(٥). وقال تعالى عن إبراهيم ﷺ: { شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }^(٦). أما إسماعيل ﷺ فقد وصفه تعالى بقوله: { إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا }^(٧). ولم يفت موسى ﷺ أن يكون حسن الأخلاق رغم أنه مطارذ من فرعون وقومه فكان كما وصفته ابنة شعيب ﷺ: { قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ }^(٨).

وتكمن أهمية اعتبار الخلق الحسن معياراً من معايير الاصطفاء والانتقاء أن في الأخلاق قوة اكتساب القلوب وتسخيرها، فلا بد أن يكون لدى المرشح للتربية والإعداد القيادي قدراً من الأخلاق الأساسية التي لا غنى عنها، سواءً ما يتعلق منها بالإدراك والتصور أو بالعاطفة والإرادة^(٩)، ومن هنا عد العلماء الصدق والوفاء والشجاعة والعدل والأمانة والصبر والحكمة والعفة من الأخلاق الأساسية التي لا بد من توفرها في كل إنسان سوي^(١٠)، فضلاً عن أن يكون مصطفى ومختاراً ليعد إعداداً قيادياً ومن هنا كان حديث القرآن الكريم عن شكر

(١) ينظر: دراسة تحليلية لشخصية الرسول ﷺ: ٣: ٩٦، السيرة النبوية دروس وعبر - د. مصطفى السباعي - ط: ١ - دار السلام - مصر: ٢١

(٢) ينظر: السيرة النبوية دراسة تحليلية - د. محمد عبد القادر أبو فارس - ط: ٢ - دار الفرقان - الأردن: ١١٤.

(٣) ينظر: النبي المرئي: ٥٤.

(٤) ينظر: القيادة الإدارية في الإسلام للبرديسي: ١٥٥.

(٥) سورة الإسراء: الآية: ٣.

(٦) سورة النحل: الآية: ١٢١.

(٧) سورة مريم: الآية: ٥٤.

(٨) سورة القصص: الآية: ٢٦.

(٩) ينظر: النظام الإلهي للرفي والانحطاط: ٥١.

(١٠) ينظر: التربية الخلقية - د. علي عبد الحليم محمود - طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة: ٣٠ - ٤٠.

إبراهيم، وصبر أيوب، وصدق إسماعيل، وأمانة موسى، بالإضافة إلى العفة يوسف، وحلم إسحاق وحكمة يعقوب، وبر يحيى، وجماع ذلك كله قوله تعالى في حق محمد ٣: { وَأَنْتَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } (١).

خامساً: سلامة النطق:

تعد سلامة النطق من المعايير الأساسية التي يجب مراعاتها عند عملية الاصطفاء والانتقاء، فاللغة هي أساس التخاطب والتفاهم بين بني الإنسان وأهم وسائل الإقناع والتأثير على الآخرين، وهو ما أشار إليه المنهج القرآني في العديد من الآيات منها قوله تعالى: { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمْ } (٢) وقوله تعالى: { وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ } (٣).

وسلامة النطق تمثل الخطوة الأولى لاكتساب الفصاحة والبلاغة والبيان والتي تعد من المقومات الأساسية للقيادات للتعبير عن وجهة نظرها وإيصالها إلى جماهير الأمة والتأثير فيها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ٣ قال: (إن من البيان لسحراً) (٤).

وتأكيداً لأهمية الفصاحة وسلامة النطق طلب موسى U من الله تعالى أن يحل عقدة لسانه ليفهم الناس عنه ما يقول ، وهو ما نقله القرآن الكريم حكايةً عنه في قوله تعالى: { وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي } (٥). كما سأله تعالى أن يشرك معه أخاه هارون في مسألة النبوة لفصاحته وبلاغته وقوة بيانه: { وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ } (٦).

سادساً: التمتع بالقدرات العقلية الأساسية:

يقصد بها مجموعة الاستعدادات الفكرية، والعادات الذهنية، والاعتقادات الأساسية لدى الأفراد، وهي تختلف باختلاف البيئات والمجتمعات.

وتعد سمتي الذكاء والقدرة على التركيز من أهم القدرات العقلية الواجب توافرها في الشخصية المرشحة للإعداد القيادي، حيث أثبتت الدراسات والتجارب أن هناك علاقةً بين هاتين السمتين وبين القدرة على الاستيعاب والفهم، وكذا بينهما وبين النجاح في تحمل المسؤوليات المختلفة وعلى رأسها القيادة.

(١) سورة القلم: الآية: ٤.

(٢) سورة النحل: الآية: ٦٤.

(٣) سورة الشعراء: الآيتان: ١٩٨، ١٩٩.

(٤) صحيح البخاري - كتاب الطب - باب إن من البيان لسحراً: ٢١٧٦/٥ رقم (٥٤٣٤).

(٥) سورة طه: الآيتان: ٢٧، ٢٨.

(٦) سورة القصص: الآية: ٣٤.

إن الذكاء بمعناه العام يعني القدرة على سرعة الاستيعاب وجودة الفهم لكل جديد، وهو سمة وراثية فطرية تظهر عند ولادة الفرد، وتتأثر بنوع البيئة التي ينشأ فيها، وتختلف من فردٍ إلى آخر.^(١) وقد اختلف العلماء في تحديد السن التي يتوقف عندها نمو الذكاء عند الإنسان وإن كان كثيرٌ منهم يميل إلى أن هذا النمو لا يتوقف قبل الثالثة عشرة ولا يستمر بعد الثامنة عشرة وإن استمرت القدرة على التعلم والتحصيل والاستيعاب.^(٢)

"ومن خلال التجارب المتعددة لقياس الذكاء تبين أن حوالي ٦٠% من الأشخاص متوسطو الذكاء، وأن نحو ١٣% منهم ممتازون وفوق المتوسط، وأن نحو ٦% نبغاء، و ٦% ضعاف العقول جداً، وأن ٢٥% عباقر، ونحو ٩% بلهاء ومعتوهون"^(٣).

ويمكن اكتشاف درجة ذكاء الفرد من خلال بعض الإشارات مثل سرعة البديهة، وعمق التفكير، وكلام الفرد بأكبر من عمره، وإجراء اختبارات الذكاء المختلفة، كما يمكن تنمية الذكاء لدى الفرد من خلال اتباع عدد من الإجراءات الأخرى^(٤).

وهناك العديد من الآيات والأحاديث التي تبين أهمية الاستفادة من هذه القدرات ومنها قوله تعالى عن سليمان **U { وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا }**^(٥) ولعل دعاء النبي **ر** لابن عباس رضي الله عنهما وهو صغير بقوله: (اللهم فقهني في الدين) ^(٦) فأصبح أحد كبار مفسري الأمة، وكذا طلبه **ر** من زيد بن ثابت **t** تعلم لغة اليهود وهو صبي فتعلمها خلال بضعة عشر يوماً^(٧)، دليل على أهمية توفر سمة الذكاء في الإنسان وضرورة استغلالها في مرحلة الطفولة.

أما القدرة على التركيز فتعني قدرة الفرد على تبسيط المشكلات، وإعطاء أهمية خاصة للجوانب الهامة فيها، والتأني في التفكير، قبل اتخاذ قرار بشأنها، ويمكن تنمية القدرة على التركيز بالتفكير المتأني المستمر وعبر تفرغ القلب والعقل والروح من هموم الدنيا، والانقطاع عن مشاغل الحياة والبعد عن الناس مدة من الزمن، استجماعاً للقوى النفسية والمشاعر الوجدانية، والخواطر الفكرية، والمدارك العقلية، وتفرغاً

(١) ينظر: القيادة الإدارية لنواف كنعان: ٤٤.

(٢) ينظر: العلوم السلوكية - حسن خير الدين - جامعة عين شمس - القاهرة: ١٩٧.

(٣) المصدر نفسه: ١٩٧.

(٤) تراجع: المصدر نفسه: ١٩٧، رعاوية النابغين في الإسلام وعلم النفس - د. كمال إبراهيم مرسى - ط: ٢ - دار القلم - الكويت: ٧١ - ١٠٠، الطفولة ومسؤولية بناء المستقبل - د. نبيل سليم علي - ط: ١ - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر.

(٥) سورة الأنبياء: الآيتان: ٧٨، ٧٩.

(٦) صحيح البخاري - كتاب الوضوء - باب وضع الماء عند الخلاء: ١/٦٦ رقم (١٤٣٣)، صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل عبد الله بن عباس: ٤/١٩٢٧ رقم (٢٤٧٧) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٣/٢١١ رقم (١٦١٠).

(٧) ينظر: سنن الترمذي - كتاب الاستئذان - باب ما جاء في تعليم السريانية: ٥/٦٧ رقم (٢٧١٥).

لمناجاة خالق الكون ومبدع الحياة. (١) قال تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } (٢).

وأفضل وسيلة للتأمل والتفكير تتمثل في الاعتزال والخلوة المؤقتة التي تؤدي إلى صفاء الذهن وسمو النفس وتسمح للإنسان القيام بمراجعةٍ شاملةٍ لمسيرة حياته وإيجاد الحلول المناسبة للمشكلات التي يواجهها، والخلوة للتأمل والتفكير أمر مشروع مارسه الأنبياء والمرسلون، ودل عليه الشرع الحنيف، وأرشد إليه المربون المتقون.

ولقد شرع المنهج القرآني العديد من العبادات التي تنمي قدرة التركيز لدى الفرد وتعينه على تعميق قضية التأمل والتفكير، ومن هذا المنطلق جاءت الدعوة إلى التأمل في القرآن الكريم وتدبر آياته والتفكير في المخلوقات والذكر الدائم، فضلاً عن التهجد والمناجاة في سكون الليل وهدوئه والاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان.

إن حاجة المرشحين للقيادة الخاضعين لمرحلة التربية والإعداد القيادي للقدرة على التركيز أشد من حاجة الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم الذين يتمتعون بالتأييد والتسديد الإلهي، الأمر الذي يوجب على هؤلاء المرشحين اعتزال الناس لفترات محددة، والدخول في خلوات متقطعة ينشغلون خلالها بتطهير أرواحهم وتركيز نفوسهم وتصفية أذهانهم، وتجديد طاقاتهم، وتنمية قدراتهم عبر ما يمارسونه في خلواتهم هذه من تلاوة واعية، وذكر مستمر، وعبادة خاشعة، وتأمل عميق، وتفكير هادئ.

سابعاً: سلامة الحواس وصحة البدن:

وهي أمر أساسي لا بد من توفره في كل مرشح للقيادة لما لذلك من أهمية في عملية الاستيعاب والإعداد المتكامل، كما أنها تعد أحد الشروط الأساسية الواجب توفرها في الشخصية القيادية، وقبل ذلك كله لا يمكن لمريضٍ أوفاد الحواس أن يتفاعل مع عملية الإعداد والتأهيل القيادي فضلاً عن أن يقوم بمتطلبات القيادة، ومن هنا كانت مراعاة المنهج القرآني لذوي الأعدار من المرضى وفاقد الأبطال والحواس، بدليل قوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ} (٣) وقوله تعالى {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ} (٤).

(١) ينظر: محمد رسول الله - محمد الصادق عرجون - ط: ٢ - دار القلم: ٢٥٤ / ١.

(٢) سورة آل عمران: الآيتان: ١٩٠، ١٩١.

(٣) سورة البقرة: الآية: ١٨٤.

(٤) سورة الفتح: الآية: ١٧.

ثانياً: مرحلة الإعداد والتأهيل

مفهوم الإعداد والتأهيل وأهميتهما:

الإعداد: "تهيئة الشيء للمستقبل"،^(١) ويقصد به: "تأهيل الفرد الإنساني وتدريبه للنهوض بأعباء مهنة ما، علماً ومعرفة ووعياً ودراية وممارسة وميداناً؛ لينهض بأعباء المهنة الموكولة إليه بقدرة وكفاية وفاعلية، وعبر مؤسسة إعداد متخصصة".^(٢)

وتكمن أهمية عملية الإعداد والتأهيل في المنهج القرآني في كونها تمثل سنةً كونيةً وأمرًا ربانياً بحيث لا تقتصر على جانبٍ من الجوانب وإنما تمتد لتشمل جوانب الحياة المختلفة، ولذلك نجد أن أعمال الإنسان المختلفة سواءً ما يتدرج منها ضمن العقائد والعبادات أم المعاملات والأخلاق لا بد لها من تهيئةٍ خاصةٍ وإعدادٍ مسبقٍ يتمثل في تطهير القلب وإصلاح النية وإخلاص العمل.

إن الإعداد المسبق للقائد الإداري يُعد أحد أهم المقومات الأساسية التي ينبغي توفرها في الفرد قبل إسناد المهام القيادية إليه، وهو أمر أكد عليه الفكر الإداري الحديث، وقرره المنهج القرآني قبل ذلك بأربعة عشر قرناً حيث عده سنةً من سنن الله U في اصطفاء الأنبياء والرسول عليهم السلام وأصلاً ثابتاً في إعدادهم وتهيئتهم لتحمل تكاليف الرسالة ومسؤوليات القيادة،^(٣) هو ما يتضح جلياً من خلال تتبع آيات القرآن الكريم الواردة في حق الأنبياء والرسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. قال تعالى في حق آدم U: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} ^(٤). وقال تعالى في حق يوسف U: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} ^(٥). وأما محمد ٣ فقد قال تعالى في حقه: {يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} ^(٦). وقال تعالى: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ} ^(٧).

وقد أخذت عملية إعداد الله تعالى لأنبيائه ورسوله صلوات الله وسلامه عليهم وتأهيلهم للقيادة نوعين من

الإعداد:

الأول: التربية والإعداد على يد قائد آخر:

وفي هذه الحالة تتم التربية والإعداد القيادي على يد نبيٍ آخر أوقائدٍ آخر أو مجموعة من الشخصيات التي يهيؤها الله U ويمنحها المنهج السوي وبلهمها الطريقة الصحيحة لصنع تلك القيادات في مراحل حياتها المختلفة، فتصنع بتوجيه منه سبحانه وتعالى وإرشاد، وهو ما يلاحظ في قصص العديد من الأنبياء والرسول

(١) تفسير المنار: ٦١/١٠.

(٢) النبي المرابي: ٣٨١.

(٣) يراجع: القيادة الإدارية في الإسلام لعبد الشافي أبو الفضل: ١٨٦ - ١٨٨، أسرار التميز الإداري والمهاري في حياة الرسول ٣ - محمد أحمد عبد الجواد - ط: ١ - دار البشير للثقافة والعلوم - طنطا - مصر: ٥٨ - ٦٦.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٣١.

(٥) سورة يوسف: الآية: ٢٢.

(٦) سورة المزمل: الآيات: ١، ٥.

(٧) سورة الانشراح: الآيات: ١، ٣.

الكرام الذين خضعوا لهذا النوع من التربية ومنهم موسى U الذي تمثل تمثّل قصته أنموذجاً من نماذج هذا النوع من التربية.

لقد شاءت الإرادة الإلهية صناعة قيادةٍ تقوم بإنقاذ بني إسرائيل من سيطرة الفراعنة وتحريرهم من استعباد فرعون، ليس هذا فقط بل القضاء على فرعون وجنوده وتحويل بني إسرائيل إلى أئمة وورثة للأرض كلها، فبدأت الخطوات العملية باصطفاء وانتقاء تلك القيادة المنتظرة، وبنائها وإعدادها في ظل العناية والرعاية الإلهية. قال تعالى: {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلَتُصْنَعْ عَلَيَّ عَيْنِي} (١).

قال الزمخشري (٢): "لتربي ويحسن إليك وأنا مراعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به، وتقول للصانع: اصنع على عيني أنظر إليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي". (٣)

ثم تأتي مرحلة ولادة هذا القائد وإرضاعه من قبل أمه، وإلقائه في اليم وسط مشاعر الخوف والشفقة على هذا الوليد، وأجواء التوجس والرهبة من فرعون الذي كان يذبح الأطفال حتى لا يكون لبني إسرائيل بهم قوة، ويستحيي النساء للخدمة وقضاء الشهوة، وهو ما أخبر تعالى عنه في قوله: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} (٤).

أما هذا الوليد المعد للقيادة فقد حفظه الله تعالى بقدرته رغم وقوعه بين يدي فرعون طفلاً رضيعاً، ونشأته في قصره شاباً مكتملاً. قال تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَالتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ * وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} (٥).

وبعد ذلك تأتي الخطوة الثالثة في إعداد هذا القائد بإعادته إلى أمه ليرضع من ثديها، وينام في حضنها جهاً نهاراً، وليعرف بين الناس بابنها، وكان ذلك تحقيقاً لوعده الله U ، ونتيجة للأخذ بالأسباب وتوخي الحيطة والحذر الذين مارستهما أخت موسى U عند بحثها عنه، وكذا حسن إدارتها للحوار مع قوم فرعون خلال بحثهم عن مرضعة له U. قال تعالى: {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ * فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (٦).

(١) سورة طه: الآية: ٣٩.

(٢) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، ولد بزمخش في خوارزم، رحل وسمع ببغداد وحج وجاور البيت الحرام حتى لقب بجار الله، كان معتزلي المذهب رأساً في البلاغة والعربية والمعاني والبيان، له العديد من المصنفات من أبرزها الكشاف وأساس البلاغة، توفي بخوارزم ليلة عرفة سنة ٥٣٨ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٥٢/٢٠، طبقات المفسرين للسيوطي: ١٧٢/١.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري - طبعة دار المعرفة - بيروت: ٤٣٣/٢.

(٤) سورة القصص: الآية: ٤.

(٥) سورة القصص: الآيات: ٧-٩.

(٦) سورة القصص: الآيات: ١١-١٣.



وتمضي عملية الإعداد الإلهي لموسى U ليعود إلى قصر فرعون بعد إتمام رضاعته، حيث كان من إعداد الله تعالى لموسى U أن تربي في قصر فرعون بين مظاهر الترف ومباهج الملك والسلطان، نشأ كما ينشأ أبناء الملوك، وهكذا زالت من قلب موسى مهابة الملوك والأغنياء، ولم يخفى على موسى أنه دخيل على أهل فرعون، وأنه يرجع في أصله الحقيقي إلى يعقوب U^(١).

وبعد ذلك ينتقل موسى U إلى مدين^(٢) لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل التربية والإعداد الإلهي، مرحلة تختلف عن سابقتها من المراحل من حيث المكان والزمان وأدوات التربية، أما المكان فلم تعد هناك قصور ولا أنهار ولا وطن بل صحاري وقفار وخيام وغربة، وأما الزمان فموسى U لم يعد طفلاً يعتمد على رعاية أمه، أو فتى يافعاً يحتاج إلى تلبية متطلباته، بل أصبح رجلاً مكتمل الرجولة لا بد له من تكوين أسرة وتحمل مسؤولياتها، وأما أدوات الإعداد والتربية فما عادت أمه ترعاه، وما عادت امرأة فرعون تشرف على شؤونه، وما عادت بيئة القصر تتدخل في تشكيل شخصيته، حتى الرجل الفرعوني الذي هياه الله تعالى لإذاره ما عاد له وجود هنا.

لقد تجاوز موسى U مرحلة من مراحل التربية كان المشرفون على تربيته فيها بشر عاديون وإن كانوا يسيرون وفق منهج إلهي ألهمهم الله تعالى إياه ليرتقي إلى مرحلة جديدة من مراحل الإعداد والتربية تتم على يد نبي من أنبياء الله U وهو شعيب U ، وهي مرحلة مليئة بالأحداث من زواج وتكوين أسرة وتحمل للمسؤولية ، وعمل في رعي الأغنام لعدة سنين مع ما تعينه عملية الرعي من كسب شريف وسداد لمهر الزوجية ووفاء بعهد تم قطعه على النفس، وما تتطلبه من يقظة وتركيز وشجاعة وحرص على الغنم وسعة صدر وحسن سياسة وأمانة، زيادة على الفوائد الأخرى التي استفادها موسى U من رعيه للغنم^(٣)، كل ذلك فضلاً عن مخالطة البسطاء والتعرف على أخلاقهم وعاداتهم، والتعود على خشونة العيش، وفي كل ذلك إشعار بنعمة الأمن والاستقرار والإطعام بعد الخوف والجوع والمطاردة، وتربية عملية على الصبر وقوة التحمل وكيفية التعامل مع الناس الذين سيمثلون فيما بعد ميدان الدعوة بالنسبة لموسى U.

وهكذا تكتمل شخصية موسى U في جميع جوانبها وتتال حظها من التربية والإعداد الإلهي بتدرج عجيب يتناسب مع المراحل العمرية التي مر بها كإنسان، وبواسطة بشر مختلفين زماناً ومكاناً واتجاهاً إلا أنهم يشتركون في تسخير الله U لهم لتربية هذا القائد العظيم^(٤).

(١) تبصرة المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم - د. علي محمد الصلابي - ط: ١ - مكتبة الصحابة - الشارقة: ٦٢.

(٢) مدين: موضع بين المدينة وتبوك على نحو ستة مراحل من تبوك وهي أكبر من تبوك ومحاذية لها، وبها البئر التي استقى منها موسى

U لابنتي شعيب U ومدين اسم القبيلة، وقد بعث النبي ﷺ إلى مدين سرية أمر عليها زيد بن حارثة t. ينظر: معجم ما

استعجم: ٤/١٢٠١، معجم البلدان: ٥/٧٧

(٣) ينظر: فتح الباري: ٤/٤٤١، تأملات في سيرة الرسول - محمد السيد الوكيل - ط: ٢ - المجتمع للنشر والتوزيع: ١٧ - ١٩.

(٤) ينظر: الطريق إلى جماعة المسلمين: ١٢٤ ، تبصرة المؤمنين بفقہ النصر والتمكين: ٥٧ - ٧١.

النوع الثاني: التربية بمناسبة الأحوال والمقامات

وفي هذه الحالة تتم التربية عن طريق تعريض الإنسان لأحوال الحياة المختلفة، ومواقف البيئة المتنوعة، والاحتكاك المباشر بأفراد المجتمع على اختلاف اتجاهاتهم وتصرفاتهم؛ الأمر الذي يورثه نوعاً من الفكر يتمكن به من الحكم على هذه الأحوال، كما يكون لديه إطاراً خاصاً للأحوال والظروف المختلفة، ويرتقى به حتى يصل إلى مرحلة متقدمة من التربية والإعداد.^(١)

ولعل أبرز الشخصيات التي تربت وأعدت بطريقة مناسبة الأحوال والمقامات وتقلب ظروف الحياة المختلفة هي شخصية نبي الله يوسف **U**، فعلى الرغم من كونه نبي من سلالة أنبياء فقد واجهته أحوال خاصة ومر بظروف مختلفة وابتلي بأنواع من البلاء حتى توافرت فيه مقومات القيادة وتكونت لديه الصلاحية القيادية، وباختصار شديد يمكن استعراض أهم الأحوال والمقامات التي مر بها نبي الله يوسف **U** في عدة مراحل على النحو الآتي:

المرحلة الأولى: الطفولة المبكرة: ومن أبرز أحداثها:

١- قصة الرؤيا التي رآها يوسف **U** وما ترتبت عليها من سعادة وارتياح نفسي نتيجة استشعار الاصطفاء الإلهي، وزيادة الحب والحنان الأبوي، وتربية على الحذر من الشيطان والحسد، والحث على الاقتداء بالسلف الصالح واستشعار نعمة الله **U**.

٢- مكانة يوسف **U** الكبيرة لدى والده، وغيره إخوته من ذلك وتآمرهم عليه وإلقاءه في الجب، وما ترتب على ذلك من ألم نفسي وبدني بافتقاد الأمن والحنان والشعور بالوحشة والحرمان، والاصطدام بمعاملة الإخوة الذين استبدلوا الحب بالبغض والعطف بالكيد وتآمروا على قتل الأخ الأصغر، فضلاً عما رافق ذلك كله من استشعار للعناية الربانية واللفظ الإلهي وتربية على الخشونة وسلامة الصدر.

٣- خروج يوسف **U** من البئر وإنقاذه على يد مجموعة من المسافرين، ووقوعه في العبودية وما ترتب على ذلك من استشعار للعناية الإلهية وحصول الفرج بعد الضيق.

المرحلة الثانية: النشأة في قصر العزيز:

شاعت إرادة المولى **U** الانتقال بيوسف **U** إلى مرحلة جديدة من مراحل التربية والإعداد القيادي، مرحلة لها خصائصها المتميزة وبرامجها الخاص الذي يتناسب مع الانتقال الكبير من قاع الجب إلى رحابة القصر، ومن أيد تزيحه من طريقها إلى أيد تتلقفه بلهفة البشرية ومنها إلى أيد تبني عليه الآمال وتدفع به الحرمان، من أيد كانت فيه زاهدة إلى أيد تتلقفه بالتكريم والرعاية، من مكر وتدبير لإزاحته عن الحياة إلى تمكين له فيها وتعليم { وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ }^(٢).

(١) ينظر: النظام الإلهي للرقى والانحطاط: ٣٨.

(٢) سورة يوسف: الآية: ٢١.



وبهذه النقلة جاوز يوسف U مرحلة كان فيها الصبي الذي لا يمتلك إرادة ولا قوة ولا حرية، ودخل مرحلة جديدة في شكلها وموضوعها ومجتمعها وبيئتها وتربيتها، مرحلة أجمع ما توصف به أنها مرحلة الغربة عن الوطن والأهل والعقيدة.^(١) ولعل من أبرز أحداث هذه المرحلة ما يأتي:

١- شراء العزيز ليوسف U وانتقاله للعيش في قصره، وما ترتب على ذلك من أمن واطمئنان، وتكريم وإعزاز، وعطاء وعاطفة، الأمر الذي أكسب يوسف U نمواً جسدياً، واستقراراً نفسياً، ونضجاً فكرياً، وبعداً معرفياً، وزيادة في الجمال.

٢- افتتاح امرأة العزيز بيوسف U ومحاولة إيقاعه في المعصية وعصمة الله تعالى له بالصمود أمام إغراءاتها المتعددة، وما ترتب على ذلك من اتهام له بمحاولة التحرش بها، وتدخل العناية الإلهية لتبرئة ساحته U ، وانتشار الخبر بين نسوة المدينة.

٣- افتتاح نساء الطبقة الراقية في مصر بيوسف U بعد رؤيته وتقطيع أيديهن وادعاء عدم بشريته، الأمر الذي زاد من تعلق امرأة العزيز به وإصرارها على إغوائه، وما ترتب على ذلك من لجوء يوسف U إلى الله U لإنقاذه من هذه الفتنة وتفضيله السجن على المعصية.

لقد تجاوز يوسف U هذه المرحلة رغم صعوبتها وتعقيداتها المختلفة، اجتازها وهو بعيد عن أبيه جسماً وإن كان موصولاً به أدباً وتربية، وهو بعيد كذلك عن بيئة النبوة وموطن العقيدة الصحيحة وإن كان موصولاً بها منهجاً والتزاماً، اجتاز هذه المرحلة نقياً نقياً عفيفاً طاهراً، وقد استعلى على المجتمع الجاهلي لينتقل إلى مرحلة أخرى سيكون لها في مسيرة حياته شأن^(٢).

المرحلة الثالثة: مرحلة السجن:

بعد أن قضى يوسف U مدة من الزمن في قصر العزيز مترفاً منعماً، ها هو ينتقل إلى مرحلة جديدة من مراحل التربية والإعداد الإلهي، مرحلة يقضيها في السجن؛ لينصهر فيها معدنه ويزول عن شخصيته كل ما علق بها من حياة الترف والنعيم وذكريات المجتمع الجاهلي في قصر العزيز.

لقد كانت هذه النقلة في حياة يوسف U نقلة كبيرة بمعنى الكلمة فمن رحابة القصر إلى ضيق السجن، ومن حياة الترف والنعيم إلى حياة الشظف والحرمان، وأقسى من ذلك كله أن تكون هذه النقلة عقاباً على ذنب لم يقترفه بل إرضاءً للمذنب وتنفيذاً لرغبته، الأمر الذي جمع على يوسف U بين ألم النفس والبدن، وأما أهم أحداث هذه المرحلة فيمكن إيجازها فيما يأتي:

١- دخول يوسف U إلى عالم السجن بكل ما فيه من تناقضات وانحرافات وإجرام، الأمر الذي فرض عليه نوعاً من العزلة الشعورية، والاستعلاء العقائدي، والتميز السلوكي، حتى أصبح ملجأ رفقة السجن عند تكاليف الهموم ومقصدتهم عند حلول الإشكالات، وما ترتب على ذلك من قيامه بواجب الدعوة إلى الله U وبيان أهمية التزام المنهج الإلهي.

(١) ينظر: من نبأ المرسلين - د. حسن عيسى عبد الطاهر - ط: ١ - دار الثقافة - الدوحة - قطر: ٢٢٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٩-٣٣١، مع الأنبياء في القرآن الكريم - عفيف طبارة - ط: ١٣ - دار العلم للملايين - بيروت: ١٩١.

٢- تعرض الملك لرؤيا منامية وانشغاله بطلب تأويلها، الأمر الذي دفع ساقى الخمر إلى تذكر قصته مع يوسف U عندما كان مسجوناً، وذهابه إليه لتأويل رؤيا الملك، وما ترتب على ذلك من طلب الملك له، ورفضه U حتى يتم إعادة التحقيق في قضيته وإظهار براءته وهو ما تم فعلاً، وفي كل ذلك ترتيب إلهي لإظهار ماضيه الناصع المشرق حتى يكون أهلاً للقيادة وتولي المسؤولية في بلاط الملك. ولعل أهم جوانب الإعداد الإلهي ليوسف U في هذه المرحلة تمثل في إيجاد نوع من العزلة التي مكنته من مراجعة مسيرة حياته وقضاء وقت أطول في التفكير والتأمل، وتنمية العديد من مواهبه وقدراته، إضافة إلى تمرينه على ممارسة الدعوة وكيفية التعامل مع المدعويين رغم اختلاف بيئاتهم.

المرحلة الرابعة: مرحلة القيادة وتحمل المسؤولية

وهذه المرحلة تمثل نقله نوعية في حياة يوسف U ، حيث يغادر فيها السجن لا إلى داره ولكن إلى مركز القيادة، وهو أمر يجيء عقب مراحل عديدة قضاها في الإعداد والتربية، فمن مرحلة الطفولة في البداية بفطرتها وطهارتها وحنان الأب ومؤامرات الاخوة وفترة الجب مع الضعف البشري ولطف الله، مروراً بمرحلة النشأة في قصر العزيز حيث الترف المفرط والنعيم الزائد والفطرة المشوشة والشهوة الجامحة مع الاستعصاء على الفتن وعناية الله، إلى مرحلة السجن حيث الألم النفسي والبدني، والعيش بين المجرمين والمنحرفين، والخشونة في العيش والحرمان، مع التميز العقدي والسلوكي وإعداد الله، ولاشك أن في كل تلك الأحوال والظروف إعداد إلهي وتربية ربانية وتهيئة ليوسف U لتحمل المسؤولية والقيام بواجبات القيادة.

• منهجية إعداد وتأهيل القيادات

تقوم منهجية إعداد وتأهيل القيادات في المنهج القرآني على تعديل وتغيير عدة أمور في شخصية الإنسان وغرس أمور أخرى محلها وتنميتها لديه، كما تسير وفق خطوات محددة تؤدي في النهاية إلى تكوين الشخصية القيادية السوية، وتتمثل أهم الأمور التي يجب تعديلها أو تغييرها خلال مرحلة الإعداد والتأهيل فيما يأتي:

١- القيم والمبادئ والأفكار:

ويمكن تعريف القيم بأنها "المحيط الفكري والحضاري الذي يحمله الإنسان ويؤمن به وبما فيه من عقيدة وقوانين وأنظمة وسلطة وتربية وفن وآداب وعادات وأخلاق وتقاليد وأعراف"^(١). ويمثل وجود القيم والمبادئ أهمية كبرى في حياة كل إنسان، وبقدر ما تمثله هذه القيم والمبادئ من حق وعدالة بقدر ما يكون الإيمان بها والإصرار عليها، يدل على ذلك ثبات السحرة أمام تهديدات فرعون بعد

(١) ٧٦٦ مصطلح إداري- محمد فتحي- طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة- مصر: ١٢٤.

إيمانهم بدعوة موسى عليه السلام وهو ما حكاه القرآن الكريم في قوله تعالى {قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَافْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} (١).

إن زراعة القيم والمبادئ الصحيحة أمر يبدأ من داخل النفس الإنسانية، ويتم بتدرج معقول ينتزع القيم والمبادئ الفاسدة ليحل محلها قيم الإيمان والحق والعدل (٢).

٢ - الاهتمامات الشخصية:

فلا بد من الارتقاء باهتمامات الإنسان من اهتمامات مادية أرضية تقتصر على الأكل والشرب والنوم والجنس إلى اهتمامات أرقى تتعلق بحياة الإنسان ومستقبله ودوره في الحياة والهدف من وجوده، كما يتم الارتقاء بمستوى اهتماماته من التمركز حول الذات إلى التفاعل مع المجتمع ومعايشة قضايا الأمة المختلفة، وهو ما أكد عليه المنهج القرآني في العديد من الآيات مثل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَمْتَحُونُ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ} (٣).

٣ - المهارات القيادية:

والمهارة تعني: "القدرة على القيام بعمل من الأعمال بشكل يتسم بالدقة والسهولة والسيطرة والاقتصاد فيما يبذله الفرد من جهد ووقت" (٤).

وتمثل المهارات أهمية كبرى في حياة الإنسان؛ لأن من لا يملك المهارة لا يملك القدرة على الحياة وإنما يعيش عالية على الآخرين، وأهميتها للقيادات من باب أولى ذلك أن النجاح في القيادة يتطلب جملة من المهارات الفكرية والإدارية والبدنية والفنية وغيرها من المهارات الواجب توافرها في الشخصية القيادية (٥).

والمنهج القرآني يدرك اختلاف البشر في طبائعهم وقدراتهم وإمكاناتهم ولذلك يسعى لإكساب كل منهم ما يحسن من المهارات. قال تعالى: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} (٦).

٤ - العلاقات الإنسانية:

وتمثل أهمية كبرى في حياة الإنسان، وهي أمر لا بد منه نتيجة التقاء البشر واختلاطهم واحتياجهم إلى بعض ولذلك نجد المولى U يرشد نبيه ٣ إلى ضرورة الاهتمام بهذا الجانب في قوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ

(١) سورة طه: الآية ٧٢.

(٢) ينظر: صناعة النجاح - د. طارق السويدان وفيصل باسراويل - ط: ٥ - دار ابن حزم - بيروت - لبنان: ٨٦.

(٣) سورة محمد: الآية: ١٢.

(٤) القيادة الإدارية لنواف كنعان: ٢٥١ هامش (١)، و ينظر: ٧٦٦ مصطلح إداري: ٢٨٤.

(٥) يراجع: القيادة الإدارية لنواف كنعان: ٢٦١ - ٢٧٨، القيادة الإدارية في ضوء المنهج العلمي والممارسة للبيع: ٣١ - ٣٨، الاتجاهات

الحديثة في القيادات الإدارية للعبودي: ٧٦ - ١١١.

(٦) سورة الزخرف: الآية: ٣٢.

اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۝ { (١).

وفي العصر الحديث توصلت الدراسات إلى أن " نجاح الإنسان في القيادة مرهون بقدرته على إتقان مهارات التعامل، وأن ٨٥% من النجاح في القيادة يعزى إلى مهارات التعامل، وليس بالضرورة استعمالها جميعها، بل حسب الموقف والشخص المقابل" (٢).

ويتوقف النجاح في العلاقات الإنسانية على مجموعة من القدرات كالقدرة على الاتصال والتأثير في الآخرين، كما يتوقف على مجموعة من المهارات الإنسانية كحسن الاتصال والإحساس بالآخرين وفهم نفسياتهم، والاهتمام بالناس وتشجيعهم والوفاء لهم، بالإضافة إلى مداومة الابتسام وضبط النفس والسيطرة على السلوك (٣).

٥- القدرات المختلفة:

والقدرات هي: "الأفعال والتصرفات التي يستطيع الإنسان القيام بها" (٤) فطرية كانت أم مكتسبة. وتعد القدرات العقلية والحركية أهم القدرات المطلوب توافرها في الشخصيات القيادية، وهو ما يدل عليه قوله تعالى: { قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۝ } (٥) ونظراً لأهميتها طلب موسى U من الله U تسهيل بعضها له بقوله: { وَأَخْلَلْ عُقْدَةَ مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي } (٦).

إن تغيير هذه الأمور الخمسة أو تعديلها وجعلها في إطارها الصحيح، يعني قيام التربية بوظيفتها المطلوبة والتمثلة في غرس القيم والمبادئ والمعتقدات، وتعلم المهارات، وتغيير الاهتمامات، وتنمية القدرات، وتكوين العلاقات، وهذا كله يسهم في تكوين شخصية سوية؛ لكنه لا يصنع فرداً قيادياً، الأمر الذي يعني ضرورة الاستمرار في عملية الإعداد والتأهيل والانتقال بالأفراد إلى مرحلة أخرى يتم فيها غرس عدد من القدرات والمهارات لتحويل هذه الشخصية السوية إلى شخصية فاعلة في تدرج ويسرٍ ووفقٍ منهجٍ واضح الخطوات والمعالم (٧).

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٥٩.

(٢) صناعة القائد: ١٤٥.

(٣) يراجع: المصدر نفسه: ١٤٥ - ١٥٤.

(٤) ٧٦٦ مصطلح إداري: ١٤٦.

(٥) سورة البقرة: الآية: ٢٤٧.

(٦) سورة طه: الآيتان: ٢٧، ٢٨.

(٧) يراجع: مجموعة أشرطة وأفلام الإعداد لجيل قيادي - د. طارق السويدان - إنتاج مؤسسة قرطبة للانتاج والتوزيع الفني - الرياض.

وأهم المعاني التي يجب غرسها في الفرد خلال مرحلة الإعداد والتأهيل القيادي هي:

١- تكوين الرؤية المرشدة:

عرفها (جاي كونفر) مؤلف كتاب القائد الجذاب بأنها "صورة عقلية تصف الحالة المستقبلية المرغوبة، أو حلم مثالي يمتد بعيداً".^(١) فهي تعني معرفة الأهداف البعيدة التي يراد تحقيقها في هذه الحياة. وقد أجمع الباحثون على أهمية هذه الصفة بالنسبة للقائد، وأنها أول ما يجب غرسه في الفرد خلال مرحلة الإعداد والتأهيل القيادي؛ لأن من لا يعرف ما يريد سيتخبط في هذه الحياة ولن يتمكن من إنجاز شيء، فكيف إذا تبوء موقع الصدارة في مجتمعه حيث "يتعلق نجاح الرئيس وفشله بصدق حدسه، وحسن تنبؤاته، وعمق النظرة التي يلقيها نحو المستقبل، وعليه أن لا يعمل ليومه بل لغده، فيتنبأ بما ينجم عن قراراته في المستقبل البعيد، ويتوقع ما سيصادفه من متاعب وعقبات في مختلف الظروف المحتملة، دون أن يؤثر ذلك على اندفاعه أو يقلل من حماسه"^(٢).

إن من أهم المشكلات التي تمر بها البشرية اليوم عدم وجود الرؤية المرشدة والأهداف الواضحة، وإن وجدت بعض الأهداف فإنها تفتقد إلى النبيل والسمو والمصادقية، وتظل حبيسة صدور القادة دون غيرهم، أما الشعوب فإنها تتحرك فقط حسبما يوجهها القادة دون رؤية أو غاية أو هدف، بخلاف ما يدعو إليه المنهج القرآني من جعل الإنسان على بينة من أمره ووضوح في أهدافه. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ }^(٣).

لقد كانت هذه الرؤية واضحة في ذهن النبي ﷺ وهو يرد على كفار قريش عندما ساوموه على دعوته بقوله: (والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه)^(٤)، ولدى بلال رضي الله عنه وهو يعذب في بطحاء مكة ويصيح في وجه جلاديه قائلاً: "أحدٌ أحدٌ أحدٌ" ^(٥) ولولا الإيمان العميق من قبل النبي ﷺ وصحابته الكرام وسلف الأمة الصالح بهذه الرؤية ما قامت دولة الإسلام ولا انتشرت الفتوحات ولا وصلنا هذا الدين.

لقد اكتشف أحد علماء النفس النمساويين خلال مدة اعتقاله في معسكرات النازية بألمانيا أن السبب في بقاء العديد من الأفراد أحياء رغم بشاعة معاناتهم، ووفاة الكثير منهم هو وجود الرؤية المستقبلية لديهم، وإحساسهم أن هناك مهام تنتظرهم، وأهدافاً يجب عليهم تحقيقها، وهو ما ذكره الأسرى الأمريكيون في فييتنام.^(٦)

(١) القيادة في القرآن الحادي والعشرين: ١١٥.

(٢) لمحات في فن القيادة: ٩٣.

(٣) سورة الإنشاق: الآية: ٦.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ١٠١/٢.

(٥) مسند أحمد: ٤٠٤/١ رقم (٣٨٣٢)، فتح الباري: ٧٢١/٨.

(٦) ينظر: صناعة القائد: ١٣٥.

ونظراً لاهتمام الدول بهذا الموضوع أنشأت السويد في عام ١٩٧٣م وزارة تابعة لرئيس الوزراء تتحصر مهمتها في الاهتمام بالمستقبل والتخطيط له، كما تم إدخال الدراسات المستقبلية ضمن المقررات الدراسية في العديد من الدول المتقدمة، وبلغ عدد المؤسسات المهتمة بالدراسات المستقبلية قرابة ستمائة مؤسسة، فأين المسلمون من ذلك؟ وما هي جهود الأمة ومتففيها في هذا المجال^(١).

والرؤية الجيدة هي التي تتسم بالوضوح والانطلاق من فهم الواقع لتوضيح صورة المستقبل المنشود مع جمعها بين المثالية والواقعية والقدرة على الإنجاز وأن تكون محاطة بروح التفاؤل والصبر^(٢).

٢- إيجاد التوازن بين طاقات الإنسان المختلفة:

للإنسان أربع طاقات تتمثل في الروح والعقل والعاطفة والجسد، وتحتاج هذه الطاقات إلى تنمية مستمرة، وإيجاد نوع من التكامل والتوازن بينها بحيث تنمو في تناسق واعتدال وحتى تقوم بأداء مهامها دون طغيان لطاقة على أخرى، ويمكن إيجاز ذلك فيما يأتي:

أ. الروح: أهم ما في الإنسان والقوة التي تمدّه بالحياة، وتغذيه بالقيم والمبادئ اللازمة لمقاومة ضغوطات الحياة المختلفة.

ب. العقل: أشرف ما في الإنسان وسر التكريم فيه ومستودع العلوم، وميزان التمييز بين الخير والشر.

ج. العاطفة: جملة المشاعر المستقرة في النفس تجاه الأشياء، وتتكون من خلال خبرات الإنسان وتجاربه وثقافته.

د. الجسم: وهو البدن الذي نعيش من خلاله، وتتحرك به، وهو مستقر الروح والعقل والعاطفة.

ولاشك أن تحقيق التوازن بين هذه الطاقات الأربع يجعل من الإنسان شخصية سوية متكاملة، ويتيح له فرصة أكبر لتحقيق النجاح في جوانب حياته المختلفة^(٣).

٣: إدارة الذات:

وتعني: "تنظيم الإنسان لوقته ومواعيده وارتباطاته وأوراقه وأشيائه، ومحاولة التحكم في النفس وإمساك

زمامها، وتعني كذلك استفادة الإنسان من قدراته وإمكاناته، وتحديد أهدافه بدقة والتركيز على متابعة تحقيقها"^(٤).

كما تعني التحكم في العواطف والمشاعر وضبطها لا التخلص منها وتجريدها فإن "درجة ضبط

العواطف لا تقاس بشدة المرء نحو موضوع من الموضوعات ولا بعدالة وصدق مشاعره، ولكن بالطريقة التي

(١) ينظر: مدخل إلى التنمية المتكاملة: ١٥٥.

(٢) يراجع: صناعة القائد: ٧٠ - ٧٣.

(٣) يراجع: صناعة النجاح: ١٧٧-١٨٠، تحكم في سلوكك الشخصي تحقق التميز والنجاح- وفاء محمد مصطفى- ط:١- دار ابن حزم-

بيروت- لبنان: ١٩٢-١٩٥، ناعة القائد: ١٤٠.

(٤) المرشد الشخصي للسعادة والنجاح- د. إبراهيم القعيد وخالد المبارك- ط:١- دار المعرفة للتنمية البشرية- الرياض: ٥٣.

يتصرف بها، ويمدى كبح مشاعره وتوجيهها بحيث تكون مسيرةً بالعقل المسيطر على العاطفة، وبالقدر الذي يمنع همومه ومشاغله من التدخل في كفايته في تأدية العمل، وبالقدر الذي يحتفظ فيه بهدوئه وينقبله عن طيب خاطر النقد الذي يوجه إليه عن حسن قصد وإن خلا من اللباقة، وبالقدر القليل الذي يسمح فيه للحوادث السيئة وألتي تبعث على الإرباك والحيرة أن تقلق أعصابه^(١).

إن معادلة إدارة الذات تشير إلى أن: " الوقت + الجهد الإنساني الملائم لاستغلاله = تحقيق الأهداف المطلوبة إن شاء الله".^(٢)

فإذا بذل الجهد واستفرغ الوسع، وتمت الاستفادة من القدرات والطاقات، وتم استغلال الوقت استغلالاً صحيحاً، فلاشك أن ذلك يقود إلى تحقيق الأهداف المرجوة وليس شرطاً لارتباط تحقق الأهداف بالمشيئة الإلهية. قال تعالى: { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا }^(٣).

وهناك العديد من العوامل التي تساعد على الوصول إلى مرحلة متقدمة من إدارة الذات والتحكم في تصرفاتها يمكن العودة إليها في الكتب المتخصصة بإدارة الذات وتنمية الشخصية^(٤).

٤: القدرة على التأثير في الآخرين:

وتعني: " القدرة التي يتمتع بها القائد في إحداث تغييراً أو إيجاد قناعةٍ ما تؤثر بالآخرين نحو تحقيق أهداف محددة" ^(٥).

وتعد عملية التأثير من أهم العمليات التي ينبغي تربية وإعداد قادة المستقبل على اكتسابها؛ لأنها المسألة الأساسية التي تتوقف عليها نجاح العملية القيادية، وتتحدد على ضوءها درجة نجاح القائد أو فشله، فالقيادة الناجحة هي التي تتمكن من إحداث تأثير إيجابي في محيطها، فتعمل على تغيير سلوك الأفراد، واستغلال طاقاتهم وقدراتهم، وتوجيه نشاطهم لتحقيق الأهداف المنشودة. قال تعالى واصفاً قدرة ذي القرنين على التأثير في الآخرين: { حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا }^(١).

(١) إدارة الناس فن- جورج د. هالسي- ترجمة: أحمد زكي- طبعة دار المعارف- مصر: ٣٠.

(٢) المرشد الشخصي للسعادة والنجاح: ٥٣.

(٣) سورة الإنسان: الآية: ٣٠.

(٤) تراجع: تحكم في سلوكك الشخصي: ٢٦-١١٥، الالتفات إلى الذات- مريم بنت عبد الله النعيمي- ط: ١- دار ابن حزم- بيروت: ٦٧-٧٥،

المرشد الشخصي للسعادة والنجاح: ٥٣-٦٥

(٥) مقومات القائد التربوي الناجح: ٢٦.

(١) سورة الكهف: الآيات: ٩٣-٩٨.

"قلابد أن تتوفر في القائد الإداري القدرة على التأثير في سلوك الآخرين، حتى يتقبلوا الأوامر والتعليمات التي تحددها سلطة القيادة واختصاصاتها المخولة لها بمقتضى القوانين واللوائح عن طواعية واختيار، وليس عن قهر ومسائلة. ومعنى هذا أن القائد الذي يفقد تأثيره الذاتي ويعتد كلياً بما له من سلطةٍ واختصاصاتٍ قانونيةٍ أو لائحيةٍ غالباً ما يفشل" (٢).

وقد أظهرت الدراسات الحديثة أن مصادر القوة التي تمكن القائد من التأثير في سلوك الأفراد ودفعهم للقيام بعمل معين تتمثل فيما يأتي:

١- القوة الشرعية والقانونية.

٢- قوة التحفيز والثواب.

٣- قوة الإكراه والعقاب.

٤- قوة العلم والخبرة.

٥- قوة العلاقة والصلة.

ويمكن اعتبار المنظمة مصدر القوى الثلاث الأولى، بينما يعد الفرد هو مصدر قوة العلم والخبرة وقوة العلاقة والصلة (٣).

لقد كانت القيادة وما تزال هي القدرة على تحريك الناس نحو الهدف، ويتوقف ذلك على مقدار ما يحدثه القائد من تأثير إيجابي في سلوك الآخرين، كما أن عملية التأثير ينبغي أن تقوم على إحداث تفاعل إيجابي بين القائد ومحيط عمله، من خلال استخدام العديد من الوسائل والخطوات المؤدية في النهاية إلى إحداث التأثير المطلوب والتي من أبرزها:

١- التحريك العاطفي للمشاعر الإنسانية.

٢- الاهتمام بالإنسان.

٣- القدرة على الإقناع.

٤- الوفاء للقيم والمبادئ والأشخاص.

٥- إشاعة جو الألفة.

٦- القدوة الصالحة.

• خطوات التعامل مع الشخصيات المعدة للقيادة:

تتمثل أبرز الخطوات التي يجب إتباعها عند التعامل مع الشخصيات الخاضعة لعملية التربية والإعداد القيادي خلال مرحلة الإعداد والتأهيل فيما يأتي:

(٢) الاتجاهات الحديثة في القيادة الإدارية للعبودي: ٧٠.

(٣) ينظر: القيادة والتغيير - بشير شكيب الجابري - ط: ١- دار حافظ للنشر والتوزيع - جده: ١٢٢، مبادئ القيادة والإدارة في الإسلام - د.محمد عبد الله البرعي - ط: ٢- نادي المنطقة الشرقية - السعودية: ١٧٣.

أولاً: إعطاؤهم الجرعة التي يحتاجونها من التعليم والثقافة:

يحتاج الإنسان إلى التعليم الصحيح حتى يتمكن من تحديد أهدافه في الحياة وطرق الوصول إليها، والحكمة في التعامل مع المواقف المختلفة، فضلاً عما ينميه التعليم الصحيح في الفرد من استقلالية في الذات وتميز عن الآخرين، وبهذا يتميز التعليم عن التدريب لاقتصار التدريب على تنمية المهارات والأساليب وهو أمر يشترك فيه جميع المتدربين.^(١) قال تعالى: { وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا }^(٢). ولعل أبرز العلوم التي يجب التركيز عليها خلال مرحلة إعداد وتأهيل القادة تتمثل في:

١- العلوم الإنسانية:

تحتاج القيادات إلى ثقافة العلوم الإنسانية أكثر من احتياجها إلى العلوم التقنية؛ لأنها تتعامل مع الأشخاص والمبادئ والمواقف ولا تتعامل مع الآت وجمادات، ويمكن الإشارة إلى أبرز هذه العلوم الإنسانية فيما يأتي:

أ. الدين: للتعرف على أهداف الإنسان في الحياة والغاية التي وجد من أجلها، والمنهج الذي ينبغي أن يسير عليه. قال تعالى: { فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ }^(٣).

ب. الفلسفة: للتعرف على المحاورات والمناظرات والاستدلالات والاستفادة منها في اكتساب الحكمة. قال تعالى: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ }^(٤).

ج. التاريخ: للتعرف على أحوال الأمم والشعوب ومسيرة حياتها لأخذ العبرة والعظة. قال تعالى: { تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ }^(٥).

د. علم الاجتماع: للتعرف على عادات وتقاليد الأمم والشعوب والفئات وخصائصها، والوقوف على السنن الإلهية في قيام الحضارات وسقوطها. قال تعالى: { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَفُصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ * وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ }^(٦).

هـ. مبادئ الإدارة: للتعرف على كيفية تحديد الأهداف وتحقيقها، والأسلوب الأمثل للتعامل مع الأحداث والأشخاص؛ لتحقيق الإنجاز المنقن بأقل قدر من الجهد والوقت والتكاليف. قال تعالى: { وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ }^(٧).

(١) ينظر: القيادة في القرن الحادي والعشرين: ١٤٨، ناعة القائد: ٢٢٧.

(٢) سورة طه: الآية: ١١٤.

(٣) سورة محمد: الآية: ١.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٢٦٩.

(٥) سورة هود: الآية: ٤٩.

(٦) سورة هود: الآيات: ١٠٠-١٠٣.

(٧) سورة النمل: الآية: ٢٠.

و. **مبادئ السياسة:** لتكوين الوعي السياسي والتعرف على الأنظمة السياسية المختلفة وكيفية التعامل معها، والمبادئ التي يقوم عليها النظام السياسي في الإسلام، وكذا أساليب المشاركة السياسية وكيفية إتخاذ القرارات وطريقة تكوين الرأي العام والتأثير في مختلف الأحداث، وغير ذلك من الجوانب السياسية الهامة. قال تعالى: { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ }^(٢).

ز. **مبادئ الاقتصاد:** للتعرف على الموارد المتاحة وكيفية استغلالها وتنميتها، وأساليب التدبير والإنفاق؛ لتحقيق الاكتفاء الذاتي وتحسين مستوى معيشة الأفراد. قال تعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا }^(٣).

٢- **الوقوف على التجارب البشرية ودراسة أسباب النجاح والفشل فيها:** وأهم التجارب التي ينبغي دراستها:

أ. تجارب الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم في الدعوة والقيادة، ومصدرها القصص القرآني والسنة النبوية ومن ذلك:

- تجربة موسى **u** في تحرير بني اسرائيل والقضاء على الطغيان الفرعوني.
- تجربة يوسف **u** في قيادة مصر وانقاذها من المجاعة والانهيار الاقتصادي.
- تجربة النبي **ﷺ** في إقامة الدولة الإسلامية وإرساء دعائمها.

ب. تجارب الخلفاء والملوك والقادة البارزين في التاريخ الإسلامي ومن ذلك

- تجربة عمر بن الخطاب **t** في إدارة الدولة الإسلامية ونشر الإسلام وقيادة الفتح الإسلامي.
- تجربة عبد الرحمن الداخل في إقامة الدولة الإسلامية ببلاد الأندلس وعوامل نجاحه.
- تجربة صلاح الدين الأيوبي في إستعادة بيت المقدس، ومحمد الفاتح في فتح القسطنطينية وعوامل نجاحهما.
- تجربة الأئمة الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رحمهم الله في تأسيس المذاهب الإسلامية وعوامل نجاحهم، وعدم نجاح غيرهم رغم سعة علمه وفضله كالليث بن سعد^(٤) مثلاً.
- تجربة الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير **y** لإقامة الخلافة في كل من العراق^(١) والحجاز^(٢)، وأسباب عدم تمكنهما من ذلك.

^(٢) سورة الشورى: الآية: ١٨.

^(٣) سورة الفرقان: الآية: ٦٧.

^(٤) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الإمام الحافظ، عالم الديار المصرية، روى عن عطاء والزهري وغيرهم وتلمذ على مالك ونشر عنه مذهبه في المغرب العربي، كان فقيه مصر ومحدثها ووجهها وكان تاجراً ذا مال يُرى عليه أثر النعمة توفي سنة ١٧٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٣٦/٨، طبقات الحفاظ للسيوطي: ١/١٠١.

^(١) العراق في كلام العرب الشاطي، وسميت العراق عراقاً لأنها تقع على شاطئ دجلة والفرات. ينظر: معجم ما استعجم: ٩٢٩/٣، معجم البلدان: ٩٣/٤.

^(٢) الحجاز في كلام العرب مشتق من الحجز أي المنع والحجاز الجبال الممتدة بين تهامة ونجد سميت حجازاً لأنها تحجز ما بين تهامة ونجد وتمنع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهي حجاز بينهما. ينظر: معجم البلدان: ٢١٨/٢.

ج . تجارب الزعماء والملوك والقادة السياسيين والعسكريين والاقتصاديين في المجتمعات غير المؤمنة قديماً وحديثاً ومنها:

- تجربة فرعون في قيادة قومه والنتيجة التي أوصلهم إليها.
- تجربة جنكيز خان في منغوليا، ونابليون في فرنسا، ولنكولن في أمريكا، وهتلر في ألمانيا، ونهرو في الهند، بالإضافة إلى تجربة مانديلا في جنوب أفريقيا.
- د . تجارب المخترعين والمكتشفين، وأصحاب رؤوس الأموال، ورؤساء الشركات العالمية الكبرى.
- هـ . تجارب الحركات الإسلامية والقومية واليسارية المؤثرة في العصر الحديث مع التركيز على جوانب النجاح والإخفاق فيها.
- و . تجارب القيادات والزعامات العربية والإسلامية في العصر الحديث حكماً وعلماءً ومفكرين ومجاهدين واستخلاص الدروس والعبر منها، وغير ذلك من التجارب التي يمكن الاستفادة منها في إعداد وتأهيل القيادات^(٣).

٣- العلوم المتعلقة بالنفس الإنسانية ومهارات التعامل الإنساني:

للتعرف على أسرار النفس البشرية، وكيفية إصلاحها وتقويمها والارتقاء بها، وطريقة التعامل مع الأفراد أتباعاً وخصوماً وهو ما دل عليه قوله تعالى { وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ }^(٤).

٤- اللغات الأخرى:

لما لها من أهمية في تحقيق التواصل بين الأمم والتعرف على ثقافتها، والاستفادة من نتاج الحضارة الإنسانية. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا }^(٥). وقال تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ }^(٦) ونظراً لهذه الأهمية أمر ٣ زيد بن ثابت t بتعلم لغة اليهود فتعلمها خلال بضعة عشر يوماً.

ثانياً: إتاحة الفرصة لهم للحوار والمناقشة وإبداء الرأي، والتأكد من اقتناعهم في المواقف المختلفة:

ومن ذلك الحوار الذي جرى بين الخالق U وبين إبراهيم U في قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيُظْمِنُنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }^(١).

^(٣) يراجع: في ظلال القرآن ، السبيل إلى القيادة ، بين العقيدة والقيادة ، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ناعة النجاح ، فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب، صناعة القائد.

^(٤) سورة الذاريات: الآية: ٢١.

^(٥) سورة الحجرات: الآية: ١٣.

^(٦) سورة الروم: الآية: ٢٢.

^(١) سورة البقرة: الآية: ٢٦٠.



وتتجلى أهمية هذه الخطوة في موقف الحباب بن المنذر^(٢) t يوم بدر حين نزل النبي r والمسلمون عند أدنى ماء من مياه بدر، فتقدم الحباب بن المنذر لإبداء رأيه ومناقشة قيادته في مسألة الموقع المناسب ومهد لهذا الرأي بسؤال عن اختيار هذا المكان فقال يا رسول الله: (أرأيت هذا المنزل أمّنزلًا أنزلكم الله، ليس لنا أن نتقدمه ولا نأخر عنه؟ أمر هو الحرب والرأي والملكيدة؟ قال: بل هو الرأى والحرب والملكيدة. قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فاهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم ثم غور ما وراء من القلب، ثم نبي عليه حوضاً فملؤا ماءً ثم قاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله r: "لقد أشرت بالرأى". فنهض رسول r ومن معه من الناس حتى أتى أقرب ماء من القوم فنزل عليه ثم أس بالقلب فغورت وبنى حوضاً على القلب الذي نزل عليه فملئ ماء ثم قدفوا فيه الآية^(٣)).

إن هذا الموقف يصور نموذجاً من نماذج التربية النبوية للصحابة الكرام على الحرية والحوار والمناقشة وإبداء الرأي في أخطر القضايا، الأمر الذي أفاد المجتمع المسلم من جميع القدرات والطاقات، كما يصور المستوى التربوي الذي وصله الصحابة الكرام حيث أصبحوا يدركون أهمية المشورة وأصولها، وضرورة إبداء الرأي وأسلوبه، ومفهوم المناقشة وطريقتها، وبالتالي لم يمنعهم التقدير والاحترام للنبي r من إبداء الرأي وإن كان مخالفاً^(٤).

(٢) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل شهد بدرًا وثبت مع النبي r يوم أحد وبايعه على الموت، كان من الصحابة الذين شاركوا في النقاش في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة النبي r، توفي في خلافة عمر t وليس له عقب.

ينظر: الاستيعاب: ٣١٦/١، الإصابة: ١٠/٢.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ١٦٧/٣.

(٤) ينظر: التربية القيادية: ٢٠/٣، والسيرة النبوية للصلاحي: ١/٦٦٨.



ثالثاً: إعطاؤهم مكانة خاصة تميزهم عن غيرهم من خلال:

١- خصهم ببعض القضايا والأسرار أو الاستشارات الخاصة:

كما خص الله U آدم U بأسماء الأشياء. قال تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) (١)، وخص محمداً ﷺ برحلة الإسراء والمعراج، قال تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (٢).

وقد طبق رسول الله ﷺ هذه المسألة في حياته فخص حذيفة بن اليمان (٣) t بمعرفة أسماء المنافقين (٤)، واستشار علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد y في حادثة الإفك التي تعرضت لها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع أنها من القضايا الشخصية به ﷺ (٥)، كما استشار الصديق t في الزواج من أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها (٦).

٢- التعامل المباشر معهم:

قال تعالى: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} (٧)، وهو ماتحقق لموسى U قال تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} (٨) وهذا ما نجده واضحاً أيضاً في تعامل النبي ﷺ مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقد كان كثيراً ما يقول: (ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر) (٩).

٣- منحهم المزايا التي تظهر خصوصيتهم:

ومن ذلك سلب النار خاصية الإحراق في قصة إبراهيم U كما في قوله تعالى: {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ} (١٠) وتضليل الغمام للنبي ﷺ قبل بعثته (١١)، وتعداد النبي ﷺ لبعض فضائل الصديق ثم

(١) سورة البقرة: الآية: ٣٠.

(٢) سورة الإسراء: الآية: ١.

(٣) حذيفة بن اليمان، واليمان لقب أبيه وهو حسين بن جابر من غطفان كان حليفاً لبني عبد الأشهل من الأنصار، شهد أحداً وما بعدها، وكان معروفاً بصاحب سر رسول الله في المنافقين وهو أكثر من روى أحاديث الفتن من الصحابة، تولى القيادة في نهاوند بعد استشهاد النعمان بن مقرن t توفي سنة ٣٦هـ. ينظر: الاستيعاب: ١/٣٤٣.

(٤) يراجع: صحيح البخاري- كتاب فضائل الصحابة- باب مناقب عمار وحذيفة: ٣/١٣٦٨ رقم (٣٥٣٢).

(٥) يراجع: صحيح البخاري- كتاب التفسير- باب قوله إن الذين يحيون أن تشيع الفاحشة: ٤/١٧٨٠ رقم (٤٤٧٩).

(٦) يراجع: صحيح البخاري- كتاب النكاح- باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير: ٥/١٩٦٨ رقم (٤٨٣٠).

(٧) سورة البقرة: الآية: ٢٥٣.

(٨) سورة النساء: الآية: ٦٤.

(٩) صحيح البخاري- كتاب فضائل الصحابة- باب مناقب عمر بن الخطاب: ٣/١٣٤٨ رقم (٣٤٨٢)، صحيح مسلم- كتاب الفضائل- باب من فضائل عمر t: ٤/١٨٥٨ رقم (٢٣٨٩) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٣/١٦٣ رقم (١٥٤٥).

(١٠) سورة الأنبياء: الآية: ٦٩.

(١١) يراجع: سنن الترمذي- باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ: ٣/٥٩٠ رقم (٣٦٢٠)، تاريخ الأمم والملوك: ١/٥٢٠.

قوله: (فهل أنتم تاركولي صاحبي) ^(١) وقوله ٣: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن) ^(٢) وإدخال عمر t عبد الله بن عباس t في مجلسه مع أشياخ بدر رغم صغر سنه. ^(٣)

٤- إتاحة الفرصة لهم لمقابلة المشاهير:

يتضح ذلك من خلال اللقاء موسى U بنبي الله شعيب U والعبد الصالح الخضر واستفادته منهما، ووجود أبي بكر وعمر y عند النبي عند التقائه بالوفود، وإتاحة عمر t لعبد الله بن عباس y الالتقاء بكبار الصحابة والجلوس إليهم.

وقد وجد من خلال الدراسات أن ٦٣% من المشاهير كانوا قد تعرفوا على مشاهير آخرين خلال مرحلة مبكرة من حياتهم، كما وجد أن أكثر من نصف الحاصلين على جائزة نوبل قد تعلموا على يد آخرين سبق لهم الحصول عليها ^(٤).

رابعاً: التجاوز عن الأخطاء التي يقعون فيها:

يقع الأفراد في أخطاء كثيرة والمربي الناجح والقائد الفعال هو الذي يتجاوز عن هذه الأخطاء بشرط اعتراف الأفراد بها وتوبتهم منها، وخاصة عند مقارنتها بالفضائل التي يتحلون بها والمزايا التي اختصوا بها، والخدمات التي يقدمونها، والمسؤوليات التي يعدون لتحملها، ومن ذلك تجاوزه سبحانه تعالى عن يونس U في قول تعالى: {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجِجْنَاهُ مِنَ النِّعَمِ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} ^(٥).

وتجاوزه سبحانه وتعالى عن موسى U عندما ألقى الألواح وفيها كلام الله، وشد رأس أخيه هارون U وهو نبي مثله عندما وجد قومه يعبدون العجل. قال تعالى: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَفْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} ^(٦).

ومن ذلك أيضاً قوله ٣ في حديث عائشة رضي الله عنها: (أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا

الحدود) ^(٧)، وتجاوزه عن خالد بن الوليد t في قتله لبعض بني جذيمة خطأً رغم استنكاره لصنيعه في قوله ٣

في الحديث الذي يرويه أبو الدرداء t: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد) ^(٨).

(١) صحيح البخاري- كتاب فضائل الصحابة- باب لو كنت متخذاً خليلاً: ٣/ ١٣٣٩ رقم (٣٤٦١).

(٢) صحيح مسلم- كتاب الجهاد والسير- باب فتح مكة: ٣/ ١٤٠٥ رقم (١٧٨٠).

(٣) تراجع: صحيح البخاري- كتاب التفسير- باب قوله فسبح بحمد ربك واستغفره: ٤/ ١٩٠١ رقم (٤٦٨٦).

(٤) ينظر: صناعة القائد: ٢٥٧.

(٥) سورة الأنبياء: الآيتان: ٨٧، ٨٨.

(٦) سورة الأعراف: الآية: ١٥٠.

(٧) سنن أبي داود- كتاب الحدود- باب في الحد يشفع فيه: ٤/ ١٣٣ رقم (٤٣٧٥)، المعجم الأوسط للطبراني: ٣/ ٢٧٧ رقم (٣١٣٩) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات: ٦/ ٢٨٢.

(٨) صحيح البخاري- كتاب الغزو- باب السرية التي قبل نجد: ٤/ ١٥٧٧ رقم (٤٠٨٣).

خامساً: منحهم الصلاحيات اللازمة:

يحتاج الأفراد المعدون للقيادة إلى إعطاءهم حرية أكبر في التصرف ومنحهم الصلاحيات المناسبة لأداء المهام التي يكلفون بها مع تزويدهم بالإرشادات والتوجيهات اللازمة، والمتابعة المستمرة لهم. ومن ذلك أن الله U أرسل الرسل الكرام إلى أممهم وكلفهم تعريف الخلق بخالقهم ودعوتهم إلى عبادته سبحانه وتعالى، وترك لهم حرية اختيار الوسيلة المناسبة لتحقيق هذا الهدف، ومن هنا كان لكل نبي أو رسول أسلوبه في تبليغ الدعوة ونشر الدين. قال تعالى عن نوح U: {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا} (١)، وكذلك سؤال النبي R لمعاذ بن جبل عندما بعثه إلى اليمن: (كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله R، قال فإن لم تجد في سنة رسول الله R؟ قال: أجهد رأيي ولا ألو، فضرب رسول الله R صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله). (٢).

سادساً: إشعارهم بالمسؤولية من خلال:

١ - إستشارتهم وإشراكهم في التخطيط واتخاذ القرار:

ومن ذلك استشارة النبي R لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما في العديد من القضايا كما حصل يوم بدر عندما استشارهما في شأن الأسرى، واستشارة أبي بكر لعمر Y خلال مدة خلافته وإشراكه في عمليات اتخاذ القرار وهوما يتضح من حادثتي قتال المرتدين وجمع القرآن الكريم. وكذلك تشكيل عمر T مجلس أهل الحل والعقد لاتخاذ القرارات الهامة، كما كان له خاصة من ذوي الرأي من كبار الصحابة رضوان الله عليهم لا يفارقونه في سفر ولا حضر، فضلاً عن تحديده لمجموعة الشورى عند استشهاده (٣).

ولاشك أن استشارة الأفراد المعدين للقيادة وإشراكهم في عمليات التخطيط واتخاذ القرار تكسبهم جملة من المهارات وتحقق لهم العديد من الفوائد مثل: إجادة فن التفكير والتعبير عن الرأي، والتعرف على

(١) سورة نوح: الآيات: ٥- ٩.

(٢) سنن أبي داود- كتاب الأقضية- باب اجتهاد الرأي في القضاء: ٣/٣٠٣ رقم (٣٥٩٢)، سنن الترمذي- كتاب الأحكام- باب ما جاء في القاضي كيف يقضي: ٣/٦١٦ رقم (١٣٢٧) وقال الترمذي: "حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده عندي بمتصل".

(٣) ينظر: صحيح مسلم- كتاب الجهاد والسير- باب الامداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم: ٣/١٣٨٣، السيرة النبوية للصلابي: ٢/٧١٢، الانتشراح ورفع الضيق بسيرة أبو بكر الصديق: ٢١١-٣٠٣، فصل الخطاب في سيرة بن الخطاب: ١٠٧-١١١.

أساليب حل المشكلات، فضلاً عن المبادأة والتصرف السليم في المواقف المختلفة، واكتشاف القدرات والموهب، وضمان واقعية التخطيط والتنفيذ.^(١)

٢- إيكال بعض المهام إليهم:

ومن ذلك تكليف شعيب لموسى عليهما السلام برعي الغنم، وهو ما وصفه الله تعالى بقوله: { قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْعِمَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ }^(٢).

وإيكال النبي ٣ بعض المهام لبعض صحابته الكرام، كتكليف علي t بالمبيت في فراشه ليلة الهجرة، وإرسال حذيفة بن اليمان t ليلة الخندق إلى معسكر قريش لمعرفة خبرهم، وإرسال السفراء إلى الملوك والأمراء.^(٣)

سابعاً: تدريبهم عملياً على تحمل مسؤوليات القيادة:

تأتي أهمية هذه الخطوة من ضرورة التطبيق العملي للجوانب النظرية، ذلك أن معظم المقومات الذاتية للفرد لا تظهر إلا عبر التجربة العملية واكتساب الخبرة من خلال التدريب الميداني، فضلاً عما تتطلبه حاجة الأمة من وجود أعداد كبيرة من القيادات بمختلف مستوياتها، وينبغي أن تسير عملية التدريب على تحمل مسؤوليات القيادة وفق خطوات متدرجة تعمل فيما يأتي:

١- تولي القيادة الفعلية لجوانب محدودة.

٢- قيادة بعض الوحدات أو القطاعات تحت إشراف القيادة العليا.

٣- تولي مركز النائب.

٤- تولي القيادة الكاملة والمستقلة^(٤).

ومن خلال ما سبق يتبين أن التزام المنهج المذكور واتباع الخطوات السابقة والتدرج في مراحل التربية والإعداد القيادي مع التركيز على أسس البناء والإعداد يسهم في تأهيل الفرد وتنمية قدراته القيادية ويجعله جديراً بتحمل المسؤولية والقيام بالواجبات القيادية على الوجه المطلوب.

(١) ينظر: فن القيادة في الإسلام: ١٩٦.

(٢) سورة القصص: الآية: ٢٧.

(٣) يراجع: التربية القيادية: ١/ ٩٣، ٧٩/٤، السفارات النبوية- محمود شيث خطاب- طبعة المجمع العلمي العراقي- بغداد.

(٤) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٢٢/٥، جيش الرسول ٣ - محمود شيث خطاب- ط: ١٠- مكتبة النهضة- بغداد: ٤٦- ٥٧، فن

القيادة في الإسلام: ٢٠١-٢٠٥.



المبحث الثاني وضع الرجل المناسب في المكان المناسب

المطلب الأول معايير اختيار القيادات

اهتم الفكر الإسلامي اهتماماً كبيراً بموضوع القيادة منذ وقت مبكر، وكان للمفكرين الإسلاميين دورٌ كبيرٌ في تحديد معايير اختيار القيادات، وهو ما يتضح من خلال ما توصلوا إليه من معايير اشترطوا توفرها في القائد، كما يبدو من خلال ما توصل إليه كتاب الإدارة وعلماء النفس من أهمية توافر هذه المعايير في الشخصية المرشحة لتولي المواقع القيادية.

وقد تعددت معايير اختيار القيادات ووجدت العديد من النماذج، ولعل ذلك عائد إلى تنوع الثقافات والتخصصات وتعدد المدارس الفكرية للمشتغلين بموضوع القيادة واختلاف عصورهم وأزمانهم إلا أن أبرز المعايير التي ينبغي توافرها في الشخصيات القيادية يظل متفقاً عليها بين هؤلاء العلماء، مع تقديم وتأخير وتأكيد على هذا المعيار أو ذلك حسب نوع المهمة التي يكلف بها الإنسان والموقع القيادي الذي يشغله.⁽¹⁾ وبعد قراءةٍ مستفيضةٍ للمعايير التي وضعها علماء الفكر الإسلامي قديماً وحديثاً وعرضها على المنهج القرآني ولأسيما الآيات والأحاديث المتعلقة بموضوع القيادة خلص الباحث إلى جملةٍ من المعايير الأساسية التي يرى ضرورة توفرها في الشخصيات المرشحة لتولي المواقع القيادية سواءً كانت مناصب عليا كالإمامة العظمى وقيادة الدول أم وسطى كقيادات الوزارات والأقاليم أم كانت دنيا كالقيادات المحلية ذات التعامل المباشر مع المواطنين، مع مراعاة التشدد في هذه المعايير كلما ارتفع المستوى القيادي والتخصص كلما انخفض و يمكن الإشارة إلى أبرز هذه المعايير فيما يأتي:

أولاً: الالتزام العقائدي:

أول الشروط وأهم المعايير التي يجب توافرها في القائد المسلم، ذلك أن الالتزام العقائدي يعني جواز ترشيح الشخص للموقع القيادي عند توفر بقية الشروط وحققه في الطاعة والاستمرار في القيادة بعد ذلك. قال

(1) راجع: الأحكام السلطانية للماوردي: ٨، الأحكام السلطانية- أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي- حققه وعلق عليه/ محمد حامد الفقي - ط: ٣- شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- مصر: ٢١، مقدمة ابن خلدون: ١٢٣، الفصل في الملل والأهواء والنحل- أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري- طبعة مكتبة الخانجي- القاهرة: ٤/ ١٢٨، السياسة الشرعية لابن تيمية: ٢٠، ٢١، رئاسة الدولة في الفقه الإسلامي - محمدرأفت عثمان- طبعة دارالكتاب الجامعي- القاهرة: ١٢٠.

تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} (١)، وقد استدل العلماء بهذه الآية على اشتراط الإسلام فيمن يتولى قيادة المسلمين ووجوب طاعة الأمة له بعد توليه القيادة ما دام ملتزماً بمنهج الله تعالى، منفذاً لشريعته، غير أمرٍ بمعصيته. (٢)

إن الالتزام العقائدي المقصود هو يقظة القلب وامتلاؤه بالإيمان، والالتزام بمنهج الله تعالى والاستقامة على دينه، وهو القيام بالفرائض والعبادات والمحافظة عليها، والدعوة إلى الله U، كما أنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإشاعة الخير والمعروف بين أفراد المجتمع، وحماية العقيدة والأخلاق ومحاربة الفساد والانحلال بجميع مظاهرهما. قال تعالى: {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} (٣).

وقد قرر القرآن الكريم أن قيادة المسلمين وإمامتهم شرف يجب أن لا يناله إلا المؤمنون وأمانة يجب أن لا تسلم سوى للملتزمين. قال تعالى: {وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} (٤)، ففي قوله تعالى: {لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}، تقرير لمعيار الالتزام العقائدي واشتراطه في القيادة وأن الظالمين ممنوعون من تولي المواقع القيادية، والظلم هنا يشمل ظلم النفس بالشرك وظلم الناس بالبغي. قال تعالى: {إِنَّ الشَّرْكَ لظُلْمٌ عَظِيمٌ} (٥). وقال تعالى: {إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلُمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (٦).

يقول سيد قطب رحمه الله: "الظلم أنواع وألوان، ظلم النفس بالشرك، وظلم الناس بالبغي.... والإمامة الممنوعة على الظالمين تشمل كل معاني الإمامة: إمامة الرسالة، وإمامة الخلافة، وإمامة الصلاة، ... وكل معنى من معاني الإمامة والقيادة". (٧)

إن منصب القيادة في الإسلام ديني في المقام الأول ذلك أن أول واجبات القيادة وأهمها يتمثل في حماية الدين وسياسة الدنيا، ولا يمكن أن يحمي الدين من لا يلتزم بتعاليمه ويطبق مبادئه، ولا ينفذ أوامره ويجتنب نواهيه، كما أنه لا يمكن أن يسوس الدنيا سياسةً صحيحةً من لم يكن الله تعالى هادياً له وموفقاً ومعيناً. وتكفي الإشارة إلى بعض المواقف التي تجسد أهمية الالتزام العقائدي للقيادات، فهذا موسى U يتخاذل عنه قومه ويفصحون عن خوفهم حين إدراكهم فرعون وجنوده بعد أن وصلوا إلى البحر لكنه وهو المؤمن بربه الوثائق بنصره المتوكل عليه يصرخ في وجوههم معلناً ثقته المطلقة بالله تعالى، وهو ما حكاها القرآن الكريم في قوله U: {فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ قَالَ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} (٨).

(١) سورة النساء: الآية: ٥٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ١/٥١٧ - ٥١٩.

(٣) سورة الحج: الآية: ٤١.

(٤) سورة البقرة: الآية: ١٢٤.

(٥) سورة لقمان: الآية: ١٣.

(٦) سورة الشورى: الآية: ٤٢.

(٧) في ظلال القرآن: ١/ ١١٢.

(٨) سورة الشعراء: الآيتان: ٦١، ٦٢.

وهذا رسول الله ﷺ يخاطب الصديق t وهما مهاجران في غار ثور وقد أحاط بهما الأعداء من كل جانب حتى وقفوا على فم الغار ويخاطبه بكل ثقة واطمئنان: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) (١). وهو ما نقله القرآن الكريم في قوله تعالى: {إِلَّا تَتَصَرَّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٢).

إن الالتزام العقائدي هو ما جعل أبو بكر الصديق t يعلن الحرب على المرتدين بعد وفاة النبي ﷺ رغم كثرتهم وعدم استقرار أوضاع الدولة الإسلامية بعد ، ودفع عمر بن الخطاب t إلى تجسيد قمة العدالة والمساواة والحرص على مصالح الأمة، كما جعل من عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، ودفع قتيبة بن مسلم الباهلي للانسياب بجيوشه المؤمنة حتى تجاوز بلاد ما وراء النهر ووصل إلى حدود الصين، وهو الذي حفز طارق بن زياد ليسير بجيشه قاطعاً شمال إفريقيا والمغرب العربي متجاوزاً البحر وصل إلى حدود الأندلس. (٣)

إن هذا الالتزام العقائدي هو نفسه الذي دفع نور الدين زنكي (٤) وصلاح الدين إلى توحيد كلمة المسلمين وطرد الصليبيين من بيت المقدس، ومكن قطز من كسر شوكة التتار في عين جالوت بعد أن اتهموا الأخضر واليابس وقضوا على الخلافة الإسلامية في بغداد، وهو كذلك المحفز الرئيس الذي أشعل الحماسة في روح محمد الفاتح ففتح القسطنطينية وأدخل الإسلام إلى ربيع أوروبا من الشرق بعد أن دخلها من الغرب عن طريق الأندلس. (٥)

وتتأكد أهمية الالتزام العقائدي في العصر الحديث الذي اتجه أفرادُه نحو المادة وابتعدوا عن القيم والمثل العليا، وأنغمس قاداته في الشهوات والملذات وقدموا مصالحهم الشخصية الضيقة على مصالح الأمة مما أوصلها إلى الواقع المؤلم الذي تعيشه اليوم، ولن ينتشل الأمة من هذا الواقع سوى وجود القيادات المؤمنة التي تدرك واجباتها وتستنشر مسؤوليتها تجاه دينها وأمتها.

(١) صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب قوله تعالى: ثاني إثني إذ هما في الغار: ١٧١٢/٤ رقم (٤٣٨٦) ، حيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أبي بكر: ١٨٥٤/٤ رقم (٢٣٨١) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٣ / ١٦٠ رقم (١٥٤).

(٢) سورة التوبة: الآية: ٤٠.

(٣) ينظر: بين العقيدة والقيادة: ٢٦١ - ٢٦٤.

(٤) الملك العادل نور الدين بن عماد الدين زنكي، تولى إمارة حلب والموصل ثم دخل دمشق فحصنها وبنى المدارس والجامع والمساجد ونصر السنة وأنصف الرعية ، كان بطلاً شجاعاً مهاباً حسن الشكل ذا تعبد وورع وتواضع وكان كثير المطالعة محباً للعلماء، انتزع من الكفار أكثر من ٥٠ مدينة وحصناً، عزم على تحرير بيت المقدس إلا أن المنية عاجلته في شوال سنة ٥٦٩هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: ٥٣١/٢٠.

(٥) ينظر: بين العقيدة والقيادة: ٢٥ - ٢٨.

ثانياً: الالتزام الأخلاقي:

والمراد بالالتزام الأخلاقي مجموعة القيم والأخلاق الفاضلة التي تكونها الفطرة السليمة والسجية الحسنة والأفعال الحميدة، وهي قيم متأصلة في النفس لا تتغير بتغير أحوال الإنسان مع نفسه أو مع الآخرين.^(١)

"والخلق هو طابع الشخصية الجوهرية، والقول إن فلاناً من الناس رجل خلق هو أجمل مديح يصاغ له؛ لأن الخلق مزية شاملة تتصل ببقية المزايا بل تدخل فيها، والخلق هو الموقف الواضح والتصرف الحازم والمسؤولية الواعية والصراحة والشجاعة، وهو المزية النادرة التي توحى بالثقة والاطمئنان، وهو أخيراً أساس الوفاء والمهابة اللذين يستمد منهما القائد نفوذه وتأثيره".^(٢)

وإذا كانت الفطرة السليمة ترفض سوء الخلق ولا تقبله من عامة الناس فإنها أشد رفضاً له عند صدوره من القيادات؛ لأن القائد يمثل القدوة الحسنة والنموذج الذي يحتذى به، وبالتالي فأى قدوة أو نموذج يجسده من ساء خلقه وفحش قوله وفعله.

ولاشك أن التأكيد على اشتراط الالتزام الأخلاقي يزداد كلما ارتفع مستوى الإنسان القيادي أو اتسع نطاق مسؤولياته، ومن هنا ندرك سر الاهتمام القرآني بأخلاق الأنبياء عليهم السلام واعتبارها أحد المقومات الأساسية التي استحقوا بموجبها اصطفاة الله U لهم بالنبوة والرسالة.^(٣)

قال تعالى واصفاً إبراهيم U : { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }^(٤). وقال تعالى واصفاً إسماعيل U { وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا }^(٥). كما قال تعالى عن موسى U: { قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ }^(٦). وامتدح محمداً ٣ بقوله: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }^(٧).

ويجب أن يشمل الالتزام الأخلاقي للقائد حياته الخاصة والعامة فلا يجوز أبداً فصل الحياة الخاصة للقائد عن حياته العملية مهما كانت الأسباب، ذلك أن الإنسان لا يستطيع أن يكون قائداً إن لم تكن حياته الخاصة فوق الشبهات لأنه سيفقد حينئذ احترام أتباعه ونظرائه والمتعاملين معه ولن يكون له تأثير أبداً.^(٨)

إن الأفراد ينظرون للقائد نظرة تقدير وإكبار ويتوقعون منه أعلى درجات الالتزام الديني والأخلاقي والفكري وبالتالي يراقبون أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته الشخصية منها والعملية، فإذا وجدوا أن القائد بمستوى ما

(١) ينظر: مختصر شعب الإيمان للبيهقي - اخنصار: أبو المعالي عمر بن عبدالرحمن القزويني - تحقيق وتعليق: عبدالقادر الأرنؤوط - ط: ٣ -

دار ابن كثير: ١١٦.

(٢) بين العقيدة والقيادة: ٩٢.

(٣) ينظر: القيادة الإدارية في الإسلام للبرديسي: ١٥٧.

(٤) سورة النحل: الآيتان: ١٢٠ ، ١٢١.

(٥) سورة مريم: الآية: ٥٤.

(٦) سورة القصص: الآية: ٢٦.

(٧) سورة القلم: الآية: ٤.

(٨) ينظر: السبيل إلى القيادة: ١٨.



يتوقعون من الالتزام أو أكثر أعبوه وجعلوا منه قدوة لهم وعملوا على تقليده، أما إذا تبين لهم أن القائد خلاف ما يتوقعون أو عكس ما يفترض أن يكون كرهوه ونفروا منه وأصيبوا بخيبة أمل قد تقعد بعضهم عن القيام بواجباتهم وتدفعهم للاستهتار بالقيم والمبادئ التي يجب الالتزام بها، بل ويتخذ الأفراد من عدم التزام القائد مبرراً لهم في عدم الالتزام ويعجز هو عن إلزامهم بما لم يلتزم به أصلاً وحينئذ يتحمل وزره ووزر المتأسين به.^(١) قال تعالى: { وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ }^(٢)

إن الالتزام الأخلاقي للقيادات يشمل ماضيها وما جرى فيه من أحداث، كما يشمل حاضرها وكيف تتعامل فيه مع الآخرين.^(٣)

٣- القوة والقدرة على تنفيذ الأحكام:

تعد القوة من أهم المعايير الواجب توافرها في القيادات، فلا بد أن يكون القائد قوياً ذا إرادة وعزم وإقدام وقدرة على تنفيذ ما يتخذ من قرارات بعيداً عن الضعف والتردد فالقوي يجتاز العقبات، ويحطم المعوقات، ويجتهد في بلوغ الغاية، مادامت محققة للمصلحة، والضعيف المتردد يقدم رجلاً ويؤخر أخرى حتى تفوت المصلحة أو تهجم المفسدة، ولذلك كانت القوة من أهم الأسس التي يجب وجودها في ولي الأمر في الشريعة الإسلامية.^(٤) قال تعالى مخاطباً موسى { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ يَا خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرَهُ مِنْ حَيْرٍ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ }^(٥). وقال تعالى على لسان ابنة شعيب { وَأَدْنُكُرُ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ }^(٦)، والمراد بالأيد في الآية: القوة.^(٧)

ولاشك أن القوة المقصودة في هذه الآيات وغيرها تتمثل في قوة الإيمان والعقيدة، وقوة الإرادة والشخصية، وقوة العقل والبنية بشكل عام دون حصر لها في جانب معين.

(١) ينظر: أزمة القيادة وعلاجها في واقعنا الإسلامي المعاصر: ٨٧، ٨٨، القيادة المؤمنة كما يعرضها القرآن الكريم - محمد كاظم رشيد صوالحة - رسالة ماجستير في التفسير - كلية الشريعة - الجامعة الأردنية: ١٠٣.

(٢) سورة العنكبوت: الآية: ١٣.

(٣) ينظر: النظام الإلهي للرقى والإنحطاط: ٥١.

(٤) ينظر: الكفاءة الإدارية في السياسة الشرعية - د. عبد الله أحمد قادري - طبعة دار المجتمع للنشر والتوزيع - جدة: ٢٧.

(٥) سورة الأعراف: الآية: ١٤٥.

(٦) سورة القصص: الآية: ٢٦.

(٧) سورة ص: الآية: ١٧.

(٨) ينظر: التفسير الكبير للرازي: ١٨٦/٢٦.

أما السنة النبوية فقد وردت العديد من الأحاديث الدالة على أهمية القوة واعتبارها شرطاً أساسياً في اختيار القادة ومن ذلك ما رواه أبو هريرة **t** أن رسول الله **ﷺ** قال: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير)^(١).

وقد نصح رسول الله **ﷺ** أمته من أن يتولى شؤونها من هو ضعيف عن القيام بواجبات القيادة من خلال قوله **ﷺ** لأبي ذر الغفاري **t**: (يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها ختها وأدى الذي عليه فيها)^(٢). ومعلوم أن أبا ذر **t** لا ينقصه العلم ولا تنقصه الأمانة ولا ينقصه الالتزام بالعقائدي والأخلاقي، ولكن تنقصه القوة التي تمكنه من تنفيذ الحق الذي يؤمن به.

وأما الخلفاء الراشدون فقد كانوا يحرصون على تولية الأكفاء الأقوياء في المواقع القيادية، ومما يروي في ذلك أن عمر بن الخطاب **t** ولي شرحبيل بن حسنة^(٣) **t** على الشام ثم عزله وأضاف عمله إلى معاوية بن أبي سفيان **t** ، فقال شرحبيل: "أعن سخطة عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا. إنك لكما أحب ولكني أريد رجلاً أقوى من رجل. فقال شرحبيل: فاعذرني في الناس لا تدركني هجنة، فقام عمر فقال: إني والله ما عزلت شرحبيل بن حسنة سخطة ولكني أردت رجلاً أقوى من رجل"^(٤).

إن هناك نوعان من القوة التي يحتاج إليها القائد حتى يتمكن من أداء مهامه والقيام بواجباته القيادة على الوجه المطلوب:

أ. القوة التي تلزم المنصب نفسه وتختلف باختلاف المنصب:

وتعني توفر القدرات والإمكانات التي تمكن القائد من أداء المهام الموكولة إليه، والقيام بالواجبات القيادية المناطة به، وعلى ذلك فالمهمة هي التي تحدد نوع القوة المطلوب توافرها في القائد، فإن كانت المهمة قيادة الأمة فإن القوة المطلوبة فيها هي قوة الرأي ورجاحة العقل وحسن السياسة والتدبير، وإن كانت المهمة قضاءً فإن القوة المطلوبة هي قوة العلم والمعرفة التي تمكن صاحبها من معرفة الأحكام الشرعية والقوانين الدستورية والاجتهادات السابقة والمقدرة على استنباط الأحكام استناداً عليها، أما إن كانت المهمة حربية فلاشك أن القوي هنا من اتصف بالشجاعة وقوة الرأي والمعرفة بأساليب وفنون القتال والقدرة على تطبيقها، وكذلك الأمر عند اختلاف المهام والمستويات القيادية.

وقد أشار الإمام ابن تيمية رحمة الله تعالى إلى هذا النوع من القوة في قوله: "وينبغي أن يعرف الأصلاح في كل منصب فإن الولاية لها ركنان: القوة والأمانة، كما قال الله تعالى: { قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ

(١) صحيح مسلم - كتاب القدر - باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله: ٤/٢٠٥٢ رقم (٢٦٦٤).

(٢) سبق تخريجه: ص ٤٣ .

(٣) شرحبيل بن حسنة وهي أمه وهي عدوية، وهو بن عبد الله بن المكاح حليف بني زهرة، صحابي جليل هاجر إلى الحبشة وشارك في الغزوات، وكان ضمن القادة الذين بعثهم الصديق **t** إلى الشام، توفي في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨ هـ في خلافة عمر **t**. ينظر: الاستيعاب: ٢/٦٩٨ ، الإصابة: ٣/٣٢٨.

(٤) تأريخ الأمم والملوك للطبري: ٢/٤٩٠.

استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين^(١) ... والقوة في كل ولاية بحسبها، فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب وإلى الخبرة بالحروب والمخادعة فيها، فإن الحرب خدعة، وإلى القدرة على أنواع القتال: من رمي وطعن وضرب، وركوب، وكر، وفر، ونحو ذلك، كما قال الله تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ }^(٢).

والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام كما قال الله تعالى: { وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ }^(٣). وقال تعالى على لسان يوسف U: { قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ }^(٤)، والحفظ لا يوجد إلا بأمرين: أولهما الأمانة، وهي التي وصف بها عزيز مصر يوسف U عندما قال له: { إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ }^(٥). وثانيهما القوة والقدرة على الحفظ^(٦).

وعندما اعترض بنو إسرائيل على تولية طالوت الملك عليهم وهم في حالة حرب جاءهم جواب نبيهم U في قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }^(٧)، ولاشك أن القوة الجسمية واللياقة البدنية من أهم مواصفات القائد العسكري الذي يحتاج إلى بذل مجهود أكبر من أفرادهم ومن غيره من القيادات في المجالات الأخرى ولاسيما في العصور المتقدمة. وقد ذهب الشيخ محمدرشيد رضا إلى أن هذه الآية تحدد ثلاثة مؤهلات للقائد وهي: الاستعداد الفطري، والسعة في العلم، وبسطة الجسم المعبر بها عن الصحة وكمال القوة المستلزمة لصحة الفكر^(٨).

وقد حرص النبي r على تولية الأكفأ والأقدر والأقوى في كل عمل فولى عمرو بن العاص t قيادة ذات السلاسل، وولى خالد بن الوليد t العديد من المواقع، وجعل تحت إمرتهما خيرة الصحابة ممن هم أفضل منهما وأسبق إسلاماً، وذلك إدراكاً منه r لكفائتهما القيادية وقدراتهما الحربية والقتالية^(٩).

وكذلك الأمر بالنسبة للخلفاء الراشدين الذين عدوا القوة معياراً أساسياً من معايير اختيار القيادات حتى قال عمر t ذات مرة: "لو علمت أن أحداً أقوى عليه مني لو كنت أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن أليه"^(١٠). وأعلن عن المبدأ العام الذي اعتمده في اختيار القيادات بقوله: "إني لأتخرج أن استعمل الرجل وأنا أجد أقوى منه"^(١١).

(١) سورة القصص: الآية: ٢٦.

(٢) سورة الأنفال: الآية: ٦٠.

(٣) ينظر: السياسة الشرعية: ٢١، ٢٠، والآية من سورة النساء: رقم ٥٨.

(٤) سورة يوسف: الآية: ٥٥.

(٥) سورة يوسف: الآية: ٥٤.

(٦) ينظر: الكفاءة الإدارية: ٢٨.

(٧) سورة البقرة: الآية: ٢٤٧.

(٨) ينظر: تفسير المنار: ٢ / ٤٧٧.

(٩) ينظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول ٣ : ٥٢٠، ٥٣٨، ٦١٣، ٦١٧، السيرة النبوية للصلاحي: ٢ / ١١٥٣ - ١١٥٧، ١١٨٥ - ١١٨٧.

(١٠) الطبقات الكبرى: ٣ / ٢٧٥.

(١١) المصدر نفسه: ٣ / ٣٠٥.

ب. قوة الإرادة والشخصية وقوة العقل والبنية الجسمية:

وهي أمور ضرورية لا بد من توافرها في القائد حتى يكسب احترام الآخرين ويتمكن من تنفيذ قراراته وتطبيق الحق الذي يؤمن به. قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} (١)، والحكم بالعدل لا يتم إلا بالقدرة على تنفيذه، وإلى ذلك أشار ابن تيمية رحمه الله تعالى بقوله: "القوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم الذي دل عليه الكتاب والسنة، وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام." (٢).

إن قوة الإرادة والشخصية أمر أساسي لا بد من توفره في القائد حتى يتمكن من اتخاذ القرارات الحاسمة ويضمن تنفيذها على الوجه المطلوب، كما أن قوة شخصية القائد بالنسبة للجماعة صمام الأمان الذي يحفظ وحدتها ويقضي على مظاهر التفكك والفوضى فيها، ويضمن استمرارها في الأداء بوتيرة عالية، وهو أمر يبدو جلياً في شخصية سليمان U القوية التي تمكنت من تسخير الإنس والجن والطير وتنسيق جهودها، والاستفادة من قدراتها حتى بعد وفاته U. قال تعالى: {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} (٣)، فقد أملت عليهم شخصيته القوية مواصلة العمل رغم مشقته وطوله حتى بعد وفاته U (٤).

وتتجلى قوة الإدارة والشخصية بأبهى صورها في شخصية النبي ٣، ويكفي عرض مثال واحد على قوة إرادته وآخر على قوة شخصيته ٣ .

أما قوة إرادته فتتجلى في مدى تمسكه بدعوته واستعداده للتضحية في سبيلها من خلال رده على عمه أبي طالب حين نقل إليه انزعاج قريش من دعوته حيث قال ٣: (والله يا عمر لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) (٥) ، وأما قوة شخصيته ٣ فقد وصفها عروة بن مسعود الثقفي (٦) بقوله: (يا قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيس وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت مليكاً قط يعظم أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ٣ محمداً). (٧) وذلك بعد أن قدم على النبي ٣ في الحديبية ورأى محبة الصحابة له وسرعة تنفيذهم لأوامره.

(١) سورة النساء: الآية: ٥٨.

(٢) السياسة الشرعية: ٢١.

(٣) سورة سبأ: الآية: ١٤.

(٤) ينظر: القيادة المؤمنة: ٧٦.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ١٠١/٢.

(٦) عروة بن مسعود بن مالك الثقفي، وفد على النبي ٣ وهو مشرك في صلح الحديبية وكان غائباً عن الطائف حين حاصرها النبي ٣ فلما قدم قذف الله في قلبه الإسلام فقدم المدينة وأسلم فسر رسول الله ٣ بإسلامه ثم رجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام فأذوه ونالوا منه ورماه رجل منهم بسهم بأصاب أكله فلم يرقى حتى مات وطلب أن يدفن مع أصحاب النبي ٣ الذين قتلوا في حنين. ينظر: الاستيعاب: ١٠٦٦/٣، الإصابة: ٤٩٢/٤.

(٧) صحيح البخاري كتاب الشروط- باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب: ٩٧٤/٢ رقم (٢٥٨١).

"إن الرجل المهاب هو الرجل الذي يلقى الاحترام والإجلال والمخافة والتقدير من كافة الناس، خصوصاً ذويه وأقاربه والمحيطين به والمتعاملين معه، والقائد المهاب هو ذلك القائد الذي يجله ويقدره أتباعه ومرؤوسوه ويخافونه وفي ذات الوقت يكونون له الحب والاحترام، والقائد لا يهابه مرؤوسه هكذا جزافاً بل الحقيقة أن هذه المهابة التي للقائد إنما تأتي نتيجةً لسلوك القائد وتصرفاته وقراراته ومواقفه".^(١)

ومما يروى في ذلك أن رجلاً من قريش لقي عمر بن الخطاب **t** فقال: "لن لنا فقد ملأت قلوبنا مهابة. فقال: "أفي ذلك ظلم؟ قال: لا. قال: "فزادني الله في صدوركم مهابة"^(٢). وروي أيضاً أن عمر **t** كان يمشي ذات يوم وخلفه جماعة من أصحاب رسول الله **ﷺ** فالتفت فجأة فلم يبق أحد منهم إلا وجثى على ركبتيه، فبكى ثم قال: "اللهم إنك تعلم أنني منك أشد فرقاً منهم مني"^(٣).

إن الأفراد ينظرون باحترام وتقدير وإعجاب إلى قائدهم القوي الحازم شريطة أن يكون عادلاً، بينما ينظرون باحتقار وازدراء إلى قائدهم الضعيف المتردد ويتعاملون مع توجيهاته باستهتار وإن كان مليباً لجميع رغباتهم.

وقد بلغ من تأكيد القادة المسلمين وعلماء الفكر الإسلامي على أهمية القوة كمعيار أساسي يجب توافره في القائد أن قدموه على الأمانة والصلاح الشخصي، فقد ثبت أن عمر **t** كان يقول: "أشكوا إلى الله جلد الخائن وعجز الثقة"^(٤)، وأن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله سئل عن الرجلين: "يكونان أميرين في الغزو أحدهما قوي فاجر والآخر ضعيف صالح مع أيهما يغزى؟ فقال: "أما الفاجر القوي فقوته للمسلمين، وفجوره على نفسه، وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين، فيغزى مع القوي الفاجر"^(٥)، وإلى ذلك ذهب ابن تيمية رحمه الله تعالى مستدلاً بما رواه أبو هريرة **t** عن النبي **ﷺ** أنه قال: (وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)^(٦)، وتولية النبي **ﷺ** لخالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهما مع وجود من هو أسبق منهما إسلاماً، ورفضه **ﷺ** تولية أبي ذر الغفاري **t** رغم صلاحه وأمانته.^(٧)

٤- الأمانة واستشعار المسؤولية:

الأمانة مشتقة من الأمن الذي هو ضد الخوف ولهذا يقال للمستجير آمن لأنه استجار ليأمن على نفسه، والمأمن مكان الأمن ومنه قوله تعالى: { وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ

(١) القيادة الإدارية لعبد الشافي أبو الفضل: ٢٥٢.

(٢) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: ١٣٥.

(٣) المصدر نفسه: ١٣٤.

(٤) المصدر نفسه: ١٢١.

(٥) السياسة الشرعية: ٢٢.

(٦) صحيح البخاري - كتاب القدر - باب العمل بالخواتيم: ٦/٢٤٣٦ رقم (٦٢٣٢).

(٧) ينظر: السياسة الشرعية: ٢٢ - ٢٨.

أَبْلَغُهُ مَأْمَنُهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۝ {^(١)، ويقال لمن يأمنه الناس في كل شيء أمين وأمان، والأمين بمعنى المأمون ومنه قوله ٣ في الحديث الذي يرويه أبو موسى الأشعري t: (الحازن الأمين الذي يؤدي ما أمر به طيبة نفسه أحد المنصديقين) ^(٢)، والأمانة ضد الخيانة.^(٣)

ويمكن تعريف الأمانة بأنها خلق أصيل ثابت في النفس الإنسانية يعف به الإنسان عما ليس له بحق، ويدفعه لطلب الحق في جميع تصرفاته^(٤). قال تعالى: { وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا } ^(٥).

وترجع حقيقة الأمانة في المجال القيادي إلى أمور ثلاثة هي: خشية الله تعالى وعدم خشية غيره من البشر، وكذا عدم المتاجرة بآياته U، وهي خصال ثلاث أخذها الله تعالى على كل من تولى الحكم على الناس.^(٦) قال تعالى: { فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝ } ^(٧).

والأمانة في المنهج القرآني لا تقتصر على جانب دون آخر فهي تشمل الأقوال والأفعال والحقوق بشقيها المادي والمعنوي، كما أنها لا تقتصر على فرد من أفراد المجتمع بل تعم الناس جميعاً وإن كانت أكثر تأكيداً في حق القيادات. قال تعالى: { فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۝ } ^(٨)، وقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا } ^(٩)، فقد دلت هاتان الآيتان على أن الأمانة عامة في جميع الحقوق وشاملة لجميع الأفراد^(١٠).

ومما يدل على أهمية الأمانة كمعيار أساسي من معايير اختيار القيادات تربية الله U للأنبياء ورسله على خلق الأمانة، وربطها بالرسالة في العديد من الآيات الدالة على كفاءة هؤلاء الأنبياء وأحقيتهم بقيادة البشرية، فقد نقل تعالى على لسان نوح وصالح ولوط وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام قول كل منهم لقومه:

(١) سورة التوبة: الآية: ٦.

(٢) صحيح البخاري- كتاب الإجارة- باب استئجار الرجل الصالح: ٢/٧٨٩ رقم (٢١٤١)، صحيح مسلم- كتاب الزكاة- باب أجر الخازن الأمين: ٢/٧١٠ رقم (١٠٢٣) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١/ ٢٤١ رقم (٦٠٢).

(٣) ينظر: لسان العرب- مادة أمن: ٢١/١٣.

(٤) ينظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني: ١/٥٩١.

(٥) سورة آل عمران: الآية: ٧٥.

(٦) ينظر: السياسة الشرعية: ٢١.

(٧) سورة المائدة: الآية: ٤٤.

(٨) سورة البقرة: الآية: ٢٨٣.

(٩) سورة النساء: الآية: ٥٨.

(١٠) ينظر: الجامع الأحكام القرآن: ٥/ ٢٥٥-٢٥٧، تفسير القرآن العظيم: ١/٥١٦.



{إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} (١)، وجعل سبحانه وتعالى أمانة هود U معياراً لكفائه في دعوة قومه وقيادتهم فقال تعالى على لسانه: {أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ} (٢).

أما عفريت سليمان فقد استدل بأمانته على أحقيته في خدمة سليمان U والتشرف بإحضار عرش بلقيس وهو ما وصفه الله تعالى بقوله: {قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ} (٣).

إن أهمية الأمانة كمعيار أساسي في اختيار القيادات أمر لا غنى عنه وينبغي أن يلمسه جميع المتعاملين معهم مؤيدين ومعارضين، ولذلك كان أول تصريح لملك مصر بعد أول مقابلة له مع يوسف U هو الإشادة بأمانته كما قال تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ} (٤)، وكانت أبرز صفات النبي ٢ التي اشتهر بها بين أهل مكة الصدق والأمانة حتى أنهم لقبوه بالصادق الأمين، واستمروا في إيداع حوائجهم عنده ٢ رغم كفرهم به ومعاداتهم له، ولذلك كان من أبرز أسباب تأخير علي بن أبي طالب t في مكة بعد هجرة النبي ٢ إلى المدينة تكليفه برد الودائع إلى أهلها. (٥)

وقد طبق رسول الله ٢ هذا المعيار عند اختيار قادته وولاته وسفرائه ، فقد روى الإمام البخاري رحمه الله أن بعضاً من سادة نجران (٦) جاؤوا إلى النبي ٢ وطلبوا منه أن يبعث معهم رجلاً أميناً، فأرسل معهم أبو عبيدة بن الجراح t وقال: (هذا أمين هذه الأمة). (٧)

إن الأمانة في المجال القيادي تعني المصادقية واستحقاق الثقة والرقابة الذاتية ، وتعني المبادرة إلى أداء المهام وإنجازها بإتقان، كما تعني الضمير اليقظ الذي تحفظ به الحقوق وتوجه الأعمال، فضلاً عن تولية الأصالح وتعيين الأكفاء وعدم استغلال المنصب لمصالح شخصية، كل ذلك زيادة على المعاني الأخرى للأمانة (٨). قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا} (٩). وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (١٠).

٥ - العلم والخبرة:

(١) سورة الشعراء: الآية: ١٠٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية: ٦٨.

(٣) سورة النمل: الآية: ٣٩.

(٤) سورة يوسف: الآية: ٥٤.

(٥) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: ١١/٣ ، تأريخ الأمم والملوك: ٦٠/١ ، الرسول القائد: ٣١١.

(٦) نجران: مدينة قديمة بالحجاز تقع بنواحي اليمن من ناحية مكة، سميت بنجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان لأنه كان أول من بناها، وتتألف من عدة مدن صغيرة في وادٍ واحدٍ كثير المياه والزرع ، فتحت صلحاً في السنة ١٠ هـ. ينظر: ما استعجم: ٢٩٨/١ ، معجم البلدان: ٥/٢٦٦٥.

(٧) صحيح البخاري- كتاب المغازي- باب صفة أهل نجران: ٤/١٥٩٢ رقم (٤١١٩).

(٨) ينظر: في الظلال القرآن: ٢/٦٨٨ - ٦٨٩ ، صناعة القائد: ٥٤ ، ٥٥.

(٩) سورة النساء: الآية: ٥٨.

(١٠) سورة الأنفال: الآية: ٢٧.

يعد العلم والخبرة من أهم المعايير الواجب توافرها في القيادات، ذلك أنهما يمثلان البصر الذي لا قدرة للإنسان على رؤية الأشياء بدونها، فالذي لا علم له ولا خبرة لا قدرة له على القيام بأي عمل يكلف به ومن الظلم له وللآخرين إسناد أية مسؤولية إليه.

ولذلك حرص المنهج القرآني على اعتبار العلم والخبرة شرطاً أساسياً يجب توفره فيمن يتصدى لقيادة الأمة وتحمل مسؤوليتها لتكون خطواته عن علم وبصيرة مؤدية إلى تحقيق الأهداف المرجوة، ولأن الجاهل غالباً ما يقوده جهله إلى الفشل في عمله مما يضر به وبالآخرين،^(١) وقديماً قال الشاعر:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
لا سراة إذا جهلهم سادوا^(٢)

والعلم المراد هنا معناه: "اكتساب الإنسان للمعارف والمعلومات والخبرات والمهارات والقدرات التي تمكنه من تفهم الحياة من حوله والاستفادة من إمكاناتها المادية والبشرية واستثمارها وتوجيهها لما فيه خيره وسعادته وسعادة مجتمعه"^(٣). قال تعالى: { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }^(٤).

أما الخبرة الإنسانية فهي تفاعل مستمر بين الإنسان وبين مدركاته التي تلقاها عن طريق الوحي الصادق ممثلاً في الكتاب والسنة، وعن طريق ملاحظة الكون بما فيه من إنسان وحيوان وجماد ونبات وسنن الله تعالى الفاعلة فيه، أو عن طريق الممارسة والعمل، أو المحاولة والخطأ والتجربة، فهي ليست مجرد عملية تفاعل بين المتعلم وبين عوامل البيئة الخارجية المحيطة به، بل هي أيضاً تعلق للغيبيات، وإيمان بها، وتفاعل معها، وتطبيق لمقتضياتها في واقع الحياة^(٥). قال تعالى: { فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا }^(٦).

وقد ذهب ابن الأزرقي^(٧) إلى أن القائد أحوج الخلق إلى العلم حتى يكون على بينة عند إصدار الأحكام وتنفيذها، والزمام الرعية بالوقوف عند حدودها، كما أن تحلي القائد بالعلم والمعرفة من أعظم ما تكسب به القلوب ويتحجب به إلى الرعية؛ لما رسخ في النفوس من فضيلة العلم ومحبة من انتسب إليه على الجملة، فإذا فقدته القائد فرط في العمل وأخل بالسريرة الفاضلة، فينفر الرعية منه ويستوحشون لجهله^(٨).

(١) ينظر: الكفاءة الإدارية في السياسة الشرعية: ١٩.

(٢) سبقت الإشارة إلى البيت ص ٣٠.

(٣) القيادة الإدارية في الإسلام للبرديسي: ١٤٨.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٣١.

(٥) ينظر: منهج التربية في التصور الإسلامي: ٥٩ - ٦٣.

(٦) سورة الفرقان: الآية: ٥٩.

(٧) أبو عبد الله محمد بن علي بن الأزرقي الأندلسي، تولى القضاء بغرناطة إلى أن استولى عليها الفرنج، انتقل إلى تلمسان ومنها إلى المشرق، استقر بمصر وتوفي بالقدس سنة (٨٩٦هـ). ينظر: معجم المؤلفين: ٤٣/١١.

(٨) ينظر: بدائع السلك وطبائع الملك - أبو عبد الله محمد بن الأزرقي - تحقيق وتعليق: د. علي سالم النشار - طبعة دار لحرية للطباعة - بغداد: ٤٢٦/١.

وإذا لم يتمكن القائد من التبحر في العلوم والوصول إلى تلك المنزلة العالية لا نشغاله بالملك فليكن مهتماً بتعظيم حملته وتكريمهم والاكثار من مراجعتهم في الوقائع التي يحتاج إلى علمهم فيها.

ولعل أوضح النماذج القرآنية الدالة على اعتبار العلم والمعرفة شرطاً أساسياً لا بد من توفره في المرشح للقيادة نموذج يوسف **U** الذي أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} ^(١)، فيوسف **U** برر كفاءته لتولي هذا المنصب وقدرته على تحمل المسؤولية بالأمانة التي يتحلى بها و العلم الذي يملكه والذي سبق أن برهن عليه عند تفسيره لرؤيا الملك.

أما النموذج الثاني فهو نموذج طالوت الذي استنكر قومه قيادته لهم فكان الرد الذي أفهمهم {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } ^(٢)، فهو أهل للقيادة والملك بفضل ما آتاه الله **U** من سعة العلم وقوة الجسم.

قال صاحب الكشاف رحمه الله تعالى: "وذلك أن الملك لا بد أن يكون من أهل العلم، فإن الجاهل مزدرى غير منتفع به" ^(٣). وقال الشوكاني رحمه الله: "بسطة في العلم الذي هو ملاك الإنسان وأسس الفضائل وأعظم وجوه الترجيح" ^(٤).

كما أن نموذج صاحب سليمان **U** يؤكد أهمية العلم واعتباره من أبرز أدلة القدرة والكفاءة. قال تعالى: { قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ } ^(٥).

وقد طبق النبي **ﷺ** هذا المعيار على أصحابه الكرام عند اختيار القيادات وتعيين الولاة وإرسال السفراء إلى الملوك والأمراء، وهو ما يتضح من خلال تولية جعفر بن أبي طالب **t** قيادة مجموعة المهاجرين إلى الحبشة وموقفه مع النجاشي، وإرسال معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما إلى اليمن ولاة ومعلمين وهما من أبرز علماء الصحابة **y** وممن كان يفتي على عهد النبي **ﷺ**، وكذا تولية عثمان بن أبي العاص ^(٦) **t** على ثقيف وفروة بن مسيك المرادي ^(٧) **t** على عدد من القبائل اليمنية لعلمهما رغم صغر سنهما ^(٨).

(١) سورة يوسف: الآية: ٥٥.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢٤٧.

(٣) الزمخشري: ١٤٨/١، ١٤٩.

(٤) فتح القدير: ٤٥٤/١.

(٥) سورة النمل: الآية: ٤٠.

(٦) عثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي صحابي جليل أسلم في وفد ثقيف وكان أصغرهم، استعمله النبي **ﷺ** على الطائف لفهمه وعلمه وأقره أبو بكر ثم عمر، كان له موقف عظيم من قومه بعد وفاة النبي **ﷺ** حيث خطبهم ومنعهم من الردة، استعمله عمر **t** على عمان والبحرين، سكن البصرة حتى مات بها في خلافة معاوية **t** سنة ٥٠ وقيل سنة ٥١ هـ. ينظر: الاستيعاب: ١٠٣٥/٣، الإصابة: ٤٥١/٤.

(٧) فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة، صحابي جليل من أهل اليمن قدم على النبي **ﷺ** سنة ٩ أو ١٠ هـ، كان له شرف ومكانة في قومه، استعمله رسول الله **ﷺ** على مراد وزبيد ومدحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد على الصدقات، شارك في قتال المرتدين ثم سكن الكوفة حتى توفي بها. ينظر: الاستيعاب: ١٢٦١/٣، الإصابة: ٣٦٨/٥.

(٨) تراجع: السفارات النبوية: ٣٣١-٣٤٥، منهج النبي **ﷺ** في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة: ١٧٨-١٨٠.

وكذلك الأمر بالنسبة للخلفاء الراشدين الذين كانوا أعلم الناس فكان أبو بكر **t** أعلم الصحابة، وكان عمر **t** أعلم الأحياء في زمانه حتى كان ابن مسعود **t** يرى أنه ذهب بتسعة أعشار العلم^(١). إن هذه الأهمية للعلم لا تعني انه المعيار الوحيد للكفاءة والقدرة على القيادة، وأنه لا يصح أن يتولى القيادة إلا عالم متبحر واسع الإطلاع أو عالم متخصص لاسيما وأن معظم المتفرغين للعلم بأنواعه المختلفة لا يهتمون بالقيادة أو القضايا السياسية والإدارية المتعلقة بها لانشغالهم بالبحث العلمي، وبالتالي لا يجوز أن يكون العلم غاية بحد ذاته بحيث توكل المهام القيادية إلى أصحاب الشهادات العليا وأصحاب التخصص العلمي دون الأخذ بعين الاعتبار مدى توفر المعايير القيادية الأخرى^(٢).

وفي ذلك يقول الجنرال كورتوا: "لا يمكن أن نطلب من الرئيس العلم كله إن عليه أن يعرف فكرة عامة عن الأمور فإذا ما كان لديه مواهب تقنية خاصة واستخدامها باعتدال قدم للعمل شيئاً من الفائدة. أما إذا اندفع مع هذه المواهب واهتم بالجزئيات، فقد قيمته كرئيس، وأصبح مجرد فني فقط"^(٣). وقد عد علماء الفكر الإسلامي وفقهاء السياسة الشرعية العلم شرطاً أساسياً يجب توافره في القيادات، فاشتراط بعض المتقدمين في الإمام أن يكون مجتهداً بينما ذهب جمهور المتأخرين إلى عدم اشتراط ذلك لصعوبة الوصول إلى مرتبة الاجتهاد في القرون المتأخرة بشرط أن تتوفر فيه معايير الكفاءة الأخرى ويقرب منه أهل العلم والاجتهاد ويستعين بهم^(٤).

وتتمثل أهم العلوم والمعارف التي يحتاج إليها القائد في العلوم الشرعية المرتبطة بالعقيدة ومصادر التشريع، والعلوم التخصصية المتعلقة بمبادئ الإدارة وأصول السياسة والكفايات التي يحتاج إليها القائد في مجال عمله، وكذا العلوم الاجتماعية والنفسية المتصلة بالسنن الإلهية في قيام الحضارات وسقوطها وفنون التعامل مع الآخرين، وتندرج هذه العلوم والمعارف بمحتوياتها المختلفة ضمن ما يعرف بثقافة العلوم الإنسانية.

٦- التمتع بالقدرات العقلية اللازمة:

اشتراط علماء الفكر الإسلامي والسياسة الشرعية توفر العقل في المرشح للقيادة، ولاشك أنهم يقصدون بذلك قدرات عقلية معينة يجب توفرها في القائد بحيث يتمكن من معرفة الأمور وفهمها على حقيقتها وحسن التصرف في المواقف المختلفة واتخاذ القرارات المناسبة بشأنها، وليس مجرد العقل بمعناه العام لأنه مطلوب توفره في كل مكلف حتى يستطيع فهم التكليف والقيام به. قال تعالى: { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الذِّبِّ يَعِقُ بِمَا

(١) ينظر: تأريخ الخلفاء: ١٣٥.

(٢) ينظر: أزمة القيادة في واقعا الإسلامي المعاصر: ٤٧ - ٥١.

(٣) لمحات في فن القيادة: ٩٢.

(٤) ينظر: النظام السياسي في الإسلام - د. محمد عبد القادر أبو فارس - ط: ٢ - دار الفرقان - عمان: ١٨٧ - ١٨٩.

لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمْ بُكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَفْعَلُونَ }^(١). وقال تعالى: { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ }^(٢).

والمراد بالعقل في مجال القيادة القدرات العقلية المكتسبة بكثرة التجربة وطول المباشرة فهذا النوع يتأكد طلبه من القائد أكثر من غيره، لأن قيامه بواجبات القيادة ورعاية مصالح الأمة وتحقيق السعادة لها في الدنيا والآخرة يتوقف على مدى مايتوفرله من هذه القدرات^(٣). ولعل ذلك ما يمكن وصفه برجاحة العقل وحسن السياسة.

والمراد برجاحة العقل وحسن السياسة قوة العقل وذكاء الفطنة، وحسن التصرف واتخاذ القرار، وهي أمور تمكن القائد من إدارة الأمور بهدوء وريانة، وتحقيق الأهداف بأقل التكاليف، والحذر من مخططات الأعداء والقدرة على دفعها في الوقت المناسب.

وقد أكد المنهج القرآني على ضرورة تمتع القائد بالقدرات العقلية التي تمكنه من أداء مهامه على الوجه المطلوب، وأشار إلى تمتع الأنبياء عليهم السلام بهذه الصفة التي تمثل إحدى المقومات البارزة للشخصية النبوية، فقد جسد إبراهيم U هذه الصفة في محاورته للنمرود حيث أفحمه وأقام عليه الحجة، قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }^(٤).

وجسدها سليمان U في قدرته الفائقة على إدارة شؤون مملكته رغم اختلاف مكوناتها ما بين إنس وجن وطير، بل واستفادته من قدرات هذه المخلوقات، وكذا في موقفه من الهدهد، وتعامله مع ملكه سبأ والذي أئسم بالفطنة والذكاء. قال تعالى: { وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ }^(٥). وقال تعالى: قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ }^(٦).

أما يوسف U فقد برزت قدراته العقلية في العديد من المواقف التي حكاها القرآن الكريم ومنها: اشتراطه إعلان براءته ورد الاعتبار إليه قبل إخراجه من السجن وتولييه أي منصب، وهو مادل عليه قوله تعالى: { وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسُوءِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ }^(٧).

(١) سورة البقرة: الآية: ١٧١.

(٢) سورة الملك: الآية: ١٠.

(٣) ينظر: بدائع السلك في طبائع الملك: ٤٢١/١.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٢٥٨.

(٥) سورة النمل: الآيتان: ٢٠ ، ٢١.

(٦) سورة النمل: الآيتان: ٤١ ، ٤٢.

(٧) سورة يوسف: الآية: ٥٠.

قال ابن عطية^(١): "كان هذا الفعل من يوسف أناة وصبراً، وطلباً لبراءة ساحته، وذلك انه خشي أن يخرج وينال من الملك مرتبة، ويسكت عن أمر ذنبه، فيراه الناس بتلك العين يقولون هذا الذي راود امرأة العزيز".^(٢)

وإذا أراد الباحث أن يستعرض القدرات العقلية التي كان يتمتع بها النبي ﷺ فسيطول به المقام، حيث بلغ ﷺ القمة في رجاحة العقل وحسن السياسة وهو ما أشار إليه العلماء والباحثون ودلت عليه المواقف والأحداث التي عاشها ﷺ.

يقول القاضي عياض رحمه الله تعالى: "وأما وفور عقله وذكاء لبه... فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم، ومن تأمل تديبهم أمر بواطن الخلق فضلاً عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتز في رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهته، وهذا مما لا يحتاج إلى تقرير لتحقيقه"^(٣).

وأما حسن السياسة، فأعظم مثال عليه تمكنه ﷺ من سياسة العرب الذين كانوا أهل عزة وإباء مع طبعهم المتنافر حيث تحمل جفاهم وأذاهم له وصبر على ذلك بفضل ما كان يتمتع به من سياسة وحكمة وبُعد نظر، فكانت النتيجة أن انقادوا إلى الإسلام طائعين والتفوا حوله مختارين، وقاتلوا في سبيل الله تعالى الأهل والأصحاب، وهجروا ابتغاء مرضاته الأوطان والأحباب.^(٤)

والمواقف الدالة على رجاحة عقله وحسن سياسته ﷺ كثيرة جداً ومن ذلك حكمه بين أهل مكة عندما اختلفوا على وضع الحجر الأسود قبل بعثته ﷺ، واتجاهه يوم الهجرة إلى الجنوب جهة اليمن لتضليل المشركين الذين يطاردونهم مع أن الطريق إلى المدينة يتجه شمالاً، فضلاً عن موافقته ﷺ على صلح الحديبية رغم شروطه المجحفة بحق المسلمين في ظاهرها، وكذا الطريقة التي تعامل بها مع عبد الله بن أبي بن سلول رغم عداوته وكيدته للنبي ﷺ والمسلمين.^(٥)

وأما الخلفاء الراشدون **y** فقد كانوا من أرجح الناس عقولاً وأبعدهم نظراً وأحسنهم تصرفاً في المواقف المختلفة، وبكفي للدلالة على رجاحة عقل الصديق **t** إصراره على إنفاذ جيش أسامة **t** بعد وفاة النبي ﷺ

(١) أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عطية المحاربي الغرناطي، كان إماماً في الفقه والتفسير والعربية، قوي المشاركة ذكياً فظناً مدركاً من أوعية العلم، توفي في رمضان سنة ٥٤١هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: ٥٨٧/١٩، الأعلام للزركلي: ٢٨٢/٣.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي - تحقيق وتعليق: عبد الله إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم - طبعة قطر :

(٣) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى: ٥٥/١.

(٤) ينظر: المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية- اللواء/ محمد جمال الدين محفوظ- طبعة الهيئة المصرية للكتاب- القاهرة: ٢٨٠.

(٥) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٢٨٩/٤، الرسول القائد: ١٩٢، ١٩٣، السيرة النبوية للصلاحي: ٩٢٠/٢-٩٢٢، ١٠٥٢/٢-١٠٥٨.

مباشرة الأمر الذي أريك المتريصين بالدولة الإسلامية وأفسد عليهم خططهم التي كانوا يعدونها لحرب المسلمين^(١).

وأما عمر **t** فقد قال عن نفسه: "لست بالخب^(٢) ولا الخب يخدعني"^(٣). وقال عنه المغيرة بن شعبة **t**: "كان والله له فضل يمنعه أن يخدع، وعقل يمنعه أن يندع"^(٤).

ومما يساعد على رجاحة العقل وحسن السياسة" التجربة والفكرة والتدبير، ونقد خواطر أهل البصائر، وكثرة المطالعة في التاريخ وتتبع تصرفات أهل العقول والسياسة، واستطلاع رأي ألي التجارب، وكثرة المشاورة لأهل الرأي"^(٥).

وقد أكدت الدراسات على أن معدل الذكاء عند القائد ينبغي أن يكون أعلى من معدل الذكاء عند أتباعه حتى يتمكن من قيادتهم وتوجيههم والسيطرة عليهم، إلا أن هذا المعدل ينبغي أن لا يزيد عن ٣٠ درجة لئلا يظهر التفاوت الكبير بين القائد والأتباع^(٦)، وهو ما يمكن الاستشهاد عليه بعزل عمر بن الخطاب **t** زياد بن أبي سفيان^(٧) عن ولاية العراق، فقد قال زياد لعمر رضي الله عنهما: "لم عزلتني يا أمير المؤمنين العجز أم لخيانة؟ فقال عمر: لم أعزلك لواحدة منهما، ولكن كرهت أن أحمل فضل عقلك على الناس"^(٨)، وكان زياد **t** مشهوراً بذكائه وقوة عقله حتى عدّ أحد دهاة العرب الأربعة^(٩).

وإجمالاً فإنه يجب على القائد أن يتمتع برجاحة العقل وحسن الإدارة، وأن يكون حكيماً في تصرفاته ذكياً فطناً بعيد النظر، كما يجب أن يكون حسن التصرف قادراً على اتخاذ القرارات الصحيحة في وقتها المناسب دون تردد، وبدون ذلك لا يمكن أن يكتب له النجاح في قيادته، وهو أمر أكد عليه الجنرال كورتوا بقوله: "يعرف القائد من قراراته، ويستطيع من لا يقرر في الوقت المناسب أن يكون عالماً كبيراً، أو فنياً معتبراً، أو فيلسوفاً يشار إليه بالبنان، ولكنه يستحيل عليه أن يكون رئيساً ناجحاً"^(١٠).

(١) يراجع: الانشراح ورفع الضيق بسيرة الصديق: ٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) الخب: المخادع الغشاش الخبيث. لسان العرب - مادة خب: ٣٤١/١.

(٣) العقد الفريد - أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي - تحقيق: عبد المجيد الترحيني - ط: ٣ - دار الكتب العلمية - بيروت: ١٠٥/٣.

(٤) المصدر نفسه ١٠٥/٣.

(٥) ينظر: بدائع السلك في طبائع الملك: ٤٢٣/١.

(٦) ينظر: القيادة وفاعليتها في ضوء الإسلام: ٣٩.

(٧) زياد ابن أبي سفيان، ويقال زياد بن أبيه أو زياد بن سمية، ولد عام الهجرة، وقيل: قبلها، وقيل: بل ولد يوم بدر، كان رجلاً عاقلاً خطيباً، وكان أحد دهاة العرب المعدودين، استعمله عمر على بعض أعمال البصرة ثم كان مع علي فاستعمله على فارس حتى قتل، ثم استلحقه معاوية وولاه إمرة العراقين البصرة والكوفة ولم يجمعهما لأحد قبله حتى توفي بالكوفة في رمضان سنة ٥٣ هـ. ينظر: الاستيعاب: ٥٢٣/٢، الإصابة: ٦٣٩/٢.

(٨) مقدمة ابن خلدون: ١٣٠.

(٩) هم معاوية ابن أبي سفيان، وعمر بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد بن أبي سفيان **y**، ينظر: الاستيعاب: ٤٤٦/١، الإصابة: ٦٤٠/٢.

(١٠) لمحات في فن القيادة: ٤٧.

٧- سلامة الحواس والأعضاء:

والمقصود بذلك سلامة الحواس والأعضاء التي يؤثر فقدانها على أداء القائد ويمنعه من القيام بواجباته على الوجه المطلوب كفقد السمع والبصر والنطق، وهذه الحواس هي التي تدرك بواسطتها الأشياء ويؤثر فقدانها على سلامة الرأي وقوته، وكذا فقدان اليدين والرجلين وهما من أهم الأعضاء التي تباشر بها الحركة والنهوض ويؤدي فقدانها إلى تشويه منظر الإنسان وكل ذلك مما يضعف من هيبة القائد في النفوس^(١).

قال ابن خلدون: "وأما سلامة الحواس والأعضاء من النقص والعطلة كالجنون والعمى والصمم والخرس، وما يؤثر فقده في العمل كفقد اليدين والرجلين والأنثيين^(٢) فشرط السلامة منها كلها لتأثير ذلك في تمام عمله وقيامه بما جعل إليه"^(٣).

إن اشتراط سلامة الحواس والأعضاء في الشخصيات القيادية واعتبار ذلك معياراً أساسياً عند اختيار هذه القيادات يعود لسببين اثنين:

الأول: تمكين القائد من أداء مهامه والقيام بواجباته القيادية على الوجه المطلوب دون أن يعيقه الوضع الصحي عن ممارسة أنشطته المختلفة.

الثاني: تمتع القائد بالهيبة اللازمة للموقع القيادي الذي يشغله، ولئلا يصبح مجالاً للتندر والاستهزاء من قبل الأتباع والأعداء على حد سواء.

وإذا تأمل الإنسان في حياة الأنبياء عليهم السلام والقيادات المؤمنة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم يجد هذا المعيار واضحاً جلياً في شخصياتهم حيث كانوا يتمتعون بسلامة الحواس والأعضاء بل وكانوا يتمتعون بمستوى عالٍ من اللياقة البدنية والطاقة العصبية وقوة التحمل، الأمر الذي مكنهم من القيام بواجبات الدعوة والجهاد على أكمل وجه، وهو ما نلاحظه من خلال قوله تعالى في حق إبراهيم **لِ: { قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ }^(٤)**. وقوله تعالى في حق إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: **{ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }^(٥)**. ولا يمكن أن يقوم بتكسير الأصنام وبناء البيت سوى شخص سليم الحواس والأعضاء ممتلئ القوة والحيوية والنشاط.

وقال تعالى مبيناً علة اختيار طالوت لقيادة بني إسرائيل: **{ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ }^(٦)**، فقد عبر ببسطة الجسم عن صحته وكمال قوته.

قال ابن كثير: "ومن ههنا ينبغي أن يكون الملك ذا علم وشكل حسن وقوة شديدة في بدنه ونفسه"^(٧).

(١) ينظر: الأحكام السلطانية للفراء: ٢٢- ٢٤.

(٢) الأنثيين هما: البيضان. لسان العرب: ٧٢/٩، فتح الباري: ١١٠/٩، نيل الأوطار: ٢١٥/٧.

(٣) مقدمة ابن خلدون: ١٣٢.

(٤) سورة الأنبياء: الآية: ٦٠.

(٥) سورة البقرة: الآية: ١٢٧.

(٦) سورة البقرة: الآية: ٢٤٧.

(٧) تفسير القرآن العظيم: ١/ ٣٠١.

وأما رسول الله ﷺ فقد كان قمة في اللياقة البدنية العالية والطاقة الحركية والقدرة على العمل وتحمل المشاق، وهي أمور ضرورية بالنسبة للقائد ولاسيما في ذلك العصر الذي كان يعتمد على اللياقة البدنية العالية في الحروب والتنقلات من مكان إلى آخر.

ولكي ندرك القابلية البدنية للنبي ﷺ يكفي أن نعلم أنه قاد بنفسه سبعاً وعشرين غزوة كلها بعد ما تجاوز الثالثة والخمسين من عمره، وأنه صارح ركانة^(١) وهو معروف بقوته وخبرته في المصارعة فصرعه رسول الله ﷺ، وشارك أصحابه **y** مشيهم الطويل في غزوة بني المصطلق فكلوا وتعبوا ولم يكل ولم يتعب ﷺ كما شاركهم العمل في حفر الخندق فكانوا كلما اعترضتهم صخرة كبيرة لجأوا إليه ﷺ فما أسرع أن تنفتحت تحت ضربات معوله القوية^(٢).

وهكذا نجد أن الله **U** بعث أنبياءه عليه السلام وزودهم بكل ما يعينهم على أداء مهامهم والقيام بواجباتهم القيادية فضمن لهم سلامة الحواس والأعضاء وأمدهم باللياقة البدنية والطاقة العصبية والقدرة على التحمل، وبعثهم في صورة حسنة وهيئة معتدلة تضمن التقاف الناس حولهم وتفاعلهم معهم، كما سلمهم من الأمراض المنفرة التي تبعد الناس عنهم وإن كانوا يصابون بأنواع الأمراض والابتلاءات الأخرى مثل غيرهم من بني البشر.

ولذلك رد كثير من العلماء على القائلين بأن الضر الذي لحق بأيوب **U** كان من الأمراض المنفرة أن ذلك من الإسرائيليات التي لم يثبت لها سند صحيح وبأن ذلك يتنافى مع النبوة التي يشترط أن لا يكون في صاحبها من الأمراض ما ينفر عنه الناس.

قال المراغي "وما روي من مقدار ما لحقه من الضر في نفسه حتى وصل إلى حد النفرة منه وأن الناس جميعاً تحاموه وطروه من مقامه إلى ظاهر المدينة في موضع الكناسة وأنه لم يكن يتصل به إلا امرأته التي تذهب إليه بالزاد والقوت فكل ذلك من الإسرائيليات التي يجب الاعتقاد بكذبها لأنه ليس من سند صحيح يؤيدها، ولأن من شروط النبوة ألا يكون في النبي من الأمراض والأسقام ما ينفر الناس منه ولأنه متى كان كذلك لا يستطيع الاتصال بهم وتبليغ الشرائع والأحكام إليهم"^(٤)، ثم يستنتج من قوله تعالى: { **أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ** }^(٥) أن المرض الذي أصيب به أيوب **U** كان من الأمراض الجلدية غير المعدية والتي

(١) ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب القرشي، كان من مسلمة الفتح وكان من أشد الناس وأقواهم وهو الذي سأل الرسول ﷺ أن يصارعه قبل إسلامه فصرعه الرسول ﷺ مرتين أو ثلاث، توفي بالمدينة في أول خلافة معاوية **t** سنة إحدى وعشرين وأربعين للهجرة. ينظر: الاستيعاب: ٥٠٧/٢، الإصابة: ٤٩٧/٢.

(٢) ينظر: الرسول القائد: ٣١٠، دراسة تحليلية لشخصية الرسول: ٢٢٦، ٢٢٧.

(٤) تفسير المراغي - أحمد مصطفى المراغي ط: ٣ - لسنة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م: ٦١/٦.

(٥) سورة ص: الآية: ٤٢.

تسبب التعب الشديد لصاحبها، كما يستنتج أن الماء المقصود في الآية كان من المياه الكبريتية المفيدة للأمراض الجلدية^(١).

ويلحق بسلامة الحواس والأعضاء اعتدال الهيئة وحسن الصورة وجمال المظهر، لما لهذه القضايا من دور في الإشعار بالهبة وجذب الآخرين والتفاهم حول صاحبها، وهي أمور لاغنى للقائد عنها.

فهذا يوسف **U** أوتي شطر الحسن، وأبهر بجماله نساء الطبقة الراقية في مصر حتى كان من أمرهن ما ذكره الله تعالى في قوله تعالى: { فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ }^(٢). وهذا موسى **U** يصفه الله تعالى بقوله: { وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا }^(٣) وفي ذلك إشارة إلى شدة قوته وكمال خلقته واعتدال هيئته **U**.

وفي قصة طالوت **U** أشار تعالى إلى المعايير التي أهلتها لقيادة بني إسرائيل فقال تعالى: { قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ }^(٤). وليس المراد ببسطة الجسم التي تميز بها طالوت **U** طوله وعرضه، بل قوته واعتدال هيئته ونضجه العقلي والوجداني.

وأما رسول الله **ﷺ** فقد كان من أكمل الناس خلقاً وأحسنهم صورة كأن وجهه الشمس أو القمر، كما كان معتدل الهيئة ليس بالطويل ولا بالقصير، يكسوه الجمال والهيئة والوقار^(٥)، وتكفي الإشارة إلى ما رواه البراء بن مالك **t** قال: (كان رسول الله أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير)^(٦).
وقول عمه أبي طالب في وصفه **ﷺ**:

ثمال اليتامى عصمة للأرامل^(٧)

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه

(١) ينظر: تفسير المراعي: ١٢٤/٨، ١٢٥.

(٢) سورة يوسف: الآية: ٣١.

(٣) سورة القصص: الآية: ٤١.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٢٤.

(٥) يراجع: صحيح البخاري- كتاب المناقب- باب صفة النبي **ﷺ**، صحيح مسلم- كتاب الفضائل- باب صفة النبي **ﷺ**، الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٥١، ٥٢.

(٦) صحيح البخاري- كتاب المناقب- باب صفة النبي **ﷺ**: ٣/١٣٠٣ رقم (٣٣٥٦)، صحيح مسلم- كتاب المناقب- باب في صفة النبي **ﷺ** وأنه كان أحسن الناس وجهاً: ٤/١٨١٩ رقم (٢٣٣٧) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٣/١٤٠ رقم (١٥٠٧).

(٧) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/١١١، طبقات فحول الشعراء- محمد بن سلام الجمحي- تحقيق: محمود محمد شاكر- طبعة مطبعة المدني- القاهرة: ١/٢٤٤.

وقد كان رسول الله ﷺ يحرص على اختيار قادته وولاته وسفرائه من ذو الصور الحسنة والهيئات المعتدلة والمظاهر الجميلة^(١).

ومع كل ما سبق من حديث حول سلامة الحواس والأعضاء، واعتدال الهيئات وجمال الصور وأهمية توفرها في القيادات، إلا أن هذا المعيار لا قيمة له إذا لم تتوفر بقية المعايير الأخرى وخاصة ما يتعلق منها بالالتزام الديني والأخلاقي وقوة الإرادة والشخصية فكم من القيادات الجائمة على صدور الأمة اليوم ممن يتصفون بسلامة الحواس والأعضاء واعتدال الهيئات وجمال الصور إلا أنهم أقرب إلى العجزة والمشلولين بل هم أعجز الناس عن دفع المفسد والمضار عن أوطانهم وأمهم فضلاً عن تحقيق المصالح لها، ولعل أكثر الأوصاف انطباقاً عليهم ودقةً في تصوير حالتهم هو قول الله ﷻ: { وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مَسْنَدَةٌ }^(٢).

وبالمقابل فإن قائداً مثل الشيخ الشهيد أحمد ياسين رحمه الله تعالى استطاع أن يقود حركة الجهاد والمقاومة على أرض فلسطين وأن يحيي معانيها في نفوس الأمة رغم أنه مشلول الأعضاء ضعيف السمع فاقد الإبصار في عينه اليمنى وبه من الأمراض ما لا يعلمه إلا الله الأمر الذي يدعو إلى دراسة هذه الحالة بتمعن.

٨- العدالة:

وهي ملكة أي: "هيئة راسخة في النفس تمنع من اقتراف كبيرة أو صغيرة دالة على الخسة أو مباح يخل بالمروءة"^(٣).

والمقصود بالعدالة هنا أن يكون المرشح لأي موقع قيادي قائماً بالفرائض والأركان متوقفاً للكبائر من الآثام لا يصر على الصغائر، وأن يكون صادق اللهجة، ظاهر الأمانة، بعيداً عن الريب، مأموناً وقت الرضا والغضب مستعملاً لمروءة مثله في دينه ودنياه لا يجاهر بمعصية، ولا يجور في حكم^(٤).

وليس المقصود بها العصمة من الذنوب والمعاصي والآثام في الأقوال والأفعال والتصرفات، أو البراءة من العيوب والخلو من النقص، لأن هذه الصفات لا توجد إلا في الأنبياء والرسل عليهم السلام^(٥).

أما غير الأنبياء فمهما كانت منزلتهم ومهما بلغ صلاحهم وتقواهم فإنهم قد يقعون في الذنوب والمعاصي والآثام، وليس مطلوباً منهم إن وقعوا في ذلك سوى التوبة والاستغفار قال تعالى في صفات المتقين: { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ فَلَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ }^(٦).

(١) يراجع: السفارات النبوية: ٣٧٤ - ٣٨٠.

(٢) سورة المنافقون: الآية: ٤.

(٣) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية - جلال الدين السيوطي - تحقيق وتعليق: المعتصم بالله البغدادي - ط: ١ - دار الكتاب العربي - بيروت: ٦٠٨.

(٤) ينظر: القضاء في الإسلام - د. محمد عبد القادر أبو فارس - ط: ١ - مكتبة الأقصى - عمان: ٣٧.

(٥) ينظر: النظام السياسي في الإسلام: ١٨٤ - ١٨٦.

(٦) سورة آل عمران: الآية: ١٣٥.

والعدالة من أهم المعايير الأساسية التي يجب توفرها في الشخصيات المرشحة للقيادة، وهي صفة ذاتية تتعلق بالشخص نفسه.

قال ابن خلدون: "وأما العدالة فلأنه منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي هي شرط فيها، فكان أولى باشتراطها فيه، ولا خلاف في انتفاء العدالة فيه بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وأمثالها"^(٢).

وعلى هذا فلا تجوز تولية الفاسق لأي منصب قيادي ما دام مستهتراً بالدين، متهاوناً بأحكام الشريعة، غير مبال بارتكاب المعاصي والآثام قال تعالى: { وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ }^(٣). فهذه الآية أصل في اشتراط العدالة.

قال الجصاص^(٤): "أخبر أن الظالمين من أمته لا يكونون أئمة ولا يجعلهم موضع الاقتداء بهم فقد أفادت الآية أن شرط جميع من كان في محل الإتمام به في أمر الدين العدالة والصلاح، فثبت بهذه الآية بطلان إمامه الفاسق وأنه لا يكون خليفة وأن من نصب نفسه في هذا المنصب وهو فاسق لم يلزم الناس إتباعه ولا طاعته وكذا قال النبي ٣: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)^(٥). ودل أيضاً على أن الفاسق لا يكون حاكماً ولا تقبل شهادته ولا خبره إذا أخبر عن النبي ٣ ولا فتياه إذا كان مفتياً، وأنه لا يقدم للصلاة"^(٦).

٩- الفصاحة وقوة البيان:

الفصاحة: البيان، والفصيح: البليغ، والفصاحة ملكة تعين صاحبها على التعبير عن المقصود في سهولة ويسر، وأما قوة البيان فتعني قوة التعبير عن الآراء بأسلوب مؤثر وفق مصطلح العصر ولغته، مع مراعاة اختلاف أحوال وفئات المخاطبين^(٧).

وتعد الفصاحة وقوة البيان من أهم المعايير التي يجب توفرها في الشخصيات المرشحة للقيادة إذ لا زالت اللغة وستظل أهم وسائل التخاطب الإنساني، والطريقة المثلى للتعبير عن الآراء والمواقف والأداة الفاعلة في الإقناع والتأثير على الآخرين.

والقائد بحاجة ماسة إلى فصاحة اللسان وقوة البيان والتعرف على المفردات اللغوية والمصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية حتى يتمكن من مخاطبة الآخرين وشرح أفكاره وآراءه لهم، وإقناعهم بمواقفه واتجاهاته، مع مراعاة التنوع في الأسلوب والوسائل واختلاف الأحوال والظروف، وتعدد فئات المخاطبين.

(٢) مقدمة ابن خلدون: ١٣٢.

(٣) سورة البقرة: الآية: ١٢٤.

(٤) أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، أحد كبار العباد الزهاد الذين ارتحلوا في طلب العلم، وأحد كبار علماء المذهب الحنفي، توفي ببغداد سنة ٣٧٠هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٦/٣٤٠، الأعلام للزركلي: ١/١٧١.

(٥) مسند أحمد: ١/١٣١ رقم (١٠٩٥). قال الهيثمي: "رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح". مجمع الزوائد: ٥/٢٢٦.

(٦) أحكام القرآن- أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص- طبعة دار الفكر- بيروت: ٦٩، ٧٠.

(٧) ينظر: النظام الإلهي للرقى والاحتياط: ٥٣.

وقد أشار القرآن الكريم إلى خطورة الكلمة ودورها المؤثر في قوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (١) وأكد هذا المعنى قوله ٣ في الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (إن من البيان لسحرا) (٢).

ويذكر التاريخ أن أبرز القادة والزعماء الذين أثروا في حياة شعوبهم وأمهم هم الذين أجادوا فن الحديث ومخاطبة الجماهير، حيث تمكنوا من إثارة الجماهير وإقناعها بأرائهم وبالتالي كسبها إلى جانبهم، ويأتي في مقدمة هؤلاء القادة الأنبياء عليهم السلام الذين أنعم الله عليهم بالفصاحة وقوة البيان وجعلها من المقومات الأساسية التي أهلتهم للنبوّة والقيادة، الأمر الذي مكنهم من القيام بواجبات الدعوة والبلاغ ومخاطبة الجماهير وإيصال دين الله U إلى البشرية، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (٣).

وأما محمد ٣ الذي كان قمة في الفصاحة وقوة البيان فقد خاطبه تعالى بقوله: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (٤). وبين تعالى تأثير فصاحته وقوة بيانه ٣ في إيمان الناس بالقرآن الكريم فقال تعالى: {وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ} (٥).

قال القاضي عياض رحمه الله: "وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان ٣ من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، وأوتي جوامع الكلم، وخص ببدايع الحكم، وعلم ألسنة العرب، يخاطب كل أمة بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها في منزع بلاغتها" (٦).

ولعل المتأمل لسيرته ٣ والمتابع لأحاديثه يدرك ذلك، كما يدرك الفرق بين حديثه مع القرشيين والحجازيين والأنصار وحديثه مع أهل اليمن والوفود التي قدمت عليه من أطراف شبه الجزيرة العربية (١)، فقد جمع ٣ بين قوة ألفاظ البادية وجزالتها، ووضوح عبارات الحاضرة ورونقها إلى جانب التأييد الإلهي بالوحي الذي يمثل قمة الفصاحة والبلاغة والبيان.

(١) سورة إبراهيم: الآيات: ٢٤ - ٢٦.

(٢) سبق تخريجه: ص ١٤١.

(٣) سورة إبراهيم: الآية: ٤.

(٤) سورة النحل: الآية: ٦٤.

(٥) سورة الشعراء: الآيات: ١٩٨، ١٩٩.

(٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١ / ٥٦، ٥٧.

(١) ينظر: المصدر السابق: ١ / ٥٧ - ٦١.

ومما يؤكد أهمية الفصاحة وقوة البيان بالنسبة للقيادات طلب موسى **U** من الله **U** أن يرزقه الفصاحة وسلامة المنطق حتى يتمكن من التعبير عما في نفسه وإفهام الآخرين، وكان **U** به لثغ في لسانه من الجمرة التي وضعها في فيه وهو صغير^(٢)، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: {وَإِخْلُ عُدَّةً مِنْ لِسَانِي} (٣) كما سأل المولى **U** أن يشرك معه أخاه هارون **U** في مسألة النبوة وذكر أن من أبرز مقومات ترشيحه له ما يتمتع به من فصاحة وبلاغة وقوة بيان، وهو ما صرح به في قوله تعالى: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَدِّبُونَ} (٤).

ونظراً لأهمية الفصاحة وقوة البيان في تكوين الشخصية الإنسانية عموماً والمؤهلة لتولي المواقع القيادية على وجه خاص كان أكثر العرب القادرين من زعماء القبائل ووجوه العشائر يرسلون أطفالهم إلى البادية ليتربوا في جو عربي خالص، يتلقون فيه العربية الفصحى من أصولها، كما ينشأون على معاني الرجولة الحقة من شجاعة ونجدة وكرم وفروسية وكذلك كان عرب شبه الجزيرة العربية عموماً.

ويأتي اختيار النبي ٣ لولاته وسفراته من هذا المجتمع العربي الأصيل الذي عرف أبنائه بالفصاحة والبلاغة ليؤكد بوضوح أهمية الفصاحة وقوة البيان بالنسبة للقيادات ولعل في دراسة حياة هؤلاء السفراء ما يشير إلى ذلك، وهو ما يظهر بوضوح في أقوالهم ومناقشاتهم وطريقة عرضهم للمهمة التي بعثوا من أجلها وأسلوبهم في الدعوة إلى الله تعالى والرد على المعترضين ومناقشة المخالفين^(٥).

١٠- النضج الانفعالي:

والمقصود بذلك سيطرة القائد على تصرفاته فلا يصدر عنه من الأقوال والأفعال إلا ما يريد هو إصداره وفق خطته التي يسير عليها دون تأثر بالعوامل المحيطة به أو الظروف التي يمر بها ودون استجابة للانفعالات النفسية أو استدرجات الآخرين^(٦).

فلا بد أن يتمتع القائد بمقدرة الحفاظ على التوازن وضبط النفس في أوقات الفرح الشديد والحزن العميق، والتحكم في هذه العواطف والانفعالات بحيث لا تفقده السيطرة على نفسه أو الخروج عن حدود العقل والحلم^(٧).

إن الانفعال وفقدان السيطرة على النفس عيب كبير في شخصية القائد لأن من يعجز عن التحكم في نفسه وضبط انفعالاته فهو من باب أولى أعجز عن ضبط الآخرين والسيطرة على تصرفاتهم.

ومن هنا ينبغي للقائد أن لا يطغيه نصر مؤقت أو يغريه تحقيق بعض الأهداف الجزئية أو المرحلية فيقدم على بعض التصرفات التي قد تعود بالضرر عليه وعلى من يقودهم، كما يجب أن لا يضعف من عزيمته

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣/ ١٤٧، ١٤٨، فتح القدير: ٣/ ٤٢٩.

(٢) سورة طه: الآية: ٢٧.

(٣) سورة القصص: الآية: ٣٤.

(٤) يراجع: السفارات النبوية: ٣٢٦-٣٣٠.

(٥) ينظر: القيادة المؤمنة: ٦٩.

(٦) ينظر: القيادة والتغيير: ١١٤.



أو يثبط همته الإخفاق أو الهزيمة فيحجم عن مواصلة المسير، وفي كلا الحالتين لابد أن يكون ذا إرادة قوية وأعصاب هادئة وقدرة فائقة على ضبط النفس.

وقد عد خبراء القيادة هذه الصفة من أبرز المعايير التي يجب توافرها في الشخصية المرشحة لأي موقع قيادي فقد ذكر نابليون: "أن أول ما يجب أن يتوفر في القائد رأس هادئة وبذلك تظهر له الأشياء على حقيقتها وفي مظهرها الصحيح... ويجب أن لا يتأثر بالأخبار الحسنة أو السيئة"^(٢). وهو ما سبق إلى تقريره القرآن الكريم في قوله U: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} (٣).

وهذا الهدوء الذي يجب أن يتحلى به القائد لا يأتي فجأة وإنما يكتسب عن طريق التجارب التي يمر بها ويستفيد منها خلال مسيرة حياته.

"ولكي يحافظ الرئيس على هدوئه عليه أن يعتاد على معالجة الأمور المفجعة وكأنها عادية بدلاً من معالجة الأمور العادية كأنها فواجع، على الرئيس أن لا يعرف الخوف وأن يتقن إخفائه ليوحي لمرؤوسيه بأنه دائماً أصلب من الخطر، فإن تجنب ردود الفعل العصبية واستقبال المتاعب بروح مرحية طمأن بهدوئه مرؤوسيه، ودفع عنهم الهلع الذي يعتبر من أكبر الأخطار"^(٤).

إن الأفراد يتجهون بشكل تلقائي إلى القيادات عند استشعار أي خطر يواجههم فيراقبون تصرفاتها ويرصدون ردود أفعالها فإذا بدا على هذه القيادات القلق والاضطراب تضاعف قلق الأفراد واضطرابهم وشلت حركتهم، وإذا وجدوا منها قوة وصلابة وثباتاً سرت فيهم روح الثقة والقوة والمقاومة، وتجدد لديهم الأمل وانطلقوا غير عابئين بما يواجههم من أخطار"^(٥).

ولما كان الأنبياء عليهم السلام يمثلون القيادة الحقيقية للبشرية والنماذج الحية التي ينبغي أن تقتدي بها القيادات في كل زمان ومكان فقد عرض المولى U في كتابه الكريم نماذج من قدرتهم الفائقة على ضبط النفس والسيطرة على الانفعالات وذلك حتى يقتدي بهم كل من يأتي خلفهم من القيادات.

ومن ذلك موقف يوسف U عندما دخل عليه إخوته وهو على رأس الوزارة في مصر واتهموه في نفسه زوراً وبهتاناً بقولهم: { قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ }^(١)، ورغم أنه كان قادراً على الرد عليهم ومواجهتهم بالحقيقة ودفعهم إلى تكذيب أنفسهم إلا أنه فضل ضبط نفسه والسيطرة على أعصابه وترك الأحداث تسير وفق الخطة التي رسمها، وقد وصف القرآن الكريم ردة الفعل التي صدرت منه U في هذا

(٢) الفاروق القائد: ٧٧ ، ٧٨ .

(٣) سورة آل عمران: الآيتان: ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٤) لمحات في فن القيادة: ٢٥ .

(٥) ينظر: القيادة المؤمنة: ٧٠ .

(١) سورة يوسف: الآية: ٧٧ .



الموقف في قوله تعالى {فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ} ^(١) أي كتمها بهدوء تام ورد عليهم كمن يدافع عن غائب: { قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ } ^(٢) يعني أنكم بهذا القذف شر مكاناً من المقذوف وهي حقيقة لا شتيمة^(٤). وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: {فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ} أي أسر كلمة { أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا } ^(٥).

وهناك نموذج آخر لنبي كريم هو هارون U الذي كان يتصف بضبط النفس وهدوء الأعصاب الأمر الذي جعله أهلاً للنبوة إلى جانب فصاحته وقدرته على البيان، وهو ما يتضح من خلال موقفه من بني إسرائيل عندما عبثوا العجل في غياب موسى U ثم من خلال هدوئه في التعامل مع موسى U عندما استنكر عليه موقفه ذلك. قال تعالى مصوراً هذا المشهد: { وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى * قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي } ^(٦). فهذه الآيات تحكي الهدوء التام والقدرة على ضبط النفس التي قابل بها هارون U انفعال موسى U وغضبه، وقدرة هارون الفائقة على امتصاص غضب موسى U وشرح موقفه من المسألة وأنه فضل الحفاظ على وحدة بني إسرائيل حتى يرجع موسى U ويتشاور معه في كيفية علاج الموقف.

وكان موسى U يدرك ما يتحلى به هارون U من مميزات عندما سأل الله U أن يشركه معه في أمر النبوة " فهو يعلم عنه فصاحة اللسان وثبات الجنان وهدوء الأعصاب، وكان موسى U انفعالياً حاد الطبع سريع الانفعال، فطلب إلى ربه أن يعينه بأخيه يشد أزره ويقويه ويتروى معه في الأمر الجليل الذي هو مقدم عليه"^(٧).

وأما محمد ٣ فالمواقف التي تحكي قوة إرادته وثبات عزيمته وهدوء أعصابه وسيطرته على نفسه أكثر من أن تحصي سواء ما يتعلق منها بالجانب الشخصي في حياته ٣ أو العملي والدعوي والجهادي. ويكفي أن نعرض نموذجين لمستوى النضج الانفعالي الذي بلغه النبي ٣ في حالتي الفرح والشدة.

أما نموذج الانضباط النبوي في حالة الشدة فيحكيه موقفه ٣ عقب انتكاسة أحد التي وقعت بسبب مخالفة الرماة أمره ٣ لاغترارهم بالنصر المؤقت الذي أحرزوه، وهي المعركة التي أصيب فيها رسول الله ٣ إصابات بالغة ومثلت الهزيمة العسكرية الوحيدة للمسلمين ، ومع كل ذلك نجد النبي ٣ يضبط انفعالاته ويسيطر على أعصابه فيعفو عن المخالفين ويستغفر للمقصرين، ويستمر في ممارسة الشورى والتزام نتائجها، كما يواصل تطبيق خطته المرسومة ومنهجه المحدد في التربية والبناء والدعوة والجهاد، كل ذلك في ظل تأييد إلهي وتوجيه

(١) سورة يوسف: الآية: ٧٧.

(٢) سورة يوسف: الآية: ٧٧.

(٤) في ظلال القرآن: ٤/٢٠٢٢.

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢/٤٨٦.

(٦) سورة طه: الآيات: ٩٠-٩٤.

(٧) في ظلال القرآن: ٤/٢٣٣٣.

رباني يتضح من خلال الآيات التي نزلت عقب غزوة أحد مباشرةً ومنها قوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }^(١).

وتتجلى قمة النضج الانفعالي في الخطوة الجريئة التي أقدم عليها النبي ٣ حين دعا الصحابة الكرام الذين شاركوا في غزوة أحد لملاحقة المشركين فخرجوا في اليوم التالي دون أن يتخلف منهم أحد رغم الجراح والآلام الجسدية النفسية، ورغم تهديد المشركين وتخويف المنافقين، وهو ما وصفه الله U في قوله تعالى: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِمَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ*الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ*فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ }^(٢)

وقد أجاد سيد قطب رحمه الله تعالى تصوير هذا الموقف والتعليق عليه فكان مما قال: "إنهم أولئك الذين دعاهم الرسول ٣ إلى الخروج معه كرهة أخرى غداة المعركة الميرية وهم مثخنون بالجراح، وهم ناجون بشق الأنفس من الموت أمس في المعركة وهم لم ينسوا بعد هول الدعكة، ومرارة الهزيمة، وشدة الكرب، وقد فقدوا من أعزائهم من فقدوا فقل عددهم فوق ما هم مثخنون بالجراح ...!

لقد دعاهم رسول الله ٣ ودعاهم وحدهم وكانت هذه الدعوة وما تلاها من استجابة تحمل إحياءات شتى، وتومئ إلى حقائق كبرى نشير إلى شيء منها فلعل رسول الله ٣ شاء ألا يكون آخر ما تنطوي عليه جوانح المسلمين ومشاعرهم، هو شعور الهزيمة والآم البرح والقرح، فاستنهضهم لمتابعة قريش وتعقبها كي يقر في أخلاصهم أنها تجربة وابتلاء وليست نهاية المطاف وأنهم بعد ذلك أقوياء، وأن خصومهم المنتصرين ضعفاء، إنما هي واحدة وتمضي، ولهم الكرة عليهم، متى نفصوا عنهم الضعف والفشل، واستجابوا لدعوة الله والرسول..."^(٣). يقول اللواء الركن مصطفى طلاس: "إن عدد القادة في التأريخ الذين استطاعوا أن يسيطروا على جيوشهم بعد الهزيمة يعد على أصابع اليد، لذلك فإن كبار القادة العسكريين يحنون هاماتهم لعمل الرسول العربي في المناورة العسكرية البارعة لحملة حمراء الأسد"^(٤).

وأما نضجه الانفعالي وسيطرته ٣ على نفسه في حال الفرح فيحكيه موقفه ٣ عندما دخل مكة فاتحاً منتصراً، وهو موقف يصعب على الإنسان أن يملك زمام نفسه فيه لاسيما وهو يدخل بلده التي ولد فيها ونشأ وترعرع بين جنباتها، ثم أخرج منها وحرّم من دخولها وهو يرى أيضاً اندحار أعدائه الذين آذوه وأخرجوه وانهزمهم بل واستسلامهم بين يديه ، ومع ذلك كان ٣ في قمة الانضباط العاطفي والنضج الانفعالي والسيطرة على النفس

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٥٩.

(٢) سورة آل عمران: الآيات: ١٧٢ - ١٧٤.

(٣) في ظلال القرآن: ١ / ٥١٩.

(٤) الرسول العربي وفن الحرب: ١٧٣. (نقلًا عن دراسة تحليلية لشخصية الرسول ٣: ٢٣١).

وهو ما تجلى في موقفه ٣ حيث دخل مكة متواضعاً متذللاً بين يدي ربه U خافضاً رأسه حتى أن ذقنه ليكاد يمس واسطة رحله^(٢).

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: "على حين كان الجيش الزاحف يتقدم ورسول الله ٣ على ناقته تتوج هامته عمامة دسما، ورأسه حفيظ من شدة التخشع لله، لقد انحنى على راحلته وبدا عليه التواضع الجم. إن الموكب الفخم المهيب الذي ينساب به حثيثاً إلى جوف الحرم، والفيلق الدارع الذي يحف به ينتظر إشارة منه فلا يبقى بمكة شيء آمن، إن هذا الفتح المبين ليذكره ماضٍ طويل الفصول كيف خرج مطارداً؟ وكيف يعود اليوم منصوراً مؤيداً، وأي كرامة عظمت حفه الله بها هذا الصباح الميمون، وكلما استشعر هذا النعماء إزداد الله على راحلته خشوعاً وانحناء"^(٣).

ولذلك غضب ٣ عندما بلغته مقولة سعد بن عبادة t اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة وقال: (هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة)^(٤). ثم أخذ الراية من سعد بن عبادة وسلمها لابنه قيس بن سعد y في تصرف حكيم حال دون إثارة معركة جانبية هو في غنى عنها، كما حال دون إثارة أية نعة جاهلية نتيجة أخذ الراية من سعد بن عبادة لأنها دفعت إلى ابنه قيس بن سعد رضي الله عنهما ومن طبيعة البشر أن الإنسان لا يرضى بأن يكون هناك من هو أفضل منه إلا ابنه^(٥).

وفرق كبير بين هذا الموقف وبين مواقف القادة المنتصرين على مدار التاريخ الذين يستبيحون الدماء وينتهكون الأعراض ويسلبون الأموال ويعيثون في الأرض فساداً ولاسيما في العصر الحديث الذي فقد معظم قادته القيم والمبادئ الإنسانية فضلاً عن الإلهية.

(١) ينظر: صحيح البخاري- كتاب المغازي- باب غزوة الفتح، الرسول القائد: ٢٤١، ٣٠٤.

(٢) فقه السيرة- محمد الغزالي- ط: ٧- دار الكتب الحديثة- القاهرة: ٤١٢.

(٣) صحيح البخاري- كتاب المغازي- باب أين ركز النبي ٣ الراية يوم الفتح: ١٥٥٩/٤ رقم (٤٠٣٠).

(٤) ينظر: قيادة الرسول السياسية والعسكرية- أحمد راتب عرموش- ط: ٢- دار النفائس- بيروت- لبنان: ١٩٥، ١٩٦.



وكذلك كان الخلفاء الراشدون والقادة المسلمون يتحلون بالنضج الانفعالي والقدرة على ضبط النفس في المواقف المختلفة، فهذا أبو بكر الصديق **t** المعروف بليته ورقة قلبه ورحمته بالأمة يتميز في موقفه عن بقية الصحابة الكرام عند وفاة النبي **ﷺ** حيث فزع المسلمون واضطربوا من هول الفاجعة فمنهم من اختلط عقله، ومنهم من قعد ولم يستطيع القيام، ومنهم من سكت ولم يتكلم، ومنهم من أنكر موت النبي **ﷺ** بالكليّة، فكان من أمرا الصديق **t** أن استوعب الموقف فهداً المسلمين ثم قام فيهم خطيباً وتلا عليهم قول الله **ﷻ**: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ }^(١). الأمر الذي أيقظ المسلمين من هول الفاجعة وأعادهم إلى رشدهم بعد أن أيقنوا بوفاة الرسول **ﷺ**^(٢).

وهذا خالد بن الوليد **t** يضرب أروع الأمثلة في السيطرة على النفس وهدوء الأعصاب في المواقف المختلفة سواءً عندما آلت إليه القيادة في موقعة مؤتة بعد استشهاد القادة الثلاثة حيث استطاع أن يخلص المسلمين من خطر الهلاك ويؤمن لهم الانسحاب الذي يحفظ قوتهم، أو عندما قاد المسلمين لتحقيق النصر العظيم في واقعة اليرموك، فلم تمنعه شدة الفاجعة في مؤتة من التفكير في كيفية إنقاذ المسلمين كما لم تدفعه نشوة النصر في اليرموك إلى الكبر والغرور بل زادته شكراً لله **ﷻ** وتواضعاً بين يديه^(٣).

وتتجلى قمة النضج الانفعالي لخالد **t** في موقفه المتزن عندما عزله عمر **t** وهو في أوج مجده وشهرته وقمة انتصاراته وبطولاته فقد تحول من قائد الفتح العظيم إلى مجرد جندي يعمل تحت إمرة جندي من جنوده وهو أبو عبيدة بن الجراح **t**، ومع ذلك لم يؤثر عنه أنه تبرم من قرار عزله أو اعترض عليه أو قاد تمرداً في الجيش الإسلامي رغم كثرة المحبين له والمتأثرين به والمعجبين بشخصيته في أوساط هذا الجيش، والذين تأثر بعضهم لقرار عزله أكثر منه، وبذلك ضرب أروع الأمثلة للقائد الفعال والجندي الملتزم والمؤمن الصادق والمجاهد الحريص على مصلحة أمته دون التفات إلى حظوظ النفس أو رغبة في تحقيق مصلحة شخصية^(٤).

إن هذه المواقف تبين مستوى النضج الانفعالي والسيطرة على النفس التي وصل إليها النبي **ﷺ** وصحابته الكرام **ﷺ** تظل غرة في جبين الدهر يستحيل أن يصل إليها القادة الآخرون البعيدون عن الالتزام العقائدي المقتدين للإيمان بالقيم والمبادئ الإسلامية النبيلة، ذلك أن النفس الإنسانية تعترتها العديد من التغيرات أثناء حالتها النصر والهزيمة.

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٤٤.

(٢) ينظر: صحيح البخاري - كتاب فضائل الصحابة - باب قول النبي **ﷺ** لو كنت متخذ خليلاً: ٣/١٣٤١ رقم (٣٤٦٧)، العواصم من القواسم - أبو بكر بن العربي - تحقيق: محب الدين الخطيب - طبعة المكتبة العلمية - بيروت: ٣٧ - ٤٣.

(٣) يراجع: تاريخ الأمم والملوك: ٢/٣٥٦، البدايية والنهالاية - أبو الفدا إسماعيل بن كثير - طبعة مكتبة المعارف - بيروت: ١٨/٧، قادة فتح العراق والجزيرة - محمود شيث خطاب - ط: ٢ - دار الفكر - بيروت: ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٦.

(٤) يراجع: تاريخ الأمم والملوك: ٢/٣٥٦، البدايية والنهالاية: ١٩/٧، فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب: ٤١٨ - ٤٢٨.

ففي حالة النصر تصاب النفس بالغرور والطيش والتهور مما يوقعها في العديد من التصرفات للأخلاقية، ويفقدها أخذ الحيطة والحذر والتمسك بالأخلاق النبيلة الأمر الذي ينشأ عنه العديد من المفاصد والشرور التي تصيب المنهزم والمنتصر على حد سواء ، وأما في حالة الهزيمة فإن النفس تصاب بانهايار عصبي يفقدها الصمود أمام المواقف الأخرى، الأمر الذي يؤثر سلباً على نفسيات المرؤوسين وأدائهم^(١).

١١ - الشجاعة:

وتعني امتلاك الجرأة والإقدام أمام العدو، وهي فضيلة متوسطة بين رذيلتي الجبن والتهور، وهي "صفة محببة إلى الإنسان تهوي إلى صاحبها النفوس وتلتف حوله القلوب. وتؤهله شجاعته لقيادة المحبين ورئاسة المعجبين.

والشجاع محترم من خصومه مهاب من أعدائه يخافه الظالمون ويتردد في منازلته المعتدون ويعتز به المشايعون ويستنصره المظلومون.

والشجاعة ثمرة الإيمان الصادق حيث لا مبرر للخوف من الموت عند المؤمن ما دامت الأعمار محتومة ولا مبرر للخوف من نقص الأرزاق ما دامت الأرزاق مقسومة"^(٢).

"والشجاعة ضرورية للقائد، وهي بمدلولها الواسع الثبات في المحنة والاستمرار في الجهد، ورباطة الجأش حيال الخطر، وليست الشجاعة في عدم الشعور بالخوف بل الشجاعة في التغلب عليه والتغلب على الخوف هو أول نصر يتعين على القائد إحرازه من أجله هو، ومن أجل رجاله، ومن أجل وطنه"^(٣)

والشجاعة في التصور الإسلامي تقوم على عاملين اثنين: أولهما: التغلب على شعور الخوف من الموت بالإيمان أن الأعمار بيد الله تعالى، وأن كل نفس لها أجلٌ محددٌ لن تتأخر عنه ولن تتقدم بدليل قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا }^(٤) أما العامل الثاني: فهو التغلب على الشعور بالخوف من الفقر، بالإيمان أيضاً أن الرزق بيد الله تعالى وأنه مكتوب، وأن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها المحدد قال تعالى: { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا }^(٥).

والتغلب على الشعور بالخوف يتحقق بالإيمان بالله U ، والتوكل الصادق عليه سبحانه وتعالى، والإيمان العميق بقضائه وقدره قال تعالى: { قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ }^(٦) وقال ٣ في الحديث الذي يرويه ابن عباس رضي الله عنهما (وأعلم أن الأمة لو اجتمعوا

(١) ينظر: الرسول القائد: ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية: ١٩٧-٢٧٥ ، العسكرية الإسلامية وقادتها العظام: ١٠٠.

(٢) أزمة القيادة وعلاجها في واقعنا الإسلامي المعاصر: ٥١.

(٣) بين العقيدة والقيادة: ٩٢.

(٤) سورة آل عمران: الآية: ١٤٥.

(٥) سورة هود: الآية: ٦.

(٦) سورة التوبة: الآية: ٥١.

على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتب الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتب الله عليكم رفعت الأقلام وجفت الصحف (١).

وتنقسم الشجاعة إلى نوعين:

الأول: الشجاعة المادية:

وتتمثل في الشجاعة القتالية التي تظهر بالثبات في وجه العدو عند اشتداد الحروب، وهو أمر أكد عليه العلماء ومن ذلك قول ابن حجر الهيتمي (٢) رحمه الله: "ولا ينبغي أن يولي الإمام الغزو إلا ثقة في دينه، شجاعاً في بدنه، يثبت عند الهرب، ويتقدم عند الطلب" (٣)، كما حذروا من خطورة فقدانها في القائد كما في قول ابن الأزرق: "رئيس العسكر أن لم يكن شجاعاً مدبراً كان على من معه آفة، ولمن ليس معه عوناً" (٤).
ولذلك قالوا: إن الرجال في الشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أصناف: أحدهم: إذا التقى الجمعان، وتقابل الفريقان، وبرز إلى المعترك أخذ يحمل ويكر وينادي: هل من مبارز؟ أما الثاني: فإنه إذا اشتبك الجمعان واختلط الفريقان بحيث لا يدري أحد من أين يأتيه الموت يكون رابط الجأش ساكن القلب مستقر النفس غير مندهش ولا محتار، وأما الثالث: فإنه إذا انهزم أصحابه، وتفرق أحبابه، رجع ضارباً في وجه عدوه، مقوياً لمن انهزم من أصحابه، وهذا أكثرهم شجاعة (٥). وهو ما صنعه النبي ﷺ يوم حنين حين فر عنه أصحابه وتفرقوا في الوادي بينما ثبت هو ﷺ في مكانه ثبات الجبال الرواسي يواجه العدو ويعمل على جمع أصحابه وللملحة صفوفهم من جديد، يناديهم إلي.. إلي (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب) (٦)، والمواقف الدالة على شجاعته ﷺ في القتال كثيرة لا تحصى (٧).

يقول القاضي عياض رحمه الله: "وكان ﷺ منهما (أي: الشجاعة والنجدة) بالمكان الذي لا يجهل؛ قد حضر المواقف الصعبة، وفر الكماة والأبطال عنه غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة، وحفظت عنه جوله، سواه" (٨).

(١) سبق تخريجه: ص ٤٣.

(٢) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، أحد العلماء الأعلام، له العديد من المصنفات، توفي بمكة سنة ٩٧٤هـ. ينظر: طبقات الحفاظ للسيوطي: ٥٤٥/١، الأعلام للزركلي: ٢٣٤/١.

(٣) تحفة المحتاج بشرح المنهاج - أحمد بن حجر الهيتمي - طبعة مطابع أصح المطابع - بومباي - الهند: ٢٣٧/٩.

(٤) ينظر: بدائع السلك في طبائع الملك:

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٤٣٠/١.

(٦) ينظر: صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب قول الله تعالى ويوم حنين: ٤/١٥٦٨ رقم (٤٠٦١)، صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب في غزوة حنين: ٣/١٤٠٠ رقم (١٧٧٦). والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٢/٢٥٩ رقم (١١٦٣).

(٧) يراجع: الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٨٠/١، الرسول القائد: ٣٠٢، داسة تحليلية لشخصية الرسول ﷺ: ٩٠:٣ - ٩٣.

(٨) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٧٩.

وقد كان خالد بن الوليد **y** يمثل قمةً شامخةً في الشجاعة والإقدام والثبات ورباطة الجأش متحلياً بهذه الصفة في أبرز صورها: "في مسيرة الاقتراب كان دائماً أمام الجيش يقود مقدمته، وفي الهجوم كان هو الذي يبادر إلى مبارزة قائد العدو ومهاجمته حتى يتم القضاء عليه، وفي الانسحاب كان خالد **t** يقود مؤخرة الجيش ثم يبقى مع الساقة ولا ينسحب إلا بعد انسحاب رجال الساقة، وبعد أن يتأكد أن جيشه كله أصبح في أمان"^(١). ويظهر دليل شجاعته في آثار الجروح التي بقيت على جسمه والتي يحدث عنها بقوله: "لقد حضرت مائة زحف، أو زهاءها، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء"^(٢)، فأين هي قيادات اليوم من هذه المواقف وما هي الأدلة التي يمكن أن تدلل بها على ثباتها في المواقف وشجاعتها في مواجهة الأعداء.

الثاني: الشجاعة الأدبية:

وتعني الجرأة على قول الحق في وجود من يخشى منه قول الحق من الظلمة والطواغيت ، قال تعالى: { وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا }^(٣). إن من يتصدى لمسألة القيادة يجب أن يكون محباً للحق مؤمناً به داعياً إليه، كارهاً للباطل مجتنباً له منكرًا على الواقعين فيه محارباً لهم، وكل ذلك يتطلب جرأة على قول الحق وإنكار الباطل وتحمل كل ما قد ينتج عن ذلك من إيذاء قد يشمل السجن والتعذيب والنفي والإبعاد بل قد يصل إلى حد القتل، ولذلك عد النبي **ﷺ** الجرأة في قول الحق أعلى مراتب الجهاد في قوله **ﷺ** في الحديث الذي يرويه أبو سعيد الخدري **t**: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)^(٤).

والجرأة في الحق على ثلاث مراتب: باليد للقوي والحاكم وكل صاحب سلطان في حدود مسؤولياته، وإلا فباللسان عن طريق النصح والتوجيه والإرشاد والتحذير والتهديد، وأخيراً باستتكار القلب أضعف الإيمان، المهم أن لا ترتاح النفس للظلم أو تعتاد مشاهدته وتقف سلبية من دون استتكار، لأن في عدم استتكار الظلم تمكين للظالمين، وضياع للحقوق، ونشر الفوضى والفساد، وسيادة لشريعة الغاب^(٥). قال تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }^(٦). وقال **ﷺ** في الحديث الذي يرويه أبو سعيد الخدري **t**: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع

(١) القيادة العسكرية في عهد الرسول ٣: ٦٠١.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ٢/٤٣٠.

(٣) سورة الإسراء: الآية: ٨١.

(٤) سنن أبو داود- كتاب الملاحم- باب الأمر والنهي: ٤/١٢٤ رقم (٤٣٤٤) ، سنن الترمذي- كتاب الفتن- باب جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر: ٤/٤٧١ رقم (٢١٧٤). وقال الترمذي: "حديث حسن غريب من هذا الوجه".

(٥) ينظر: أزمة القيادة في واقعنا الإسلامي المعاصر: ٥٥ ، ٥٦.

(٦) سورة الأنفال: الآية: ٢٥.

فلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان^(١). وقال ٣ في الحديث الذي يرويه حذيفة t: (والذي نفسي بيده لأمرن بالمعروف ولشهورن عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونهم فلا يستجاب لكم)^(٢)، ولاشك أن القيادات مطالبة أكثر من غيرها بالجرأة في قول الحق، لما تتحمل من مسؤولية وتملك من قدرة وقوة وسلطان.

وقد تحدث القرآن الكريم عن شجاعة إبراهيم u وجرأته في قول الحق من خلال مناقشته لقومه بعد تكسيره الأصنام، والاستعداد الذي أبداه لتقديم روحه ثمناً لتمسكه بهذا الحق ودعوته إليه وإنكاره للمنكر ومحاربتة له، كما تظهر جراته في جداله مع النمرود وإفحامه له، وكذلك الأمر بالنسبة لموسى u الذي امتلك من الشجاعة والجرأة ما واجه به فرعون الذي كان مدعياً للربوبية سفاكاً للدماء مفسداً في الأرض، وكاد أن يدفع حياته ثمناً لشجاعته وجرأته.

وأما محمد ٣ فقد كانت شجاعته وجرأته في قول الحق ولا زالت مضرب الأمثال والمواقف الدالة على ذلك كثيرة لا تحصى، ومن ذلك أن زعماء قريش جاؤوا يوماً إلى أبي طالب عم النبي ٣ يشكون إليه تصرفات ابن أخيه في تسفيه أحلامهم وشم آلهتهم ويهددون باتخاذ موقف حاسم ضده ٣، فتحدث أبو طالب مع النبي ٣ طالباً منه عدم استنارتهم حرصاً على سلامته، فما كان من النبي ٣ إلا أن قال قولته المشهورة التي صارت نبراساً لكل ثابت على الحق تائر في وجه الباطل عبر الأزمان (والله يا عمر لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه)^(٣).

لقد أطلق ٣ قولته هذه وهو يدرك تمام الإدراك ما يمكن أن يتعرض له نتيجة التزامه بالحق وجرأته في الدعوة إليه، ولذلك صبر على كل أنواع السخرية والاستهزاء والإيذاء التي تعرض لها، فلم يخفه تهديد أو وعيد، ولم يثته إلقاء الشوك في طريقه أو وضع سلا الجزور على ظهره، ولم يرهبه حصار الشعب أو محاولة اغتياله، لم يأبه ٣ بكل ذلك وغيره مما لاقاه من الأذى والعذاب، لأنه رفع شعار: " إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي "^(٤).

وعلى مدى التاريخ اشتهرت القيادات الفاعلة بالشجاعة والجرأة في قول الحق مهما كلفها ذلك من تضحيات. كما هو الحال بالنسبة للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله الذي رفض القول بخلق القرآن فأودع السجن

(١) صحيح مسلم- كتاب الإيمان- باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان: ١/٦٩ رقم (٤٩).

(٢) سنن الترمذي- كتاب الفتن- باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٤/٤٦٨ رقم (٢١٦٩) وقال: "حديث حسن".

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ١٠١/٢.

(٤) المصدر نفسه: ٢٦٨/٢.

وتعرض لأنواع التعذيب دون أن يثنيه ذلك عن موقفه، وذلك في عهد الخليفة العباسي المأمون^(١) الذي كان يقول بخلق القرآن^(٢).

ويلحق بالشجاعة الكرم إذ هما صفتان متلازمتان فلا يمكن لبخيل أن يكون شجاعاً لأن الحريص على المال حريص على النفس من باب أولى، ولا يمكن لجبان أن يكون كريماً إلا حين يتعلق الأمر بإخفاء جبنه وستر عيوبه ونقائصه.

وقد ربط القرآن الكريم بين هاتين الصفتين في العديد من الآيات منها قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ }^(٣). وقوله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ }^(٤).

هذه أهم المعايير التي يرى الباحث ضرورة توفرها في الشخصيات المرشحة للقيادة في أي مستوى من مستوياتها، وهي معايير تم الاستناد فيها إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال السلف الصالح رضوان الله عليهم، كما تم استنباطها من حياة الأنبياء عليهم السلام الذي يمثلون القيادة الحقيقية للبشرية، والمعايير التي اتبعها النبي ٣ عند اختياره للقيادات والولاة والسفراء.

وقبل الانتهاء من الحديث عن المعايير القيادية لا بد من الإشارة إلى مسألتين مهمتين:

١- مراعاة فقه الواقع عند اختيار القيادات:

وذلك بالتركيز على المعايير التي يحتاج إليها العمل أو المهمة والبحث من النوعيات القيادية التي يتطلبها الظرف أو المرحلة التي تمر بها الأمة.

قال الماوردي: "ولو كان أحدهما أعلم والآخر أشجع روعي في الاختيار ما يوجبه حكم الوقت، فإن كانت الحاجة إلى فضل الشجاعة أدعى لانتشار الثغور وظهور البغاة كان الأشجع أحق، وإن كانت الحاجة إلى فضل العلم أدعى لسكون الدهماء وظهور أهل البدع كان الأعم أحق"^(٥).

وقال ابن تيمية: "فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة، قدم أنفعهما لتلك الولاية، وأقلهما ضرراً فيها، فيقدم في إمارة الحروب الرجل القوي الشجاع- وأن كان فيه فجور- على الرجل الضعيف العاجز وإن كان أميناً"^(٦).

(١) أبو العباس عبد الله بن الرشيد الخليفة العباسي قرأ العلم في صغره وبرع في الفقه والعربية والتاريخ، ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم الأوائل الأمر الذي جره إلى القول بخلق القرآن الكريم التي امتحن فيها كثير من العلماء من أبرزهم الإمام أحمد بن حنبل، توفي سنة ٢١٨ هـ. ينظر: تاريخ الخلفاء: ٣٥١-٣٥٥.

(٢) يراجع: المصدر نفسه: ٣٥٢-٣٥٤.

(٣) سورة التوبة: الآية: ١١١.

(٤) سورة الحجرات: الآية: ١٥.

(٥) الأحكام السلطانية للماوردي : ٩.

(٦) السياسة الشرعية : ٢٢.



ومن هذا المنطلق ولى النبي ﷺ عمرو بن العاص t القيادة في غزوة ذات السلاسل، وولى أسامة بن زيد t قيادة الجيش المتجه لغزو الروم في آخر أيامه ﷺ، وفي كلا الحالتين ضم الجيش الإسلامي كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وغيرهم y وهؤلاء بلاشك أفضل من عمرو بن العاص وأسامة بن زيد رضي الله عنهما ، وبذلك استدل أهل السنة على جواز تأمير المفضول على الفاضل إذا توفرت فيه الشروط اللازمة وكان في توليته تحقق المصلحة^(١).

وقد خطب معاوية t بعد توليه الخلافة فقال: "أيها الناس ما أنا بخيركم، وإن منكم لمن هو خير مني، عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وغيرهما من الأفاضل، ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولاية، وأنكأكم في عدو وأدركم حلياً"^(٢).

٢- عدم اعتبار النسب القرشي إذا لم يقترن بالكفاءة :

اختلف العلماء في مسألة النسب حيث ذهب الجمهور إلى اشتراط النسب القرشي في الإمام أو الخليفة مستدلين بالأحاديث المرفوعة إلى النبي ﷺ التي تنص على أن: (الأئمة من قریش) ^(٣). وكذا إجماع الصحابة y على ذلك في يوم السقيفة بمبايعة الصديق t بالخلافة^(٤).

وذهب آخرون إلى عدم اشتراط النسب القرشي في الخليفة مستدلين بقول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه أنس بن مالك t: (سمعوا وأطيعوا وإن اسعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبه) ^(٥). وقول عمر t : " لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لوليته، أو لما دخلته فيه الظنه "^(٦)، وهناك أدلة أخرى للفريقين ومناقشات أعرض الباحث عنها خشية الإطالة^(٧).

والذي يذهب إليه الباحث أن اشتراط النسب القرشي في القيادات إنما هو شرط تفضيل يمكن الأخذ به كمرجح بين المرشحين للقيادة عند استيفائهم للشروط الرئيسة والمعايير الأساسية وذلك توفيقاً بين الآراء وإعمالاً للأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك ومنها قوله ﷺ في الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (لا يزال هذا الأمر في قریش ما بقي منهم إثنان) ^(٨)، وقوله ﷺ في الحديث

(١) يراجع: الأحكام السلطانية للماوردي : ١٠ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل: ١٢٦/٤، فتح الباري: ٧٤/٨ ، ٧٥.

(٢) البدالية والنهالية: ١٣٤ / ٨.

(٣) مسند أحمد: ١٢٩/٣ رقم (١٢٣٢٩) قال المنذري: "رواه أحمد باسناد جيد واللفظ له وأبو يعلى والطبراني. الترغيب والترهيب: ١١٩/٣ رقم (٣٣١٤).

(٤) ينظر: الأحكام السلطانية للماوردي: ٨، مقدمة ابن خلدون: ١٣٢-١٣٣، الانشراح ورفع الضيق بسيرة الصديق: ١٢٣-١٣٢.

(٥) صحيح البخاري - كتاب الأحكام - باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية : ٢٦١٢/٦ رقم (٦٧٢٣).

(٦) مسند أحمد : ٢١٢/١ رقم (١٢٩) .

(٧) يراجع: الأحكام السلطانية للماوردي : ٨ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل : ٧٤/٤ ، مقدمة ابن خلدون: ١٣٢-١٣٤.

(٨) صحيح البخاري - كتاب الأحكام - باب الأمراء من قریش : ٢٦١٢/٦ رقم (٦٧٢١)، صحيح مسلم- كتاب الإمارة- باب الناس تبع لقریش والخلافة في قریش: ١٤٥٢/٣ رقم (١٨٢٠) والحديث منقو عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٢ / ٢٨٠ رقم (١١٩٤).

الذي يرويه أبو هريرة **t**: (إن هذا الأمر في قریش لا يعاديهما أحد إلا أكبهما الله على وجهه ما أقاموا الدين)^(١)،
وقوله **٣**: (الناس تبع لقریش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم)^(٢).

أما إذا لم تتوفر في القرشي شروط القيادة، فلا يجوز ترشيحه للقيادة أصلاً ولا يجوز أن يفاضل بينه وبين غيره ممن توفرت فيه معايير اختيار القيادات، ويؤيد ذلك ما ذهب إليه كثير من العلماء من أن اشتراط القرشية لم يكن لذاتها بل لما كانت تتمتع به من القوة والمنعة والمكانة بين العرب^(٣).

(١) صحيح البخاري - كتاب الأحكام - باب الأمراء من قریش: ٢٦١١/٦ رقم (٦٧٢٠).

(٢) المصدر نفسه - كتاب المناقب - باب قول الله تعالى "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى": ١٢٨٨/٣ رقم (٣٣٠٥)، صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب الناس تبع لقریش: ١٤٥١/٣ رقم (١٨١٨) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٢/ ٢٨٠ رقم (١١٩٣).

(٣) ينظر: مقدمة ابن خلدون: ١٣٢ - ١٣٤، النظام السياسي في الإسلام: ١٩٣ - ١٩٧.



المطلب الثاني طرق الوصول إلى القيادة

سبق الحديث عن بناء وإعداد القيادات وأن الهدف من ذلك يتمثل في تأهيلها لقيادة الأمة وتحمل مسؤولياتها، كما تم تحديد أبرز المعايير الواجب اعتمادها عند اختيار القيادات، وهناك تساؤل مشروع عن كيفية التعرف على أهل الخبرة والكفاءة؟ والكيفية التي يمكن بها تحديد الرجل المناسب للمكان المناسب؟ ثم الطرق التي يتم من خلالها وصول الرجل المناسب إلى الموقع القيادي الذي يتناسب مع قدراته وإمكاناته؟ دون أن يكون موقع القيادة حلبة للصراع أو مجالاً للتنافس اللامشروع.

ويمكن الإجابة على هذه التساؤلات من خلال الحديث عن طبيعة المجتمع الإسلامي وموقفه من مسألة القيادة وكيفية تعامله مع ذوي القدرات والكفاءات، ذلك أن المجتمع الإسلامي مجتمعٌ واعٍ مدرك لأهمية القيادة وخطورتها ويعرف ما تعنيه القيادة من أمانة ومسؤولية ولذلك ينفر أفراد من القيادة بطبيعتهم؛ ليس هروباً من تحمل المسؤولية وإنما خوفاً من ثقل الأمانة وخشية من التقصير في واجبات القيادة، فهي عند المؤمنين الملتمزمين ليست مغنماً يتسابقون إليه كما يصنع غيرهم، وإنما هي مغرم يتدافعونه، كما أن المجتمع الإسلامي مجتمع متحرك لا مجال فيه للخمول أو الركود أو الكسل، وهو بالإضافة إلى ذلك مجتمع متواصل يعرف إمكانات أفرادهم وقدراتهم فيضع كل واحد منهم في الموقع المناسب لقدراته وإمكاناته. (١)

إن " وضع الرجل المناسب في المكان المناسب هو اختصار لإرهاصات وتناقضات ومتاعب مستقبلية وذلك بتوظيف قدرات الإنسان في المكان المناسب، وإن انسحاب الكثير من القيادات من أعمالهم هو بسبب تكبيهم عن أداء ما يحسنون إلى عمل ما يكرهون فهنا تفقد الطاقة العزيمة المشعلة للعمل" (٢).

ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب يتطلب معرفة دقيقة بالأفراد وقدراتهم وإمكاناتهم وأساليب حياتهم وطرق تعاملهم، ولذلك كان النبي ﷺ يعرف أصحابه معرفة دقيقة مفصلة، وكان يعرف ما يتميز به كل صحابي من قدرات وإمكانات فيشيد بها وينميها ويسخرها في خدمة المجتمع الإسلامي، وكان في نفس الوقت يدرك ما يعاني كل صحابي من جوانب النقص والقصور فيتغاضى عنها ويعمل على تقويمها ومعالجتها بالحكمة والموعظة والتربية والتهديب، وبذلك كان النبي ﷺ يبني الإنسان ولا يحطمه، ويقوم المعوج ولا يكسره، ويشيد بنيان الحاضر والمستقبل لا الحاضر فقط (٣).

يقول اللواء الركن محمود شيث خطاب رحمه الله: " ولعل أبرز صفاته عليه الصلاة والسلام قابليته الفذة على استعمال الرجل المناسب للعمل المناسب، لذلك استطاع بكل كفاية (بناء الرجل) فلما التحق بالرفيق الأعلى كان لدى المسلمين قادة وحكام وقضاة وإداريون وكتاب وشعراء ورجال سياسة... (٤).

(١) ينظر: القيادة المؤمنة : ٣٢.

(٢) صناعة القائد: ١٦٩.

(٣) ينظر: السفارات النبوية: ٣١٠ - ٣٢٠.

(٤) بين العقيدة والقيادة: ٥١٨.

إن المنهج القرآني وهو يؤكد على أهمية وضع الرجل المناسب في المكان المناسب يؤكد في الوقت ذاته على عموم القيادة وشمولها لجميع مجالات الحياة وأن بإمكان كل فرد من أفراد الأمة أن يكون قائداً في مجال تخصصه وأن يصل إلى أرفع المواقع القيادية متى توفرت لديه القدرة والكفاءة، كما يؤكد على أن الأمة هي صاحبة الحق في اختيار قياداتها ونصحها وتوجيهها ومحاسبتها وعزلها إن هي قصرت في أداء مهامها أو القيام بواجباتها على الوجه المطلوب، وهو ما يبدو جلياً في النصوص الشرعية وأقوال العلماء والتطبيقات العملية لهذا المبدأ في حياة النبي ﷺ وصحابته الكرام y وإلى ذلك يشير قوله ﷺ: (إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم) ^(١) وقوله ﷺ: (لا يجزئ ثلاثة نفر يكتفون بأرض فلاة إلا أمروا عليهم أحدهم) ^(٢). فالحديثين الشريفين جعلاً من الأمة مسؤولة عن تولية قياداتها وطالبا كل فرد بالعمل لتحقيق ذلك.

وتتحكم في كيفية الوصول إلى القيادة في المنهج الإسلامي قاعدتان أساسيتان:

الأولى: مدى توفر المعايير القيادية في الشخصية المرشحة للقيادة والتي ترجع في عمومها إلى الالتزام الديني والأخلاقي وتوفر الخبرة والكفاءة.

الثانية: الشورى واعتبار رأي الأمة تحقيقاً لقوله تعالى: { وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ } ^(٣).

فالمنهج الإسلامي في اختيار القيادات قائم على مبدأ الشورى واعتبار رأي الأمة لا على الملكية الجبرية أو القهر والتسلط، بغض النظر عن الأسلوب أو الطريقة التي يتم بواسطتها اختيار القيادات ^(٤).

ولعل الوصول إلى القيادة لا يخرج عن إحدى الطرق الثلاث الآتية:

أولاً: طريقة الاختيار والبيعة:

يقوم مفهوم هذه الطريقة على أن الأمة هي صاحبة الحق في اختيار قياداتها من بين الشخصيات التي تنطبق عليها شروط القيادة، وبأي وسيلة من الوسائل المشروعة القائمة على مبدأ الشورى واعتبار رأي الأمة سواءً تم ذلك عبر الانتخاب المباشر أم عبر وسيلة أخرى تؤدي إلى اختيار القيادات دون ضغط أو إكراه، وهذا ما يتماشى مع روح الإسلام ومقاصد الشريعة ويترجم تعاليم المنهج القرآني.

وقد طبق النبي ﷺ هذه الطريقة في بيعة العقبة الثانية حيث طلب من الأنصار أن يخرجوا منهم اثني عشر نقيباً كفلاء على قومهم، فاخترتهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، وكان بإمكانه ﷺ وهو المؤيد بالوحي أن يعينهم تعييناً ^(٥).

والمتتبع لمسيرة التاريخ الإسلامي يجد أن اختيار القيادات العليا في المجتمع الإسلامي ولاسيما في

صدر الإسلام كان يتم عبر مرحلتين:

(١) سبق تخريجه: ص ٢٨ .

(٢) سبق تخريجه: ص ٢٨ .

(٣) سورة الشورى: الآية: ٣٨.

(٤) ينظر: النظريات السياسية الإسلامية - د. محمد ضياء الدين الرئيس - ط: ٢ مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة: ٣٢ - ٣٣.

(٥) ينظر: التربية القيادية: ١١٧ - ١٢٢ ، السيرة النبوية لأبي فارس: ٢٤١ - ٢٤٢.

المرحلة الأولى: مرحلة الترشيح حيث يقوم أهل الحل والعقد أو بعضهم باختيار شخص ما وترشيحه للأمة لتبدي رأيها فيه، وهو ما يطلق عليه البيعة الخاصة.

المرحلة الثانية: وهي التي يلتقي فيها المرشح للقيادة بعموم الأمة في المسجد وهي أشبه ما تكون بالاستفتاء العام حيث يعرض المرشح برنامجه في خطبة يلقيها وتقرر الأمة بعد ذلك موافقتها على اختياره أو رفضها له، وهو ما يعرف بالبيعة العامة^(١).

والبيعة تعني إعطاء العهد من المبايع على السمع والطاعة للقيادة في المنشط والمكروه، والعسر واليسر، وعدم منازعتها الأمر أو الخروج عليها إلا في حالة الكفر البواح، وهو ما دل عليه حيث عبادة بن الصامت **t** الذي يقول فيه: (عانا النبي **ﷺ** فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعناه على السمع والطاعة في منشطنا ومكرونا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كراً أبواً عندكم من الله فيه برهان)^(٢). قال ابن خلدون: "إعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة، كأن المبايع لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكروه، وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعهد"^(٣).

والبيعة في حقيقتها عقد وميثاق بين القيادة وبين الأمة، فالقيادة تبايع على الحكم بالكتاب والسنة، والالتزام التام بالإسلام عقيدة وشريعة ونظام وحياة، والأمة تبايع على الخضوع والسمع والطاعة للقيادة في حدود الشريعة.

وقد كانت الأمة في عهد الخلفاء الراشدين هي صاحبة الحق في اختيار قياداتها العليا وسارت في ذلك وفق المراحل التي مر ذكرها، فبعد وفاة النبي **ﷺ** اجتمع الأنصار **y** في سقيفة بني ساعدة وأخذوا يتشاورون في أمر الخلافة واختيار خليفة للنبي **ﷺ** ولما سمع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة **y** بخبر الاجتماع أسرعوا إلى السقيفة وانضموا إلى الأنصار في اجتماعهم، وبعد مناقشات ومشاورات عديدة تحدث فيها أبو بكر وعمر وجماعة من الأنصار **y** اقتنع الأنصار بأحقية المهاجرين بالخلافة، وهنا رشح أبو بكر **t** عمر وأبا عبيدة **y** للخلافة وطلب من الحاضرين مبايعة أحدهما، وهو ما كرهه عمر **t** فسارع إلى ترشيح أبي بكر **t** معدداً أبرز فضائله طالباً من الحاضرين مبايعته وكان هو أول من بايع للصديق **t** وتبعه المسلمون في ذلك مقتنعين بأحقية الصديق **t** بالخلافة^(٤).

(١) ينظر: النظام السياسي في الإسلام: ٢٨، ٢٢٩.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الفتن - باب قول النبي **ﷺ**: سترون بعدي أموراً تتكرونها: ٦/٦٥٨٨ رقم (٦٦٤٧)، صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب وجوب طاعة الأمراء بغير معصية وتحريمها في المعصية: ٣/١٤٧٠ رقم (١٧٠٩) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٢٨٩/٢ رقم (١٢٠٧).

(٣) مقدمة ابن خلدون: ١٤٣.

(٤) يراجع: صحيح البخاري - كتاب فضائل الصحابة - باب قول النبي لو كنت متخذاً خليلاً: ٣/١٣٤١ رقم (٣٤٦٧)، الانشراح ورفع الضيق بسيرة الصديق: ١٢٣ - ١٢٦.

وقد علق عمر **t** فيما بعد على ترشيح الصديق **t** له بقوله: (فلم أكره مما قال غيرها كان والله أن أقدم ففض بعتني لا يقربني عن ذلك إثم أحب إلي من أن أتأس على قوم فيهم أبو بكر^(١)).

وما تم من بيعة الناس لأبي بكر **t** في السقيفة إنما يمثل المرحلة الأولى من مراحل اختيار القيادة العليا للمجتمع الإسلامي بعد وفاة النبي **r** وهي مرحلة الترشيح والبيعة الخاصة، أما البيعة العامة فقد تمت في المسجد في استفتاء عام حضرته عموم الأمة، وفيه عرض الصديق **t** برنامجه العام ورد الأمر إلى الأمة في اختيار قيادتها عن رضا واقتناع، فأعلنت الأمة تمسكها به، وموافقها عليه، ومبايعتها له^(٢).

وبهذه البيعة العامة التي تمت في المسجد والتي شارك فيها جمهور الصحابة **y** تولي أبو بكر **t** القيادة وصار خليفة للمسلمين، ولو قدر أن جماهير الأمة لم تبايعه في المسجد أوبايعه عمر **t** وطائفة فقط وامتنع الباقيون لم يصر بذلك خليفة ولم تكتسب قيادته شرعيتها^(٣).

وفي خلافة عمر **t** كانت الأمة هي صاحبة الحق أيضاً في اختيار قيادتها العليا، فلو لم تبايع الأمة بعموم أفرادها لعمر بن الخطاب وتنفذ عهد أبي بكر **t** باستخلافه لم تكتسب قيادته شرعيتها ولم يصبح أميراً للمؤمنين.

واختيار عمر **t** للخلافة رغم أنه تم بطريقة الاستخلاف والعهد إلا أنه قام على الشورى واعتبار رأي الأمة ابتداءً وعلى بيعتها له وإقرارها عهد أبي بكر له انتهاءً، فقد استشار أبو بكر **t** كبار الصحابة في أمر عمر فانفق رأي جمهورهم عليه فكتب له بعد ذلك كتاب العهد والاستخلاف وبذلك تمت مرحلة الترشيح والتزكية من قبل أهل الحل والعقد وبقيت مرحلة الاستفتاء والبيعة العامة وهي التي تمت عند قراءة العهد على المسلمين، وبذلك اكتسبت قيادة عمر **t** شرعيتها وصار أميراً للمؤمنين^(٤).

قال ابن تيمية رحمه الله: "وأما عمر فإن أبا بكر عهد إليه وبايعه المسلمون بعد موت أبي بكر، فصار إماماً لما حصلت له القدرة والسلطان بمبايعتهم"^(٥).

وعمر **t** كأبي بكر **t** يقرر بصراحة وعلى رؤوس الأشهاد أن الأمة هي صاحبة الحق في اختيار قيادتها بحرية واقتناع وأنه لا يحق لأحد أن يفرض عليها وصايتها فيسلبها هذا الحق أو يستبد به دونها كائناً من كان، فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما عن عبد الرحمن بن عوف **t** أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب **t** فقال: (إن فلاناً يقول: لو مات عمر بن الخطاب بايعت فلاناً فقال عمر: إني قاتم العشية إن شاء الله في الناس فمحدثهم

(١) صحيح البخاري - كتاب المحاربين - باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت: ٦/٢٥٠٣ رقم (٦٤٤٢).

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٧٧/٦، الإشراف ورفع الضيق بسيرة الصديق: ١٢٦، ١٢٧.

(٣) ينظر: منهاج السنة النبوية - أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - تحقيق د. محمد رشاد سالم - ط: ١ مؤسسة قرطبة ١/ ٥٢٩-٥٣١، النظام السياسي في الإسلام: ٢٢٩-٢٣٠.

(٤) يراجع: تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٢٨٤، الطبقات الكبرى: ٣/ ١٩٩، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٩٤، الإشراف ورفع الضيق بسيرة الصديق: ٤٢٠-٤٢٣.

(٥) منهاج السنة: ١/ ٥٣٢.

هوؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغضبوهم أمرهم، وخطب الناس فكان مما قال... فمن بايع أميراً من غير مشورة المسلمين فلا بيعت له ولا للذي بايعه تغرة أن يقتلا (١).

وكذلك الأمر بالنسبة لعثمان بن عفان t حيث روعي في اختياره تطبيق مبدأ الشورى واعتبار رأي الأمة وانعقدت خلافته بالبيعة العامة في المسجد والتي حضرها المهاجرين والأنصار وجمهور الصحابة وأمراء الأقاليم والأجناد الذين شهدوا الحج في ذلك العام مع عمر t، فقد رشح عمر t للخلافة من بعده ستة من الصحابة الكرام الذين تتوفر فيهم شروط الخلافة والذين توفى رسول الله r وهو عنهم راض، وحدد t طريقة الانتخاب ومدتها، والضمانات الكفيلة بإنجاحها (٢).

ولذلك نقل ابن تيمية عن الإمام أحمد رحمه الله أن الصحابة لم يجتمعوا على بيعة أحدٍ ما اجتمعوا على بيعة عثمان بن عفان t (٣).

وأما علي بن أبي طالب t فقد تردد إليه كبار الصحابة رضوان الله عليهم من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير y بعد استشهاد عثمان t وراحوا يلحون عليه في قبول الخلافة ويؤكدون على أحقيته بها وكفائه لها وكان t يرفض ذلك ويعلن رضاه بمن تختاره الأمة، ثم وافق على قبول الخلافة تغليياً لمصلحة الأمة ونزولاً عند رغبة كبار الصحابة واشترط أن تتم بيعته في المسجد أمام جمهور المسلمين وهو ما تم فعلاً حيث اجتمع المسلمون في المسجد وصعد على t المنبر فخطب الناس ورد الأمر إليهم، فأعلنت الأمة تمسكها به وقام طلحة والزبير y فبايعاه وتبعهم بقية المسلمين (٤).

وعلي t كسابقيه من الخلفاء الراشدين يرى أن الأمة هي صاحبة الحق في اختيار حكامها وإسناد مسؤوليتها إلى من ترتضيه دون ضغط أو إكراه، ولذلك راح يقرر هذا المبدأ في أول خطبة له في المسجد عندما قال: "أيها الناس... إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم، وقد افترقنا بالأمس على أمر وكنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلا أن أكون عليكم... فإن شئتم قعدت لكم وإلا فلا أجد على أحد" (٥).

وهكذا نجد التجسيد الحي للشورى واعتبار رأي الأمة في اختيار قياداتها، حيث شاركت الأمة بمختلف فئاتها في اختيار الخلفاء الراشدين عبر ما يعرف بالبيعة العامة التي كانت تتم في المسجد بعد ترشيح الخليفة

(١) صحيح البخاري - كتاب المحاربين - باب رجم الحبلى من الزنا إذا احصنت: ٢٥٠٣/٦ رقم (٦٤٤٢).

(٢) يراجع: صحيح البخاري - كتاب الأحكام رقم (٧٢٠٧)، الطبقات الكبرى ٣/٣٣٨، أوليات الفاروق السياسية - د. غالب عبد الكافي القرشي - ط: ١ - المكتب الإسلامي بيروت: ١٢١-١٢٤، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان - د. علي محمد الصلاحي - ط: ١ - دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة: ٥٥ - ٧٠.

(٣) ينظر: منهاج السنة: ٣/١٥٤.

(٤) يراجع: الكامل في التاريخ - أبو الحسن علي بن الأثير الجزري - تحقيق: عبد الله القاضي - ط: ٢ - دار الكتب العلمية - بيروت: ٩٨/٣، ٩٩.

(٥) تأريخ الأمم والملوك: ٢/٧٠٠.



من أهل الحل والعقد في المجتمع الإسلامي، كما نجد حرص الخلفاء الراشدين على تقرير حق الأمة في اختيار هذه القيادات والتزامهم بذلك من خلال خطبهم ومواقفهم المختلفة.

واستناداً إلى ما سبق من النصوص والوقائع وغيرها قرر علماء الإسلام أن الأمة هي وحدها صاحبة الحق في اختيار حكامها، وأنه ليس لأحد أن يفرض عليها وصايتها ويسلبها هذا الحق كائناً من كان، إلا أن ممارسة الأمة لهذا الحق مرهون بمدى ما تمتلكه من وعي بحقوقها المختلفة وقدرة على المطالبة بها وانتزاعها وعدم السماح لأحد بالانتقاص منها أو الاعتداء عليها، وما لم تمتلك الوعي والقدرة فإنها لن تمارس حقاً ولن تختار حاكماً.

ثانياً: طريقة الاستخلاف والعهد:

هذه هي الطريقة الثانية للوصول إلى القيادة وفيها يقوم الخليفة أو القائد بترشيح من يخلفه في القيادة من أهل الخبرة والكفاءة الذين تتوفر فيهم كافة الشروط القيادية ويكتب له بذلك عهداً، إلا أن هذا العهد يظل ترشيحاً ولا يصبح نافذاً إلا بعد الموافقة عليه من قبل الأمة ومبايعتها لصاحبه.

ولاشك في مشروعية هذه الطريقة بهذا المعنى لدى معظم الفقهاء متى توافرت في المستخلف شروط القيادة وبإيعه عموم أفراد الأمة عن رضا واقتناع، وهو ما يمكن تطبيقه على خلافة الفاروق **t** فمع أنها تمت بطريقة الاستخلاف والعهد إلا أنها جسدت الشورى واعتبار رأي الأمة وطبقت فيها طريقة الاختيار والبيعة. (١) وفي ذلك يقول الماوردي رحمه الله: "وأما انعقاد الإمامة بعهد من قبله فهو مما وقع الإجماع على جوازه ووقع الاتفاق على صحته لأمرين عمل بهما المسلمون ولم يتناكروها".

أحدهما: أن أبا بكر عهد بها إلى عمر **t** فأثبت المسلمون إمامته بعهده.

الثاني: أن عمر **t** عهد بها إلى أهل الشورى فقبلت الجماعة دخولهم فيها وهم أعيان العصر" (٢).

فقد استدل الماوردي على صحة هذه الطريقة باستخلاف أبي بكر لعمر **y** واستخلاف عمر لأهل الشورى **y**، ومعلوم أن عمر **t** إنما صار أميراً للمؤمنين بموافقة المسلمين على إنفاذ عهد أبي بكر **t** ومبايعتهم له في المسجد، ولو أنهم لم يوافقوا على إنفاذ عهد أبي بكر ولم يبايعوه لما صحت خلافته واكتسبت قيادته شرعيتها وصار أميراً للمؤمنين، وكذلك الأمر بالنسبة لعثمان **t** الذي اكتسبت قيادته شرعيتها من اختيار المسلمين له عند استشارة عبد الرحمن بن عوف **t** لهم ومبايعه عموم المسلمين وأمراء الأمصار له في المسجد واجتماعهم على بيعته كما لم يجتمعوا على بيعة غيره.

وبطريقة العهد والاستخلاف تولى عمر بن عبد العزيز رحمه الله الخلافة أيضاً إلا أنه أعاد الأمر إلى الأمة وأحلها من بيعته وطلب منها أن تختار قيادتها بإرادتها دون ضغط أو إكراه، فاخترته وأعلنت تمسكها به

(١) المصدر السابق: ٤/ ٢٨٤، الطبقات الكبرى: ٣/ ١٩٩، تأريخ الخلفاء للسيوطي: ٩٣، ٩٤، الانشراح ورفع الضيق بسيرة الصديق: ٤٢٠-٤٢٣.

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي: ١١، ١٢.



وجددت البيعة له. وبذلك يكون قد جسد حقيقة الشورى ورد للأمة اعتبارها وحققها في اختيار حكامها^(١).
وقد اشترط علماء الفكر الإسلامي وفقهاء السياسة الشرعية عدة شروط لانعقاد ولاية العهد ومن أبرزها ما يأتي:

- ١- أن تتوفر في المعهود إليه كافة الشروط القيادية المطلوبة.
 - ٢- أن يقبل المعهود إليه العهد ويرضاه لأن العهد عقد بين طرفين فلا بد من موافقتهم.
 - ٣- أن يكون المعهود إليه حاضراً أو معلوم الإقامة، فلا يجوز العهد لمفقود أو مجهول الإقامة.
 - ٤- أن يكون المعهود إليه من غير الأصول أو الفروع فلا يصح أن يعهد الرجل لأبائه وأجداده أو أولاده وأحفاده، قياساً على الشهادة والحكم إذ لا تقبل شهادة الرجل لأصوله أو فروعهم كما لا يحكم الحاكم لنفسه ولا لأصوله أو فروعهم^(٢).
- ولاشك أن المتنبع للتأريخ الإسلامي يجد أن هذه الشروط قد توافرت في استخلاف أبي بكر لعمر t، واستخلاف عمر لأهل الشورى y، واستخلاف سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز رحمهما الله.

ومن الجدير بالذكر أن العلماء الذين أجازوا ولاية العهد للولد أو الوالد عند توفر شروط الإمامة فيهما رفضوا مبدأ الوراثة في الحكم وعدوه مخالفاً لمنهج الإسلام.

يقول ابن خلدون رحمه الله: "وأما أن يكون القصد بالعهد حفظ التراث على الأبناء فليس من المقاصد الدينية، إذ هو أمر من الله، يخص به من يشاء من عباده، ينبغي أن تحسن النية فيه ما أمكن خوفاً من العبث بالمناصب الدينية، والملك لله يؤتية من يشاء"^(٣).

وقد أكد هذا المعنى الإمام ابن حزم رحمه الله بقوله: "ولا خلاف بين أحد من أهل الإسلام في أنه لا يجوز التوارث فيها"^(٤). أي الإمامة.

إن الإسلام يرفض فكرة التوارث في الحكم ولا يقرها، ويأبى أن يجعل القيادة وراثية تنحصر في نسل معين أو أسرة محددة أو طائفة خاصة، وإن أكبر خلل وقع في تأريخ الأمة السياسي هو سلب إرادتها والاعتداء على حقها في اختيار قيادتها، الأمر الذي أدخل الأمة في حلبة الملك العضوض وحول القيادة إلى سلعة متوارثة بين مجموعة ممن لا يمتلكون أدنى مقومات القيادة وهو أمر لا تزال الأمة تتجرع مرارته عبر التأريخ وتدفع ضربيته إلى اليوم.

(١) ينظر: تأريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٥٦، ٢٥٧.

(٢) يراجع: الأحكام السلطانية للمواردي: ١١-١٣، الأحكام السلطانية للفراء: ٢٥، مقدمة ابن خلدون: ١٤٢.

(٣) مقدمة ابن خلدون: ١٤٣.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٤/١٢٩.

ثالثاً: طريقة القهر والغلبة:

بعد أن فقدت الأمة حقها في اختيار حكامها وتحولت القيادة بظهور بدعة التوارث في الحكم إلى سلعة يورثها الآباء للأبناء كما يورثونهم بقية السلع والأمتعة، سهل على الأمة أن تنتقل إلى مرحلة أكثر سقوطاً وانحداراً مرحلة تتميز بالقهر والاستبداد ومصادرة كل شيء ابتداءً من حق الأمة في الحرية واختيار الحكام ومراقبتهم فضلاً عن محاسبتهم وعزلهم مروراً بحقها في الحياة الطيبة والعيش الكريم وانتهاءً بحقها في الأمن والحياة، حيث لم يعد شيء من ذلك حقاً مشروعاً مكتسباً كفلته الأديان وناضل من أجله الإنسان وإنما تحول إلى منحة من الحاكم يهبها من يريد ويمنعها عن من يريد متى شاء وكيف شاء الأمر الذي أدى إلى تفكيك الأمة وإضعاف قوتها وإتاحة الفرصة لكل من يملك القوة والغلبة للاستيلاء على الحكم.

وقد ساهمت الأمة إلى حد كبير في صنع هذا الواقع وتكريسه حيث هتفت لكل ظالم مستبد، وشجعت كل صاحب قوة، ودعمت كل من يريد تغيير الأوضاع ويطمح للوصول إلى السلطة عن طريق القوة فوصل إلى الحكم في بلاد المسلمين مجموعة من المغامرين الذين ارتهن كثير منهم لأعداء الأمة فهبوا لهم الأوضاع وأمدوهم بالقوة وسلموهم زمام الأمور.

وقد بدأت الأمة تحكم بطريقة القهر والغلبة منذ عهد الدولتين الأموية والعباسية حيث كان يظهر بين فينة وأخرى من يمتلك القوة والغلبة وينادي بتنصيب نفسه خليفة للمسلمين ويكره الأمة على مبايعته.

ومع أن طريقة القهر والغلبة تتنافى مع الشورى وتصادر حق الأمة في اختيار حكامها إلا أن هناك من العلماء من ذهب إلى جواز انعقاد الإمامة بهذه الطريقة رغم ما يقتزن بها من قهر واستبداد، ومن هؤلاء الإمام أحمد بن حنبل الذي يقول: "ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين فدفع الصدقات إليه جائز براً كان أو فاجراً"⁽¹⁾.

وإلى ذلك يذهب ابن خلدون الذي يرى أن الملك على الحقيقة يكون لمن "يستعبد الرعية ويجبي الأموال ويبعث البعوث ويحمي الثغور، ولا تكون فوق يده يد قاهره، وهذا هو معنى الملك وحقيقته في المشهور"⁽²⁾، ولاشك أن ذلك يعني مصادرة حرية الأمة وسلب إرادتها وإلغاء حقها في اختيار قيادتها.

وهناك من العلماء من أجاز انعقاد الإمامة بهذه الطريقة عند الاضطرار إذا لم يكن للمسلمين إمام واختلفوا فيما بينهم، فيجوز لمن ملك القوة والغلبة وعرف من نفسه القدرة على سياسة الأمة أن يطلب هذا الأمر

(1) منهاج السنة لابن تيمية: ١/ ٥٢٩.

(2) مقدمة ابن خلدون: ١٢٩.

لنفسه وتدخل الأمة في طاعته إما طوعاً وإما كرهاً، إلا أنه متى هدأت الأوضاع ورضيت الأمة به صار واجب الطاعة واكتسبت قيادته شرعيتها^(١).

ومع أن العلماء الذين أجازوا هذه الطريقة أرادوا المحافظة على وحدة الأمة وتماسكها، وابعادها عن الفتن والافتتال على السلطة إلا أن أقوالهم هذه استغلت في تكريس الظلم والقهر والاستبداد، وتبرير الاقتتال ونشر الفتن بين المسلمين، ويمكن الإشارة إلى أبرز الانعكاسات السلبية لهذا الرأي وكذا أبرز النتائج السلبية لهذه الطريقة فيما يأتي:

- ١- أنه يمثل عدواناً على حق الأمة في الحرية واختيار قيادتها، ووسيلة لمسح شخصيتها وهويتها.
- ٢- أنه مدخل خطير لإلغاء الشروط والمؤهلات الواجب توفرها في الشخصية القيادية ما دام كل صاحب قوة بإمكانه الوصول إلى الحكم واكتساب شرعيته عن طريق القوة والغلبة بغض النظر عن مدى توفر الشروط القيادية فيه.
- ٣- أنه يفتح الباب على مصراعيه لانتشار الفتن في بلاد المسلمين، حيث تحاك المؤامرات ويحرص كل من ملك القوة على الوصول إلى السلطة بغض النظر عما يتسبب فيه ذلك أو يصاحبه من سفك للدماء وانتهاك للحرمان واستمرار للفوضى وسياسة العنف في البلاد.
- ٤- أنه يمثل دعوة للقيادات الحاكمة لتطبيق السياسة الفرعونية التي تمتاز بالقهر والاستبداد ومصادرة الحريات، وهي السياسة التي عبر عنها فرعون بقوله: { مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ }^(٢)، ولاشك أنها سياسة فاشلة تؤدي في النهاية إلى الانفجار والبحث عن الحرية مهما كلف الثمن، وباستطاعة كل إنسان أن ينظر إلى واقع الدول التي تحكم عن طريق القوة ليرى هذه النتائج وغيرها واقعاً ملموساً في كل جوانب الحياة.^(٢)

إن الوسيلة الوحيدة لاستعادة وحدة الأمة والمحافظة على تماسكها وقوتها هي استعادة الأمة لحقها المشروع في اختيار قيادتها وتوجيهها ومراقبتها ومحاسبتها، وإن تحقيق الأمة لأمنها واستقرارها وتقديمها مرهون بمدى أهلية وكفاءة الأنظمة والقيادات التي تحكمها.

وخلاصة القول: أن الأمة هي صاحبة الحق في اختيار قيادتها، وأنه لا يجوز الاعتداء على هذا الحق أو الانتقاص منه أو مصادرته بأي حال من الأحوال وتحت أي مبرر كان، وأن صور هذا الاختيار تتعدد وتتنوع وتختلف ولا إشكال في ذلك سواء تم ذلك بالانتخاب المباشر من عموم الأمة، أم عن طريق نوابها من أهل الخبرة والكفاءة الذين تنتخبهم بحرية ونزاهة وتوكل إليهم مهمة اختيار السلطات المختلفة وتوجيهها ومراقبتها، أم

(١) تراجع: الأحكام السلطانية للموردي: ٣٦ ، إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء - محمد الخضري بك - طبعة دار الفكر: ١٢.

(٢) سورة غافر: الآية: ٢٩.

(٣) ينظر: القيادة المؤمنة: ٤٦، ٤٧.



عن طريق ترشيح الإمام السابق للإمام اللاحق بناءً على استشارة أهل الحل والعقد بشرط أن تتوفر في المرشح الشروط القيادية اللازمة وأن تعلن الأمة موافقتها عليه ومبايعتها له.

وهذه الطرق التي سبق ذكرها خاصة بمنصب الإمامة العظمى أو القيادة العليا في الدولة أما المستويات القيادية الأخرى فإن هناك قواعد أخرى تنظم شغلها سواءً كان ذلك بالانتخاب أم بالتعيين من قبل رئيس الدولة أو من ينيبه في ذلك، مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة توفر الشروط القيادية في من يعينهم وأن يكونوا من ذوي الخبرة والكفاءة وإلا كان مقصراً في أداء الأمانة وتحمل المسؤولية خائناً لله ولرسوله وللمؤمنين. قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً } ^(١). وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } ^(٢).

(١) سورة النساء: الآية: ٥٨.

(٢) سورة الأنفال: الآية: ٢٧.



المطلب الثالث

طلب القيادة

إن الأصل في عملية اختيار القيادات أن تتولاها الأمة في جميع مراحلها تزكيةً وترشيحاً، توليةً وانتخاباً، ومراقبةً وعزلاً، وذلك بناءً على فهمها للواقع وإدراكها للاحتياجات، ومعرفتها بقدرات وإمكانات الأفراد. وقد ذم الإسلام طلب الولاية والحرص عليها لما في ذلك من تزكية للنفس وعدم استئثار لعظم الأمانة والمسؤولية التي تترتب على القيادة، بالإضافة إلى ما قد يرافق ذلك من ركون إلى المنصب. قال تعالى: { فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } (١)، وقال تعالى: { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } (٢)، وقال تعالى: { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } (٣)

وقد كان الصحابة الكرام والسلف الصالح يتدافعون القيادة ويحرصون على الابتعاد عنها، وإذا ابتلى بها أحدهم رد الأمر إلى الأمة وأحلها من بيعته وطالبها بإعفائه من قيادتها، إلا أن هذا الأمر لا يعني عدم وجود بعض الحالات في التاريخ الإسلامي والبشري عموماً يبحث فيها الأفراد عن القيادة ويتطلعون إليها ويطلبونها لأنفسهم، ولاسيما في العصر الحديث الذي ضعف فيه الوازع الديني والأخلاقي، وغابت فيه المعايير الصحيحة لاختيار القادة، وأصبح امتلاك القوة والنفوذ والمركز الاجتماعي هو العامل الرئيس في حسم مسألة القيادة، ولم يعد هناك من يركز على توفر الشروط القيادية في المرشح لأي موقع قيادي. إن المنهج القرآني وهو ينطلق من واقعيته في معالجة القضايا المختلفة يركز على فهم واقع الأمة واحتياجاتها ودوافع الأفراد وإمكاناتهم، ولذلك يقرر أن هناك حالات يكون طلب القيادة فيها مذموماً، وحالات أخرى يشرع فيها طلب القيادة بل قد يجب، وهو ما يمكن الإشارة إليه فيما يأتي:

أولاً: الحالات التي يذم فيها طلب القيادة:

١- أن يكون طالب القيادة صالحاً في نفسه مستقيماً في سلوكه ولكنه ضعيف لا يملك القدرة اللازمة للقيام بواجبات القيادة ولا يقوى على تحمل مسؤولياتها.

إن الالتزام العقائدي والأخلاقي للقيادة أمر مطلوب لكن حاجتها إلى الخبرة والقوة والكفاءة أمر لا يقل أهمية عن التزامها إن لم يفقه، ومن هنا كان الحرص على توفر جميع المعايير القيادية في الشخصيات المرشحة للقيادة سواء ما يتعلق منها بالجوانب الشخصية أم المهنية، بل إن كثيراً من العلماء يرى أهمية

(١) سورة النجم: الآية: ٣٢.

(٢) سورة الأحزاب: الآية: ٧٢.

(٣) سورة القصص: الآية: ٨٣.

التركيز على جوانب القدرة والكفاءة أكثر من جوانب الالتزام الشخصي، ولذلك ذهبوا إلى تولية الأصلح في كل ولاية، وأجازوا تولية المفضول في وجود الفاضل^(١).

ويستدل على ذلك برفض النبي ﷺ تولية أبي ذر **t** وهو من هو في دينه وورعه وأمانته وتقواه، ويكفيه فخراً قول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر)^(٢)، فقد روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن أبي ذر **t** قال: (قلت: يا رسول الله ألا تسعملني؟ قال: إنك ضعيف وإلها أمانته، وإلها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها خفتها وأدى الذي عليه فيها)^(٣)، وليس في الحديث طعن في أبي ذر **t** أو انتقاص من شخصيته وإنما فيه تأكيد على أهمية القوة والكفاءة كصفات قيادية أساسية، وهي صفات أدرك النبي ﷺ نقصها في شخصية أبي ذر **t** بحكم معرفته لأصحابه رضوان الله عليهم وفهمه لنفسياتهم.

قال الإمام النووي^(٤) رحمه الله تعالى: "هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات ولاسيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلاً لها أو كان أهلاً ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط. وأما من كان أهلاً للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة"^(٥).

وفي حديث آخر قال **t** لأبي ذر **t**: (يا أبا ذر إنني أراك ضعيفاً وإنني أحب لك ما أحب نفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم)^(٦).

وقد علق الإمام الذهبي^(٧) رحمه الله على هذا الحديث بعد أن أكد على شجاعة أبي ذر **t** وقوته البدنية بقوله: "فهذا محمول على ضعف الرأي؛ فإنه لو ولي مال اليتيم لأنفقه كله في سبيل الخير، ولترك اليتيم فقيراً، فقد ذكرنا أن لا يستجيز ادخار النقدين، والذي يتأمر على الناس لا بد أن يكون فيه حلم ومداراة، وأبو ذر **t** كان فيه حدة - كما ذكرناه - فنصح النبي ﷺ"^(٨).

(١) تراجع: الأحكام السلطانية للمواردي: ١١، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/١٢٦-١٢٨، السياسة الشرعية لابن تيمية: ٢٣-٢٨.

(٢) سنن الترمذي - كتاب المناقب - باب مناقب أبي ذر: ٥ / ٦٦٩ رقم (٣٨٠١) وقال: "حديث حسن".

(٣) سبق تخريجه: ص ٣٤.

(٤) محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي - أحد كبار علماء المذهب الشافعي، له العديد من المصنفات توفي بنوى من قرى حوران بالشام سنة ٦٧٦هـ. ينظر: طبقات الفقهاء: ١/٢٦٨، طبقات الحفاظ: ١/٥١٣.

(٥) شرح النووي على مسلم: ١٢/٢١٠.

(٦) صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب كراهة الإمارة بغير ضرورة: ٣/١٤٥٧ رقم (١٨٢٦).

(٧) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي طلب الحديث وله ثماني عشرة سنة، عني بالحديث ورحل في طلبه وخدمه إلى أن رسخت فيه قدمه، اشتغل بالتدريس والتأليف، له العديد من المصنفات، توفي سنة ٧٤٨هـ بدمشق. ينظر: طبقات الحفاظ: ١/٥٢١.

(٨) سير أعلام النبلاء: ٢/٧٥.



ومن هنا ندرك السبب في رفض النبي ﷺ تولية أبي ذر **t** وأنه يرجع إلى ضعف القدرات القيادية لديه، وعدم قدرته على تحمل مسؤوليات القيادة والقيام بواجبتها، وانشغاله بأمر الآخرة وزهده في الدنيا^(١).

٢- أن يقصد طالب القيادة من وراء الوصول إليها الحصول على الجاه والرئاسة والمال، وتحقيق المكاسب الشخصية، سواءً كان أهلاً للقيادة أم لا وهو ما تحمل عليه أحاديث النهي والذم.

ومن ذلك قوله **t** في الحديث الذي يرويه أبو هريرة **t**: (إنكم ستخسرون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعمت المرزعة وبئست الفاطمة)^(٢)، ولذلك وجب منعها عن يطلبها كما فعل رسول الله ﷺ حين جاءه رجلان من جماعة أبي موسى الأشعري **t** يطلبان الولاية، حيث قال لهما رسول الله ﷺ: (إنا والله لا نولي هذا العمل أحداً سألناه ولا أحداً حرص عليه)^(٣).

قال الإمام النووي: "قال العلماء: والحكمة أنه لا يولى من سأل الولاية أنه يوكل إليها ولا تكون معه إعانة، وإذا لم تكن معه إعانة لم يكن كفواً، ولا يولى غير الكفاء، ولأن فيه تهمة للطالب الحريص"^(٤).

ويؤكد هذا المعنى قول النبي ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة **t** (يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها)^(٥)، ولا شك أن القيادة بحاجة ماسة إلى العون الإلهي والمدد الرباني حتى تتمكن من القيام بواجباتها القيادية على الوجه المطلوب.

ثانياً: الحالة التي يشتر فيها طلب القيادة:

يجوز للإنسان أن يطلب القيادة إذا وجد نفسه أهلاً لذلك بأن توفرت فيه الشروط القيادية وعلم من نفسه القدرة على القيام بواجبات القيادة، أو عندما لا يوجد من هو أكفؤ منه، وقد يجب عليه طلب القيادة إذا لم يوجد غيره من أهل القدرة والكفاءة، ولاسيما في العصر الحديث الذي تعتمد المشاركة السياسية فيه على ترشيح الإنسان نفسه للمواقع القيادية، وهذه الحالة هي التي قصدتها الإمام الماوردي رحمه الله بقوله: "وليس طلب الإمامة مكروهاً فقد تنازع فيها أهل الشورى فما رد عنها طالب وما منع منها راغب"^(٦).

ويستدل على مشروعية طلب القيادة بطلب يوسف **u** لها، وهو ما حكاه القرآن الكريم في قوله تعالى: { قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ }^(١).

قال القرطبي رحمه الله: "إن يوسف **u** إنما طلب الولاية لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح، وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم فرأى أن ذلك فرض متعين عليه، فإنه لم يكن هناك غيره،

(١) ينظر: التربية القيادية ١/ ١٨٧-١٩٠، صناعة القائد: ١٣٢.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الأحكام - باب ما يكره من الحرص على الإمارة: ٢٦١٣/٦ رقم (٦٧٢٩).

(٣) صحيح البخاري - كتاب الأحكام - باب ما يكره من الحرص على الإمارة: ٢٦١٤/٦ رقم (٦٧٣٠).

(٤) شرح النووي على مسلم: ١٢/ ٢٠٧، ٢٠٨.

(٥) سبق تخريجه: ص ٣٦.

(٦) الأحكام السلطانية للماوردي: ٩.

(١) سورة يوسف: الآية: ٥٥.

وهكذا الحكم اليوم لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق في القضاء أو الحسبه ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه لتعين ذلك عليه ووجب أن يتولاها ويسأل ذلك ويخبر بصفاته التي يستحقها بها من العلم والكفاءة، وغير ذلك كما قال يوسف U^(٢).

وقد استدل الآلوسي^(٣) رحمه الله بطلب يوسف U الولاية على جواز ذلك لغيره إذا كان قادراً على إقامة العدل وإجراء أحكام الشريعة وإن كان من يد الجائر أو الكافر، بل ذهب إلى أنه قد يجب على الإنسان أن يطلب الولاية إذا توقف على ولايته إقامة واجب مثلاً وكان متعيناً لذلك^(٤).

وقد رأى سيد قطب رحمه الله أن طلب يوسف U للقيادة في المرحلة الحرجة التي كان يعاني فيها المصريون المجاعة يعد تضحية منه U ، فيقول: " ولم يكن يوسف يطلبه لشخصه ويرى إقبال الملك عليه فيطلب أن يجعله على خزائن الأرض.. إنما كان حصيماً في اختيار اللحظة التي يستجاب له فيها لينهض بالواجب المرهق الثقيل ذي التبعة الضخمة في أشد أوقات الأزمات؛ وليكون مسؤولاً عن إطعام شعب كامل طوال سبع سنوات، لا زرع فيها ولا ضرع، فليس هذا غنماً يطلبه يوسف لنفسه، فإن التكفل بإطعام شعب جائع سبع سنوات متوالية لا يقول أحد أنه غنيمة. إنما هي تبعة يهرب منها الرجال، لأنها قد تكلفهم رؤوسهم والجوع كافر، وقد تمزق الجماهير الجائعة أجسادهم في لحظات الكفر والجنون"^(٥).

كما يستدل على مشروعية طلب القيادة بقصة الصدائي^(٦) الذي كان مطاعاً في قومه من أهل اليمن حيث طلب من النبي ٣ أن يؤمره عليهم فأجابه النبي ٣ إلى ما طلب، وفي ذلك يقول ابن القيم: "جواز تأمير الإمام وتوليته لمن سأل ذلك إذا رآه كفواً ولا يكون سؤاله مانعاً ما توليته"^(٧).

وقد فرق رحمه الله تعالى بين الإمارة والرياسة حيث ذهب إلى مشروعية طلب الإمارة التي يقصد بها وجه الله تعالى بينما ذم طلب الرياسة باعتبار ما فيها من حظ النفس في قوله: "والفرق بين حب الرياسة وحب الإمارة للدعوة إلى الله هو الفرق بين تعظيم أمر الله والنصح له وتعظيم النفس والسعي في حظها، فإن المطيع المعظم لله المحب له يحب أن يطاع ربه فلا يعصى وأن تكون كلمته هي العليا وأن يكون الدين لله فهو يحب الإمارة في الدين، بل يسأل ربه أن يجعله للمتقين إماماً يقتدي به المتقون كما اهتدى هو بالمتقين فإذا أحب هذا العبد الداعي إلى الله أن يكون في أعينهم جليلاً وفي قلوبهم مهيباً وإليه حبيباً وأن يكون فيهم

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٢١٥، ٢١٦.

(٣) السيد محمود الآلوسي، أديب ومفسر توفي ببغداد سنة ١٢٧٠هـ. ينظر الأعلام للزركلي: ١٧٦/٧.

(٤) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - أبو الفضل محمود الآلوسي البغدادي - طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت: ٥/١٣.

(٥) في ظلال القرآن: ٤/ ٢٠٠٥.

(٦) زياد بن الحارث الصدائي، وصداء حي من اليمن، بايع النبي ٣ وأذن بين يديه، وكان النبي ٣ قد بعث جيشاً إلى صدا فطلب منه زياد رد الجيش وضمن له إسلامهم فرد النبي ٣ الجيش فأقبل فدهم بإسلامهم، أمره النبي ٣ على قومه لما رأى مكانته فيهم. ينظر: الاستيعاب: ٥٣٠/٢، الإصابة ٥٨٢/٢.

(٧) زاد المعاد: ٣/ ٦٦٨.

مطاعاً لكي يأتّموا به ويقتفوا أثر الرسول على يده لم يضره ذلك بل يحمد عليه لأنه داع إلى الله يحب أن يطاع ويعبد ويوحد فهو يحب ما يكون عوناً على ذلك...

وهذا بخلاف طلب الرياسة فإن طلابها يسعون في تحصيلها لينالوا بها أغراضهم من العلو في الأرض وتعبيد القلوب لهم وميلها إليهم ومساعدتهم على جميع أغراضهم مع كونهم عالين عليهم قاهرين لهم فترتب على هذا المطلب من المفاصد ما لا يعلمه إلا الله^(١).

وهناك ثلاثة معايير ينبغي النظر إليها قبل الحكم على طالب القيادة وهي:

١- الإخلاص والولاء وهو ما تدل عليه الأيام والتجارب.

٢- الأمانة والقوة اللتان تمكنان من القيام بالواجبات على الوجه المطلوب.

٣- تميز الشخص عن غيره من المنافسين له لتولي نفس المهمة^(٢).

وهكذا يتبين أن طلب القيادة المذموم هو الذي لا يملك صاحبه الكفاءة اللازمة أو القدرات القيادية المطلوبة، أو كان يقصد من وراء طلبها تحقيق مكاسب شخصية سواء كان أهلاً للقيادة أم لا، أما من توفرت فيه شروط القيادة فيجوز له أن يطلب القيادة إذا رأى من نفسه القدرة والكفاءة وقد يجب عليه ذلك إذا لم يوجد من تتوفر فيه الشروط القيادية غيره أو من هو أكفؤ منه، ولاسيما في العصر الحديث الذي يشترط الترشح فيه للوصول إلى المواقع القيادية.

(١) الروح- ابن القيم الجوزية - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت: ٢٥٣.

(٢) ينظر: صناعة القائد: ٥٨، ٥٩.



المبحث الثالث إتقان الأداء

المطلب الأول مفهوم الإتقان وأهميته

أتقن الشيء أحكمه، والإتقان إحكام العمل ومتابعته^(١). ومنه قوله تعالى: {صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَّنَ كُلَّ شَيْءٍ ۗ} ^(٢) وإتقان العمل يكون بالإتقان به مستوفياً على الوجه المطلوب دون نقص أو خلل. والمنهج القرآني في التربية القيادية لم يقتصر على الدعوة إلى العمل والإنجاز، وإنما تجاوز ذلك إلى المطالبة بأداء العمل أداءً محكماً متقناً يحقق الغاية منه مع إخلاص النية فيه، وعد ذلك شرطاً أساسياً لقبول العمل وترتيب الأجر عليه سواء كان هذا العمل دينياً أم دنيوياً، ولذلك جاء لفظ العمل مقروناً بالعمل الصالح في آيات كثيرة من القرآن الكريم مثل قوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} ^(٣)، وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} ^(٤)، وفي ذلك تأكيد على أهمية إتقان الأداء وترتيب الأجر عليه.

وقد أمر المنهج القرآني صراحةً بإتقان الأداء وإحسان العمل، وأكد على محبة الله U للمحسنين في أعمالهم المتقين في أداء مهامهم فقال تعالى: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} ^(٥). وقال ۝ (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَمَنَّاهُ) ^(٦) فعلى الإنسان أن يحرص على إتقان عمله مهما كان نوعه ليفوز بمحبة الله U وبإله من شرف عظيم يعني فوز صاحبه وفلاحه في الدنيا والآخرة.

ولاشك أن الأمر بإتقان الأداء عام يشمل جوانب الحياة المختلفة سواءً ما يتعلق منها بالجوانب الدينية أم الدنيوية، ففي الجوانب الدينية نجد القرآن الكريم يحث على إتقان العبادات ويمتدح المتقنين لها، وبالمقابل يحذر من عدم إتقانها ويعيب على المقصرين فيها، ويكفي للتدليل على ذلك الإشارة إلى الألفاظ التي استعملها القرآن الكريم في الأمر بالصلاة وامتداح الأشخاص المؤدين لها، وهي في مجملها لا تخرج عن الإقامة ومشتقاتها^(٧)، وهذه المادة تدل على إدامة الشيء وتسويته وإتقانه والإتيان به على أكمل هيئاته.

(١) ينظر: لسان العرب - مادة تقن: ٧٣/١٣

(٢) سورة النمل: الآية: ٨٨.

(٣) سورة الكهف: الآية: ١١٠.

(٤) سورة الكهف: الآية: ٣٠.

(٥) سورة البقرة: الآية: ١٩٥.

(٦) مسند أبي يعلى - أبو يعلى أحمد بن علي التميمي - تحقيق: حسن سليم أسد - ط/١ - دار المأمون للتراث - دمشق: ٣٤٩/٧ رقم (٤٣٨٦).

قال الهيثمي: "رواه أبو يعلى وفيه مصعب بن ثابت وثقه ابن حبان". مجمع الزوائد ٩٨/٤.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي - طبعة دار الفكر - بيروت: ٥٧٨، ٥٧٩.

قال تعالى: { أقيم الصلاة لذئوك الشمس إلى غسق الليل } ^(١). وقال تعالى: { والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة } ^(٢). وقال تعالى: { الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة } ^(٣).

فالتعبير بلفظ الإقامة يعني إتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع، والمحافظة عليها في أوقاتها من غير خلل في أركانها وشرائطها ^(٤)، ومن هنا كان قوله ٣ للمسيء صلاته: (إرجع فصل فإنك لم تصل) ^(٥). لأنه رأى يسرع فيها ولا يتم ركوعها وسجودها وهو ما يتنافى مع الخشوع وإتقان الأداء. وبالنسبة للجوانب الدنيوية فإن الإنسان مطالب بإتقانها والإحسان فيها وأدائها على الوجه الأكمل، وهو أمر اشتملت عليه النصوص الدالة على أهمية الإتقان والإحسان عموماً، والآنرة بإتقان العمل الدنيوي على وجه الخصوص مثل قوله تعالى: { وأحسنوا إن الله يحب المحسنين } ^(٦)، وقوله ٣: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته) ^(٧).

ولاشك أن هذه النصوص تشمل جميع الأعمال التي يمارسها الإنسان، وبالتالي فإن على العامل أن يعمل بما علمه الله عمل إتقان وإحسان بقصد نفع خلق الله تبارك وتعالى، ولا يعمل على نية أنه إن لم يعمل ضاع، ولا على مقدار الأجرة، بل على حسب ما يقتضيه العمل انطلاقاً من حرصه على الفوز بمحبة الله U ورضاه. ^(٨)

إن إحسان العمل وإتقان الأداء أمر ذو شقين: الأول مرتبط ببذل الجهد واستخدام كافة المهارات والقدرات في إنجاز العمل وإتقانه، أما الثاني فهو مرتبط بمدى إخلاص النية لله تعالى ومراقبته عند أداء العمل، ولا يمكن أن يؤدي بذل الجهد واستخدام كافة المهارات إلى تحقيق الخير للفرد والمجتمع ما دامت صلة العامل بالله تعالى مقطوعة؛ لأن البعيد عن الله لن يحرص إلا على مصالحه الشخصية ومصالح المسؤولين عنه، بغض النظر عن مشروعية الوسائل التي يستخدمها

(١) سورة الإسراء: الآية: ٧٨.

(٢) سورة الشورى: الآية: ٣٨.

(٣) سورة لقمان: الآية: ٤.

(٤) ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٣٣ / ٢ ، تفسير القرآن العظيم: ٤٣ / ١.

(٥) صحيح البخاري - كتاب الاستئذان - باب من رد فقال عليك السلام: ٢٣٠٧/٥ رقم (٥٨٩٧) ، صحيح مسلم - كتاب الصلاة - باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة: ٢٩٨/١ رقم (٣٩٧) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٨٨/١ رقم (٢٢٤).

(٦) سورة البقرة: الآية: ١٩٥.

(٧) سبق تخريجه: ص ١١٣ .

(٨) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير - عبدالرؤف المناوي - طبعة دار المعرفة - بيروت: ٢٨٦/٢.

والآثار المترتبة عليها^(١). قال تعالى: { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا }^(٢). وقال ٣: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى الناس فهجرته إلى ما هاجر إليه)^(٣).

وبالمقابل فإن إخلاص النية وحده لا يكفي لإتقان الأداء بل لابد من استفراغ الوسع والطاقة واستخدام كافة المهارات والقدرات والإمكانات لإنجاز المهام والأعمال على الوجه المطلوب وبأقل التكاليف. قال تعالى: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا }^(٤).

إن إتقان الأداء أمر مطلوب من كل إنسان ما دام يملك القدرة والاستطاعة حتى يزداد الإنتاج وتقل التكاليف، وفي مقدمة الذين يجب عليهم إتقان الأداء قيادات الأمة وولاة أمرها وكل من يشغل موقعا قياديا فيها، ذلك أن إتقان هؤلاء لمهامهم يعني انتشار الأمن والعدل، وصيانة الحقوق، وتحقيق الأهداف، وانضباط الأفراد في أعمالهم وإتقانهم لمهامهم، الأمر الذي يؤدي إلى استقامة الحياة وانتشار الخير بين أفراد الأمة، وبالعكس فإن إهمال القيادات وتقصيرها في أداء مهامها ينعكس سلباً على عموم أفراد الأمة حيث تتعثر الأهداف، ويتعطل الإنجاز، وينتشر الظلم والتسيب، وتعم الفوضى، ومن هنا كان تأكيد المنهج القرآني على أهمية القيادة واعتبارها أمانة كبرى يجب أداء مهامها بإتقان والقيام بواجباتها على أكمل وجه، واعتبار الإهمال أو التقصير فيها خيانة كبرى تستوجب المساءلة والعزل في الدنيا والمحاسبة والعقوبة في الآخرة.

وهناك العديد من القيادات التي استشعرت أهمية القيادة وعظم المسؤولية فحرصت على بذل الجهد وإتقان الأداء وقدمت للبشرية أعمالاً جليلاً خلدها التاريخ، ويأتي في مقدمة هذه النماذج الأنبياء عليهم السلام والقيادات المؤمنة التي خلد القرآن الكريم ذكرها، وكذا القيادات الإسلامية التي ضربت أروع الأمثلة في تحمل المسؤولية وإتقان الأداء عبر تاريخ الأمة الطويل، وفيما يأتي عرض موجز لبعض هذه النماذج .

النموذج الأول: نوح U:

مكث نوح U في قومه تسعمائة وخمسون عاماً يدعوهم إلى الله U مستخدماً كافة الأساليب والوسائل الدعوية التي تؤكد قيامه بواجبه وإتقانه لمهمته U ، وهو ما دل عليه قوله تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ * فَأَنْجَيْنَاهُ

(١) ينظر: منهج التربية في التصور الإسلامي: ٢٤٩.

(٢) سورة الكهف: الآية: ١١٠.

(٣) سبق تخريجه: ص ٢٢٧ .

(٤) سورة البقرة: الآية: ٢٨٦.

وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ }^(١)، وفي هذه الآيات تبتدي ضخامة الجهد وضالة الحصيلة. أما ضخامة الجهد فيدل عليه طول مدة الدعوة ومدى عناد الأفراد وظلمهم، كما يدل عليه تعدد الأساليب وتنوع الوسائل التي استخدمها نوح U خلال دعوة هؤلاء المعاندين وهو أمر نقله القرآن الكريم خطاب نوح إلى ربه U بعد أن قضى هذه المدة الطويلة داعياً لقومه في قوله تعالى: { قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيئٍ وَيَجْعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلَ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لَتَسْأَلُوكَ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا }^(٢). فهذه الآيات تبين جانباً من الجهود الكبيرة التي بذلها نوح U لهداية قومه ودعوتهم إلى الله U، بلا مصلحة ولا منفعة، مستخدماً كافة الأساليب والوسائل المعينة على الدعوة، ومتحملاً في سبيل هذه الغاية النبيلة كل صنوف الإعراض والاستكبار والسخرية والاستهزاء، ومع كل تلك الجهود تظل الحصيلة محدودة لا مجال للمقارنة بينها وبين الجهود الضخمة التي بذلها U^(٣) بنص قوله تعالى: { حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ }^(٤).

النموذج الثاني: داود U:

تحدث القرآن الكريم عن قصة داود U في أكثر من سورة وامتدح أداءه المتقن في أكثر من موضع سواءً ما يتعلق بجانب العبادات أو جانب الأعمال الدنيوية فقد بلغ إتقانه U للعبادات إلى الحد الذي دفع كافة المخلوقات وقوى الكون المختلفة للتجاوب معه ومشاركته عبادته رغم اختلاف الأجناس والأشكال واللغات وهوما حكاه القرآن الكريم في قوله تعالى: { اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ }^(٥). يقول سيد قطب رحمه الله: "ومع النبوة والملك آتاه الله من فضله قلباً ذاكراً وصوتاً رخيماً، يرجع به تراتيله التي يمجدها فيها ربه. وبلغ من قوة استغراقه في الذكر، ومن حسن حظه في الترتيل، أن تزول الحواجز

(١) سورة العنكبوت: الآيات: ١٤، ١٥.

(٢) سورة نوح: الآيات: ٥، ٢٠.

(٣) يراجع في ظلال القرآن: ٦/ ٣٧٠٦ - ٣٧٠٨.

(٤) سورة هود: الآية: ٤٠.

(٥) سورة ص: الآيات: ١٧ - ١٩.

بين كيانه وكيان هذا الكون. وتتصل حقيقته بحقية الجبال والطير في صلتها كلها ببارئها، وتمجيدها له وعبادتها. فإذا الجبال تسبح معه، وإذا الطير مجموعة عليه، تسبح معه لمولاها ومولاه^(١)، ولذلك عندما سمع النبي ٣ ترتيل أبي موسى الأشعري t للقرآن الكريم قال له: (لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود) ^(٢).
 وأما إتيان داود U للعمل الدنيوي فقد أشار إليه قوله تعالى: {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لَتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ} ^(٣)، وقوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدَ * أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} ^(٤)
 والمعنى "أن أعمل يا داود دروعاً كوامل تامات واسعات وقدر في الخامات فيما يجمع بين الخفة والحصانة فلا تقصد الحصانة فتثقل ولا الخفة فتزِيل المنعة، إنما نأمرك بالتقدير في نسج حلق الدروع"^(٥).
 وقد كانت الدروع تصنع قبل داود U على شكل صفائح، بحيث يتكون الدرع من صفيحة واحدة الأمر الذي يصلب الجسم ويثقله، فألهم الله U داود U أن يصنعها متداخلة متموجة ليسهل تحريكها بحركة الجسم، وأن يضيق تداخل قطعها حتى تكون محكمة لا تتفذ منها الرماح وفي ذلك قمة الإتقان والإبداع^(٦).

النموذج الثالث: ذو القرنين الملك العادل:

جسد ذو القرنين أنموذج القائد الذي يلتزم الحق وينشر الخير، ويحكم بالعدل ويستفيد من القدرات والإمكانات مهما كان ضعفها ويسخر قوى الكون المختلفة لخدمة الأمة، وقد مثل إلى جانب ذلك أنموذج القائد الحريص على إتقان الأداء والاستفادة من السنن الإلهية في الكون والإنسان والحياة، المدرك لفضل الله U ونعمته عليه، وخلال رحلته الطويلة طلبت منه إحدى الأمم أن يجعل بينها وبين أعدائها حاجزاً يقبها شر الفاسدين والمعتدين، وعرضت عليه مقابل ذلك مالا تدفعه إليه رفض عرضها المادي وتطوع بإقامة السد بطريقة أفضل مما كانت تريد واشترط عليها توفير الأيدي العاملة والمواد الأولية الموجودة في أرضها مقابل دوره في تقديم الخبرة والتصميم والإشراف على تنفيذ العمل، قال تعالى: {رَحَى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا دَا الْقَرْيَيْنِ إِنَّا يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ

(١) في ظلال القرآن: ٥/ ٣٠١٧.

(٢) صحيح البخاري- كتاب فضائل القرآن- باب تحسن الصوت بالقراءة للقرآن: ٤/ ١٩٢٥ رقم (٤٧٦١)، صحيح مسلم- كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب تحسين الصوت في القرآن: ١/ ٥٤٦ رقم (٧٩٣). والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١/ ١٧٠ رقم (٤٥٦).

(٣) سورة الأنبياء: الآية: ٨٠.

(٤) سورة سبأ: الآيات: ١٠- ١١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٤/ ٢٦٧.

(٦) ينظر: في ظلال القرآن: ٥/ ٢٨٩٨.

وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا {^(١)، ويلاحظ من خلال السياق القرآني ما يأتي:

١- تخلف هؤلاء الأقبام، وضعفهم وعجزهم عن مقاومة المعتدين، فضلاً عن كسلهم وعدم رغبتهم في بذل أي مجهود، وهو ما يتضح من خلال عدم قدرتهم على التفاهم مع الآخرين ولجوئهم إلى قوى خارجية لحل مشكلاتهم مقابل خضوعهم لسيطرتها ودفع أموالهم إليها.

٢- حرص ذي القرنين على مصلحة الأمة وذلك من خلال عفته عن أموالها وإمدادها بأسباب القوة والمنعة المتمثلة في التزام المنهج الإلهي، وتفعيل الطاقات والقدرات البشرية وحسن استغلال الثروات المادية، والاستفادة من الإمكانيات المادية والمعنوية فيما يفيد الأمة.

٣- حرص ذي القرنين على إحسان العمل وإتقان الأداء وهو ما تجلّى من خلال:

أ. نصحه للقوم وإخلاصه لهم بحيث لم يقتصر على بناء السد كما كانوا يطلبون، وإنما اجتهد في بناء الأفضل الذي يحقق الهدف ولذلك جعل بينهم وبين أعدائهم ردمًا، والردم هو الحاجز الحصين والحجاب المتين وهو أكبر من السد وأوثق فوعدهم بأكثر ما يرجون^(٢).

ب. جمعه بين النحاس والحديد حيث قام بإذابة النحاس وإضافته على الحديد بعد اشتداد حرارته الأمر الذي زاد البناء قوةً وصلابةً وتماسكاً^(٣).

ج. عدم تمكن الأعداء من الصعود على السد لارتفاعه وملاسته، وعدم تمكنهم من ثقبه لصلابته وثخانتته، الأمر الذي يؤكد إحكام بناء السد وإتقانه^(٤).

د. تأهيل الكوادر البشرية اللازمة من المستضعفين والرفع من قدراتهم وإمكاناتهم.

٤- إرتباط ذو القرنين بالله U ، والتزامه بمنهجه، وكثرة شكره له وعدم الاغترار بإنجازاته ، وهو ما صوره قوله تعالى: { قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا }^(٥).

وقد صور سيد قطب رحمه الله تعالى هذا المشهد بقوله: "ونظر ذو القرنين إلى العمل الضخم الذي قام به فلم يأخذه البطر والغرور ولم تسكره نشوة القوة والعلم، ولكنه ذكر الله فشكره ورد إليه العمل الصالح الذي وفقه إليه..."^(١)، وبهذا يكون قد جسد قمة الإنجاز والإتقان والإبداع^(٢).

(١) سورة الكهف: الآيات: ٩٣- ٩٨.

(٢) ينظر: روح المعاني للألوسي: ٤٠ / ١٦.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: ٤ / ٢٢٩٣.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١١ / ٥٩- ٦٢ ، فتح القدير: ٣ / ٣١٣.

(٥) سورة الكهف: الآية: ٩٨.

(١) في ظلال القرآن: ٤ / ٢٢٩٣.

(٢) يراجع: ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح - محمد خير رمضان يوسف - ط/١- دار القلم دمشق، تبصرة المؤمنين بفقهاء النصر

والتمكنين: ١٦٣- ١٨٤.

وأما في العصر الإسلامي فتتعدد النماذج ابتداءً بسيد الخلق ﷺ الذي مثل القدوة الكاملة والنموذج الحي في جميع شؤونه وأحواله وفي مقدمتها إحسان العمل وإتقان الأداء، ولذلك أمرت الأمة باتباعه الاقتداء به في قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} (٣)، وكذلك الأمر بالنسبة للخلفاء الراشدين الذين لا يتسع المقام لذكر نماذج من إتقانهم لمهامهم وأعمالهم.

وتكفي الإشارة إلى قول عمر **t** في أبي بكر **t** بعد وفاته: "رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده" (٤). وفي ذلك إشارة إلى أدائه للأمانة وإتقانه لعمله وقيامه بواجبات الخلافة خير قيام.

وأما إتقان عمر **t** فقد أشار إليه قول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (أمرت في المنام أني أنزع بدلوك بكرة على قلب، فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين نزاعاً ضعيفاً والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غرباً فلم أر عبقرياً) (٥) يفري (٦) فريه، حتى مروى الناس وضربوا بعطن (٧) (٨).

وقد تضمن هذا الحديث الإشارة إلى خلافة أبي بكر وعمر **y**، كما تضمن الإشارة إلى إتقان عمر **t** في أداء واجبات القيادة وهو الأمر الذي يدل عليه تحسن أحوال الأمة، وانتشار الإسلام، وكثرة الفتوحات، واتساع رقعة البلاد الإسلامية في عهده.

(٣) سورة الأحزاب: الآية: ٢١.

(٤) الطبقات الكبرى: ٣/ ١٩٦.

(٥) عبقرى القوم سيدهم وكبيرهم وقويهم، والعبقرى كل من اتسم بالحدق أو القوة أو جودة الصنعة. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٧٣/٣، لسان العرب - مادة عبقر: ٥٣٤/٤.

(٦) أصل الفري: القطع، ويقال للإنسان يفري الفري إذا كان يأتي بالعجب في عمله. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤٤٢/٣، لسان العرب مادة فري: ١٥٤/١١٥.

(٧) العطن: الموضع الذي تترك فيه الإبل إذا رويت وصدرت عن الحوض، والحديث مثل لاتساع الناس في عهد عمر **t** وما فتح الله عليهم من الأمصار. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٨٠/٣، لسان العرب - مادة عطن: ٢٨٦/١٣.

(٨) صحيح البخاري - كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب عمر: ٣/ ١٣٤٧ رقم (٣٤٧٩)، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل عمر: ٤/ ١٨٦٢ رقم (٢٣٩٣). والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٣/ ١٦٦ رقم (١٥٤٩).

المطلب الثاني

العوامل المؤدية إلى إتقان الأداء

يمثل إتقان الأداء هدفاً أساسياً من أهداف التربية القيادية ، وبمقدار تحققه يكون نجاح هذه التربية، وهو لا يتأتى فجأةً أو يحصل جزافاً وإنما تساعد على الوصول إليه مجموعة من العوامل التي يمكن الإشارة إلى أبرزها فيما يأتي:

أولاً : التفرغ للقيادة:

القيادة أمانة ومسؤولية، والقائد في أي مجتمع أو منظمة هو المسؤول الأول عن العمل أمام الله U وأمام الآخرين، فهو المسؤول عن النجاح والفشل وتنفيذ المهام وصيانة الحقوق، وانشغاله بأي عمل آخر لاشك أنه سيكون على حساب أداء مهامه القيادية وإتقانه لها، الأمر الذي يعني تقصيره في أداء الأمانة التي تحملها. قال تعالى: { مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۗ }^(١). وقال تعالى: { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا }^(٢).

ولذلك وجب على القيادات أن تتفرغ لأداء مهامها التي تكلفها بها الأمة وهو ما أكد عليه العلماء حيث نص الماوردي خلال حديثه عن الواجبات القيادية على أن القائد يجب: "أن يباشر بنفسه مشاركة الأمور وتصفح الأحوال، لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة فقد يخون الأمين ويغش الناصح"^(٣). قال تعالى: { يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ }^(٤).

ولما كان التفرغ للقيادة يفوت على القائد العديد من المصالح الدنيوية التي يكسب منها معاشه وينفق منها على نفسه ومن يعول وجب على الأمة أن تعوضه عن تلك المصالح وتفرض له من الرزق ما يضمن له حياة كريمة هو ومن يعول، وفي ذلك يقول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه المستورد بن شداد t: (من كان لنا عاملاً ولم يكن له سكن فليخذ مسكناً، ولم يكن له زوج فليخذ زوجاً، ومن لم يخلده خادماً فليخذ خادماً، ومن لم يخذ دابة فليخذ دابة، ومن أخذ غير ذلك فهو غال أو سارق)^(٥)، وهذه هي متطلبات الحياة الكريمة السكن والزوجة والدابة والخادم، فإذا توفرت للإنسان كان أقدر على العطاء والإبداع وإتقان الأداء دون أن تشغله متطلبات الحياة وتسيطر على تفكيره.

(١) سورة الأحزاب: الآية: ٤.

(٢) سورة الزمر: الآية: ٢٩.

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي: ١٨.

(٤) سورة ص: الآية: ٢٦.

(٥) مسند أحمد: ٤/ ٢٢٩، سنن أبو داود - كتاب الخراج وإمارة الفيء - باب أرزاق العمال: ٣/ ١٣٤ رقم (٢٩٤٥) واللفظ له.

ومن هنا كان **ع** يفرض لولاته المرتبات والأعطيات ويلزمهم بأخذها حتى وإن كانوا أغنياء، وبذلك أحتج عمر **ع** على عبد الله بن السعدي عندما اعتذر عن قبول مستحقاته عن الولاية بحجة غناه حيث قال له عمر **ع**: (لا تفعل فإنني كنت أردت الذي أردت، وكان رسول الله **ص** يعطيني العطاء فأقول: أعطه أفتسر إليه مني. فقال النبي **ص** خذ ما فتمول به وتصدق به، فما جاءك من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف نفس فخذ، وما لا فلا تنعم نفسك) ^(١). ولا شك أن في فرض المرتبات للقيادات وإلزامها بأخذها دفع لها لإتقان الأداء وإشعار بوجوب العمل عليها.

وهذا الراتب ليس له مقدار محدد لكنه متروك لرأي الأمة واجتهاد القائد بحيث تحدده الأمة للإمام أو القيادة العليا، ويحدده الإمام بدوره لبقية القيادات بحسب حال الزمان وظروف الواقع وسعة المال، وفي ذلك يقول الغزالي رحمه الله: "وليس يتقدر بمقدار بل هو إلى اجتهاد الإمام له أن يوسع ويغني، وله أن يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال" ^(٢).

وقد فرض المسلمون لأبي بكر **ع** مقابل تفرغه لأمر الخلافة، وذلك أنه لما استخلف أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر فيها، فلقبه عمر بن الخطاب **ع** وأبو عبيدة بن الجراح **ع** فقالا له: "أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال السوق: قالوا: تصنع ماذا وقد وليت أمور المسلمين؟ قال: "فمن أين أطمع عيالي؟ قالوا له: انطلق حتى نفرض لك شيئاً فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة وما يكسوه في الرأس والبطن" ^(٣).

وقد صرح الصديق **ع** بأن ما يأخذه من بيت مال المسلمين إنما هو مقابل تفرغه لأمر الخلافة وحدد ما يحق له من المال فيه بقوله: (لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤنة أهلي، وشغلت بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال، واحترف للمسلمين فيه) ^(٤).

وأما عمر **ع** فقد حدد ما يحل له من بيت مال المسلمين وعرضه على الأمة فأقرته وهو دابة يحج عليها ويعتمر، وحلة في الشتاء وأخرى في الصيف، وما يشبع عياله من القوت، وسهمه في الغنائم كواحد من المسلمين ^(٥)، ووضع **ع** قاعدة عظيمة بين من خلالها موقفه من بيت مال المسلمين فقال: "إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة قيم اليتيم، إن استغنيت عنه تركته، وإن افتقرت إليه أكلت بالمعروف" ^(٦).

^(١) صحيح البخاري - كتاب الأحكام - باب رزق الحكام والعاملين عليها: ٦/٢٦٢٠ رقم (٦٧٤٤)، صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب إباحة الأخذ لمن أعطي من غير مسألة ولا إشراف: ٧٢٣/٢ رقم (١٠٤٥)، والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١/٢٥٠ رقم (٦١٩).

^(٢) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين: ٦/١٦٠ (نقلاً عن: القيادة العسكرية الإسلامية: ٤٦).

^(٣) الطبقات الكبرى: ٣/١٨٤.

^(٤) صحيح البخاري - كتاب البيوع - باب كسب الرجل من عمل يده: ٧٢٩/٢ رقم (١٩٧٤).

^(٥) ينظر: الطبقات الكبرى ٣/٢٧٦، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: ١٠٢، ١٠٣.

^(٦) الطبقات الكبرى ٣/٢٧٦.

وانطلاقاً من هذه القاعدة كان عمر **t** يفرض لولاته وعماله من المرتبات ما يضمن نزاهتهم ويغنيهم عن الحاجة إلى أموال الناس أو الأخذ من بيت المال، وكانت هذه المرتبات محددة ثابتة سواء كانت يومية أم شهرية أم سنوية، منها ما كان طعاماً ومنها ما كان نقوداً محددة، وكانت تختلف وتتفاوت باختلاف الأحوال وتطورها ونوع الولاية وأهميتها، وكذا بزيادة الدخل في بيت مال المسلمين^(١).

ولنا أن نتساءل كيف لو عاش الصحابة الكرام في عصرنا ورأوا عبث الحكام بمقدرات الأمة وثرواتها؟ كيف لو رأوا بيوت المال ملكاً خاصاً لولاة الأمر ومن يدور في فلهم؟ كيف لو رأوا الأراضي والعقارات والقصور والحدائق والشركات والمؤسسات والمملوكة للحكام وأقربائهم؟ وكيف لو رأوا عائدات النفط والغاز وسائر الثروات، وكذا عائدات الجمارك والضرائب وأنواع الجباية تصب في خزائنهم وأرصدتهم؟ حتى القروض التي تؤخذ باسم الأمة وتسد من قوتها لم تسلم منهم.

ثانياً: الشعور برقابة الله **U**:

يعد الضمير الحي المنبثق عن رقابة الله **U** من أبرز العوامل التي تدفع الإنسان إلى إحسان العمل وإتقان الأداء، وهو في مفهوم المنهج القرآني: "ذات أخلاقية عليا، أو رقابة ذاتية، أو وازع داخلي يوجه الإنسان، في نواياه ومقاصده وسلوكه وتصرفاته وأقواله وأفعاله وعلاقاته ومعاملاته وجهة خيرة متمشية مع الشرع والعقل والأخلاق والعرف الاجتماعي السليم والاتجاهات الإنسانية الرشيدة"^(٢).

وهو قوة خفية تسكن أعماق النفس الإنسانية "لا تشاهد بالعين ولا ترى بالمجهر.. إنها قوة معنوية يحسها الإنسان في حناياه تهديه إلى الواجب كأنها كشاف يبين له الطريق... وتدفعه عن الشر كأنها صوت الأب يحذر ولده، أو الأستاذ ينصح تلميذه، فإذا خالف ما تأمر به أو اقتترف ما تحذر كانت له محكمة تقضي له أو عليه تقضي له بالراحة والسرور والطمأنينة، أو تحكم عليه بالألم والقلق والعذاب"^(٣) قال تعالى: {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بِصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ۝} ^(٤).

إنها قوة تسبق الأداء وتقارنه وتلحق به، تسبقه بالإشارة والتوجيه إلى أهمية العمل الصالح والتحذير من ضده، وتقارنه بالحث والتشجيع على إتمام العمل الصالح وإتقانه وعدم التقصير فيه، وتلحقه بالارتياح والسرور عند إتقان العمل، والإحساس بالإثم والتأنيب عند إهماله والتقصير فيه أو عند الإقدام على العمل السيء^(٥). ولأهمية الضمير وتأثيره الكبير في حياة الإنسان أقسم الله تعالى به في قوله: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} ^(٦).

(١) يراجع: المصدر السابق: ٢٦١/٤، فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب: ٣٨٩.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية للزنتاني: ٣٨٧.

(٣) الإيمان والحياة - د/ يوسف القرضاوي - طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان ٢٢٨، ٢٢٩.

(٤) سورة القيامة: الآيتان: ١٤، ١٥.

(٥) ينظر: الإيمان والحياة: ٢٢٩.

(٦) سورة القيامة: الآيتان: ١، ٢.

ويتأثر الضمير الخلقى بعدة عوامل من أبرزها العواطف والانفعالات، والأعراف والعادات، والآراء الاجتماعية التي يتعارف عليها الناس، كما يتأثر بقوى الخير والشر التي تتبع من أعماق النفس الإنسانية، إضافة إلى مؤثرات إيجابية وسلبية أخرى^(١). قال تعالى: { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ }^(٢) وقال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانُوا آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ }^(٣).

ولم يبخل المنهج القرآني بثقته على الضمير البشري بعد تربيته وتهذيبه فقد أوكل إليه تنفيذ الشرائع والتوجيهات، وعده أقدر على القيام بذلك من القانون، إدراكاً منه أن الاقتناع الداخلي بالفعل أو الترك أقدر على تحقيق الهدف وأبلغ في الوصول إلى الغاية؛ ذلك أن الضمير الحي ملازم للإنسان ساكن في أعماق نفسه مطلع على دقائقه وخفاياه، أما القانون فإنه مهما بلغ من قوته يظل أمراً خارجياً محدوداً في عمله وأدواته^(٤).

ويكفي للتدليل على أن الضمير الحي هو الأساس في تنفيذ الشريعة وتطبيق القوانين أن عمر t أصدر قانوناً يمنع خلط اللبن بالماء، وبينما هو يطوف بالمدينة ذات ليلة لتفقد أحوال الرعية إذ به يسمع صوت امرأة تأمر ابنتها أن تخلط اللبن بالماء فتذكرها البنات بقرار أمير المؤمنين والأمر تصر على موقفها محتجة بعدم رؤية أمير المؤمنين لهما، وعلى الفور يأتيها جواب ابنتها: "إن كان أمير المؤمنين لا يرانا فإن رب أمير المؤمنين يرانا"^(٥).

إن الضمير الحي هو الذي دفع هذه الفتاة لاتخاذ هذا الموقف وهو نفسه الذي جعل عمر t يقتصر في أكله عام الرمادة على الخبز والزيت حتى تغير لونه واسود جلده حتى خشي عليه الصحابة وكلمه بعضهم في ذلك فقال: "بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها والناس لا يجدونه"^(٦).

إن الضمير الحي قد تمر به فترات يضعف فيها ويغفل وقد يقع في المحذور ويرتكب الخطأ إلا أنه سرعان ما يستيقظ من غفلته، ويندم على فعلته، ويتوب من ذنبه، ويلجأ إلى الله U طالباً عفوه ومغفرته، وفي كل الأحوال لا يصر على الخطأ ولا يستمر في المعصية قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ }^(٧).

(١) يراجع: التربية الوجدانية في الإسلام - سمية محمد علي حجازي - رسالة دكتوراه في التربية الإسلامية والمقارنة - كلية التربية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة: ٤٠٧ - ٤٧٧.

(٢) سورة النحل: الآية: ٥٨.

(٣) سورة البقرة: الآية: ١٧٠.

(٤) ينظر: العدالة الاجتماعية: ٦٤، ٦٥، الإنسان بين المادية والإسلام - محمد قطب - ط/١٠ - دار الشروق - القاهرة: ٩٧.

(٥) مناقب أمير المؤمنين عمر: ٨٤.

(٦) الطبقات الكبرى: ٣ / ٣١٢.

(٧) سورة الأعراف: الآية: ٢٠١.

وبهذا يكون الضمير الحي عاملاً مهماً من عوامل إحسان العمل وإتقانه والرجوع عن الخطأ وتصحيحه، وهو أمر ضروري بالنسبة للقيادات في مختلف المواقع القيادية، إذ أن هناك فرقاً كبيراً بين صاحب الضمير الحي الذي يستشعر رقابة الله U عليه في جميع أعماله وأحواله وتصرفاته فيحثه ذلك على العدل والإحسان وخدمة الأمة والقيام بواجبات القيادة، وبين من لا ضمير له ولا استشعار لرقابة الله U مما يدفعه إلى الظلم والبغي واستغلال موقعه القيادي لتحقيق المصالح الشخصية دون اهتمام بالأمة أو رعاية لحقوقها.

ثالثاً: الشعور بالمسؤولية:

إن الشعور بالمسؤولية هو الشعور بثقل الأمانة ذلك أن القيادة في المنهج القرآني تكليف لا تشريف مغرم لا مغنم، يعقبها تبعات وتترتب عليها مسؤوليات، ومن هنا كان التأكيد على أهمية القيادة وارتباطها بالأمانة وعدم إسنادها لمن يطلبها.

والشعور بالمسؤولية القيادية يأتي من صحة العقيدة، وسلامة المبدأ، ووضوح الهدف والغاية لدى القيادات. قال تعالى: { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا }^(١).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى بعد أن عرض أقوال العلماء في معنى الأمانة: "وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها، بل هي متفقة راجعة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها وهو أنه إن قام بذلك أثيب وإن تركها عوقب، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا من وفقه الله تعالى"^(٢).

وقد أكد المنهج القرآني على أهمية الشعور بالمسؤولية وعرض الملامح الأساسية للمسؤولية في الإسلام والتي يتمثل أهمها فيما يأتي:

١- فردية المسؤولية حيث يتحمل كل فرد نتيجة أعماله التي قام بها دون أن يشاركه في هذه المسؤولية أحد، إلا أن ذلك لا يعفي الإنسان من المساءلة عن تأثيرات أعماله الفردية على الآخرين كما لا يعفيه عن تحمل تبعاتها.

٢- عمومها لجميع أفراد المجتمع مهما اختلفت مراكزهم الاجتماعية ومواقعهم القيادية.

٣- شمولها لجميع الأعمال التي يقوم بها الإنسان في هذه الحياة^(٣).

فإذا أدرك الإنسان أنه مساءل عن كل عمل يقوم به صغيراً كان أم كبيراً وأن هذه المساءلة لن يفلت منها أحد كائناً من كان، بل إنه كلما ازدادت مساحة مسؤوليته في الدنيا كلما كان حسابه أشد في

(١) سورة الأحزاب الآية: ٧٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٥٢٣.

(٣) راجع: المسؤولية الخلقية: ٥٧- ٧٠.

الآخرة، إذا أدرك الإنسان ذلك فلا شك أنه سيجرّص على إتقان أعماله المختلفة والقيام بواجباته على الوجه المطلوب.

وقد أكد المنهج القرآني على عظم مسؤولية القيادة وخطورة دورها وتعدد المهام القيادية في العديد من النصوص ومن ذلك قوله تعالى: { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ }^(١) وقوله ٣ في الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسؤول عن رعيته....)^(٢)، وقوله ٣ في الحديث الذي يرويه معقل بن يسار t: (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيتيه إلا حرم الله عليه الجنة)^(٣). وكذا قوله ٣ في الحديث الذي ترويه عائشة رضي الله عنها: (اللهم من ولي من أمي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمي شيئاً فرفق بهم فرفق به)^(٤).

وقد استشر الخلفاء الراشدون والقيادات الإسلامية عبر التاريخ مسؤولية القيادة فحرصوا على النصح للأمة وحمايتها وصيانة حقوقها، كما حرصوا على أداء مهام القيادة بأمانة وإتقان فهذا أبو بكر t يقوم في أول خطبة له بعد توليه الخلافة فيحمد الله ويثني عليه ثم يقول: "أما بعد أيها الناس فإنني وقد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني... أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم"^(٥).

وقد اجتهد t خلال ولايته في رعاية شؤون الأمة والقيام بواجبات القيادة فجمع القرآن، وقاد حروب الردة، ونشر الإسلام وقام بخدمة المسلمين خير قيام، ولما حضرته الوفاة قال لابنته عائشة رضي الله عنها: "أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً، ولكننا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي، وهذا البعير الناصح، وجرّد هذه القطيفة، فإذا مت فابعثي بهن إلى عمر، وأبرئي منهن ففعلت"^(٦).

(١) سورة الحج: الآية: ٤١.

(٢) سبق تخريجه: ص ٣٤.

(٣) صحيح البخاري- كتاب الإمارة- باب من استرعى رعية فلم ينصح: ٢٦١٤/٦ رقم (٦٧٣١)، صحيح مسلم- كتاب الإمارة- باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر: ١٤٦٠/٣ رقم (١٤٢) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٢٨٤/٢ رقم (١٢٠٠).

(٤) صحيح مسلم- كتاب الإمارة- باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر: ١٤٥٨/٣ رقم (١٨٢٨).

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٨٢/٦.

(٦) الطبقات الكبرى: ١٩٦/٣.

وأما عمر **t** فقد بلغ من استشعاره للمسؤولية أن نشر الإسلام، ووسع حركة الجهاد الإسلامي، وجسد مبادئ الإسلام في الحكم، واهتم بمؤسسات المجتمع المختلفة، كما قام برعاية المحتاجين، وداوى إبل الصدقة بنفسه، ووضع منهجاً فريداً في التعامل مع الولاة ومحاسبتهم، بل بلغ به الأمر أن حرم نفسه وأهله من كثير من الحقوق ورعاً وحرصاً على أداء الأمانة على الوجه المطلوب حتى أن لونه تغير في عام الرمادة وخشي عليه المسلمون أن يموت من شدة همه بأمر المسلمين^(١).

وكان **t** قد قرر قبل استشهاده القيام بجولة عامة على الولايات والأقاليم التابعة للدولة الإسلامية لمراقبة العمال وتفقد أحوال الرعية والاطمئنان على أمور الدولة وأعلن عن ذلك بقوله: "لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولاً، فإنني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني، أما عمالهم فلا يرفعونها إليّ وأما هم فلا يصلون إلي، فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين ثم والله لنعم الحول هذا"^(٢).

ولم يكن الشعور بالمسؤولية يفارق عمر **t** مطلقاً حتى روي عنه أنه قال ذات مرة وهو يتحدث عن مسؤولية القيادة: "فو الله ما أستطيع أن أصلي وما أستطيع أن أرقد، وإنني لأفتح السورة فما أدري في أولها أنا أو في آخرها، من همي بالناس منذ جاءني هذا الخبر"^(٣). أي منذ وليت الخلافة.

وعن علي **t** قال: رأيت عمر بن الخطاب **t** على قتب يعدو، فقلت: يا أمير المؤمنين أين تذهب؟ قال: بغير ند من إبل الصدقة أطلبه، فقلت: أذلت الخلفاء بعدك، فقال: يا أبا الحسن لا تلمني فوالذي بعث محمداً بالنبوة لوأن عناقاً أخذت بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة"^(٤).

ورغم كل ذلك فقد نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: "دخلت على عمر **y** حين طعن فجعلت أثني عليه. فقال: بأي شيء تثني علي بالإمرة أو بغيرها؟ قال: قلت بكل. قال: ليتني أخرج منها كفافاً لا أجر ولا وزر"^(٥).

(١) يراجع: الطبقات الكبرى: ٣/ ٣١٢-٣١٥، مناقب أمير المؤمنين عمر: ٦٦-٨٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٢/ ٥٦٥، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: ١٢١.

(٣) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: ٧٣.

(٤) المصدر نفسه: ١٦١.

(٥) الطبقات الكبرى: ٣/ ٣٥١.

وكذلك كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله مستشعراً للمسئولة، ومن ذلك أنه رؤي مغتماً عقب رجوعه من جنازة سليمان بن عبد الملك رحمه الله فسئل عن ذلك فقال: "لمثل ما أنا فيه فليغتم، ليس أحد من الأمة إلا وأنا أريد أن أوصل إليه حقه، غير كاتب إليّ فيه ولا طالبه مني"^(١).

ودخلت عليه زوجته وهو في مصلاه تسيل دموعه على لحيته فقالت: "يا أمير المؤمنين الشيء حدث؟ قال: يا فاطمة إني تقلدت من أمر أمة محمد ٣ أسودها وأحمرها. فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب الأسير، والشيخ الكبير، وذو العيال الكثير والمال القليل وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أن ربي سائلني عنهم يوم القيامة. فخشيت أن لا تثبت لي حجة فبكيت"^(٢).

وهذا الشعور بالمسئولية من قبل الخلفاء الراشدين دفعهم للاهتمام بالرعية وصيانة حقوق الأمة وبذل الجهود العظيمة في خدمتها، كما دفعهم إلى إحسان العمل وإتقان الأداء، ويوم أن فقدت قيادات الأمة الشعور بالمسئولية ضاعت المقدسات، وانتهكت الأعراض، واحتلت الأراضي، وبددت الثروات، وتمزقت الأمة وصار حالها كما نشاهده اليوم.

وهناك العديد من الفوائد الناتجة عن الشعور بالمسئولية يمكن الإشارة إلى أبرزها فيما يأتي:

- ١- حث القائد على العمل ودفعه للتفاعل مع هموم الأمة وقضاياها وخدمتها بكل ما أوتي من قوة.
- ٢- بذل الجهد لتطوير العمل وتحسين الأداء والانتقال به إلى وضع أفضل.
- ٣- التأني قبل الإقدام على أي خطوة ودراسة التأثيرات الناتجة عنها على الأمة.
- ٤- تسليم القيادة إلى ذوي الأهلية والكفاءة القادرين على إتقان الأداء لشعور القائد بتحمل نتيجة أعمالهم.
- ٥- كبح جماح شهوة القيادة والرغبة في التسلط^(٣).

إن الحديث عن الشعور بالمسئولية كعامل من أبرز العوامل المساعدة على إتقان الأداء، ينتظم أموراً

ثلاثة يجب أن تستوعبها القيادات الحالية أو الشخصيات المرشحة للقيادة في أي موقع وهي:

- ١- الشعور بعظم الأمانة التي يحملها القائد .
- ٢- العمل الدائم لتجويد الأداء وتحسين أحوال الأمة .
- ٣- استعداد القائد لتحمل نتيجة أعماله.^(٤)

(١) تأريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٦١.

(٢) المصدر نفسه: ٢٦٦، ٢٦٧.

(٣) ينظر: القيادة المؤمنة: ٨٤، ٨٥.

(٤) يراجع: المصدر نفسه: ٨٠، ٨٥.

رابعاً: معرفة القدرات الذاتية وتنميتها باستمرار

تعد معرفة القدرات الذاتية والعمل على تنميتها من أهم العوامل المؤدية إلى إتقان الأداء؛ ذلك أن العمل إدراكً واستجابةً طاقةً وحركةً، تتسبب وتكاملٌ وصبرٌ ومصابرة، فهو ثمرة لسلسلة متداخلة من العمليات الفكرية والنفسية والجسمية، الفردية والجماعية، ولاشك أن إنجاح العمل يتطلب تنفيذ هذه العمليات بصورة متقنة، مما يتطلب قدراً من الفهم والإدراك، والإصرار والمثابرة، والمتابعة والتقويم الأمر الذي يعني ضرورة توفر الشخصية المؤهلة ذات الخبرة والكفاءة، المتمعة ببنية نفسية وعلمية عالية، والمزودة برصيد من الخبرة والتجربة والفهم والإدراك، إلى جانب الطاقات العملية الأخرى وعند وجود هذه الشخصية يمكن التفاؤل بإمكانية إنجاز الأداء وإتقانه.

وقد أكد المنهج القرآني على أهمية محاسبة النفس وتقييم الذات كمدخل أساسي للتعرف على القدرات الذاتية وتنميتها. قال تعالى: { أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا }^(١). وقال ٣ في الحديث الذي يرويه شداد بن أوس t: (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها ومنى على الله الأمانى) (٢).

ولابد أن يكون الإنسان صريحاً في تقييم ذاته جريئاً في مكاشفة نفسه بعيوبها وهو أمر شاق على النفس إلا أنه ضروري لإصلاحها وتنمية قدراتها، ومن هنا كان لابد أن تسبقه عملية تهذيب لها وتدرج في الارتقاء بها، ذلك أن الإنسان عندما يهتم "بتهديب نفسه فإنه يقوم بتحليل نشاطه بصفة مستمرة ويفرق بأمانة بين النجاح والفشل ويكشف عن أسباب كل منهما، وبهذا يكون إسهامه في الحياة والعمل قائماً على أساس منظم فهو يقدر إمكاناته وقدراته بحكمة ولا يباشر المهام التي يرى أنها خارج القدرة على التنفيذ، ولكنه في نفس الوقت لا يترك منفذاً للتكاسل أو التراخي، ويعني تهذيب النفس أيضاً الانضباط والحزم مع النفس والقدرة على السيطرة عليها"^(٣).

ومن هنا نجد سيدنا موسى u عندما كلفه الله بالرسالة وأمره بالتوجه إلى فرعون وقومه لدعوتهم حاسب نفسه وقيم ذاته ودرس قدراته وإمكاناته ثم خاطب ربه تعالى في تجرد تام وصراحة متناهية: { قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَقْفَهُوا قَوْلِي }^(٤)، كما بين في موضع آخر العلة من طلب إشراك هارون u معه في النبوة وهو ما نص عليه قوله تعالى: { وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون }^(٥). وهكذا نجد موسى u يتحدث عن قدراته وإمكاناته بتجرد وموضوعية حديث العارف بها المدرك لمكامن القصور فيها الحريص على تنميتها وتطويرها وهو ما تم له فعلاً.

(١) سورة الإسراء: الآية: ١٤.

(٢) سنن الترمذي - كتاب صفة القيامة والرقائق والورع: ٦٣٨/٤ رقم (٢٤٥٩). وقال: "حديث حسن".

(٣) أسلوب عمل القائد للجنرال لاشينكو: ١٦٩.

(٤) سورة طه: الآيات: ٢٥ - ٢٨.

(٥) سورة القصص: الآية: ٣٤.

ويحدثنا القرآن الكريم أيضاً عن جنود سليمان U وكيف تنافسوا في إظهار قدراتهم عندما طلب منهم إحضار عرش بلقيس. قال تعالى: { قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيَّتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ } (١).

وهناك طريقتين للوقوف على عيوب النفس ومعرفة القدرات والإمكانات الذاتية:

الأولى: مباشرة عن طريق المحاسبة الشخصية وتقييم الذات. وهي ما نص عليه قوله تعالى: { أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } (٢).

أما الطريقة الثانية: فتتم بمعرفة عيوب النفس وقدراتها وإمكاناتها عن طريق الآخرين وهي غير مباشرة.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: "إن الله U إذا أراد بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه، فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج" (٣).

خامساً: وضوح الرؤية ومعرفة المهام والأعمال:

كي يتمكن الإنسان من أداء أي عمل فضلاً عن إتقانه يجب أن يلم به إماماً كاملاً من جميع جوانبه، وذلك بمعرفة الهدف منه، وكيفية التنفيذ، والزمن الذي ينبغي أن يستغرقه العمل، ومستوى الإنجاز المطلوب، والبدائل التي يجب اللجوء إليها عند الضرورة لإنجاز هذا العمل.

وهذه سنة إلهية أكد عليها المنهج القرآني في العديد من النصوص التي أشارت إلى الغاية من خلق الإنسان والهدف من وجوده على هذه الأرض، والمتمثلة في عبادة الله U والقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض. قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (٤). وقال تعالى: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (٥).

ومن هنا كان إرسال الرسل وإنزال الكتب وسيلة لتربية الإنسانية وتعليمها كيفية تنفيذ المهام الموكلة إليها وتحقيق هذه الأهداف في واقع حياتها. قال تعالى: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } (٦).

(١) سورة النمل: الآيات: ٣٨ - ٤٠ ..

(٢) سورة الإسراء: الآية: ١٤ .

(٣) إحياء علوم الدين: ٣/ ٦٢، ٦٣ .

(٤) سورة الذاريات: الآية: ٥٦ .

(٥) سورة هود: الآية: ٦١ .

(٦) سورة الحديد: الآية: ٢٥ .



إن تحديد المهام والاختصاصات سنة إلهية يراد بها تعريف كل أحد بعمله وواجبه حتى يقوم به على الوجه المطلوب دون تقصير فيه أو تجاوز إلى عمل الآخرين وهي سنة واضحة في حياة جميع المخلوقات والكائنات، فقد قسم الله تعالى على مخلوقاته وظائفها تقسيماً واضحاً وحدد لكل منها مهامها واختصاصاتها، فجعل للسموات وظائفها وسكانها، وجعل للأرض وظائفها وسكانها، وكذلك الأمر بالنسبة للكواكب وبقية المخلوقات من جماد وحيوان^(١). قال تعالى: { أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً * وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً }^(٢). وقال تعالى: { وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ }^(٣).

وتتطبق هذه السنة أيضاً على الناس حيث نجد التحديد الدقيق لوظائف كل عضو من أعضاء الإنسان تحديداً تختلف فيه الوظائف والاختصاصات من عضو إلى آخر، وكذلك الأمر بالنسبة للملائكة حيث نجد لكل مجموعة منها وظيفة تختلف عن غيرها^(٤).

وقد حدد المولى U وظائف الأنبياء الكرام عليهم السلام وبين اختصاصاتهم في العديد من الآيات القرآنية فحدد وظيفة الأنبياء عموماً في قوله تعالى: { رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَّاسٍ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا }^(٥). وحدد مهمة موسى وهارون عليهما السلام في قوله تعالى: { أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى }^(٦). كما حدد وظيفة رسوله ﷺ في قوله تعالى: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ }^(٧).

ويتأمل هذه الآيات القرآنية وغيرها يمكن تحديد أهم وظائف الرسل عليهم السلام في التبشير والإنذار وتبليغ الوحي والدعوة إلى الله U ، والقيام بمهام التربية والتعليم للخلق والحكم بينهم بالحق والعدل، والجهاد في سبيل الله لنشر الدين وإنقاذ المستضعفين، وهي اختصاصات واضحة لدى الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ولذلك تمكنوا من القيام بواجبات النبوة والرسالة على أكمل وجه وهو ما يدل عليه قوله تعالى: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ }^(٨).

وقد طبق رسول الله ﷺ هذا المبدأ فكان يحدد لولاته وقادته ومهامهم واختصاصاتهم والضوابط العامة التي ينبغي عليهم استيعابها ويتيح لهم المجال للاجتهاد والابداع في ضوء ذلك واختيار الكيفية

(١) ينظر: الكفاءة الإدارية: ١٠٧.

(٢) سورة النبأ: الآيات: ٦-٨.

(٣) سورة الحجر: الآية: ١٦.

(٤) ينظر: الكفاءة الإدارية: ١٠٨.

(٥) سورة النساء: الآية: ١٦٥.

(٦) سورة طه: الآيات: ٣٤، ٣٥.

(٧) سورة الجمعة: الآية: ٢.

(٨) سورة يوسف: الآية: ١٠٨.

المناسبة لتنفيذ المهام وتحقيق الأهداف، ومن ذلك تحديده **ر** لمعاذ بن جبل **ت** مهامه واختصاصاته عندما بعثه إلى اليمن، فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي **ر** لما بعث معاذاً على اليمن قال له: (إذك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم فإذا فعلوا فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس) (1).

ومن ذلك أيضاً ما رواه بريدة الأسلمي **ت** أن النبي **ر** كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: (أغزوا باسم الله، قاتلوا من كفى بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال.. فأينهم ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى النحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبو أن ينحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين تجري عليهم حكم الله الذي تجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنمة والفبي شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبو فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبو فاسنعن بالله وقاتلهم وإذا حاصرت أهل حصن، فأمرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تحضروا ذمكم وذمة أصحابكم أهون من أن تحضروا ذمة الله وذمة رسوله، فإن حاصرت أهل حصن فأمرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا) (2).

قال النووي رحمه الله: "وفي هذه الكلمات من الحديث فوائد مجمع عليها وهي تحريم الغدر وتحريم الغلول وتحريم قتل الصبيان إذا لم يقاتلوا وكراهه المثلة واستحباب وصية الإمام أمراءه وجيوشه بتقوى الله تعالى والرفق بأتباعهم وتعريفهم ما يحتاجون في غزوهم وما يجب عليهم وما يحل لهم وما يحرم عليهم، وما يكره وما يستحب" (3).

فقد بين النبي **ر** في هذا الحديث مهام واختصاصات القيادات العسكرية الإسلامية، والضوابط التي يجب أن تلتزمها، وحددها تحديداً دقيقاً، كما بين هذه المسألة في العديد من الأحاديث والمواقف

(1) سبق تخريجه: ص ١٠٠ .

(2) صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بأداب الغزو: ١٣٥٧/٣ رقم (١٧٣١).

(3) شرح النووي على مسلم: ٣٧ / ١٢ .

الأخرى، وكذلك الأمر بالنسبة للخلفاء الراشدين والقيادات الإسلامية الذين كان كل منهم يحرص على معرفة مهامه واختصاصاته بوضوح وتعريفها لمن يعملون تحت قيادته من الولاة والأمراء والقيادات الميدانية الأخرى، ولاشك أن ذلك من أهم العوامل المؤدية إلى إنجاز العمل وإتقان الأداء^(١).

سادساً: حسن اختيار المستشارين والمساعدین:

أصبح العمل الجماعي ضرورة ملحة لأداء المهام المختلفة وإنجازها على الوجه المطلوب، ذلك أن الجهد الفردي مهما بلغ إتقانه فإنه يظل محدوداً في نتائجه ودقته إذا قيس بالجهد الجماعي المشترك، وقد اتسع مجال الأعمال حتى أصبح من النادر أن يتفرد شخص واحد بعمل ما من بدايته إلى نهايته. والقيادة تمثل أحد مجالات العمل بل أخطرهما، وهي نتيجة طبيعية لتفاعل عدد من الشخصيات والأجهزة وإن كان القائد هو الشخصية الأبرز التي تسلط عليها الأضواء. ومهما بلغت خبرة القائد وكفائه وأهليته للقيادة إلا أنه لا يمكنه تصريف الأمور وإدارة شؤون الأمة بمفرده، بل لا بد من وجود أجهزة معاونه تتولى تقديم الاستشارات اللازمة له وتساعده في إدارة الجوانب المختلفة، الأمر الذي يجعل من هذه الأجهزة المعاونة أحد أبرز العوامل المؤثرة في إتقان الأداء أو فشله^(٢)، وهو ما يؤكد قول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو سعيد الخدري **t**: (ما بعث الله من نبي، ولا كان بعده من خليفة، إلا كان له بطانان: بطانته تأمر بالمعروف وتنهيه عن المنكر، وبطانته لا تالوا خبالاً، فمن وقى شرها فقد وقى) (٣).

ومن هذا المنطلق كان طلب موسى **u** من ربه **u** أن يؤيده بهارون **u** ليكون عوناً له على القيام بمهام النبوة والقيادة وأدائها على أكمل وجه فكان هارون **u** نعم العون والسند، ونعم المساعد والمستشار. قال تعالى: { **وَجَعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنُذَكِّرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا** } (٤).

وبلغ من ملك سليمان **u** أن يقود الإنس والجن والطير، وأن تسخر جميع المخلوقات لخدمته وتنفيذ أوامره ومع ذلك كان له أعوان ومساعدون ومستشارون من كافة المخلوقات، فكان الهدهد سفيره إلى ملكة سبأ، وهو ما دل عليه قوله تعالى: (**قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ**) (٥) كما كان لذوي العلم والكفاءة من الإنس والجن حضور

(١) يراجع: الكفاءة الإدارية: ١١١ - ١١٨.

(٢) ينظر: النبي المرابي: ٣٨٧، ٣٨٨.

(٣) صحيح البخاري - كتاب الأحكام - باب بطانة الإمام وأهل مشورته: ٦/٢٦٣٢ رقم (٦٧٧٣).

(٤) سورة طه: الآيات: ٢٩ - ٣٥.

(٥) سورة النمل: الآيات: ٢٧ - ٢٨.

في مجلسه U وهو ما دل عليه قوله تعالى: { قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ } (١).

وكذلك الأمر بالنسبة لملكة سبأ التي كان أعوانها ومستشاروها من ذوي العقول الراجحة حيث أسهموا معها في الأخذ بيد أمتهم إلى طريق الهداية والإيمان وإنقاذها من الكفر والضلال والإبادة على يد سليمان U وجنوده وهو ما دل عليه قوله تعالى: { قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون } (٢).

وبالمقابل نجد أن فرعون لعنه الله كان يفتني أعوانه ومستشاريه من الجهلة وذوي المصالح الضيقة وضعاف الشخصية الذين لا يريدون له طلباً ولا يقدمون له نصحاً، بل يعينونه على الباطل ويزينون له طريقه بدليل قوله تعالى: { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ } (٣).

ومن خلال ما سبق يمكن إدراك أهمية التدقيق في اختيار المساعدين والمستشارين وهو أمر أكده علماء الفكر السياسي الإسلامي، فالمرادي^(٤) يقول في نصيحته للقائد: "كاتبك لسانك، وحاجبك وجهك، وعونك يدك، فاختر لنفسك وجهاً ولساناً ويدا... ومن لا يحسن اختيار كتابه وحجابه وأعوانه فأحرى أن لا يحسن التصرف في سلطانه"^(٥).

أما ابن الأزرق فيعد أن حسن اختيار السلطان أو القائد لمساعديه ومستشاريه دليل على فضيلته واستشعاره للمسؤولية، ولذلك ينص على أن اختيارهم "على أكمل الصفات من أسبق ما يشهد للسلطان بإحرازه، لفضيلة المسؤولية على أبعد غاية... وأول ما يظهر من قبل السلطان وقوة تميزه وجودة عقله- يظهر - في استنخاب الوزراء وانتقاء الجلساء ومحادثه العقلاء"^(٦).

وهناك بعض الأسس التي يجب مراعاتها عند اختيار المساعدين والمستشارين:

- ١- توفر الشروط القيادية فيهم.
- ٢- اختيارهم حسب الخبرة والكفاءة والأحقية وليس حسب القرابة والوساطة والمحسوبية.
- ٣- وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.
- ٤- مراقبة المساعدين والمستشارين ومحاسبتهم.

(١) سورة النمل: الآية: ٣٨.

(٢) سورة النمل: الآية: ٣٢.

(٣) سورة غافر: الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٤) أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي، فقيه متكلم بياني، قدم الأندلس وأخذ عن أهلها، ودخل قرطبة سنة ٤٨٧ هـ. ينظر: معجم المؤلفين: ١٨٨/٩.

(٥) كتاب الإشارة إلى أدب الإمارة-أبوي بكر محمد بن الحسن الحضرمي-دراسة وتحقيق:رضوان السيد- ط/١-دار الطليعة-بيروت:١٠٧.

(٦) بدائع السلك في طبائع الملك: ١/ ١٧٧.

وقد طبق النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون هذه الأسس عند اختيار الولاة والقادة والمستشارين، فكانوا يحرصون على توفر الشروط القيادية في المرشحين للمواقع القيادية، ويختارونهم على أساس الأهلية والكفاءة بعيداً عن المجاملة والمحاباه كما كانوا يحرصون على وضع الرجل المناسب في المكان المناسب لقدراته وإمكاناته ويراقبونه حتى يضمنوا استقامته وأدائه لعمله على الوجه المطلوب^(١).

وقد كان عمر t له منهج خاص في اختيار الولاة والمساعدين وهو منهج يشتمل على الأسس السابقة مضافاً إليها اشتراط الصحة، ومراعاة عدد من الاعتبارات الخاصة ومنع الولاة والقيادات من مزاولة التجارة وإحصاء ثرواتهم عند التعيين، واختبارهم للتأكد من كفاءتهم، وكان يشترط عليهم ألا يركبوا برذونا^(٢) ولا يأكلوا نقياً ولا يلبسوا رقيقاً ولا يغلقوا أبوابهم دون حوائج المسلمين، كما كان يحرص على التأكد من تحليهم بالزهد والورع والتواضع واحترام من سبقهم، قبل أن يقوم بإصدار قرارات تعيينهم^(٣).

والملاحظ أن حسن اختيار النبي ﷺ وخلفاءه الراشدين لمساعدتهم ومستشاريهم أسهم في تحقيق وحدة الأمة وتماسكها ونشر الإسلام وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية، كما أسهم في تمكين قيادات الدولة الإسلامية من القيام بواجباتها على الوجه المطلوب، وهو أمر يجب أن تنتبه له قيادات الأمة اليوم فتحرص على انتقاء مساعديها ومستشاريها من ذوي الخبرة والكفاءة بعيداً عن المجاملة وتغليب المصالح الشخصية.

سابعاً: الرقابة والمحاسبة:

الرقابة في اللغة: هي المحافظة على الشيء وحراسته ورعايته ورصده والإشراف عليه^(٤).

وفي الاصطلاح: "مجهود إنساني يتم وفق خطوات معينة للوقوف على مدى إتفاق التنفيذ مع ما تم التخطيط له من أهداف، وتصحيح مسار هذا التنفيذ- إن كان هناك انحراف- بأسلوب يحقق من ناحية التلاؤم والتكيف مع الظروف وعوامل الموقف، ومن ناحية أخرى التعادل والتوازن بين كفاءة وفاعلية الأداء، وبين الاعتبارات السلوكية والإنسانية للقائمين على هذا الأداء"^(٤).

وتعد عملية الرقابة والمحاسبة إحدى الدعائم الأساسية التي تعتمد عليها المنظمات في قياس مستوى الإنجاز والتأكد من نسبة إتقانه، وما من فرد أو جماعة إلا ويحتاجون إلى تطبيق مبدأ المراقبة والمحاسبة ضماناً لسلامة السير نحو تحقيق الأهداف المرجوة والتأكد من عدم الانحراف أو الخروج عنها في خضم الأحداث. قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمُ

(١) يراجع: الانشراح ورفع الضيق بسيرة الصديق: ١٦٣ - ١٨١.

(٢) البرذون الدابة الجافية الخلقة من الخيل وأكثر ماتجلب من بلاد الروم ، ولهاجلد على السير في السعاب والجبال أكثر من الخيل العربية. ينظر: فتح الباري: ٦/٦٧.

(٣) يراجع: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب: ٣٧٨ - ٣٨٦.

(٤) ينظر: لسان العرب- مادة رقب: ١/ ٤٢٤

(٤) الرقابة على أداء الجهاز الإداري- رمضان محمد بطيح- طبعة دار النهضة العربية - القاهرة: ٢٢.

مُبْصِرُونَ} (١). وقال تعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا يَكُنْ لِذُنُوبِهِمْ عَذَابٌ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (٢).

وتهدف عملية الرقابة والمحاسبة إلى تحقيق جملة من الأهداف من أبرزها:

- ١- الحفاظ على الصالح من العمل وتحسينه، وتعديل السيئ أو إلغائه.
- ٢- إشعار العاملين بصواب أو خطأ أدائهم وإبداء الاهتمام بهم والحرص عليهم.
- ٣- طمأننة الجهات المستفيدة من العمل على سلامة الأداء، بالتأكيد على إنجاز العمل وتحقيق الأهداف (٣).
- ٤- التأكد من تنفيذ المهام حسب الخطط المرسومة، وبما يضمن تحقيق الأهداف المرجوة.
- ٥- الارتقاء بمستوى الأداء والوصول به إلى مرتبة الإتقان.
- ٦- تطبيق مبدأ الثواب والعقاب وبما يضمن استمرارية الأداء وفعاليتها.

أما أنواع الرقابة الفاعلة فيمكن إجمالها في ثلاثة أنواع يمكن الإشارة إليها فيما يأتي:

١- الرقابة الذاتية:

وهي قيام الإنسان بمراقبة نفسه وتقييم ذاته لتعديل سلوكه وتحسين أدائه قبل القيام بالعمل

أو تصحيح الأخطاء التي وقع فيها أثناءه، وهي رقابة وقائية علاجية تهدف إلى تصحيح المسار وإتقان الأداء انطلاقاً من الشعور برقابة الله U واطلاعه كل أحوال الإنسان. قال تعالى: { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ } (٤). وقال تعالى: { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ } (٥).

"وتهدف الرقابة الذاتية إلى جعل الفرد ضابطاً لتصرفاته ومقوماً لأعمال نفسه ولاجماً لنزواتها بما يمتلك من الإيمان والشعور برقابة الله U فهو وإن أخطأ أو اقتترف ذنباً أو نسي واجباً سرعان ما يصلح ما أفسد ويؤدي ما قصر عنه" (٦).

وتعد الرقابة الذاتية أهم وأفضل أنواع الرقابة على الإطلاق ؛ لأنها تجعل من الإنسان رقيباً على ذاته يحاسبها ويصحح أخطاءها ، وليس هناك عامل أقوى في تكوين هذه الرقابة وتنميتها وتفعيلها من الإيمان الصادق الذي يبعث على التقوى والمراقبة والخشية لله تعالى .

وقد بلغ من شدة مراقبة عمر t لذاته ومحاسبة لنفسه أن قال: "لو مات جدي بشاطئ العراق

لخشيت أن يحاسب الله به عمر" (١).

(١) سورة الأعراف: الآية: ٢٠١.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ١٣٥.

(٣) ينظر: دليل التدريب القيادي: ١٢٣.

(٤) سورة الأنبياء: الآيتان: ٤٨، ٤٩.

(٥) سورة البقرة: الآية: ٢٣٥.

(٦) القيادة المؤمنة: ١٤٦.

وهكذا تمثل الرقابة الذاتية خط الدفاع الأول في مواجهة الانحراف في شتى مظاهره وصوره من خلال تربية ضمير المسلم، بحيث يصبح رقيباً على نفسه وحارساً لحقوق الأمة ومحافظةً على تعاليم الشريعة في كافة المجالات، وما أحوج الأمة اليوم إلى القيادات التي تراقب ذاتها وتحاسب نفسها وتستشعر مسؤولياتها تجاه دينها وأمتها، وتؤدي واجباتها القيادية على الوجه المطلوب.

٢- الرقابة السياسية

وهي التي تمارسها الأمة تجاه حكامها، ويعبر عنها المنهج القرآني بالنصيحة التي تعد أداة جوهرية لمراجعة الأداء وتقويمه وصولاً إلى إحسان العمل وإتقان الأداء. قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٢).

وقد أكد ٣ على هذا النوع من الرقابة في الحديث الذي يرويه النواس بن سمعان t قال: سمعت رسول الله يقول: (الدين النصيحة). قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله وإكنا به، ولسوله ولأئمة المسلمين وعامهم (٣).

وتهدف الرقابة السياسية إلى تقويم الاعوجاج وتصحيح المسار وتحسين الأداء، كما تأخذ أشكالاً متعددة منها المباشر الذي تمارسه الأمة بمجموع أفرادها عن طريق النصائح التي يقدمها الأفراد للولاة أو الاحتساب عليهم، ومنها غير المباشر الذي تمارسه الأمة عبر ممثلها في مجالس الشورى والمجالس النيابية.

وهناك ثلاثة أسس تقوم عليها الرقابة السياسية وتحدد على ضوءها كيفية التعامل

بين الأمة وقيادتها وهي:

أ. التفكير في منهج القيادات وتوجيهاتها وتحليل أوامرها وتوجيهاتها:

ويستدل على أهمية هذه الخطوة بفعل عمر بن الخطاب t يوم الحديبية حين قال للنبي ٣: (يا رسول الله ألسنا على الحق؟ قال: بلى. قال أوليسوا على الباطل؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي في ديننا فقال ٣ يا عمر إني رسول الله ولن يضيعني) (٤). وهذا موقف جريء من عمر t إلا إنه ينسجم مع طبيعة شخصيته، ومع طبيعة المنهج القرآني الذي يدعو إلى تحليل الأوامر وفهمها حتى يكون التنفيذ على

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: ١٦١.

(٢) سورة التوبة: الآية: ٧١.

(٣) صحيح مسلم- كتاب الإيمان- باب بيان أن الدين النصيحة ٧٤/١ رقم (٥٥).

(٤) صحيح البخاري- كتاب الشروط- باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحق: ٩٨٧/٢ رقم (٢٥٨١)، صحيح مسلم- كتاب الجهاد والسير- باب صلح الحديبية: ٤٤١١/٣ رقم (١٧٨٥). والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٢٦٢/٢ رقم (١١٦٨).

بصيرة ودراية وقناعة تامة، كما يتمشى مع طبيعة المنهج القرآني ايضاً في التشجيع على إبداء الآراء واحترام المعارضة النزيهة.

ب. تصحيح مسار القيادات عند انحرافها عن الأهداف أو القيم والمبادئ :

ويستدل على ذلك بقول النبي ﷺ (مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم اسثموا سفينة، فكان بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا أرادوا أن يسقطوا الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصينا خرقتنا ولم نؤذ من فوقنا. فلو تنكروهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعاً ولو أخذوا على أيديهم نجو ونجو جميعاً)^(١).

ج. المبادرة لاتخاذ الإجراءات الصحيحة وعدم انتظار الأوامر فقط:

ويستدل على ذلك بموقف أنس بن النضر t في غزوة أحد حين مر بقوم من المسلمين قد ألقوا أسلحتهم فقال: "ما تنتظرون؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ فقال: ما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه"^(٢)، فهذا الموقف يدل على مبادرة هذا الصحابي الجليل لاتخاذ الموقف الصحيح بناء على فهمه لطبيعة المنهج الإسلامي وأنه يقوم على المبادئ لا على الأشخاص مهما عظمت منزلتهم، وانطلاقاً من إدراكه للهدف المراد تحقيقه وهو إعلاء كلمة الله تعالى، وهو موقف أيده القرآن الكريم في قوله تعالى: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ }^(٣).

٣- الرقابة الإدارية

وهي التي تمارسها القيادة تجاه مساعديها ومستشاريها وذوي المواقع القيادية، وتجاه أفراد المجتمع، للتأكد من إنجاز المهام وتحقيق الأهداف ومشروعية الوسائل المستخدمة في تحقيقها، كما تهدف إلى تصحيح الاختلال، وتقويم الاعوجاج، وتطوير الأداء. قال تعالى: { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ }^(٤). وقال تعالى: { وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }^(٥).

وتستمد الرقابة الإدارية شرعيتها من قوله تعالى: (وَرَسُولُهُ) باعتبار النبي والقائد، أما النبوة فانتهت بموته ﷺ، وأما القيادة فمستمرة فيمن يعقبه من الخلفاء الراشدين وأمرء الأمة وقياداتها إلى أن

(١) صحيح البخاري- كتاب الشركة- باب هل يقرع بالقسمة والاستهام فيه: ٨٨٢/٢ رقم (٢٣٦١) .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام : ٣٢/٤ .

(٣) سورة آل عمران: الآية: ١٤٤ .

(٤) سورة الحج: الآية: ٤١ .

(٥) سورة التوبة: الآية: ١٠٥ .

يرث الله الأرض ومن عليها^(١)، وهناك أحاديث كثيرة تدل على مشروعية الرقابة الإدارية وأهميتها منها قوله **ر: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسؤول عن رعيته...)** (٢).

وقد عد الماوردي الرقابة الإدارية من أهم واجبات القيادة فألزم القائد "أن يباشر بنفسه مشاركة الأمور وتصفح الأحوال، لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة، فقد يخون الأمين ويغش الناصح" (٣).

والرقابة الإدارية ضرورية لضمان سير العمل وإتقان الأداء، والتأكد من التزام الأفراد بواجباتهم وأداء مهامهم دون استغلال للسلطة أو إساءة استخدامها، ويدخل في ذلك متابعة تنفيذ القوانين والأنظمة وعدم مخالفتها من قبل أي فرد من أفراد المجتمع، ولا تتنافى بينها وبين منح الثقة للأفراد وحسن الظن بهم فعلى القائد أن يمنح ثقته للآخرين ولكن لا يغمض عينيه بعد ذلك وينام هادئ البال.

وقد صور القرآن الكريم شخصية سليمان **u** كأحد أبرز القادة الذين طبقوا مبدأ الرقابة الإدارية بأرقى صورها منذ زمن بعيد في قوله تعالى: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لأَعَدَّبْتُهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ }^(٤). فقد جمع في موقفه هذا بين الرقابة والمحاسبة، ودلل على شدة ملاحظته **u** ودقة مراقبته ومعرفته بأفراجه حيث تبين له غياب فرد صغير من بين جنود جيشه الكبير.

ومن أكثر المواقف دلالة على مراقبة النبي **ر** ومحاسبته لعماله وولاته ما رواه أبو حميد الساعدي **t: (أن النبي ر استعمل ابن اللثبية^(٥) على صدقات بني سليم، فلما جاء إلى رسول الله ر وحاسبه قال: هذا الذي لكم، وهذه هديته أهديت لي، فقال رسول الله ر: فهلا جلست في بيت أهلك وأمك حتى تأتئك هديتك إن كنت صادقاً؟ ثم قام رسول الله ر فخطب الناس وحمد الله وأشنى عليه ثم قال: أما بعد فإني استعمل رجلاً منكم على أمور مما ولاني الله فيأتي أحدكم فيقول: هذا لكم، وهذه هديته أهديت لي، فهلا جلس في بيت أبيه وبيت أمه حتى تأتية هديته إن كان صادقاً؟) (١)، وبهذا يكون النبي **ر** أول من طبق مبدأ من**

(١) ينظر: الرقابة في الإدارة الإسلامية - أحمد بن داود المزجاجي - مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - العدد (٣٥) - أغسطس ١٩٩٨م -

مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت: ١٠٣.

(٢) سبق تخريجه: ص ٣٤ .

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي: ١٨.

(٤) سورة النمل: الآيتان: ٢٠، ٢١.

(٥) اسمه عبدالله بن اللثبية بن ثعلبة الأزدي. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: ٢٢٠/٤.

(١) صحيح البخاري - كتاب الأحكام - باب احتيال العامل ليهدي له: ٢٥٥٩/٦ رقم (٦٧٨)، صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب تحريم هدايا العمال: ١٤٦٣/٣ رقم (١٨٣٢). والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٢٨٦/٢ رقم (١٢٠٢).

أين لك هذا؟ **t** بل ثبت أنه **r** عزل العلاء الحضرمي **t** عن ولاية البحرين عندما شكاه وفد عبد القيس وولى أبان بن سعيد **t** مكانه^(٢).

وأما عمر **t** فلم يكتف بمتابعة الولاية ومراقبتهم فقط بل تجاوز ذلك إلى المحاسبة وإصدار العقوبات المختلفة التي شملت التوبيخ الشفوي والكتابي، والتأديب بالضرب، ومقاسمة الأموال والممتلكات، بل تجاوزت ذلك إلى خفض الرتبة من والٍ إلى راعي غنم، والعزل، وتمكين الرعية من القصاص^(٣).

ومن خلال استعراض هذه النماذج والتطبيقات ندرك مدى اهتمام النظام الإسلامي بعملية الرقابة الإدارية، كما ندرك مدى أهميتها في استقامة القيادات وإنجاز المهام وإتقان الأداء. وبالمقابل نجد أن إهمال الرقابة الإدارية يعني جهل القائد بأحوال الرعية وعدم إدراكه لمصالحهم، ويفتح المجال لذوي المطامع والأهواء لاستغلال مناصبهم في ظلم الرعية وتحقيق المصالح الشخصية، كما يدفع الأمة للاستياء من إهمال ولي الأمر والسخط على ولاته، الأمر الذي يؤدي إلى فقد الثقة وانعدام التعاون وانتشار الفوضى.

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى: ٤ / ٣٦٠.

(٣) يراجع: فصل الخطاب: ٤١٣ - ٤١٨.



الفصل الثالث

جوانب التربية القيادية

- المبحث الأول: الجانب الروحي.
- المبحث الثاني: الجانب الأخلاقي.
- المبحث الثالث: الجانب الاجتماعي.
- المبحث الرابع: الجانب العقلي.
- المبحث الخامس: الجانب السياسي.
- المبحث السادس: الجانب الوجداني.
- المبحث السابع: الجانب الجسمي.
- المبحث الثامن: الجانب الاقتصادي.

تمهيد:

قبل الحديث عن جوانب التربية القيادية لا بد من الإشارة الموجزة إلى طبيعة العينة التي تستهدفها هذه التربية وهي الإنسان بتركيبته المعروفة وأبعاده المختلفة وتناقضاته المتعددة، ودوامات الصراع المستمرة التي ترافقه طيلة حياته في هذه الدنيا، ولعل أبرز ما ينبغي معرفته عن الطبيعة الإنسانية ما يأتي:

١- إن الإنسان مخلوق ذو طبيعة مزدوجة يتمثل أحد وجهيها في البعد الرباني المتمثل في النفخة الرباني من روح الله U ، الأمر الذي يوحي بالسمو والارتقاء إلى أعلى درجات الكمال، بينما يتمثل الآخر في البعد الطيني المنبثق عن الحمأ المسنون، الأمر الذي يوحي بالسلبية والهبوط إلى أدنى دركات النقص. قال تعالى: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝} (١).

٢- إن حاجات الإنسان مزدوجة بازدواج طبيعته فهناك الحاجات العضوية المتصلة بجانب الجسم مثل: الحاجة إلى الطعام والشراب والخراج والجنس والراحة، وهناك الحاجات الوجدانية المتصلة بجانب الانفعال والشعور مثل: الحاجة إلى الإيمان والأمن والاستقرار والحب والتقدير وتحقيق الذات، وهذان النوعان من الحاجات ضروريان للحفاظ على صحة النفس وأمنها واستقرارها والحرمان منهما لون من ألوان العقاب المؤلم للنفس الإنسانية. قال تعالى: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝} (٢).

٣- إن الإنسان مخلوق مكرم من قبل الله U ، حيث كرم بالنفخة الربانية، ثم كرم باسناد مهمة الخلافة في الأرض إليه، وإسجاد الملائكة له، وتفضيله على سائر المخلوقات. قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝} (٣).

٤- إن الإنسان خلق باستعدادات متساوية للخير والشر قال تعالى: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝} (٤).

٥- إن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي منح حرية الإرادة التي تمكنه من التغيير المستمر والحركة الدائمة بين بعديه المادي والروحي ، والمسافة بين المادة والروح هي المسافة التي يجب عليه أن يقطعها للوصول إلى مرتبة الكمال البشري. قال تعالى: { إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝} (٥).

٦- إن تبعة أعمال الإنسان ومسئولياتها تقع عليه وحده. قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝} (٦).

(١) سورة ص : الآيتان: ٧١، ٧٢.

(٢) سورة قريش : الآيتان: ٣، ٤.

(٣) سورة الاسراء: الآية : ٧٠ .

(٤) سورة الشمس: الآيات ٧-١٠.

(٥) سورة الإنسان : الآيتان : ٢، ٣

(٦) سورة المدثر : الآية: ٣٨ .

٧- إن الإنسان بما منح من حرية الإرادة والاختيار لم يعد مسؤولاً عن نفسه فقط، وإنما حمل إلى جوار ذلك تبعات الأمانة الإلهية عن هذا العالم بما فيه ومن فيه كخليفة عن الله تعالى في أرضه، وهي الأمانة التي تحملها بمحض إرادته واختياره. قال تعالى: { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا }^(٢).

٨- إن الإنسان مفطور على الإيمان بوحداية الله تعالى وألوهيته، وقد أعطى العهد على ذلك قبل وجوده في هذه الأرض. قال تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ }^(٣).

٩- إن الإنسان يصعب عليه أن يقطع رحلته إلى الله U دون هادٍ يهديه ويرشده لاسيما وهو يعيش صراعاً مستمراً بين بعديه المادي والروحي، وهذا الهادي لا يمكن أن يكون سوى المنهج الإلهي الذي يجب عليه أن يلتزمه في جميع شؤون حياته. قال تعالى: { قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }^(٤).

بهذه النظرة المتوازنة ينظر المنهج القرآني إلى الطبيعة الإنسانية بمكوناتها ومتغيراتها وأبعادها وتقسيماتها المتفرعة^(٥)، وينطلق منها لتنمية مختلف جوانب الشخصية الإنسانية في تكامل وانسجام لينتج شخصية سوية قادرة على التفاعل الإيجابي مع مكونات الحياة المختلفة وهو ما سيتم تناوله في المباحث الآتية.

(٢) سورة الأحزاب : الآية: ٧٢ .

(٣) سورة الأعراف : الآية: ١٧٢ .

(٤) سورة البقرة : الآيتان : ٣٨ ، ٣٩ .

(٥) ينظر : القيادة في الإدارة العربية وموقعها من النظريات المعاصرة والتراث العربي الإسلامي - د.نعيم نصير - طبعة المنظمة العربية للعلوم الإدارية - الأردن : ١٤٢ ، موسوعة نظرية النعيم في أخلاق الرسول الكريم - إعداد مجموعة من المتخصصين بإشراف د.صالح بن عبدالله بن حميد ، عبدالرحمن بن محمد بن ملح - ط:١- دار الوسيلة للنشر والتوزيع - جدة : ٤ / ،منهج التربية في التصور الإسلامي : ١٤٥-١٧٨ .

المبحث الأول الجانب الروحي

المطلب الأول

مفهوم الجانب الروحي وأهميته

الروح: "اسم للنفس التي تحصل بها الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار... والروح يطلق على الموجود الخفي المنتشر في سائر الجسد الإنساني حين يكون جنيناً، بعد أن يمضي على نزوله نطفة في الرحم مائة وعشرون يوماً، وهذا الإطلاق يفهم من قوله تعالى: { فَأَذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } (١).

وقد اختلف العلماء في كنهها وماهيتها لكنهم اتفقوا على أنها نفخة ربانية ونفحة إلهية يدرك البشر آثارها ويحسون نتائجها دون أن يعرفوا ماهيتها. قال تعالى: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } (٢).

"والذين حاولوا تقريب ماهية الروح من الفلاسفة والمشرعين لم يأتوا سوى برسوم ناقصة مأخوذة فيها الأجناس البعيدة والخواص التقريبية غير المنضبطة وتحكيم الآثار التي بعضها حقيقي وبعضها خيالي، وكلها متفاوتة في القرب من شرح خاصاته وأماراته بحسب تفاوت تصوراتهم لماهيته، المبنيات على تفاوت قوى مداركهم، وكلها لا تعدوان تكون رسوماً خيالية وشعرية معبرة عن آثار الروح في الإنسان" (٣).

"ولقد أبدع الإنسان في هذه الأرض ما أبدع، ولكنه وقف حسيراً أمام ذلك السر اللطيف - الروح - لا يدي ما هو، ولا كيف جاء، ولا كيف يذهب، ولا أين كان، إلا ما يخبر به العليم الخبير في التنزيل" (٤).

وتربية الجانب الروحي يقصد بها: "تقوية الصلة بين الوجدان الإنساني والخالق - سبحانه - حتى يصل الإنسان بذلك إلى نوع من المعرفة الروحية، يستمد منها الإنسان روحانية تسمو بنفسه إلى طهر الإنسانية الفاضلة وجمالها، وتجعله يعمل في حياته بلوازم عناصر هذه الصلة، فتظهر في أقواله وأفعاله آثار معرفته لله تعالى وصفاته" (٥).

(١) التربية الروحية - د. علي عبد الحليم محمود - ط: ١ - دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة: ٩٥، ٩٦، والآية من سورة ص رقم ٧٢.

(٢) سورة الإسراء: الآية: ٨٥.

(٣) التحرير والتنوير - محمد الطاهر بن عاشور - طبعة دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس: ١٩٩/٧.

(٤) في ظلال القرآن: ٢٢٤٩/٤.

(٥) الله في العقيدة الإسلامية - حسن عبد الرحمن البنا - طبعة دار الشهاب - القاهرة: ١٢، ١٣.

ويمكن تقوية هذه الصلة عن طريق ربط الفرد بأصول الإيمان، وتعويد القيام بأركان الإسلام، وتعليمه مبادئ المنهج القرآني في جميع شؤون الحياة، وتهذيب غرائزه وتوجيه سلوكياته وتصرفاته للتوافق مع هذه الأصول والأركان والمبادئ، وكذلك بحماية الروح من كل مرض أو تشوه، بنظيرها من الرذائل وتزويدها بالفضائل، وتمييزها بالعبادات المختلفة، وتعزيز خوفها من الله U ومراقبته، وغرس محبته سبحانه وتعالى في نفس الإنسان^(١).

ويمثل الجانب الروحي أشرف جوانب الإنسان ويعني الاهتمام به وتربيته الاهتمام ببقية الجوانب التي يقوم عليها بناء الإنسان كما يعني إهماله إهمال بقية الجوانب من باب أولى، وترجع أهمية تربية الجانب الروحي إلى جملة أسباب لعل في طليعتها:

١- إن الإنسان مكون من عنصرَي الروح والمادة ولكل غداؤه الذي يسهم في المحافظة عليه وتمييزه، فالمادة المتمثلة في الجسم أصلها من الطين ولذلك كان غداؤها من الطين مما تنبت الأرض، أما أصل الروح فيعود إلى النفخة العلوية من الله تعالى ولذلك كان غداؤها سماوي من عنده U وهي تمثل الكيان الحقيقي الذي استحق به الإنسان إنسانيته.

٢- إن التكوين الروحي للإنسان قد ميزه بدوافع معينة وحاجات مختلفة الأمر الذي يتطلب من التربية الاهتمام بها وتعميقها وتوجيهها في مسارها الصحيح حتى لا تتعرض للتشوه والانحراف، وفي مقدمتها النزعة إلى التدين والتي هي نزعة فطرية تدفع الإنسان إلى البحث عن الخالق والاستعانة به وتقديسه وعبادته، وتشبع لديه جانب الخضوع والتذلل والتسليم والانقياد، ذلك أن الإنسان مجبول على التدين والاعتقاد كما شهد بذلك الواقع وأقر به العلماء فإذا لم تتم تربيته وإعداده على العقيدة الصحيحة والعبادة السليمة فسيتجه تلقائياً إلى العقائد الفاسدة والعبادات الضالة^(٢).

٣- بروز المشكلات العديدة التي تعاني منها البشرية اليوم والتي يمكن إعادة سببها الرئيس إلى البعد عن الله U وضعف الصلة به سبحانه وتعالى وأوانعدامها، وهذا الأمر ينسحب على كثير من المنتسبين للإسلام حيث التقصير في الطاعات، والاستهانة بالمعاصي، والمبالغة في التعامل مع المباحات على حساب الواجبات، ولا حل لهذه المشكلات سوى بالعودة إلى الله تعالى وتربية الأفراد والمجتمعات تربية روحية تسمو فيها النفوس والأرواح وتعود إلى رحاب الإيمان^(٣).

٤- بروز مظاهر الحيرة والاضطراب والقلق والاكتئاب والشك والتردد، وسيطرت الشهوات والغرائز، وفقدان الوازع الديني الموجه للسلوك والمحدد لمساره، كل ذلك نتيجةً للخواء الروحي الذي سيطر على النفوس والقلوب فأصبحت خالية من القيم والمبادئ والمثل مملوءةً بالجهل والمرض والانحراف^(٤). قال

(١) ينظر: الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة- حنان عطيه الجهني- ط: ١- مكتبة الملك فهد- الرياض ١/١٩.

(٢) ينظر: أصول الفكر التربوي في الإسلام: ١٨٣.

(٣) ينظر: التربية الاجتماعية الإسلامية- د. علي عبد الحليم محمود- ط: ١- دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة: ٣٠٩.

(٤) ينظر: مشكلات الشباب الحلول المطروحة والحل الإسلامي- د. عباس محبوب- ط: ٢- رئاسة المحاكم الشرعية - قطر: ١١٤.

تعالى: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } (١)، ولا علاج لهذه المظاهر سوى بإعادة بناء الجانب الروحي لـدبالبأفراد ببناءً سليماً ينطلق من المنهج القرآني موجهاً وهادياً ويعتمده علاجاً شافياً قال تعالى: { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ } (٢).

٥- إن جوانب الإيمان والإسلام لا تحيا في النفس الإنسانية دون أن تكون للإنسان صلة روحية عميقة بربه سبحانه وتعالى تمده بالغذاء اللازم للمحافظة على هذه الجوانب وتتميتها، كما تمده بالقوة اللازمة للقيام بأعبائها وتحمل تبعاتها.

٦- إن الأمة لن تنهض من كبوتها ولن تستعيد مجدها بغير يقظة حقيقية في جانب الأرواح والمشاعر أولاً، فتشعر بواقعها المرير وتحس بألم ما وصلت إليه، ثم تعمل على نفض غبار عنها وتغييره.

٧- أنه لا يمكن مقاومة الموجة المادية التي طغت على حياة البشرية اليوم سوى بتربية روحية تعيد التوازن للكائن الإنساني كي يستقيم وتستقيم معه الحياة البشرية بمختلف جوانبها.

إن الجانب الروحي في التربية القيادية هو أهم الجوانب وأشدّها خطراً وأعمقها أثراً، ذلك أنه يمثل الحبل الذي يوصل الإنسان بخالقه، والقوة الكامنة في النفس الإنسانية والحقيقة التي تمد شعاعها إلى العقل فيفكر ويقرر، وإلى العاطفة فتجيش وتتفاعل، وإلى الإرادة فتتحرك وتحرك، وعماد الجانب الروحي وأساسه الذي يقوم عليه القلب الحي الموصول بالله U وهو المعني بقوله تعالى: { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } (٣). ذلك أن القلب هو المحرك الأساس والدافع الرئيس للأعمال، ويتوقف عليه صلاح الجوانب المختلفة وفسادها، وهو ما دل عليه قوله ٢ في الحديث الذي يرويّه النعمان بن بشير t : (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) (٤).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: " في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله ، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأُنس بالله ، وفيه حزن لا يذهب إلا السرور بمعرفة الله وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع على الله والفرار إليه، وفيه نيران حشرات لا يطفئها إلا الرضا بأمر الله وقضائه، ولزوم الصبر إلى وقت لقائه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له ولو أعطى الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة " (٥).

(١) سورة طه: الآية : ١٢٤ .

(٢) سورة الاسراء: الآية : ٩ .

(٣) سورة الشعراء: الآيتان : ٨٨ ، ٨٩ .

(٤) صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب فضل من استبرأ لدينه : ٢٨/١ رقم (٥٢) ، صحيح مسلم - كتاب المساقاة - باب أخذ الحلال وترك الشبهات : ١٢١٩/٣ رقم (١٥٩٩) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١٧٦/٢ رقم (١٠٢٨).

(٥) مدارج السالكين: ٣/١٦٤ .

المطلب الثاني

أهم القيم الروحية الواجب اكتسابها

أولاً: تحية الموروثات الجاهلية وتطهير القلب منها والتحرر من أسرها:

إن أهم قيمة يجب على الفرد اكتسابها خلال تربية روحه وتميئتها هو تصفيئتها وتطهيرها من أدران الجاهلية وموروثاتها التي قد تعلق بقلبه، وفي مقدمة هذه الموروثات الكفر، والشرك بنوعيه الظاهر والخفي، والنفاق الاعتقادي والعملي، والبدع والمعاصي بأنواعها، وكذا حب الدنيا والجاه والرئاسة، واتباع الهوى والعجب والكبر والحسد والشح والغرور والجري وراء الأوهام وغير ذلك من الموروثات الجاهلية التي يجب تطهير الروح منها^(١). قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ }^(٢). قال تعالى: { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا }^(٣).

ثانياً: المحافظة على سلامة القلوب ودوام تنقيتها:

إن "القلب السليم الذي ينجو من عذاب الله، هو الذي سلم لربه ولأمره ولم يبق فيه منازعة ولا معارضة لخبره، فلا يقول إلا لله ولا يعمل إلا لله، فالله وحده هو غايته، وأمره وشرعه وسيلته وطريقته، لا تعترضه شهوة تحول بينه وبين تصديق خبره، ومتى كان القلب كذلك فهو سليم من الشرك والبدع والباطل، وحقيقة القلب السليم أنه الذي سلم لعبودية ربه حياءً وخوفاً وطمعاً ورجاءً فعني بحبه عن حب ما سواه، وسلم لأمره ورسوله تصديقاً وطاعة، واستسلم لقضاء الله وقدره فلم ينازع ولم يتسخط، فقد سلمت جميع أذواقه وأحواله وأعماله ومواجهه ظاهراً وباطناً لله"^(٤). قال تعالى: { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ }^(٥).

وسلامة القلب لا تتم مطلقاً حتى يسلم من أمور خمسة: وهي شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجرد والإخلاص^(٦).

ثالثاً: الإحساس بوجود الله تعالى وعلمه وقدرته:

متى عرف الإنسان خالقه وأدرك وجوده استقامت حياته وسلم من الحيرة والاضطراب واجتهد في الاتصال به والتقرب إليه وإرضائه والبعد عما يغضبه، وتفكر في مصير الأمم السابقة التي كذبت دعوة الله **U** وانحرفت

(١) يراجع: المستخلص في تزكية الأنفس - سعيد حوى - طبعة دار عمار - بيروت، عمان: ١٨٥ - ٢٩٦.

(٢) سورة النساء: الآية ٤٨ .

(٣) سورة النساء: الآية ١٤٥ .

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاآية العلم والإرادة - ابن القيم الجوزية - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت : ٤١/١ .

(٥) سورة الشعراء: الآيتان ٨٨ ، ٩٨ .

(٦) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي - ابن القيم الجوزية - اعتنى به: محي الدين الشامي - ط: ٢ - مؤسسة الكتب الثقافية -

عن منهجه وكيف أهلكهم سبحانه وتعالى. قال تعالى: { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } (١).

رابعاً: استشعار مراقبة الله تعالى في جميع التصرفات والأحوال:

متى استشعر الإنسان رقابة الله تعالى عليه أخلص في الأعمال وأتقنها، وأكثر من الطاعات وابتعد عن المعاصي والسيئات حتى وإن زين له الشيطان الوقوع فيها فإنه سرعان ما يعود إلى ربه ويتوب من ذنبه ويستغفر من خطئه. قال تعالى: (وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (٢).

خامساً: استشعار حقيقة التوكل على الله تعالى والإيمان المطلق بالقضاء والقدر:

متى توكل العبد على ربه وأظهر عجزه بين يديه وأخذ بالأسباب المادية التي أمر الله U بها حالفه التوفيق ورزق الرضى بالنتائج مهما كانت، ذلك أن استشعار حقيقة التوكل تكسب الإنسان الأمن وسكون النفس وهدوء الأعصاب، واطمئنان القلب وثباته في مختلف المواقف، فضلاً عن الرضا بالقضاء والقدر مهما كانت نتائجه بعد بذل الأسباب إيماناً بقوله تعالى: { قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } (٣).

وهذا الاستشعار هو الذي دفع مؤمن آل فرعون لمواجهة تهديد فرعون وزبانيته بتفويض أمره إلى الله وهو ما نقله القرآن الكريم حكاية عنه في قوله تعالى: { فَسْتَكْبُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ } (٤).

سادساً: استشعار معية الله سبحانه وتعالى في كل لحظة وخطوة:

" والمعية ليست هي معية العلم والاطلاع على العمل والنيات فحسب، ولكنها كذلك معية العون والحفظ والمدد، والإنسان بطبعه ضعيف في حاجة إلى القوة المعينة واليد الحانية، فإذا أحس بأنه وحيد في ضيقه ومحنته وهن وتخاذل، فلا يصبر على المتاعب، ولا يقوى على الكفاح أو تحمل المشاق، فإذا أحس بأن الله معه، يأخذ بيده إذا كبا، ويسدده إذا زل، ويمده إذا احتاج، ويجيبه إذا سأل، ويعينه إذا ضعف، وينصره إذا جاهد، آمن بأنه موصول بقوة الله التي لا تغلب، معان بمدد الله الذي لا ينفد، فإذا هو قوي على نفسه، قوي على متاعبه، قوي على شهوته وأعدائه" (٥). قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } (٦).

وهذه المعية هي التي استشعرها النبي ٣ عندما حاصره كفار قريش مع أبي بكر في الغار خلال رحلة الهجرة

(١) سورة الزمر: الآية ٢٩ .

(٢) سورة لأعراف: الآية ٢٠٠ .

(٣) سورة التوبة: الآية ٥١ .

(٤) سورة غافر: الآيتان ٤٤، ٤٥ .

(٥) في ظلال القرآن:

(٦) سورة النحل: الآية ١٢٨ .

والتي صورها قوله تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (١).

سابعاً: تحقيق الإخلاص في القول والعمل:

فالإخلاص أساس قبول الأعمال وبركاتها، وهو قوة تدفع صاحبها إلى التجرد من المصالح الشخصية، والترفع عن الغايات الذاتية، وابتغاء مرضاة الله تعالى في كل أعماله دون النظر إلى جزاء من أحد سواه، قال تعالى: {وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً} (٢).

" والإخلاص يرتقي بالحياة الإنسانية بعامة، فلا يتيح لمن يقوم بعمل جليل مخلصاً أن يتيه أو يتكبر أو يتغطرس على خلق الله، ولا يؤدي بمن ينتفع به إلى الشعور بالدونية والمن والأذى، مما يبقي صفاء القلوب ونقاءها، ويسمو بالعلاقات الإنسانية إلى مستوى مرموق من التقدير والاحترام والمحبة والمودة" (٣).

ثامناً: تحرير الولاء لله U ولرسوله r وللمؤمنين:

يربي المنهج القرآني أتباعه على التحرر من الولاءات الضيقة التي تقوم على أساس دنيوي سواء ارتبط بالنسب أو بالأرض أو بالمصالح مادية كانت أم معنوية، ويقرر أساساً جديداً للولاء لا ينبغي تجاوزه مهما كانت الأسباب ألا وهو أساس العقيدة والأخوة في الدين. قال تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (٤) أما غير المؤمنين فلا تجوز موالاتهم بأي شكل من الأشكال، بل يجب البراء منهم ومن أعمالهم، وليس معنى ذلك اعتزالهم وعدم التعامل معهم، فقد أجاز الإسلام مخالطتهم والتعامل معهم في حدود مصلحة الأمة ووفق الضوابط الشرعية، وإنما المنهي عنه محبتهم وتأييدهم ونصرتهم والركون إليهم. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (٥).

(١) سورة التوبة: الآية ٤٠ .

(٢) سورة الإنسان: الآيتان ٨، ٩ .

(٣) النبي المربي : ١١٦ .

(٤) سورة المائدة: الآيتان: ٥٥، ٥٦ .

(٥) سورة المائدة: الآية: ١٥ .

إن مسألة الولاء مسألة عقائدية محسومة لا يجوز الخوض فيها أو مناقشتها، كما أن لها ارتباطاً بالروح والوجدان والمشاعر والأحاسيس وهي أمور أسلمت قيادها لله تعالى وخضعت لتوجيهاته فلا تحب إلا ما يحب سبحانه ولا تبغض إلا ما يبغض ولو ارتبط الأمر بأقرب المقربين. قال تعالى: { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }^(١).

تاسعاً: الارتقاء بالروح إرتقاءً يتناسب مع أصل تكوينها والوصول بها إلى مرتبة الإحسان:

يظل الاهتمام بالروح هو الأساس، وتظل الروح هي الغاية والوسيلة معاً، الغاية من عملية التزكية والتنمية، والوسيلة لتحريك الجوانب الأخرى في الإنسان ودفعها نحو الإيجابية والفاعلية، كما يدل عليه قوله تعالى: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا }^(٢). والارتقاء بالروح وتزكيته يتم عبر تطهيرها من عيوب النفس وصفاتها المذمومة، وتنمية الصفات الحسنة والتدرج بها في سلم الكمال البشري حتى تصل إلى مرتبة الإحسان حيث تتجلى الروح وتظهر إشراقاتها وتبرز الحاسة الفطرية التي يميز بها الإنسان بين الخير والشر والحسن والقبيح، وهي الحاسة التي عبر عنها قول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه النواس بن سمعان t: (الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس)^(٣).

(١) سورة المجادلة: الآية ٢٢ .

(٢) سورة الشمس: الآيات: ٧- ١٠ .

(٣) سبق تخريجه: ص ١١٩ .



المطلب الثالث عوامل تنمية الجانب الروحي

أولاً: إمتلاك الإرادة:

الإرادة المشيئة ، وأراد الشيء أحبه وعني به (١).

وهي في الاصطلاح: "إسم لنزوع النفس إلى الشيء مع الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل أو لا يفعل" (٢). و تمثل " قوة الرغبة والاختيار التي توجه الإنسان نحو قصد معين" (٣).

وللإرادة مستويات مختلفة بعضها أساسي والآخر فرعي ينبثق عنه، ويمكن القول أن أبرز المستويات الأساسية للإرادة تتمثل في: إرادة الغذاء لبقاء الجسم البشري، وإرادة النكاح لا استمرار النوع الإنساني ، وإرادة العقيدة والقيم للإرتقاء بالنوع الإنساني.

وتهدف التربية القيادية إلى تنمية هذه الإرادات الثلاث تنمية متكاملةً متوازنةً تمثل فيها إرادة العقيدة والقيم الهدف والغاية وأداة التوجيه والإرشاد ، بينما تؤدي كل من الإرادتين الأخريين دورها في ضوء الضوابط التي تحددها العقيدة، وتكونا معاً الوسيلة المؤدية إلى الارتقاء الروحي والعقائدي حتى يكون للإنسان منزلته العليا ومكانته السامية التي ترفعه عن عالم الحيوان الذي لا هم له سوى الغذاء والنكاح (٤).

ولكي تنمو الإرادة الإنسانية وتقوم بواجبها على الوجه المطلوب لا بد من وجود المثل الأعلى والقُدوة الحسنة في حياة الإنسان، وأن يتمتع بالقدرات العقلية اللازمة ويطور أساليب التفكير الإيجابي لديه، كما يجب أن يتحرر من الموروثات الثقافية والاجتماعية السلبية، وأن تتوفر له البيئة الصالحة التي تساعد على تطبيق العقائد والقيم والمبادئ التي يؤمن بها (٥).

ثانياً: تذكر الهدف الذي يعيش لأجله الإنسان:

على الإنسان أن يتذكر دائماً الهدف الأسمى الذي خلق من أجله والنسبة التي حققها من هذا الهدف كي يستشعر أن لحياته قيمة ولوجوده معنى ، إذا أن كثرة المشاكل الحياتية والمشاكل اليومية قد تجرف الإنسان وتنسيه المهم من أموره وتجعله ينهمك في تلبية الحاجات العابرة والأمور التافهة (٦) متناسياً الهدف الذي وجد من أجله وهو تحقيق العبودية لله U والقيام بواجبات الإستخلاف في الأرض ، والتي تمثل أهدافاً مرحلية تقود إلى تحقيق الهدف الأسمى للإنسان وهو الحصول على مرضاة الله سبحانه وتعالى ودخول الجنة والنجاة من النار. قال تعالى: { فَمَنْ رُحِزَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ } (٦).

(١) ينظر: لسان العرب - مادة رود ١٨٧/٣

(٢) معجم المفردات في ألفاظ القرآن: ٢١٢.

(٣) أهداف التربية الإسلامية: ١٣٧.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٨.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٣.

(٦) ينظر: مدخل إلى التنمية المتكاملة: ٢٦٩.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٨٥ .

ثالثاً: أداء الفرائض:

ليس هناك ما ينعش الروح وينمي مشاعر الحب والفضائل فيها كالأنشطة التعبدية التي يمارسها الإنسان في حياته، وهذه الأنشطة لا تدعم تنمية الجانب الروحي فقط، وإنما تستهدف تنمية الكيان الإنساني بجوانبه المختلفة ، فالصلة بالله تعالى لا تصقل الأرواح وحدها وإنما تنير للإنسان طريق الهداية أيضاً. وتنشئة الإنسان على عبادة الله U يجب أن تقوم على أساس الجمع بين التعليم والممارسة وعن طريق التعود على أداء الفرائض شيئاً فشيئاً في جو من التشجيع والترغيب، حتى إذا ما اعتادت عليها النفس أحببتها وحافظت عليها، وتشمل الفرائض القيام بأركان الإيمان والإسلام، كما تتناول العمل بكل ما أمر الله تعالى به، واجتناب كل ما نهى عنه، وكذلك كل ما أمر به رسوله ﷺ أو نهى عنه.

وتتمثل أهم الشعائر التعبدية التي تسهم في تنمية الجانب الروحي في الطهارة بمراتبها المختلفة وهي تطهير الجسد من الأحداث والأقذار، وتطهير الجوارح من المعاصي والآثام، وتطهير الأرواح من الأمراض والردائل، وتطهير السر عن كل ما سوى الله U ، كما تتمثل في الصلاة التي هي صلة العبد بربه وأداة تهذيب الأخلاق، والزكاة التي تمثل أداة تزكية النفس وتطهيرها من الشح والطمع وتخليصها من الأنانية وحب الذات ووسيلة تحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، وكذلك الصيام الذي يمثل مدرسة متكاملة لتربية الروح والجسد على معاني المراقبة والتقوى والإخلاص، والحج الذي يربي الروح على التمسك بالمنهج الإلهي واستشعار الوحدة بين المسلمين^(١). قال تعالى: { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ }^(٢). وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }^(٣).

رابعاً: قيام الليل:

تكمن أهمية قيام الليل في أنه يمثل الزاد الذي يحتاجه كل من يعيش مرحلة البناء والإعداد، ويؤهل للقيام بدور عظيم في حياة مجتمعه وأمته بل وفي حياته الخاصة، ولذلك ربي المولى U نبيه ﷺ على هذا المعنى منذ بداية دعوته فقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ * قُمْ لِلَّيْلِ إِلا قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً }^(٤). وما أروع ما ذكره سيد قطب رحمه الله تعالى عند حديثه عن هذه الآيات حيث قال: " قيل لرسول الله ﷺ قم فقام وظل قائماً بعدها أكثر من عشرين عاماً لم يسترح، ولم يسكن، ولم يعيش لنفسه ولا لأهله، قام وظل

(١) ينظر: التربية الروحية: ١٣٣، ١٣٥، تربية النبي ﷺ لأصحابه: ٨٩-٩١.

(٢) سورة المعارج: الآيات ١٩ - ٢٣ .

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٣ .

(٤) سورة المزمل: الآيات ١ - ٦ .

قائماً على دعوة الله ، يحمل على عاتقه العبء الثقيل الباهظ ولا ينوء به: عبء الأمانة الكبرى في هذه الأرض، عبء البشرية كلها، وعبء العقيدة كلها، وعبء الكفاح والجهاد في ميادين شتى...
 " يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * فَمُ ۞ .. إنها دعوة السماء، وصوت الكبير المتعال، قم.. قم للأمر العظيم الذي ينتظرك، والعبء الثقيل المهيباً لك، قم للجهد والنصب والكد والتعب، قم فقد مضى وقت النوم والراحة، قم فتهيأ لهذا الأمر واستعد..."

إن الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحاً، ولكنه يعيش صغيراً ويموت صغيراً. فأما الكبير الذي يحمل هذا العبء الكبير فماله والنوم؟ وما له والراحة؟ وما له والفرش الدافئ، والعيش الهادئ؟ والمتاع المريح؟! ولقد عرف رسول الله ٣ حقيقة الأمر وقدره، فقال لخديجة رضي الله عنها وهي تدعوه أن تطمئن وبنام: مضى عهد النوم يا خديجة ..! أجل.. مضى عهد النوم وما عاد منذ اليوم إلا السهر والتعب والجهاد الطويل الشاق! { يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * فَمُ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً } (١).

إنه الإعداد للمهمة الكبرى بوسائل الإعداد الإلهية المضمونة: قيام الليل، أكثره: أكثر من نصف الليل ودون ثلثيه، وأقله: ثلث الليل...

وإن قيام الليل والناس نيام، والانقطاع عن عيش الحياة اليومية وسفاسفها؛ والاتصال بالله، وتلقي فيضه ونوره، والأنس بالوحدة معه والخلوة إليه، وترتيل القرآن والكون ساكن، وكأنما هو ينتزل من الملائكة الأعلى وتتجاوب به أرجاء الوجود في لحظة الترتيل بلا لفظ بشري ولا عبارة؛ واستقبال إشعاعاته وإيقاعاته في الليل الساجي... إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل والعبء الباهظ والجهد المرير الذي ينتظر الرسول وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل! وينير القلب في الطريق الشاق الطويل، ويعصمه من وسوسة الشيطان، ومن التيه في الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير" (٢).

خامساً: تلاوة القرآن الكريم:

يعد القرآن الكريم أهم وسيلة لزيادة الإيمان وتنمية الجانب الروحي في الإنسان، وهو أداة الهداية التي أنعم الله تعالى بها على عباده، وطريق الوصول الآمن إلى الله U ، فضلاً عن كونه دستور الحياة والعلاج الناجع لأمراض القلوب. قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا } (٣). وقال تعالى: { وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا } (٤).

(١) سورة المزمل: الآيات: ١ - ٤ .

(٢) في ظلال القرآن: ٦/٣٧٤٢ - ٣٧٤٥ .

(٣) سورة الأنفال: الآية ٢ .

(٤) سورة الإسراء: الآية ٨٢ .

ومن هنا جاءت النصوص مرغبة في تلاوة القرآن الكريم وتدبره والعمل به وتعليمه كما اهتم به السلف الصالح فحرصوا على تعلمه وتعليمه أبناءهم وأصبح " تعليم الولدان للقرآن شعار الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبني عليه ما يحصل بعده من الملكات"^(١). ولا يمكن أن يتحقق ذلك سوى بتلاوة القرآن الكريم تلاوة حقيقته وهي "تلاوة المعنى واتباعه تصديقاً بخبره، وانتماراً بأمره، وانتهاءً عن نهيه، وانتماراً به، حيثما قادك انقذت معه، فتلاوة القرآن تتناول تلاوة لفظه ومعناه، وتلاوة المعنى أشرف من تلاوة اللفظ، وأهلها هم أهل القرآن الذين لهم النشاء في الدنيا والآخرة، فإنهم أهل تلاوة ومتابعة حقاً"^(٢).

يقول سيد قطب رحمه الله: " إن هذا القرآن ينبغي أن يقرأ، ويتلقى من أجيال الأمة المسلمة بوعي، وينبغي أن يتدبر على أنه توجيهات حية، تنزل اليوم، فتعالج مسائل اليوم لتتير الطريق إلى المستقبل، لا على أنه مجرد كلام جميل يرتل، أو على أنه سجل لحقيقة مضت ولن تعود"^(٣).

سادساً: المداومة على الأذكار:

والذكر معناه: "استحضار عظمة الله سبحانه وتعالى في جميع الأحوال التي يكون عليها المؤمن سواءً أكان هذا الاستحضار ذهنياً أو قلبياً أو نفسياً أو لسانياً أو فعلياً"^(٤). وذلك بالمداومة على تسبيحه تعالى وتحميده وتهليله وتكبيره، والشناء عليه بأسمائه الحسنی وصفاته العلی.

ولأهمية الذكر في حياة الإنسان عد النبي ﷺ التزامه حياة وتركه موتاً فقال ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو موسى الأشعري t: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت)^(٥).

والذكر المراد كزاد روحي يسهم في إعداد القيادات ما كان القلب حاضراً فيه مشتركاً مع اللسان مستشعراً عظمة المذكور سبحانه وتعالى، وأما ذكر اللسان والقلب مفترقين فإن "ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده، لأن ذكر القلب يثمر المعرفة، ويهيج المحبة، وينير الحياة، ويبعث على المخافة، ويدعو إلى المراقبة، ويزعج عن التقصير في الطاعات والتهاون في المعاصي والسيئات، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئاً من هذه الآثار، وإن أثمر شيئاً منها فثمره ضعيفة"^(٦).

(١) مقدمة ابن خلدون: ٣٣٤

(٢) مفتاح دار السعادة : ٤٢/١ .

(٣) في ظلال القرآن: ١/٣٤٨، ينظر معالم في الطريق : ١٧ ، ١٨ .

(٤) تربية الأولاد في الإسلام - د. عبدالله ناصح علوان - ط: ٣ - دار السلام - حلب ، بيروت: ٨٢٦/٢.

(٥) صحيح البخاري - كتاب الدعوات - باب فضل ذكر الله ﷻ : ٥/٢٣٥٣ رقم (٦٠٤٤) ، صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد : ١/٥٣٩ رقم (٧٧٩) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١/٦٦ رقم (٤٤٦).

(٦) الوابل الصيب من الكلم الطيب - ابن القيم الجوزية - تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض - ط: ١ - دار الكتاب العربي - بيروت: ١٢٠.

وأما كون الذكر من أعظم الزاد الذي تحتاج إليه أرواح الأفراد عموماً والقيادات على وجه الخصوص فيدل عليه قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (١). وقوله تعالى لنبيه ٣ وهو يرشده إلى الزاد الذي يعينه على القيام بواجبات الدعوة وتكاليف الرسالة: {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا} (٢).

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: "هذا هو الزاد، أذكر اسم ربك في الصباح والمساء، واسجد بالليل وسبحه طويلاً إنه الاتصال بالمصدر الذي نزل عليك القرآن وكلفك بالدعوة، هو ينبوع القوة ومصدر الزاد والمدد: الاتصال به ذكراً وعبادة ودعاءً وتسبيحاً طويلاً، فالطريق طويل والعبء ثقيل ولا بد من الزاد الكثير والمدد الكبير وهو هناك حيث يلتقي العبد بربه في خلوة وفي نجاء، وفي تطلع وفي أنس، تفيض منه الراحة على التعب والضنى، وتفيض منه القوة على الضعف والقلّة، وحيث تنفض الروح عنها صغائر المشاعر والشواغل، وترى عظمة التكليف وضخامة الأمانة فتستصغر ما لاقت وما تلاقى من أشواك الطريق" (٣).

سابعاً: التفكير والتأمل:

إذا كان الذكر هو زاد القلوب وحياة الأرواح فإن التفكير يورث اليقين وينمي قدرة الروح والعقل معاً " والتفكير والتذكر منزلان يثمران أنواع المعارف، وحقائق الإيمان والإحسان، والعارف لا يزال يعود بتفكره على تذكره وبتذكره على تفكره حتى يفتح قفل قلبه بإذن الفتح العليم" (٤). قال تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } (٥).

والاستغراق في التفكير والتأمل يورث الإنسان طهارة النفس وسمو الروح وصفاء الذهن واستنارة العقل، الأمر الذي يسهم في تنمية القدرات الروحية والعقلية التي تمكنه من تحمل ضغوطات الحياة المختلفة ومواجهة مشكلاتها، ومن هنا تبرز حاجة القيادات للتفكير والتأمل لمواجهة مسؤوليات القيادة والتفاعل مع متطلباتها وهو ما يبرز جلياً في إعداد الله U لأنبيائه ورسله عليهم السلام حيث حُبب إليهم الاعتزال عن بيئاتهم لفترات محددة يخلون فيها إلى أنفسهم ويستغرقون في هذا الكون الفسيح تأملاً وتفكيراً. قال تعالى عن إبراهيم U: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} (٦) وقال تعالى عن موسى U: {وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ } (٧).

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٥ .

(٢) سورة الإنسان: الآيتان ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) في ظلال القرآن : ٣٧٨٥/٦ .

(٤) مدارج السالكين: ٤٤١/١ .

(٥) سورة آل عمران: الآيتان ١٩٠ ، ١٩١ .

(٦) سورة الأنعام : الآية ٧٥ .

(٧) سورة الأعراف: الآية ١٤٢ .

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: "كانت فترة الإعداد ثلاثين ليلة أضيفت إليها عشر فبلغت عدتها أربعين ليلة يروض موسى فيها نفسه على اللقاء الموعد، وينعزل فيها عن شواغل الأرض ليستغرق فيها في الخالق الجليل، وتصفو روحه وتستنشف وتستضيء، وتتقوى عزيمته على مواجهة الموقف المرتقب وحمل الرسالة الموعودة"^(١).

وأما محمد ٣ فقد مثلت عزلته في غار حراء للتأمل والتفكير في حال نفسه وقومه والكون من حوله جانباً من هذا الإعداد الإلهي له " وكان اختياره ٣ لهذه العزلة طرفاً من تدبير الله له ليعده لما ينتظره من الأمر العظيم، ففي هذه العزلة كان يخلو إلى نفسه، ويخلص من زحمة الحياة وشواغلها الصغيرة، ويفرغ لموجهات الكون، ودلائل الإبداع، وتسبح روحه مع روح الوجود وتتعانق مع هذا الجمال وهذا الكمال وتتعامل مع حقيقته الكبرى وتمترن على التعامل معها في إدراك وفهم.

ولابد لأي روح يراد لها أن تؤثر في واقع الحياة البشرية فتحولها وجهة أخرى لابد لهذه الروح من خلوة وعزلة بعض الوقت، وانقطاع عن شواغل الأرض، وضجة الحياة وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة. لابد من فترة للتأمل والتدبر والتعامل مع الكون الكبير وحقايقه الطليقة، فالاستغراق في واقع الحياة يجعل النفس تألفه وتستتيم له فلا تحاول تغييره. أما الانخلاع منه فترة، والانعزال عنه والحياة في طلاقة كاملة من أسر الواقع الصغير ومن الشواغل التافهة فهو الذي يؤهل الروح الكبير لرؤية ما هو أكبر ويدربه على الشعور بتكامل ذاته بدون حاجة إلى عرف الناس، والاستمداد من مصدر آخر غير هذا العرف الشائع"^(٢).

ثامناً: المجاهدة:

والمجاهدة في اللغة: المحاربة، وفي الشرع: "محاربة النفس الأمانة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب في الشرع"^(٣). قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} ^(٤). والمجاهدة في المنهج القرآني تقوم على أساس أن الإنسان مخلوق ضعيف معرض لمغريات النفس الأمانة بالسوء من أهواء وشهوات قد تسيطر عليه وتؤدي به إلى الهلاك. قال تعالى: {وَوُخِّلَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} ^(٥). وقال تعالى: { إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ } ^(٦). ولذلك أمر الإنسان أن يستخدم جميع القدرات التي منحه الخالق U إياها للعمل على مقاومة مغريات النفس والتغلب عليها .

وقد جعل الإمام الغزالي "البدن كالمدينة، والعقل - أعني المدرك - من الإنسان كملك مدبر لها، وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده وأعدائه، وأعضاؤه كرعيته، والنفس الأمانة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في إهلاك رعيته ... فإن هو جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب

(١) في ظلال القرآن : ٣ / ١٣٦٧.

(٢) المصدر نفسه : ٦ / ٣٧٤١.

(٣) التعريفات - علي بن محمد الجرجاني - تحقيق: إبراهيم الإبياري - ط: ١ - دارالكتاب العربي - بيروت : ٢١٦.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ٦٩ .

(٥) سورة النساء: الآية ٢٨ .

(٦) سورة يوسف: الآية ٥٣ .

حمد أثره ... وإن ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره" (١).

وللإنسان في عملية المجاهدة مع نفسه أحوال ثلاثة: أن تغلبه نفسه وتملكه وهنا الضلال والخسران، أو يكون في حرب دائمة معها يغلبها تارة وتغلبه أخرى وهنا لا زال الأمل في النجاة قائماً، وأن يغلبها ويسيطر عليها وهذا هو الفوز والفلاح، ولا بد لمن يريد النجاة أن يصل في مجاهدة نفسه إلى هذه الحالة التي تمثل غاية المجاهدة وهدفها (٢). قال تعالى: { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ } (٣).

إن عملية المجاهدة في المنهج القرآني تقوم على أساس أن النفس الإنسانية قابلة لتعديل والتغيير والتهديب، وأنه لا بد من تعويدها على اجتناب الرذائل والتزام الفضائل، ومجاهدتها حتى تستقيم على المنهج السوي قال تعالى: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا } (٤). وقال تعالى: { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } (٥).

تاسعاً: زيارة القبور:

زيارة القبور سنة مستحبة عن رسول الله ﷺ قولاً وعملاً لقوله ﷺ في الحديث الذي يرويه بريدة الأسلمي t: (كنت لهنكم عن زيارة القبور فروروا) (٦)، ولعله ﷺ حيث ثبت عنه أنه كان يزور أهل البقيع وشهداء أحد رضوان الله عليهم ويدعولهم (٧)، الأمر الذي يؤكد أهمية زيارة القبور كعامل من أهم عوامل تنمية الجانب الروحي وهو ما يمكن الإشارة إليه فيما يأتي:

١- أنها تذكر الإنسان بالموت:

والموت مصير كل حي ولو نجا منه أحد لنجا أشرف الخلق محمد ﷺ ، وهو الحقيقة الباقية التي تنتهي إليها الحياة، وقد جعله المولى سبحانه وتعالى مرداً ومعاداً يقود الإنسان إلى الحساب على ما قدم في هذه الحياة الدنيا التي تمثل في حقيقتها دار ابتلاء واختبار. قال تعالى: { كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِنَّا نَرْجِعُونُ } (٨).

٢- أن زيارة القبور تذكر بالآخرة وتزهد في الدنيا:

(١) إحياء علوم الدين : ٨/٣

(٢) ينظر: ميزان العمل - أبو حامد الغزالي - تحقيق: سليمان دينا - طبعة دارالمعارف - القاهرة: ٢٤٦.

(٣) سورة النازعات: الآيات ٤٠، ٤١ .

(٤) سورة الشمس: الآيات ٧ - ١٠ .

(٥) سورة العنكبوت: الآية ٦٩ .

(٦) صحيح مسلم - كتاب الجنائز - باب استئذان النبي في زيارة قبر أمه: ٦٧٢/٢ رقم (٩٧٧).

(٧) يراجع: صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب الصلاة على الشهيد رقم (١٣٣٤) .، صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب اثبات

حوض رآه النبي ﷺ وصفاته رقم (٢٢٩٦)، السيرة النبوية للصلاحي : ١٣٤٥/٢ ، ١٣٤٦ .

(٨) سورة الأنبياء: الآية ٣٥



أما أن زيارة القبور تزهد في الدنيا، فلأنها تطلع الإنسان على مصيره الذي يغفل عنه أو يتغافل، وأما أن زيادة القبور تذكر بالآخرة فلأن من مات قامت قيامته والإنسان معرض للموت في أي لحظة، ومنذ لحظة الوفاة تبدأ الآخرة بما فيها من سؤال وحساب، وثواب وعقاب، ونعيم وعذاب. قال تعالى: { **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ** }^(١). وقال تعالى مبيناً حال فرعون وقومه: { **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** }^(٢)، وقال ٣ في الحديث الذي يرويه أبو سعيد الخدري **t**: (القبور إما مروضة من رياض الجنة أو حفرة من حفرة النار)^(٤).

٣- أن زيارة القبور تمثل أحد مجالات العبرة والعظة للإنسان العاقل:

والعبرة إنما تكون بما ينتج عن الزيارة من صلاح في الحال وتغير في السلوك، والعظة والعبرة لا يستفيد منها سوى العاقل الفطن أما الغافل اللاهي فلا يمكن أن يعتبر مهما مر به من الأحداث والآيات. قال تعالى: { **وَكَايِنٍ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ** }^(٥)، وقد روى ابن ماجة عن البراء ابن مالك **t** أن النبي ٣ كان في جنازة فجلس على شفير القبر فبكى حتى بل الثرى ثم قال: (يا إخواني لمثل هذا فاعذوا)^(٦). وبهذا تكون زيارة القبور عاملاً من عوامل تنمية الجانب الروحي في الإنسان^(٧).

عاشراً: الارتباط بالمساجد والتعلق بها:

قال تعالى: { **فِي بُيُوتٍ أَدَانَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** }^(٨). فمن أراد أن تشرق روحه ويستنير قلبه بنور الله **U** فعليه بعمارة المساجد صلاة وذكرًا وتلاوة وتعلماً وتعليماً، وأهم من ذلك كله أن يرتبط بالمساجد ويتعلق بها قلبه ليكون ضمن السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله كما جاء في الحديث الشريف الذي يرويه أبو هريرة **t** ومنهم: (رجل قلبه معلق في المساجد)^(٩).

(١) سورة النساء: الآية ٧٨ .

(٢) سورة غافر: الآية ٤٦ .

(٣) سنن الترمذي-كتاب صفة القيامة والرفاق والزهد والورع : ٦٣٩/٤ رقم (٢٤٦٠) وقال: "حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه".

(٤) سورة يوسف: الآية ١٠٥ .

(٥) سنن ابن ماجة-كتاب الزهد - باب الحزن والبكاء : ١٤٠٣/٢ رقم (٤١٩٥) . قال المنذري: "رواه ابن ماجة وإسناده حسن". الترغيب والترهيب- أبو محمد عبد العظيم المنذري- تحقيق: إبراهيم شمس الدين- ط: ١- دارالكتب العلمية- بيروت: ١٢٠/٤ رقم (٥٠٦٠).

(٦) يراجع: التربية الروحية : ١٦٨ - ١٧٤ .

(٧) سورة النور: الآيات ٣٦-٣٨ .

(٨) صحيح البخاري-كتاب الجماعة والإمامة- باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد: ١/٢٣٤ رقم (٦٢٨) ، صحيح مسلم - كتاب الزكاة- باب فضل إخفاء الصدقة: ٢/٧١٥ رقم (١٠٣١) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١٠/٢٤٥ رقم (٦١٠) .

ولاشك أن حب المساجد والتعلق بها والارتباط بها قلباً وقالباً ودوام التواجد فيها من العوامل المؤدية إلى تنمية الجانب الروحي في الإنسان ورفع درجته عند الله U ، بدليل قوله تعالى: { إِنَّمَا يَعْزُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } (٢). وقوله ٣ في الحديث الذي يرويه أبوسعيد الخديري t : (إذا رأى الرجل يعنل المساجد فاشهدوا له بالإيمان) (٣).

المبحث الثاني الجانب الأخلاقي

المطلب الأول مفهوم الجانب الأخلاقي وأهميته

(٢) سورة التوبة: الآية ١٨ .

(٣) سنن الترمذي- كتاب تفسير القرآن- باب ومن سورة التوبة: ٥/٢٧٧ رقم (٣٠٩٣) وقال: " حديث حسن غريب" ..

الجانب الأخلاقي: هو الجانب المتعلق بالمبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني والموجهة له، والتي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره وبما يكفل تحقيق الأهداف التي خلق من أجلها الإنسان (١).

والجانب الأخلاقي يمثل هيئة النفس وصورتها الباطنة، فكما أن حسن الصورة الظاهرة لا يتم بحسن العينين وحدهما دون بقية أجزاء الوجه بل لا بد من حسن الجميع، فكذلك الصورة الباطنة لا يتم حسنهما دون استواء قواها الأربع التي تشكل حسنهما واعتدالها وتناسقها وهي قوى العقل والغضب والشهوة، وقوة العدل التي تضبط القوى الثلاث وتحدث بينها توازناً واعتدالاً تصدر عنه الأخلاق الحسنة والأساسية التي لا غنى عنها للإنسان وهي الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدالة (٢).

وتتبع أهمية الجانب الأخلاقي من كونه يمثل أهم ثمرات العقيدة الراسخة التي يؤمن بها الإنسان والدليل الواضح على صحة هذه العقيدة ومقدار تفاعل الإنسان معها وتأثيرها في سلوكه. قال تعالى: { أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ } (٣).

وتزداد أهمية الجانب الأخلاقي في كل عصر تختل فيه موازن العلاقة بين الروح والمادة وتطغى المظاهر المادية على حساب القيم الروحية والخلقية النبيلة التي ينبغي أن تسود، الأمر الذي يتطلب اهتماماً خاصاً بتربية هذا الجانب وبذل جهود أكبر في سبيل إصلاحه، ويمكن إيجاز أبرز أسباب الاهتمام بالجانب الأخلاقي فيما يأتي:

١- الارتباط الوثيق بين الجانب الأخلاقي والسلوكي والجانب الروحي والعقائدي :

قال تعالى: { لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } (٤). والبر هو جماع الخير والفضائل والأخلاق وهو ما بينته الآية ودل عليه قوله ٢ في الحديث الذي يرويه النواس بن سمعان (٥): (البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطالع عليه الناس) (١).

وبالجمع بين الآية والحديث يتبين مدى ارتباط الأخلاق والسلوك بالعقيدة إذ أن غاية البر هنا عامة تشمل كل خلق حسن وسلوك مرغوب " وليست غاية البر - وهو الخير جملة - هي تلك الشعائر الظاهرة فهي ذاتها - مجردة عما يصاحبها في القلب من المشاعر وفي الحياة من السلوك - لا تحقق البر ولا تنشئ الخير ..

(١) ينظر: التربية الأخلاقية - مقدار بالجن - ط: ١ - مكتبة الخانجي - مصر: ٧٥.

(٢) راجع: التربية الخلقية: ٣٠ - ٤٠.

(٣) سورة العنكبوت: الآية: ٤٥.

(٤) سورة البقرة: الآية: ١٧٧.

(٥) سبق تخريجه: ص: ١١٩.

إنما البر شعور وأعمال وسلوك وتصور ينشأ أثره في ضمير الفرد والجماعة... ولا يغني عن هذه الحقيقة العميقة تولية الوجوه قبل المشرق والمغرب... سواء في التوجه إلى القبلة هذه أم تلك؛ أو في التسليم من الصلاة يميناً وشمالاً، أو في سائر الحركات الظاهرة التي يزاولها الناس في الشعائر^(٢).

٢- كونه يمثل هدفاً أساسياً من أهداف بناء الأمم والحضارات:

أولت الأديان الإلهية والمناهج الوضعية أهمية خاصة لبناء الجانب الخلقى في الإنسان واعتبرته هدفاً أساسياً تسعى الأمم المختلفة والحضارات المتعاقبة لتحقيقه، ذلك أن الجانب الخلقى إذا اكتمل بناؤه في الإنسان صار إنساناً سوياً قادراً على الإسهام في بناء أمته وتشبيد حضارتها، ولذا كان في مقدمة أهداف البعثة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام المحافظة على الأخلاق وتحسينها، وهو ما دل عليه قوله ﷺ في الحديث الذي يرويه أبوهريرة **t**: (إنما بعثت لأمر صالح الأخلاق) ^(٣).

٣- ظهور العديد من المشكلات الخلقية والسلوكية:

هناك العديد من المشكلات الخلقية والسلوكية التي يتطلب علاجها اهتماماً خاصاً بالجانب الأخلاقي وإعادة بنائه وإعداده، وتنميته والمحافظة عليه، ومن أبرز هذه المشكلات:

- أ. الخروج على القيم الإسلامية والوقوع في المحرمات وممارسة الفواحش والردائل الخلقية المختلفة.
- ب. عدم الخوف من الله **U** أو الارتداد عن العقوبات التي شرعها وتعطيلها في كثير من البلدان .
- ج. الانحراف عن الفطرة السوية بما يعينه ذلك من انتكاسة في القيم والمثل، وجرأة على المعاصي والآثام.
- د. إتباع الهوى الأمر الذي يؤدي إلى الانغماس في الشهوات والملذات دون ضابط أو رادع.
- هـ. الاستهانة بالأعمال الخيرية والتوقف عن ممارستها، وما ينشأ عن ذلك من تعطيل وعدم تمسك بالعديد من الفضائل الأخلاقية.

و. مصاحبة قرناء السوء وما ينتج عن ذلك من سكوت على الأخلاق السيئة ورضا بها ووقوع فيها^(٤).

٤- فساد القيم الخلقية العالمية وخروجها عن دائرة الأخلاق الإنسانية العامة:

ولعل أبرز مظاهر هذا الفساد ما يأتي:

- أ. انتشار الإباحية الجنسية والترويج لها علناً في وسائل الإعلام.
- ب. انتشار المخدرات والمسكرات بأنواعها المتعددة واتساع دائرة الاتجار بها وتعاطيها بين جميع الفئات.
- ج. انتشار الجريمة المنظمة بجميع أنواعها واتساعها لتشمل أفراداً وجماعات ودول.
- د. سن القوانين والتشريعات الداعية إلى فساد القيم وحماية الجريمة بأنواعها^(١).

(٢) في ظلال القرآن: ١ / ١٥٩.

(٣) مسند أحمد : ٢ / ٣٨١ رقم (٨٩٣٩) قال الهيثمي : " رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح "مجمع الزوائد : ١٥ / ٩ .

(٤) ينظر: التربية الاجتماعية : ٣٢٠ - ٣٢٢.

(١) يراجع : التربية الخلقية : ٤٣ - ٥٠.

٥- بروز العديد من الظواهر السيئة:

هناك العديد من الظواهر السيئة المرتبطة بالجانب الأخلاقي والتي تظهر منذ مرحلة مبكرة في حياة كثير من الأفراد، والتي يتطلب علاجها والقضاء عليها التركيز على تربية الجانب الأخلاقي وتمييزه منذ طفولة الإنسان وفي مقدمة هذه الظواهر: الكذب والسرقه والسباب والشتم وظاهرة الميوعة والانحلال^(٢). إن ارتباط الجانبين الروحي والأخلاقي، واختلال العلاقة بين الروح والمادة، وأهمية الجانب الأخلاقي في بناء الأمم وقيام الحضارات، فضلاً عن ظهور المشكلات الخلقية، وفساد القيم العالمية، وبروز العديد من الظواهر السلبية المرتبطة بالجانب الأخلاقي، كل ذلك يدعو إلى الاهتمام بهذا الجانب وإعادة بنائه وتربيته بما يتناسب مع القيم الخلقية التي دعا إليها المنهج القرآني.

المطلب الثاني

أهم القيم الأخلاقية الواجب اكتسابها

أولاً: التخلي عن الرذائل والبعد عن كل ما يؤدي إليها والتحرر من آثارها:

يمكن القول أن الأخلاق السيئة والرذيلة بمختلف أنواعها ومسمياتها تعود إلى أصولٍ أربعة هي: الجهل والظلم والشهوة والغضب، فالجهل يظهر القبيح حسناً والمذموم ممدوحاً، والظلم يحمل على وضع الشيء في غير

(٢) يرجع: تربية الأولاد في الإسلام: ١/ ١٧٢-١٨٢.



موضعه، والشهوة تحمل على الحرص والشح والجشع والذل واقتراف الدناعات، بينما يحمل الغضب على الكبر والحقد والحسد والعدوان والسفه وكل هذه وغيرها أخلاق ذميمة يتولد بعضها من بعض^(١).

والرذائل إنما هي الشرور والآثام والمعاصي التي يفتريها الإنسان بأنواعها المختلفة صغیرها وكبيرها ظاهرها وباطنها ولا سبيل إلى إحصائها وتحديدها وإنما يمكن الاستدلال عليها بأنها: كل ما يغضب الله U أو يناقض الفطرة الإنسانية السليمة، فضلاً عن كل ما حرمه الله تعالى أو نهى عنه. قال تعالى: { وَذُرُوا ظَاهِرَ الْأَثَمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْأَثَمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقتَرِفُونَ }^(٢).

ويمكن إدراج أهم الرذائل والشرور ضمن الأخلاق التي تشير إليها رؤوس الموضوعات الآتية:

١- كل خلق حرمه المنهج القرآني أو نهى عن الاتصاف به.

٢- كل خلق يترتب عليه فقد الولاية لله U ولرسوله ﷺ وللمؤمنين.

٣- كل قولٍ أو فعلٍ يترتب عليه الإساءة إلى الإسلام والمسلمين.

٤- كل قولٍ أو فعلٍ يدل على التشدد والتتبع والغلو في الدين.

٥- كل قولٍ أو فعلٍ يترتب عليه التفريط والتساهل في أمر الدين.

ويلحق بهذه الموضوعات والأخلاق جميع السلوكيات السيئة التي ترفضها الفطرة السليمة وتمقتها الطباع الحسنة^(٣).

لقد ارتكز المنهج القرآني في تربية الجانب الأخلاقي على حقيقتي النفي والإثبات، حيث هدف من النفي إلى تنظيف النفس وتطهيرها وتنقيتها من رذائل الجاهلية ورواسبها المتبقية بينما هدف من الإثبات إلى إقامة البناء الخلقى في النفس المؤمنة وتميمته باستمرار، كما سار على محورين للتخلص من آثار الجاهلية ومخلفاتها في النفس الإنسانية أولهما: بيان الخطأ والانحراف في الأخلاق الجاهلية وضرورة الابتعاد عنها، وثانيهما: القيام بعملية إلغاء وإحلال حيث يقوم كل خلق إسلامي بإلغاء خلق جاهلي والحلول مكانة^(٤).

قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }^(٥).

ثانياً: التحلي بالأخلاق الفاضلة وتنميتها:

تتمثل الفضائل التي دعا إليها المنهج القرآني في أعمال البر والخير والإحسان المختلفة وفي مكارم

الأخلاق، التي جاء الرسول ﷺ لتنميتها.

ويمكن تقسيم الأخلاق الفاضلة إلى قسمين رئيسيين ينتظم كلاً منهما جملة من الأخلاق الفاضلة على

النحو الآتي:

١- الأخلاق الأساسية:

(١) ينظر: مدارج السالكين: ٢ / ٣٠٨.

(٢) سورة الأنعام: الآية: ١٢٠.

(٣) ينظر: التربية الدينية الغائبة- د. علي عبد الحليم محمود- طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة: ٢٠١، التربية الخلقية: ٢٠٩.

(٤) ينظر: السيرة النبوية - صالح الشامي : ٦٤ (نقلًا عن : منهج النبي في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة : ٨٨) .

(٥) سورة النحل: الآية: ٩٠.

ويراد بها جملة الصفات التي يقوم عليها الجانب الخلقى في الإنسان والتي لا بد من توفرها لنجاحه في الدنيا بغض النظر عن ديانة الإنسان وثقافته ونيته والغاية التي يسعى إلى تحقيقها، ومن هنا قال ۲ في الحديث الذي يرويه أبو هريرة **t**: (الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) ^(١).

وهي أول ما ينظر فيه من أخلاق الإنسان فإن وجدت كان هذا الإنسان بخير وكان ذلك أدعى إلى وجود أخلاق سوية أخرى فيه، وإن لم توجد فعندئذ يحكم على هذا الإنسان أنه مجرد من آدميته ^(٢). وقد ذهب أكثر العلماء والفلاسفة إلى أن أمهات الفضائل وأسس الأخلاق الحسنة ترجع إلى: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدالة ^(٣)، ويمكن التعرض لهذه الأخلاق باختصار فيما يأتي:

أ. الحكمة:

"هي علة صحة الفكر والروية والتميز في سائر الأشياء" ^(٤)، وهي كمال القوة النظرية والعقلية، وتعني التوسط بين رذيلتي البلادة واللؤم والخسة ^(٥). والحكمة تعني معرفة الأفضل في كل شيء، وتحقيق الإصاحة في القول والعمل، ولها أثر كبير في ضبط السلوكيات وصحة التصرفات في المواقف المختلفة ^(٦). قال تعالى: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } ^(٧).

(١) سبق تخريجه: ص .

(٢) ينظر: الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية- أبو الأعلى المودودي- طبعة دار الفكر- دمشق: ٢٠-٢٤.

(٣) ينظر: تسهيل النظر وتعجيل الظفر- أبو الحسن علي بن محمد الماوردي -دراسة وتحقيق: رضوان السيد- ط: ١- المركز الإسلامي للبحوث- بيروت: ١٠٧، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع مع تحقيق كتابه سلوك المالك في تدبير الممالك - د. ناجي التكريتي - ط: ٢- دار الأندلس : ١٠٦، التربية الخلقية: ٣٢.

(٤) الفلسفة السياسية عند بن أبي الربيع : ١٠٧.

(٥) ينظر: التربية الخلقية : ٣٧.

(٦) ينظر: الرجولة في الإسلام- عبد رب النبي علي أبو السعود- ط: ١- مكتبة وهبة - مصر : ١١.

(٧) سورة البقرة: الآية: ٢٦٩.



ب. الشجاعة:

وهي علة الإقدام وعدم الانهزام عند الشدائد والمخاوف، وهي كمال القوة الغضبية، وتعني التوسط بين رذيلتي الجبن والتهور^(١).

والشجاعة إحدى أمهات الأخلاق الدالة على الرجولة، ولها أنواع متعددة تشمل الرأي والقول والفعل والحرب، وهي تحمل صاحبها على عزة النفس وإيثار معالي الأمور^(٢).

وقد عد الإسلام الشجاعة من أكرم الخصال وأنبى الصفات ولاسيما عند توظيفها لخدمة الحق ودفع الظلم وتحرير الإنسان، وتقيدها بضوابط الشرع بعيداً عن التهور والظلم والعدوان، وبإمكان كل فرد أن يعمل على تنمية خلق الشجاعة في نفسه بالتدريب العملي ومواجهة المواقف المختلفة واستعراض سير الشجعان والافتداء بهم، فضلاً عن التغلب على مثيرات الجبن والخوف، وترسيخ عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر في النفس^(٣).

ج. العفة:

وهي علة الورع وضبط النفس عن الشهوات والاقتصار على ما يحتاج إليه كل من النفس والجسد من الشهوات والملذات المباحة، وهي كمال القوة الشهوية، وتعني التوسط بين رذيلتي الجمود والفجور^(٤).

والعفة تحمل صاحبها على اجتناب قبائح الأخلاق وسيء السلوك، ولا تكون إلا عند وجود الدافع النفسي والمثير الغريزي إلى ما ينافيها، ومن هنا كانت عفة يوسف **U** أعظم أمثلة العفة في تأريخ الإنسان، حيث توفر في يوسف **U** الرجولة والشباب والدافع الغريزي، وفي امرأة العزيز مختلف عوامل الإثارة من جمال ومنصب وإغراء ورغبة دعوته وتهديد، كل ذلك في ظل خلوة تامة وأمان من الرقباء، وهنا يبرز خلق العفة لدى يوسف **U** فيضبط نفسه ويقاوم الدوافع والمغريات ويفضل السجن ترفعاً عن الخيانة وطلباً لمرضاة الله **U**، وبذلك يضرب أروع الأمثلة في العفة^(٥). قال تعالى: { وَرَأَوْنَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ }^(٦).

د. العدالة:

وهي علة صحة الأفعال ووضعها في الموضع اللائق بها. وهي كمال القوة العملية، حيث تحمل صاحبها على التزام التوسط بين الإفراط والتفريط^(٧).

(١) ينظر: سلوك المالك: ١٠٧، التربية الخلقية: ٣٧.

(٢) ينظر: الرجولة في الإسلام: ٥٠.

(٣) يراجع: المصدر نفسه: ٥٢ - ٥٥.

(٤) ينظر: سلوك المالك: ١٠٧، الرجولة في الإسلام: ٩٣، التربية الخلقية: ٣٧.

(٥) يراجع: الرجولة في الإسلام: ٩٣ - ٩٨.

(٦) سورة يوسف: الآية: ٢٣.

(٧) ينظر: سلوك المالك: ١٠٧.

والعدالة ضرورة إنسانية لأنها تمثل أساس انتظام العلاقات بين البشر، كما أنها تمثل فضيلة كبرى ينتصف بها الإنسان من نفسه ومن غيره في توسطٍ واعتدالٍ من غير تعدٍ على حقوق الآخرين أو تقصيرٍ في حقوق نفسه^(١). قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ }^(٢).

إن ما ذكر باختصار شديد يمثل أمهات الأخلاق الأساسية الفاضلة التي يجب أن يتحلى بها كل إنسان سوي، وإنه لمن المهم جداً الإشارة إلى أن هذه الأخلاق وغيرها لم تكتمل في حياة البشرية سوى في شخصية النبي ﷺ حيث بلغت كمال الاعتدال أصولاً وفروعاً، إلى جانب تنزهه ﷺ عن خصال السوء أصولاً وفروعاً، وهو ما شهد به قوله تعالى { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ }^(٣)، والناس بعده ﷺ متفاوتون في التحلي بالفضائل والتنزه عن الرذائل، والقرب منه أو البعد عنه^(٤).

٢- الأخلاق الإسلامية:

وهي ليست مختلفة أو مستقلة عن الأخلاق الأساسية وإنما هي مكملة ومتممة لها، ودور المنهج القرآني يقتصر على تقيتها وتهذيبها وتتميتها وتوجيهها الوجهة الصحيحة، ويمكن إيجاز الكيفية التي حول بها المنهج القرآني الأخلاق الأساسية إلى أخلاق إسلامية فيما يأتي:

أ. تزويد الأخلاق الأساسية بمركز صحيح وأداة تحكم تحولها إلى الخير والحق والهدى والرشاد:

إن الحكم على خيرية الأخلاق والسلوكيات من عدمه إنما يكون بمدى استخدامها في طريق الحق والهدى، وذلك أمر تحدده النية ويتحكم فيه القلب، وهو ما دل عليه قوله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)^(٥) وقوله ﷺ: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)^(٦) ولذلك ركز المنهج القرآني على إصلاح كل من القلب والنية.

ب. تأصيل الأخلاق الأساسية وتثبيت أركانها من جهة، وتوسيع دائرتها لتشمل جميع مظاهر الحياة الإنسانية من جهة أخرى، ولتكون خالصة لوجه الله تعالى متجاوزة بذلك حدود الجنس والوطن واللغة والقبيلة. ولذلك عندما سئل النبي ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاوم حمية ويقاوم للمغنم وليرى مكانه أي ذلك في سبيل الله قال ﷺ: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)^(٧).

(١) الرجولة في الإسلام : ١٣٤.

(٢) سورة النحل: الآية: ٩٠.

(٣) سورة القلم: الآية: ٤.

(٤) ينظر: التربية الخلقية : ٣٥ ، منهج النبي ﷺ في الدعوة: ٨٧.

(٥) سبق تخريجه: ص ١١٢ .

(٦) سبق تخريجه: ص ٢٤٦ .

(٧) صحيح البخاري- كتاب الجهاد والسير- باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا: ١٠٣٤/٣ رقم (٢٦٥٥) ، صحيح مسلم- كتاب الإمارة- باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا: ١٥١٣/٣ رقم (١٩٠٤). والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٣٠٥/٢ رقم (١٢٤٣).

ج. إعتبار الأخلاق الأساسية الطبقة الأولى والأساس المتين الذي تشاد عليه الطبقة الثانية من الأخلاق الفاضلة والسلوكيات الحميدة، والتي ترتقي بالإنسان إلى أعلى درجات الكمال البشري والرقى الإنساني، الأمر الذي يطهر الإنسان وينقيه ويجعله مأمون الجانب لا يرجى منه إلا الخير والنفع، ولا يقتصر صلاحه على نفسه بل يتعداه إلى القيام بمهمة الإصلاح والتغيير في حياة البشرية^(١). قال تعالى: { **إِنْ أُريدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** }^(٢). وفي ضوء ذلك يفهم قول النبي ٣: (**إِنَّمَا بَعَثْتُ لَأْمُرَ صَالِحِ الأَخْلَاقِ**)^(٣).

إن الأخلاق الإسلامية لا تقتصر على فئة معينة من الأخلاق والسلوكيات وإنما تمتد لتشمل جميع أنواع الخير والبر والإحسان التي أمر الله تعالى بها وفصلتها العديد من آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ٣. ويمكن إجمال هذه الأخلاق الفاضلة في صفات رئيسة خمس هي:

- أ. الالتزام بالمنهج القرآني في جميع الأمور.
- ب. الولاء لله U ولرسوله ٣ وللمؤمنين.
- ج. الجدية في التعامل مع المواقف المختلفة.
- د. التسامح والعفو في التعامل مع الناس.
- هـ. التوازن والاعتدال في الحكم على الأفراد والأحداث.

وبالتزام هذه الصفات الرئيسية الخمس وما يتفرع عنها من الأخلاق والسلوكيات يكون الإنسان قد تحقق بفضائل الإسلام وأخلاقه^(٤).

ثالثاً: التزام الأخلاق الجماعية:

لا يستطيع الإنسان العيش بمفرده والاستغناء عن الجماعة، الأمر الذي يتطلب التزامه مجموعة من الأخلاقيات التي تعد أساس التواصل مع الآخرين والتعايش معهم ومن أبرز هذه الأخلاقيات ما يأتي:

- ١ - التواضع: قال تعالى: { **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا** }^(٥).
- ٢ - الصبر وتحمل المشاق: قال تعالى: { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** }^(٦).

(١) يراجع: الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية: ٢٤ - ٢٩.

(٢) سورة هود: الآية: ٨٨.

(٣) سبق تخريجه: ص ١٦١.

(٤) يراجع: التربية الخلقية: ١٨٨ - ٢٣٧، ينظر: التربية الدينية الغائبة: ١٩٨ - ٢٠١.

(٥) سورة الفرقان: الآية: ٦٣.

(٦) سورة آل عمران: الآية: ٢٠٠.



- ٣- الصدق: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } (١).
- ٤- الأمانة: قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا } (٢).
- ٥- الوفاء: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ } (٣).
- ٦- كظم الغيظ والعفو والصفح: قال تعالى: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } (٤).
- ٧- الإيثار: قال تعالى: { وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا فَاوْلِيكَ هُمْ الْمَفْلُحُونَ } (٥).
- ٨- الرفق: قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } (٦).

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: "فالناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم ونقصهم وضعفهم، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ويحمل همومهم ولا يعينهم بهم، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ" (٧).

رابعاً: إيثار الحق والخير والتواصي بهما:

والحق: هو الثابت المؤكد الذي لا يجوز إنكاره، ويطلق على الصحيح من الأقوال والأفعال والعقائد والأديان والقيم والمبادئ، ويقابله الباطل بدليل قوله تعالى: { فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ } (٨). أما الخير فهو كل فعل محمود أو خلق حسن يقوم به الإنسان ويقابله الشر وهو أحد أسباب الفلاح والسعادة. قال تعالى: { وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (٩).

(١) سورة التوبة: الآية: ١١٩.

(٢) سورة النساء: الآية: ٥٨.

(٣) سورة المائدة: الآية: ١.

(٤) سورة آل عمران: الآية: ١٣٤.

(٥) سورة الحشر: الآية: ٩.

(٦) سورة آل عمران: الآية: ١٥٩.

(٧) في ظلال القرآن: ١/ ٥٠١.

(٨) سورة يونس: الآية: ٣٢.

(٩) سورة الحج: الآية: ٧٧.

ومعنى إثبات الحق والخير أي التزام الإسلام وتفضيله على سائر الأديان، وتطبيق ما جاء من عند الله على لسان خاتم رسله محمد ٣ والإقبال على فعل الخيرات بأنواعها، والتواصي بالصبر على المشاق والعقبات التي تعترض طريق الإنسان خلال تمسكه بهذا الدين وفعله للخيرات^(١). قال تعالى: {وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۗ }^(٢).

خامساً: تحقيق الالتزام الذاتي وبقظة الضمير:

يعد الالتزام الذاتي بالأخلاق الفاضلة أساساً هاماً في تحقيق الإلزام الخلقي في المجتمع، والشخصية السوية لا بد أن تلتزم تلقائياً بأخلاق الإيمان بحيث يتوافق سعيها وسلوكياتها مع ما تؤمن به من معتقدات وقيم ومبادئ في إخلاص تام بعيداً عن الوقوع في النفاق والرياء والغش والخداع وتضليل الآخرين. والالتزام الذاتي إنما ينبع من داخل النفس الإنسانية التي يملؤها إحساس الخوف من الله U واستشعار مراقبته، والإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور والحساب، وأداة هذا الالتزام والمحرك له هو الضمير الداخلي الذي يدفع الإنسان لمراقبة أعماله ومحاسبة ذاته. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِعَدِّهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۗ }^(٣).

سادساً: الشعور بالواجب وتحمل المسؤولية:

يعد الشعور بالواجب عصب مهم في الجانب الخلقي، بل هو العنصر الأساس في النظام الأخلاقي برمته، إذ ما فائدة الأخلاق إذا لم يوجد الشعور بالالتزام نحوها، والواجب لا تشعر به إلا ذات حرة ونفس أبيه وشخصية سوية تملك القوة والإرادة. لقد ظلت مسألة الشعور بالواجب تمثل مشكلة أخلاقية كبيرة عانت منها الأمم طويلاً على مدار التاريخ الأمر الذي أدخلها في دوامة الفوضى واللامبالاة وحكم عليها بالتخلف وأوصلها إلى مرحلة التفكك والتمزق الداخلي، أما الأمة الإسلامية فليس لديها مشكلة في تحديد الجهة الملزمة بالواجبات والمسؤوليات فهي تدرك أن الأمر لله U في جميع الأمور وبالتالي فإن استسلام الأفراد لأوامر الله تعالى والتزامهم بها في جميع الأحوال أمر محسوم بنص قوله تعالى: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مِؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا }^(٤).

(١) ينظر: التربية الخلقية : ٥٥.

(٢) سورة العصر: الآيات: ١-٣.

(٣) سورة الحشر: الآية: ١٨.

(٤) سورة الأحزاب: الآية: ٣٦.

و تكمن المشكلة في صعيد العلم بالواجبات واستشعارها ثم الالتزام بها حيث يتفاوت الأفراد في مقدار علمهم ومعرفتهم ومدى تطبيقهم والتزامهم وهو أمر ذكره القرآن الكريم في العديد من الآيات في معرض حديثه عن فئات مختلفة ضعف لديها الشعور بالواجب ولم تتمكن من تحمل المسؤولية كالذين لا يخضعون للحق إلا إذا كان لهم فيه مصلحة، والذين لا يلتزمون التوجيهات الربانية سوى في أوقات الرخاء قال تعالى: {وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ ۗ} (١). وقال تعالى: { وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ۗ} (٢). ومع ذلك فإن الشعور بالواجب وتحمل المسؤولية يظل قيمة أخلاقية هامة ينبغي غرسها وتنميتها في الجانب الأخلاقي للأفراد ولاسيما الذين تعقد عليهم الآمال في قيادة سفينة الأمة واستعادة نهضتها وبناء حضارتها من جديد (٣).

سابعاً: تنمية الإحساس الفعال:

يعد تكوين الإحساس الفعال وتنميته في النفس الإنسانية من أرفع القيم الأخلاقية التي يجب علينا إنسان اكتسابها، ولتحقيق ذلك لابد من المحافظة على سلامة الفطرة وطهارتها، وإحياء دور المراقبة والمحاسبة في النفس، وتدعيم التربية الأسرية الواعية، فضلاً عن تشجيع التربية الذاتية للأفراد وتطوير أساليبها بما يعزز لدى الإنسان جانب النزوع إلى الخير والابتعاد عن الشر ولاسيما في خلواته التي ينفرد فيها ويبتعد عن أعين المجتمع، ومعلوم ما تؤديه الفرائض من تدعيم لهذا الجانب وفي مقدمتها الصيام. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۗ} (٤).

ولتكوين هذا الإحساس أيضاً لابد من إتاحة الفرصة لإبراز التنوع الثقافي المباح للأفراد والفئات المختلفة، والتخفيف من القيود الاجتماعية التي تدفع إلى التناقض بين المبادئ والقيم والأقوال والتصرفات حيث يضطر الإنسان للظهور أمام مجتمعه بمظهر المتمسك بالقيم والمبادئ والحريص عليها بينما هو في الحقيقة ينتهكها صباح ومساء عندما يخلو إلى نفسه منفرداً (٥).

والخلاصة أن أرفع القيم التي ينبغي الوصول إليها في تربية الجانب الأخلاقي للأفراد عامة والقيادات على وجه الخصوص هي الوصول إلى مرحلة الإحساس الفعال الذي يدفع الإنسان للشعور بالخلق الحسن والمبادرة للقيام به، والشعور بالخلق القبيح والمسارة إلى الابتعاد عنه في إطار ذاتي داخلي لا يطلع عليه أحد، وهو ما قصده النبي ﷺ بقوله: (البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس) (٦).

المطلب الثالث

(١) سورة النور: الآيتان ٤٨، ٤٩.

(٢) سورة التوبة: الآية: ٨١.

(٣) تراجع : مدخل إلى التنمية المتكاملة : ٢٦٣-٢٦٨، التربية الخلقية : ٥١-٥٢.

(٤) سورة البقرة: الآية: ١٨٣.

(٥) ينظر : مدخل إلى التنمية المتكاملة : ٢٥٥-٢٥٨.

(٦) سبق تخريجه : ص ١١٩ .

عوامل تنمية الجانب الأخلاقي

حث المنهج القرآني على اكتساب الأخلاق الحسنة والتخلي بها، والابتعاد عن الأخلاق السيئة والتخلي عنها انطلاقاً من قابلية الأخلاق للتقويم والتعديل والتنمية ووجود الاستعداد الفطري لدى الإنسان لاكتساب الجيد من الأخلاق والتخلي عن القبيح منها، وإن كان هناك تفاوت في مقدار الأهلية والاستعداد من شخص إلى آخر، ويمكن استعراض أهم عوامل تنمية الجانب الأخلاقي فيما يأتي:

أولاً: العلم والمعرفة :

إن العلم والمعرفة هما الطريق للتعرف على الأخلاق الحسنة والسيئة، وبدون العلم لا يمكن للإنسان أن يميز بين الخير والشر والحسن والقبيح، وقد فصل المنهج القرآني الأخلاق تفصيلاً دقيقاً وحدد للإنسان ما يجب أن يتحلى به من الأخلاق وما يجب أن يتخلى عنه. قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (١).

وتكمن أهمية العلم والمعرفة كذلك في التعرف على محاسن الأخلاق الفاضلة وفوائدها، ومساوئ السلوكيات القبيحة ومضارها، وآثار كل منهما على حياة الفرد والمجتمع نفسياً وطبيعياً واجتماعياً وحضارياً. قال تعالى: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (٢).

وهنا يبرز دور المنهج الدراسي كعامل أساسي في تنمية الجانب الأخلاقي وتعزيزه عن طريق وسائله المباشرة كالتوجيه إلى العادات الفاضلة والسلوك القويم، و غير المباشرة عن طريق تهيئة الجو العام والأنشطة المختلفة التي تساعد على انتقال القيم الفاضلة والأخلاق الحسنة إلى التلاميذ (٣).

ثانياً: تقوية معاني العقيدة في النفس:

وذلك بترسيخ مفهوم الإيمان باليوم الآخر والجزاء والحساب، والتأكيد على أهمية الدين في توجيه سلوك الإنسان، وبذلك تنفتح النفس ويظهر تقبلها لمعاني الأخلاق الإسلامية واقعاً ملموساً في سلوكها، نتيجة إدراكها لوجود الارتباط الوثيق بين العقيدة والأخلاق (٤). قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } (٥).

ثالثاً: أداء العبادات:

(١) سورة النحل: الآية: ٩٠.

(٢) سورة الزمر: الآية: ٩.

(٣) ينظر: مشكلات الشباب : ١٤٥، أصول الفكر التربوي في الإسلام : ١٦٤.

(٤) ينظر: أصول الدعوة - د. عبد الكريم زيدان - ط: ٨ - مؤسسة الرسالة - بيروت : ٩٦، ٩٧.

(٥) سورة البقرة: الآية: ١٧٧.

للعبادات الإسلامية تأثير كبير على النفس الإنسانية يسهم في تنقيتها من الأخلاق السيئة، ويسهل عملية تزكيتها بالأخلاق الحسنة، الأمر الذي ينتج عنه تعديل في الأخلاق وتطور في السلوك. قال تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} (١). وقال تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} (٢).

رابعاً: الرياضة النفسية والتدريب العملي:

إن ممارسة الأخلاق الحسنة ولو بتكلف في بادئ الأمر ومخالفة النفس والهوى وإجبارهما على التخلق بهذه الأخلاق من العوامل المؤدية إلى تنمية الجانب الأخلاقي واكتساب الأخلاق الحسنة ولو بعد حين، ذلك إن رياضة النفس وتدريبها على السلوك الحسن يحتاج إلى صبر وتكرار ومداومة مثله مثل الرياضة الجسمية التي لا يمكن جني ثمرتها إلا بعد المداومة عليها، فإذا داومت النفس على التزام الأخلاق الحسنة اعتادت عليها وألفتها وأصبحت سجية لها (٣). قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (٤). وقال تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} (٥). وفي الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: (ومن يسعف يعفه الله، ومن يسغن يغنه الله، ومن ينصر يصبر الله) (٦).

(١) سورة العنكبوت: الآية: ٤٥.

(٢) سورة البقرة: الآية: ١٩٧.

(٣) ينظر: منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع: ٢٠٦.

(٤) سورة العنكبوت: الآية: ٦٩.

(٥) سورة محمد: الآية: ١٧.

(٦) صحيح البخاري - كتاب الزكاة - باب الاستعفاف عن المسألة: ٥٣٤/٢ رقم (١٤٠٠)، صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب فضل التعفف والصبر: ٧٢٩/٢ رقم (١٠٥٣) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١/٢٥٥ رقم (٦٢٧).

خامساً: القدوة الحسنة والمثل الأعلى:

تعد القدوة الحسنة التجسيد الحي والنموذج الواقعي للقيم الأخلاقية العليا والسلوك الخلفي الأمثل الذي يجب التزامه، كما أنها تعد وسيلة هامة من وسائل الإقناع بسمو الأخلاق الفاضلة وواقعيتها وإمكانية تطبيقها^(٧). إن المثل الأخلاقي الأعلى في المنهج القرآني ليس ناتجاً عن اجتهاد في الفكر أو تطور في السلوك الإنساني، وإنما هو مثل متكامل تتحقق فيه جميع صفات الكمال والجلال وأعلى درجات سمو والارتقاء، فعلى الإنسان أن يتخلق بما تبلغه طاقته وتحتمله نفسه من صفات الخالق سبحانه وتعالى، دون أن يغفل لحظة عن الفارق بين الخالق والمخلوق، بين الكمال الإلهي المطلق والنقص والعجز والقصور البشري المؤكد. قال تعالى:

{ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }^(١).

ولقد كان من رحمة الله U بعباده أن بعث لهم رسله وأنبيائه عليهم السلام وجعلهم النموذج البشري الذي يجب الاقتداء به. قال تعالى: { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ }^(٢).

سادساً: الارتباط بالرفقة الصالحة:

يتأثر الإنسان بأصحابه ورفاقه، وشيئاً فشيئاً يكتسب من طباعهم وعاداتهم وأخلاقهم، ولذلك حث المنهج القرآني على مخالطة الأخيار والصالحين، لأنهم يعيشون حياة الطهر والعفاف ويلتزمون الأخلاق الفاضلة في تعاملاتهم، الأمر الذي يؤثر إيجاباً في سلوك المعاش لهم ويسهم في تنمية الجانب الخلفي لديه مهما كان ضعيفاً والعكس بالعكس. قال تعالى: { وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا }^(٣). ومن هنا بين النبي r تأثير الرفقة على الإنسان في الحديث الذي يرويه أبو سعيد الخدري t بقوله r:

(مثل المجلس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن تخذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه رتخاً طيبة، ونافخ الكير إما أن تحرق ثيابك وإما أن تجد منه رتخاً خبيثاً)^(٤).

سابعاً: مدارس سير الأنبياء والمرسلين والأبطال النابغين:

(٧) ينظر: منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع: ٢٠٧.

(١) سورة النحل: الآية: ٦٠.

(٢) سورة الأحقاف: الآية: ٣٥.

(٣) سورة الفرقان: الآيات: ٢٧ - ٢٩.

(٤) صحيح البخاري - كتاب الذبائح والصيد - باب المسك: ٢١٠٤/٥ رقم (٥٢١٤)، صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب

استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قراء السوء: ٢٠٢٦/٤ رقم (٢٦٢٨) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٢٦٤/٣

وذلك للتعرف على أخلاقهم وسلوكياتهم وتصرفاتهم في المواقف المختلفة ، والوقوف على الأخلاق النبيلة التي تحلو بها واستحقوا بها الوصول إلى ما وصلوا إليه من مكانة ورفعة ومجد وشهرة، كما أن مدارس هذه السير تمكن الإنسان من الاستفادة من تجاربهم وأخذ العظة والعبرة منها.

إن مدارس سير الأنبياء والمرسلين عليهم السلام والأبطال التاريخيين تحيي الأمل في النفوس وتجسد معاني التضحية والفداء في سبيل المثل العليا والقيم العظيمة والمبادئ السامية، ويكفي المطلع عليها أن يقف على صبر أيوب ، وعفة يوسف ، وحلم إسماعيل ، وتضحية إبراهيم ، وأمانة موسى عليهم السلام، وإلى كمال خلق سيدنا محمد ﷺ لتتحسن أخلاقه ويترقى في درجات الكمال.

ثامناً: هجر البيئة الفاسدة:

تعد البيئة المكون الثاني من مكونات الشخصية الإنسانية، ويتحدد في ضوءها مدى صلاحية الإنسان واستقامته أو فساده وإنحرافه، ولذلك دعا المنهج القرآني إلى هجر البيئة الفاسدة والابتعاد عنها، وحث على الالتحاق بالبيئة الصالحة والتفاعل معها. قال تعالى: { وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نُكْدًا }^(١). وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا }^(٢).

ومن أبرز الأمثلة الدالة على ذلك ما حكاه النبي ﷺ عن الرجل الذي قتل مائة نفس وفيه (أنه سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على عالم فقال له: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن تحول بينك وبين التوبة؟ إنطلق إلى أرض كذا وكذا فإن لها أناساً يعبدون الله فاعبده معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء)^(٣).

فهذا الحديث يدل على ضرورة هجر المجتمعات الفاسدة والتحول منها إلى المجتمعات الصالحة، فإن العيش معها أدعى إلى سلامة الإنسان واستقامته وابتعاده عن السوء.

تاسعاً: تحقيق الوقاية الخلقية :

تحرص النفس البشرية على إشباع نزواتها وأهوائها وشهواتها بمختلف الوسائل والسبل، ولا سيما إذا كانت مواطن رغباتها سهلة المنال متاحة لكل طالب ، أما إذا وجدت أن هناك مصاعب أو مخاطر تعترض طريقها فإنها قد تنردد وتحجم عن إشباع هذه النزوات والرغبات.

(١) سورة الأعراف: الآية: ٥٨.

(٢) سورة النساء: الآية: ٩٧.

(٣) صحيح مسلم - كتاب التوبة - باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله : ٤/٢١١٨ رقم (٢٧٦٦) .

ولذلك يعمل المنهج القرآني على تحرير الضمير الإنساني من ضغط الشهوة بالتضييق على وسائل الإغراء وكبح جماحها، والقضاء على مظاهر الانحراف والرذيلة وإزالة آثارها، وكذا عن طريق تكوين رأي عام مساند للفضيلة داعٍ إليها رافضٍ للرذيلة محاربٍ لها، بحيث يجد كل شاذٍ نفسه معزولاً اجتماعياً، ومن هنا كان تحريم جميع المظاهر المؤدية إلى الفواحش والمنكرات، وسد جميع السبل المؤدية إليها^(٤). قال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} ^(٥).

عاشراً: المسؤولية الخلقية والإلزام الخلقى:

المسؤولية في المنهج القرآني مسؤولية شخصية وجماعية، وكل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي مسؤول عن أخلاقه وسلوكياته مسؤولية تامة. قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} ^(١). وكذلك المجتمع بمجموع أفرادهِ وفئاتهِ والذي يعد مسؤولاً كذلك عن أخلاقيات أفرادهِ وسلوكياتهِ وبالتالي يجب عليه القيام بواجبه في ردع المنحرفين وإلزامهم بالأخلاق الفاضلة عبر أسلوبين رئيسين:

١ - إلزامية الرأي العام:

الأصل في الرأي العام الإسلامي التزام الأخلاق الفاضلة وتعميمها على جميع الأفراد، وعدم التفريط فيها أو السماح لأي منحرف بالخروج عنها، من خلال الوقوف بكل حزم في وجه كل انحراف عن القيم الإسلامية أو خروج عن الأخلاق الفاضلة، وكذا من خلال إعلان المقاطعة وعدم التعامل مع أي منحرف مهما كانت الأسباب حتى يضطر إلى الخضوع لإلزامية الرأي العام للمجتمع^(٢). قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ^(٣). وقال تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} ^(٤).

(٤) ينظر: النبي المربي: ٢٨٧.

(٥) سورة الإسراء: الآية: ٣٢.

(١) سورة المدثر: الآية: ٣٨.

(٢) ينظر: النبي المربي: ٢٩١، التربية الخلقية: ١٨٤.

(٣) سورة التوبة: الآية: ٧١.

(٤) سورة المائدة: الآية: ٧٨.

وفي معنى هذه الآية يروي ابن مسعود **t** أن رسول الله **r** قال: (إن أول ما دخل النقص على نبي إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل، فيقول: يا هذا اتق الله، ودع ما تصنع فإن لا يخل لك، ثم يلتأ من الغد وهو على حاله، فلا يمنع ذلك أن يكون أكله وشربه وقعيدة، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض)^(٥).

٢ - إلزامية السلطات:

السلطات الإسلامية بمختلف مؤسساتها معينة بتنفيذ الشريعة وحماية الأخلاق الفاضلة وصيانتها سواء عبر تحقيق الوقاية الخلقية بعدم السماح لأماكن الانحراف والرذيلة أو العلاج الخلقي المتمثل في تطبيق الشريعة وإقامة الحدود والتعازير^(٦). قال تعالى: {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} ^(٧).

^(٥) سنن أبي داود - كتاب الملاحم - باب الأمر والنهي: ١٢١/٤ رقم (٤٣٣٦)، سنن الترمذي - كتاب تفسير القرآن - باب ومن سورة

المائدة: ٢٥٢/٥ رقم (٣٠٤٧) وقال الترمذي: " حديث لانعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده عندي بمتصل " .

^(٦) ينظر: النبي المرابي: ٢٩٢، ٢٩٣، التربية الخلقية: ١٤٩.

^(٧) سورة الحج: الآية: ٤١.



المبحث الثالث الجانب الاجتماعي

المطلب الأول

مفهوم الجانب الاجتماعي وأهميته

هو الجانب المتعلق بالعلاقات الشخصية المتبادلة بين الأفراد والجماعات، والتي تقوم على الاتصال والحوار والمناقشة والمشاركة والتعاون والتعايش^(١).

ويمكن القول أن التنشئة الاجتماعية: "هي عملية تشكيل السلوك الاجتماعي وإعداد الطفل ليكون فرداً صالحاً في المجتمع، يعرف واجباته وحقوقه، وهي عملية مستمرة في حياة الإنسان تبدأ منذ الأسبوع السادس عندما يعرف الطفل أمه فيبتسم لها"^(٢).

وتشكيل الإنسان اجتماعياً يتم بتنحية عدد من السلوكيات المنافية للنزعة الاجتماعية واكتساب سلوكيات أكثر توافقاً مع الحياة الاجتماعية، وهذه مهمة التربية الاجتماعية التي تعد من أهم الوسائل الفاعلة في تغيير الإنسان نحو الأفضل، وتعليمه كيف يعيش متوافقاً مع نفسه وأقرانه ومجتمعه، وكيف يكون شبكة علاقات إيجابية مع الآخرين، الأمر الذي يعني وجود جماعة قوية متجانسة تعمل على تغيير الواقع نحو الأفضل وتتيح للمجتمع القيام بدوره المأمول الذي ينبغي أن يضطلع به جميع أفراد^(٣). قال تعالى: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ }^(٤).

وقد اهتم المنهج القرآني بهذا الجانب وأعطاه خصوصية كبرى في التربية والإعداد والتأهيل، حتى عد هو الأصل في الإسلام فكان ديناً اجتماعياً وليس ديناً فردياً كبقية الديانات، فضلاً عما سبق فإن الاهتمام بتربية الجانب الاجتماعي للقيادات ينبع من عدة أمور لعل من أبرزها:

١- إن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه لا يمكن له العيش إلا في جماعة، وما من جماعة إلا ولها معتقدات وقيم ومبادئ تؤمن بها، وعادات وتقاليد وأعراف تحافظ عليها، الأمر الذي يوجب على كل راغب في العيش معها الالتزام بما تلتزم، ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق تأهيل الجانب الاجتماعي في الإنسان عبر التربية والتفاعل الاجتماعي. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً }^(٥).

(١) ينظر: التربية الاجتماعية: ٢١.

(٢) دور البيت في تنشئة الطفل- خالد الشنتوت: ٩، ٢٥ (نقلاً عن: الدور التربوي للوالدين: ٣٩). ينظر: التربية الاجتماعية: ٣١.

(٣) ينظر: ميلاد مجتمع- مالك بن نبي- ترجمة: عبد الصبور شاهين - طبعة دار الفكر- دمشق: ١/ ٢٨، ٦٢، ١٠٠.

(٤) سورة المائدة: الآية: ٢.

(٥) سورة النساء: الآية: ١.

- ٢- إن أي مجتمع يتكون من مجموعة من الأفراد والجماعات يشتركون جميعاً في أمور عامة ويمتاز كل منهم ببعض الخصوصيات، الأمر الذي يتطلب تأهيل الجانب الاجتماعي حتى يتمكن الإنسان من التعرف على أبرز خصوصيات هذه الفئات وكيفية التعامل الإيجابي معها. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }^(١).
- ٣- إن الإنسان مخلوق له حاجات ورغبات مادية ومعنوية تحتاج إلى إشباع، ولا بد أن يتم ذلك وفق ضوابط شرعية واجتماعية يشرف عليها المجتمع ويلتزم بتطبيقها الأفراد حتى لا يحصل الصدام بين الأفراد والجماعات نتيجة تعارض الحاجات والرغبات. قال تعالى: { وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ }^(٢).
- ٤- إن للإنسان مصالحه وللمجتمع مصالحه، وما لم تضبط العلاقة بين المصلحتين وتبنى على أساس من التوازن والتكامل فستكون الكارثة، كما هو الحال في المناهج التي تركز على مصلحة الأفراد بغض النظر عن مصالح المجتمع أو المناهج الأخرى التي تغلب مصالح المجتمع على مصالح الأفراد.
- ٥- إن الحياة قائمة على مبدأ توارث الأجيال، ولا يمكن الجيل ما احتكار الماضي والحاضر والمستقبل، الأمر الذي يتطلب توريث المعتقدات والقيم، والعادات والتقاليد، والخبرات والمهارات، ولا يتحقق ذلك سوى عن طريق التربية الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي بين الأجيال. قال تعالى: { وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا }^(٣). وقال تعالى: { وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }^(٤).
- ٦- ظهور العديد من المشكلات الاجتماعية مثل: البطالة وعدم توافر فرص العمل والأمية، وكذا مشكلة المرأة والتعليم، ومشكلة الفقر والبيئة، وغيرها من المشكلات التي يستحيل حلها دون استشعار وتفاعل من جميع أفراد المجتمع وفئاته^(٥). قال تعالى: { إِنَّ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ }^(٦).
- إن الاهتمام المبكر بتربية الجانب الاجتماعي أكثر إفادة للفرد والمجتمع وتأثيراً في حياتهما، لأن الإنسان كلما كان صغيراً كان أكثر قابلية للتطبيع الاجتماعي وأسرع تكيفاً معه، فضلاً عن أن أول احتكاك للإنسان مع الحياة الاجتماعية له دور كبير في تحديد الجانب السيكولوجي من شخصيته الاجتماعية، فإذا كان الاحتكاك الأول بالحياة الاجتماعية إيجابياً محققاً للحاجات الأساسية كان اتجاه الإنسان نحو المجتمع وتجاوبه معه سويماً مقبولاً، أما إذا كان سلبياً غير محقق للحاجات الأساسية كان اتجاهه نحوه منحرفاً عدوانياً.

(١) سورة الحجرات: الآية: ١٣.

(٢) سورة الشورى: الآية: ١٠.

(٣) سورة الأعراف: الآية: ١٣٧.

(٤) سورة البقرة: الآية: ١٣٢.

(٥) تراجع : التربية الاجتماعية: ١٦، ١٧، ٣٢٢ - ٣٤٤.

(٦) سورة هود: الآية: ٨٨.

المطلب الثاني

أهم القيم الاجتماعية الواجب اكتسابها

أولاً: التحرر الوجداني من عبودية القيم الاجتماعية المادية:

جاء المنهج القرآني ليحرر الإنسان تحريراً شاملاً من العبودية والخضوع لغير الله U ، فبدأ بتحريره عقائدياً ثم عمد إلى تحريره من الخوف على الحياة والرزق والمكانة فربط هذه الأمور بالخالق U. قال تعالى: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ } (١). وقال تعالى: { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (٢).

إن النفس الإنسانية قد تتحرر من عبودية العقيدة، ومن عبودية الخوف على الحياة والمال والمكانة، ثم تخضع لعبودية القيم الاجتماعية - قيم المال والجاه الحسب والنسب - وإن لم تنتفع بشيء منها، وعند ذلك لن تملك حريتها كاملة إزاءها ولن تشعر بالمساواة الحقة مع أصحابها، ولذلك وضع المنهج القرآني هذه القيم في موضعها الحقيقي وربط القيم الحقيقية باعتبار ذاتية كامنة في نفس الإنسان أو واضحة في عمله، الأمر الذي أسهم في إضعاف تأثير القيم المادية وآثارها النفسية، ومثل بالإضافة إلى الضمانات المعيشية والقانونية وسيلة للتحرر الوجداني الكامل (٣). قال تعالى: { وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُفَرِّقُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ } (٤).

ثانياً: التماثل مع المجتمع والتزام مبادئه وقيمه العليا والدعوة إليها:

يحتاج الإنسان الذي يعيش في أي مجتمع إلى التعرف على قيم ومبادئ هذا المجتمع والتكيف معها، والإنسان في المجتمع الإسلامي لا بد له أن يتكيف مع القيم والمبادئ الإسلامية ويلتزمها سلوكياً عملياً، ويعمل على نشرها والدعوة إليها. قال تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } (٥). وقال تعالى: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } (٦).

(١) سورة آل عمران: الآية: ٦٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ٢٦.

(٣) يراجع: العدالة الاجتماعية: ٣٢ - ٤٤.

(٤) سورة سبأ: الآيات: ٣٥ - ٣٧.

(٥) سورة الأنعام: الآية: ١٥٣.

(٦) سورة فصلت: الآية: ٣٣.

ثالثاً: الرفع من مكانة الانتماء الاجتماعي وتقديمه على غيره من الانتماءات الشخصية الضيقة:

الانتماء يعني الانتساب، والناس يختلفون في انتسابهم بحسب اختلاف ثقافتهم، وهناك العديد من أشكال الانتماء التي تعارف عليها البشر كالانتماء العرقي والسلالي، أو الجنسي والوطني، أو اللغوي والقومي، وكذلك الانتماء الوجداني والعاطفي أو الفكري والثقافي، والانتماء السلوكي والمهني، وكلها انتماءات أقرها المنهج القرآني واعترف بوجودها داخل كل مجتمع، إلا أنه عدّها انتماءات شخصية ضيقة تدرج ضمن الانتماء الأهم والأوسع وهو الانتماء للعقيدة والأمة. قال تعالى: { وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ }^(١). ومع كل ذلك فقد حافظ المنهج القرآني على الانتماءات المختلفة من التفكك والتحلل وعدّها إحدى خصوصيات الأفراد والجماعات داخل المجتمع الإسلامي إلا أنه قيدها بضوابط تمنع خروجها على عقيدة المجتمع ووحدته^(٢).

رابعاً: الاندماج الطوعي في أنشطة المجتمع:

يدعو المنهج القرآني إلى تحقيق الاندماج الطوعي في أنشطة المجتمع المختلفة والتفاعل الإيجابي معها، سواء أكان ذلك في الأنشطة التعبدية وأداء الفرائض الجماعية، أو عبر تعزيز التعاون والتماسك بين أفراد المجتمع، وينسحب الأمر كذلك على كل نشاط يحقق الاندماج بالمجتمع والاختلاط بأفراده كالتعارف بين الأفراد، والتناصح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }^(٣).

كما يحذر من اعتزال المجتمع والبعد عن الناس إلا عند ظهور الفتن، لما في ذلك من سلبيات ومضار تنعكس على الفرد والمجتمع ليس أقلها إماتة سنة الإسلام في الاختلاط والتعارف، وانتشار الجهل وعدم التعاون على البر والتقوى، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فضلاً عن تعويق مسيرة المجتمع نحو الهداية، وفعل الخير ونشر الإسلام والدعوة إلى الله تعالى والتحرك بدينه وتطبيقه في واقع الحياة، مع ما قد يصاحب ذلك من انحرافات خطيرة في الأفكار والتصورات وغير ذلك من السلبيات والمضار^(٤) كما يدل عليه قوله تعالى في ذم العزلة ولو كانت للعبادة: { وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ }^(٥).

(١) سورة المؤمنون: الآية: ٥٢.

(٢) يراجع: القيادة الإدارية في الإسلام لعبد الشافي أبو الفضل: ١٦٣-١٩٧، من أجل انطلاقة حضارية شاملة- د. عبد الكريم بكار- طبعة دار المسلم- الرياض: ١٧٥-١٧٧-١٨٥.

(٣) سورة الحج: الآية: ٧٧.

(٤) يراجع: التربية الاجتماعية: ٨٤-٨٧.

(٥) سورة الحديد: الآية: ٢٧.

وقول النبي ٣ في الحديث الذي يرويه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: (المؤمن الذي يتخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يتخالط الناس ولا يصبر على أذاهم)^(١).

إن اعتزال المجتمع وعدم الاختلاط بالأفراد أمر غير جائز ما لم يكن مبرراً شرعاً وضمن الضوابط التي وضعها الإسلام، سواء كان هذا الاعتزال مؤقتاً أم دائماً، وفي كل الأحوال فإن الاختلاط بالمجتمع وقضاء حوائج الناس خير عند الله وأعظم أجراً من العزلة ولو كانت للعبادة.

خامساً: معرفة الحقوق والواجبات الاجتماعية والالتزام بها:

ينظر المنهج القرآني إلى مسألة الحقوق والواجبات على أنها من الأسس التي يقوم عليها بناء المجتمع الإنساني الفاضل، ويعدّها منحة من الله U خالق الإنسان وموجده، وبالتالي لا يجوز لأحد الانتقاص منها أو التعدي عليها، ولذلك دعا إلى الاعتراف بهذا الحقوق وصيانتها وتطبيقها في الواقع منذ فجر الإسلام سابقاً بذلك الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٠/١٢/١٩٤٨م بأربعة عشر قرناً من الزمان، كما أكد على ضرورة استيعاب هذه الحقوق والواجبات لجوانب الحياة المختلفة، وشمولها للفرد والمجتمع، وكذا ضرورة تطبيقها تطبيقاً موضوعياً متوازناً يحفظ لكل من الفرد والمجتمع حقوقه وواجباته، ويصعب الإتيان هنا على جميع الحقوق والواجبات لكثرتها وتشعبها، وعدم اختصاص هذه الدراسة بها، إلا أن ذلك لا يمنع من الإشارة إلى أبرز هذه الحقوق إجمالاً فيما يأتي:

- ١- حق الحياة: بصيانة نفس الإنسان وجسمه.
 - ٢- حق الأمن: إذ لا قيمة لحياة غير آمنة.
 - ٣- حق الحرية: في الإرادة والاختيار وإبداء الرأي.
 - ٤- حق التكريم: باحترام شخصية الإنسان وتقدير ذاته.
 - ٥- حق المساواة: بعدم التمييز بين الأفراد بسبب الجنس أو اللون أو المركز الاجتماعي.
 - ٦- حق التملك: فلا مجال للعمل دون مكافأة، ولا فائدة في مكافأة لا ينتفع بها الإنسان.
 - ٧- حق التعلم: لجميع أفراد المجتمع وفئاته.
 - ٨- حق المشاركة: بالقول والعمل في كل ما يهم المجتمع وقضاياها المصيرية.
 - ٩- حق العمل: بتأهيل الأفراد، وتوفير فرص العمل وإتاحتها للجميع حسب قدراتهم وامكاناتهم.
 - ١٠- حق الرعاية: صحياً واجتماعياً، ومهنياً لفئات المجتمع المختلفة.
- ولكل من هذه الحقوق العامة توصيف يوضحه، وحقوق تتفرع عنه، ووسائل تحفظه وشروط يجب على كل فرد التحقق بها^(٢).

(١) سنن ابن ماجه- كتاب الفتن- باب الصبر على البلاء: ١٣٣٨/٢ رقم (٤٠٣٢) قال ابن حجر: "أخرجه ابن ماجه بسند حسن". فتح الباري: ١٠/٥١٢.

(٢) يراجع: حقوق الإنسان بين الإسلام وإعلان الأمم المتحدة- محمد الغزالي- ط: ٥- دار الدعوة- الاسكندرية، النبي المربي: ١٥٨- ١٧١.

- وكما أن للإنسان حقوقاً يجب أن يحصل عليها فإن عليه واجبات تجاه الآخرين يجب أن يؤديها ويمكن الإشارة إلى أهمها فيما يأتي:
- ١- واجب الإنسان تجاه خالقه:

ويتمثل في الإيمان بوحداية الله U وطاعته وعبادته، وتطبيق منهجه في جميع شؤون الحياة.

 - ٢- واجب الإنسان تجاه نفسه:

ويتمثل في تنقيتها من الرذائل، وتركيتها بالفضائل، واستعمالها في طاعة الله U .

 - ٣- واجب الإنسان تجاه والديه:

ويتمثل في طاعتها وبرهما، والإحسان إليها في حياتهما، والدعاء لهما بعد موتهما.

 - ٤- واجب الإنسان تجاه أولاده:

ويتمثل في المحافظة على سلامة فطرتهم، وحسن تربيتهم ، والقيام بواجب رعايتهم.

 - ٥- واجب الزوجين تجاه بعضهما:

ويتمثل في حسن العشرة، ولطف المعاملة ، والقيام بالحقوق والواجبات الزوجية.

 - ٦- واجب الإنسان تجاه أقاربه وأرحامه:

ويتمثل في التعرف عليهم وصلتهم وإحسان معاملتهم وتفقد أحوالهم ورعايتهم.

 - ٧- واجب الإنسان تجاه جيرانه:

ويتمثل في التعرف عليهم، وعدم إيذائهم، والإحسان إليهم، والقيام بواجباتهم.

 - ٨- واجب الإنسان تجاه عامة المسلمين:

ويتمثل في الإحسان إليهم، وعدم الإضرار بهم، والقيام بحقوقهم .

 - ٩- واجب الإنسان تجاه غير المسلمين من المواطنين:

ويتمثل في حسن معاملتهم والوفاء بعهدهم ما داموا معاهدين، وعدم إجبارهم على ترك دينهم.

 - ١٠- واجب الإنسان تجاه عمله وحرفته:

ويتمثل في الإخلاص والأمانة فيه، وإتقانه وأدائه على الوجه الأكمل.

 - ١١- واجب الإنسان تجاه الطريق:

ويتمثل في عدم الإضرار بالمارة، وأداء حقوق الطريق المختلفة.

إن أداء الإنسان لهذه الواجبات وغيرها مما جاء به المنهج القرآني يعد من أهم القيم الاجتماعية التي يجب عليه الالتزام بها ليكون إنساناً سوياً وفرداً فاعلاً في المجتمع^(١).

(١) ينظر : الإسلام - سعيد حوى - ط:٢- دارالكتب العلمية - بيروت : ٣٠١- ٣١٦ ،المسؤولية الخلقية : ٢٤٤- ٣١٢ ،منهج القرآن في



سادساً: تعزيز أواصر التضامن والتماسك الاجتماعي:

تعد مسألة التضامن والتماسك مطلب إسلامي أصيل، وترجمة عملية للمعاني السامية التي جاء بها المنهج القرآني والهادفة إلى تعزيز وحدة المسلمين وتماسكهم، وتقوية أواصر الأخوة والمودة بينهم، وواجب الأفراد في هذه المسألة يتمثل في تعزيز أواصر الأخوة والمودة والمحبة فيما بينهم من جهة، وفيما بينهم وبين المجتمع من جهة أخرى^(١). قال تعالى: { وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ }^(٢). وقال تعالى: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا }^(٣).

سابعاً: تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي والتعاون على البر والتقوى:

التعاون والتكافل الاجتماعي سمة المجتمع المسلم الذي يرحم قوية ضعيفة، ويعطف غنية على فقيرة، ولا يحتاج أن يمد يده ليسأل الناس.

ولقد قرر المنهج القرآني مبدأ التكافل في جميع صورته وأشكاله، تكافل بين الإنسان وذاته، وتكافل بين الإنسان وأسرته، وتكافل بين الإنسان وأفراد مجتمعه، وتكافل بين المجتمعات المسلمة التي تشكل مجموعها الأمة الإسلامية^(٤). قال تعالى { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ }^(٥).

وقال ٣ في الحديث الذي يرويه النعمان بن بشير t: (مثل المؤمنین فی توادهم وتراحهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)^(٦).

ثامناً: الإسهام في عملية الرعاية الاجتماعية:

والمراد بالرعاية الاجتماعية تقديم الخدمات لبعض الأفراد في حالات معينة تقتضي أداء هذه الخدمات، سواء كانت هذه الرعاية طبية أم اقتصادية أم تربية.

والمنهج القرآني لم يترك أمر الرعاية الاجتماعية تطوعياً بل أوجبه على المجتمع عموماً وعلى القادرين من أفرادها بصفة خاصة، سواءً في جانب جلب المنافع للفئات المحتاجة أم دفع المضار عنها^(٧). قال تعالى: { وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقْبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ }^(٨).

(١) يراجع: التربية الاجتماعية: ١٦١-١٦٦، ٢٥٢-٢٦٤.

(٢) سورة المؤمنون: الآية: ٥٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية: ١٠٣.

(٤) يراجع: العدالة الاجتماعية: ٥٢-٦٢، التربية الاجتماعية: ١٦٧.

(٥) سورة المائدة: الآية: ٢.

(٦) صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب رحمة الناس والبهائم: ٢٢٣٨/٥ رقم (٥٦٦٥)، صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب: باب

تراحم المؤمنین وتعاطفهم: ١٩٩٩/٤ رقم (٢٥٨٦) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٣/٢٥٥ رقم (١٦٧١).

(٧) ينظر: التربية الدينية الغائبة: ٣٦٤-٣٧٣.

(٨) سورة البلد: الآيات: ١٢-١٧.

تاسعاً: ضبط السلوك الاجتماعي وتحقيق الاستقامة:

من أهم القيم الاجتماعية الواجب على الإنسان التحلي بها مسألة الاستقامة على الطاعات، ولزوم الأوامر التي فرضها المنهج القرآني وفي مقدمتها الإيمان والعمل الصالح، واجتناب الفواحش والمنكرات المختلفة. قال تعالى: { فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }^(١).

والمسلم مطالب بأن يضبط سلوكه الاجتماعي وفق المعايير والقيم الإسلامية التي يؤمن بها المجتمع المسلم، ليتمكن من التكيف مع قيم المجتمع والتفاعل مع أفرادها، وليصل إلى مرحلة الرضا الاجتماعي وتحقيق السعادة والطمأنينة، ويحول دون انتشار الأخلاق والسلوكيات التي تتعارض مع قيم المجتمع الإسلامي ومبادئه، كما أن عليه التعرف على الإجراءات الوقائية والعلاجية التي شرعها المنهج القرآني لتحقيق عملية الضبط الاجتماعي^(٢).

عاشراً: تحقيق الفعالية الاجتماعية:

والمراد بها: تحريك طاقات الإنسان وقدراته، وتوجيهها إلى ما يعود بالنفع عليه وعلى مجتمعه، ودفعه لبذل أقصى طاقة في القيام بواجباته المختلفة، والتحرر من حالة الركود انتظاراً لحقوقه، وذلك عن طريق إشعاره بالمسؤولية التي تدفعه للقيام بعمل ما^(٣).

وتتكون الفعالية الاجتماعية من: القيام بالواجب والإحساس بالمسؤولية، الأمر الذي يعني التأكيد على إصلاح الذات، وأهمية العمل، وقيمة الوقت، وسرعة الإنجاز، والتدريب على القيام بالخدمات الاجتماعية العامة^(٤). قال تعالى على لسان ذي القرنين: { آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا }^(٥).

الحادي عشر: المحافظة على حيوية المجتمع وتجديده:

إن التغيير الاجتماعي أمر واقع لا محالة كونه يمثل سنة ربانية، ومن هنا يجب على كل فرد المحافظة على حيوية المجتمع وتجديده من خلال القيام بواجباته المختلفة وإدارة عملية التغيير إدارة سليمة بدلاً من مقاومتها والوقوف في وجهها، وذلك حتى لا يتسبب عملية التغيير في إحداث هزة عنيفة تؤدي إلى اضطراب المجتمع وتفككه.

وقد المنهج القرآني الأسس العامة لعملية الإصلاح والتغيير وترك مسألة التفصيلات مفتوحة للأفراد يتفاعلون معها حسب واقعهم والظروف المحيطة بهم^(٦). قال تعالى: { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَدَّأَفَهَا اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ }^(٧). وقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ }^(٨).

(١) سورة هود: الآية: ١١٢

(٢) يراجع: التربية الاجتماعية: ٢٦٥ - ٢٨٦.

(٣) ينظر: تأملات - مالك بن نبي - طبعة دار الفكر - دمشق: ١٢١ - ١٣٤.

(٤) ينظر: التربية السياسية - عثمان عبد المعز رسلان - طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة: ٤٣٥.

(٥) سورة الكهف: الآية: ٩٦.

(٦) ينظر: من أجل انطلاقة حضارية شاملة: ١٨١ - ١٩٠.

(٧) سورة النحل: الآية: ١١٢.

(٨) سورة الرعد: الآية: ١١.

المطلب الثالث عوامل تنمية الجانب الاجتماعي

أولاً: أداء العبادات بأنواعها المختلفة ولاسيما الجماعية منها:

للعبادات أثر كبير في تنمية الجانب الاجتماعي من خلال عملية التواصل المستمر والالتقاء الدائم أثناء القيام بها، الأمر الذي يعني إيجاد جو من الألفة والمودة والمحبة بين الأفراد، وتحقيق التعارف والتقارب والتعرف المتبادل على الهموم والمشكلات والاحتياجات.

والمتابع لأهداف العبادة يجد أنها تهدف إلى تعزيز التماسك والتضامن الاجتماعي، وأن مجال الفردية فيها محدود جداً، وهذا الأمر واضح في صلاة الجماعة والجمعة والعيدين وغيرها من الصلوات المشروعة، وكذا العبادات الأخرى مثل: الزكاة والصدقة والحج والعمرة، وكذلك الأمر بالنسبة للمعاملات الإسلامية القائمة على التسامح والتعاون والتعامل الحسن^(١). قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ إِذْ كُنْتُمْ فِي الصَّلَاةِ وَارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }^(٢).

ثانياً: تأكيد العادات والتقاليد الإسلامية، والبعد عن التقاليد الجاهلية:

للعبادات والتقاليد أثر كبير في حياة المجتمع وتوجيه سلوك أفرادها، وللمجتمع الإسلامي عاداته وتقاليده المتميزة الأمر الذي يوجب على كل مسلم الابتعاد عن العادات والتقاليد الجاهلية في جوانب حياته المختلفة ولاسيما ما يتعلق بجانب الآداب والمناسبات والعلاقات، وإحلال العادات والتقاليد الإسلامية محلها من خلال الالتزام بها وتطبيقها داخل الأسرة، وكذا إحياء التقاليد والعادات الإسلامية في جميع مناسبات الحياة المختلفة مثل: التحية، واللغة، والزي، وعادات المناسبات، والمحافظة على الآداب الإسلامية في الاستئذان، والأسفار، والزيارات، وتوقير الكبير، ونشر الأسماء الإسلامية، وربط المجتمع بالمبادئ لا الأشخاص^(٣).

قال تعالى: { صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ }^(٤).

ثالثاً: الارتباط بالرفقة الصالحة:

للرفقة الصالحة أثر كبير في تنمية الجانب الاجتماعي من خلال التناصح المتبادل، والتعاون على أعمال الخير والبر المختلفة، والقيام بالواجبات الاجتماعية، والمشاركة الجماعية في الخدمات العامة، بعكس الرفقة السيئة التي تمثل عاملاً من عوامل الانحراف الاجتماعي وزعزعة الاستقرار بين أوساط المجتمع.

وتلعب الأسرة دوراً كبيراً في اختيار الرفقة الصالحة من خلال اختيار الموقع المناسب للسكن والمدرسة الجيدة للأبناء، وربطهم بالمسجد وأنشطته المتنوعة، وإشراكهم في المنظمات الاجتماعية الفاعلة^(٥).

(١) ينظر: التربية الاجتماعية: ٢٦٠.

(٢) سورة الحج: الآية: ٧٧.

(٣) ينظر: التربية السياسية لعثمان عبد المعز: ٤٣٣.

(٤) سورة البقرة: الآية: ١٣٨.

(٥) ينظر: الدور التربوي للوالدين: ٢٧٦.

رابعاً: تهيئة البيئة الصالحة:

إن الإنسان الذي يعيش في أسرة صالحة متفاهمة ويدرس في مدرسة نموذجية من حيث المعلمين الإدارة والمنهج والأنشطة ، ويصلي في مسجد نموذجي يقوم بوظائفه في تربية الأفراد وتزكيتهم، وتعزيز العلاقة بين المصلين وتحقيق التكافل بينهم، فضلاً عن ارتباطه بالرفقة الصالحة، واشتراكه في المنظمات والمؤسسات التربوية والخدمية الملتزمة، واحتكاكه بأهل العلم والمعرفة لاشك أن هذا الإنسان سوف يؤدي واجباته الاجتماعية على أكمل وجه، بعكس الإنسان الذي لا تتوفر له هذه البيئة الصالحة. قال تعالى: { وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ } (١).

خامساً: الاحتكاك بكبار السن وأصحاب التجارب والاستفادة من خبراتهم:

تقوم المجتمعات والحضارات على عدة أسس من أبرزها مبدأ توريث الأجيال، وهو أمر لا يتحقق سوى بالتواصل المباشر مع كبار السن وأصحاب التجارب بمجالستهم والاستماع إليهم والتفاعل مع ما يطرحون، لأنهم عادة ما ينقلون للأجيال عصارة أفكارهم، وخلاصة تجاربهم، ونتائج خبراتهم، وتراث الأجيال التي سبقتهم من قيم ومبادئ وعادات وتقاليد، وكل ذلك ضروري لتشكيل شخصية الإنسان وبناء مجتمع حيوي متجدد محافظ على قيمة ومبادئه.

ومن أهم التجارب والخبرات التي ينقلها القرآن الكريم تجربة لقمان في الحياة والتي يلخصها في مجموعة وصايا يخاطب بها ولده في قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ } (٢).

سادساً: تعميق الروابط الاجتماعية والتزام أصول العلاقات:

الإنسان في أي مجتمع يتعايش مع مجموعات بشرية كبيرة ويضطر للتعامل معها أفراداً وجماعات، فيجب عليه أن يعمل على توثيق صلته بالأفراد والجماعات والفئات التي يتعامل معها مهما كان لها من الخصوصيات الدينية أو العرقية أو البيئية، من خلال الوسائل التي شرعها الإسلام وفي مقدمتها التعامل الحسن والقيام بالواجبات المختلفة، مع التركيز على الزيارات وتقديم الهدايا والمشاركة في المناسبات والتفاعل مع

(١) سورة الأعراف: الآية: ٥٨.

(٢) سورة لقمان: الآيات: ١٣- ١٩.

الأحداث، وقبل ذلك بالتزام أصول العلاقات والآداب التي يجب مراعاتها عند التعامل مع الآخرين حتى لا يقع في أمور تتعكس سلباً عليه وعلى المجتمع^(١). قال تعالى: { فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }^(٢).

وحتى يتمكن الإنسان من إقامة علاقات طبيعية مع الآخرين لابد له من تحسين ذاته، فيكون متميز الشخصية، ناضج الفكر، مستقل الرأي، واسع الصدر، مهتماً بشؤون الآخرين، مقدراً لجهودهم، متجاوزاً عن زلاتهم، ومع ذلك فإنه يجب ألا تأخذ العلاقات وقته وتستهلك شخصيته^(٣).

سابعاً: ممارسة العمل والمشاركة في الأنشطة الجماعية:

اهتم المنهج القرآني بالعمل وعده عاملاً من عوامل تنمية الجانب الاجتماعي من خلال ما يتيح من تعارفٍ وتواصلٍ وتفاعلٍ بين أفراد المجتمع مهما كان نوع العمل الذي يؤديه الإنسان وحجمه. قال تعالى: { وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ }^(٤).

ويعد العمل أحد الأنشطة التي تسهم في تنمية الجانب الاجتماعي لدى الإنسان، وتصيب في اتجاه تنمية المجتمع وتطويره، وتعزيز قوته وتماسكه، سواءً أكانت هذه الأنشطة تربية أم علمية أم مهنية أم رياضية أم خدمية، لأنها تقوم جميعاً على التعاون المشترك والتفاعل الإيجابي بين الأفراد.

ثامناً: معالجة المشكلات الاجتماعية:

يتسبب وجود المشكلات الاجتماعية في انتشار الأمراض النفسية وضعف الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية، وعدم وجود التفاعل الإيجابي بين أفراد المجتمع، الأمر الذي يؤدي إلى تفكك المجتمع، وزعزعة أمنه واستقراره.

إن الإنسان الذي يعاني من البطالة والامية وعدم تكافؤ الفرص وغياب الرعاية الصحية والاجتماعية، ومعها أبسط مقومات الحياة لا يمكن أن يكون إنساناً سويماً يحب مجتمعه ويتفاعل مع قضاياها، ولا غرابة أن ينشأ هذا الإنسان منحرفاً يحقد على مجتمعه ويتآمر على أمته، ما لم تتداركه عناية الله U ويمتلئ قلبه بالرضا والقناعة والاطمئنان^(٥).

(١) يراجع: التربية الاجتماعية: ٣٤٨ - ٣٧٠، منهج القرآن في إصلاح المجتمع: ٢١١ - ٢٤٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ١٥٩.

(٣) يراجع: مدخل إلى التنمية المتكاملة: ٢١٨ - ٢٢٨.

(٤) سورة التوبة: الآية: ١٠٥.

(٥) يراجع: التربية الاجتماعية: ٣٢٢ - ٣٣٥.

تاسعاً: إحياء مبدأ الثواب والعقاب:

يعد هذا المبدأ من أهم وسائل ضبط السلوك الاجتماعي للإنسان وترشيده وتوجيهه الوجهة السليمة، فالثواب يمثل الدافع والحافز إلى أعمال الخير والبر والفضائل بجميع أنواعها، بينما يمثل العقاب الحاجز والرادع عن أعمال الإثم والعدوان والردائل بمختلف أصنافها.

إن مبدأ الثواب والعقاب مبدأ إلهي يؤدي إلى تنمية الجوانب الإيجابية في الإنسان بشكل عام وردع الجوانب السلبية والتقليل من آثارها في حياته. قال تعالى: { يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } (١).

ومبدأ الثواب والعقاب مبدأ عادل يجب تفعيله في واقع المجتمعات لتحافظ على قوتها وتماسكها وتنعم بالأمن والاستقرار، وتشريع الثواب والعقاب إنما يهدف إلى إصلاح الإنسان وتنمية الجانب الاجتماعي في حياته ليكون إنساناً سوياً قادراً على إسعاد نفسه وتحقيق الخير لمجتمعه (٢).

(١) سورة الزلزلة: الآيات: ٦- ٨.

(٢) ينظر: التربية الاجتماعية : ٢٧١.



المبحث الرابع الجانب العقلي

المطلب الأول

مفهوم الجانب العقلي وأهميته

العقل لغة: المنع والإحكام، وهو من عقل الشيء أي : فهمه فهو معقول أي مفهوم^(١)،
والعقل في الاصطلاح: "جوهر مجرد عن المادة في ذاته، ومقارن له في فعله، وهو النفس الناطقة التي
يشير إليها كل أحد بقوله: أنا"^(٢).

وذهب بعض المفكرين إلى أن للعقل في المصطلحات الإسلامية معنيان:
الأول: أنه القوة المتهيئة لقبول العلم، وبالتالي فإن كل موضع رفع فيه التكيف عن الإنسان لعدم العقل فإلى هذا
المعنى يشير.

الثاني: أنه العلم الذي يستفیده الإنسان بتلك القوة العقلية، وبالتالي فإن كل موضع ذم المولى U الإنسان بعدم
العقل فإلى هذا المعنى يشير^(٣). قال تعالى: { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً
صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ }^(٤).

ويمكن القول أن للعقل شكلاً ومضموناً، فالشكل يتمثل في القدرات والإمكانات التي زود الله تعالى بها
الدماغ البشري، مثل: القدرة على الحفظ والتذكر والتخيل والتحليل والتركيب، أما المضمون فمنه ما هو فطري
مرتبط بالجوانب الفطرية التي يستخدمها الإنسان في استيعاب الأشياء وإدراك العلاقة بينها، مثل: إدراك أن الكل
أكبر من الجزء، واستحالة اجتماع الضدين، ويصعب جداً وجود تفاوت في هذه الجوانب بين الأمم والأفراد، ومنه
المكتسب الذي يرتبط بالجوانب الثقافية السائدة في كل مجتمع، وهو يتشكل من مجموعة المفاهيم التي يعمل
المجتمع من خلالها على استيعاب الواقع وتكيفه وفق حاجاته المختلفة، ولاشك أن لهذا النوع ارتباطه الخاص
بالجانب الفطري^(٥).

والمنهج القرآني يركز في تربيته على المضمون الفكري المكتسب باعتباره قابلاً للتعديل والتقويم
والإصلاح والتنمية، ولذلك يستخدم صيغة الفعل يعقلون، يفقهون، يتفكرون ليشير إلى الثمرة النهائية التي تشكل
العقل، وتحدد من خلالها سلوكيات الإنسان وموافقة المختلفة^(٦). قال تعالى: { كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ }^(٧). وقال تعالى: { كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ }^(٨).

(١) ينظر: لسان العرب - ما دة عقل : ٤٥٨/١١.

(٢) التعريفات للجرجاني : ١٦٩

(٣) ينظر: التربية العقلية- د. علي عبد الحليم محمود- طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة: ٢٤.

(٤) سورة البقرة: الآية: ١٧١.

(٥) ينظر: عصرنا والعيش في زمانه الصعب- د. عبد الكريم بكار - طبعة دار المسلم - الرياض : ١٣٥.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٦.

(٧) سورة الروم: الآية: ٢٨.

(٨) سورة البقرة: الآية: ٢١٩.

ويمثل الجانب العقلي مكوناً أساسياً وهاماً في بناء الشخصية الإنسانية، ذلك أن الإنسان مكون من روح وعقل وجسد، ولا قيمة له دون عقل، بل لافرق بينه وبين سائر الحيوانات، ويمكن إبراز أهمية الجانب العقلي للإنسان من خلال استعراض النقاط الآتية:

١- إن العقل يعد أساس المعرفة عند الإنسان:

يعد العقل أساس المعرفة والمصدر الثاني للحصول عليها بعد الوحي، فهو وسيلة الإدراك وأداة العلم والتعلم، وعن طريقه يتم اكتساب العلوم المعارف المختلفة وترتيبها وتنظيمها وتوظيفها في المجال الذي يخدم الفرد والمجتمع^(١). قال تعالى: { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ }^(٢).

٢- كون العقل أساس التكريم ومناط التكليف:

كرم الله U الإنسان بالعقل وفضله على سائر المخلوقات، وعد المنهج القرآني العقل مناط التكليف في الإنسان، وأسقط الحساب والعقاب والتكليف عن كل من فقد عقله وعده غير أهل للتصرف حتى في أموره الخاصة، وإلى هذا المعنى يشير قوله ۳ في الحديث الذي يرويه الإمام علي t: (رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يتخلم، وعن المجنون حتى يعقل)^(٣).

٣- دقة المهام والوظائف التي يؤديها العقل:

يقوم العقل الإنساني بأداء العديد من المهام والوظائف التي تتبع من طبيعته، وتتناسب مع الإمكانيات الهائلة التي أودعها الله U فيه، وهذه الوظائف والأعمال لا يمكن أن يتم بينها تداخل أو تعارض رغم تعددها وتنوعها في اللحظة الواحدة^(٤).

٤- كون الجانب العقلي يمثل الثروة الحقيقية للفرد والمجتمع:

إن الثروة الحقيقية لأي إنسان لا تكمن في مقدار الأموال التي يمتلكها أو الإمكانيات المتاحة له، وإنما في حيوية الجانب العقلي لديه، وبالتالي كمية الأفكار البناءة التي يمكنه تفعيلها لحل مشكلاته الخاصة وتحقيق الأهداف التي يسعى إليها، وكذلك الأمر بالنسبة للمجتمعات والأمم حيث تكمن ثروتها الحقيقية في أعداد العقول الواعية المنتجة التي تعمل على حل مشكلات مجتمعاتها وقيادة أمتها إلى بر الأمان^(٥). قال تعالى: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ }^(٦).

(١) ينظر: تربية النبي ۳ لأصحابه: ٢٨٢.

(٢) سورة العنكبوت: الآية: ٤٣.

(٣) سنن أبي داود - كتاب الحدود- باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً: ١٤١/٤ رقم (٤٤٠٣)، سنن الترمذي - كتاب الحدود - باب

فيمن لا يجب عليه الحد: ٣٢/٤ رقم (١٤٣٢) وقال الترمذي: " حديث حسن غريب من هذا الوجه "

(٤) يراجع: التربية العقلية: ٣٣-٣٨.

(٥) ينظر: فصول في التفكير الموضوعي- د. عبدالكريم بكار- طبعة دار القلم- دمشق: ١٥ وما بعدها.

(٦) سورة الزمر: الآية: ٩.

المطلب الثاني

أهم القيم العقلية الواجب اكتسابها

أولاً: التحرر من القيود والأغلال التي تعيق التفكير السليم والتخلص من شوائبها:

يحتاج الجانب العقلي أن يتحرر من القيود والأغلال التي تكبله وتعيق حركته حتى يتمكن من التفكير بحرية كاملة وموضوعية تامة ويصل إلى نتائج موافقة للحق مطابقة للواقع، إذ لا يمكن للإنسان أن يفكر بعقل غيره، أوفوضه في اتخاذ القرارات المصيرية المتعلقة به، ولا سيما عند اختلاف البيئة والزمان والمعطيات المتعلقة بالموضوع محل النقاش، لأن ذلك يتنافى مع مبدأ تحمل المسؤولية، هذا في الأمور الدنيوية فكيف إذا كان الأمر متعلقاً بأمور دينية أو عقائدية، ولذلك عملت التربية القيادية على تحرير العقل من هذه القيود والأغلال وتخليصه من شوائبها ومن أبرز ما يجب تحرير الجانب العقلي منه:

١- الجمود والتقليد والتبعية الفكرية للسابقين:

قال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ * وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بكم عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } (١).

٢- التحرر من الاقتداء بالبيد والتبعية الكاملة للعلماء وأصحاب السلطة الدينية دون فكر أو مناقشة:

قال تعالى: { اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً واحِداً لا إلهَ إلا هو سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } (٢).

٣- التحرر من الخوف والخضوع لأصحاب السلطة الدنيوية:

وقال تعالى: { يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا } (٣).

٤- التحرر من الاندفاع وراء الظن والتخمين:

وقال تعالى: { وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ } (٤).

٥- التجرد عن الهواء والشهوات والميول الشخصية والتحرر من سيطرتها (٥):

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ اللَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } (٦).

(١) سورة البقرة: الآيات: ١٧٠، ١٧١.

(٢) سورة التوبة: الآية: ٣١.

(٣) سورة الأحزاب: الآيات: ٦٦- ٦٨.

(٤) سورة يونس: الآية: ٣٦.

(٥) ينظر: التربية العقلية: ٤٠- ٥٤، فصول في التفكير الموضوعي: ٦٣- ٧٠.

(٦) سورة النساء: الآية: ١٣٥.

ثانياً: احترام العقل ومنحه حرية التفكير:

يدعو المنهج القرآني إلى احترام العقل وتكريمه باعتباره مناط التكليف وأداة المعرفة، ولذلك عمل على تحريره من سائر القيود التي تعيق تفكيره، ومنحه حرية التفكير واتخاذ القرار في كل ما يتعلق به دون ضغط أو إكراه، ولعل حرية الاعتقاد والدعوة إلى الاجتهاد التي كفلها الإسلام أعظم دليل على احترام المنهج القرآني وتكريمه للعقل الإنساني ومنحه حرية التفكير بدليل قوله تعالى: { وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ }^(١). وقوله ٢ لمعاذ بن جبل t عندما بعثه إلى اليمن: (كيف تقضي إذا عرض لك قضاء، قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ٢، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله؟ قال: اجهد رأيي ولا ألو، فضب رسول الله ٢ صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله)^(٢).

فهذا الحديث يعد أصلاً في مشروعية الاجتهاد في الأمور الدينية والدينية، ودليلاً على مدى احترام الإسلام للعقل ومنحه حرية التفكير لمواجهة متغيرات الحياة، بعكس الأنظمة الوضعية والمناهج الأرضية التي قامت بإلغاء العقل ومصادرة حقه في التفكير كما دل على ذلك قوله تعالى حكاية عن فرعون: { قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ }^(٣).

ثالثاً: امتلاك القدرة على التفكير العلمي السليم:

والتفكير العلمي هو "كل نشاط عقلي هادف مرن يتصرف بشكل منظم في محاولة لحل المشكلات، وتفسير الظواهر المختلفة والتنبؤ بها والحكم عليها باستخدام منهج معين يتناولها بالملاحظة الدقيقة والتحليل، وقد يخضعها للتجريب في محاولة للوصول إلى قوانين ونظريات"^(٤).

ويتضمن منهج التفكير السليم ثلاثة مكونات رئيسة تتمثل في: خطوات التفكير وأشكاله وأنماطه، فخطوات التفكير تبدأ بالإحساس بالظاهرة ثم الوعي بها وتحديد إطارها وميدانها وجمع المعلومات المتعلقة بها وتحليلها، للوصول إلى فهمها ومعرفة الحكمة منها، وأما أشكال التفكير فتشمل: التدريب على الانتقال من التفكير التبريري إلى النقد الذاتي، ومن التفكير الجزئي إلى التفكير الشامل، ومن التقليدي إلى التجديدي الملتزم بالشرع، وكذلك من اتباع الظن والهوى إلى التفكير العلمي والمنهجي، ومن التفكير الفردي إلى الجماعي، ومن الخرافي إلى السنني، بينما تتمثل أنماط التفكير وأنواعه في المنطقي والتحليلي والتجريبي والأخلاقي والجمالي^(٥).

رابعاً: امتلاك العقلية المستقلة القادرة على النقد والاعتراض:

(١) سورة الكهف: الآية: ٢٩.

(٢) سبق تخريجه: ص ١٦٢.

(٣) سورة غافر: الآية: ٢٩.

(٤) الجامعة والتدريس الجامعي: ٢٥٦ (نقلاً عن: فصول في التفكير الموضوعي: ١٤).

(٥) ينظر: أهداف التربية الإسلامية: ٧٨-٨٩.

أعطى المنهج القرآني للعقل مساحة واسعة من الحرية والاستقلال، وحثه على الاقتناع التام بأي أمر قبل الإقدام عليه، وأتاح له فرصة النقاش والحوار والنقد والاعتراض، ليزداد نضجاً وخبرة وقدرة على التصور الصحيح.

وهذه الحرية في النقد والاعتراض إنما تهدف إلى بيان الحق، والتعبير عن وجهة النظر، بعيداً عن التعصب للرأي وتجريح الآخرين، أو الخروج عن الموضوعية ومخالفة أدب الإسلام الحوار. قال تعالى: { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ }^(١) ولا معنى للمراجعة والمشاورة إذا لم تكفل حرية التعبير عن الرأي، وممارسة حق النقد والاعتراض، وتقضي إلى التعديل والتغيير واحترام الرأي والرأي الآخر^(٢).

خامساً: التزام الأمانة العلمية:

الأمانة من الفضائل الأخلاقية التي حث عليها المنهج القرآني وأمر بها، وهي في مجال العلوم مطلب شرعي لا يجوز تجاوزه أو تجاهله.

والأمانة العلمية تعني تجرد العقل من جميع الأسباب المؤدية إلى الانحراف والبعد عن الحق وفي مقدمتها اتباع الهوى وسيطرة الميول الشخصية، وإصدار الأحكام الجزافية دون تحرر أو تثبت أو تدقيق، فضلاً عن العجلة والتسرع في إصدار الأحكام وعدم الدقة والضبط والتحليل^(٣). قال تعالى: { وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا }^(٤).

سادساً: التعامل مع الحقائق والاهتمام بالنتائج:

من أهم القيم العقلية التي يجب اكتسابها التعود على التعامل مع الحقائق والجواهر دون الانشغال بالصورة والأشكال والأعراض، فقد لا تتطابق الصورة مع الواقع والشكل مع المضمون في كثير من الأحيان^(٥)، وهو ما يدل عليه قوله تعالى في المنافقين: (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ خَشَبٌ مُسْتَنْدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤْفَكُونَ }^(٦). وقال تعالى: { فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ }^(٧).

(١) سورة الشورى: الآية: ٣٨.

(٢) ينظر: التربية العقلية: ٥٨، ١٠٦، مدخل إلى التنمية المتكاملة: ٦٨.

(٣) ينظر: التربية العقلية: ٥٤ - ٥٦.

(٤) سورة الإسراء: الآية: ١١.

(٥) يراجع: فصول في التفكير الموضوعي: ٩٢ - ١٠١.

(٦) سورة المنافقون: الآية: ٤.

(٧) سورة الأحقاف: الآية: ٢٤.

المطلب الثالث عوامل تنمية الجانب العقلي

أولاً: التمتع بالصحة العقلية:

تمثل المحافظة على سلامة العقل وصحته إحدى الضرورات الخمس التي لا بد منها في قيام مصالح البشر الدينية والدنيوية وهي: الدين والنفوس والعرض والعقل والمال، والتي دعت الشرائع الإلهية المختلفة إلى وجوب صيانتها وعملت على المحافظة عليها من أي اعتداء وشرعت لذلك العقوبات المختلفة.

وقد عد المنهج القرآني العقل أمانة يجب صيانتها والمحافظة عليها وتنميتها ورعايتها مثله مثل بقية الحواس والأعضاء التي يتمتع بها الإنسان، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: { إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا }⁽¹⁾.

إن المحافظة على صحة الجانب العقلي تعني تمتعه بسلامة التفكير، وقوة الذاكرة، وشفاء الذهن، ونضج العقل، وصحة التصرفات، كما تحقق للإنسان الرضا النفسي، والتوافق الاجتماعي، والقبول بين الناس، وتتيح له القيام بواجبات الحياة على الوجه المطلوب.

وقد دعا المنهج القرآني إلى المحافظة على صحة العقل والابتعاد به عن كل ما يؤثر في سلامته ويعيق أداءه لوظائفه، وفي مقدمة ذلك الخمر والمخدرات والمثيرات الجنسية بأنواعها المختلفة وغيرها مما يؤثر على جسم الإنسان وقواه العقلية على وجه الخصوص⁽²⁾.

ثانياً: التخلص من الآفات التي تصيب العقل:

هناك العديد من الآفات التي تصيب العقل الإنساني فتعطله عن القيام بدوره المطلوب، والتي تعود في أصلها إلى المؤثرات داخلية وخارجية أو إلى سلوكيات وممارسات خاطئة وفي مقدمتها الآفات المتعلقة بمنجية التفكير التي تقتل الإبداع، وتدفع إلى العجز والتقليد، وتقود إلى نتائج خاطئة، وتحرم صاحبها من الاستفادة من جهود الآخرين في التعامل مع التراث أو مواجهة متطلبات العصر والتي يمكن إجمال أبرزها فيما يأتي:

- ١- النظرة الجزئية المتفرقة إلى الأحداث والأشياء.
- ٢- السطحية في التفكير وعدم الشعور بالمشكلات وضرورة إيجاد الحلول المناسبة لها.
- ٣- عدم إدراك قيمة الزمن وأهميته.
- ٤- إهدار الموارد وإن قلت.
- ٥- الخلط بين الوسائل والغايات.
- ٦- الشعور باليأس أمام قوة الأعداء.

(1) سورة الإسراء: الآية: ٣٦.

(2) ينظر: تربية الأولاد في الإسلام: ١/٢٩٦، ٢٩٧.

٧- عدم اعتزاز الإنسان بدينه وتاريخه وتراثه.

والتخلص من هذه الآفات يتم بشمول التفكير وتوازنه وعمقه، وترتيب الأولويات، وربط النتائج بالمقدمات، والحرص على الوقت والموارد وحسن استغلالهما، فضلاً عن التمييز بين الوسائل والغايات، وإحياء روح أمل والتفاؤل في النفس، والشعور بعظمة هذا الدين والاعتزاز بالانتماء إليه، والثقة في نصر الله تعالى للحق وحملته^(١).

ثالثاً: اكتساب العلم والمعرفة:

يعد اكتساب العلم والمعرفة من أهم العوامل المؤدية إلى تنمية الجانب العقلي حيث يمدّه بمجموعة من المعلومات والخبرات التي يحتاج إليها في مواجهة مواقف الحياة المختلفة. وقد تعددت وسائل اكتساب العلم والمعرفة وتنوعت ما بين مقروءة ومسموعة ومرئية، ورغم كثرة هذه الينابيع واختلافها وعزوف قطاع واسع من أفراد المجتمعات المعاصرة عنها وانشغالهم بوسائل الإعلام المختلفة وما تقدمه من برامج، تظل القراءة أساس المعرفة والوعي نظراً لما تمتاز به من يسر وسيلتها وتعدد مجالاتها وعدم تقيدها بزمان أو مكان^(٢).

إن اكتساب العلم والمعرفة يحتاج إلى اعتماد مصادر أساسية تضع القواعد والأسس للمعرفة الصحيحة، وتمثل المنطلق الواسع إلى ميدان العلم والمعرفة، وليس هناك مصدر أفضل من المنهج القرآني بما تميز به من خصائص واشتمل عليه من علوم ومعارف بجانبه القرآن الكريم والسنة النبوية بمعناه العام الذي يشمل السيرة المطهرة.

رابعاً: إثارة الحواس والوجدان وتفعيلها:

خلق الله الإنسان وزوده بالوسائل التي تعينه على تحصيل العلم والمعرفة، وفي مقدمة هذه الوسائل الحواس التي تمثل مصدراً من مصادر المعرفة، ذلك إن الإنسان في مرحلة الطفولة المبكرة يبدأ في تكوين معرفته عن طريق الحواس التي منحها الله تعالى إياها وفي مقدمتها السمع والبصر، ثم تتراكم هذه المعلومات لتكون جملة من المعارف العقلية فيما بعد. قال تعالى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝} ^(٣). فقد رتبت الآية الحواس حسب ابتداء عملها، فالسمع هو أول وسيلة للحصول على المعرفة تليه العين ثم تتكون المعارف القلبية والعقلية بعد ذلك.

(١) تراجع: التغيير على منهاج النبوة: ١٥٠-١٧٥.

(٢) تراجع: الدور التربوي للوالدين: ٢/ ٢٢٦-٢٣٧.

(٣) سورة النحل: الآية: ٧٨.

والمعرفة عن طريق الحواس قد تكون صحيحة أو خاطئة إلى أن تنقلها إلى العقل فيترجمها ويحكم بصوابها من عدمه، ولذلك نجد الطفل الصغير لا يمكنه التمييز بين الثمر والجمرة، وكذلك الحيوان الذي قد يسمع الأصوات لكنه لا يتمكن من تمييزها^(١).

خامساً: تصنيف القدرات العقلية وتفعيلها:

يشير القرآن الكريم إلى وجود عدد من القدرات التي يتمتع بها العقل الإنساني، ولكن دون تمييز أو تصنيف لهذه القدرات بحسب درجاتها وعلاقتها في سلم العمليات العقلية، الأمر الذي يعني الاهتمام بها جميعاً وتفعيلها وتحقيق الاستفادة القصوى منها كما تدل على ذلك الإشارات المتكررة التي وردت في القرآن الكريم. ويمكن القول أن أبرز هذه القدرات هي قدرة العقل والتأويل، والتدبر والتفكير، وكذا قدرة التذكر والنظر، والشهود والإبصار، زيادةً على قدرة الحكمة وغيرها من القدرات العامة التي تنتظم في طياتها العديد من العمليات العقلية الهائلة في تناسق عجيب وتكامل دقيق وتفاعل مستمر^(٢).

سادساً: الاستغراق في التأمل والتفكير والنظر والتدبر:

يشبه العقل الإنساني إلى حد كبير الآلة التي تحتاج إلى عمل مستمر لتحافظ على فعاليتها وحيويتها وإلا غشيها الصدأ وتآكلت، ولذلك لا بد من تفعيل القدرات العقلية لتقوم بوظائفها المطلوبة على أكمل وجه وتسهم في تنمية الجانب العقلي للإنسان.

وتعد عملية الاستغراق في التأمل والتفكير والنظر والتدبر من أبرز عوامل تنمية الشخصية الإنسانية روحياً وعقلياً ووجدانياً، وقد سبق الحديث عن أهمية هذه المسألة عند الحديث عن عوامل تنمية الجانب الروحي بمايغني عن إعادته هنا، إلا أن من المهم الإشارة إلى أبرز المجالات التي دعا المنهج القرآني إلى استغراق في التفكير والتأمل والتدبر فيها وهي:

- ١- تدبر الآيات الكونية المختلفة.
- ٢- التفكير والنظر في حكمة التشريع.
- ٣- تدبر آيات الله تعالى في الكون.
- ٤- النظر والتدبر في أحوال الأمم السابقة.

سابعاً: عدم تجاوز المجالات المحددة للعقل:

(١) ينظر: منهج التفكير الإسلامي - د. علي جريشه - ط: ١ - مكتبة وهبه - القاهرة : ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) يراجع: أهداف التربية الإسلامية : ٧٥ - ٧٨ ، ١٠٢ - ١١٠ .

حدد المنهج القرآني المجالات التي يجوز للعقل أن يفكر فيها والمجالات التي لا يجوز له الخوض فيها، انطلاقاً من محدودية العقل وعدم قدرته على الإحاطة بكل شيء، فضلاً عن أن هنالك حقائق وأمور لا يمكن للعقل مهما بلغت جودة فهمه وقوة ذكائه أن يستقل بإدراكها دون الرجوع إلى الوحي الإلهي. ويمكن القول أن أهم المجالات التي حظر على العقل تجاوزها هي التفكير في ذات الله U وصفاته لمعرفة كنهها، والتعدي على حقه سبحانه وتعالى في التشريع^(١). قال تعالى: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }^(٢). وقال تعالى: { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ }^(٣).

ثامناً: توفير البيئة الصالحة:

يحتاج الجانب العقلي إلى بيئة خاصة تسهم في تنميته والارتقاء بقدراته المختلفة، وتمثل الحرية والتدريب على التفكير الحر أبرز سمات هذه البيئة، ذلك أن القدرات العقلية كالنبات تنمو وتزدهر وتتطلق في أجواء الحرية والانفتاح الفكري، وتموت وتنتشوه عندما تسيطر أجواء القهر والاستبداد والتسلط والكبت الفكري. وتتحقق الحرية في واقع الحياة عندما لا تسيطر عليها إرادة مخلوق أو تأثيره، ولا تتجاوز سنن الخالق سبحانه وتعالى وقوانينه في الوجود، أما السمة الأخرى للبيئة الصالحة لنمو الجانب العقلي فتتمثل في التدريب المتواصل على التفكير الحر والتغلب على القيود المفروضة والتمرد على واقع القهر والتسلط والاستبداد^(٤).

تاسعاً: تغذية الجانب العقلي بالقيم التي تجعله أميناً وموضوعياً:

تعد القيم من أهم الأمور التي تحدد مجالات التفكير الإنساني وجوانب سلوكه وكيفية تعلمه، كما تمثل المعيار الذي يضبط سلوكيات الإنسان والميزان الذي يحكم تصرفاته استناداً إلى ثقافة المجتمع السائدة. والقيم العقلية هي التي تحدد الصواب والخطأ في جانب المعتقدات والتصرفات، الأمر الذي يساعد الإنسان على اتخاذ القرارات الصائبة في المواقف المختلفة.

ويعمل المنهج القرآني على إمداد الإنسان بمجموعة من القيم الفاضلة التي تدفعه للقيام بالأعمال الصالحة والسلوكيات الحسنة، وتجنبه كل ما لا يليق به كصاحب رسالة يعمل على تحقيقها في هذه الحياة، ولعل أبرز هذه القيم تتمثل في: الصدق والأمانة والعفة والشجاعة، فضلاً عن العدل والموضوعية والولاء للحق^(١).

(١) يراجع: تربية النبي ٣ لأصحابه: ٣٠٦ - ٣١٣.

(٢) سورة الشورى : الآية : ١١.

(٣) سورة الشورى: الآية: ٢١.

(٤) ينظر: أهداف التربية الإسلامية : ٩٣ - ١٠١.

(١) يراجع : التربية العقلية: ٨٩-٩٦.

إن الهدف الذي يسعى المنهج القرآني إلى تحقيقه من تغذية العقل بالقيم الفاضلة أن يصبح أميناً وموضوعياً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، وهذا التركيز نابع من الإدراك التام لصعوبة التحلي بالأمانة والموضوعية ولاسيما في العصر الحديث. وقال تعالى: { وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ } (٢).

عاشراً: تحويل المثل العليا إلى حقائق واقعية:

المثل العليا هي مجموعة المعتقدات الحقه والمبادئ السامية والقيم الفاضلة التي يؤمن بها الإنسان ويحاول الوصول إليها، ولعل أخطر ما يتعلق بمسألة المثل العليا هو وجود العوائق والقيود التي تحول دون تطبيق هذه المثل في واقع الحياة، الأمر الذي يعني تحولها إلى مجرد أحلام وأمانى قد تأخذ شكل أحلام اليقظة التي يشعر معها الإنسان بالراحة النفسية والنشوة السريعة والرضا المزيف إذ سرعان ما يستيقظ من أحلامه هذه ويستعيد انتباهه ويعود إلى واقعه المؤلم فيشعر بالحسرة والندم، وقد يفضل الهروب من الواقع والانغماس في عالم الأحلام والأوهام والخيالات (٣).

والمنهج القرآني يرفض هذا النوع من التفكير السلبي لما له من تأثيرات نفسية واجتماعية خطيرة، ويدعو إلى التفاعل الإيجابي مع المثل العليا وتحويلها إلى حقائق واقعية في حياة الإنسان عن طريق التفكير الواعي والعمل المتواصل لتحسين الواقع مهما كان سيئاً، ومن هنا كان اتصافه بالواقعية والاعتدال والوسطية في جميع قيمه ومبادئه ونظمه وتشريعاته حرصاً على تطبيقها في واقع الحياة وعدم تحولها إلى خيالات يستحيل الوصول إليها، ومن أجل ذلك جاءت جميع النظم والتشريعات الإسلامية في حدوده الطاقة البشرية. قال تعالى: { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَنْطَقْتُمْ } (٤).

(٢) سورة المائدة: الآية: ٨.

(٣) ينظر: الدور التربوي للوالدين : ٢١٥/٢ - ٢١٨.

(٤) سورة التغابن: الآية: ١٦.



المبحث الخامس الجانب السياسي

المطلب الأول مفهوم الجانب السياسي

السياسة في اللغة: من ساس يسوس بمعنى: قاد ودبر وأصلح، وهي: الأمر والنهي، والرعاية والتدبير، والقيام على الشيء بما يصلحه.^(١)

وأما في الإصطلاح: فهي: "قيادة الناس ورئاستهم بإحداث نشاط اجتماعي فيهم ينظم حياتهم العامة، ويضمن لهم الأمن والتوازن والوفاق، بحيث تكفل لهم حقوقهم وحررياتهم، ويلتزمون بالقيام بواجباتهم في ظل حكومةٍ شرعيةٍ عادلة".^(٢)

وهناك تعريفات عديدة للسياسة قديمة وحديثة إسلامية وغير إسلامية ليس هذا مجال الحديث عنها ويمكن للراغب العودة إليها في العديد من المصادر والمراجع.^(٣)

ومن هنا يمكن القول: أن تربية الجانب السياسي يقصد بها الجهود التي تبذل لتكوين وتنمية المعتقدات والقيم والمبادئ التي يؤمن بها الفرد، والتوعية بعقيدة المجتمع وقضاياها الأساسية، والتعريف بالحقوق والواجبات السياسية، فضلاً عن تنمية ثقافة الإنسان ووعيه السياسي، والارتقاء بقدراته واستعداداته للتعامل مع معطيات الواقع السياسي والتفاعل معها وفق برامج محددة.^(٤)

وإذا كان المفهوم العام للتربية يعني تنمية الجوانب المختلفة للشخصية الإنسانية تنمية متكاملة تقوم على أساس من الشمول والتوازن والاعتدال فإن الجانب السياسي يعد من أبرز الجوانب التي يجب الاهتمام بتربيتها وتنميتها في القيادات، ذلك أنه الجانب المتعلق بالتعامل المباشر مع الدولة بمؤسساتها المختلفة ومصالحها المتعددة، والمجتمع بثقافته وقيمه وعاداته وتقاليده، فضلاً عن تعلقه بكافة جوانب الحياة المختلفة، الأمر الذي يتطلب إعطائه أهمية خاصة في مرحلة البناء والإعداد ولاسيما للأفراد الذين يتوقع وصولهم إلى مراكز قيادية وتحملهم لمسؤوليات هامة خلال مسيرة حياتهم.

(١) ينظر: لسان العرب- مادة سوس ٦/ ١٠٧، مختار الصحاح - مادة سوس : ١/ ١٣٥

(٢) التربية السياسية- د. علي عبد الحليم محمود- ط: ١- دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة- مصر: ٢٠.

(٣) للإستزادة يراجع: دراسة في منهاج الإسلام السياسي- سعدي أبو حبيب- ط: ١- مؤسسة الرسالة- بيروت: ٤٣٨- ٤٤٥.

(٤) ينظر: التربية السياسية لعثمان عبد المعز : ٢١، النبي المربي : ٣٥٤.

ويمكن تركيز الأضواء على أهمية الجانب السياسي وضرورة التربية السياسية من خلال ما يأتي:

١- شمول مفهوم السياسة في الإسلام:

السياسة في المفهوم الإسلامي تعني رعاية شؤون الأمة في جميع جوانب حياتها، ولا تقتصر على شؤون الحكم وسلطاته المختلفة والعلاقات الداخلية والخارجية فقط انطلاقاً من قوله تعالى: { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ }^(١).

إن مفهوم فصل الدين عن الدولة وما ينبثق عنه من مفاهيم ومقولات مثل: الدين لله والوطن للجميع، ودع ما لله ما لله وما لقيصر لقيصر، وأن السياسة لا دين لها ولا أخلاق، كل هذه المفاهيم والمقولات وغيرها تصب في خانة تجريد السياسة من المبادئ والقيم، وهو أمر مرفوض في المنهج القرآني والفكر الإسلامي الذي يعد كل شيء لله الدين والوطن وقيصر وما يملكه، فلا فصل بين الدين والدولة ولا بين الأخلاق والسياسة. قال تعالى: { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }^(٢).

٢- العلاقة بين التربية والسياسة:

الإنسان كائن اجتماعي لا يمكنه العيش سوى في مجتمع، وما من مجتمع إلا وتحكمه مجموعة من الأنظمة والقوانين التي تسير شؤونه وتنظم العلاقة بين أفرادها ومؤسساته المختلفة ومنها المؤسسات التربوية والتعليمية، وكل ذلك تقوم به سلطة سياسية تتولى إدارة شؤون الأمة، والعلاقة الوثيقة بين التربية والسياسة تتبع من تزايد الاهتمام بمنهجية تكوين المواطنين وتشكيل توجهاتهم السياسية، وكذلك فيما تستمدته التربية من ثقافة المجتمع وقيمة ومبادئه لبناء نظريتها التربوية من حيث الأهداف والوسائل وطريقة التنفيذ^(٣).

ومن المقرر أن تقوم التربية ضمن وظائفها بتطوير ثقافة المجتمع ونقلها من جيل إلى جيل وغرسها في نفوس الناشئة بما في ذلك الثقافة السياسية، الأمر الذي يجعل العلاقة بين التربية والسياسة قائمة على التفاعل التام والارتباط الوثيق الذي يشمل الأهداف والموضوع والشكل والوظيفة^(٤).

٣- فساد الأوضاع وتزايد المشكلات:

تعاني الأمة اليوم حالة من التخلف والانحطاط لم تشهد لها مثيلاً عبر تاريخها الطويل، كما تعاني من تزايد المشكلات وفساد الأوضاع وتحلل القيم والمبادئ، فضلاً عن تمزقها وتبعيتها لأعدائها. ولعل من أسباب هذا الواقع المرير حالة الفساد السياسي الذي تعيشه المجتمعات الإسلامية في العصر الحديث، وبالتالي فإن من أبرز المعالجات التي ينبغي الإقدام عليها لإصلاح وضع الأمة اليوم هو القيام بعملية

(١) سورة الحج: الآية: ٤١.

(٢) سورة الأنعام: الآية: ١٦٢.

(٣) راجع: أصول التربية للحاج: ١٨١-١٨٤.

(٤) ينظر: التربية السياسية لعثمان عبد المعز: ٣٦-٣٩، والتربية السياسية لعلي عبد الحليم: ٢٤-٢٦..

إصلاح شامل للأوضاع وفي مقدمتها الإصلاح السياسي. قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } (١).

لقد جربت الأمة العديد من الأفكار والنظريات السياسية والتي كان من نتائجها: انتشار الاستبداد السياسي، والظلم الاجتماعي، وغياب الحرية، وتردي الأوضاع الاقتصادية، وتوالي الهزائم النفسية والعسكرية، والخضوع التام للأعداء، فضلاً عما تعانيه الأمة من حروب ومنازعات، وتطاحن وانقسامات، وتضارب في القيم والمعايير، وفقدان للثقة بالنفس^(٢)، وهذا كله ناتج عن غياب الدولة الإسلامية القوية التي تستمد فكرها السياسي من عقيدتها وثقافتها وقيمها وحضارتها، والتي تعمل على غرس روح الانتماء وتعزيز الثقة في نفوس أفرادها عن طريق صبغ مظاهر الحياة جميعاً بالصبغة الإسلامية.

ونظراً لأهمية الجانب السياسي قامت العديد من الدول بإنشاء الكليات والأكاديميات الخاصة بالعلوم السياسية للقيام بعملية إعداد السياسيين إلا أن الحصول على مؤهل من هذه المؤسسات ليس شرطاً للعمل في المجال السياسي، وهذا يعود إلى أن الأمم لا زالت ترى أهمية المقومات الذاتية والسمات الشخصية للقائد من نكاه وحكمة وحنكة وخبرة وغيرها من المقومات التي تعد أهم بكثير من المؤهل الدراسي الذي قد لا يتجاوز المعرفة النظرية ببعض جوانب الحياة السياسية.

(١) سورة الرعد: الآية: ١١.

(٢) ينظر: مشكلات الشباب: ١٥٤.



المطلب الثاني

أهم القيم السياسية الواجب اكتسابها

أولاً: التعرف على المبادئ والقواعد الأساسية التي يقوم عليها النظام السياسي الإسلامي:

ويقصد بهذه المبادئ والقواعد الأسس التي يقوم عليها النظام السياسي في الإسلام، ويستلهم منها نهجه في الحكم، وهي ما يعرف بالثوابت الإسلامية التي يجب الالتزام بها.

وتأتي أهمية هذه الثوابت من كونها تمثل المرجعية التي يستند عليها النظام السياسي الإسلامي، والموجهة له، فضلاً عما تقوم به من ضبط حركة النظام أهدافاً وغايات وأداءً وتصرفات، وبدونها يصبح النظام السياسي عشوائياً في أدائه وتوجهه تسيره الأهواء والأفكار البشرية القاصرة، ولعل أهم هذه المبادئ والثوابت الإسلامية يتمثل فيما يأتي:

١ - المرجعية الحاكمة:

وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وذلك بالالتزام بالإسلام عقيدة وشريعة، عقيدة ينبثق عنها التصور الشامل للكون والإنسان والحياة، وشريعة تنتظم جميع شؤون الحياة وتصبغها بالصبغة الإسلامية^(١). قال تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا }^(٢). وقال تعالى: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }^(٣).

٢ - الوحدة:

والمراد بها وحدة الأمة؛ لما تمثله من قوة مادية ومعنوية وكونها ضرورة ملحة في حياة أية أمة من الأمم وعاملاً من عوامل بقائها ونهضتها وتقدمها.

والوحدة الإسلامية فريضة شرعية أمر الله U بها في كتابه الكريم وعمل رسوله ﷺ على ترسيخ مفهومها وإرساء أسسها في واقع الحياة، كما أنها ضرورة واقعية لا غنى للأمة عنها إذا أرادت أن تعيش حرة كريمة ذات سيادة. قال تعالى: { وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ }^(٤). وقال تعالى: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا }^(٥).

(١) ينظر: دراسة في منهاج الإسلام السياسي: ٤٤٩، النبي المربي: ٣٦٣.

(٢) سورة النساء: الآية: ١٠٥.

(٣) سورة النساء: الآية: ٦٥.

(٤) سورة المؤمنون: الآية: ٥٢.

(٥) سورة آل عمران: الآية: ١٠٣.

والأمة الإسلامية هي الأمة الوحيدة التي تمتلك مقومات الوحدة الحقيقية المتمثلة في وحدة العقيدة والقيم، والتأريخ واللغة، والموقف والمصير، وقد عاشت في ظل هذه الوحدة مدة من الزمن تمتعت خلالها بالحرية والكرامة، وكان لها وزنها بين الأمم ودورها في تغيير مجرى التأريخ وصنع الحضارة البشرية قبل أن تفرقها الأهواء وتمزقها العصبية وتصل إلى ما وصلت إليه من ذلة ومهانة وتخلف واستعباد.

٣- الشورى:

وتعني مشاركة الأمة في اختيار حكامها ومتابعتهم ومحاسبتهم وعزلهم إن أساءوا، واستشارتها في الكيفية التي تدار بها شؤون حياتها، وأن يكون لها رأي في القرارات المصيرية التي تخصها بعيداً عن الاستبداد السياسي والقهر السلطوي^(١).

وتعد الشورى أحد المرتكزات الأساسية التي يقوم عليها نظام الحكم الإسلامي بنص الكتاب والسنة، ولأهميتها جاء الأمر بها متوسطاً الصلاة والزكاة في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} ^(٢). كما وجه الأمر بها إلى النبي ﷺ وهو المعصوم عن الخطأ والمؤيد بالوحي عقب أحداث غزوة أحد رغم ما فيها من أحداث في قوله تعالى: { فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ } ^(٣).

وقد اشتملت كتب الحديث والسير على المواقف الدالة على تطبيق النبي ﷺ لهذا المبدأ، كما تحدث العلماء عن إلزامية الشورى وضوابطها وغير ذلك من المسائل المتعلقة بها.^(٤)

٤- الحرية:

منحة الله U لعباده، وأعظم النعم بعد الهداية والإيمان، وهي أحداهم مظاهر التكريم الإلهي للإنسان، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} ^(٥) وليس هناك أعظم من الحرية كرامة ولا أسمى تفضيلاً؛ ذلك أن الحرية هي روح الحياة وجوهرها، فلا قيمة للحياة بدونها مهما توفر للإنسان فيها من إمكانيات.

والأصل في الإنسان الحرية التي خلقه الله U عليها، أما العبودية بمختلف صورها وأشكالها فهي مسألة طارئة على حياة الإنسان، متعارضة مع فطرته، مخالفة للتوجيهات الإلهية في جميع الأديان، ولذلك أكد المنهج القرآني على أهمية الحرية بمعناها الشامل الذي يعني حرية الإرادة والاختيار، وحرية الرأي والاعتقاد، وعمل على ترسيخها في واقع الحياة سلوكاً وممارسة، كما عدها من أهم المبادئ التي يقوم عليها نظام الحكم

(١) ينظر: النبي المرابي: ٣٧٣.

(٢) سورة الشورى: الآية: ٣٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية: ١٥٩.

(٤) يراجع: حكم الشورى ونتيجتها - د. محمد عبد القادر أبو فارس - ط: ١ - دار الفرقان - عمان، الشورى في ضوء القرآن والسنة - أ.د.

حسن ضياء الدين محمد عتر - ط: ١ - دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث - دبي .

(٥) سورة الإسراء: الآية: ٧٠.

في الإسلام^(١). قال تعالى: { مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا }^(٢).

ومن أبرز ما يستشهد به هنا مقولة عمر بن الخطاب **y** الخالدة لعمر بن العاص **y**: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً"^(٣).

٥ - العدل:

الميزان الذي أقام الله **U** عليه حياة البشر حتى تستقيم ولا يطغى بعضهم على بعض، "فكل الرسالات جاءت لتقرر في الأرض وفي حياة الناس ميزاناً ثابتاً ترجع إليه البشرية لتقويم الأعمال والأحداث والأشياء والرجال، وتقيم عليه حياتها في مأمن من اضطراب الأهواء واختلاف الأمزجة وتصادم المصالح والمنافع، ميزاناً لا يحابي أحداً لأنه يزن بالحق الإلهي للجميع، ولا يحيف على أحد لأن الله رب الجميع... فبغير هذا الميزان الثابت في منهج الله وشريعته، لا يهتدي الناس إلى العدل، وإن اهتدوا إليه لم يثبت في أيديهم ميزانه، وهي تضرب في مهب الجهالات والأهواء"^(٤). قال تعالى: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ }^(٥).

ويعد العدل من أهم الفضائل التي أمر بها المنهج القرآني عموماً، وهو أساس الحكم ودعامته الأساسية، وسبب نزول الرحمة وانتشار الخير بين أفراد المجتمع، كما أنه حق لجميع البشر بمختلف أديانهم وأجناسهم والمواقف منهم، ويقابله الظلم الذي يمثل أهم عامل في زوال الحكم وانتشار الشقاء بين المجتمعات^(٦). قال تعالى: { وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ }^(٧).

٦ - المساواة:

خلق الله البشر من أصل واحد وهو الطين، وجعلهم ينتسبون في أصلهم إلى أب واحد وأم واحدة. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }^(٨). ومن لوازم وحدة الأصل والنسب أن تتحقق بينهم المساواة الكاملة في الحقوق والواجبات مهما اختلفت الأجناس والألوان واللغات والأعراق، وتفاوتت الإمكانيات والثروات، وليس هناك ما يحقق ذلك سوى العقيدة التي جاء بها الإسلام ليقضي على العصبية المقيتة بأنواعها المختلفة، وليحل محلها أخوة الإسلام والإيمان، وليضع أساساً للتمايز وميزاناً للتفاضل

(١) يراجع: دراسة في منهج الإسلام السياسي: ٦٨٥ - ٧٤٥.

(٢) سورة الإسراء: الآية: ١٥.

(٣) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: ٩٩.

(٤) في ظلال القرآن: ٣٤٩٤/٦.

(٥) سورة الحديد: الآية: ٢٥.

(٦) يراجع: دراسة في منهج الإسلام السياسي: ٧٤٩ - ٧٧٢.

(٧) سورة المائدة: الآية: ٨.

(٨) سورة النساء: الآية: ١.

يختلف عن جميع موازين الأرض الجاهلية. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (١).

إن وحدة الأصل والنسب تقتضي المساواة الكاملة في الحقوق والواجبات، الأمر الذي يمثل بوابة الأمن والاستقرار والتقدم للمجتمع، والألفة والمودة والتعاون بين أفرادها، بينما يمثل غياب المساواة مدعاة للحقد والبغضاء وعدم الاستقرار (٢).

ثانياً: تكوين الذات السياسية:

وتعني: مجموعة الآراء والانطباعات والتوجهات التي تتكون لدى الإنسان عن الحياة السياسية بمختلف مكوناتها وتدفعه للتفاعل معها سلباً أو إيجاباً، وتتضمن أبعاداً ثلاثة هي:

١- القيم والمعتقدات الأساسية ذات المدلول السياسي:

وهذه القيم منها ما هو مباشر مثل: المفاهيم المتعلقة بنظام الحكم ومصادر التشريع، والعدالة الاجتماعية، والسياسية الاقتصادية للدولة، والمفاهيم المتعلقة بالانتماء الوطني والإسلامي، والمتعلقة بقضايا الاستقلال والوحدة والحرية. قال تعالى: { وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ } (٣).

أما القيم غير المباشرة فمنها: ما يتعلق بالمفاهيم الخاصة بحقيقة الألوهية والإنسان والكون والحياة والمعرفة وما يترتب عليها من التزامات ومعتقدات، ومنها ما يتعلق بالمفاهيم الخاصة بحياة المجتمعات وعملية التغيير الاجتماعي (٤). قال تعالى: { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } (٥).

٢- العواطف والاتجاهات ذات المنحى السياسي:

وهي نتيجة طبيعية للإيمان بالقيم والمعتقدات السابقة ومعبرة عنها، ويمكن التمثيل لها بشعور الإنسان نحو نظام الحكم في بلده، وأحاسيسه تجاه أبناء مجتمعه، ونظرته لكيفية التغيير الاجتماعي، ومدى إحساسه بالمسؤولية تجاه وطنه وأمته، وموقفه من الحرية والاستبداد وغير ذلك من العواطف والاتجاهات المرتبطة بالجانب السياسي (٦). قال تعالى: { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا } (٧).

٣- المعارف والمعلومات والمدرجات السياسية:

وأهم هذه المعارف والمعلومات ما يتعلق بالإسلام عقيدة وشريعة، ونظام الحكم أسسه وأهدافه وإدارته والمشاركة فيه، فضلاً عن القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية وكيفية التعامل معها.

(١) سورة الحجرات: الآية: ١٣.

(٢) تراجع : دراسة في منهاج الإسلام السياسي : ٥٣٩ - ٥٨٦.

(٣) سورة المائدة: الآية: ٤٩.

(٤) ينظر: التربية السياسية لعثمان عبد المعز: ٥٨، ٥٩، ٣٢٧، ٣٢٨.

(٥) سورة الأعراف: الآية: ٥٤.

(٦) تراجع : التربية السياسية لعثمان عبد المعز: ٣٢٩ - ٣٣١.

(٧) سورة المائدة: الآية: ٥٥.

وتأتي ضرورة تكوين الذاتية السياسية لدى الشخص المعد للقيادة من أهميتها في بلورة شخصيته الإيجابية، وتنمية ذاته ومهاراته، وتعزيز ثقته بنفسه وقدراته؛ الأمر الذي يجعله إيجابياً متفاعلاً مع قضايا مجتمعه وأمنته^(١).

ثالثاً: اكتساب الوعي السياسي:

ويقصد به: الرؤية الشاملة بما تتضمنه من معارف وقيم واتجاهات سياسية، والتي تمكن الإنسان من إدراك القضايا المختلفة التي يعيشها مجتمعه وتحليلها والحكم عليها، وتحديد الموقف السليم منها، وتدفعه للقيام بعمل إيجابي من أجل تغييرها أو تطويرها^(٢).

والوعي بمعناه العام محصلة مجموعة من العمليات العقلية والشعورية المعقدة، التي يشترك فيها الحدس والخيال والأحاسيس والمشاعر والإرادة، فضلاً عن القيم والمبادئ التي يؤمن بها الإنسان، ومرتكزات الفطرة التي تسكن أعماقه، وحوادث الحياة ونظمها المختلفة، ومعطيات الواقع الذي يعيشه بكل أبعاده^(٣).

ولا شك أن هناك العديد من العوامل التي تؤثر في تكوين الوعي السياسي ومستوى نضجه لدى الإنسان ولعل من أبرزها: طبيعية الذات السياسية للإنسان ونوع الثقافة السياسية التي تربي عليها ومستوى تعليمه، ومدى ما يتمتع به من قدرات وخبرات ومهارات، فضلاً عن التغيرات الثقافية التي تحدثها الأنظمة السياسية المختلفة ووجود الزعماء السياسيين القادرين على التأثير في الجماهير وتوجيهها^(٤).

وتجدر الإشارة إلى أن أهم جوانب الوعي السياسي التي يجب أن تتحلى بها الشخصيات المعدة للقيادة تتمثل فيما يأتي:

١- الوعي بالإسلام عقيدة وشريعة، وفهمه فهماً صحيحاً والعمل على تطبيقه في واقع الحياة، وهو وعي ثابت يقوم على إدراك الإنسان للمهمة التي خلق من أجلها وعظمة الرسالة التي يحملها والعالم الذي يعيش فيه. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً }^(٥).

٢- الوعي بأهمية العمل الجماعي المنظم من أجل تحقيق الإسلام في النفس وتطبيقه واقعاً عملياً في جميع شؤون الحياة، وهو وعي ثابت في أصوله ومفاهيمه متغير في أساليبه ووسائله يقوم على إدراك الإنسان لضرورة الوحدة والتعاون وأهمية العلاقة الإيجابية مع الآخرين ودورها في إنجاز المهام وتحقيق الأهداف. قال تعالى: { وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ }^(٦).

(١) ينظر: التربية السياسية لعثمان عبد المعز: ٥٩، ٦٠، النبي المرابي: ٣٥٨-٣٦٠.

(٢) ينظر: التربية السياسية لعثمان عبد المعز: ٦١.

(٣) ينظر: رؤى ثقافية- د. عبد الكريم بكار- طبعة دار المسلم- الرياض: ٤٩.

(٤) ينظر: التربية السياسية لعثمان عبد المعز: ٦٢، ٦٣.

(٥) سورة البقرة: الآية: ٢٠٨.

(٦) سورة آل عمران: الآية: ١٠٤.

٣- الوعي بالقضايا السياسية المطروحة على الساحة: كقضية الحكم والوحدة والحرية والاستقلال والعدالة الاجتماعية، وهو وعي متغير يستند إلى رؤية ثابتة، ويقوم على إدراك الإنسان للقضايا الداخلية والخارجية المؤثرة على المجتمع. قال تعالى: { وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ }^(١).

٤- الوعي بحقيقة الموقف السياسي من الأحداث والقوى السياسية والقضايا المختلفة وكذا حقيقة موقف القوى السياسية المحلية والعالمية من الأحداث والقضايا المختلفة، وهو وعي متغير حسب نوع الحدث يقوم على إدراك الإنسان لحقيقة ما يدور في الموقف السياسي.^(٢)

ويندرج ضمن الوعي بالموقف السياسي التعرف على القوى والتيارات والمذاهب العالمية وموقفها من الإسلام كالصهيونية والصليبية والعلمانية وغيرها من التيارات والمذاهب^(٣) قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَّخِذْهُم مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }^(٤).

رابعاً: القدرة على المشاركة السياسية:

وتعني أن يكون للإنسان دور في الحياة السياسية من خلال الممارسة الكاملة لحق التصويت والترشيح للهيئات المختلفة، ومناقشة القضايا العامة، والقدرة على الانتقاد والاحتجاج بمختلف الوسائل السلمية، فضلاً عن الانضمام الطوعي للأحزاب السياسية والمنظمات الجماهيرية والاشتراك في حملات التوعية وخدمة البيئة، وممارسة مختلف الأنشطة السياسية^(٥).

وتتوقف درجة المشاركة السياسية على مدى إيجابية العقيدة الدينية التي يؤمن بها الإنسان، ونمط الثقافة السياسية السائدة في المجتمع، وكذا طبيعة البيئة السياسية وموقفها من الحريات بأنواعها المختلفة، زيادة على العوامل الذاتية المتمثلة في مدى اهتمام الإنسان بالمشاركة السياسية وشعوره بأهميتها وجدواها، ومقدار تمتعه بالمهارات والقدرات السياسية، ومدى قوة الدعاية السياسية وتوفر وسائل الاتصال السياسي^(٦).

خامساً: التمتع بالحقوق والواجبات السياسية:

والحقوق والواجبات أمران متلازمان كوجهي عملة واحدة فلا يمكن التمتع بالحقوق دون أداء الواجبات، ولا يجوز أداء الواجبات دون التمتع بالحقوق؛ لأن ذلك يعد إخلالاً واضحاً بهذا المبدأ.

(١) سورة المائدة: الآية: ٤٩.

(٢) تراجع: التربية السياسية لعثمان عبد المعز: ٣٣٤ - ٣٧٦.

(٣) تراجع: التربية السياسية لعلي عبد الحليم: ٢٥٧ - ٢٦٧.

(٤) سورة المائدة: الآية: ٥١.

(٥) ينظر: التربية السياسية لعثمان عبد المعز: ٢١، ٦٤، ٦٥.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٦٧.

ومنذ القدم كانت إشكالية الأمم مع طغاتها تتمثل في الإخلال بمعادلة الحقوق والواجبات، وعدم وجود من يدافع عن حقوقه، الأمر الذي دفع طاغية مثل فرعون لادعاء الألوهية ومصادرة حقوق الأمة. قال تعالى: **﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾** (١).

وقد جاء المنهج القرآني لتحرير الناس ومنحهم كافة الحقوق التي تكفل لهم العيش الكريم، وتدفعهم للتفاعل الإيجابي مع بني جنسهم بل ومع كافة عناصر الكون والحياة. وهذه الحقوق والواجبات تتنوع بتنوع مجالات الحياة وجوانبها، وما يهم هنا هو الإشارة إلى أبرز الحقوق السياسية التي يجب أن يتمتع بها الإنسان في إطار الدولة الإسلامية والتي يعد في مقدمتها:

- ١- حق الحياة بل الحياة الكريمة.
- ٢- حق الكرامة الإنسانية.
- ٣- حق الحرية: فلا يستعبد ولا يستذل ولا يكره على التنازل عن حريته، وأبرز الحريات التي يجب أن تتمتع بها الإنسان.
 - أ. حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية.
 - ب. حرية الفكر والتعبير عن الرأي.
 - ج. حرية الإقامة والتنقل.
 - د. حرية العمل والراحة.
- ٤- حق المشاركة السياسية بمختلف وسائلها.
- ٥- حق الترشيح والانتخاب.
- ٦- حق المشاركة في اختيار حكامه ومحاسبتهم وعزلهم.
- ٧- حق النصح والانتقاد والمعارضة.
- ٨- حق المساواة.
- ٩- حق الحصول على الفرصة والوصول إلى المناصب المختلفة حسب المؤهل والكفاءة الشخصية.
- ١٠- حق الاجتماع وتكوين الأحزاب السياسية والمنظمات الجماهيرية.
- ١١- حق الحرية الشخصية وحرمة المسكن.
- ١٢- حق الملكية الخاصة.
- ١١٣- حق العمل والكسب.
- ١٤- حق الأمن على نفسه وماله وخصوصياته، وغير ذلك من الحقوق السياسية التي كفلها الإسلام (٢).

(١) سورة غافر: الآية: ٢٩.

(٢) يراجع: الحرية السياسية في الإسلام- د. أحمد شوقي الفنجري- ط: ١- دار القلم- الكويت: ٤٠- ٥٤، التربية السياسية لعلي عبد الحلیم: ٩٩- ١١٠، النبي المرابي: ١٥٧- ١٧٠.

أما أهم الواجبات السياسية التي يجب أن يؤديها الإنسان فهي:

- ١- الالتزام بالثوابت الإسلامية وعدم الخروج عليها.
- ٢- التزام السمع والطاعة والتأييد والمناصرة للحاكم المسلم في غير معصية الله تعالى^(١).

سادساً: تعزيز الولاء والانتماء للوطن والأمة:

يشعر الإنسان بحاجة إلى الولاء والانتماء، وبالتالي يعمل على إشباع هذا الجانب لديه بأي شكل من أشكال الانتماء. وهو ما أدركه المنهج القرآني فعمل على تهذيبه والانتقال به من إطاره الضيق المقصر على العصبية للجنس واللون واللغة إلى إطار أوسع وأشمل وأرحب يتمثل في الانتماء للعقيدة التي يندرج ضمنها الوطن المحلي والقومية اللغوية والأمة الكبيرة، كما عمل على تعميق مفهوم الولاء السياسي الذي يسمو بالإنسان من التعلق بقطعة أرض تحدد له فيها مواطنته إلى الارتباط بالمفهوم الإسلامي الشامل للوطنية المتصلة بالعقيدة والمحصنة بالعدل والمؤسسة بالحرية والمرسخة بالشورى^(٢).

إن العدالة والحرية والمشاركة السياسية أمور تشكل صمام أمان لولاء الإنسان لدينه وعقيدته، ووطنه وأمته، وثقافته وحضارته، فإذا فقدوا أو إحداهما تزعزع ولاؤه وضعفت وطنيته ولم يعد مهماً لديه العيش في دولة يحكمها أبناؤها أو أعداؤها. فكلاهما سواء وإن اختلفت الأسماء والصور، ذلك أن الولاء والانتماء شعور وجداني يستحيل أن ينبع تجاه وطن أو أمة تمارس على الإنسان أنواع القهر والإذلال وطمس الذات، ويعيش فيها مطارد الفكر مصادر الحقوق معدوم الشخصية مقهور الإرادة مهدور الكرامة^(٣).

وفي ضوء هذا المعنى ينبغي أن يفهم حزن النبي ﷺ عند مغادره مكة وتأثره لمفارقته وهو ما عبر عنه ﷺ بقوله: (إني لالأعلم أنك أحب بلاد الله إلي وأكرمها على الله ولو لا أن أهلك أخرجوني ما خرجت)^(٤).

سابعاً: تنمية الروح الجماعية:

تهتم التربية القيادية بتنمية الروح الجماعية في الإنسان وتعدّها أمراً ضرورياً لتحقيق وحدة الأمة وتماسكها وإنجاز الأعمال وإتقانها. قال تعالى: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا }^(٥). ولذلك جاء التحذير من الفرقة والاختلاف والعمل على تعزيز الروح الجماعية بالوسائل المختلفة مثل: تشريع العبادات الجماعية، والأمر بأداء الحقوق والواجبات، والحث على التعاون على البر والتقوى، والدعوة إلى

(١) يراجع: النظام السياسي في الإسلام: ٦٧-٧٧، والتربية السياسية لعلي عبد الحليم: ١٣١-١٣٣.

(٢) ينظر: مشكلات الشباب: ١٥٩، والتربية السياسية لعلي عبد الحليم: ٢٨١.

(٣) ينظر: مشكلات الشباب: ١٦٠، النبي المربي: ٣٦٠.

(٤) سنن الترمذي - كتاب الفضائل - باب في فضل مكة: ٧٢٣/٥ رقم (٣٩٢٦) وقال: "حديث حسن غريب من هذا الوجه". مسند أبي يعلى: ٦٩/٥.

رقم (٢٦٦٢) واللفظ له. قال الهيثمي: "روى الترمذي بعضه ورواه أبو يعلى ورجاله ثقات". مجمع الزوائد: ٢٨٣/٣.

(٥) سورة آل عمران: الآية: ١٠٣.

الاهتمام بشؤون الأمة، وعبر تحرير الولاء لله تعالى، وتوحيد الهدف الإنساني في الحياة، والأمر بالتواصي بالحق والعمل من أجله، والتواصي بالصبر والتعاون عليه^(١).

ثامناً: تنمية روح الدعوة والتغيير:

ويقصد بذلك أن يكون لدى الشخصيات القيادية دافع ذاتي للقيام بواجبات الدعوة إلى الله تعالى والعمل على تغيير الواقع المظلم الذي تعيشه البشرية اليوم.

إن الإسلام دين عقيدة وشريعة، ونظام ومنهج، ودعوة وحركة، عقيدة يؤمن بها الناس وشريعة يحتكمون إليها، ونظام يلتزمون به ومنهج يطبقونه في جميع جوانب حياتهم، وهو كذلك دعوة إلى هذه العقيدة والمنهج، وحركة بهذا الدين وإيصاله إلى الناس في كل مكان.

والدعوة إلى الله U إنما تهدف إلى تعريف البشر بخالقهم وتعبيدهم له، وإرشادهم إلى الهدف من وجودهم وإعانتهم على تحقيقه، والعمل على إنقاذهم وتحريرهم من ظلمات الجهل، والقيام بعملية التربية والإعداد اللازمة لهم والإسهام معهم في تغيير الواقع السيء الذي يعيشونه وبناء المستقبل المشرق الذي ينشدونه^(٢). قال تعالى: { الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ }^(٣).

تاسعاً: تنمية روح الجهاد :

لفظ الجهاد مصطلح إسلامي يجمع بين مفهوم الحرب والقتال والنضال والكفاح وغيرها من الكلمات التي تعارف عليها الناس وتدل في حقيقتها على بذل الجهد والوسع والطاقة، ويطلق على ما يقوم به الإنسان من جهد في تربية نفسه ومعالجة أهوائه وغرائزه وشهواته، وما يبذله من طاقة في سبيل إصلاح مجتمعه وحماية عقيدته وأمته ووطنه، ويشمل كذلك الجهد الذي يبذله الإنسان في تحرير الأمم والشعوب من عبادة غير الله U وإخضاعها لسلطان الله وحده^(٤).

وللجهاد منزلة عظيمة في الإسلام لا تدانيها منزلة، فهو أداة الحرية والعزة والكرامة في الدنيا، وسبيل النجاة والفلاح والفوز في الآخرة، والمجاهدون هم أعلى الناس مكانة في الدنيا وأرفعهم درجة في الآخرة. قال تعالى: { أَجْعَلْنُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ }^(٥).

(١) يراجع: مشكلات الشباب: ١٦٠ - ٦٢، والتربية السياسية لعلي عبد الحلیم: ١٢٣ - ١٤٢.

(٢) ينظر: التربية السياسية لعلي عبد الحلیم: ٢٠٠ - ٢٠٥.

(٣) سورة إبراهيم: الآية: ١.

(٤) ينظر: مشكلات الشباب: ١٦٣.

(٥) سورة التوبة: الآيات: ١٩ - ٢٢.

والجهاد في الإسلام أنواع إلا أنها جميعاً تستهدف مقاومة قوى الشر والفساد والعدوان وإقرار مبادئ الحق والعدل والإيمان، وذلك بإعلاء كلمة الله تعالى وتحقيق السيادة لشريعته ومنهجه ونظامه سبحانه وتعالى.

ومن أبرز هذه الأنواع: الجهاد اللساني والتعليمي والسياسي وكذا الجهاد بالمال والنفس، ولكل من هذه الأنواع حكمه وأهدافه وشروطه ووسائله، كما تشمل عملية الجهاد النفس والهوى والشيطان، وجهاد الظالمين والفاستقين، وجهاد الكافرين والمنافقين، ولكل أهدافه ومراحله وكيفيته أيضاً^(١).

إن تنمية روح الجهاد بين أفراد الأمة إنما تتم بأمور عديدة يأتي في مقدمتها: ربط الجهاد والتضحية بالعبقيدة الإسلامية، وتقوية معاني الرجولة والعزة والكرامة في النفس الإنسانية وتعزيز مظاهرها في المجتمع، ومحاربة مظاهر الضعف والميوعة والانحلال، وكذا عبر التربية الجهادية المستمرة والإعداد الروحي والفكري المتواصل والترغيب في الجهاد والحث عليه، فضلاً عن الاهتمام بالإعداد البدني والعسكري لأبناء الأمة وتجديد الشباب وتدريبهم تدريباً عسكرياً متكامل^(٢) انطلاقاً من قوله تعالى: { وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَقْبَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ }^(٣).

عاشراً: الالتزام بمبدأ العدل والإحسان في التعامل مع الآخرين:

والعدل هو التوسط بين الإفراط والتفريط والمساواة في المكافأة خيراً وشرأً، وهو أمر واجب شرعاً يجب التزامه في القول والعمل مع جميع الناس، أما الإحسان فهو مقابله الخير بأكثر منه ومقابله الشر بالعرفو والصفح أو بشر أقل منه وهو أمر مستحب حث عليه الشرع.

وقد جمع الله تعالى الأمر بالعدل والإحسان في آية واحدة فقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }^(٤) وهذه الآية هي أجمع آيات القرآن الكريم للفضائل وأنواع الخير.

إن التربية السياسية في الإسلام تحرص على إلزام الإنسان بالعدل وحثه على الإحسان في كافة تصرفاته وأعماله، وتعد الالتزام بهما تكليفاً ربانياً يقود إلى تحقيق الأمن والاطمئنان والمودة والمحبة والمساواة المطلوبة، ويقضي على مظاهر الخوف وعدم الاستقرار والبغض والكراهية والفرقة البغيضة بين أفراد المجتمع^(٥).

المطلب الثالث

(١) يراجع: جند الله ثقافة وأخلاقاً - سعيد حوى - ط: ٢ - دار الكتب العلمية - بيروت: ٣٥٧ - ٤١٥، التربية السياسية لعلي عبد الحلیم : ٢٣٠ - ٢٣٤.

(٢) ينظر: الحل الإسلامي فريضة وضرورة : ٥٨ - ٥٩ ، ويراجع: التربية الجهادية - د. منير الغضبان - ط: ٤ - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - مصر .

(٣) سورة الأنفال: ٦٠.

(٤) سورة النحل: الآية: ٩٠.

(٥) يراجع : التربية السياسية لعلي عبد الحلیم : ١٧٧ - ١٩٣

عوامل تنمية الجانب السياسي

أولاً: القراءة والإطلاع:

تعد القراءة بوابة الدخول إلى عالم العلم والمعرفة وبواسطتها تكتسب العلوم وتدرک حقائق الأشياء، ومن هنا كان الحث على القراءة والدعوة إليها في أول آيات القرآن الكريم نزولاً وهي قوله تعالى: { أَفَرَأَى بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ }^(١).

والمعرفة أمر عام يشمل جميع العلوم التي يحتاج إليها الإنسان ومنها السياسة التي أصبحت علماً مستقلاً بذاته يدرس في الجامعات والكليات والمعاهد والأكاديميات، وأصبح لزاماً على الراغب في تنمية الجانب السياسي قراءة الكتب المتخصصة في المجالات السياسية المختلفة ولاسيما ما يتعلق منها بالاستراتيجيات والعلاقات والمذكرات الشخصية للقادة والزعماء والكتب التي تتحدث عن المهارات السياسية، كما يجب عليه متابعة وسائل الإعلام المهتمة بالجوانب السياسية والإطلاع على الصحف والمجلات والتقارير الدورية ذات العلاقة حتى يتمكن من تكوين فكرة عن عالم السياسة وما يجري فيه من أحداث وقضايا، ويتعرف على أبرز الشخصيات والقوى المؤثرة ومواقفها واستراتيجياتها، ويكتسب بعض المهارات التي تساعد على التعامل مع معطيات الواقع السياسي.

ثانياً: الممارسة والتطبيق:

لا يمكن تنمية الجانب السياسي بقراءة كتاب أو جريدة أو مجلة، أو تحليل تقرير أو خبر أو حدث، أو اطلاع واسع على مشاكل العالم ومتابعة قضاياها فقط، بل لابد من تطبيق وممارسة، واحتكاك ومعايشه، ومعاونة ومشاركة.

والناس في ممارستهم للسياسة وتطبيقهم لمبادئها بين إفراط وتفریط، فمنهم المبتعد عن السياسة المحرم للاشتغال بها، ومنهم المنغمس في السياسة المنشغل بها عما سواها، وخيرهم الموفق للاعتدال والوسطية في التعامل مع معطياتها فهو يؤمن أن الإسلام دين ودولة، فيهتم بجوانب التربية والدعوة والسياسة والجهاد جميعاً.^(٢) قال تعالى: { مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ }^(٣).

وهذه الممارسة تسهم في تنمية الجانب السياسي للإنسان، وتكسبه خبرةً ودرايةً بالأحداث والمواقف والأفراد والقوى؛ " لأن معظم المقومات الذاتية لا تبرز بوضوح إلا عبر التجربة الحقيقية وإثبات الوجود في مواطن الخبرة، فالقدرات الحقيقية تبقى لدى معظم الناس كامنة حتى توضع على المحك فتبرز"^(٤)، وهو ما يتضح جلياً في قصة يوسف U عندما تقدم لتحمل المسؤولية وتم على يديه إنقاذ مصر من مجاعة محققة.

(١) سورة العلق: الآية: ١.

(٢) يراجع: التغيير على منهاج النبوة: ٢٣٨ - ٢٤٦.

(٣) سورة الأنعام: الآية: ٣٨.

(٤) النبي المرابي: ٣٨٢.

قال تعالى: { قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ }^(١) فقد قبل تحمل المسؤولية ليتمكن من تطبيق ما يمتلكه من معارف وخبرات وقدرات ومهارات ويسهم بها في إنقاذ الأمة.

إن الجانب السياسي ليس جانباً نظرياً تنظيرياً فقط، وإنما هو جانب عملي يتكون وينمو بالممارسة والتطبيق والمران، وهناك عدد من الساسة والقادة والزعماء المشهورين ليس لديهم إلمام كاف بالعلوم والمعارف ومع ذلك صاروا من أبرز الساسة والقادة وتمكنوا من التأثير في حياة أممهم وشعوبهم.

ثالثاً: حضور المحاضرات والندوات السياسية والمؤتمرات العامة:

يمثل حضور المحاضرات والندوات والمؤتمرات عاملاً من عوامل تنمية الجانب السياسي لدى الإنسان؛ نظراً لما تتميز به هذه الفعاليات من دقة في اختيار المشاركين، وعمق في طرح القضايا، وتركيز في تناول الموضوعات، وما تتيحه من فرص النقاش والحوار والتواصل بين المتخصصين، وتعدد وجهات النظر وتعويد على النظام والتنظيم؛ الأمر الذي يسهم في إثراء الموضوعات المطروحة ويعود بالفائدة على المشاركين.

وهذه الوسائل حث عليها المنهج القرآني ودعا إليها، حيث تمثل خطبة الجمعة فرصة لتناول القضايا المختلفة من وجهة النظر الإسلامية وبيان حكم الإسلام فيها، ولذلك يجب على المقيم حضورها وعدم الانشغال عنها بطلب الرزق أو غيره من الأعمال، كما يمثل الحج مؤتمراً عاماً يلتقي فيه المسلمون من جميع بقاع الأرض على اختلاف أوطانهم وقومياتهم لتدارس أحوالهم وأوضاعهم والأخطار المحدقة بهم والخروج بموقف موحد إزائها. قال تعالى: { وَأَدْنَىٰ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ }^(٢).

رابعاً: القراءة الواعية للتاريخ:

التأريخ هو سجل الأمة الذي يحمل بين دفتيه ماضي الأمة وثقافتها وقيمها ومبادئها وعاداتها وتقاليدها، ولذلك كان لا بد من الاهتمام بكتابته وتوثيقه، والنظر الدائم فيه والاستفادة من دروسه وعبره في بناء الحاضر والانطلاق نحو المستقبل.

وقد اشتمل القرآن الكريم على العديد من الآيات والسور التي تناولت تأريخ البشرية وأحوال الأمم السابقة، وركزت على بيان السنن الإلهية في قيام الحضارات وسقوطها وعاقبة الظلم ونهاية الظالمين، وهي أمور تتعلق بالجانب السياسي بصورة كبيرة قال تعالى: { قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ }^(٣).

والتأريخ الإسلامي مليء بالأحداث والمواقف والدروس والعبر، إنه قصة عقيدة ظهرت، وأمة تكونت، وحضارة شيدت، وثقافة انتشرت حتى سادت الأرض وملأت الآفاق واستفاد من نتائجها كل أمم الأرض بلا استثناء، فهو تأريخ مشرق مشرف ناصع مجيد، رغم فترات الضعف والتمزق وحالات الخلاف والفتن التي مرت بها الأمة.

(١) سورة يوسف: الآية: ٥٥.

(٢) سورة الحج: الآية: ٢٧.

(٣) سورة آل عمران: ١٣٧.

هذا هو التأريخ الحقيقي للأمة الإسلامية لا التأريخ المشوه الذي امتلأت به مناهج التعليم وبطون بعض الكتب واحتوى على كثير من الأخطاء والأحقاد والمفاهيم المغلوطة التي صورت التأريخ الإسلامي على أنه تأريخ الفتن والحروب والخلافات والدسائس والشهوات والمنكرات. وهذا التشويه راجع إلى أن كثيراً من الذين تعرضوا لكتابة هذا التأريخ وتدرسه غير مؤهلين لذلك، وكثير منهم أثرت فيهم الأهواء والأحقاد ولم يتحلوا بالأمانة العلمية^(١). إن أهم ما يجب مراعاته عند كتابة التأريخ العلم والمعرفة بالأحداث والمواقف والأشخاص والحركات، والقدرة على التحليل والاستنتاج، والتثبت من الروايات، فضلاً عن التجرد من الأهواء الشخصية والتحلي بالأمانة العلمية^(٢).

خامساً: إبراز سير القادة والعظماء ومواقفهم البطولية:

إن تأريخ الأمم إنما يصنعه الرجال، وحضارتها إنما يشيدها الأبطال، وتأريخ البشرية إنما صنعه الأنبياء الكرام والمؤمنون من أتباعهم، وهكذا الحال بالنسبة للأمة الإسلامية التي صنعها تأريخها رسول الله ﷺ وصحابته الكرام وسلف الأمة الصالح والعلماء والمجاهدون الذين ضحوا بأوقاتهم وأموالهم وأرواحهم في سبيل نشر الدين وتحرير الأمة والحفاظ على كرامتها وتحقيق تقدمها وازدهارها، ولا زال هناك من يسيطر تأريخ الأمة في عصرها الحديث ويخوض ميادين الشرف والبطولة ومعارك التحرير والبناء في جميع مجالات الحياة. إن إبراز شخصيات هؤلاء العظماء ودراسة سيرهم ومواقفهم البطولية دراسة علمية معمقة كفيلة بتتمة الجانب السياسي بل والجوانب المختلفة في حياة الإنسان، الأمر الذي يسهم في انتشار الأمة من الواقع المؤلم الذي تعيشه وتحريرها من سيطرة أعدائها وقيادتها إلى مستقبل أفضل، وهو ما أدركه الاستعمار مبكراً فقام بحذف أسماء القادة المسلمين من المناهج، وتشويه أدوارهم الهامة في مسيرة التأريخ، واستبدالهم بشخصياته التي قادت الحملات الاستعمارية ضد البلاد الإسلامية، وجعل منها قذوات وأمثلة عليا يقتدي بها أبناء الأمة؛ كل ذلك بهدف طمس الهوية الإسلامية وفرض الهوية الأجنبية على الأمة الإسلامية^(٣).

إننا مدعوون جميعاً لدراسة سير القادة والزعماء المؤثرين في مجرى التأريخ مسلمين وغير مسلمين للاستفادة من تجاربهم وخبراتهم، وبشكل خاص الشخصيات التي صنعت التأريخ الإسلامي وأثرت في مسيرة البشرية، الأمر الذي يتطلب تنقية التأريخ مما علق به من شوائب وقراءته قراءة فاحصة تقوم على الإنصاف والعدل والتجرد من الأهواء، والتدقيق في أخذ الحقائق من مصادرها المعتمدة، كما يتطلب عدم الاقتصار على المشاهير منهم، والوقوف على جوانب حياتهم المختلفة الشخصية منها والعملية^(٤).

المبحث السادس

(١) يراجع: مقدمة ابن خلدون: ١٣-١٧، مشكلات الشباب: ١٦٥-١٦٦.

(٢) ينظر: مقدمة ابن خلدون: ٤٥، ٤٦.

(٣) ينظر: العسكرية العربية الإسلامية- محمود شيث خطاب- ط: ١- دار الشروق- بيروت، القاهرة: ٤٦، ٤٧.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٤٣-٤٤.

الجانب الوجداني

المطلب الأول

مفهوم الجانب الوجداني وأهميته

الوجدان في اللغة: مأخوذ من المصدر وجد. وقد وردت كلمة الوجدان في اللغة بعدة معان منها الحب والبغض والحزن والغضب وغيرها من المعاني التي تدل على الشعور الموجود داخل الإنسان، وهي المعاني التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية وأشار إليها علماء الفكر الإسلامي^(١).

والوجدان في الاصطلاح: "كلمة تشمل جميع الأحوال النفسية التي يقوى فيها شعور الإنسان بما يصاحبها من لذة وألم فالجوع والعطش والحب والبغض والسرور والحزن واليأس والرجاء كلها وجدانات تصل إلى النفس فتحدث بها لذة وألم"^(٢)، كما يشمل الانفعالات والعواطف والاتجاهات والميول ونحوها من المعاني^(٣). قال تعالى: { وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَمَا لَمْ يَكُنْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا }^(٤)، ففي الآية إشارة إلى ضبط العواطف والانفعالات.

وتربية الوجدان تعني تربية المشاعر والأحاسيس والعواطف والانفعالات وتكوين الإرادة الحرة القوية، لتحرير الإنسان حتى يتمكن من تحقيق التفاهم والتعاون مع الآخرين^(٥)، كما أنها تقوم على تربيته الإنسان منذ أن يعقل على الجرأة والصراحة والشجاعة وحب الآخرين، والانضباط عند الغضب، والتخلي بالفضائل النفسية والخلقية، وتهدف إلى تكوين الشخصية الإنسانية في تكامل واتزان حتى تقوم بواجباتها في الحياة على الوجه المطلوب^(٦).

وللوجدان منزلة كبيرة في حياة الفرد والمجتمع، فهو الذي يرغب الإنسان في الحياة بما يغرسه في النفس من أمل ورجاء، كما أنه يشكل مساحة واسعة في نفس الإنسان بما يشملها من عواطف وانفعالات وميول واتجاهات، الأمر الذي يعني ضرورة الاهتمام به حتى ينشأ الإنسان سوياً في جميع جوانب حياته، خالياً من العقد الناتجة عن الإفراط والتفريط، ذلك أن الإفراط يجعل الإنسان ليناً مدلاً لا يقوى على القيام بتكاليف الحياة

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة - مادة وجد: ١٠٤٤، لسان العرب - مادة وجد : ٤٤٥/٣ ، التربية الوجدانية في الإسلام: ٢٧- ٤٩.

(٢) النفس أمراضها وعلاجها في الشريعة الإسلامية- محمد الفقي: ٥٧ (نقلاً عن: التربية الوجدانية في الإسلام: ٤٢).

(٣) يراجع : التربية والوجدانية : ٤٢، ٤٣.

(٤) سورة الأحزاب: الآية: ٣٧.

(٥) ينظر: التربية الوجدانية : ٥٠، ٥١.

(٦) ينظر: تربية الأولاد في الإسلام: ١ / ٢٩٩.

بجد ونشاط، والتفريط يجعله إنساناً قاسياً عنيفاً في التعامل مع كل من حوله^(١). قال تعالى: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ }^(٢).

فهذه الآية تصور مشاعر الرسول ﷺ تجاه أمته عامة والمؤمنين منها بصفة خاصة، وحرصه ﷺ على التيسير عليها والرحمة والرأفة بها^(٣).

وإذا كانت التربية القيادية قد حرصت على توفير الظروف الصحية الملائمة للجسم ضماناً لسلامته ونموه وقيامه بوظائفه، فقد حرصت بالقدر ذاته على توفير الأجواء النفسية الملائمة لتكوين إنسان سوي واثق بالله تعالى ثم بنفسه، متصفٍ بالأمل والتفاؤل، متحققٍ بالنضج الانفعالي والالتزان العاطفي، متمتعٍ بالسعادة والطمأنينة والصحة النفسية، متحررٍ من العقد النفسية والاحترافات السلوكية، بعيدٍ عن القلق والتوتر والاضطرابات التي تضعف نشاطه وقوته وتحد من عمله وإنتاجه وتفقده القدرة على الاستمتاع بالحياة^(٤).

لقد " كان أول جانب قامت عليه التربية الموجهة من الله سبحانه وتعالى للرسول ﷺ هو تربية وجدانه وذلك عن طريق تنقيته من الشوائب، بإخراج العلقة السوداء من قبله وغسله، وتنقيته تنقية كاملة لأجل حمل منهج الله إلى الأمة وإعداده للرسالة المنوطة إليه"^(٥). قال تعالى: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ }^(٦).

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه حادثة شق الصدر التي وقعت للنبي ﷺ في صغره، فعن أنس بن مالك **t**: (أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقته فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لامه^(٧) ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا: أن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس **t**: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره^(٨). ولاشك أن إخراج العلقة منه ﷺ إرهاباً للنبوة وتهيئة للعصمة، وإعداداً للرسالة، وتطهيراً للنفس، كما أنها دليل على عناية الله تعالى به وحفظه له وأنه ليس للشيطان عليه سبيل، وهي في حقيقتها عملية تطهير معنوي رغم أنها اتخذت شكلاً مادياً حسياً^(٩).

(١) ينظر: المصدر السابق: ٢٩٩/١.

(٢) سورة التوبة: الآية: ١٢٨.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١٨٠/٢.

(٤) ينظر: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم - علي خليل أبو العينين - ط: ٣ - مكتبة إبراهيم حليبي - المدينة المنورة: ١٨٧.

(٥) التربية الوجدانية في الإسلام: ٥٤.

(٦) سورة الانشراح: الآيات: ١ - ٣.

(٧) لامه أي: جمعه وضم بعضه إلى بعض. ينظر: شرح النووي على مسلم: ٢١٦/٢.

(٨) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب الإسراء برسول الله إلى السماوات وفرض الصلوات: ١ / ١٤٧ رقم: (١٦٢).

(٩) ينظر: فقه السيرة - محمد سعيد رمضان البوطي - ط: ٨ - دار الفكر - بيروت: ٦٣، السيرة النبوية لأبي فارس: ١٠١.

المطلب الثاني

أهم القيم الوجدانية الواجب إكتسابها

أولاً: تحقيق التحرر الوجداني:

التحرر الوجداني: "هو عبارة عن الإصلاح والتطهير والتنمية ، والتحرر عملياً تقوم بانتزاع ما هو مرغوب فيه وتعزيز ما هو مرغوب به. فهو تعديل للسلوك كما هو بلغة التربية"^(١).

وتحرير الجوانب الوجدانية المختلفة من أبرز القيم التي يسعى المنهج القرآني إلى تحقيقها، بل إنه تمثل أولى الخطوات التي يقوم بها في عملية بناء وتنمية الإنسان، ولذلك كان أول عمل تقوم به التربية القيادية هو تطهير الوجدان من جميع الرذائل والإرادات الشريرة، وتنقيته من الشوائب المختلفة التي قد تعلق به، ثم الانتقال إلى عملية تربية الروح وتزكية النفس وتنمية الوجدان، بغرس الفضائل وتقوية دوافع حب الخير والقيام بالعمل الصالح فيه، وأحلال العقائد والتصورات الصحيحة محل الفاسدة^(٢).

وهناك العديد من الجوانب الوجدانية السيئة التي تسعى التربية القيادية لتحرير الإنسان منها، والتي لها جذور جاهلية مغروسة في الوجدان الإنساني ويمثل بقاؤها خطورة على شخصيته وعلاقاته بالآخرين وأهمها:

١- التحرر من الشرك:

قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} ^(٣).

والشرك تجسيد للجانب الوجداني تجاه الآلهة الزائفة والمعبودات الباطلة؛ لأن منشأ العبادة هو الحب والتقدير والتعظيم والخوف، واعتقاد القدرة على النفع والضرر، ولا يقدم عليه إلا من انتكست فطرته وضل عقله، وانقطعت صلته نهائياً بخالقه ^(٤).

٢- التحرر من الأوهام والخرافات:

من أبرز الأمور التي تقيد حركة الإنسان وتضعف عزيمته، وتعيقه عن أداء دوره والقيام بواجباته، وقوعه أسيراً للأوهام والخرافات التي لا يؤمن بها عقل ولا يصدقها واقع، ولذلك عمل المنهج القرآني على تحرير الإنسان من أسر الأوهام والخرافات، ودعاه إلى إعمال قدراته العقلية التي منحها الله تعالى إياها في ضوء المنهج القرآني، وصنع منه شخصاً جديداً يتمتع بتفكير سليم وعلم صحيح وقوة في التصور والإدراك، وجعله سيداً على نفسه، مسيطراً على دوافعه وانفعالاته، متفائلاً متوكلاً على ربه، مسخراً قدراته وإمكاناته لبناء حاضره ومستقبله.

ومن هنا كان تحريم الإسلام للتشاؤم المؤدي إلى القلق والتوتر والحيرة والبدال على ضعف الإيمان بالقضاء والقدر وانعدام الثقة بالله تعالى ثم بالنفس، وبالمقابل دعوته إلى الأمل والتفاؤل الذي يشرح الصدر ويسر النفس ويجدد القوة والنشاط ويضفي على الإنسان صحة وجمالاً فضلاً عما يدل عليه رضا وثقة بالله تعالى ثم

(١) تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية- د. ماجد عرسان الكيلاني- طبعة دار ابن كثير- دمشق : ٤١.

(٢) ينظر: التربية الوجدانية في الإسلام : ٥٤.

(٣) سورة الأنبياء: الآية: ٢٥.

(٤) ينظر: التربية الوجدانية في الإسلام: ٥٨.

بالنفس^(١). قال تعالى: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }^(٢).

٣- التحرر من أسر العادات والتقاليد:

من العادات ما هو محمود أقره الإسلام وأمر به، ومنها ما هو مذموم حذر منه وعمل على تحرير الإنسان من أسرهِ، ولاسيما إذا كان من العادات والتقاليد المرتبطة بالعقائد والعبادات، والقيم والمبادئ، والأخلاق والسلوكيات.

وقد حرص المنهج القرآني على تحرير الإنسان من أسر العادات الجاهلية والتقاليد الموروثة عن الآباء والأجداد من عبادة غير الله تعالى، واعتقاد في الجن وطاعة للحررة والكهان، وغير ذلك من العادات التي تجرد الإنسان من إنسانيته وتقوده إلى الهاوية. قال تعالى: { وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ }^(٣). وقال تعالى: { وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا }^(٤).

٤- التحرر من الشعور بالنقص:

والشعور بالنقص حالة تعترى الإنسان لأسباب خَلِيقَة ومرضية أو ظروف اقتصادية واجتماعية، أو عوامل تربوية تعليمية.^(٥)

والشعور بالنقص من أخطر الظواهر النفسية والوجدانية، وأكثرها تأثيراً في تعقيد الإنسان والدفع به نحو الانحراف والإجرام، ولذلك عمل المنهج القرآني على تحرير الإنسان من هذا الشعور بمعالجة الأسباب المؤدية إليه، حيث قرر المساواة الكاملة بين أفراد المجتمع في الحقوق والواجبات وأرسى ميزاناً جديداً للتفاضل والتمايز يقوم على أساس التقوى والعمل الصالح، كما حث على التكافل الاجتماعي، وقرر الرعاية الاجتماعية للفئات التي تحتاج إليها من أفراد المجتمع.

(١) ينظر: المصدر السابق: ٦٩-٧٣.

(٢) سورة النور: الآية: ٥٥.

(٣) سورة الأنعام: الآية: ١٣٧.

(٤) سورة الجن: الآية: ٦.

(٥) يراجع: تربية الأولاد في الإسلام: ٣٠٦-٣٤٢.

ثانياً: ضبط الانفعالات:

الانفعال مشتق من انفعال بمعنى تأثر، وهو تغير مفاجئ يشمل الإنسان بجميع جوانبه النفسية والوجدانية، ويؤثر في سلوكه الخارجي وأدائه الوظيفي، وينتج عن تفاعل مكونات النفس البشرية مع أي موقف يفاجئها^(١).

والانفعالات أمر فطري يولد مع الإنسان وينمو معه، وهي التي تعبر عن مشاعره وأحاسيسه وتكون وجدانه، وتؤثر في مواقفه واتجاهاته وعلاقاته مع الأشخاص والأشياء، وقد تتسم بعدم الثبات وسرعة التغير في صغر الإنسان، إلا أنه كلما تقدم به العمر ونضجت قدراته العقلية وتوسعت علاقاته الاجتماعية وازدادت معرفته بالأشياء كلما كان أقدر على ضبط انفعالاته والتحكم في تصرفاته^(٢).

والانفعالات منها ما هو إيجابي وما هو سلبي، وكلا النوعين يحتاج إلى ضبط وتحكم، ولذلك عملت التربية الإسلامية على وضع منهج متكامل يبين كيفية التعامل مع الانفعالات في حالتها الإيجابية والسلبية، كما حددت أبرز الانفعالات المتعلقة بكلتا الحالتين، ويمكن القول أن أبرز الانفعالات السلبية تتمثل في الغضب والخوف والحسد والحقد والغرور والجبن، وبالمقابل فإن أبرز الانفعالات الإيجابية تتمثل في الشجاعة والعزة والفرح والتواضع والثقة بالنفس^(٣).

ثالثاً: تزكية العواطف الإيجابية وتميئتها:

العاطفة في اللغة: من عطف بمعنى مال، وهي تفيد معنى الميل والاتجاه والشفقة والحنو ثم أطلقت على جميع مظاهر الحب والكراهية والميل إلى الشيء أو العزوف عنه^(٤).

وأما المعنى العام للعاطفة فيمكن القول أنها استعداد وجداني للقيام بعمل ما تجاه شخص أو موقف نتيجة تركيز عدة انفعالات نحو موضوع معين^(٥).

وتعد العواطف من أبرز مجالات الجانب الوجداني، وتشكل الميول قاعدتها الأساسية؛ لأنها تنمو تحت تأثير التفكير والتأمل والتجارب الانفعالية المختلفة بينما يشكل الحب والكراهية العواطف الرئيسة التي تقوم عليها بقية العواطف، كما تلعب العواطف دوراً هاماً في تحديد أهداف الإنسان في الحياة، الأمر الذي يحدد نشاطه الانفعالي والوجداني، ويحقق الاستقرار النفسي في حياته^(٦).

وقد عمل المنهج القرآني على بناء العواطف الإنسانية بناءً متوازناً ووضع لذلك عدداً من الأسس والقواعد التي تتمثل في الرحمة بالأطفال وتقبيلهم وممازحتهم ومسح رؤوسهم، وتقديم الهدايا والعطايا للآخرين،

(١) ينظر: التربية الوجدانية في الإسلام: ١١٠، النبي المربي: ١٤٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١١١، ١١٢.

(٣) يراجع: المصدر نفسه: ١١٢ - ٢٢٠.

(٤) ينظر: لسان العرب - مادة عطف: ٢٤٩/٩.

(٥) ينظر: التربية الوجدانية في الإسلام: ٢٢٠، ٢٢٤.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٣، ٢٢٥.

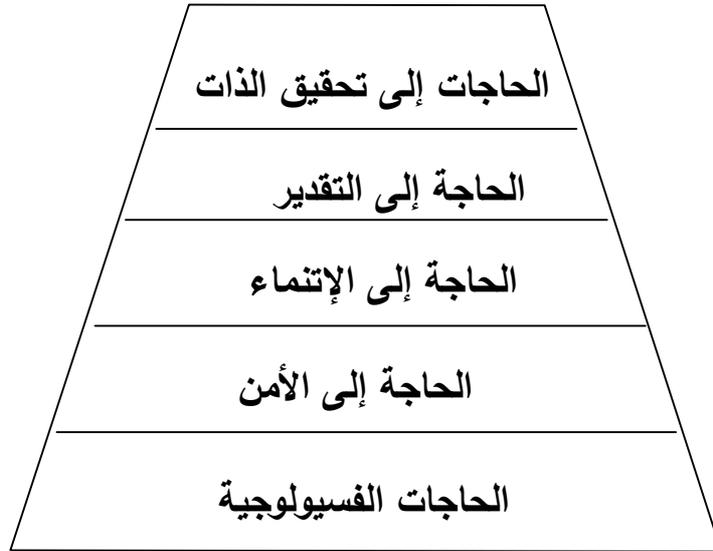
وحسن استقبال القادمين، وكذا السؤال عن الغائبين وتفقد أحوالهم، وتقديم الرعاية الخاصة للفئات المحتاجة إليها من الأيتام والفقراء والعجزة والمسنين، وذوي الاحتياجات الخاصة^(١). قال تعالى: { وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا }^(٢). وقال تعالى: { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ }^(٣).

رابعاً: القدرة على إشباع الحاجات:

الحاجات هي الأحوال النفسية التي تجعل الإنسان يشعر بفقدان شيء معين يعد ضرورياً ومفيداً لاتزانه النفسي والجسدي^(٤).

"وترتبط حاجات الإنسان بأهداف الحياة الإنسانية وغاياتها عموماً، ولكن الناس يختلفون في طرق إشباع حاجاتهم، كما يختلفون في أهدافهم، وفي طرق تحقيقها تبعاً لاختلاف عقائدهم التي من خلالها يرون الكون والحياة، وعلى أساسها يفسرون السلوك الإنساني وغاياته"^(٥).

وقد اهتم علم النفس الحديث بموضوع الحاجات الإنسانية وتناولته علوم التربية والإدارة بالتطبيق، ومن أبرز ما ظهر في ذلك نظرية سلم الحاجات لإبراهام ماسلو الذي رتب الحاجات الإنسانية علماً لنحو الآتي:



سلم الحاجات عند ماسلو^(٦).

(١) يراجع: منهج التربية النبوية للطفل - محمد نور سويد - ط: ٥ - مؤسسة الريان - لبنان: ١٧٦-٢٠٠، التربية الوجدانية في الإسلام: ٢٢٥.

(٢) سورة النساء: الآية: ٨٦.

(٣) سورة الضحى: الآيات: ٦- ١١.

(٤) ينظر: التربية الوجدانية: ٣٧٠.

(٥) منهج التربية في التصور الإسلامي: ١٧٥.

(٦) ينظر: الإنسان وصحته النفسية - د. سيد صبحي - طبعة المطبعة التجارية الحديثة - القاهرة: ٤٥٥.

وقد رتب ماسلو هذه الحاجات حسب التسلسل الهرمي السابق الذي يبتدىء بالحاجات الفسيولوجية وينتهي بالحاجة إلى تحقيق الذات ، ليشير بذلك إلى حقيقة يعتقدونها في أن ظهور أي حاجة من الحاجات متوقف على مدى إشباع الحاجة التي قبلها^(١).

أما المنهج القرآني فقد قسم الحاجات الأساسية للإنسان إلى مجموعة الحاجات العضوية المتصلة بالجانب الجسمي وإن كان لها ارتباط بالجانب الوجداني، ومجموعة الحاجات الشعورية المتصلة بالجانب الروحي والوجداني، وهذان النوعان ضروريان لبقاء النفس وقوتها وتحقيق أمنها واستقرارها، والحرمان منهما يعد أقصى ألوان العقاب المؤلم للنفس الإنسانية^(٢). قال تعالى: { فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ }^(٣). قال تعالى: { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ }^(٤).

ويمكن استنتاج هذا التقسيم للحاجات من خلال الآيات القرآنية المتعلقة بخلق آدم U، والتي تشير إلى ارتباط الحاجات العضوية بأصلها الأرضي المنبثق عن الطين، بينما تشير إلى ارتباط الحاجات الوجدانية بأصلها السماوي الذي هو نفخة من روح الله U ومنها قوله تعالى: { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ }^(٥).

خامساً: تفعيل الضمير الإنساني

والضمير: "هو تلك القوة الروحية الخفية التي يشعر بها الإنسان في نفسه تحته على فعل الواجب وتحسنه له، وتشجعه عليه، وتبعث فيه الطمأنينة والسرور عند فعل كل حسن نافع، وتهون عليه ما يلقي من الأذى في سبيل نصرته الحق، وأداء الواجب وهي التي تقبح له القبيح، وتوبخه على عمله ويحس وخزها وشدة تبكيتها إذا طاول هوى النفس وعصى تلك القوة أو قصر في أداء الواجب، ركوناً إلى الراحة، وطمعاً في لذة قصيرة المدى"^(٦).

ويكتسب الضمير في مرحلة الطفولة المبكرة، ويستمر في النمو مع الإنسان، والتأثير في حياته، محققاً التكيف النفسي للإنسان والاستقرار المجتمعي للأمة.

ويمكن القول أن الضمير الحي أقرب ما يكون إلى النفس اللوامة التي تعرف الشر وتعيه، وتعمل على مقاومته والابتعاد عنه، وتعلن توبتها إن وقعت فيه مع الوعد بالعدول عنه وعدم العودة إليه، وهذه النفس هي التي تجسد حالة الصراع المستمر بين بعدي المادة والروح في تكوين الإنسان، وهو الصراع الذي يحسم لصالح

(١) يراجع: أهداف التربية الإسلامية: ٣٦١ - ٣٧٠.

(٢) ينظر: منهج التربية في التصور الإسلامي: ١٧٥.

(٣) سورة قريش: الآيات: ٣-٤.

(٤) سورة النحل: الآية: ١١٢.

(٥) سورة ص: الآيات: ٧١-٧٢.

(٦) ينظر: الخلق الكامل - جاد المولى: ٣٠٩ (نقلًا عن: التربية الوجدانية في الإسلام: ٢٣).

البعد الروحي المتصل بالله تعالى فهي نفس مؤمنة تلوم صاحبها على الخطأ، وتدفعه إلى اتباع الحق والهدى، ولأهمية دورها استحققت أن يقسم الله تعالى بها في القرآن الكريم. قال تعالى: {وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} (١). إن المنهج القرآني وهو يقرر أهمية الضمير ودوره في تحقيق الأمن والاطمئنان والسعادة للفرد والمجتمع، لا يغفل عن تربيته وتنميته ولذلك اعتبر أن أساس إحياء الضمير وتربيته إنما يكمن في الإيمان العميق القائم على العبادة الواعية والمراقبة الدائمة، فضلاً عن الخوف من الله U والاعتصام به، الأمر الذي لا يؤدي إلى النجاة من العقاب فقط بل والفوز بالثواب أيضاً^(٢). قال تعالى: { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ } (٣).

وهناك عدد من العوامل المؤثرة في تكوين الضمير الإنساني بشكل عام والتي تتحدد على ضوءها نوعية السلوك الذي يقوم به ومن أبرزها: العواطف والانفعالات والعادات والتقاليد وكذا الآراء الاجتماعية وتقليد الآخرين ومدى سيطرة قوتي الخير والشر على الإنسان^(٤).

إن الحديث عن أهمية الضمير والعوامل المؤثرة في تكوينه وتربيته يقودنا للإشارة إلى أبرز المظاهر التي يمكن بواسطتها التعرف على مدى حياة هذا الضمير وصحته ويقظته وهي:

- ١- الشعور بوخز الضمير وتأنيبه .
- ٢- الاعتراف بالذنب والندم على اقترافه.
- ٣- المبادرة إلى التوبة والاستغفار.
- ٤- الإقبال على الطاعات وكثرة الصلاة والذكر والدعاء والتسبيح والتلاوة^(٥).

المطلب الثالث

(١) سورة القيامة: الآية: ٢.

(٢) ينظر: التربية الوجدانية في الإسلام : ٤٠٥، ٤٠٦، الدور التربوي للوالدين : ٢ / ١٨٦ - ١٨٩.

(٣) سورة النازعات: الآيتان: ٤٠، ٤١.

(٤) تراجع : التربية الوجدانية في الإسلام : ٤٠٧ - ٤٢٦.

(٥) تراجع :المصدر نفسه : ٤٧٨ - ٥٠٠.

أهم عوامل تنمية الجانب الوجداني

أولاً: غرس محبة الله عز وجل في النفس:

الحب: انفعال وجداني يوجه سلوك الإنسان نحو ذات المحبوب أو الشيء المرغوب، ويتميز بكثرة مجالاته في النفس الإنسانية، ولاسيما في مرحلة المراهقة حيث يتسع مجال الشعور الوجداني لدى الإنسان^(١). والمحبة منها ما هو طبيعي ومنها ما هو شرعي، فالطبيعي كحب الأهل والأموال وسائر الشهوات، وأما الشرعي فهو حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ والمؤمنين. قال تعالى: { زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ }^(٢). وقال تعالى: { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاغِبُونَ }^(٣).

وحب الله U علاقة وجدانية متبادلة بين الله تعالى وبين عباده المؤمنين وهو أقدس أنواع الحب. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }^(٤).

إن حب الله تعالى هو الأساس الذي يبنى عليه الجانب الوجداني في الإنسان لما يمثله من دافع إلى المكرمات وحاجز عن الدناءات، وما ينتج عنه من استشعار للنعم والخيرات، وإحساس بالأمن والاطمئنان، وسمو إلى مقام الاعتراف بالفضل والشكر على النعم، فحب الإنسان لربه حب عبادةً ورضاً وخضوعاً وشكر والتزام بمنهجه U. قال تعالى: { قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ }^(٥).

إن النفس الإنسانية مجبولة على محبة الشيء لأمر خمسة كلها تستوجب محبة الله تعالى:

- ١- حب الإنسان نفسه وكماله ودوام بقائه ووجوده وهي أمور لا يملكها إلا الله U.
- ٢- حب من أحسن إليه وأغدق عليه النعم ودفع عنه المضار والنقم، وليس ذلك إلا الله U
- ٣- حب المحسن نفسه لإحسانه وإن لم يصل إلى الإنسان منه شيء، وذلك هو الله سبحانه وتعالى المتفضل المنعم على جميع الكائنات والمخلوقات.
- ٤- حب كل جميل لذات الجمال سواء كان الجمال جمال صورةٍ وشكلٍ أو جمال صنعةٍ وإبداع، وقمة الجمال جماله سبحانه وتعالى في نفسه وفي آثار صنعه وبديع خلقه.

(١) ينظر: الدور التربوي للوالدين : ٢ / ١٧٨، ١٧٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ١٤.

(٣) سورة المائدة: الآية: ٥٥.

(٤) سورة المائدة: الآية: ٥٤.

(٥) سورة القصص: الآية: ١٧.

٥- حب المناسبة والعلاقة الصلة، وهي أعمق ما تكون عند تخلق العبد وتمثله لصفات ربه U، والقيام بواجبات العبودية له سبحانه، ولاشك أن اجتماع هذه الأسباب الخمسة يوجب كمال المحبة لله سبحانه وتعالى^(١).
وهناك العديد من العلامات الدالة على محبة الله تعالى من أبرزها الاتصال الدائم به، سبحانه وتعالى ومناجاته، والإكثار من ذكره وتلاوة كتابه، وطاعته والتزام منهجه، وكذلك نصرته دينه ومتابعة نبيه R، بالإضافة إلى الإحسان إلى خلق الله والشوق إلى لقائه تعالى^(٢). قال تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }^(٣).

ثانياً: ترسيخ محبة النبي R في الوجدان:

تقتضي محبة الله U محبة رسوله R ؛ لأن الإيمان به مفتاح الدخول إلى الإسلام إذ لا معنى لشهادة أن لا إله إلا الله سوى بالإقرار بشهادة أن محمد رسول الله R.
 وقد قرن الله تعالى محبته بمحبة نبيه R وطاعته تعالى بطاعة نبيه في كثير من آيات القرآن الكريم، ولا يمكن أن يدرك الإنسان كمال الإيمان أو يذوق حلاوته ما لم يقدم محبة الله تعالى ورسوله R على كل شيء. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }^(٤).
 وقال R في الحديث الذي يرويه أنس بن مالك t: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار)^(٥).

وهناك أسباب عديدة تدفع الإنسان إلى محبة النبي R يأتي في مقدمتها محبة الله U له وعظيم قدره لديه، ولأن محبته R واتباعه طريق الوصول إلى محبة الله، وكذلك لمحبه R لأتمه وشفقته عليها وكونه سبب هدايتها، فضلاً عن محبته R لذاته وكونه يمثل التجسيد الحي للمنهج الرباني والنموذج البشري الذي يجب الاقتداء به. قال تعالى { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ }^(٦).

أما علامات محبة النبي R فكثيرة جداً لعل أبرزها طاعته واتباعه والتزام منهجه وسنته، وكذا العلم بسيرته وجوانب شخصيته والاقتداء به، فضلاً عن التخلق بأخلاقه R وكثرة ذكره والصلاة والسلام عليه والشوق

(١) ينظر: المستخلص في تزكية الأنفس: ٣٢١-٣٢٧.

(٢) ينظر: مدارج السالكين: ٨/١، التربية الوجدانية: ٨٣/١-٩٠.

(٣) سورة آل عمران: الآية: ٣١.

(٤) سورة الحجرات: الآية: ١.

(٥) صحيح البخاري- كتاب الإيمان- باب حلاوة الإيمان : ١/٤١ رقم (١٦)، صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان خصال من اتصف

بهن وجد حلاوة الإيمان : ١/٦٦ رقم (٤٣) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١/١٠ رقم (٢٦) .

(٦) سورة التوبة: الآية: ١٢٨.



إليه ومحبة آله وأزواجه وأصحابه رضوان الله عليهم جميعاً^(١). قال تعالى: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً }^(٢).
ثالثاً: تنمية ثقة الإنسان بنفسه:

والمراد بالثقة في النفس أن يعرف الإنسان قدر نفسه، ويطمئن إلى إمكاناته وقدراته، وليس المراد بها الاعتماد على النفس والاستغناء عن الخالق U ؛ لأن ذلك يعني الركون إلى النفس وبالتالي فقدان العون والتسديد والتوفيق والفلاح من الله تعالى^(٣)، ولذلك كان من دعاء النبي ۓ في الحديث الذي يرويه أبو بكره نفع بن الحارث t: (اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله).^(٤)

ويعتقد بعض علماء النفس أن الإحساس بالثقة هو أول الاتجاهات التي تتكون لدى الإنسان في مرحلة مبكرة جداً من طفولته، ويتوقف على نوع العناية التي يتلقاها من أسرته، ومدى إشباع حاجاته الأساسية، ويتضح ذلك من خلال محاولات الكلام والمشي واللعب التي يقوم بها والتي تشير إلى رغبته في الاستقلال وتأكيد الذات^(٥).

وقد ربي المنهج القرآني أتباعه على الاعتزاز بالذات والثقة بالنفس، وعمل على تخليصهم من الشعور بالنقص والضعف والخوف. قال تعالى: { وَبِاللَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ }^(٦). وقال تعالى: { أَتَخْشَوْنَهُمْ فَأَلَّهِ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }^(٧).

ولبناء مفهوم الثقة في النفس وتنميته لابد أن يكون تصور الإنسان عن نفسه حسناً جميلاً، فيستشعر أنه ناجح وكفاء، وأنه جدير بحب الناس واحترامهم ليتفق سلوكه مع هذا الشعور، أما إذا اعتقد أنه فاشل وغير جدير بالاحترام كان سلوكه متفقاً أيضاً مع هذا الاعتقاد فيفقد الثقة بنفسه وبالأخرين.

ويتكون تصور الإنسان عن نفسه نتيجة معاملة الأسرة له خلال مرحلة التنشئة الاجتماعية، ونتيجة خبراته التي يكتسبها في مواقف الحياة المختلفة، ولذلك كان تأكيد الإسلام على الاهتمام بالأولاد وحسن معاملتهم ورعايتهم^(٨).

المبحث السابع الجانب الجسمي

(١) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٢/٤ - ٤٣.

(٢) سورة النساء: الآية: ٦٥.

(٣) ينظر: الدور التربوي للوالدين: ٢/١٧٥.

(٤) سنن أبي داوود - كتاب الأدب - باب ما يقول إذا أصبح: ٤/٣٢٤ رقم (٥٠٩٠)، صحيح ابن حبان - أبو حاتم محمد بن حبان البستي - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - ط: ٢ - مؤسسة الرسالة - بيروت - باب ذكر وصف دعوات المكروب: ٣/٢٥٠ رقم (٩٧٠) قال ابن حجر بعد أن أورد الحديث: "ولأبي داوود مثله وصححه ابن حبان عن أبي بكره رفعه". ينظر: فتح الباري: ١١/١٤٨.

(٥) ينظر: الدور التربوي للوالدين: ١/١٦٣.

(٦) سورة المنافقين: الآية: ٨.

(٧) سورة التوبة: الآية: ١٣.

(٨) ينظر: التربية الوجدانية في الإسلام: ١/١٨٤.

المطلب الأول

مفهوم الجانب الجسمي وأهميته

الجسم في اللغة: هو جماعة البدن، أو الأعضاء من الناس، والإبل والدواب، وغيرها من الأنواع العظيمة الخلق.. والجمع أجسام وجسوم (١).

ويعرف الجسم في الاصطلاح بأنه: "جوهرة قابل للأبعاد الثلاثة" (٢)، ولعل المقصود بالأبعاد الثلاثة: الطول، والعرض، والعمق، التي تشكل أبعاد الجسم وهيكله.

أما في المنهج القرآني فإن الجسم يعني: الكيان الإنساني المادي الحي المتحرك الممتلئ حيويةً ونشاطاً، والتميز بقوته وجماله وحسن تناسقه، والمؤدي لوظائفه الحيوية على الوجه المطلوب (٣).

"فليس المقصود بالجسم عضلاته، وحواسه، ووشائجه فحسب، وإنما نقصد كذلك الطاقة الحيوية المنبثقة من الجسم، والمتمثلة في مشاعر النفس، طاقة الدوافع الفطرية والنزعات والانفعالات.. طاقة الحياة الحسية على أوسع نطاق" (٤). قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ } (٥). وقال تعالى: { وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ } (٦). والمعنى: "وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يا محمد، تعجبك أجسامهم لاستواء خلقها، وحسن صورها" (٧).

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ } (٨). ومن هنا ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا فرق بين الجسم والجسد والبدن فمتى أطلق أحدها أريد الآخر إلا أن الجسم مختص بما فيه روح (٩).

(١) ينظر: لسان العرب - مادة جسد : ١٢٠ / ٣ .

(٢) التعريفات للجرجاني: ١٠٣ .

(٣) ينظر: مقومات التربية الجسمية في الإسلام - صالح بن علي أبو عراد الشهري - رسالة دكتوراة في التربية الإسلامية والمقارنة - كلية التربية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة: ٣٢ - ٣٥ .

(٤) منهج التربية الإسلامية : ١ / ١٠٤ .

(٥) سورة البقرة: الآية: ٢٤٧ .

(٦) سورة المنافقون: الآية: ٤ .

(٧) جامع البيان للطبري: ٢٨ / ١٠٧ .

(٨) سورة الإنفطار: الآيات: ٦ - ٨ .

(٩) يراجع: مقومات التربية الجسمية في الإسلام : ٣٢ - ٤١ .

وتربية الجانب الجسمي عملية متكاملة يقوم الإنسان خلالها بنشاط جسمي منظم يهدف إلى بناء الجسم وتنمية قدراته المختلفة، وزيادة فاعليته ونشاطه، والحفاظ على صحته وسلامته، حتى يتمكن من أداء مهمته في الحياة وتحقيق التكيف اللازم مع مكونات البيئة والمجتمع وفق منهج الله تعالى^(١).

وقد اهتمت التربية القيادية بتنمية الجسم وإعداده اهتماماً كبيراً انطلاقاً من النظرة المتكاملة للإنسان بجوانبه المختلفة، وإدراكاً للدور الكبير الذي يقوم به الجسم سواءً من حيث تحقيق العبودية لله تعالى والقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض أو الإسهام في بناء الحياة وتطويرها، ويمكن الإشارة إلى أهمية الجانب الجسمي وضرورة العناية به فيما يأتي:

- ١- كونه يمثل العنصر المادي في تكوين الإنسان.
- ٢- كونه مستقر العنصر المعنوي الذي تمثله الروح والتي هي في الحقيقة نفخة من روح الله U .
- ٣- كونه يمثل أحد الجوانب الأساسية في تكوين الشخصية الإنسانية المتكاملة.
- ٤- إن استواء شخصية الإنسان وتكاملها يعتمد على مدى التوافق والتفاعل بين جوانبها الأساسية المتمثلة في الجسم والعقل والروح، وبالتالي فإنه رعاية الجسم والاهتمام به تعني العناية بالعقل والروح؛ لأن هذه الجوانب الثلاثة مكملة لبعضها وتتأثر ببعضها تأثيراً مباشراً.
- ٥- إن الاهتمام بالجسم يعني الاهتمام بالجانب العملي والتطبيقي في المنهج الإسلامي، فلا يمكن تطبيق الجوانب العلمية، وأداء الواجبات الشرعية إلا بجسم صحيح وقدرات بدنية عالية.
- ٦- إن انخفاض القدرات الجسمية قد يؤدي إلى العجز عن القيام بكثير من العبادات مثل الصيام والحج والدعوة والجهاد وغيرها من العبادات.
- ٧- إن سلامة الجسم وصحته ضروريان لتحقيق العبودية، والقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض، وبناء الحياة وتعميرها.
- ٨- إن سلامة الجسم وصحته، وتمتعه بالقدرات المختلفة عامل أساسي في تحقيق التكيف اللازم مع متطلبات البيئة والمجتمع^(٢).

(١) ينظر: المصدر السابق : ٥٠ - ٥٢ ، الدور التربوي للوالدين : ١ / ٦٥ .

(٢) ينظر: فلسفة التربية الإسلامية للزنتاني : ٥١ - ٥٣ ، مقومات التربية الجسمية في الإسلام : ٤٣ - ٤٦ .

المطلب الثاني

أهم القيم الجسمية الواجب اكتسابها

أولاً الحفاظ على حياة الإنسان واحترام كرامته:

جعل الله تعالى حياة الإنسان مقدسة فأوجب الحفاظ عليها واحترام كرامتها، وحرّم U قتل النفس أو الاعتداء عليها بغير حق كما حرّم الانتقاص من كرامتها، وعد ذلك من كبائر الذنوب التي تستوجب غضبه تعالى ولعنته وعذابه في الآخرة والقصاص في الدنيا ، ومن هنا كان الأمر بوجود الدفاع عن النفس والتغليظ في عقوبة الاعتداء عليها، وتحريم قتل النفس أو تعريضها للهلاك . قال تعالى: { وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا }^(١).

ثانياً: الحفاظ على الصحة الجسمية:

إن الاهتمام بسلامة الجسم والحفاظ على صحته من الأمور الهامة التي أكد عليها المنهج القرآني حيث عد الجسم أمانة بيد صاحبه الأمر الذي يوجب المحافظة عليه من كل ما يؤذيه أو يؤدي إلى أتلافه. قال تعالى: { وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }^(٢).

وتتبع أهمية الحفاظ على صحة الجسم من الاتصال الوثيق بين كل من نفس الإنسان وعقله وجسمه وما ينتج عن هذه العناصر الثلاثة من تفاعل مشترك ينطلق من الجسم ليمثل أساس تكوين الشخصية الإنسانية، فالعقل السليم في الجسم السليم والنفس البشرية مقرها الجسم، الأمر الذي يوجب الحفاظ على صحة الجسم وسلامته ضماناً لسلامة النفس وبقاء الحياة والحفاظ على القدرات العقلية وتنميتها، وهو ما يعد من أعظم النعم التي يجب على الإنسان شكرها وأداء حقها.^(٣) ولذلك قال r في الحديث الذي يرويه محسن الأنصاري t: (من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عندة قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا)^(٤).

ولأهمية الصحة في حياة الإنسان كان الاهتمام بها والدعوة للمحافظة عليها، والتحذير من كل ما يؤثر عليها من سلوكيات وممارسات حتى لا يفقد الإنسان هذه الصحة ويظل حبيس داره أو أسير حسراته. ومن هنا جاء قوله r في الحديث الذي يرويه ابن عباس رضي الله عنهما: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ)^(٥).

(١) سورة النساء: الآية: ٢٩.

(٢) سورة البقرة: الآية: ١٩٥.

(٣) ينظر: تربية النبي r لأصحابه: ٢٥١، ٢٥٢.

(٤) سنن الترمذي- كتاب صفة القيامة والزهّد والرفق: ٥٤٧/٤ رقم (٢٣٤٦) وقال: " حديث حسن غريب".

(٥) صحيح البخاري - كتاب الرقائق - باب ما جاء في الصحة والفراغ: ٢٣٥٧/٥ رقم (٦٠٤٩) .

ثالثاً: التعرف على أسس البناء الصحي الواجب اتباعها:

يقوم البناء الصحي السليم عدد من الأسس الواجب التعرف عليها والأخذ بها ضماناً لتحقيق الصحة والسلامة للجسم الإنساني حتى يتمكن من القيام بواجباته في الحياة على الوجه المطلوب. ويعد إهمال هذه الأسس من أهم المشكلات التي يقع فيها كثير من الناس اليوم والتي تؤدي إلى عواقب وخيمة يتضرر منها الإنسان وتتعكس سلباً على أداءه في مختلف مجالات الحياة. ويمكن إيجاز أبرز أسس البناء الصحي السليم فيما يأتي:

١- الاستقامة.

٢- الإيمان بالقضاء والقدر.

٣- الاطمئنان النفسي والابتعاد عن القلق والتوتر.

٤- البعد عن المحرمات.

٥- النظافة المستمرة.

٦- التغذية المفيدة المتوازنة.

٧- إعطاء الجسم حقه من الراحة.

٨- ممارسة الرياضة البدنية.

٩- الوقاية من الأمراض.

١٠- العلاج المبكر.

هذه الأسس وغيرها مما يجب أن يتعرف عليها كل إنسان فضلاً عن أن يكون قائداً أو مرشحاً للقيادة حتى يحافظ على صحة جسمه وسلامة أعضائه^(١).

رابعاً: تحقيق القدرة على التكيف مع متطلبات الحياة والتمتع بطبيباتها:

تتعدد متطلبات الحياة واحتياجاتها بتعدد مناحيها ومجالاتها الأمر الذي يتطلب وجود الجسم القوي القادر على التكيف مع هذه المتطلبات والمتغيرات، ومن هنا كانت دعوة الإنسان لتناول الطبيبات من الرزق لما لها من أثر في تقوية الجانب الجسمي وتحقيق التكيف النفسي. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ }^(٢). وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }^(٣).

فإنه تعالى: "يحب من عباده أن يقبلوا نعمه ويستعملوها فيما أنعم بها لأجله، ويشكروا له ذلك، ويكره لهم أن يجنوا علنا الفطرة التي فطرهم عليها فيمنعوها حقها وأن يجنوا على الشريعة التي شرعها لهم"^(٤).

(١) ينظر: عوامل تنمية الجانب الجسمي في المطلب القادم.

(٢) سورة البقرة: الآية: ١٦٨.

(٣) سورة البقرة: الآية: ١٧٢.

(٤) تفسير المنار: ٢٧/٧.

خامساً: التوازن في إشباع الحاجات الجسمية :

خلق الله U الإنسان وركبه من عنصري المادة والروح ، وأودع كلاً منهما مجموعة من الحاجات الأساسية التي لا غنى له عنها ، كما حدد له الطرق المشروعة الكفيلة بإشباع هذه الحاجات في توازن واعتدال بعيداً عن الإفراط المؤدي إلى البهيمية أوالتفريط الذي يقود إلى الرهبانية فكلاهما أمران ذمهما القرآن الكريم . قال تعالى : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ } (١) . وقال تعالى : { وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا } (٢) .

وتتعدد الحاجات الجسمية لتشمل المأكل والمشرب بالإضافة إلى الإخراج والنوم والجنس ، ولكل أهميتها بالنسبة للجسم وكيفية إشباعها وطريقة السيطرة عليها . قال تعالى : { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } (٣) . وقال تعالى : { وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ } (٤) .

سادساً : التوازن في أداء الحقوق المختلفة :

تتعدد الحقوق الواجب على الإنسان أدائها والقيام بها في هذه الحياة لتشمل حقوق الله U ، وحقوق النفس والأسرة ، والأهل والجيران ، والعمل والمهنة ، الأمر الذي يتطلب قدراً من القوة والحيوية والنشاط الجسمي حتى يتمكن الإنسان من القيام بهذه الحقوق على الوجه المطلوب . قال تعالى : { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً } (٥) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال لي رسول الله ٣ : (ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : فلا تفعل ، صم وأفطر . وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لعينك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزورك عليك حقاً ، وإن لخبسك أن تصوم من كل شهرٍ ثلاثة أيام) (٦) .

(١) سورة محمد الآية: ١٢.

(٢) سورة الحديد: الآية: ٢٧.

(٣) سورة الأعراف: الآية: ٣١.

(٤) سورة المؤمنون: الآيات ٣-٥.

(٥) سورة النساء: الآية: ٣٦.

(٦) صحيح البخاري- كتاب الصيام - باب حق الجسم في الصوم : ٦٩٧/٢ رقم (١٨٧٤) ، صحيح مسلم - كتاب الصيام - باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به : ٨١٣/٢ رقم (١١٥٩) والحديث متفق عليه . ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٢٤/٢ رقم (٧١٥) .

سابعاً : توجيه الطاقات والقدرات الجسمية نحو القيم الفاضلة :

أودع الله U جسم الإنسان مجموعة من الطاقات والقدرات والإمكانات وأوجب عليه الانتفاع بها والاستفادة منها وتسخيرها فيما يحقق سعادته ويعود بالفائدة عليه وعلى مجتمعه ، كما حذره من إساءة استخدامها وتوجيهها فيما يضر به وبالمجتمع . قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (١).

ولعل أبرز القيم الفاضلة التي ينبغي تسخير القدرات الجسمية لتحقيقها تتمثل فيما يأتي :

١- القيام بالواجبات الدينية والشعائر التعبدية :

قال تعالى : { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا } (٢).

٢- القيام بواجبات البناء والإعمار والاستخلاف في الأرض :

قال تعالى : {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا} (٣).

٣- نصره الحق وإقامة العدل :

قال تعالى : {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ

فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} (٤).

٤- الإسهام في عملية التحرير والتغيير :

قال تعالى : { قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ } (٥).

٥- القيام بواجبات الجهاد :

قال تعالى : {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} (٦).

٦- القيام بواجبات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

قال تعالى : {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُقْلِحُونَ} (٧).

(١) سورة النحل: الآية: ٩٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ٩٧.

(٣) سورة الكهف: الآية: ٨٣.

(٤) سورة الحديد: الآية: ٢٥.

(٥) سورة البقرة: الآية: ٢٤٧.

(٦) سورة الأنفال: الآية: ٦٠.

(٧) سورة آل عمران: الآية: ١٠٤.

المطلب الثالث

عوامل تنمية الجانب الجسمي

أولاً: الاغتراب في الزواج وحسن اختيار كل من الزوجين للآخر:

يقوم الزواج في الإسلام على أساس المودة والرحمة والحب والألفة، وهو عشرة وإنسجام وتوافق وتفاعل، والاغتراب في الزواج وحسن الاختيار يحققان هذه المعاني أكثر من زواج الأقارب، ذلك أن مساحة الاختيار في زواج الأقارب تكاد تكون محدودة جداً إن لم تكن معدومة، مما يتسبب في غياب أو ضعف المودة والألفة والانسجام والتفاعل بين الزوجين الأمر الذي ينعكس سلباً على نفسيات الأبناء، فضلاً عما يسببه زواج الأقارب من ضعف النسل وقلة الذكاء نتيجة انتقال الصفات الوراثية من الوالدين إلى الأبناء، ومن هنا كان تأكيد النبي ٣ على اختيار كل من الزوجين للآخر في الحديث الذي ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حيث قال ٣: (خَيْرُوا لِنَفْسِكُمْ وَأَنْكِحُوا الْأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ) (١).

ثانياً: العناية بالزوجة والاهتمام بصحتها نفسياً وجسدياً:

اهتم الإسلام بالأمر وأمر بتوفير الرعاية النفسية والجسدية والصحية لها بتجنيبها الانفعالات المختلفة وتوفير التغذية المناسبة ولاسيما خلال مدة الحمل والإرضاع، بل ذهب إلى أكثر من ذلك عندما أسقط عن المرأة فريضة الصيام إذا خافت على نفسها أو جنينها سواء كان ذلك في مدة الحمل أو الإرضاع وعدها من أهل الأعدار فقال تعالى: { أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ } (٢). وقال تعالى: { وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٍ مَسْكِينٍ } (٣).

ثالثاً: رعاية المولود وحسن تغذيته:

قال تعالى: { وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (٤).

(١) سنن ابن ماجه - كتاب النكاح - باب الأكفاء - ٦٣٣/١ رقم (١٩٦٨). قال ابن حجر: "أخرجه ابن ماجه مرفوعاً، وأخرجه أبو نعيم من حديث عمر أيضاً وفي إسناده مقال ويقوى أحد الإسنادين بالآخر". فتح الباري: ١٢٥/٩.

(٢) سورة الطلاق: الآية: ٦.

(٣) سورة البقرة: الآية: ١٨٤.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٢٣٣.

ففي الآية أمر بإرضاع المولود عامين كاملين إذا احتاج إلى ذلك، وأنه لا يجوز فطامه قبل ذلك إذا كان الفطام يسبب له ضرراً، كما أنه يجوز اتخاذ المرضعة إذا لم يسبب ذلك ضرراً للطفل أو لأمه. وقد أثبتت البحوث الطبية أن الرضاعة الطبيعية من ثدي الأم خير وسيلة لتغذية الطفل من جميع الأوجه، وأن لها أثرها الكبير في عملية بناء وتنمية الجوانب الجسدية والوجدانية والاجتماعية لدى الطفل^(١).

رابعاً: الإيمان والتغلب على الهموم والضغوط النفسية:

تواجه الشخصيات القيادية خلال مسيرة حياتها أنواعاً من المتاعب والمشكلات التي تسبب لها قلقاً وتوتراً وضغطاً نفسياً، ولهذه الأمور آثارها الخطيرة على صحة الإنسان وسلامة جسمه، ومن هنا تأتي حاجة الإنسان إلى العون الإلهي لمواجهة هذه الضغوط والتغلب عليها وهو ما يجده من خلال اللجوء إلى الله U والتوكل عليه والإيمان بقضائه، ذلك أنه لا اطمئنان ولا سعادة للنفس ولا راحة للبال إلا في ظل الإيمان. قال تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ }^(٢).

خامساً: الالتزام بالنظافة والطهارة:

تعد النظافة والطهارة من أهم عوامل صحة الجسم وسلامة نموه، ويقدم ما يهتم الإنسان بطهارة نفسه وثوبه ومكانه بقدر ما يحافظ على جسمه من الأرض والأسقام، ومن هنا كان اهتمام المنهج القرآني بالنظافة حيث عدها أمراً تعبدياً يدخل ضمن الطاعات متى خلصت النيات وصلحت الأعمال، وجعلها شرطاً ومفتاحاً للدخول في الكثير من العبادات وفي مقدمتها الصلاة، كما رفع من مكانة المحافظين عليها والملتزمين بها فقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ }^(٣). وقال تعالى: { وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ }^(٤). وقال ٣: (لا يقبل الله صلاةً بغير طهورٍ ولا صدقةً من غلور)^(٥).

وقد روى النبي ٣ أمته على النظافة والطهارة حفاظاً على صحة الأفراد ووقاية لأجسامهم من الأمراض ، فقد روى أبو هريرة t أن رسول الله ٣ قال: (الفطرة خمس: الختان، والاستحدا^(٦)، وقص الشارب، وتقليم

(١) يراجع: الدور التربوي للوالدين: ١/ ٦٩-٧٣، الطفولة والرضاعة الطبيعية.

(٢) سورة الرعد: الآية: ٢٨.

(٣) سورة البقرة: الآية: ٢٢٢.

(٤) سورة المدثر: الآيات: ٣-٥.

(٥) صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب وجوب الطهارة للصلاة: ١/ ٢٠٤ رقم (٢٢٤).

(٦) الاستحدا: هو حلق العانة. سمي استحداً لاستعمال الحديد وهي الموس. ينظر لسان العرب - مادة حدد ٣/ ١٤٠.

الأظافر، وندف الإبط) (١)، كما روى أبو هريرة **t** أيضاً عن النبي **r** قوله: (حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده) (٢).

ولقد كان **r** أنظف الناس جسماً وملبساً، أظهرهم باطناً وظاهراً، وأطيبهم رائحةً وعرقاً، وفي ذلك يقول أنس بن مالك **t** خادم رسول الله **r**: (ما شممت عنبراً قط، ولا مسكاً، ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله **r**) (٣).

سادساً: الحفاظ على البيئة:

للبيئة الطبيعية مكوناتها المختلفة من تربة وماء وهواء، وطقس ومناخ وتضاريس، والبيئة الاجتماعية بمعتقداتها ومبادئها، وعاداتها وتقاليدها وثقافتها تأثير مباشر وغير مباشر في تصرفات الإنسان وسلوكياته بل وفي نمو شخصيته بشكل عام.

وقد حرص المنهج القرآني على الاهتمام بالبيئة في جوانبها المختلفة، فحذر من التلوث البيئي الناتج عن الاستخدام غير الرشيد لمكونات البيئة وعناصرها، ودعا إلى المحافظة على نقائها ونظافتها من خلال الدعوة إلى عدم تلويث الهواء والماء والأمر بإبعاد الأذى عن الطريق وتنمية المساحات الخضراء (٤). قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمَلُوا لَهُمْ يَرْجِعُونَ} (٥) وقال **r** في الحديث الذي يرويه أبو هريرة **t**: (إتقوا اللعائين. قالوا: وما اللعائان؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس وفي ظلمهم) (٦). وقال **r** في الحديث الذي يرويه أبو هريرة **t** أيضاً: (لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه) (٧).

سابعاً: الابتعاد عن المحرمات:

ما من أمر أحله الله **U** إلا وفيه الخير والبركة والسعادة والفلاح للإنسان في دنياه وأخراه، وما من أمر حرمه إلا وفيه الخسارة والشقاء والتعاسة له في الدنيا والآخرة.

(١) صحيح البخاري - كتاب الاستئذان - باب الختان بعد الكبر وندف الإبط: ٢٣٢٠/٥ رقم (٥٩٣٩)، صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب خصال الفطرة: ٢٢١/١ رقم (٢٥٧) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٦٥/١ رقم (١٤٥).

(٢) صحيح البخاري - كتاب الجمعة - باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل: ٣٠٥/١ رقم (٨٥٦)، صحيح مسلم - كتاب الجمعة - باب الطيب والسواك يوم الجمعة: ٥٨٢/٢ رقم (٨٤٩) واحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١٨٥/١ رقم (٤٩٢).

(٣) صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب طيب رائحة النبي ولين مسه والتبرك بمسحه: ١٨١٤/٤ رقم (٢٣٣٠).

(٤) ينظر: مقومات التربية الجسمية في الإسلام: ١٨٣، ١٨٤، النبي المرابي: ٩٦ - ١٠٥.

(٥) سورة الروم: الآية: ٤١.

(٦) صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال: ٢٢٦/١ رقم (٢٦٩).

(٧) صحيح البخاري - كتاب الوضوء - باب البول في الماء الدائم: ٩٤/١ رقم (٢٣٦)، صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب النهي عن البول في الماء الراكد: ٢٣٥/١ رقم (٢٨٢) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٦٩/١ رقم (١٦١).

وقد أحل الله تعالى الطبيبات ورجب فيها ووسع دائرتها وأطلقها، وحرّم الخبائث وضيق دائرتها وقيدتها وحذرمنها لما تعود به من الأضرار المادية والمعنوية على الإنسان. قال تعالى: { وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثُ }^(١).

والمحرمات أنواع بينها الله U في كتابه الكريم وفصلها نبيه ٣ في سنته، ومن أبرز المحرمات التي يجب الابتعاد عنها لأضرارها الجسيمة فضلاً عن أضرارها الأخرى:

١- المحرمات من الأطعمة:

كالميتة وما يلحق بها من الدم ولحم الخنزير وغيرها من الحيوانات التي تموت بغير ذكاة شرعية، وكذلك لحوم الأهلية وكل ذي ناب من السبع وكل ذي مخلب من الطير^(٢). قال تعالى: { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لغيرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَنْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرٍ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }^(٣).

٢- المحرمات من الأشربة:

وأهمها الخمر والمخدرات بأنواعها المختلفة والتي حرّمها الشارع لكثرة الأضرار الناتجة عنها صحياً وعقلياً وخلقياً واجتماعياً ونفسياً واقتصادياً^(٤)، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ }^(٥).

٣- المحرمات من الأخلاق:

وفي مقدمتها الزنا واللواط والتي حرّمها الشارع الحكيم لشدة تأثيرها على صحة الإنسان وسلامة جسمه، بالإضافة إلى خطورتها على حياة المجتمعات^(٦)، قال تعالى: { وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَةَ إِتْنَهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا }^(٧). وقال تعالى: { أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ }^(٨).

(١) سورة الأعراف: الآية: ١٥٧.

(٢) ينظر: تربية الأولاد في الإسلام: ٢/ ٩٥٣-٩٥٥، الفقه الواضح- د. محمد بكر إسماعيل - ط: ٢- دار المنار- القاهرة: ٢/ ٣٦٩-٣٧٤.

(٣) سورة المائدة: الآية: ٣.

(٤) ينظر: تربية الأولاد في الإسلام: ١/ ٢٣٠-٢٣٢، الفقه الواضح: ٢/ ٢٧٨-٢٨٤.

(٥) سورة المائدة: الآيات: ٩٠-٩١.

(٦) ينظر: تربية الأولاد في الإسلام: ١/ ٢٣٠-٢٤٤، الفقه الواضح: ٢/ ١٩١-٢٢٨.

(٧) سورة الإسراء: الآية: ٣٢.

(٨) سورة الشعراء: الآيتان: ١٦٥، ١٦٦.

ثامناً: التزام القواعد الصحيحة في التغذية:

يعد الغذاء من أعظم نعم الله U على خلقه، كما أنه يمثل دليلاً على عظيم قدرة الخالق سبحانه وتعالى وإبداعه وهو ما يتجلى في تعدد أنواعه وأصنافه واختلاف أشكاله وألوانه، كما أنه يعد من أهم العوامل المؤثرة في بناء وتنمية الجسم الإنساني ومنحه الحيوية والنشاط؛ حيث تدخل مكوناته وعناصره المختلفة في تركيب جميع خلايا الجسم. فتسهم في بنائها وتتميتها ومنحها الطاقة التي تمكنها من العمل والنشاط وتقيها من الأمراض والأسقام^(١). قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً }^(٢).

وحتى يكون الغذاء مفيداً للجسم واقياً له من الأمراض لابد أن تتوفر فيه عدد من الشروط والمواصفات

التي من أبرزها:

- ١- أن يكون حلالاً.
- ٢- أن يكون جيداً ومفيداً للجسم.
- ٣- أن يكون نظيفاً.
- ٤- الاعتدال والتوازن.
- ٥- مراعاة التنوع في الغذاء.
- ٦- مراعاة القواعد الصحية عند الغذاء.
- ٧- مناسبة المرحلة العمرية ونوع النشاط الذي يقوم به الإنسان.^(٣)

تاسعاً: إعطاء الجسم حقه من النوم والراحة:

يحتاج جسم الإنسان إلى قسط يومي من الراحة والنوم حتى يتمكن من التخلص من تعبته وعنائه، واستعادة حيويته ونشاطه وتتم عملية بنائه وترميمه، الأمر الذي يمكنه من أداء وظائفه على الوجه المطلوب، وقد ثبت أن عدم حصول الجسم على قسط كافٍ من النوم والراحة ينتج عنه الإجهاد الجسدي، والاضطراب النفسي، وضعف النشاط العقلي. قال تعالى: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ }^(٤).

ويتحقق حصول الجسم على الراحة عن طريق التوقف عن العمل أياً كان نوعه، أو بالتمدد والاسترخاء والنوم ولو لوقت يسير، كما يتحقق بتغيير وضع الجسم ومزاولة بعض التمارين الرياضية الخفيفة التي تعمل على تجديد حركة التنفس ونحو ذلك مما يطرد عن الجسم الكسل والخمول ويعيد له الحيوية والنشاط^(١).

(١) ينظر: مقومات التربية الجسمية في الإسلام: ٥٧-٥٨.

(٢) سورة البقرة: الآية: ١٦٨.

(٣) يراجع: صحيح البخاري- كتاب الأطعمة، الطب النبوي- ابن القيم الجوزية- ط: ٧- دار إحياء التراث العربي - بيروت: ١٧١، ١٧٠،

المؤمن القوي- طه الساعي- طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة: ٧٧-١٠٦، الدور التربوي للوالدين: ١/٨٥-٩٣.

(٤) سورة القصص: الآية: ٧٢.

(١) ينظر: مقومات التربية الجسمية في الإسلام: ١٠٣.

وتختلف الحاجة إلى النوم والراحة من شخص لآخر تبعاً لعامل السن والصحة العامة، وظروف العمل، فضلاً عن الظروف البيئية والمعيشية.

وهناك العديد من القواعد الصحية التي يجب اتباعها عند النوم وجميعها مما أرشد إليه النبي ﷺ وفي

مقدمتها:

- ١- النوم المبكر وعدم السهر إلا لضرورة.
- ٢- الوضوء وقراءة الأذكار الواردة قبل النوم.
- ٣- نفض الفراش لإبعاد ما قد يعلق به من الحشرات والجراثيم.
- ٤- النوم على الشق الأيمن.
- ٥- النوم في المكان المظلل الذي يتميز باعتدال الحرارة والبرودة.
- ٦- التوسط والاعتدال في النوم.
- ٧- تعويض ما فات من نوم الليل.
- ٨- عدم النوم في الأوقات المنهي عن النوم فيها كنوم بعد الفجر وبعد العصر.
- ٩- الاستيقاظ المبكر. (٢)

عاشراً: ممارسة الرياضة البدنية :

يحرص المنهج القرآني على بناء الجسم الإنساني بناءً صحيحاً يكسبه الصحة والسلامة والقوة والحيوية والنشاط، وبما يمكنه من القيام بمتطلبات الحياة وأداء الوظائف المناطة به، ولذلك أكد على أهمية الرياضة بمختلف أنواعها كعامل من عوامل بناء الجسم وإعداده. قال تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } (٣).

والمراد بالرياضة البدنية كل أنواع النشاط البدني التي يؤديها الإنسان ويستخدم فيها جسمه كله (٤)،

وهي " وسيلة إلى حفظ الجسم، ورفع طاقته، وتزويد من كفاءته في الإنتاج، وتؤدي إلى تنشيط الدورة الدموية فيه وتساعد على تعويض خلاياه، وتمكنه من التنفس النقي السليم، وتقوي بدنه وتنمي عضلاته، وتؤدي إلى تحسين وظائف القلب وأجهزة التنفس فينطلق المكلف لتأدية التكاليف الربانية بنشاط وحيوية فائقة، ونفس زاكية مسرورة، وعقل متقد مستنير" (٥).

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: " والحركة.. تسخن الأعضاء، وتسيل فضلاتها، فلا تجتمع على طول الزمان، ويعود البدن الخفة والنشاط، ويجعله قابلاً للغذاء، ويصلب المفاصل.. ويؤمن جميع الأمراض المادية، وأكثر الأمراض المزاجية إذا استعمل القدر المعتدل منه في وقته" (١).

(١) ينظر: تربية الأولاد في الإسلام: ٢/ ١٠٥٧، ١٠٥٨.

(٢) سورة الأنفال: الآية: ٦٠.

(٣) ينظر: مقومات التربية الجسمية في الإسلام: ١١١.

(٤) تربية النبي ﷺ لأصحابه: ٢٦٨.

(٥) الطب النبوي: ١٩٢.

والرياضة البدنية بجميع أنواعها وألوانها مأمور بها شرعاً حيث ثبت عن النبي ٣ وصحابته الكرام ممارستهم للعديد من أنواع الرياضة ومن أبرزها رياضة المشي والسباق والرمي بأنواعه وغير ذلك من أنواع الرياضة التي تعود بالفائدة على جميع أجزاء الجسم وتكسبه اللياقة العالية^(١).

وهناك بعض الأمور التي يجب مراعاتها عند ممارسة الرياضة ومنها التوازن والاعتدال بحيث لا تطغى ممارسة الرياضة على الواجبات الأخرى، ومناسبتها للجسم والعمر والمركز الاجتماعي، وكذا توفر البيئة الصالحة التي تمارس فيها الرياضة، وأن يكون الهدف منها إرضاء الله U ، والحفاظ على صحة الجسم، وإكسابه القدرة على القيام بمتطلبات الحياة ومواجهة الأعداء، فضلاً عن موافقة الشرع فلا يكون فيها كشف للعورات، أو اختلاط بين الجنسين، أو تأخر عن الصلاة، أو تضييع للوقت، أو تلفظ بالبذيء من الكلام.

الحادي عشر: الوقاية^(٢) من الأمراض والأسقام:

يفتقر كثير من الناس إلى المعلومات الصحية الضرورية، والعادات الغذائية السليمة، ويقعون في ممارسات صحية ممنوعة، وعادات سلوكية ضارة دون وعي بخطورة ذلك، أو معرفة بالانعكاسات الخطيرة التي قد يخلفها ذلك على صحتهم وسلامة أجسامهم، وكل ذلك ناتج عن الجهل وعدم وجود الوعي الصحي لدى هؤلاء الأفراد.

ولذلك كله تبذل الدول جهوداً كبيرةً في عمليات التحصين والوقاية ، وتعمل على توفير الخدمات الصحية كحق أساسي لجميع الأفراد ؛ إدراكاً منها إن في صحة الأفراد وسلامتهم صحة الدولة وعافيتها، والحفاظ على استقلالها واستقرارها وزيادة إنتاجها^(٤).

ورغم كل ذلك فإن الدول العربية والإسلامية لا تزال تعاني من التخلف الصحي وانتشار الأمراض والأوبئة التي تخلصت منها الدول الأخرى منذ فترات طويلة، ولعل هذا الأمر ناتج عن أسباب كثيرة تتمثل في انعدام الوعي الصحي السليم، وتقديم الطب العلاجي على الوقائي، فضلاً عن قلة اهتمام المؤسسات التربوية بأمر الصحة^(٥).

إن تحقيق أكبر قدر ممكن من الصحة والحيوية للأفراد والمجتمعات يتوقف على مدى الاهتمام بالجانب الوقائي ونشر الوعي الصحي بين الأفراد، وهناك بعض العوامل المؤدية إلى ذلك ومن أبرزها:

- ١- الاهتمام بالأمومة والطفولة ، وتكوين الوعي الصحي والغذائي، وتحقيق الرعاية الصحية المتكاملة.
- ٢- جعل الوعي الصحي والثقافة الصحية ضمن محتويات المنهج الدراسي.
- ٣- الاهتمام بالتربية الغذائية وجعلها ضمن محتويات المنهج الدراسي.

(١) يراجع: صحيح البخاري- كتاب الجهاد والسير ، الطب النبوي: ١٩٣ ، تربية النبي ٣ لأصحابه: ٢٦٨ - ٢٧٣.

(٢) الوقالية: هي "الإجراءات التي تتخذ لمنع حدوث الأمراض أو وقف انتشارها، وهي من المبادئ الواجب اتباعها للمحافظة على صحة الأفراد". الموسوعة العربية الميسرة - إبراهيم مذكور وآخرون - طبعة دار الشعب القاهرة : ٢ / ١٩٥٤.

(٤) ينظر: مشكلات الشباب: ١٣٤ ، ١٣٥.

(٥) ينظر: علم الاجتماع التربوي: ١٠٧ ، ١٠٨.

٤- إيجاد الوسط الصحي المناسب لمعيشة الإنسان وحركته من ماء صالح، وهواء نقي، وإضاءة كافية، وتوفير المستلزمات الضرورية لحياة الإنسان في البيت والمدرسة وفي مختلف مؤسسات المجتمع.

٥- إعطاء حيز أكبر للتثقيف الصحي في وسائل الإعلام المختلفة^(١).

لقد اهتم المنهج القرآني بتكوين الوعي الصحي ونشر الطب الوقائي بين أفراد المجتمع اهتماماً كبيراً،

وهناك بعض الأسس التي يقوم عليها نظام الطب الوقائي في الإسلام ومن أبرزها ما يأتي:

١- المحافظة على النظافة كسلوك شخصي واجتماعي.

٢- تطبيق نظام الحجر الصحي.

٣- الوقاية من الأمراض الجنسية.

٤- اتباع القواعد الصحية في التغذية.

٥- الانتظام في ممارسة الرياضة.

٦- اجتناب المحرمات من المأكولات والمشروبات.

٧- اجتناب المعاصي والمنكرات.

٨- اجتناب العادات السيئة.

٩- الاهتمام بعلاج أمراض القلوب من حقدٍ وحسدٍ وكبرٍ ، فضلاً عن الغضب وسرعة الانفعال وغيرها من الأمور المؤثرة على الحالة النفسية والعصبية للإنسان^(٢).

الثاني عشر: استخدام العلاج الطبي:

اهتم المنهج القرآني بصحة الإنسان فحرص على معالجته من كل ما قد يصيبه من الأمراض

الجسمية والنفسية والعقلية، حتى يتمكن من الحياة بصحةٍ ونشاطٍ ويؤدي واجباته المختلفة على الوجه المطلوب.

ومن هنا حث المنهج القرآني على التداوي من الأمراض المختلفة مع الإيمان التام والاعتقاد الجازم أن

الدواء سببٌ في حصول الشفاء وأن الشافي حقيقةً إنما هو الله **U**. قال تعالى: **{وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}** ^(٣).

وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة **t** قال: قال رسول الله **r**: **{مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً}** ^(٤).

وللدواء أثر في دفع المرض وتحقيق الشفاء بإذن الله، أو تسكين الألم ومنع الإحساس به، أو الوقاية

من المرض ومنع انتشاره^(١)، فينبغي على الإنسان عند إصابته بالمرض المبادرة باللجوء إلى الله **U** في كشف

ما أصابه، والإسراع في معالجة المرض باستخدام الأدوية المباحة شرعاً. قال تعالى: **{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ}**

(١) ينظر: المصدر السابق: ١٠٩ ، ١١٠ ، مشكلات الشباب: ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٢) يراجع: الطب الوقائي من القرآن والسنة- د. عبد الباسط محمد السيد- ط: ١- دار الفا للنشر والتوزيع- مصر .

(٣) سورة الشعراء: الآية: ٨٠ .

(٤) صحيح البخاري - كتاب الطب - باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء : ٢١٥١/٥ رقم (٥٣٥٤) .

(١) ينظر: مقومات التربية الجسمية في الإسلام: ٨٦ .

وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝ }^(٢). وقال تعالى: { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝ }^(٣). وقد ثبت أن النبي ﷺ سئل عن الخمر يجعل في الدواء. فقال: (إنما ليس بدواء ولكنه داء)^(٤).

وإذا تبين ذلك فلا بد من الإشارة إلى أن المباح نوعان: حسي ومعنوي، فالحسي يتمثل في المواد الطبيعية والمركبات الكيميائية، ويدخل فيه العسل والماء والحبة السوداء والثوم وزيت الزيتون وأنواع أخرى من الأطعمة والأشربة، ويلحق بهذا النوع من الدواء الحسي المشي والحجامة والكي بالنار وإن عد الكي آخر الدواء. قال تعالى عن العسل: { فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۝ }^(٥). وقال ﷺ: (إن كان في أدويةكم خير - أو يكون - ففي شرطة محجم، أو شربة عسل، أو لذغة بنار توافق داءً وما أحب أن أكوني)^(٦).

وأما النوع الثاني من الدواء المباح وهو المعنوي فيشمل قراءة القرآن الكريم والدعاء، والرقى الشرعية بالقرآن الكريم وصحيح الأذكار الواردة عن النبي ﷺ، بعيداً عن الشرك والشعوذة والرقى غير المشروعة^(٧). قال تعالى: { وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ }^(٨). وقد ثبت أن جبريل ﷺ رقى النبي ﷺ، وأن النبي ﷺ رقى نفسه وأصحابه رضوان الله عليهم، وأن الصحابة الكرام رقى بعضهم بعضاً^(٩). وهكذا نجد التنوع في العلاج ما بين معنوي يشمل القرآن والدعاء والرقى؛ لتقوية الإيمان ورفع الروح المعنوية ودفع الأرواح الشريرة، وحسي يشمل العلاج بالحمية والمواد الطبيعية والتدخل الجراحي، وكل ذلك بهدف الحفاظ على صحة الإنسان وسلامته النفسية والجسمية حتى يتمكن من القيام بواجباته على الوجه المطلوب.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٤٥.

(٣) سورة الأنبياء: الآية: ٨٣.

(٤) صحيح مسلم - كتاب الأشربة - باب تحريم التداوي بالخمر: ١٥٧٣/٣ رقم (١٩٨٤).

(٥) سورة النحل: الآية: ٦٩.

(٦) صحيح البخاري - كتاب الطب - باب الشفاء في ثلاث: ٢١٥٢/٥ رقم ٥٣٥٧، صحيح مسلم - كتاب السلام - باب لكل داء دواء واستحباب التداوي: ١٧٢٩/٤ رقم (٢٢٠٥) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٨١/٣ رقم (٤٢١).

(٧) يراجع: الطب النبوي: كتاب الأمراض والكفارات والطب الرقيات - محمد بن عبد الواحد ضياء الدين المقدسي - تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري ط٢ - دار ابن عقان - القاهرة.

(٨) سورة الإسراء: الآية: ٨٢.

(٩) يراجع: صحيح البخاري - كتاب الطب، صحيح مسلم - كتاب السلام.

المبحث الثامن الجانب الاقتصادي

المطلب الأول مفهوم الجانب الاقتصادي وأهميته

الاقتصاد من اقتصد، واقتصد في الأمر توسط واعتدل فيه فلم يُفْرِطْ ولم يُفْرِطْ ومنه قوله تعالى: { فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ }^(١) أي معتدل، وعليه فالمقتصد هو الذي لا يسرف ولا يفتقر^(٢). قال تعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا }^(٣).

وتنمية الجانب الاقتصادي تعني الارتقاء به عن طريق القيام بمجموعة من الأنشطة التي تستهدف تحقيق قدر من الرخاء المادي المناسب لتفعيل جوانب الشخصية الإنسانية حتى تتمكن من القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض^(٤)، بمعنى أن تحسين الوضع الاقتصادي والحياة المعيشية للإنسان ليس هدفاً في حد ذاته وإنما هو وسيلة لتحسين الأداء الإنساني وتفعيله في مختلف مجالات الحياة.

ويعد المال عصب الحياة والمحرك الرئيس لكثير من الجوانب في حياتنا المعاصرة، وتتأكد أهميته من خلال تحكمه في مجالات الحياة المختلفة، وتأثيره في جوانب الشخصية الإنسانية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وذلك من خلال حاجة هذه الجوانب إلى إشباع رغباتها وتحقيق أهدافها، أو القيام بعملية بناء وإعداد الذات وكل ذلك يتوقف على مدى توفر الإمكانيات البشرية والمادية.

بل إننا إذا أردنا التخفيف من ضغط الجانب الاقتصادي على الحياة المعيشية والتقليل من آثاره الواضحة على جوانب الحياة الأخرى عن طريق تغيير بعض القيم المادية وإعلاء شأن القيم والمثل الروحية والأخلاقية مثل: الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة، والتوجه نحو العلم والمعرفة، وتوثيق العلاقات الإنسانية فإننا نحتاج إلى إمكانيات مادية ضخمة لتمويل الدراسات والبرامج والمؤسسات والهيئات المعدة والمنفذة لهذا العمل^(٥).

وقد كان المنهج القرآني مدركاً لهذه الحقيقة حين وجه أتباعه إلى عدم الانقطاع عن الحياة الدنيا، بدعوى الزهد والتقشف ودعاهم إلى أخذ حظهم منها، وهو ما ندركه من خلال قوله تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ

(١) سورة فاطر: الآية: ٣٢.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة- مادة قصد: ٨٥٩، لسان العرب - مادة قصد: ٣/٣٥٣.

(٣) سورة الفرقان: الآية: ٦٧.

(٤) ينظر: مدخل إلى التنمية المتكاملة: ٣٣٣، ٣٣٤.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢٩.

الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنَسْ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } (١). وقوله ٣ لعمر بن العاص t: (يا عمرو نعماً بالمال الصالح للمصالح) (٢).

إن هناك أسباباً كثيرة توجب ضرورة الاهتمام بتربية الشخصية الإنسانية عموماً وتربية اقتصادية تضمن لها القدرة على توفير العيش الكريم ومواجهة متطلبات الحياة، وتتأكد هذه الضرورة في حق الأفراد الذين يعدون لتحمل المسؤولية في أممهم ومجتمعاتهم، ولعل أهم هذه الأسباب يكمن في الآتي:

١- إرتباط عملية الإصلاح والتغيير بالجانب الإقتصادي :

تتوقف عملية الإصلاح والتغيير على مدى توفر الخطط والبرامج، ووجود الخبرات والمؤسسات التي ستتولوا لإعداد والتنفيذ والإشراف على عملية التغيير حتى ولو كانت متعلقةً بفرد واحد من أفراد الأمة.

٢- المحافظة على القيم المبادئ:

حين يضعف الجانب الاقتصادي وتزداد الأوضاع المعيشية سوءاً ولا يجد كثير من الناس قوت يومهم أو ثمن الدواء لأطفالهم فلاشك أن أول ما يتبادر إلى أذهانهم هو التفكير في كيفية الحصول على لقمة العيش و ثمن الدواء، ويندفعون بوعي أو بدون وعي إلى معالجة مشكلاتهم وفق أنماطهم الخاصة الأمر الذي يضطر الكثير منهم إلى التضحية بالقيم والمبادئ التي هي في الحقيقة قيم المجتمع ومبادئه.

إن العقل قد يفكر ويدل على أساليب الربح والفوز لكنه لا يمنع من ارتكاب المخالفات لتحقيق ذلك، لأن هذه مهمة القيم والمبادئ والأخلاق التي يتحصن بها الإنسان، فإذا هبطت القيم وضاعت المبادئ وضعفت الأخلاق فقد العقل سيطرته وأصبح عبداً لشهوات الإنسان وغرائزه (٣).

٣- توفير الحد الأدنى من الحياة الكريمة:

يعيش الكثير من الناس اليوم دون مستوى خط الفقر ولا سيما في الدول العربية والإسلامية، وأصبح توفير الحد الأدنى من ضرورات الحياة وليست الحياة الكريمة أمراً شاقاً وفوق الطاقة ، فقد تعقدت أساليب الحياة، وارتفع الغلاء ، وانتشرت البطالة، وضاعت فرص التعليم وزادت متطلبات الإعداد العلمي أو المهني الذي يؤهل الإنسان للحصول على عمل مناسب، بل وأصبح الموظفون في كثير من البلاد في عداد الفقراء، حيث لم يعد دخل الموظف كافياً للزواج وتكوين أسرة أو امتلاك بيت بل ولا تعليم طفل أو معالجة مريض، الأمر الذي يدعو إلى التفكير الجاد والاهتمام بتحسين الجانب الاقتصادي وإلا فستكون الكارثة التي تصيب الجميع (٤). قال تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (٥).

(١) سورة القصص: الآية: ٧٧.

(٢) مسند أحمد ٢٠٢/٤. قال الهيثمي: "رواه أحمد والطبراني وأبو يعلى ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح". مجمع الزوائد: ٦٤/٤

(٣) ينظر: مدخل إلى التنمية المتكاملة: ٢٠-٢٢ ، ٣٤-٣٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ١٨-٢٠.

(٥) سورة الأنفال: الآية: ٢٥.

٤- تحقيق النمو الصحيح والسريع للإنسان والمجتمع:

إن معاناة العديد من الأفراد والمجتمعات من نقص الغذاء وسوء التغذية تنذر بعواقب وخيمة ولاسيما في أوساط الأطفال حيث يؤدي نقص الغذاء إلى أنواع من الإعاقات الجسدية والعقلية والنفسية وانتشار الأمراض والأوبئة المعدية التي تتطلب مكافحتها والقضاء عليها جهداً كبيراً وإمكانات ضخمة لا تقوى عليها الكثير من الدول.

وقد أظهرت الدراسات أن الأطفال الذين يعانون من سوء التغذية متخلفون سنة عن مائثلهم من الذين تتوفر لهم التغذية المناسبة من حيث النمو العضوي والعقلي، كما أظهرت أن سوء التغذية يؤدي إلى ضعف التركيز والهمة والرغبة في الإنجاز، وإلى الترك المبكر للدراسة وصعوبة إقامة علاقات إيجابية مع الآخرين، وهذا كله يعني ظهور جيل معوق لا يصلح للعيش في العصر الحاضر فضلاً عن التفاعل معه ومواجهة تحدياته^(١). قال تعالى: { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْنا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }^(٢).

٥- تقليص حجم المشكلات الناجمة عن البطالة:

إن الاهتمام بتنمية الجانب الاقتصادي شرط أساسي للتخفيف من الآثار الناجمة عن البطالة التي أصبحت مشكلة كبيرة في كثير من الدول حيث الركود الاقتصادي وانعدام فرص العمل وضعف الأجور. وليست آثار هذه المشكلة محصورة في فقد الإنسان مصدر دخله وقوته فحسب ، بل تتجاوز ذلك إلى الآثار النفسية والاجتماعية والسلوكية الخطيرة وفي مقدمتها فقدان العاطل لاحترام نفسه وثقته بذاته، أو انهيار حياته الزوجية وتفكك أسرته وتشرذم أطفاله، وأسوأ من ذلك كله الفراغ القاتل الذي قد يدفعه إلى الانحراف الكامل والإقدام على العديد من التصرفات التي تضر به وبأسرته ومجتمعه^(٣).

٦- التحرر من التبعية بألوانها المختلفة:

يصعب على الإنسان أن يحيا كما يريد وأن يعيش حراً كريماً منسجماً مع ذاته مطبقاً لقيمة ومبادئه وهو يزرع تحت ضغط الحاجة ووطأة المعاناة وكذلك الأمر بالنسبة للأمم والشعوب، فلا ولاية لأحد على نفسه في ظل ظروف متدهورة وحالة معيشية صعبة، واعتماد على الآخرين في كل ما يتعلق بالذات ابتداءً من نوع الحذاء وقطعة القماش مروراً بكسرة الخبز وزجاجة الدواء وانتهاءً بنظام الحكم وطريقة الحياة^(٤). إنها العبودية الكاملة والتبعية المقيتة التي تحرم التابع من حرية التفكير وإبداء الرأي، وتمنعه من المشاركة الفاعلة في تنظيم حياته وتقرير مصيره ، وتجعل منه نسخة مشوهة من المتبوع ومركزاً لنفائاته المادية والمعنوية.

(١) ينظر: مدخل إلى التنمية المتكاملة: ١١ ، ١٢ .

(٢) سورة النحل: الآية: ٧٥.

(٣) ينظر: مدخل إلى التنمية المتكاملة: ١٢ ، ١٣ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ١٣ ، ١٤ .

٧- تقليص التفاوت الكبير في الدخل:

يقر المنهج القرآني مبدأ تفاوت الدخل بين الأفراد على أساس اختلاف القدرات والمواهب والإمكانات ولا يحرم أحداً من التمتع بما لديه من ممتلكات مشروعة ، لكنه في الوقت ذاته يحرص على تحقيق التوازن الاجتماعي، وإزالة الأحقاد والأضغان التي قد تنشأ بسبب التفاوت الكبير في مستوى الدخل وظهور الطبقة بين أفراد المجتمع. قال تعالى: { أَهْمُ يَفْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ }^(١).

إن خطورة التفاوت الكبير في مستوى الدخل تتمثل في تقسيم المجتمع إلى طبقات، وما قد ينشأ عن ذلك من تنافر اجتماعي وإنقسام ثقافي يظهر من خلال وجود مناطق وأحياء خاصة بالأثرياء وأخرى بالفقراء ولكل ثقافته في التعامل ونظرته للحياة مما يترتب عليه نوع من تضاد المصالح والمواقف^(٢).

إن انعكاسات الجانب الاقتصادي المتدهور وتأثيرات الحياة المعيشية الصعبة لا تقتصر على ضعف تنظيم الفرد لشؤونه وترتيب أولوياته وتحقيق ولايته على ذاته، وإنما تتجاوز ذلك إلى ضعف قدرته على الكسب المعرفي والنمو العقلي والاستقرار النفسي، فضلاً عن ضعف الالتزام الخلقى والتكيف الاجتماعي، وجميعها قضايا ذات أهمية بالغة ولاسيما في عصر تتطلب الحياة الكريمة فيه تسخير جميع الطاقات والقدرات الذاتية.

وقد أثبتت العديد من الدراسات تأثير المستوى المعيشي على بقية جوانب الشخصية الإنسانية، الأمر الذي يفرض مزيداً من التفكير الجاد لإيجاد الحلول المناسبة لمعالجة هذا الاختلال الرهيب، وليس هناك من حل سوى الاتجاه إلى تنمية قيم القناعة والزهد والحرية والمساواة والعدالة والتعاون، وبالمقابل العمل على تنمية الجانب الاقتصادي والدفع بالأفراد إلى ميادين العمل والإنتاج، وتعليمهم فنون إدارة الموارد والإعتدال في الإنفاق وطرق الكسب المشروع.^(٣)

المطلب الثاني

أهم القيم الاقتصادية الواجب اكتسابها

(١) سورة الزخرف: الآية: ٣٢.

(٢) ينظر: مدخل إلى التنمية المتكاملة: ٣٢ - ٣٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٨ - ٤٤.

أولاً: الإيمان أن الرزق مكتوب وأن الله لا متكفل به:

خلق الله الخلق وتكفل برزقهم وهذه حقيقة يجب على الإنسان أن يعتقدتها في قراره نفسه لما لها من أثر كبير في تحقيق القناعة بالموجود والرضى بالمقسوم. قال تعالى: { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا } (١) إلا أن ذلك لا يعني المساواة التامة بينهم في مقدار الدخل ومستويات المعيشة ، فقد اقتضت الحكمة الإلهية تفاوت المعاش واختلافها تبعاً لتفاوت الطاقات والقدرات والإمكانات تحقيقاً للتكامل وتنوعاً للإبتلاء. قال تعالى: { وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ } (٢). ومع ذلك فإن النظام الإسلامي يكفل تكافؤ الفرص في العيش والكسب، ويوفر وسائله لجميع أفراد المجتمع ثم يتيح لهم المجال للتنافس والتمايز حسب طاقاتهم وجهودهم.

ثانياً: الفهم الصحيح لقضية التوكل:

يعتقد كثير من الناس أنه ما دام الرزق مقدراً فلماذا التخطيط والتفكير، ولماذا التعب والعناء طلباً للرزق وبحثاً عنه، وهذا انحراف في فهم حقيقة التوكل والإيمان بالقضاء والقدر، وتبرير لحالة الكسل والبطالة التي يعاني منها كثير من الناس اليوم ؛ لأن الفهم الصحيح لحقيقة التوكل لا يتنافى مع سنة الأخذ بالأسباب والسعي في طلب الرزق، وهو ما دل عليه القرآن الكريم والسنة وفعل السلف الصالح من هذه الأمة. قال تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } (٣). وقال في الحديث الذي يرويه عمر بن الخطاب t: (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماساً وتروح بطاناً) (٤). ومعلوم أن الطيور لا تجلس في أعشاشها انتظاراً للرزق، وإنما تقضي يومها في حركة وتنقل من مكان إلى آخر طلباً للرزق وبحثاً عن لقمة العيش.

ثالثاً: تحقيق الحياة الكريمة:

إن من أبرز متطلبات الحياة الكريمة ما يتعلق بتوفير الكفاية الاقتصادية التي يؤدي فقدانها إلى ذل الفقر وقهر الحاجة، وما يرافق ذلك من انعكاسات سلبية على شخصية الإنسان، ولذلك حرص المنهج القرآني على توفير الحياة الكريمة لأتباعه، بما يملكه من مقومات وبما يحثهم عليه من بذل الجهد والعمل، بينما يلهث أتباع المناهج الأخرى بحثاً عن أي نوع من أنواع الحياة ولو كانت حياة بهيمية . قال تعالى: { مَنْ عَمِلْ صَالِحًا

(١) سورة هود: الآية: ٦

(٢) سورة النحل: الآية: ٧١.

(٣) سورة الملك: الآية: ١٥.

(٤) أسنن الترمذي-كتاب الزهد- باب التوكل على الله: ٥٧٣/٤ رقم (٢٣٤٤). وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح لانعرفه إلا من هذا الوجه".

مِنْ ذَكَرُوا أَنَّنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ۗ} (١). وقال تعالى مبيناً حالة غير المؤمنين: {وَلَتَجِدَنَّهٗمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ۗ} (٢) و الفرق كبير بين الحياة الطيبة والحياة المجردة من أي معنى سوى أنها حياة.

رابعاً: تصحيح النظرة إلى المال:

المال عصب الحياة وزينتها وطريق النهضة ووسيلتها، به تقام مصالح العباد وعلى أساسه يشاد العمران، ولا يستغني عنه إنسان ولا تنهض بدونه أمة، فبالمال تعمر الحياة المادية وبالبنين تعمر الحياة الإنسانية، وما من إنسان ولا مجتمع يعيش على الأرض إلا ويقدر المال لا لذاته وإنما لمنفعته وما يحققه من مصالح ويوفره من وسائل الحياة الطيبة والعيش الكريم. قال تعالى: { الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً } (٣).

ومن هذا المنطلق كانت نظرة المنهج القرآني للمال واهتمامه به وتقديره لقيمته، حيث اتخذ موقفاً وسطاً بين من يعد المال شراً يجب التخلص منه وبين من يعده غاية يجب الوصول إليها بمختلف الطرق والوسائل (٤). إن المنهج القرآني يربي أتباعه على الاهتمام بالمال والنظر إليه نظرة موضوعية لا شطط فيها ولا انحراف، انطلاقاً من الدوافع الفطرية لحب المال واعتباره خيراً ونعمة، وكراهة الفقر واعتباره بلاءً وعقوبة. قال تعالى: {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا} (٥). وقال تعالى: {وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى} (٦). وقال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَزِيَّةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَّاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۗ} (٧).

وكراهة الفقر ليست اعتراضاً على القضاء بل لما يتسبب فيه من إذلال الإنسان تعريضه لحياة الشدة والضنك، وبالمقابل فإن حب المال ليس لذاته بل بسبب تمكينه الإنسان من الحصول على طيبات الحياة والاستغناء عما في أيدي الناس (٨)، وفي ضوء هذا المعنى يفهم قول النبي ﷺ لعمر بن العاص t: (يا عمرو نعماً المال الصالح للـصالح) (٩).

وقوله ﷺ لسعد بن أبي وقاص: (إنك أن تذر ورثتك أغنياً خير من أن تذرهم عالةً يئسكفون الناس) (١٠).

(١) سورة النحل: الآية: ٩٧.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٩٦.

(٣) سورة الكهف: الآية: ٤٦.

(٤) ينظر: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده: ٢٠٨، منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع: ٢٤١.

(٥) سورة الفجر: الآية: ٢٠.

(٦) سورة الضحى: الآية: ٨.

(٧) سورة النحل: الآية: ١١٢.

(٨) ينظر: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده: ٢٠٩، النبي المربي: ٤٧٤، ٤٧٥.

(٩) سبق تخريجه: ص ٣٤١.

(١٠) صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب رثى النبي سعد ابن خولة: ٤٣٥/٣ رقم (١٢٣٣)، صحيح مسلم - كتاب الوصية - باب الوصية بالثلث: ١٢٥٠/٣ رقم (١٦٢٨) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١٨٨/٢ رقم (١٠٥٣).

ومن أهم القيم الاقتصادية التي يقرها المنهج القرآني أن المال في الحقيقة مال الله تعالى وأن الإنسان مستخلف فيه انطلاقاً من قوله تعالى: { وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ } (٢).

قال الزمخشري: "يعني أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها، وإنما مولكم إياها، وخولكم الاستمتاع بها، وجعلكم خلفاء بالتصرف فيها، فليست هي بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب، فأنفقوا منها في حقوق الله" (٣)، ومعلوم أن ملكية المستخلف في المال ليست مطلقة وإنما تضبطها أوامر ونواهي من استخلفه، وكذلك الأمر بالنسبة لتصرفاته فيما هو مستخلف فيه (٤).

خامساً: الرفع من قيمة العمل والإنتاج:

العمل في مفهومه العام هو كل حركة هادفة يتحركها الإنسان، ويقوم على القدرة والإرادة والنية، وهو بهذا المفهوم يشمل كل حركة إيجابية يؤديها الإنسان بقصد إعفاف نفسه وإفادة أمته (٥).

وقد اهتم المنهج القرآني بالعمل اهتماماً كبيراً ورفع من قيمته، حيث قرنه بالإيمان في كثير من آياته، وقرر أن أي ميزة يحصل عليها الإنسان إنما هي بسبب ما يقدمه من عمل صالح يتقرب به إلى به وينفع به نفسه ومجتمعه بغض النظر عن ارتباط هذا العمل بالدنيا أو الآخرة. قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا } (٦). وقال تعالى: { وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى } (٧).

إن الإسلام وهو يرفع من قيمة العمل بالقيم الروحية المختلفة التي يجب على الإنسان القيام بها، بل ويعد طلب المعاش والسعي لإعفاف النفس عبادة لا تقل أهمية عن الصلاة والحج وسائر العبادات.

قال تعالى: { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْجِعْ } (٨). وقال تعالى: { لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ } (٩). وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (١٠).

وهكذا نلاحظ التعاقب الرائع بين النشاط الدنيوي والأخروي الأمر الذي يوضح صورة الحياة وقيمة العمل في نظر الإسلام، فالإنسان في عبادة مع الله U ومع ذلك لا يغفل عن عمله ومصدر رزقه مهما كان نوعه،

(٢) سورة النور: الآية: ٣٣.

(٣) الكشاف: ٣ / ٢٠٠.

(٤) ينظر: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده: ٢١١ - ٢١٣ .

(٥) تراجع: النبي المرابي: ٤٦٥ - ٤٧٢.

(٦) سورة الكهف: الآية: ١٠٧.

(٧) سورة النجم: الآيتان: ٣٩، ٤٠.

(٨) سورة الإنشراح: الآيتان: ٧، ٨.

(٩) سورة البقرة: الآية: ١٩٨.

(١٠) سورة الجمعة: الآية: ٩.

فإذا جاء وقت العبادة تفرغ لها وأقبل بقلبه على الله U ، فإذا انتهت عاد إلى مزاولته عمله وطلب رزقه دون أن يغفل عن ذكر الله تعالى ومراقبته^(١).

وحتى يستطيع الإنسان أن يجعل من عمله عبادة لله U لا بد أن يكون عمله مشروعاً مصحوباً بالنية الصالحة، وأن يؤدي بأمانة وإتقان ، كما يجب أن يلتزم فيه حدود الله U ، وأن لا ينشغل به عن واجباته الدينية^(٢).

والإسلام في ذاته منهج عملي يكره الكسل ويرفض البطالة بكل أنواعها ويعدّها هدراً لإمكانات الأمة ومقومات المجتمع، سواءً كانت بطالة صادرة عن الذين رضوا بالفقر وامتهنوا التسول واحتقروا العمل، أو عن الذين ورثوا الأموال فاستغنوا عن العمل. قال تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }^(٣). وقال ٣: (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده)^(٤). وقال ٣ في الحديث الذي يرويه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: (ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم)^(٥).

سادساً: تحسين النظرة إلى العمل اليدوي والحرفي والمهني:

الحرف هي الأعمال التي حث الإسلام على ممارستها لتدبير معيشة الإنسان ويمكن إتقانها بتدريب بسيط ولا توجد قيود على ممارستها، أما المهن فهي مجموعة الأعمال المتشابهة التي تصنف ضمن مجموعة مهنية واحدة بحيث يستطيع الإنسان الذي يمارس إحداها ممارسة غيرها بعد تدريب طفيف^(٦).

وقد كان العرب قبل الإسلام ومعهم العديد من أمم الأرض يعدون العمل الحرفي والمهني مهنة الخدم والعبيد، وينظرون إلى المشتغلين به نظرة احتقار وازدراء، حتى أن كثيراً من الناس يفضلون العيش على الهبات والأعطيات وسؤال الآخرين على العمل في مهنة أو حرفه، ولربما هجا بعضهم بعضاً بأن أحد أسلافه كان من المشتغلين بالحرف أو المهن، كما في قول جرير للفرزدق:

إني بنى لي في المكارم أولي ونفخت كيرك في الزمان الأول^(٧).

فلما جاء الإسلام رفع من شأن العمل الحرفي والمهني، وعمل على تغيير النظرة السلبية إلى المشتغلين به، وذلك من خلال تأكيده على قيمة العمل مهما كان نوعه ما دام شريفاً يبتغي به الإنسان إعفاف نفسه وأسرته

(١) تراجع: الجامع لأحكام القرآن: ١٨ / ١٠٨ ، تفسير القرآن العظيم: ١ / ٢٤٠ ، ٤ / ٢٥٦.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين: ٨٣ - ٨٧.

(٣) سورة الملك: الآية: ١٥.

(٤) صحيح البخاري - كتاب البيوع - باب كسب الرجل وعمله بيده: ٢ / ٧٣٠ رقم (١٩٦٦) .

(٥) صحيح البخاري - كتاب الزكاة - باب من سأل الناس تكثرأ: ٢ / ٥٣٦ رقم (١٤٠٥) ، صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب كراهة المسألة للناس : ٢ / ٢٧٠ رقم (١٠٤٠) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١ / ٢٤٩ رقم (٦١٧).

(٦) ينظر: التربية المهنية والحرفية في الإسلام - د. جمال محمد الهندي - ط: ١ - دار الوفاء - مصر: ٢٦ ، ٢٧.

(٧) ديوان جرير - جرير بن عطية الخطفي - طبعة دار صادر - بيروت: ٣٧٥ .

وخدمة مجتمعه وأمته، بل وعده عبادة لا تقل أهمية عن غيرها من العبادات المفروضة وهو أمر يشمل جميع الحرف والمهن المباحة من استصلاح للأرض وزراعتها واستخراج ما في باطنها من خيرات، وكذلك الصناعات بأنواعها المختلفة، والتجارة بأنواعها المختلفة أيضاً. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ } (١).

وقد مارس الأنبياء الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أنواعاً متعددة من الحرف والمهن، حيث مارس نوح **u** النجارة، ومارس إبراهيم وإسماعيل **y** البناء، وكان داود وسليمان عليهما السلام رائدين في مجال الصناعة، واشتغل عيسى **u** بالطب، وهو أمرٌ أشار إليه القرآن الكريم في كثير من آياته. (٢)

قال تعالى عن نوح **u**: { وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ } (٣) وقال تعالى عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (٤). وقال تعالى عن داود **u**: { وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (٥).

وأما رسول الله **r** فقد رعى الغنم لأهل مكة بالأجرة، وتاجر بمال خديجة رضي الله عنها (٦)، وكذلك كان الصحابة الكرام **y** فما منهم من أحد إلا وكان له مهنة أو حرفة يتكسب منها فقد كان أبو بكر **t** بزازاً يبيع الأقمشة، واشتغل عمر **t** بالزراعة والتجارة، واشتهر عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما بالتجارة، وكان عمرو بن العاص **t** جزاراً، وخبيب **t** حداداً، وعبد الله بن مسعود **t** راعياً، واشتغل الزبير **t** بالزراعة والجزارة، وكان الأنصار **y** أصحاب أرض يشتغلون فيها بالزراعة. (٧)

وفي العصر الحديث ابتعد كثير من الناس عن ممارسة المهن والحرف رغم أهميتها وحاجة الأمة الماسة إليها، ووجد من الشباب من يفضل الجلوس في بيته أو التجول في الشارع على تعلم حرفة أو مهنة أو تطوير مهارة يمتلكها، ولاشك أن ذلك من بقايا الجاهلية الأولى التي كانت تحتقر المهن والحرف وتزدري المشتغلين بها.

إن العيش في العصر الحديث يتطلب تحراً ثقافياً، وتجاوزاً للعادات والتقاليد السيئة التي تشجع الكسل والبطالة وتقود إلى الانحراف، كما يتطلب تطوراً في النظام التربوي والتعليمي، واهتماماً أكبر بالتعليم المهني والتقني وتشجيع الشباب على الالتحاق به، وإيجاد نوع من التفاعل والتكامل بين المؤسسات المهنية والحرفية

(١) سورة البقرة: الآية: ٢٦٧.

(٢) ينظر: التربية المهنية والحرفية في الإسلام: ٥٦ - ٥٨.

(٣) سورة هود: الآية: ٣٧.

(٤) سورة البقرة: الآية: ١٢٧.

(٥) سورة سبأ: الآيتان: ١٠، ١١.

(٦) تراجع: صحيح البخاري - كتاب الإجارة، السيرة النبوية لأبي فارس: ١٢٨ - ١٣٠، ١٣٨، ١٣٩.

(٧) ينظر: التربية المهنية والحرفية في الإسلام: ٦٤ - ٧٠.

وبين الحياة الاقتصادية^(١). قال تعالى: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ }^(٢) ففي الآية دليل على أهمية تعلم أهل الفضل للمهن والحرف وأن اكتسابها لا ينقص من منزلتهم بل إن ذلك زيادة في قدرهم؛ لأنه يدفعهم إلى التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم^(٣).

سابعاً: التزام القيم الإسلامية في المعاملات الاقتصادية:

إن أهم ما يميز الجانب الاقتصادي في الإسلام أنه يقوم على القيم والمبادئ لا على المصلحة الشخصية والاستغلال والانتهازية، والقيم الإسلامية في الاقتصاد قيم أساسية لا يمكن الاستغناء عنها، لأنها بالنسبة للمسلم عبادة يتقرب بها إلى الله U ، وهي ليست قضايا نظرية يكفي مجرد اعتقادها والإيمان بها، وإنما هي قيم عملية يجب الالتزام بها التزاماً كاملاً خلال عملية التفاعل مع عناصر الكون وأفراد المجتمع. ويمكن تقسيم القيم الاقتصادية الإسلامية إلى قيم إيجابية يجب الالتزام بها ونشرها ويأتي في مقدمتها الصدق، والأمانة، والوفاء، والقناعة، والسماحة، والتيسير، وإتقان العمل، والتزام النصيحة والبعد عن التدليس، وقيم سلبية يجب الابتعاد عنها ومحاربتها ويأتي في مقدمتها الكذب، والخيانة، والتطيف، والربا، والاحتكار، والرشوة، والغش، فضلاً عن المنافسة غير المشروعة، والحلف الكثير، وأكل أموال الناس بالباطل.^(٤) ويأتي تأكيد المنهج القرآني على الالتزام بالقيم الاقتصادية الإسلامية من حرصه على حفظ المجتمع وحمايته، وتحقيق التفاعل الإيجابي بين أفراد.

ثامناً: الوعي بالحقوق والواجبات الاقتصادية والالتزام بها:

إن المنهج الإسلامي في الاقتصاد يحكمه شرع الله U ويضبط مكوناته المختلفة، وبالتالي فإنه يحدد بوضوح الحقوق والواجبات الاقتصادية الفردية والجماعية والحريات المرتبطة بها، مما يوجب على كل إنسان استيعاب هذه الحقوق استيعاباً كاملاً، والتصرف في حدودها دون تجاوز على حقوق الآخرين. إن استيعاب الحقوق يرتقي بفاعلية الإنسان الاقتصادية في اتجاهي التمسك بهذه الحقوق والدفاع عنها لتوفير الأمن الاقتصادي والاستقرار النفسي، وترقية النشاط الاقتصادي بشتى مجالاته والتي لا ترتقي إلا في ظل الحق والعدل الحرية^(١).

وهناك جملة من الحقوق الاقتصادية التي كفلها الإسلام لكل إنسان وجعل من حقه الحصول عليها والدفاع عنها ومن أبرزها:

(١) ينظر: مشكلات الشباب: ١٥٠، عصرنا والعيش في زمانه الصعب: ٢٥٣.

(٢) سورة الحديد: الآية: ٢٥.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٤ / ٢٦٧.

(٤) يراجع: التربية المهنية والحرفية في الإسلام: ٣٤٣ - ٣٨٦، النبي المربي: ٤٩٠ - ٥٠٢.

(١) ينظر: النبي المربي: ٤٥١ ، ٤٥٢.



- ١- حق العمل والكسب الشريف.
- ٢- حق التملك وحماية الممتلكات.
- ٣- حق الإنتاج والتداول والاستهلاك.
- ٤- حق الإعداد والتأهيل للعمل.
- ٥- حق الإرث والتوريث.
- ٦- حق التكافل الاجتماعي.

وهناك حقوق أخرى تتعلق بممارسة الإنسان للعمل وتعد في نفس الوقت واجبات يجب تنفيذها من قبل

الجهة التي يتم لصالحها العمل وفي مقدمتها:

- ١- حق الحصول على الأجر المناسب.
- ٢- حق الكرامة الإنسانية والمعاملة الحسنة.
- ٣- حق الرعاية الصحية.
- ٤- عدم تكليف الإنسان بما لا يطيقه أو يتناسب معه من العمل.
- ٥- حق التدريب والتأهيل.
- ٦- حق الحماية من الأخطار.
- ٧- حق الحصول على الراحة والإجازة.

إن عملية اكتساب الحقوق يقابلها القيام بالواجبات، والتي تتسع لتشمل الفرد والمجتمع، ولتشمل كذلك مجالات الحياة الاقتصادية المختلفة، ويمكن الإشارة إلى أهم الواجبات التي يجب الالتزام بها فيما يأتي:

- ١- الإخلاص والأمانة.
- ٢- تنفيذ العمل وإنجازه كما اتفق عليه.
- ٣- الابتعاد عن الكسل والبطالة.
- ٤- إجادة العمل وإتقانه.
- ٥- الابتعاد عن وسائل الكسب غير المشروع.

ويدخل في الواجبات أيضاً الحصول على المعرفة اللازمة والتأهيل المطلوب للقيام بالعمل، وعدم تعطيل أي عنصر من عناصر الإنتاج عن طريق حجر الأرض أو كنز المال أو رفض العمل وغير ذلك من الواجبات التي يجب الالتزام بها^(١).

تاسعاً: الاقتصاد في المعيشة والاعتدال في الإنفاق والاستهلاك:

(١) ينظر: دستورالمهن في الإسلام- عباس حسن الحسيني- ط:١- الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر: ٣٠٤، النبي المربي: ٤٥٣.

المال ليس مطلوباً لذاته، وأهميته إنما تكمن في كونه وسيلةً لإشباع الحاجات الإنسانية والقيام بالواجبات الحياتية، ولا يمكن الانتفاع بالمال إلا في حالة إنفاقه وعدم كونه.

ويعد الإنفاق أساس الحركة الاقتصادية السليمة، ودليل عافية الاقتصاد في أي مجتمع، ولذلك حرم الإسلام كنز المال وكل ما يؤدي إليه من بخلٍ وشحٍ وتقتيرٍ، ووضع قاعدته الذهبية التي تقوم على مراعاة الحلال والاعتدال في المال حيازةً وإنفاقاً. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا }^(٢). وقال تعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا }^(٣).

قال ابن كثير رحمه الله: "أي ليسوا بمبذرين في انفاقهم، فيصرفون فوق الحاجة ولا بخلاء على أهلهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم، بل عدولاً خياراً، وخير الأمور أوسطها"^(٤).

إن القصد في المعيشة والاعتدال في الإنفاق والتوازن في الاستهلاك دليل الالتزام الديني والنضج العقلي، وهو ما يرشد إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: { وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا }^(٥).

ولتحقيق العيش الكريم أمر القرآن الكريم بالاعتدال في الإنفاق في الوجوه المشروعة، ودعا إلى الابتعاد عن الكماليات، بل وشرع الحجر على كل سفيه مبذر لا يدرك قيمة المال ولا يحسن التصرف فيه. قال تعالى: { وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا }^(٦).

عاشراً: احترام الملكية الفردية وعدم الاعتداء عليها:

الإسلام دين الفطرة ولذلك جاءت جميع مبادئه منسجمة مع فطرة الإنسان هادفة إلى تهذيبها والارتقاء بها، ومن أبرز ما فطر عليه الإنسان حب التملك، ولذلك أقر الإسلام الملكية الفردية وشجع عليها، وعدها من خصائص الحرية فالحر هو الذي يملك وليس العبد، بل تجاوز ذلك إلى جعلها من مقتضيات الإنسانية فالحيوان لا يملك وإنما يملك الإنسان^(١).

وقد أقر الإسلام مبدأ الملكية الفردية ودعا إلى احترامها والحفاظ عليها انطلاقاً من احترام فطرة الإنسان وحرية وإنسانيته، والتزاماً بمبدأ العدل الذي يتيح للإنسان الاستفادة من جهده وتعبه وجني ثمار سعيه وكسبه.

(٢) سورة النساء: الآية: ٢٩.

(٣) سورة الفرقان: الآية: ٦٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٣٢٦.

(٥) سورة الإسراء: الآية: ٢٩.

(٦) سورة النساء: الآية: ٥.

(١) ينظر: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده: ٢٢١.

قال تعالى: { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ }^(٢). وقال تعالى: { وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ }^(٣).

"ومن هنا يبيح الإسلام التملك ولو أفضى بصاحبه إلى درجة كبيرة من الغنى والثروة، ما دام محافظاً على كسب المال من حله وإنفاقه في حقه غير متناولٍ لحرامٍ ، ولا مسرفٍ في مباح، ولا شحيح بحق، ولا ظالم لأحد، ولا آكل حق غيره، كما هو مقتضى نظرية الاستخلاف الإسلامية"^(٤).

ويكفي أن نعلم أن ذا القرنين ملك الأرض وأنه جاب مشارقها ومغاربها، وأن سليمان U أوتي من الملك ما لم يوت أحد من بعده وسُخِرَ له من الإمكانات ما لم يسخر لغيره. قال تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا)^(٥). وقال تعالى عن سليمان U : { قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَأَخْرَيْنَ مُفْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ }^(٦).

وقد تملك الصحابة y الأموال والذهب والمساكن والأراضي ، ووجد منهم الأغنياء أمثال عثمان بن عفان t الذي ساهم بفعالية في تجهيز جيش العسرة ، وعبد الرحمن بن عوف t الذي توفي وخلف ألف بعير وثلاثة آلاف شاة بالبيع ومائة فرس وأرضاً وذهباً قطع بالفؤوس ، وبلغ نصيب الواحدة من نسائه وكن أربعاً ثمانين ألفاً.^(٧)

الحادي عشر: تحقيق التكافل الاقتصادي وتقريب الشقة بين طبقات المجتمع:

يعد التكافل الاقتصادي من أهم القيم الاقتصادية التي يقوم عليها النظام الاقتصادي في الإسلام، فالإسلام وإن أقر مبدأ التفاوت بين الناس في الملكيات والأرزاق انطلاقاً من تفاوتهم في القدرات والطاقات، واختلافهم في الجد والعمل، إلا أنه لا يقر وجود الفوارق الكبيرة بين أبناء الأمة بحيث تعيش طبقة حياة الترف والبدخ وتعيش أخرى حياة الشظف والحرمان، ولذلك نراه يعمل على تقريب الفوارق بين الطبقات فيحد من طغيان الأغنياء ويرفع من مستوى الفقراء تحقيقاً للتوازن بين أفراد المجتمع، وتفادياً لأسباب العداوة والصراع الطبقي عبر تقنين الثروات والعمل على عدم تكديسها بأيدي معدودة تتداولها، في الوقت الذي تظل فيه الأغلبية محرومة منها. قال تعالى: { كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ }^(١).

(٢) سورة الرحمن: الآية: ٦٠.

(٣) سورة الأنعام: الآية: ١٣٢.

(٤) ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده: ٢٢٢.

(٥) سورة الكهف: الآيتان: ٨٣ ، ٨٤ .

(٦) سورة ص: الآيات: ٣٥ - ٣٩ .

(٧) يراجع : الطبقات الكبرى : ١٣٦/٣ .

(١) سورة الحشر: الآية: ٧.

- ومن هنا شرع الإسلام عدداً من الوسائل التي تضمن تحقيق التكافل الاجتماعي وتقريب المسافة بين الطبقات ومن أبرزها ما يأتي:
- ١- تحريم الكسب غير المشروع ومنع تنمية الأموال بالطرق المحرمة.
 - ٢- إيجاب الزكاة في أموال الأغنياء وردّها على الفقراء.
 - ٣- إيجاب عدد من الحقوق المالية على الأغنياء مثل نفقات الأقارب والنذور والكفارات.
 - ٤- الميراث الذي شرعه الإسلام للورثة.
 - ٥- الصدقات التطوعية التي دعا إليها الإسلام كالنفقة على المحتاجين، والوصية بثلث المال، والوقوف الخيري، والصدقات الجارية.
 - ٦- حق ولي الأمر في إعادة التوازن عن طريق قصر توزيع الفيء والمال العام على المحتاجين من أبناء الأمة لا عن طريق مصادرة الأغنياء. (٢)
 - ٧- تحقيق تكافل الأجيال بعدم استئثار جيل واحد بخيرات الأرض الظاهرة والباطنة ، كما حصل من عمر t حين منع توزيع أرض سواد العراق على الفاتحين (٣).

المطلب الثالث

عوامل تنمية الجانب الاقتصادي

أولاً: الاعتماد على الذات:

(١) ينظر: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده: ٢٥٣، ٢٥٤، منهج القرآن في إصلاح المجتمع: ٢٦٠.

(٢) يراجع: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب: ٢٩٩-٣١٠.



يحرص المنهج القرآني في توجيهاته المختلفة على غرس الشعور بالمسؤولية الفردية داخل كل إنسان، إنطلاقاً من مسؤولية الإنسان عن تأهيل نفسه وتوظيف طاقاته والاستفادة من قدراته ورعايته أسرته والإحسان إلى جيرانه وحل مشكلاته. قال تعالى: { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ }^(١).

إن الإنسان مطالب ببذل جهده واستنفاد طاقته في نفع نفسه قبل أن يطلب مساعدة الآخرين، ومطالب بمحاسبة نفسه على تصرفاتها وتقصيرها في حق ذاتها قبل أن يحاسب الآخرين على تقصيرهم في حقه، وحتى يتمكن الإنسان من الاعتماد على ذاته لا بد له من استلهاج التراث الحضاري لأمته، والالتزام بقيمها ومبادئها ثم العمل على تأهيل نفسه وتطوير قدراته والثقة في إمكانياته، والتحرر من التبعية للآخرين، والبعد عن استجداء الحلول الجاهزة لمشكلاته الخاصة، والسعي للعمل والإنتاج في إطار الإمكانيات المتاحة، والتركيز على توفير متطلبات الجماهير^(٢).

وقد أورد البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ لما آخى بين المهاجرين والأنصار عرض سعد بن الربيع t على أخيه عبد الرحمن بن عوف t أن يقسم معه ماله وأن يطلق له إحدى زوجتيه فتعتد ويتزوجها عبد الرحمن بنفس المهر، وهنا يكون قد قدم لأخيه المهاجر حلوياً جاهزة لمشكلاته الخاصة إلا أن عبد الرحمن بن عوف t اعتذر عن قبول هذا العرض ودعا لأخيه بالبركة ثم سأله عن السوق وانطلق متوكلاً على الله تعالى معتمداً على ذاته وما هي إلا مدة وجيزة حتى صار من أغنياء المسلمين^(٣)، وفي العصر الحديث حقق العديد من الأفراد والمجتمعات تقدماً كبيراً في مجال التنمية الاقتصادية بجهود ذاتية وإمكانيات محلية متواضعة.

ثانياً: الاستقامة والالتزام الديني:

تمثل الاستقامة والالتزام الديني أهمية كبرى في حياة الإنسان، وهي من أبرز العوامل المساعدة على مواجهة الصعاب وحل المشكلات، عن طريق ما توفره من قناعة ورضا واطمئنان، وما تدفع إليه من توكل وعمل وأخذ بأسباب الرزق المختلفة وقد وعد سبحانه وتعالى من استقام على منهجه والتمس بأوامره بالعيش الكريم والرزق الوفير والحياة الطيبة فرداً كان أو أمة. قال تعالى: { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ }^(٤).

وقال تعالى: { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }^(١).

إن الاستقامة تدفع الإنسان إلى العمل والأخذ بأسباب الرزق، والابتعاد عن الكسل والبطالة والتبذير والإسراف والإنفاق على الكماليات، وكل ذلك مما يساعد في إيجاد مصدر دخل للإنسان ويسهم في توفيره،

(١) سورة المدثر: الآية: ٣٨.

(٢) ينظر: مدخل إلى التنمية المتكاملة: ٣٦٠، ٣٦١.

(٣) ينظر: صحيح البخاري - كتاب فضائل الصحابة - باب كيف آخى النبي بين أصحابه: ١٤٣٢/٣ رقم (٣٧٢٢).

(٤) سورة الطلاق: الآيتان: ٢، ٣.

(١) سورة الأعراف: الآية: ٩٦.

فضلاً عن أن المستقيم الملتزم يكون محل ثقة لدى الآخرين، الأمر الذي يدفعهم للتعاون معه سواءً عند حاجته أو عند نيته الأقدام على أي عمل من الأعمال.

ثالثاً: الإدخار وتوفير شيء من الدخل:

الحياة الإنسانية مليئة بالمفاجآت والمتغيرات التي تؤثر على مسيرة الإنسان بل قد توقفها ما لم يكن قد احتاط لذلك.

وقد اختلفت أنماط الحياة اليوم وازدادت تعقيداً، وأصبح من الصعوبة بمكان الوفاء بمتطلباتها المتزايدة، الأمر الذي يفرض على الإنسان توفير شيء من دخله مهما كان ضئيلاً وإدخاره لمواجهة الأحوال الطارئة التي قد تواجهه فضلاً عن أن من أراد أن يعيش كريماً مستوراً مستغنياً عن الآخرين لابد أن يكون لديه من المال ما يواجه به تقلبات الحياة وصروف الزمان. قال تعالى: { وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا } (٢).

والاعتدال في الإنفاق وترشيد الاستهلاك يعني إدخار ما زاد عن الحاجة أو استثماره والاستفادة منه عند الحاجة، وهو ما صنعه يوسف U عندما تولى شؤون مصر وأنقذها من مجاعة محققة وهو ما دل عليه قوله تعالى: { قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ } (٣).

رابعاً: إدارة الموارد وحسن استغلالها:

كلما كانت الإمكانيات محدودةً والموارد شحيحةً احتاج الإنسان إلى براعةٍ أكثر في إدارتها، وفي العصر الحديث حيث تنتشر البطالة ويزداد عدد السكان وتقل الموارد وتتضائل نسبة الدخل وتضيق فرص العيش الكريم، وبالمقابل يرتفع الغلاء وتكثر متطلبات العيش وتزداد الحياة تعقيداً تزداد الحاجة إلى إدارة الموارد وحسن استغلالها.

وتظهر التجارب والدراسات يوماً بعد يوم أن بمقدور الإدارة الجيدة أن تعوض قلة الدخل وضعف الإمكانيات، ودليل ذلك أن العديد من الناس استطاعوا أن ينتجوا كميات كبيرة من المحاصيل من زراعة مساحاتٍ صغيرةٍ جداً، وأن عدداً من المصانع العالمية انطلقت من غرفٍ صغيرةٍ في منازل أصحابها أو دكاكين ضيقةٍ استأجروها (١).

إن المنهج القرآني يربي أتباعه على حسن استغلال الموارد وعدم إهدار شيء منها، والاستفادة من الإمكانيات المتاحة مهما كانت ضئيلة، والمحافظة عليها باعتبارها أمانة يجب صيانتها ونعمة يجب شكر الله U

(٢) سورة الإسراء: الآية: ٢٩.

(٣) سورة يوسف: الآيات: ٤٧ - ٤٩.

(١) ينظر: عصرنا والعيش في زمانه الصعب: ٢٥٦.



عليها بحسن استغلالها، ولذلك حارب الإسلام التبذير ووصف المبذرين بأبشع الصفات، ونهى عن الإسراف وعدم الاعتدال في المباحات والطيبات، وحمل بشدة على الذين يهدرون أجزاء من الثروة الحيوانية والزراعية إتباعاً لأهوائهم واستناداً إلى أقاويل ما أنزل الله بها من سلطان، كما دعا إلى الاستفادة من المواد الخام على اختلاف مصادرها وعدم الاستهانة بها فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر على شاة ميتة لأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها فقال: (هلا أخذت إهابها فربغتموه فاذنعتنهم؟) فقالوا: إهاب ميتة. فقال: إنما حرم أكلها^(٣).

خامساً: السفر والسعي في طلب الرزق:

السفر قطعة من العذاب، لكنه أيضاً باب من أبواب الرزق، وعامل من عوامل تنمية الجانب الاقتصادي لدى الإنسان، حيث يستفيد الإنسان خبرات جديدة، ويكتسب مهارات متعددة، ويحصل على فرص لم تكن لتتوفر له لو أنه جلس في بيته. قال تعالى: { وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعاً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً }^(٣).

وقد أوجب الإسلام على الإنسان أن يعمل ويجتهد في طلب الرزق، وأن يسعى في أرض الله الواسعة، ليكسب لقمة عيشه ويغني نفسه ويسد حاجته، وينفق على أهله ويخدم مجتمعه وينفع أمته، وبين له أن الرزق ليس محددًا في مكان ولا محصوراً في جهة ولا مرتبطاً بمهنة^(٤). قال تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولاً فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }^(٥). "أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات"^(٦).

ومنذ القدم كان الناس يسافرون ويهاجرون طلباً للرزق وتقديراً للمجاعات، وكان كثير منهم يجد في ذلك منجاة وفرجاً مما هو فيه من هم وكرب، وما يعانیه من ضيق وقلّة. قال تعالى: { لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ }^(١). وقال تعالى:

(٣) صحيح البخاري - كتاب الزكاة - باب الصدقة على موالى أزواج النبي : ٥٤٣/٢ رقم (١٤٢١)، صحيح مسلم - كتاب الحيز - باب طهارة جلود الميتة بالدباغ : ٢٧٦/١ رقم (٣٦٣) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٨٢/١ رقم (٢٠٥).

(٣) سورة النساء: الآية: ١٠٠.

(٤) ينظر: التربية المهنية والحرفية في الإسلام: ٥٩.

(٥) سورة الملك: الآية: ١٥.

(٦) تفسير القرآن العظيم: ٤/٣٩٧.

(١) سورة قريش: الآيات: ١-٤.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا }^(٢) والضرب في الأرض: السير فيها للتجارة أو الغزو وغير ذلك^(٣).

وللسفر فوائد كثيرة ذكر الإمام الشافعي رحمه الله طرفاً منها في قوله:

تُغرب عن الأوطان في طلب العلا
تفريج همٍ واكتساب معيشة
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
وعلمٌ وآدابٌ وصحبة ماجد^(٤)

وللأسف الشديد فإن كثيراً من الناس اليوم يكرهون الغربة وينفرون من السفر ويتوجسون من الهجرة والسعي في الأرض لطلب الرزق، ويفضلون على ذلك الجلوس في البيوت ومعاناة الفقر والبطالة وقلة ذات اليد، وهو أمر مذموم يخالف توجيهات الإسلام ومقتضى العقل والحكمة.

سادساً: استثمار الأموال وعدم تكتيزها:

المال أداة إنتاج مهمة وهو لم يوجد ليحبس ويكنز وإنما وجد ليتداول وينفق حتى تنتفع بحركته الأمة، ذلك إن في حركته توفير فرص عمل للمحتاجين وتنمية لثروة صاحبه وتنشيط لاقتصاد المجتمع^(١).
وقد حرص المنهج القرآني على أن يأخذ المال دورته في المجتمع وأن يستثمر في مجالات متعددة ومشروعات متنوعة يعود نفعها على مختلف الطبقات من خلال تشغيل الأيدي العاملة ورفع معدلات الإنتاج وتخفيض معدلات التضخم والركود وإنعاش المجال الاقتصادي، كما يحرم المنهج القرآني تعطيل الأموال وتجميدها وينعي على الذين يكنزون أموالهم ولا يستفيدون منها في الدنيا والآخرة ولا يتركون للمجتمع أن يستفيد منها. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لَآنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ }^(٥).

ومن هنا ندرك سر تشريع الزكاة في الأموال كل عام سواءً نमित أم لم تنم، ليكون ذلك حافزاً لأصحابها على تحريكها وتنميتها حتى لا تأكلها الزكاة بمرور الأعوام، ومن هنا كان التوجيه للأوصياء على أموال اليتامى أن يتجروا فيها حتى لا تأكلها الزكاة.

سابعاً: اكتساب المهارات المختلفة:

(١) سورة النساء: الآية: ٩٤.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥ / ٣٣٦.

(٣) ديوان الإمام الشافعي - شرح وضبط وتقديم - عمر فاروق الطبع - شركة دار الأرق للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان: ٦٠ .

(٤) ينظر: دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي - د. يزسف القرضاوي - ط: ١ - مكتبة وهبة مصر ، عصرنا والعيش في زمانه

الصعب: ٢٥٧.

(٥) سورة التوبة: الآيتان: ٣٤ ، ٣٥ .

كانت متطلبات العيش وإلى وقت قريب محدودة جداً، وكان الإنسان يقوم بمعظم حاجاته دون استعانة بأحد، ومع تطور الحياة في العصر الحديث تعقدت العديد من جوانبها، وكثر اعتماد الناس على بعضهم، وبالتالي زادت الحاجة إلى التخصص، وصارت قيمة الإنسان بمقدار ما يملك من قدرات وما يجيد من مهارات يمكن أن ينفع بها نفسه ومجتمعه.

ولقد عمل المنهج القرآني على إكساب أفراده تنوعاً في القدرات والمهارات واختلافاً في الطاقات والإمكانات ليفيد بعضهم بعضاً ويحققوا بذلك التكامل المنشود. قال تعالى: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ } (١).

إن إكتساب المهارات المختلفة قد يوفر للإنسان فرصة عمل يتكسب منها في عصر ضاقت فيه فرص العمل وتعقدت شروط الحصول عليها، كما قد يوفر له جزءاً كبيراً من مصدر دخله عن طريق توظيفه لهذه المهارات في إصلاح شؤون أسرته وفي كل ذلك تنمية للجانب الاقتصادي، ولاشك أن هذه المسألة من صميم المنهج الإسلامي الذي يدعو إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي، والاعتماد على النفس في قضاء الواجبات الشخصية والأسرية، وهو ما جسده رسول الله ﷺ حيث كان يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحلب شاته، ويساعد أهله (٢).

ثامناً: العمل على تحسين الدخل:

يعيش كثير من الناس في هذا العصر تحت مستوى خط الفقر، ويشكو الجميع وجود البطالة وعدم توفر فرص العمل يستوي في ذلك المتعلم وغير المتعلم، فضلاً عن الغلاء الفاحش والارتفاع المستمر في الأسعار، الأمر الذي يوجب على الإنسان العمل على تحسين دخله حتى يتمكن من توفير متطلبات الحياة الضرورية له ولأسرته (٣).

ولم يعد بإمكان الإنسان الاعتماد على مرتبه فقط إن كان موظفاً أو على أسرته إن كان طالباً، فالكل مطالب بالعمل على تحسين دخله بالاتجاه نحو الحرف اليدوية والصناعات الخفيفة، ومزاولة المهن المتعددة، فلا بد من مصدر دخل إضافي يتحرر به الإنسان من رق الوظيفة وسلطة الآخرين ويوفر عن طريقه احتياجاته الأساسية والضرورية.

ومهما ساءت الأحوال وصعبت الظروف إلا أن الحصول على مصدر يزيد في دخل الإنسان يظل ممكناً ولا يتطلب الأمر سوى استخدام العقل، وبذل الجهد والصبر بعض الوقت، مع الثقة بالنفس والجرأة والمبادرة للاستفادة من الفرص المتاحة.

تاسعاً: تشجيع المنتجات المحلية:

(١) سورة الزخرف: الآية: ٣٢.

(٢) راجع: صحيح البخاري - كتاب الجماعة والإمامة - باب من كان في حاجة أهله، فتح الباري: ٤٦١/١٠.

(٣) ينظر: عصرنا والعيش في زمانه الصعب: ٢٥١.



الأصل في المسلم أن يأكل مما يزرع وأن يلبس مما يصنع وأن يسعى لتحقيق الاكتفاء الذاتي لأتمته، حتى تتمكن من تحقيق التنمية الاقتصادية المطلوبة والاستغناء عن أعدائها واتخاذ قراراتها المصيرية بحرية تامة دون وصاية أو إملاء من أحد.

إن الإقبال على المنتجات المحلية يحقق للفرد والمجتمع عدة فوائد حيث يؤدي إلى دعم الاقتصاد الوطني وتنميته، والاستغناء عن الأعداء والتحرر من سيطرتهم، ويدفع أصحاب المنتجات المحلية إلى تحسينها وإتقانها واستيعاب أكبر عدد من العمالة المحلية، كما يشجع رؤوس الأموال الوطنية على الاستثمار داخل مجتمعاتها.

عاشراً: الابتعاد عن الكسب الخبيث:

يدعو المنهج القرآني إلى ممارس العمل والكسب وبعده حقاً من الحقوق الأساسية التي يكفلها الإسلام للإنسان، ولكنه يشترط في الكسب أن يكون حلالاً طيباً ناتجاً عن ممارسة عمل مشروع وبأساليب مشروعة، ولذلك حرم الكسب الخبيث ودعا إلى اجتنابه والابتعاد عنه لما يعود به من أضرار سيئة على الفرد والمجتمع. قال تعالى: { قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (١).

ودائرة الحلال الطيب واسعة تشمل الحياة الإنسانية بجميع عناصرها ومكوناتها وتتيح للإنسان الانطلاق فيها بحرية والاستفادة من جوانبها المختلفة، أما دائرة الخبيث المحرم فقد ضيقها الله سبحانه وتعالى وحددها بحيث يستطيع الإنسان اجتنابها والابتعاد عنها بسهولة ويسر دون أن تؤثر على حياته أو تضيق على دخل، ويمكن حصر موارد الكسب الخبيث في أربعة أنواع هي:

- ١- ما كان كسباً بغير مقابل من جهد أو مشاركة: كالربا، والاحتكار، والرشوة، والميسر، والقمار.
- ٢- ما كان كسباً بغير حق: كالسرقة، والخيانة، والغش، والغصب، والاستغلال.
- ٣- ما كان عوضاً لعين محرمة أو لما يضر: كالخمر، والخنزير، والأصنام، والتماثيل.
- ٤- ما كان عوضاً لمنفعة غير معتبرة شرعاً: كأجور السحرة والكهان، والدجالين والمشعوذين (٢).

ومن أخطر أنواع الكسب الخبيث التي شدد المنهج القرآني في تحريمها استغلال النفوذ للحصول على المال، وأكل أموال الشعوب، واستغلال المال العام وانفاقه في غير وجوهه؛ لأن هذه الأموال متعلقة بعموم الأمة واختلاس شيء منها يعني أن الأمة بجميع أفرادها ستكون خصم المختلس يوم القيامة. قال تعالى: { وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } (١).

(١) سورة المائدة: الآية: ١٠٠.

(٢) يراجع: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده: ٢١٧- ٢٢٠، منهج القرآن في إصلاح المجتمع: ٢٥١- ٢٥٦.

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٦١.



ويلحق بذلك استغلال الأقوياء للضعفاء وأكلهم أموالهم، كما يحصل من أكل الرجال أموال النساء، وأكل الأوصياء أموال اليتامى، وأكل أصحاب العمل لحقوق العمال، وأكل الحكام أموال الرعية. وتكمن خطورة الكسب الخبيث في أنه ينزع بركة المال، ويؤدي إلى إتلافه ويجعل من أكله حطياً لجهنم والعيد بالله، وأن الإنسان مهما أنفق في وجود الخير والبر فلن يسقط عنه إثمه ولن يكتب له أجره. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ }^(١). وقال تعالى: { يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ }^(٢).

وعن أبي هريرة **t** أن رسول الله قال **٢** : (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }^(٤) وقال : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }^(٥) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك)^(٦).

(١) سورة البقرة: الآية: ٢٦٧.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢٧٦.

(٣) سورة المؤمنون : ية ٥١.

(٤) سورة البقرة : الآية ١٧٢.

(٥) صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتتميتها: ٧٠٣/٢ رقم (١٠١٥).



الفصل الرابع

أساليب التربية القيادية

- المبحث الأول: التربية بالقدوة.
- المبحث الثاني: التربية بالموعظة.
- المبحث الثالث: التربية بالحوار.
- المبحث الرابع: التربية بالقصة.
- المبحث الخامس: التربية بالأمثال.
- المبحث السادس: التربية بالأحداث.
- المبحث السابع: التربية بالتكاليف.
- المبحث الثامن: التربية بالثواب والعقاب.

تمهيد:

الأساليب جمع أسلوب ، ويطلق الأسلوب في اللغة: على الفن والوجه والمذهب، كما يطلق على طريقة المتكلم في كلامه^(١).

"وقد تواضع المتأدبون وعلماء العربية على أن الأسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه، واختيار ألفاظه، أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه، أو هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم في ذلك"^(٢).

أما الوسائل فهي جمع وسيلة، والوسيلة مما يتقرب به إلى الشيء^(٣). قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }^(٤).

قال ابن كثير رحمه الله: "الوسيلة ما يتوصل به إلى تحصيل المقصود"^(٥).

والمراد بأساليب ووسائل التربية القيادية الطرق التي يستخدمها المنهج القرآني في تربية وإعداد القيادات، وتقوم هذه الأساليب والوسائل على جملة من الأسس النفسية والتربوية التي يمكن إيجازها فيما يأتي:

- ١- مراعاة جانب الوحدة والتكامل في الفطرة الإنسانية.
- ٢- التنوع والشمول لجوانب النفس البشرية والحياة الإنسانية المختلفة.
- ٣- تعدد الأساليب وتنوعها في الموقف الواحد.
- ٤- استهداف التأثير في الشخصية وتربية السلوك.
- ٥- تربية الشخصية الإنسانية على إعمال عقلها للوصول إلى الحق^(٦).

إن تعدد أساليب التربية القيادية وتنوعها يدل على تكامل العملية التربوية وتفاعل عناصرها ، كما يؤدي إلى إثراء الموقف التربوي واستيعاب مختلف جوانبه ، وهو ما يمكن الإشارة إليه من خلال المباحث التي اشتمل عليها هذا الفصل .

(١) ينظر: لسان العرب- مادة سلب ١/٤٧١ .

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢/١٩٨ .

(٣) ينظر: لسان العرب- مادة وسل ١١/٧٢٤ .

(٤) سورة المائدة: الآية: ٣٥ .

(٥) تفسير القرآن العظيم: ٢/٥٤ .

(٦) ينظر: التربية بالآيات- عبد الرحمن النحلاوي- ط: ١- دار الفكر- بيروت، دمشق: ١٩- ٢٧ .

المبحث الأول التربية بالقدوة

القدوة في اللغة: الأصل الذي تنتسب منه الفروع، وهي اسم لمن يُقتدى به إذا فُعل مثل فعله تأسياً، يقال: فلان قدوة: أي يُقتدى به. والقدوة: الأسوة^(١). ومنه قوله تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ }^(٢).

قال القرطبي رحمه الله: "الأسوة القدوة، والأسوة ما يتأسى به أي يتعزى به فيقتدى به في جميع أحواله"^(٣).

والقدوة في الاصطلاح: هو الشخص المرابي الجامع لخصال الخير، المتحلي بأنواع الفضائل والكمالات بحيث تكون شخصيته مؤهله للتأسي بها وتمثيلها^(٤).

وتعد القدوة أنجح وسائل التربية وأفضلها على الإطلاق، فمن السهل تصميم منهج أو تأليف كتاب في التربية إلا أن هذا المنهج سيظل حبراً على ورق ما لم تتحول تعاليمه إلى حقيقة تتحرك في واقع الأرض، وإلى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ هذا المنهج ومعانيه^(٥).

ومهما تبذل من جهود في سبيل إيجاد منهج تربوي متكامل لتربية وإعداد القيادات ورسم خطة محكمة لتنمية قدرات الإنسان وتنظيم مهاراته، وإعداد جوانب حياته الروحية والوجدانية والعقلية والسلوكية فإن ذلك لا يغني عن وجود واقع تربوي تجسده شخصية مربية تحقق بسلوكها وأسلوبها التربوي كل الأسس والأهداف التي يراد من المنهج التربوي تحقيقها^(٦).

إن مسألة القدوة أمر فطري جبل عليه الإنسان، فالطفل لا بد له من قدوة في حياته الأسرية والمدرسية كي يتشرب المبادئ السامية ويسير على نهجها، والأفراد لا بد لهم من قدوة في مجتمعهم تطبعهم بطابع القيم والأخلاق الفاضلة، والمجتمع لا بد له من قدوة في قيادته بحيث يقتفي أثرها ويسير على منوالها، ومهما كانت فطرة الإنسان نقية واستعداده للخير عظيماً فإنه لن يستجيب لمبادئ الحق وأصول التربية الفاضلة ما لم ير مربيه في ذروة الأخلاق وقمة المثل العليا^(٧).

(١) ينظر: لسان العرب - مادة قدا ١٥/١٧١.

(٢) سورة الأحزاب: الآية: ٢١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٥٥/١٤.

(٤) ينظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية: ٢٥٦، الطريق إلى التميز التربوي - عبد الله يحيى الكمالي - ط: ١ - دار ابن حزم - بيروت: ٦٨.

(٥) ينظر: منهج التربية في التصور الإسلامي: ٣٣٣.

(٦) ينظر: أصول التربية الإسلامية للنحلاوي: ٢٥٤.

(٧) ينظر: تربية الأولاد في الإسلام: ٢/٦٣٣، منهج التربية في التصور الإسلامي: ٣٢٤.

"ومركز القدوة حساس دقيق جداً، ويجب ألا يوضع فيه إلا من كان مستعداً للأخذ بالعزيمة، والبعد عن الرخص، و من يغلب عليه الجد والزهّد والتجرّد، ويشتاق إلى التضحية والبذل لأنه إمام لمن حوله يقلدونه، ولا بد أن يكون فعله أبلغ في التعبير عن عقيدته ومعاني دعوته من قوله لأن المنظر أعظم تأثيراً من القول. ومن هاهنا لما همّ إمام مصر الليث بن سعد بفعل مفضول ينافي العزيمة قال له إمام المدينة يحيى بن سعيد الأنصاري^(١): "لا تفعل فإنك إمام منظور إليك"^(٢). وقيل: من لم تهذبك رؤيته فاعلم أنه غير مهذب، ومن لم ينعشك عبيره على بعد، فاعلم أنه لا طيب فيه فلا تتكلف لشمه"^(٣).

ونظراً لأهمية موقع القدوة فقد حدد العلماء عدداً من الشروط التي يجب توافرها في المرابي حتى يكون

قدوة يتأسى به الآخرون، ولعل أبرز هذه الشروط يتمثل فيما يأتي:

١- الجمع بين العلم والعمل:

قال تعالى عن شعيب **U** { قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَآكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ }^(٤). "أي ليس أنهاكم عن شيء وأرتكبه، كما لا أترك ما أمرتكم به"^(٥).

٢- التزام الأخلاق الفاضلة:

قال تعالى: { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ }^(٦).

يقول الدكتور عبد الكريم زيدان: "وأصول السيرة الحسنة التي يكون بها الداعي المسلم قدوة طيبة لغيره ترجع إلى أصلين كبيرين: حسن الخلق، وموافقة العمل للقول، فإذا تحقق هذان الأصلان حسنت سيرة الداعي وكانت سيرته الطيبة دعوة صامتة إلى الإسلام، وإن فاته هذان الأصلان ساءت سيرته وصارت دعوة صامتة منفرة عن الإسلام. فليقت الداعي ربه في هذا الأمر الخطير ولا يكون منفراً عن دين الله بسيرته وهو يريد الدعوة إليه بقوله"^(٧).

٣- الابتعاد عن البدع: قال تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }^(٨). و المراد بالسبل في الآية البدع^(٩).

(١) يحيى بن سعيد الأنصاري المدني الفقيه، أحد كبار التابعين، سمع من أنس بن مالك **t** وسعيد بن المسيب وروى عنهم، تتلمذ على الفقهاء السبعة، روى عنه الزهري ومالك وغيرهم، تولى القضاء للمنصور بالهاشمية وتوفي بها سنة ١٤٣ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: ٥/٤٦٨، شذرات الذهب: ١/٢١٢.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٨/١٥٤.

(٣) المنطلق - محمد أحمد الراشد - ط: ١٨ - مؤسسة الرسالة - بيروت: ٢٣٨، ٢٣٩.

(٤) سورة هود: الآية: ٨٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٩/٨٩.

(٦) سورة القلم: الآية: ٤.

(٧) أصول الدعوة: ٤٨٦.

(٨) سورة الأنعام: الآية: ١٥٣.

(٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧/١٣٨.

٤ - أخذ النفس بالعزائم:

قال تعالى على لسان لقمان الحكيم وهو يعرض ولدته: { يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } (١).

يقول ابن القيم رحمه الله: "قال لي يوماً شيخ الإسلام ابن تيمية (قدس الله روحه) في شيء من المباح: هذا ينافي المراتب العالية وإن لم يكن تركه شرطاً في النجاة" (٢)، ثم يذكر أن العارف يترك كثيراً من المباحات صيانة لنفسه، ولا سيما إذا كان ذلك المباح بين الحلال والحرام (٣).

٥ - الابتعاد عن الأهواء والشهوات وعدم الانتصار للنفس:

قال تعالى: { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ } (٤).

٦ - وضوح السيرة والبعد عن الغموض والازدواجية في التعامل:

٧ - الإيمان بالفكرة التي يدعو إليها:

قال تعالى عن إبراهيم: { وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (٥).

وقال ٣ : (والله يا عمر لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته

حتى يظهر الله أو اهلك دوني) (٦).

يقول سيد قطب رحمه الله: "أمن أنت أولاً بفكرتك، آمن بها إلى حد الاعتقاد الجاد: عندئذ فقط يؤمن بها الآخرون!! وإلا فستبقى مجرد صياغة لفظية خالية من الروح والحياة! لا حياة لفكرة لم تنقش روح إنسان، ولم تصبح كائناً حياً يدب على وجه الأرض في صورة بشر! كذلك لا وجود لشخص - في هذا المجال - لا تغمر قلبه فكرة يؤمن بها في حرارة وإخلاص" (٧).

ولا شك أن هناك شروطاً أخرى وضوابط ينبغي أن يلتزمها كل من يتصدر لموقع التربية والقُدوة أعرض الباحث عنها خشية الإطالة (٨).

(١) سورة لقمان: الآية: ١٧.

(٢) مدارج السالكين: ٢٦ / ٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٦ / ٢.

(٤) سورة النازعات: الآيتان: ٤٠ ، ٤١ .

(٥) سورة الأنعام: الآيتان: ٨٠ ، ٨١ .

(٦) السيرة النبوية لابن هشام: ١٠١ / ٢.

(٧) أفراح الروح - ط: ١ - الدار العلمية - بيروت: ٢٥ ، ٢٦ .

(٨) يراجع: المصطفى من صفات الدعوة - عبد الحميد البلالي - ط: ٧ - دار الدعوة - الكويت: ٢٣ / ١ - ٣٢، أساليب الدعوة والتربية في السنة: ٢٥٧، القدوة منهاج

ونماذج - د. إسماعيل قابل - ط: ١ - دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة: ١٧٥ - ١٩٨ .

وانطلاقاً مما سبق فإن "القدوة العملية أقوى وأشد تأثيراً في نشر المبادئ والأفكار؛ لأنها تجسيد وتطبيق عملي لها. ويسهل مشاهدتها والتأثر والافتداء بها وتقليدها، بخلاف الأقوال أو المحاضرات أو الكتابات، فقد لا يستوعبها بعض السامعين أو القارئین أو قد لا يدركون مقاصدها، وقد تنسى كلها أو بعضها، أو قد تظل نظرية ويجهل الكثير تطبيقها عملياً أو قد يخطئ بعض الناس عند التطبيق".^(١)

ولأهمية القدوة العملية في الإسلام حذر الله المؤمنين من مخالفة أعمالهم أقوالهم التي يدعون إليها فقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ }.^(٢) وقال تعالى: { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }.^(٣)

وقد أكد النبي ٣ هذا المعنى بقوله: (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتشلق أذناب بطنمه، فيدور فيها كما يدور الحمار في الرحا فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتية وأهلى عن المنكر وآتية).^(٤)

ونجد الإمام ابن القيم رحمه الله يتألم حين يرى نفرة الناس عن بعض المحسوبين على أهل العلم بسبب غياب القدوة الحسنة فيهم حيث يقول: "علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم فلو كان ما يدعون إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له. فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع الطرق".^(٥)

ومن هنا يأتي التأكيد على أهمية قول أبي الأسود الدؤلي^(٦):

لانتة عن خلق وتأتي مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم
إبدأبنفسك فانها عن غيها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ماوعظت ويقتدى	بالقول منك وينفع التعليم . ^(٧)

(١) القدوة على طريق الدعوة - مصطفى مشهور - طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة: ٣١.

(٢) سورة الصف: الآيتان: ٢، ٣.

(٣) سورة البقرة: الآية: ٤٤.

(٤) صحيح البخاري - كتاب بدأ الخلق - باب صفة النار: ١١٩١/٣ رقم (٣٠٩٤)، صحيح مسلم - كتاب الزهد والرقائق - باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله: ٢٢٩٠/٤ رقم (٢٩٨٩) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٣/٤٢٥ رقم (١٨٨٢).

(٥) الفوائد - شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية - ط: ١ - دار الريان - القاهرة: ٨٤.

(٦) هو ظالم بن عمرو بن سفيان، أول من وضع قواعد علم النحو، تتلمذ على يد الإمام علي كرم الله وجهه وقرأ عليه القرآن ومنه أخذ حدود النحو، عاصر عدداً من الصحابة رضوان الله عليهم، وتوفي بالبصرة سنة ٦٩ هـ. ينظر: أنباه الرواة على أنباه النحاة - أبو الحسن علي بن يوسف القفطي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - ط: ١ - دار الفكر - القاهرة: ٦٢٤.

(٧) ديوان أبو الأسود الدؤلي - تحقيق: عبد الكريم الدحييلي - ط: ١ - شركة النشر والطباعة المحدودة - بغداد: ٢٣٤، ٢٣٣.

وتكمن أهمية القدوة كأسلوب تربوي في تربية وإعداد القيادات فيما يأتي:

- ١- أن أي منهج تربوي مهما بلغ في تكامله وتميزه فإنه لا يمكن أن ينجح في الواقع سوى بوجود المربي القدوة الذي يجسد بسلوكه وأسلوبه أهداف هذا المنهج وغاياته، ويترجم المثل العليا والمعاني السامية التي يحتويها بها هذا المنهج إلى أفعال واقعية تدفع الجميع إلى الاقتداء بها.^(١)
- إن البشرية لا تستجيب عادة لمنهج مقروء أو مسموع، إنما تستجيب لمنهج حي متحرك متمثل في مجموعة من البشر، مترجم إلى واقع تراه العيون وتلمسه الأيدي وتلحظ آثاره العقول، ولذلك بعث الله رسوله ﷺ ليكون قدوة للبشرية في تجسيد مبادئ المنهج القرآني وأهدافه وغاياته حتى تقتدي به الأمة. قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}.^(٢)
- ٢- إن المثل الحي والنموذج الواقعي للشخصية المتكاملة المترقية في مدارج الكمال البشري يثير في النفس الاستحسان والإعجاب والتقدير، مما يهيج دوافع الغيرة لديها ويدفعها لتقليد ما استحسنته وأعجبت به، والاقتداء بهذا النموذج في أعماله.^(٣) قال تعالى: {وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا}.^(٤)
- ٣- إن القدوة الحسنة تعطي الآخرين قناعة بإمكانية تحقيق المثل العليا، وتطبيق الفضائل الإنسانية، وأنها ضمن قدرات الشخصية وفي حدود استطاعتها. قال تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}.^(٥)
- ٤- اختلاف مستويات الفهم للكلام عند الناس، وتساويهم أمام رؤية الأمثلة الحية بالعين المجردة، مما ييسر إيصال المعاني والمفاهيم إلى المتربين عن طريق القدوة.^(٦)
- ٥- المساعدة على تكوين الذاتية في المتربي، الأمر الذي يؤهله لتطوير نفسه دون الحاجة إلى توجيه خارجي مستمر.^(٧)
- ٦- أن النفوس جبلت على حب التقليد، وهي رغبة ملحة تدفع الطفل والضعيف والمرؤوس إلى محاكاة الرجل القوي والرئيس، كما تدفع غريزة الانقياد القطيع إلى اتباع قائده واقتفاء أثره.
- وهذه الرغبة تدفع البعض إلى تقليد من يعجب به من البشر في حركاته وسكناته ومعظم سلوكياته دون قصد، والمتأثر بشخص ما يتقمص شخصيته عن طريق لا شعوري، وهنا تكمن خطورة ظهور المساوئ في سلوك القدوة لأنه بذلك يتحمل وزر من يقلده فيها.^(٨)

(١) ينظر: أصول التربية الإسلامية للنحلاوي: ٥٤، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية: ٢٥٧ - ٢٥٩.

(٢) سورة الأحزاب: الآية: ٢١.

(٣) ينظر: الأخلاق الإسلامية للميداني: ١ / ٢٠٣.

(٤) سورة البقرة: الآية: ١٢٤.

(٥) سورة البقرة: الآية: ٢٦٨.

(٦) ينظر: المصطفى من صفات الدعوة: ١ / ٢٠.

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٢٣.

(٨) يراجع: أصول التربية الإسلامية للنحلاوي: ٢٥٧ - ٢٦٠، القدوة على طريق الدعوة: ٩ - ٢٠.

قال تعالى: {أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ۝ }^(١).

"التربية بالقدوة أو النموذج ، هو في الحقيقة ، تجسيد للمثل الأعلى في الواقع البشري المحسوس والمشاهد، والترجمة للنظرية إلى ممارسة وتطبيق، وتحويل الفكر والأمل إلى فعل وعمل من خلال عزيمة البشر، وبذلك تتحقق القناعة الفكرية المحسوسة إلى جانب القناعة العقلية المجردة، بأن المثل الأعلى ليس خيالاً بعيد المنال ويستحيل تنزيله على الواقع".^(٢)

لقد اقتضت حكمة الله U أن يكون الإنسان هو أداة التغيير في هذه الحياة، ولذلك أرسل إلى الناس رسلاً منهم، اصطفاهم من خلقه، وصنعهم على عينه، وأدبهم بأدبه، ورباهم وفق منهجه، يبلغون رسالة ربهم، ويدعون إلى دينه بالعمل والسلوك قبل المواعظ والخطب، وقضت حكمته تعالى عصمتهم من الرذائل ليتخذهم الناس أسوة حسنة، ولئلا يقتدى بهم في الخطأ، فكان كل رسول مثلاً أعلى في دعوته وقدوة صالحة لأُمَّته.^(٣) قال تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ ۝ }^(٤) وقال تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ۝ }^(٥).

ولأهمية القدوة كأسلوب تربوي قص الله U على رسوله R أخبار من سبقه من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وأحوالهم مع أممهم ليستفيد منها الدروس والعبر وليتعرف على سيرهم فيقتدى بهم. قال تعالى: { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ۝ }^(٦) وقال تعالى: { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ }^(٧). قال الطبري رحمه الله: أي " فبالعمل الذي عملوا وانتهاج الذي سلكوا وبالهدايات التي هديناهم والتوفيق الذي وفقناهم اقتده يا محمد فاعمل وخذ به واسلكه".^(٨)

وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن هذه الآية تشير إلى أفضلية النبي R على سائر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، حيث تفوق كل نبي بفضيلة معينة وأمر رسول الله R بالاقتراد بهم جميعاً وقد كان منه ذلك فجمع الفضائل كلها.^(٩)

وتستمر الآيات القرآنية لتؤكد على أهمية القدوة كأسلوب تربوي في تربية وإعداد القيادات من خلال الإشارة إلى ذلك في حياة عدد من الأنبياء عليهم السلام.

(١) سورة الزخرف: الآيات: ٢١- ٢٣.

(٢) ينظر: التغيير على منهاج النبوة : ٤٠٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٣.

(٤) سورة النحل: الآية: ٣٦.

(٥) سورة الأحزاب: الآية: ٢١.

(٦) سورة الأحقاف: الآية: ٣٥.

(٧) سورة الأنعام: الآية: ٩٠.

(٨) جامع البيان: ٧/ ٢٦٥.

(٩) ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٧٥/١٣، تفسير المنار: ٧/ ٥٩٨.

قال تعالى في حق إبراهيم U: {وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} (١) ولذلك أمر الله تعالى نبيه R وأمته بالافتداء به صراحة في قوله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ} (٢). وقال تعالى على لسان شعيب U لقومه: {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ} (٣). وقال تعالى مخاطباً موسى U وهارون U: {وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} (٤).

وكما جعل الله U شخصيات الأنبياء U قدوة للنبي R وأمته، أمر الله تعالى الأمة أن تقتدي بالنبي R وتلتزم منهجه. قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (٥).

قال ابن كثير رحمه الله: "هذه الآية أصل كبير في التأسى برسول الله R في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي R يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه U" (٦).

وقال سيد قطب رحمه الله: "وقد كان رسول الله R على الرغم من الهول المرعب والضييق المجهد، مثابة الأمان للمسلمين، ومصدر الثقة والرجاء والاطمئنان. وإن دراسة موقفه - R - في هذا الحادث الضخم لما يرسم لقيادة الجماعات والحركات طريقهم، وفيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر؛ وتطلب نفسه القدوة الطيبة ويذكر الله ولا ينساه" (٧).

لقد كان النبي R عجيبة من عجائب الزمان ونعمة من نعم الله تعالى على هذه الأمة، عظمت لا تحد وكمالات لا تنتهي. شخصيات كثيرة مجتمعه في شخصية واحدة، كل منها متكاملة في ذاتها كأنها متخصصة في هذا الجانب منقطعة له، ثم تجتمع مع غيرها في توازن واتساق لتشكل شخصية واحدة لا مثيل لها. عابد متحنث، وداعية متحرك، وسياسي فذ، ورجل حرب من الطراز الأول، كما أنه زوج وأب ورب أسرة ناجح، واضح في شخصيته ثابت على مبدئه، يجمع بين التواضع والحلم والجود والكرم والشجاعة والقوة، وهو إلى جانب ذلك كله يتمتع بروح شفافة وحيوية متدفقة تعينه على القيام بواجبات الحياة.

وقد كان من حكمة المولى U أن بعثه على هذه الصورة المتكاملة؛ ليكون قدوة للناس في هذه الأرض، يرونه وهو بشر منهم تتمثل فيه هذه الصفات فيؤمنون بالمبادئ التي يدعوهم إليها ويطبّقونها قدر استطاعتهم؛ لأنهم يرونها رأي العين حية واقعية متجسدة في شخصه R. (٨)

(١) سورة البقرة: الآية: ١٢٤.

(٢) سورة الممتحنة: الآية: ٤.

(٣) سورة هود: الآية: ٨٨.

(٤) سورة يونس: الآية: ٨٧.

(٥) سورة الأحزاب: الآية: ٢١.

(٦) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٤٥٧.

(٧) في ظلال القرآن: ٥/ ٢٨٤١.

(٨) ينظر: منهج التربية الإسلامية: ١/ ١٨٢، ١٨٣.

لقد طبق النبي ﷺ المنهج القرآني وجسده واقعاً ملموساً في جوانب حياته المختلفة حتى تحول هذا المنهج إلى حقيقة واقعة، تتحرك بين الناس؛ ليعرف الناس أنه الحق فيتبعوه، ولتقوم الحجة على البشر مرتين: مرة بالبيان النظري وأخرى بالتطبيق العملي، وشيء آخر وهو تنوع أحوال البشر وتعدد جوانب حياتهم الأمر الذي يجعلهم في حاجة إلى القدوة المتكاملة في كل شيء، وهو ما جسده النبي ﷺ بتنوع أحواله وتعدد جوانب حياته وتكاملها.^(١)

وقد كان لأسلوب التربية بالقدوة أثره الفعال في تربية جيل الصحابة الكرام رضوان الله عليهم والارتقاء

بهم، والمواقف الدالة على ذلك كثيرة منها:

١- حلقة ٣ ونحره الهدي يوم الحديبية:

فقد روى البخاري رحمه الله عن عمر **t** قوله: (لما فرغ رسول الله ﷺ من قضية كتابة الصلح قال لأصحابه: قوموا فاحلقوا فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، دخل على أم سلمة فذكر لها ما يلقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة، ثم تنحس بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، فحس بدنهم ودعا حالقهم. فلما رأوا ذلك قاموا فنحسوا وجعل بعضهم تخلق بعضاً حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً).^(٢) وفي الحديث دلالة على أهمية القدوة العملية وتحقق التربية بها، حيث أمر النبي ﷺ أصحابه بالحلق ونحر الهدي وكرر الأمر ثلاث مرات ولم يستجب أحد رغم وجود كبار الصحابة **y**، فلما بدأ رسول الله بنفسه سارع الجميع إلى تنفيذ الأمر وتحقيق المراد.

٢- إفتاره ٣ علانية في نهار رمضان يوم حنين:

فقد روى البخاري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (خرج النبي ﷺ في رمضان إلى حنين والناس مختلفون، فصائم ومنظر فلما استوى على راحلته دعا بأداء من لبن أو ماء فوضع على راحلته - أو على راحلته - ثم نظر إلى الناس، فقال المفطرون للصوامر: أفطروا).^(٣) ويتضح من الحديث أنه ﷺ أراد التخفيف عن أصحابه **y** في أمر ألزموا أنفسهم العزيمة فيه دون أن يأمرهم بالفطر، فبدأ بنفسه ثم تابعه الصحابة الكرام مقتدين ومتأسين.^(٤)

(١) ينظر: الرسول ﷺ - سعيد حوى - ط: ٤ - دار الكتب العلمية - بيروت: ١ / ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب الشروط - باب الشروط في الجهاد: ٢ / ٩٧٨ رقم (٢٧٣٢).

(٣) صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب غزوة الفتح في رمضان: ٤ / ١٥٥٨ رقم (٤٠٢٥).

(٤) ينظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية: ٢١٦ .

٣- إطلاقه ٢ سبي هوازن:

فقد جاء وفد هوازن إلى النبي ٢ وطلبوا منه أن يعيد عليهم أموالهم ونساءهم وأبناءهم فخيرهم بين الأموال والنساء والأبناء، فاختاروا النساء والأبناء، فقال رسول الله ٢: (أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صليت بالناس فقولوا: إنا نسئف من رسول الله ٢ إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فإني سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم، فلما صلى رسول ٢ بالناس الظهر قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله ٢ فقال: أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ٢، وقال الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ٢^(١).

ومما تجدر الإشارة إليه أن أسلوب التربية بالقوة يتميز عن غيره من أساليب التربية القيادية الأخرى بعدة خصائص لعل من أبرزها:

١- سهولته وسرعة انتقال التربية به.

٢- سلامة الأخذ به وضمان الصحة ولاسيما في الأمور العملية كالصلاة والحج لقوله ٢ في الحديث الذي يرويه مالك بن الحويرث t: (صلوا كما رأيتموني أصلي)^(٢)، وقوله ٢ وهو في حجة الوداع في الحديث الذي يرويه جابر بن عبد الله t: (لأخذوا مناسككم)^(٣).

٣- عمق تأثير القوة في النفس البشرية وسرعة استجابتها للأمر العملية أكثر من النظرية.

ومن هنا كانت إشارة أم سلمة رضي الله عنها على النبي ٢ يوم الحديبية أن يبدأ بنفسه في الحلق والتحلل ليقتدي به المسلمون وهو ما تحقق فعلاً.

وقد أدرك عمر t أهمية القوة وخطورتها في حياة القيادة فكان يقول: "الرعية مؤدية إلى الإمام ما أدى إلى الله فإذا رتع الإمام رتعوا"^(٤).

ومع كل ما سبق من حديث عن أهمية التربية بالقوة إلا انه يجب التأكيد على ضرورة الابتعاد عن الشخصانية في تربية الأفراد حتى لا يصبحوا نسخاً مكررة من قياداتهم ومرييهم يعجبون بهم ويتأثرون بشجاعتهم على حساب المبادئ والغايات، كما يجب الحذر من المغالاة في حب الأشخاص والإعجاب بهم أو إعطائهم أكثر مما يستحقون من المنزلة؛ لأنهم بشر يخطئون ويصيبون، فالتقديس للمبدأ والقيمة وليس للشخص مهما

(١) مسند أحمد: ١٨٤/٢ رقم (٦٧٢٩)، سنن أبي داود- كتاب الجهاد - باب فداء الأسير بالمال: ٦٣/٣ رقم (٢٦٩٤) قال الهيثمي: "رواه أحمد ورجال أحد إسناده ثقات". مجمع الزوائد: ١٨٨/٦.

(٢) صحيح البخاري- كتاب الأذان - باب رحمة الناس والبهائم: ٢٢٣٨/٥ رقم (٥٦٦٢)

(٣) صحيح مسلم- كتاب الحج - باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر: ٩٤٣/٢ رقم (١٢٩٧).

(٤) الطبقات الكبرى: ٢٩٢ / ٣.

علت منزلته وبلغت مرتبته، وهذه المشكلة إنما تتبع من غياب المبدأ الذي يؤمن به الأفراد أو المنهج الذي يوضح العلاقة بين الأشخاص والمبادئ.^(١)

ومن هذا المنطلق جاءت العديد من النصوص لتعالج الخلل الذي قد يقع في العلاقة بين المبادئ والأشخاص كما في قوله تعالى: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ }^(٢) وجاء موقف الصديق t بعد وفاة النبي ﷺ ليذكر بهذه المعالجة القرآنية وليعيد هذه العلاقة إلى وضعها الصحيح.

وعندما أحس عمر t وجود نوع من الخلل في هذا المفهوم لدى بعض الأفراد الذين عملوا تحت قيادة خالد بن الوليد t حيث دار بخلد البعض أنهم لن يهزموا ما داموا يعملون تحت قيادة خالد t سارع إلى عزله عن قيادة الجيش الإسلامي وهو في قمة انتصاراته.^(٣)

(١) يراجع: التعبير على منهاج النبوة: ٤١٩، فصول في التفكير الموضوعي: ٢٣٥ - ٢٤١.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ١٤٤.

(٣) يراجع: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب: ٤١٨ - ٤٢٦.



المبحث الثاني التربية بالموعظة

الموعظة في اللغة من وعظه يعظه وعظاً وعِظَةً وموعظةً وتأتي بعدة معان منها:

١- التخويف والزجر .

٢- التذكير بما يلين القلب ويرققه.

٣- النصح والتذكير بالعواقب. (١)

والموعظة في الاصطلاح من الوعظ وهو: "النصح والتذكير بالحق والخير والعواقب على الوجه الذي

يرق له القلب ويبعث على العمل". (٢)

وقد ورد لفظ الموعظة في القرآن الكريم بعدة معان منها:

١- النصح: وهو بيان الحق والمصلحة بقصد تجنب الضرر ودلالته على ما يحقق سعاده في

الدنيا والآخرة. قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } (٣).

٢- التذكير: وهو إعادة بعض المعاني والذكريات إلى الذاكرة وبما يوقظ المشاعر والوجدانات والانفعالات

التي تدفع للمبادرة إلى العمل الصالح والمسارة في الخيرات. قال تعالى: { فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ } (٤)

٣- التخويف والزجر: قال تعالى: { فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ

فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (٥).

٤- النهي: قال تعالى: { يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (٦)

٥- الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب: قال تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } (٧).

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة- مادة وعظ : ١٠٥٩ ،لسان العرب- مادة وعظ ٤٦٦/٧ .

(٢) تفسير المنار: ٤٠٤/٢ .

(٣) سورة لقمان: الآية: ١٧ .

(٤) سورة البقرة: الآية: ٦٦ .

(٥) سورة البقرة: الآية: ٢٧٥ .

(٦) سورة النور: الآية: ١٧ .

(٧) سورة النحل: الآية: ١٢٥ .

٦- القرآن: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } (١).

ولاشك أن تعدد المعاني وتنوعها يتيح للمربي والواعظ استخدام المعنى الذي يتناسب مع الموقف والمقام والمناسبة التي يستخدم فيها هذا الأسلوب. (٢)

والموعظة الحسنة تثير كوامن النفس وتزيل عنها الغفلة، وتحيي فيها الأحاسيس، وتنمي فيها الشعور بالتقصير، وتنشئ فيها همة عالية تدفعها إلى الجد والعمل على تغيير السلوك نحو الأفضل، والتمسك بالصفات الجيدة والأخلاق الفاضلة والسجايا الحميدة (٣)، ولاسيما إذا كانت كلاماً بليغاً طويلاً حسن الألفاظ حسن المعاني مشتملاً على الترغيب والترهيب، والإحذار والإنذار، والثواب والعقاب، فإن الكلام إذا كان هكذا عظم وقعه في القلب. (٤)

ومن هنا كان اهتمام المنهج القرآني بالموعظة كأسلوب دعوي وتربوي له وقعه على القلوب وتأثيره في النفوس. قال تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } (٥).

يقول سيد قطب رحمه الله: "إن الدعوة دعوة إلى سبيل الله. لا لشخص الداعي ولا لقومه، فليس للداعي من دعوته إلا أن يؤدي واجبه لله..."

والدعوة بالحكمة، والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يتقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها...

وبالموعظة الحسنة التي تدخل القلوب برفق، وتتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل وحسن نية. فإن الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ.

وبالجدل بالتي هي أحسن بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق. (٦)

وقد طبق الأنبياء عليهم السلام هذا الأسلوب في دعوتهم وتربيتهم لأممهم، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في أكثر من موضع. قال تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفِرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ

(١) سورة يونس: الآية: ٥٧.

(٢) ينظر: أصول التربية الإسلامية للحلاوي: ٢٨٢ - ٢٨٤، التربية بالموعظة الحسنة - عصام حسن عيد حجازي - رسالة ماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة - كلية التربية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة: ١٥، ١٦.

(٣) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية: ٣٠٠.

(٤) التفسير الكبير للرازي: ١٠/١٦٥.

(٥) سورة النحل: آية: ١٢٥.

(٦) في ظلال القرآن: ٤/ ٢٢٠١، ٢٢٠٢.

إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَفْذِلُ بِالْحَقِّ عِلْمَ الْغُيُوبِ * قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيهِ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝ { (١).

وقال تعالى مبيناً موقف نوح U مع قومه: { قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ } (٢). وذكر U طرفاً من قصة هود U مع قومه في قوله تعالى: { وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ } (٣).

ولا خلاف في أن الموعدة الحسنة، والنصيحة الصادقة أبلغ في التأثير، وأدعى للاستجابة إن صادفت قلباً متفتحاً، ونفساً صافية، وعقلاً متديراً. (٤) قال تعالى: { إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝ } (٥). وقال تعالى: { ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ } (٦).

والموعظة من حيث هي أسلوب تربوي رائع أخذ به المنهج القرآني؛ لأنها تنتج عن سعة علم ومعرفة أو خلاصة معاناة وتجربة، ولذلك نجد المواعظ القرآنية إما صادرة عن الله تعالى كما هو الحال بالنسبة للقرآن الكريم الذي يمثل موعظة الله تعالى للمؤمنين. قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۝ } (٧). وكما في موعظته تعالى لنوح U عندما خاطبه في شأن ولده الهالك: { قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝ } (٨).

كما نجد لها صادرة أيضاً عن الأنبياء والرسل والحكماء والوالدين ولاشك أنهم ذووا علم ومعرفة وتجربة. قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝ } (٩). وقد تصدر الموعظة من الأصغر إلى الأكبر كما في موعظة إبراهيم لأبيه، ولا حرج في ذلك ما دامت الموعظة نابعة من عقيدة صحيحة ونفس مؤمنة. (١٠)

(١) سورة سبأ: الآيات: ٤٦ - ٤٩.

(٢) سورة هود: الآيات: ٣٢ - ٣٤.

(٣) سورة الأعراف: الآيات: ٦٥ - ٦٨.

(٤) ينظر: تربية الأولاد في الإسلام: ٢ / ٦٨٦ ، ٦٨٧.

(٥) سورة ق: الآية: ٣٧.

(٦) سورة الطلاق: الآية: ٢.

(٧) سورة النساء: الآية: ٥٨.

(٨) سورة هود: الآية: ٤٦.

(٩) سورة لقمان: الآية: ١٣.

(١٠) ينظر: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم لأبي العينين: ٢٣٢.

ويتميز أسلوب التربية بالموعظة الحسنة في المنهج القرآني بتعدد صيغه وتنوع ألفاظه وعباراته، وهو ما

يمكن الإشارة إليه فيما يأتي:

١ - النداء الإقناعي مصحوباً بالاستعطاف أو الإستنكار:

وهذا الأسلوب له إحياءاته المؤثرة على المشاعر والأحاسيس، وتأثيره البالغ في القلوب والأرواح، وهو ظاهر في خطاب المنهج القرآني للأفراد على اختلاف أشكالهم وأجناسهم وطبقاتهم.^(١) قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ }^(٢). وقال تعالى: { وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزَلٍ يَا بَنِيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ }^(٣). وقال تعالى: { يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا }^(٤).

٢ - الأسلوب القصصي مصحوباً بالعبرة والعظة:

وهذا الأسلوب له تأثيراته النفسية، وإحياءاته المعنوية، وانطباعاته الذهنية، وحججه المنطقية، وبراهينه العقلية، وهو ظاهر في العديد من الآيات ولاسيما المتعلقة منها بأخبار الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم.^(٥) قال تعالى: { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }^(٦). وقال تعالى: { وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ }^(٧).

٣ - الأسلوب التوجيهي مصحوباً بالوصايا والمواعظ:

وهذا الأسلوب له تأثيره البالغ على القلوب والأرواح؛ لما يصاحبه توجيهات ربانية تقود إلى الخشوع والتفكير والتطبيق لتعاليم المنهج الإلهي، وتربية الإنسان وإعداده إعداداً متكاملًا^(٨). قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِنْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ

(١) ينظر: تربية الأولاد في الإسلام: ٢ / ٦٨٩ - ٦٩١.

(٢) سورة البقرة: الآية: ١٥٣.

(٣) سورة هود: الآية: ٤٢.

(٤) سورة الأحزاب: الآية: ٣٢.

(٥) ينظر: تربية الأولاد في الإسلام: ٢ / ٦٩٢ - ٦٩٥.

(٦) سورة يوسف: الآية: ١١١.

(٧) سورة هود: الآية: ١٢٠.

(٨) ينظر: تربية الأولاد في الإسلام: ٢ / ٦٩٥ - ٦٩٩.

مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُدْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ }^(١).

٤- الجمع بين الترغيب والترهيب:

وهذا الأسلوب له دور كبير في تنشيط حوافز السلوك الحميدة، وتنشيط حوافز السلوك الذميمة. قال تعالى: { نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ }^(٢). وقال تعالى: { إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ }^(٣).

ويعمل أسلوب التربية بالموعظة على تحقيق جملة من الأهداف التي تسهم في تربية وإعداد الشخصية

القيادية والارتقاء بها، ولعل أبرز هذه الأهداف ما يأتي:

١- الحفاظ على سلامة الفطرة الإنسانية من التلوث والفساد.

٢- تزكية النفس الإنسانية وتطهيرها مما قد يعلق بها من أدران.

٣- تعديل السلوك الإنساني والارتقاء به نحو الأفضل.

٤- الوقاية من الجريمة والانحراف وتحصين الأفراد ضدهما ومقاومة مظاهرهما.

٥- تكوين العواطف الإيمانية في نفس الإنسان وتنشئته عليها وإيقاظها من غفلتها.

٦- تعليم الإنسان وتنقيفه دينياً ودنياً.

٧- التنبيه إلى مواطن الخلل في الفرد والمجتمع ومعالجتها مبكراً.

وهناك عدد من الأهداف الأخرى التي يسعى أسلوب التربية بالموعظة لتحقيقها في النفس الإنسانية والتي

لا يتسع المجال لذكرها.^(٤)

ولابد من مراعاة جملة من العوامل لضمان نجاح هذا الأسلوب في التربية وتحقيق الأهداف المرجوة منه،

ولعل من أبرز هذه العوامل:

١- إتقان فنون الإلقاء:

ويدخل في ذلك سلامة النطق، ووضوح الصوت، وإجادة اللغة، ومن هنا كان رفع النبي ٣ صوته في

الخطب، وتكرير العبارات، وتوضيح ما أشكل فهمه على السامعين. قال تعالى: { وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ

الْمُبِينُ }^(٥).

(١) سورة لقمان: الآيات: ١٣-١٩.

(٢) سورة الحجر: الآيتان: ٤٩، ٥٠.

(٣) سورة الأنعام: الآية: ١٦٥.

(٤) يراجع: أصول التربية الإسلامية للنحلاوي: ٢٨٤، ٢٨٥، التربية بالموعظة الحسنة: ١٧-٢٣، ٣٤-٤١.

(٥) سورة العنكبوت: الآية: ١٨.

٢ - مراعاة طبيعة المخاطبين:

فقد خاطب الله U موسى وهارون عليهما السلام عندما أرسلهما إلى فرعون مدعي الربوبية بقوله تعالى: {أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ} (١). وقال تعالى في خطابه لموسى U {أَذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ * وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ} (٢). فقد أمره تعالى أن يستخدم مع فرعون أسلوب السؤال والعرض لا أسلوب الأمر والنهي وهو ما يتناسب مع طبيعة الشخصية الفرعونية التي ترفض أسلوب الأمر أياً كان مصدره.

ومن ذلك خطاب إبراهيم U مع والده حيث خاطبه بقوله: {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا} (٣). فابتدأ خطابه بذكر أبوته دلالة على توقيره ولم يسمه باسمه، واستخدم معه أسلوب السؤال لا النهي، وهو ما يتناسب مع سنه ومكانته. وإذا كان ذلك مع الكافرين والمتكبرين فمن باب أولى أن تكون موعظة المؤمنين ألين خطاباً وأكثر عاطفة؛ لتكون أوقع في النفس وأدعى للقبول. بدليل قوله تعالى لنبيه ٣: {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} (٤).

ومن هنا كان تأكيد النبي ٣ على مخاطبة كل إنسان بما يفهمه وبحسب نفسيته، وحرصه على ذلك في مواضعه كلها حتى يضمن استفادة الجميع منها (٥).

٣ - إقران القول بالعمل:

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} (٦). وقال تعالى: {اتَّمُرُوا بِالنَّاسِ بِالْإِحْسَانِ وَتَنَسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (٧). فلا قيمة لقول بلا عمل ولا تأثير له مطلقاً مهما اقترن بالفصاحة والبلاغة والبيان.

٤ - استغلال الأوقات المناسبة:

فقد كان النبي ٣ يراعي أوقات النشاط والرغبة والإقبال لدى الصحابة الكرام y فيذكرهم، و لا يفعل ذلك كل يوم خوفاً عليهم من الملل، وهو ما نص عليه ابن مسعود t بقوله: (كان النبي ٣ يدخلنا بالموعظة في الأيام

(١) سورة طه: الآيتان: ٤٣، ٤٤.

(٢) سورة النازعات: الآيات: ١٧-١٩.

(٣) سورة مريم: الآية: ٤٢.

(٤) سورة آل عمران: الآية: ١٥٩.

(٥) يراجع: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية: ٣١٦ - ٣٢٠.

(٦) سورة الصف: الآيتان: ٢، ٣.

(٧) سورة البقرة: الآية: ٤٤.

كراهة السامة علينا^(١)، والمراد بالتخول: " أنه كان يراعي الأوقات في تعليمهم ووعظهم ولا يفعله كل يوم خشية الملل فينذرهم أياماً ويتركهم أياماً"^(٢).

قال ابن حجر رحمه الله: " فيستحب ترك المداومة في الجد في العمل الصالح خشية الملل، وإن كانت المواظبة مطلوبة... ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والضابط الحاجة مع مراعاة وجود النشاط"^(٣).

٥ - استغلال المواقف وتحين الفرص المناسبة للوعظ:

وهو ما يتضح من خلال قول الإمام علي **t**: (كان النبي **ﷺ** في جنازة فأخذ شيئاً فجعل ينكت به الأرض. فقال: ما منكم من أحدٍ إلا وقد كذب متعداً من النار، ومتعداً من الجنة، قالوا: يا رسول الله: أفلا ننكل على كتابنا ونذع العمل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له)^(٤). وما رواه المغيرة بن شعبة **t** قال: (انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم فقال الناس: انكسفت لموت إبراهيم، فقال النبي **ﷺ**: إن الشمس والقمر آيات من آيات الله لا تنكسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتموها فادعوا الله حتى تنجلي)^(٥). وهذا لا يتنافى مع التخول بالموعظة ذلك أن الضابط هو وجود الاستعداد النفسي للتقبل، والنفس مهياً للتقبل عند وقوع الحدث أكثر من أي وقت آخر، لما في الحدث من وقع يزيل عنها الغفلة والفتور^(٦).

٦ - الإمام بالموضوع المتحدث عنه من جميع جوانبه:

حتى تكون الموعظة مؤثرة ومحقة للهدف الذي استخدمت من أجله لا بد أن يكون المتحدث ملماً بالموضوع الذي يتحدث عنه من جميع جوانبه حتى تحصل الفائدة ويعم النفع، وبهذا يمكن أن تؤثر الموعظة في نفوس السامعين وأن تؤدي دورها كأسلوب من أساليب التربية القيادية.

(١) صحيح البخاري - كتاب العلم - باب ما كان النبي **ﷺ** يتخولهم بالموعظة ولعلم كي لا ينفروا: ١/ ٣٨ رقم (٦٨)، صحيح مسلم - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - باب الإقتصاد في الموعظة: ٤/ ٢١٧٢ رقم (٢٨٢١) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٣/ ٣٧٢ رقم (١٧٩٦).

(٢) فتح الباري: ١١/ ٢٢٨.

(٣) المصدر نفسه: ١/ ١٦٣.

(٤) صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب قوله تعالى: (فسنيسره لليسر): ٤/ ١٨٩١ رقم (٤٦٦٦)، صحيح مسلم - كتاب القدر - باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه: ٤/ ٢٠٣٩ رقم (٢٦٤٧) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٣/ ٢٧٣ رقم (١٦٩٨).

(٥) صحيح البخاري كتاب الكسوف - باب صلاة الكسوف: ١/ ٣٥٣ رقم ٩٩٣، صحيح مسلم - كتاب الكسوف - باب ذكر النداء لصلاة الكسوف: ٢/ ٦٠٣ رقم (٩١٥) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١/ ٢٠٥ رقم (٥٣٠).

(٦) ينظر: فتح الباري: ١/ ١٦٣.



المبحث الثالث التربية بالحوار

الحوار في اللغة: التجاوب ، والمحاورة: المجادلة.(١)

والمراد بالحوار هنا: التجاوب مع التعليم؛ بتناول الحديث من طرفين أو أكثر، عن طريق السؤال والجواب، مع الحفاظ على وحدة الموضوع والهدف.(٢)

ويمكن تعريف أسلوب التربية بالحوار في المنهج القرآني بأنه: "كل نداء أو خطاب أو سؤال يوجهه القرآن، أو يحكيه موجهاً إلى منادى أو مخاطبٍ أو مخاطبين، حول أمر هام، أو يوجهه النبي ﷺ إلى أصحابه أو إلى المسلمين، بقصد توجيههم، أو توجيه اهتمامهم إلى هذا الأمر أو إلى تحقيق هدف معين أو القيام بسلوك فكري أو اعتقادي أو اجتماعي أو أخلاقي أو تعبدي".(٣)

والتربية بأسلوب الحوار والمناقشة تدفع المتعلم إلى الإيجابية والتفاعل والمشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم، والتساؤل عما لا يدركه من أمور، كما أنها دليل على ثراء الموقف التربوي وتفاعل عناصره ومحتوياته، ومؤشر على وجود درجة عالية من التفاعل الإيجابي بين المعلم والمتعلم، وبذلك تكون أقرب إلى روح منهج التربية الإسلامية من أسلوب المحاضرات والتلقين.(٤)

وقد كان العلماء والمربون المسلمون يشجعون تلاميذهم على المناقشة وإبداء الآراء ولكن مع مراعاة الأدب والاحترام دون أن يؤثر ذلك على علاقتهم ببعض ويعدون ذلك من الأمور الأساسية المعينة على التحصيل العلمي، حتى أن ابن خلدون رحمه الله انتقد الركود الذهني في بلاد المغرب في القرن الرابع عشر الميلادي وعزاه إلى إهمال أسلوب الحوار والمناقشة في التربية والتعليم فقال: "وأيسر طرق هذه الملكة نتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها، ويحصل مراميها، فنجد طلاب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتاً لا ينطقون ولا يفاوضون. وعنايتهم بالحفظ أكثر مما تقتضيه الحاجة"(٥). فكيف لو رأى واقع التربية والتعليم في البلاد العربية والإسلامية اليوم منهجاً وأسلوباً.

(١) ينظر: لسان العرب - مادة حور ٢١٧/٤.

(٢) ينظر: أصول التربية الإسلامية للنحلاوي: ٢٠٦، التربية بالحوار - عبد الرحمن النحلاوي - طبعة معادة عن الطبعة الأولى - دار الفكر - بيروت، دمشق: ١٣، ١٤.

(٣) التربية بالحوار: ١٤.

(٤) ينظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية: ٣٥٤، طرائق النبي ﷺ في تعليم أصحابه رضوان الله عليهم - د. أحمد العليمي - ط: ١ - دار ابن حزم - بيروت: ٩٩، منهج التربية في التصور الإسلامي: ٣٣٠.

(٥) مقدمة ابن خلدون: ٢٧٤.

ومما يؤكد أهمية التربية بالحوار والمناقشة ما ذكرته بعض الدراسات من أن الإنسان لا يتذكر بعد شهر سوى ١٣% من المعلومات التي حصل عليها عن طريق السمع، في حين أنه يتذكر بعد شهر ٧٠% من المعلومات التي حصل عليها عن طريق البصر، أما المعلومات التي حصل عليها عن طريق الحوار والنقاش والمشاركة فإنه يتذكر بعد شهر ٩٥% منها^(١)، وهذه النسب تؤكد المقولة القديمة للحكيم الصيني كونفوشيوس: "قل وسوف أنسى، أرني ولعلي أتذكر، شاركني وسوف أتذكر"^(٢).

ويمكن الإشارة إلى أبرز الأهداف المتحققة والفوائد الناتجة عن استخدام أسلوب التربية بالحوار والمناقشة فيما يأتي:

- ١- تكوين العواطف الإيجابية وتمييزها عن طريق إثارة الانفعالات الوجدانية وربطها بالسلوكيات المطلوبة.
 - ٢- تربية الشخصية على الحماسة للحق وتحري الصواب والمطالبة بالحجة والدليل.
 - ٣- تربية العقل على التفكير السليم والوصول إلى الحقائق بأسلوب صحيح.
 - ٤- تنمية روح الإيجابية والفاعلية لدى المتربي.
 - ٥- الارتقاء بالعلاقة الإنسانية بين المربي والمتربين لتقوم على التفاعل الإيجابي والاحترام المتبادل.
 - ٦- تنمية روح الثقة بالنفس لدى كل من المربي والمتربي.
 - ٧- إتاحة الفرصة للأفراد للتعبير عن ذواتهم والحديث عن مشكلاتهم ، الأمر الذي يشعرهم بأهميتهم ويدفعهم للتفاعل الإيجابي مع الأنشطة التربوية المختلفة.
 - ٨- تنمية مهارات الاتصال من خلال الاستماع والكلام وإدارة الحوار.
 - ٩- إكساب الأفراد جملة من الآداب المتعلقة بالحوار والنقاش والمتمثلة في التزام النظام واحترام الآراء، فضلاً عن الأهداف والفوائد الأخرى التي يمكن تحقيقها باستخدام هذا الأسلوب الشيق في التربية.^(٣)
- ونظراً لأهمية التربية بالحوار والمناقشة فقد اشتمل المنهج القرآني على العديد من النماذج التي تبرز هذه الأهمية، بل وقسمها إلى أنواع وأشكال تتناسب مع تعدد الأحداث والمواقف واختلاف نوعيات المخاطبين وحالاتهم، ولعل من أبرز أنواع الحوار القرآني ما يأتي:**

أولاً: الحوار البرهاني والجدلي:

وهو موقف يجري فيه نقاش أو حوار غايته إثبات الحجة على المخاطب، وإلزامه بالإقرار بالأمر الذي وجد من أجله الحوار ، وإقناعه به وهدايته إليه.^(٤) ومن ذلك قوله تعالى: { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ * أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ

(١) ٣٣٣ تقنية للتدريب واللقاء المؤثر: ١٠ (نقلاً عن: صناعة النجاح: ١٦٤).

(٢) صناعة النجاح: ١٦٥.

(٣) يرجع: منهج التربية في التصور الإسلامي: ٣٤٥ - ٣٤٦، التربية بالحوار: ١٣٥ - ١٩٨.

(٤) ينظر: أصول التربية الإسلامية للحلاوي: ٢٢٤، التربية بالحوار: ٢١.

مُثَقَّلُونَ * أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ * أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ * أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ { (١).

وهذا الحوار كما يتضح من الآيات يقوم على إسقاط حجج الخصم ودفعه إلى التسليم بالحق الذي يراد هدايته إليه، عن طريق التفكير السليم والوصول إلى الحقائق بأسلوب صحيح يعتمد على الأدلة والبراهين. (٢)

ثانياً: الحوار الوصفي:

هو حوار بين طرفين أو أكثر يصف الحالة النفسية والواقعية للمتحاورين، ويشعر القارئ والسامع بها فيتأثر بهذا الجو تأثراً وجدانياً ينمي فيه العواطف الإيمانية والسلوك الحميد، ويدفعه للاقتداء بالصالحين والابتعاد عن الفاسدين. (٣) ومن ذلك قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَتَّكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ * وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهْوَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يِنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نُنَسِّاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۝ { (٤).

وهذا الحوار كما يتضح من الآيات يبدأ بالتعريف بأحوال الفريقين: أهل الجنة وما يرفلون فيه من نعيم، وأهل النار وما هم فيه من عذاب، ثم ينتقل إلى عرض صورة حية للأحوال النفسية للفريقين، ويستعين بالمخيلة

(١) سورة الطور: الآيات: ٣٥-٤٣.

(٢) ينظر: أصول التربية الإسلامية للنحلاوي: ٢٢٦، ٢٢٧، التربية بالحوار: ٢٢-٢٦، ٢٦، ١٨٣.

(٣) ينظر: أصول التربية الإسلامية للنحلاوي: ٢٢٠، التربية بالحوار: ٢٦.

(٤) سورة الأعراف: الآيات: ٤٠-٥١.

والوصف الدقيق في التأثير على القارئ أو السامع وتربية عواطفه الإيمانية، كما يعتمد على الإيحاء في بيان مصير كل من يتبع أحد الفريقين.^(١)

ثالثاً: الحوار القصصي:

هو حوار يجري بين شخصيات القصة يدل على ما يتوقع من أحداثها قبل وقوعه، أو يحكي ما جرى من تلك الأحداث بعد وقوعه، أو يصف دوافع شخصيات القصة التي تحرك سلوكهم، وهو يقتصر على القصص التي يغلب فيها جانب الحوار على الإخبار. ومن ذلك قصة يوسف U التي جسدت نموذج الحوار القصصي المطول حيث استغرق الحوار معظم أجزاء القصة وموافقها^(٢)، وكذلك قصة شعيب U مع قومه في سورة هود والتي اشتمل عليها قوله تعالى: {وَالِي مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا أَلِ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْفُسُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَيْكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِدِينَ * بَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالَفَكُمْ إِلَى مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ نُوْحًا أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ * وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْمُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ * وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودٌ }^(٣).

وهذا النوع من الحوار كما يتضح من الآيات مؤلف من مجموعة أسئلة وعدة نصائح متتابعة تتخللها بعض الأجوبة والتعليقات، والهدف من هذا الحوار الذي يعتمد على الإيحاء الحث على تطبيق المنهج الرباني في واقع الحياة؛ ضماناً لتحقيق السعادة والنجاة من العذاب الذي يحل بالمخالفين والظالمين.^(٤)

رابعاً: الحوار الخطابي:

(١) ينظر: أصول التربية الإسلامية للنحلاوي: ٢٢١، التربية بالحوار: ٣٠-٣٤.

(٢) ينظر: أصول التربية الإسلامية للنحلاوي: ٢٢٢، التربية بالحوار: ٣٥-٦٣.

(٣) سورة هود: الآيات: ٨٤-٩٥.

(٤) يراجع: أصول التربية للنحلاوي: ٢٢٣، ٢٢٤، التربية بالحوار: ٦٣-٦٨.

هو كل خطاب أو نداء أو سؤال يوجهه القرآن الكريم إلى المخاطبين، للأمر بفعل أو النهي عن سلوك، أو التذكير بنعمة، أو لإيقاظ عواطفهم ولفت أنظارهم إلى ما يهمهم.^(١) ومن أشكال هذا النوع من الحوار:

١- الحوار الخطابي التعبدي:

وهو الأسئلة والأدعية أو الأوامر التي ورد ذكرها في القرآن الكريم لعبادة الله تعالى بالإجابة عنها، أو ترديدها كما وردت، أو الاستجابة لها.^(٢) ومن ذلك ما رواه حذيفة بن اليمان **t** قال: (صليت مع النبي **ﷺ** ليلة فافتح "البقرة"، فقلت **يا** كعب عند المئمة ثم مضى، فقلت: يصلي لها في ركعة، فمضى، فقلت **يا** كعب لها، ثم أفنخ: النساء" فقرأها، ثم أفنخ "آل عمران" فقرأها، يقرأ مترسلاً إذا من آية فيها تسيح سبج، وإذا من سؤال سأل، وإذا من بغيره تعوذ)^(٣).

وهذا النوع من الحوار يربي الوجدان على التأثر العاطفي بمعاني القرآن، والتجاوب مع الآيات والتفكير في معناها، وتوجيه السلوك للعمل بمقتضاها^(٤).

٢- الحوار الخطابي التذكيري:

وهو الخطاب الموجه إلى عموم الأفراد لتذكيرهم بنعم الله تعالى ليشكروها، أو إلى بعض الفئات لتذكيرهم بذنوبهم وأخطائهم وانحرافاتهم ليرجعوا عنها^(٥). ومن ذلك قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }^(٦) فهذا النوع من الحوار يوقظ في النفس الإنسانية عاطفة العرفان بالجميل والشكر للمنع، وبالتالي يربي في الإنسان عاطفة الخضوع والانقياد لأوامر الله تعالى^(٧).

٣- الحوار الخطابي التبيهي:

(١) ينظر: التربية بالحوار: ٦٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٦٩.

(٣) صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب استحباب تطويل القراءة في الليل: ١/٥٣٦ رقم (٧٧٢).

(٤) ينظر: أصول التربية الإسلامية للنحلاوي: ٢٠٩، ٢١٠.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢١٢، التربية بالحوار: ٨٩.

(٦) سورة آل عمران: الآيتان: ١٠٢، ١٠٣.

(٧) ينظر: أصول التربية الإسلامية للنحلاوي: ٢١٢، ٢١٣، التربية بالحوار: ٩٠، ٩١.

وهو الخطاب الموجه إلى الأفراد وسؤالهم عن أمر ما ثم الإجابة عليه وتوضيحه أو تصحيح معلوماتهم وإزالة شكوكهم حوله، فتكون غاية السؤال إثارة الاهتمام ولفت الأنظار إلى أهمية الأمر الذي يدور حوله الحوار^(١). ومن ذلك قوله تعالى: { عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ * كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا * وَبَيَّنَّا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا * وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا * إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا * يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا * وَسَيَّرَتِ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَابًا }^(٢).

وهذا النوع من الحوار يهدف إلى التنبيه على أمر هام، أو قانون عام، أو سنة إلهية في حياة البشر، وهناك أشكال وأنواع أخرى للحوار القرآني لا يتسع المجال لذكرها.^(٣)

إن هذا التنوع والتعدد في أشكال الحوار القرآني يتيح الفرصة أمام المربي لاستخدام النوع المنفق مع الموقف التربوي والتعليمي والمناسب مع نوعية الأفراد وحالاتهم، وهو ما صنعه النبي ﷺ حيث استخدم الحوار والمناقشة كأسلوب تربوي خلال تربية وإعداد الصحابة الكرام **y**، وبما يحقق الأهداف المرجوة من عملية التربية، ولعل أبرز الأمثلة الدالة على ذلك ما يأتي:

١ - استخدام أسلوب الحوار العاطفي:

وهو ما يتضح في حوار **z** مع الأنصار بعد غزوة حنين، حيث كان **z** قد قصر توزيع الغنائم على المؤلفة قلوبهم، الأمر الذي أثار في نفسيات بعض الأنصار رضوان الله عليهم، فأمر النبي ﷺ سعد بن عبادة **t** فجمعهم وأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: (يا معشر الأنصار، ما مقالة بلغثي عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضللاً فهداكم الله؟ وعالته فأعطاكم الله؟ وأعداء فألف بين قلوبكم؟. قالوا: بلى والله ورسوله أمن وأفضل. ثم قال: ألا جيبوني يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا جيبك يا رسول الله؟ لله ورسوله المن والفضل. قال رسول الله ﷺ: أما والله لو شئتم لقلتمن لقلتمن فلصدقتن وصدقتن، أتيتنا مكذوباً فصدقناك، ومخذولاً فنصناك، وطريداً فأويناك، وعائلاً فأسيناك، وأجدت بنا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت لها قوماً ليسلموا، ولكنكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله ﷺ إلى

(١) ينظر: أصول التربية الإسلامية للنحلاوي: ٢١٣، التربية بالحوار: ١٢٩ - ١٣٣.

(٢) سورة النبأ: ١- ٢٠.

(٣) يراجع: أصول التربية الإسلامية للنحلاوي: ٢٠٦ - ٢٢٨، التربية بالحوار.

مرحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لو لا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار". قال: فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم، وقالوا: مرضينا برسول الله قسماً وحظاً [(١)].

٢- استخدام أسلوب الحوار البرهاني الإقناعي:

ومن ذلك حوار ر مع الشاب الذي جاء يستأذنه في الزنا حيث قال له النبي ر (أتحب لأمك؟ أتحب لابنتك؟ أتحب لأخنك؟ أتحب لعمتك؟ أتحب لخالتك؟ كل ذلك والشاب يقول لا يا رسول الله جعلني الله فداك . والنبي ر يقول: فكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم وأخواتهم وبناتهم وخالاتهم وعماتهم . ثم وضع النبي ر يده على صدر الشاب وقال: اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحسن فرجه . فلم يكن هناك شيء أبغض إليه من الزنا [(٢)].

ج. استخدام أسلوب الحوار التنبهية:

ومن ذلك سؤاله ر صحابته الكرام عن الغيبة ليبين لهم خطورتها ويحذرهم منها، ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة t أن رسول الله ر قال: (أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره . قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد هنته [(٣)].

د. استخدام أسلوب الحوار التعليمي:

ومن ذلك قول معاذ بن جبل t: (بينا أنا مرديف النبي ر ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل، فقال: يا معاذ، قلت: لبيك وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ . قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا؟ قلت: الله وسوله أعلم، قال: حق العباد على الله أن لا يعذبهم [(٤)].

(١) مسند أحمد ٧٦/٣ رقم (١١٧٤٨) قال الهيثمي: " رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح عدى ابن إسحاق وقد صرح بالسمع ". مجمع الزوائد: ٢٩/١٠ .

(٢) سبق تخريجه : ص ٨٢ .

(٣) صحيح مسلم- كتاب البر والصلة والآداب- باب تحريم الغيبة: ٤/ ٢٠٠١ رقم (٢٥٨٩).

(٤) صحيح البخاري- كتاب التوحيد- باب ما جاء في دعاء النبي ر أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى: ٨/ ٢٠٧ رقم (٧٢٧٣)، صحيح مسلم- كتاب

الإيمان- باب الدليل على ان من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً: ٥٨/١ رقم (٣٠) والحديث متفق عليه ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٨/١ رقم (١٨).

ومن أبرز الأمثلة الدالة على استخدام النبي ﷺ أسلوب الحوار والمناقشة في تربية أصحابه y حديث حذيفة بن اليمان t الذي يقول فيه: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر ف جاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: "نعم". قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: "نعم، وفيه دخن". قلت: وما دخنه؟ قال: "قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر". قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: "نعم دعاة على أبواب جهنم، من أجأهم إليها قذفوه فيها". قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: "هم من جلدتنا وينكلمون بألسنتنا". قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: "تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم". قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: "فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك" [١].

وهناك أمثلة كثيرة أخرى أعرض الباحث عنها خشية الإطالة كطريقته ﷺ في تأكيد حرمة يوم النحر، والندب إلى الأعمال الصالحة، وسؤاله عن المفلس، وحديث جبريل الطويل، وإجابته ﷺ على أسئلة الصحابة y. [٢]

وحتى تحقق التربية بالحوار والمناقشة أهدافها لابد من مراعاة عدة عوامل مهمة في إنجاح أي حوار

ولاسيما عندما يتعلق الأمر بتربية وإعداد القيادات، ومن أبرز هذه العوامل:

- ١- إصلاح النية وإخلاصها لله تعالى.
- ٢- تحديد الهدف من الحوار والمناقشة.
- ٣- تكوين فكرة عامة عن نفسية المقابل واهتماماته ومشكلاته، وإشعاره بالمعرفة التامة به.
- ٤- تكوين الألفة والثقة بين المربي والأفراد.
- ٥- تفهم أحول الأفراد وأوضاعهم والانطلاق منها خلال الحوار معهم.
- ٦- الانطلاق من المنفق عليه وتأجيل المختلف فيه.
- ٧- إثارة أسئلة الأفراد ودفعهم لطرحها.
- ٨- إشعار الأفراد بالمحبة عبر الابتسامة الصادقة والكلمة الطيبة والهدية البسيطة.
- ٩- إشعار الأفراد بالتقدير والاهتمام عبر التواضع في المعاملة واللين في الخطاب، ومخاطبتهم بأحب أسمائهم والتكلم بما يتناسب وإدراكهم.

(١) صحيح البخاري-كتاب المناقب - باب علامات النبوة في الإسلام: ٣/ ١٣١٩ رقم (٣٤١١-٣٤١٢)، صحيح مسلم- كتاب الإمارة- باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن: ٣/ ١٤٧٥ رقم (١٨٤٧) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٢/ ٢٩٢ رقم (١٢١١).

(٢) راجع: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية: ٣٥٤-٣٦٢، تربية النبي ﷺ لأصحابه: ٣٥٣-٣٨٣، طرائق النبي ﷺ في تعليم أصحابه: ١٠١-

- ١٠- إحترام شخصية الأفراد واشعارهم بذلك.
- ١١- إتاحة الفرصة للأفراد للحديث عن ذواتهم والتعبير عما في أنفسهم، مع الإنصات إليهم وعدم مقاطعتهم.
- ١٢- الصبر وعدم الغضب مهما بلغت درجة الخطأ فيما يطرحه الأفراد أو مخالفته لوجهة نظر المربي.
- ١٣- التزام الموضوعية في الحوار والبعد عن الشخصية.
- ١٤- استخدام الدليل والحجة في لين وتواضع والابتعاد عن أسلوب الإرشاد والتوجيه.
- ١٥- دفع الأفراد للوصول إلى الحقائق بأنفسهم حتى يلتزموا بها عن اقتناع.
- ١٦- عدم تخطئة المقابل والبعد عن كلمة لا؛ لأنها تحطم الآخرين وترفع من درجة العناد لديهم.^(١)

(١) ينظر: صناعة النجاح: ١٦٦ - ١٧٠.



المبحث الرابع التربية بالقصة

القصة لغة: الأمر والحديث^(١). ومنه قوله تعالى: { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ }^(٢).

وفي الإصطلاح: هي الإخبار عن أحداث حقيقية وقعت في الماضي بكلام حسن الألفاظ بديع المعاني صيغ بأسلوب مؤثر واحتوى على الحكم والعبر يهدي إلى الحق ويرشد إلى الفضائل^(٣).

والقصة نوع من الأدب له جمال وفيه متعة، يشغف به الصغار والكبار إذا أُجيد إنشاؤه وعرضه وتلقيه، وهي من أحب الوسائل التصويرية إلى النفوس؛ لما لها من سحر يشد الأسماع ويجذبها، ويسحر النفوس ويؤثر عليها دون أن يعرف كيف يتم ذلك؟ أهو انبعاث الخيال يتابع مشاهد القصة ويتعقبها من موقف إلى موقف، ومن تصرف إلى شعور، أم هو المشاركة الوجدانية لأشخاص القصة وما تثيره في النفس من مشاعر، أم هو انفعال النفس بالمواقف حين يتخيل الإنسان نفسه داخل الحوادث ومع ذلك فهو ناج منها متفرج من بعيد^(٤).

والقصة من الوسائل التي تعين على ترسيخ المفاهيم في عقول وقلوب السامعين، وهي أبلغ في التأثير من المواعظ المجردة؛ لأن الحوادث المرتبطة بالأسباب والنتائج يهفو إليها السمع، وتصغي إليها الأفتدة، ويكون حب الاستطلاع لمعرفة أقوى، ولاسيما إذا تخللتها مواطن العبرة في أخبار الماضين، الأمر الذي يقوي من رسوخ عبرتها في النفس، بينما تورث المواعظ والدروس التقنية الملل، ولا تستطيع الناشئة متابعتها والاستفادة من عناصرها سوى بصعوبة بالغة ولمدة وجيزة^(٥).

وتعد القصة من أقوى الأساليب والوسائل التربوية تأثيراً على الأفراد "حيث تشترك كل الاستعدادات والمدارك في متابعتها بيقظة تامة وحرص كبير على أن لا يتقلت منها شيء فنتشرب المعلومات بطريق مباشر أو غير مباشر، وتنسل الأفكار إلى النفس بسرعة وتتمكن من الأعماق بقوة"^(٦).

ومن هنا كان تأكيد المنهج القرآني على أهمية القصة واستخدامها كأسلوب تربوي مميز في تربية وإعداد القيادات وتأهيلها بما يتناسب وطبيعة المهمة التي تنتظرها والمهام التي يجب عليها أدائها. قال تعالى: {وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ }^(٧).

(١) ينظر: لسان العرب- مادة قصص ٧/٧٣.

(٢) سورة يوسف: الآية: ٣.

(٣) ينظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية: ٣٢١.

(٤) ينظر: منهج التربية الإسلامية: ١/١٩٢، ١٩٣.

(٥) يراجع: مباحث في علوم القرآن- مناع القطان- ط: ٨- مؤسسة الرسالة- بيروت: ٣٠٥- ٣١٠.

(٦) السبق التربوي في فكر الشافعي: ٣٧١ (نقلاً عن: تربية النبي ٣ لأصحابه: ٤٦٩).

(٧) سورة هود: الآية: ١٢٠.

إن للقصة وظيفة تربوية هامة لا يحققها أي لون من ألوان الأداء اللغوي، ذلك أنها تمتاز بمميزات عديدة تجعل لها أثراً نفسية وتربوية بعيدة المدى مع ما تنثيره من حرارة العاطفة ومشاركة الوجدان ، ومن حيوية وحركية في النفس تدفع الإنسان إلى تجديد عزمته وتغيير سلوكه حسب مقتضى القصة وتوجيهها وخاتمتها والعبرة منها^(١).

إن التأثير البالغ الذي تحدثه القصة في النفس الإنسانية يتم عن طريقين اثنين يقوي كل منهما الآخر ويزيد من مفعوله حيث يتمثل الأول منهما في المشاركة الوجدانية إذ يضيف الفن القصصي على شخصيات القصة حياة وحركة ومن ثم يشاركهم المتابع وجدانياً في انفعالاتهم وحركاتهم والأحداث التي يعيشونها في القصة، أما الطريق الآخر فربما كان يتم عن غير وعي كامل من الإنسان حيث يتقمص المتابع شخصية غيره من أشخاص القصة فيضع نفسه موضعهم أو إزاءهم ويقوم بعقد المقارنة بينه وبينهم، فإن كانوا في موقف البطولة والرفعة تمنى أن يكون في موقفهم، وإن كانوا في موقف يثير الكراهية والاحتقار حمد لنفسه أنه ليس كذلك، ومن هنا يحدث التأثير الذاتي إلى جانب المشاركة الوجدانية^(٢).

" وبهذا التأثير المزوج تنثير القصة انفعالاتنا وتؤثر فينا تأثيراً توجيهياً يرتفع بقدر ما تكون طريقة الأداء بليغة مؤثرة، ويقدر ما تكون المواقف داخل القصة مواقف إنسانية عامة لا مواقف فردية ذاتية"^(٣).

والمنهج القرآني في التربية القيادية يدرك هذا الميل الفطري نحو القصة، ويدرك ما لها من تأثير ساحر على النفوس، فيؤكد على أهمية الاستفادة منها كأسلوب من أهم أساليب تربية وإعداد القادة، و يستخدم لتحقيق ذلك كل أنواع القصة ومنها:

١- القصة التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها:

وجميع قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم من هذا النوع مثل: قصة آدم **U** ، وقصة موسى **U** مع فرعون، وعيسى **U** مع بني إسرائيل، و كذا قصة صالح **U** وشمود، وهود **U** وعاد، وشعيب **U** و مدين، وكذلك نوح **U** وإبراهيم ولوط عليهم السلام مع أقوامهم. قال تعالى: { وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ }^(٤). وقال تعالى: { وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقُصُّهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا }^(٥).

٢- القصة الواقعية التي تعرض نموذجاً لحالة بشرية يمكن أن تتكرر في كل زمان ومكان:

ومن هذا النوع قصة ابني آدم التي ذكرها الله **U** في قوله: { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لئن بَسَطْتَ إِلَيَّ

(١) ينظر: أصول التربية الإسلامية للنحلاوي: ٢٣٤.

(٢) ينظر: منهج التربية الإسلامية: ١٥٤ / ٢.

(٣) المصدر نفسه: ١٥٤ / ٢.

(٤) سورة هود: الآية: ١٢٠.

(٥) سورة النساء: الآية: ١٦٤.

يَدَكَ لَتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ٥} (١).

٣- القصة التمثيلية التي يمكن أن تقع في أي لحظة وفي أي زمان:

ومن هذا النوع قصة صاحب الجنتين التي فصلها القرآن الكريم في قوله تعالى: { وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَى رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاوُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا } (٢).

وهكذا نجد التعدد في أشكال القصة القرآنية والتنوع في استخدامها لتمثل أسلوباً تربوياً فريداً يسهم في تربية الأفراد وإعدادهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة (٣).

والحكمة فيما ورد من قصص القرآن الكريم تتمثل في الوقوف على أخبار الأمم الماضية ومواقفها من رسلها، والتعرف على مناهج الأنبياء في الدعوة والتربية للتأسي بهم، والاطلاع على نماذج من المؤمنين الثابتين، وكذا بيان سنن الله تعالى في خلقه، وغير ذلك مما ورد في هذا القصص من حقائق علمية تتعلق بالإنسان والكون والحياة^(٤)، فهو لم يرد لغرض التسلية إنما سيق لتحقيق أغراض دينية بحتة يصعب حصرها ولعل من أبرزها:

١- إثبات الوحي والرسالة: قال تعالى: { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَامُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيماً وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ٥ } (٥).

(١) سورة المائدة: الآيات: ٢٧ - ٣٠.

(٢) سورة الكهف: الآيات: ٣٢ - ٤٣.

(٣) ينظر: منهج التربية في التصور الإسلامي: ٣٣٣، ٣٣٤.

(٤) ينظر: المستفاد من قص القرآن للدعوة والدعاة- د. عبد الكريم زيدان - ط: ١- مؤسسة الرسالة- بيروت: ١/ ٦.

(٥) سورة آل عمران: الآية: ٤٤.

٢- التأكيد على وحدة الأديان في أساسها وأنها جميعاً من عند الله: قال تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ } (١).

٣- التأكيد على وحدة الحق وأهله رغم اختلاف الأزمنة والأمكنة: قال تعالى: { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون } (٢).

٤- عرض نماذج واقعية للرحمة والعذاب والتبشير والإنذار: قال تعالى: { نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ } (٣).

٥- بيان عاقبة الخير والشر ومصير المؤمنين والمكذبين: قال تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ * فَانجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ } (٤).

٦- بيان نعم الله U على أنبيائه ورسله صلوات الله عليهم أجمعين: قال تعالى: { وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ * وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّبَيْنَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ } (٥).

٧- تنبيه البشر إلى غواية الشيطان وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم: قال تعالى: { يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } (٦).

٨- بيان مظاهر القدرة الإلهية: قال تعالى: { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ } (٧). وغير ذلك من الأغراض الدينية المتعددة التي اشتمل عليها القصص القرآني (٨).

وقد كان من أبرز آثار خضوع القصص القرآني للغرض الديني ما يأتي:

١- ورود بعض القصص مكرراً في مواضع شتى، إلا أن هذا التكرار لا يتناول القصة كلها وإنما هو تكرر مقصود لبعض حلقاتها حيث يتناول القرآن الكريم في كل مرة جانباً معيناً من جوانب القصة، وهو الجانب الذي تستدعيه المناسبة، أو الجانب المشتمل على مواضع العظة والعبرة منها.

(١) سورة النحل: الآية: ٣٦.

(٢) سورة الأنبياء: الآية: ٩٢.

(٣) سورة الحجر: الآيتان: ٤٩، ٥٠.

(٤) سورة العنكبوت: الآيتان: ١٤، ١٥.

(٥) سورة ص: الآيات: ٣٤-٤٠.

(٦) سورة الأعراف: الآية: ٢٧.

(٧) سورة ص: الآية: ٧١.

(٨) ينظر: التصوير الفني في القرآن - سيد قطب - ط: ١٢ - دار الشروق - القاهرة، بيروت: ١٤٤ - ١٥٥.

قصة موسى U مثلاً والتي وردت في قرابة ثلاثين موضعاً من القرآن الكريم وردت بصيغ متعددة لتشمل في كل موضع أحداثاً مختلفة لا ترد في غيرها، كقصة الميلاد في سورة القصص، وظهور الرجل المؤمن في سورة غافر، ولقاء موسى U بالخضر في سورة الكهف، وموقف بني إسرائيل من الأرض المقدسة في سورة المائدة، وغير ذلك من الأحداث التي لا تتكرر.

٢- الاختصار من حوادث القصة القرآنية على ما يتعلق بالغرض الذي سيقت من أجله القصة، ولذلك لم تسرد القصص في القرآن سرداً تاريخياً متسلسلاً.

فبعض القصص سيقت منذ ميلاد الشخصية الرئيسة فيها كقصة آدم وموسى وعيسى عليهم السلام، وبعضها تعرض مرحلة متوسطة من حياة الشخصية الرئيسة كقصة إبراهيم ويوسف وداود وسليمان عليهم السلام، وقصص أخرى لم تعرض منها سوى مرحلة الرسالة فقط كقصة هود وصالح وشعيب عليهم السلام، وهناك قصص لم يذكر منها سوى موقف واحد كقصة زكريا ويحيى وأيوب ويونس عليهم السلام، فضلاً عن القصص الوعظية التي لا يعرض سوى ما يتعلق بالعبارة والعبرة منها كقصة أصحاب الكهف، وابني آدم، وأصحاب الجنة وغيرهم وغيرهم^(١).

٣- امتزاج التوجيهات الدينية بأحداث القصة:

ومن ذلك ما ورد في قصة يوسف U مع خادمي الملك في قوله تعالى: { قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكُمَا دَلِيلًا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ }^(٢).

وهكذا لا تكاد تخلو قصة من القصص القرآني من توجيه أو إرشاد، زيادة على الهدف الذي تسعى إلى تحقيقه.^(٣)

وكل عمل قصصي يقوم على محوري الشخصية والحدث، بمعنى أن تكون الشخصية هي الفلك الذي تدور حوله الأحداث، أو أن تكون الأحداث هي المركز الذي تدور في دائرته الشخصيات، وقد تتوازن في العمل القصصي الشخصية والحدث فيتبادلان الارتكاز والتجمع مرة بعد مرة، إلا أن الملاحظ في القصص التاريخي غلبة الشخصية على الحدث، أما القصص القرآني فنرى فيه المزج التام بين الشخصية والحدث، والتوزيع المحكم للمشاهد القصصية بينهما؛ لأن الشخصية في القصص القرآني إنما هي مجرد شاهد من الشواهد على حياة الإنسانية في مختلف حالاتها قوة وضعفاً، واستقامة وانحرافاً، وكذلك الحال بالنسبة للأحداث التي تمثل مواطن تختبر فيها الشخصية الإنسانية التي تقدمها القصة لتكشف عن أفكارها وانفعالاتها ومواطن القوة والضعف فيها.

(١) يراجع: المصدر السابق: ١٦٢- ١٦٨.

(٢) سورة يوسف: الآيتان: ٣٧، ٣٨.

(٣) ينظر: التصوير الفني في القرآن: ١٦٨- ١٧٠.



وبالتالي فإن الشخصية في القصص القرآني ليست مرادة لذاتها، وإنما الأحداث والوقائع أولاً ثم الشخصيات؛ لأن العبرة والعظة إنما تكمن في الحدث وفي موقف الناس منه وكيفية تلقيهم له^(١).

" ولقد استخدم القرآن الكريم القصة استخداماً واسعاً في تثبيت القيم الإيمانية وترسيخها وتعميقها في نفوس المؤمنين.. يستوي في ذلك قصص الأنبياء، وقصص المؤمنين الذين ابتلوا فصبروا حتى جاءهم النصر أو قدموا أنفسهم شهداء للحق، وقصص المكذبين وطغيانهم الموقوت، الذي يمد الله لهم فيه فترة من الوقت ليزدادوا طغياناً وتجبراً، ثم يدمر عليهم في النهاية ويسحقهم، أو مشاهد القيامة الشبيهة بالقصة المساوية لها في التأثير إن لم تكن أعظم تأثيراً"^(٢).

وقد تطرق القرآن الكريم إلى العديد من الشخصيات المبنوثة في حنايا السور، وعرضها بأشكال مختلفة، كما رسمها بطريقة لا تتناقض وطبيعتها البشرية والشخصية الإنسانية بشكل عام، وبالتالي جاءت شخوص القرآن الكريم على نوعين:

أحدهما: يحوي مجموعات الشخوص الإيجابية التي تمثل القدوة الحسنة والصورة المشرفة في حياة الإنسانية، وهؤلاء هم الأنبياء والمرسلون عليهم السلام، والدعاة المصلحون وحملة الحق من أتباعهم، بينما يضم النوع الثاني مجموعات الشخوص السلبية الذين يذكرون للعبرة والعظة، وهم الطغاة والملحدون وأعداء الرسل عليهم السلام، والأفراد السليبيون الذين يمثلون الجانب المظلم في حياة البشرية. وهذا التقابل بين المجموعتين وما يتبعه من صراع بين الحق والباطل والخير والشر والهدى والضلال يجسد حقيقة التدافع كسنة إلهية ثابتة في هذه الحياة^(٣).

ويمكن الإشارة إلى بعض النماذج الإيجابية التي اشتمل عليها القصص القرآني حتى يتم الاقتداء بها وتربية الأفراد ولاسيما القيادات منهم على ضوءها فيما يأتي:

١- نموذج الإنسان الواعي والمحاور البارح ممثلاً في شخصية إبراهيم U. قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }^(٤).

(١) ينظر: القصص القرآني - عبد الكريم الخطيب - ط: ١ - مطبعة السنة المحمدية - مصر: ٤٢، معالم القصة في القرآن الكريم - محمد خير العدوي - ط: ١ - دار العدوي - الأردن: ٥٤.

(٢) منهج التربية الإسلامية: ١٥٥ / ٢.

(٣) ينظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة: ٦ / ١.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٢٥٨.

- ٢- نموذج الداعية المضحي والمربي المجرب الذي يقضي عمره في الدعوة إلى الله U دون كلل أو ملل ممثلاً في شخصية نوح U. قال تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ } (١).
- ٣- نموذج القائد المحرر الذي يواجه الطغيان ويسعى لتحرير أمة مهزومة نفسياً ومعنوياً ممثلاً في شخصية موسى U. قال تعالى: { وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ } (٢).
- ٤- نموذج الغني الشاكر الذي أوتي من الملك ما لم يؤت به بشر ممثلاً في شخصية سليمان U الذي قال: { رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ } (٣).
- ٥- نموذج المبتلى الصابر على البلاء الراضي بالقضاء ممثلاً في شخصية أيوب U. قال تعالى: { وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ } (٤).
- ٦- نموذج الشاب المتعفف عن الحرام المستعصي على الفتنة رغم فتوته وجماله وتوفر دواعي الأغراء من حوله ممثلاً في شخصية يوسف U. قال تعالى: { وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ } (٥).
- ٧- نموذج الشاب المؤمن الممثل لأمر الله المطيع لوالده وإن كان في ذلك إزهاق روحه ممثلاً في شخصية إسماعيل U. قال تعالى: { فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ } (٦).
- ٨- نموذج القائد القدوة الرحيم بأمره الحريص على أتباعه ممثلاً في شخصية النبي ٣. قال تعالى: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ } (٧).
- ٩- نموذج الحاكم الصالح والملك العادل الذي لم تلهه سعة ملكه عن عبادة ربه ورعاية شعبه ممثلاً في شخصية ذي القرنين. قال تعالى: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلاً } (٨).

(١) سورة العنكبوت: الآية: ١٤.

(٢) سورة القصص: الآية: ٥.

(٣) سورة النمل: الآية: ١٩.

(٤) سورة ص: الآية: ٤٤.

(٥) سورة يوسف: الآية: ٢٣.

(٦) سورة الصافات: الآية: ١٠٢.

(٧) سورة التوبة: الآية: ١٢٨.

(٨) سورة الكهف: الآيتان: ٨٣، ٨٤.

- ١٠- نموذج المؤمن الحصيف الذي يكتم إيمانه لمصلحة دعوته، فإذا جاء وقت الحاجة جهر بإيمانه مدافعاً عن الحق مقارعاً الباطل ومقاوماً للطغيان ممثلاً في شخصية مؤمن آل فرعون. قال تعالى: {وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ} (١).
- ١١- نموذج المرأة المؤمنة المتمسكة بدينها التي تعيش وسط قوى الكفر والطغيان وتستعصي على وسائل الإغراء والإغواء، ممثلاً في شخصية آسية زوج فرعون الذي أدعى الألوهية وجسد قمة الكبر والطغيان. قال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (٢).
- ١٢- نموذج الإيمان الصادق والثبات على المبدأ في مواجهة الطغيان بكل قوته وجبروته ممثلاً في سحرة فرعون بعد إيمانهم بدعوة موسى **U**. قال تعالى: {وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} (٣).
وبالمقابل فقد عرض القصص القرآني مجموعة من النماذج السيئة التي يجب البعد عنها والحذر من التخلق بسلوكياتها، ومن أبرز هذه النماذج:
- ١- نموذج الملك الجبار والطاغية المتأله المغرور بسلطانه المستعبد لشعبه وأتمته والمصادر لحرية أتباعه وكرامتهم ممثلاً في شخصية فرعون لعنه الله. قال تعالى: { قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ قِبَلِ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الَّذِينَ لَا كُفْرَ لِي وَاللَّهُ عَالِمُ الْمُجْرِمِينَ } (٤).
- ٢- نموذج الوزير التابع والمسؤول الذي يبرر الظلم ويرضى أن يكون أداة طيعة بيد الطغاة لظلم العباد ممثلاً في شخصية هامان. قال تعالى: { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ } (٥).
- ٣- نموذج الغني المتكبر الذي لا يعرف قدر النعمة فيتعالى على الناس بما آتاه الله من مال ممثلاً في شخصية قارون. قال تعالى: { قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ } (٦).
- ٤- نموذج الإنسان الشرير الذي يعتدي على أخيه ويسفك دمه دون ذنب، ودون رادع يردعه من دين أو خلق أو رحم ممثلاً في شخصية ابن آدم المسمى قابيل. قال تعالى: { فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (٧).

(١) سورة غافر: الآية: ٢٨.

(٢) سورة التحريم: الآية: ١١.

(٣) سورة الأعراف: الآيتان: ١٢٠، ١٢١.

(٤) سورة غافر: الآية: ٢٩.

(٥) سورة غافر: الآية: ٣٦.

(٦) سورة القصص: الآية: ٧٨.

(٧) سورة المائدة: الآية: ٣٠.

٥- نموذج الفطرة المنكوسة والمنطق المعوج الذي يترك الحلال ويلجأ إلى الحرام، يهجر الطيب ويبحث عن الخبيث ممثلاً في قوم لوط U. قال تعالى: { أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ }^(١)

٦- نموذج الأمة المنهزمة نفسياً ومعنوياً، والشعب الجبان الذي يفر في وقت الشدة، ويتخلى عن قادته، ويتمرد على أنبيائه، ويخالف أوامر ربه ممثلاً في بني إسرائيل. قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ }^(٢).

٧- نموذج الأمة التي لا تقدر نعمة الله ، ولا تقوم بحق شكرها فيسلبها الله منها كقوم سبأ. قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ }^(٣). وغير ذلك من النماذج الإيجابية والسلبية التي يزخر بها القصص القرآني والتي يجب إبرازها للأجيال وتربيتها عليها وأخذ الدروس والعبر منها^(٤).

ويتميز القصص القرآني بعدد من الميزات التي تؤهله ليكون احد أهم أساليب التربية وأكثرها تأثيراً في بناء شخصية الفرد، وأقدرها على إكسابه منظومة متكاملة من القيم التربوية في جوانب حياته المختلفة، ويمكن الإشارة إلى أبرز هذه الخصائص والمميزات فيما يأتي:

- ١- الأمانة في النقل والواقعية في التعامل مع النفس الإنسانية وتصوير أحوالها المختلفة.
- ٢- التأثير الكبير على القارئ والسامع مما يجعله دائم التأمل في معانيها والتتبع لمواقفها والتأثر بشخصياتها وموضوعاتها.
- ٣- تنمية العواطف الإيمانية عن طريق إثارة الإنفعالات، وتحقيق المشاركة الوجدانية، وتوجيه الأفراد للاستفادة من نتائج القصة.
- ٤- تحقيق الإقناع الفكري عن طريق الإيحاء والتقص لشخصيات أبطال القصة، والتفكير والتأمل في موا قفهم وطريقة مناقشاتهم.
- ٥- تنمية ملكة الاستنتاج والتحليل والربط بين الأحداث والتخيل وتوقع النتائج.
- ٦- دفع الإنسان إلى التفكير والتأمل في الآيات الكونية والسنن الإلهية، وإدراك طبيعة الصراع بين الخير والشر والحق والباطل، وأخذ الدروس والعبر للاستفادة منها في واقع الحياة^(٥).

(١) سورة الشعراء: الآيات ١٦٥، ١٦٦.

(٢) سورة المائدة: الآية: ٢٠.

(٣) سورة سبأ: الآية: ١٥.

(٤) يراجع: ثقافة الداعية - د. يوسف القرضاوي - ط: ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت: ٢٤ - ٣٠.

(٥) يراجع: القيم التربوية في القصص القرآني - د. سعيد أحمد طهطاوي - ط: ١ - دار الفكر العربي - القاهرة، القرآن الكريم رؤية تربوية - د. سعيد إسماعيل علي - ط: ١ - دار الفكر العربي - القاهرة، أصول التربية الإسلامية للنحلوي: ٣٤ - ٣٨.

وإدراكاً من النبي ٣ لأهمية القصة كأسلوب تربوي مؤثر فقد اعتمدها كأحد أبرز الأساليب التي ربي بواسطتها أصحابه الكرام **y** ، معتمداً على حقائق ثابتة وقعت في غابر الزمن، بعيداً عن الخرافات والأساطير التي يعتمد عليها القصص البشري، فهي قصص تبعث في النفس المؤمنة الثقة بتأريخها وما ضيها، وتبني فيها الشعور الإسلامي المتدفق الذي لا يجف نبعه، والإحساس العميق بالمسؤولية تجاه الكون والحياة، وتدفعها للانطلاق في أرجاء هذه الأرض لتقوم بدورها تجاه الإنسانية دعوة وتحريراً، وتجاه الحياة بناءً وإعماراً.

وكان النبي ٣ يتخير القصة المناسبة للمفهوم التربوي الذي يريد غرسه في نفوس أصحابه وتربيتهم عليه، ويعرضها بأسلوب مؤثر جذاب تتجلى فيه بساطة الأسلوب ووضوح المغزى الأمر الذي يمكن السامعون من استنتاج الدروس والعبير بسهولة ويسر.

فعندما أراد تربية الصحابة الكرام **y** على مفهوم التضحية في سبيل العقيدة والثبات على المبدأ عرض لهم قصة الغلام المؤمن التي قصها الله **U** في سورة البروج، فقد روى الإمام مسلم رحمه الله عن صهيب **t** أن رسول الله **r** قال: (كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فأبعث إلي غلاماً أعلمه السحر. فبعث إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب فتعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر من الراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضرب به فشكى ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل. فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمس الراهب أحب إليك من أمس الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس. فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني وإنك سنبتلى فإن ابليت فلا تدل علي. وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء. فسمع جليس للملك كان قد عمى فأداه هدايا كثيرة، فقال: ما هنا لك أجمع إن أنت شفيتني. فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك. فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك والحاصل إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال ربي. قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله فأخذه. فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام. فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرِكَ ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل. فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه. ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفس من أصحابه فقال:



أذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروتهم فإن مرجع عن دينه وإلا فاطر حوّه . فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم: أكفنيهم بما شئت . فرجف لهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله . فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور فنوسطوا به البحر فإن مرجع عن دينه وإلا فاذفوه . فذهبوا به فقال: اللهم أكفنيهم بما شئت . فانكفأت فخرقوا وجاء يمشى إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله . فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به . قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: باسم الله رب الغلام . ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتي ، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات . فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام . فأتى الملك فتيل له: أرايت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرنا قد آمن الناس . فأمر بالأخذ ود في أفواه السكك فخذت وأضرم النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأرجموه فيها، أو قتلوه . اقتصر . ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي لها ففتاعست أن تقع فيه، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق (١).

وفي القصة تأكيد على جملة من القضايا وفي مقدمتها:

- ١- التأكيد على قضية الوحدةانية وضرورة الإيمان بالله تعالى.
- ٢- الإشارة إلى الابتلاءات والمحن التي تواجه أصحاب الدعوات.
- ٣- الإشارة إلى طبيعة الصراع بين الحق والباطل والخير والشر.
- ٤- التأكيد على أهمية الثبات على المبدأ والتضحية غي سبيله.
- ٥- التربية على الإيمان بالقضاء والقدر وأن النافع والضار هو الله سبحانه وتعالى.
- ٦- اليقين بأن السحر كفر بالله تعالى.
- ٧- الاعتقاد الجازم بان النصر مع الصبر وأن مع العسر يسراً.
- ٨- كشف واقع الطبقات الحاكمة التي تحارب الحق وتعادي حملته وبيان مصيرهم في الآخرة.
- ٩- بيان أهمية التحرك بهذا الدين والقيام بواجبات الدعوة واستشعار المسؤولية تجاه العقيدة.
- ١٠- إحياء الأمل لدى الدعاة والمربين في استجابة الأمم والشعوب لدعوة الحق مهما بلغت العراقيل والضغط (٢).

(١) صحيح مسلم- كتاب الزهد والرقائق- باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام: ٢٢٩ / ٤ رقم (٣٠٠٥).

(٢) يراجع: في ظلال القرآن: ٦/ ٣٨٧١-٣٨٧٦، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية: ٣٣٣، ٣٣٤، تربية النبي ٣ لأصحابه: ٤٧٧- ٤٨٥.

وعندما ٣ أراد تربيته على التجرد والإخلاص قص عليهم قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار فانسد عليهم، وكيف نجاهم الله U عندما دعوه بصالح أعمالهم، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ٣ يقول: (بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم مشون إذ أصابهم مطر فأووا إلى غارٍ فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه. فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أمرز فذهب وتركته وإني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أني اشتريت منه بقرا وأنه أتاني يطلب أجره فقلت: اعمد إلى تلك البقر فسقتها. فقال لي: إنما لي عندك فرق من أمرز؟ فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقتها، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك فافرج عنا ما نحن فيه. فانساحت عنهم الصخرة، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أن كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي فأبطأت عليهما ليلة فجئت وقد مرقتا وأهلي وعيالي ينضغون من الجوع فكنت لا أستقيهم حتى يشرب أبواي فكسرت أن أوظهما وكسرت أن أدعهما فيسكننا لشربهما فلم أزل أنظر حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك فافرج عنا ما نحن فيه. فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عمر من أحب الناس إلي وأناي راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيا بمائة دينار فطلبها حتى قدسرت فآتيتها فلما فدفعها إليها فأمكنني من نفسها فلما قعدت بين رجلها قالت: اتق الله ولا تقض الخاتم إلا نخته فتمت وتركت المائة دينار فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك فافرج عنا ما نحن فيه. ففجج الله عنهم فخرجوا^(١) وفي القصة دروس وفوائد تربوية يمكن إيجاز أهمها فيما يأتي:

- ١- التأكيد على أن قبول الأعمال متوقف على الإخلاص وموافقة الشرع.
- ٢- عموم مفهوم العبادة لجميع جوانب الحياة وعدم اقتصره على الشعائر التعبدية فقط.
- ٣- ضرورة الإيمان والاستسلام لقضاء الله وقدره، واليقين بأنه لا منجى من إلا الله تعالى.
- ٤- التأكيد على أهمية الدعاء والتضرع واللجوء إلى الله U في كشف الغم وإزالة الهم وتفريج الكربات.
- ٥- الإشعار بقرب الله U وإجابته لدعوة المضطرين.
- ٦- التأكيد على فضل بر الوالدين والقيام على خدمتهما وارتباط ذلك بطاعة الله تعالى.
- ٧- التأكيد على فضل الأمانة وأداء الحقوق وصيانة النفس عن أكل أموال الناس بالباطل.
- ٨- التأكيد على فضل العفة والاستعصاء على المعصية لاسيما عند القدرة عليها والتمكن من فعلها.
- ٩- الإشارة إلى أهمية الأعمال الصالحة ودورها في إنقاذ صاحبها في الدنيا والآخرة^(٢).

(١) صحيح البخاري- كتاب الأنبياء- باب أم حسبت أن أصحاب الكهف: ٣/ ٢٧٨ رقم (٣٢٧٨).

(٢) ينظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية: ٣٢٦، ٣٢٧، تربية النبي ٣ لأصحابه: ٤٨٧-٤٩٣.

وفي موقف آخر أراد **ر** أن ينمي في أصحابه **y** جانب الزهد والورع والقناعة فقص عليهم قصة الرجل الذي اشترى أرضاً ووجد فيها جرة من الذهب فأعادها إلى البائع وما جرى بينهما، فعن أبي هريرة **t** عن النبي **ر** قال: (اشترى رجل من رجل عقاراً له فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني إنما اشتريت منك الأرض ولم أبيع منك الذهب . فقال الذي شري الأرض: إنما بعنتك الأرض وما فيها . قال : فنحنا كما إلى رجل فقال: الذي تخاكما إليه : ألكما ولد ؟ فقال أحدهما: لي غلام . وقال الآخر: لي جاريتة . قال : أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسكما منه وتصدقا)^(١).

و في هذه القصة عدد من الفوائد التربوية من أبرزها:

- ١- التأكيد على أهمية الورع والقناعة وفضلهما.
 - ٢- التأكيد على أهمية أداء الحقوق والابتعاد عن الشبهات وتحري الحلال.
 - ٣- الحكمة في معالجة الأمور والإصلاح بين المتخاصمين.
 - ٤- أن صلاح الآباء واستقامتهم ينعكس خيره على الأبناء في الدنيا والآخرة^(٢).
- واستمر **ر** في استخدام أسلوب التربية بالقصة فذكر قصة جريج العابد ليؤكد على أهمية العلم والموازنة بين العبادة وطاعة الوالدين ، والتربية على اليقين والثقة بالله **U** ومعينه لأوليائه ، وكذا الإشارة إلى شدة مكر النساء وكيدهن ، وذكر **ر** في موقف آخر قصة الأعمى والأفصر والأبرص؛ ليذكر أصحابه بنعم الله **U** وضرورة شكره والتواضع للناس والإحسان إليهم^(٣).
- وعندما أراد تربيتهم على الرحمة بالمخلوقين وعدم احتقار الأعمال الصالحة قص عليهم قصة المرأة التي دخلت النار في هرة حبستها ولم تطعمها، والرجل الذي دخل الجنة في كلب سقاه شربة ماء^(٤).

وانطلاقاً من كل ما سبق يمكن القول أن القصة تعد من أقوى أساليب التربية القيادية ووسائلها تأثيراً في النفس الإنسانية؛ لاشتراك جميع المدارك والاستعدادات التي يتمتع بها الإنسان في متابعة أحداثها والتفاعل مع شخصياتها بيقظة تامة وحرص شديد، كما أن أسلوب التربية بالقصة يمكن أن يسهم بفاعلية في غرس القيم الفاضلة في النفوس، ويساعد المربي على تدليل ما يواجهه من عقبات وصعوبات عند تدريس الحقائق العلمية أو عرض المبادئ والقيم والمثل العليا المراد غرسها في النفوس^(٥).

ولقد دلت التجارب على أن أسلوب التربية بالقصة من أحب الأساليب التربوية إلى النفس وأشدّها تأثيراً فيها، ولاسيما عندما تعرض بطريقة مشوقة وتشتمل على قيم ومثل عليا ونماذج إيجابية في حياة البشر، كقصص الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، و قصص الخلفاء الراشدين والقيادات الإسلامية ، وكذا قصص القادة والزعماء والمبدعين عبر التاريخ مع دراسة عوامل نجاحهم وأسباب فشلهم.

(١) صحيح البخاري- كتاب الأنبياء- باب أم حسبت أن أصحاب الكهف: ١٢٨١/٣ رقم (٣٢٨٥)، صحيح مسلم - كتاب الأفضية- باب استحباب إصلاح

الحاكم بين الخصمين: ٣ / ١٣٤٥ رقم (١٧٢١) والحديث متفق عليه. ينظر : اللؤلؤ والمرجان: ٢٢٧/٢ رقم (١١٢٢).

(٢) ينظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية: ٣٢٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢٧- ٣٣٥ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٥) ينظر: القيم التربوية في القصة القرآنية: ١٠٣ .

المبحث الخامس التربية بالأمثال

المثل لغة: بالكسر والفتح فالمكسور بمعنى الشبه والمفتوح بمعنى الوصف، وقد استعمل المثل بمعنى الوصف والصورة، والمثل يستعمل على ثلاثة أوجه: بمعنى الشبه وبمعنى نفس الشيء وذاته^(١). والمثل: "قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه"^(٢)

قال الراغب: "والمثل عبارة عن قولٍ في شيء يشبه قولاً في شيء آخر، بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر وبصوره، وعلى هذا الوجه ما ضرب الله تعالى من الأمثال"^(٣)، وهو "إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، سواء كان تشبيهاً أو قولاً مرسلًا"^(٤).

ويمكن تعريف المثل القرآني بأنه: نظم من التنزيل يعرض نمطاً واضحاً معروفاً من الكائنات أو الحوادث الكونية أو التاريخية عرضاً لافتاً للأنظار، ليُشَبَّه أو يُقارَن به سلوك بشري أو فكرة مجردة، أو أي معنى من المعاني، بقصد التوضيح أو الاقتناع أو البرهان أو التأثير، أو لمجرد الاقتداء به، أو التنفير منه والابتعاد عنه؛ أو بقصد بيان الفارق بين أمرين متناقضين للأخذ بأحدهما والابتعاد عن الآخر، أو البرهان على صحة أحدهما، وبطلان الآخر"^(٥).

وقد صدرت الكثير من الأمثال القرآنية بلفظ الضرب لأنه يستخدم عند إرادة التأثير على النفس وتهيج انفعالاتها فكأنه يقرع الأذن لينفذ أثره إلى القلب وأعماق النفس الإنسانية^(٦). قال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ} ^(٧). قال تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ} ^(٨).

ومما سبق يمكن القول أن أهم معاني الأمثال في القرآن الكريم واللغة العربية هي:

- ١- تشبيه شيء يراد بيان حسنه أو قبحه بشيء معروف حسنه أو قبحه، ومنه قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} ^(٩).
- ٢- ذكر حال من الأحوال ومقارنتها بحال أخرى مع وجود جامع بينهما لبيان الفارق، ومنه قوله تعالى: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ} ^(١٠). فالجامع بين الفريقين أنهما بشر، وأن كلامهما وهبه الله عقلاً وأرسل إليه رسولاً ومع ذلك اختلفت نتائجهما لأن كلا منهما سلك طريقاً مغايراً.
- ٣- بيان استحالة التماثل بين شيئين يزعم البعض أن بينهما جانباً من التماثل، ومنه قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة - سادة مثل: ٩٣٨.

(٢) مجمع الأمثال - أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني - تحقيق: محمد محي الدين عبدالحى - طبعة دار القلم - بيروت: ٥/١.

(٣) معجم المفردات في ألفاظ القرآن: ٤٨٢.

(٤) طرائق النبي ٣ في تعليم أصحابه: ١٢٤.

(٥) التربية بضرب الأمثال - عبد الرحمن النحلوي - طبعة معاده عن الطبعة الأولى - دار الفكر - دمشق، بيروت: ١٩.

(٦) ينظر: تفسير المنار: ١/ ٢٣٦.

(٧) سورة الزمر: الآية: ٢٩.

(٨) سورة الكهف: الآية: ٣٢.

(٩) سورة العنكبوت: الآية: ٤١.

(١٠) سورة محمد: الآية: ١.

الدُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْفِدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ { (١). فالهبة المشركين يستحيل أن ترقى إلى المماثلة مع الخالق سبحانه وتعالى فتعبد معه (٢).

وتجتمع في المثل أربعة أمور لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكتابة، ومن ذلك قولهم: الحرب خدعة، والجار قبل الدار، وقطعت جهيزة قول كل خطيب (٣).
والمثل فن خطير في تأثيره وشدة ذبوعه وانتشاره وقوة بيانه وتصويره للمعاني ولاسيما المعقولة منها، حيث يحول المعقول إلى محسوس ويصور المشاهد والمواقف تصويراً بديعاً محكماً (٤).

وللأمثال موقع في الأسماع، وتأثير على قلوب لا يكاد الكلام المرسل يبلغه، ولذلك اهتم بها المنهج القرآني واستخدمها لتقرير مبادئه، وتثبيت معانيه، وتأكيد أحكامه، وتربية أتباعه (٥). قال تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ} (٦). وقال تعالى: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (٧).

ويمكن الإشارة إلى أهمية استخدام المثل كأسلوب تربوي فيما يأتي:

١- أن الأمثال تقرب المعنى إلى الأذهان، فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية ليتمكنوا من فهم الأمور الغيبية أو المعنوية. قال تعالى: {ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} (٨).

٢- أن للأمثال قدرة كبيرة على الاستحواذ على المشاعر وإثارة الانفعالات المناسبة للمعنى، وتنمية العواطف الإيجابية أو السلبية تجاهه، ومن ذلك قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِنَسٍ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (٩).

(١) سورة الحج: الآية: ٧٣.

(٢) ينظر: أصول التربية الإسلامية للنحلاوي: ٢٤٨، ٢٤٩.

(٣) ينظر: مجمع الأمثال: ١/٦-٨.

(٤) يراجع: التصوير الفني في القرآن: ٣٦ - ٧٠.

(٥) ينظر: المنهاج القرآني في التشريع: ٧٦٨ - ٧٧٤.

(٦) سورة العنكبوت: الآية: ٤٣.

(٧) سورة الزمر: الآية: ٢٧.

(٨) سورة الرعد: الآية: ١٧.

(٩) سورة الجمعة: الآية: ٥.

٣- تربية العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي والاستنتاج السليم، ومن ذلك قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاذْكُرُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْتَنْبِهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ }^(١).

٤- تحريك العواطف والوجدان ودفعها إلى عمل الخيرات واجتناب المنكرات، ومن ذلك قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }^(٢).

٥- أنها تعد من أبرز وسائل الإقناع بالحجة والبرهان، ومن ذلك قوله تعالى: { إِنَّ مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }^(٣).

٦- إبراز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الإنسان فيقبله؛ لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة من الفهم، ومن ذلك قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ }^(٤).

٧- الكشف عن الحقائق وعرض الغائب في صورة الحاضر، ومن ذلك قوله تعالى: { الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقْوَمُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }^(٥).

٨- الجمع بين المعنى الرائع والعبارة الموجزة، ومن ذلك قوله تعالى: { قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }^(٦).

٩- الترغيب في الشيء والحث عليه عندما يكون مما ترغب فيه النفوس، ومن ذلك قوله تعالى: { مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }^(٧).

(١) سورة الحج: الآية: ٧٣.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢٦٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية: ٥٩.

(٤) سورة الأعراف: الآية: ٤٠.

(٥) سورة البقرة: الآية: ٢٧٥.

(٦) سورة المائدة: الآية: ١٠٠.

(٧) سورة البقرة: الآية: ٢٦١.

١٠- التفسير من الشيء حين يكون الممثل به مما تكرهه النفوس، ومن ذلك قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ }^(١). كما يضرب المثل لمدح الممثل به، أو ذممة حين يكون له صفة يستقبحها الناس^(٢).

وقد استخدم المثل القرآني كأسلوب تربوي في تحقيق العديد من الأهداف الاعتقادية والسلوكية في حياة الإنسان، لما له من وقع في النفوس، وتأثير على القلوب، وقدرة على الاقتناع، ولعل من أبرز هذه الأهداف ما يأتي:

١- الدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة: قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }^(٣). وقال تعالى: { مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }^(٤).

٢- الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر: قال تعالى: { أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ }^(٥).

٣- الحث على الإخلاص والتحذير من الشرك والرياء: قال تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ }^(٦). وقال تعالى: { وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا }^(٧).

٤- التحذير من النفاق وبيان عاقبة المنافقين: قال تعالى: { أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ }^(٨).

٥- الدعوة إلى المحافظة على النعم والحث على شكر المنعم: قال تعالى: { وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا }^(٩).

(١) سورة الحجرات: الآية: ١٢.

(٢) ينظر: أصول التربية الإسلامية للنحلاوي: ٢٤٩-٢٥٣، فلسفة التربية الإسلامية للزنتاني: ٢٣٧، ٢٣٨.

(٣) سورة البقرة: الآية: ٢٥٨.

(٤) سورة العنكبوت: الآية: ٤١.

(٥) سورة يس: الآية: ٧٧.

(٦) سورة النور: الآية: ٣٩.

(٧) سورة الفرقان: الآية: ٢٣.

(٨) سورة البقرة: الآيتان: ١٦، ١٧.

(٩) سورة الكهف: الآية: ٣٢.

٦- الدعوة إلى تطبيق العلم والتحذير من مخالفة القول العمل: قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ} (١).

٧- الدعوة إلى التفكير التجديدي القائم على استخدام العقل والحواس للوصول إلى الحق والبعد عن التفكير التقليد: قال تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يِعْقِلُونَ} (٢).

وغير ذلك من الأهداف الاعتقادية والسلوكية التي اشتمل عليها المنهج القرآني، والتي تمثل مجالاً خصباً للمهتمين بجوانب التربية والسلوك الإنساني (٣).

وقد استخدم النبي ﷺ المثل كأسلوب من أساليب التربية التي رعى عليها أصحابه الكرام رضوان الله عليهم، ففي الجانب الروحي أكد على أهمية الصلاة كعامل تطهير معنوي من خلال قوله ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو هريرة **t**: (أرأيتم لو أن فرياً من أبواب أحدكم يغسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: فكذاك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا ويرفع من الدرجات) (٤)، كما بين أهمية ذكر الله **U** كعامل حياة للقلوب والأرواح من خلال قوله ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو موسى الأشعري **t**: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت) (٥)، وحث أصحابه على الزهد في الدنيا مبيناً نسبتها إلى الآخرة بكل ما فيها من متع وشهوات فقال **t**: (والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يدخل أحدكم إصبعه في اليرفلي نظير بريد جع) (٦).

وفي الجانب الاجتماعي ضرب النبي ﷺ مثلاً لما ينبغي أن يكون عليه المجتمع المسلم من أخوة ومودة وتراحم بقوله ﷺ في الحديث الذي يرويه النعمان بن بشير **t**: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (٧)، كما ضرب مثلاً لما يجب أن يكون عليه هذا المجتمع من قوة وتماسك فقال ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو موسى الأشعري **t**: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، ثم شبك بين أصحابه) (٨).

(١) سورة الأعراف: الآية: ١٧٥.

(٢) سورة البقرة: الآية: ١٧١.

(٣) يراجع: التربية بضرب الأمثال: ٦٩ - ١٠٧.

(٤) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة - باب الصلوات الخمس كفارة: ١/١٩٧ رقم (٥٠٥)، صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا: ١/٤٦٢ رقم (٦٦٧). والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١/١٤٥ رقم (٣٨٩).

(٥) سبق تخريجه: ص ٢٥٤.

(٦) صحيح مسلم - كتاب الجنة وصفة أهلها ونعيمها - باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة: ٤/٢١٩٣ رقم (٢٨٥٨).

(٧) سبق تخريجه: ص ٢٨٢.

(٨) صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره: ١/١٨٢ رقم (٤٦٧)، صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم: ٤/١٩٩٩ رقم (٢٥٨٥) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٣/٢٥٤ رقم (١٦٧٠).

وعندما أراد ٢ أن يبين دور الأصدقاء وخطورتهم في التأثير على الإنسان ضرب لذلك مثلاً بقوله ٢: (مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كحامل المسك ونافخ الكير...) (١).

أما في الجانب العقلي فقد ضرب ٢ العديد من الأمثال الداعية إلى التفكير السليم وإعمال العقل في طلب والاستفادة من المعارف المختلفة والمحافظة عليها، ومن ذلك بيانه ٢ لمواقف الناس من الدين والعلم ومدى استفادتهم منهما، وحثه على طلب العلم وتطبيق أوامر الدين وذلك في قوله ٢ في الحديث الذي يرويه أبو موسى الأشعري t: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقيتة قبلت الماء فأبنت الكلاً والعشب الكثير، وكان منها أجاب أمسكت الماء فنفخ الله به الناس فشرّوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تثبت كلاً. فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم. ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) (٢)، كما ضرب ٢ مثلاً لبيان أهمية المداومة على مراجعة القرآن الكريم ومدارسته خشية تفلته ونسيانه، فقال ٢ في الحديث الذي يرويه ابن عمر رضي الله عنهما: (إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعلقة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أفلتها ذهبت) (٣).

وكذلك الأمر بالنسبة للجانب الإيماني حيث أراد ٢ أن يبين لأصحابه الكرام قيمة الإيمان الذي يحملونه والمنزلة التي يحتلها المؤمن بين الناس فضرب لهم مثلاً بالنخلة التي تعد من أفضل الشجر وأطيبها حيث قال ٢ في الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (إن من الشجر شجرة لا يستطو ورقها وإلها مثل المسلم، حدثوني ما هي؟ قال: فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله: فوقع في نفسي ألها النخلة، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: هي النخلة) (٤). ففي الحديث تربية على إعمال الفكر، وتأكيد على قيمة الإيمان ومنزلة المؤمن، والأمثلة على استخدامه ٢ الأسلوب التربوي بضرب الأمثال كثيرة لا يتسع المجال لحصرها (٥).

المبحث السادس

(١) سبق تخريجه: ص ٢٧٣ .

(٢) صحيح البخاري-كتاب العلم- باب فضل من علم وعلم: ٤٢/١ رقم (٧٩)، صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب مثل ما بعث النبي من الهدى والعلم: ٤/١٧٨٧ رقم (٢٢٨٢) وحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٣/١٢٠ رقم (١٤٧١).

(٣) صحيح البخاري- كتاب فضائل القرآن- باب استنكار القرآن وتعاذه: ٤/٩٢٠ رقم (٤٧٤٣)، صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الأمر بمعاهدة القرآن: ١/٥٤٣ رقم (٧٨٩) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١/١٦٩ رقم (٥٤٢).

(٤) صحيح البخاري- كتاب العلم- باب طرح المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم: ١/٢٦ رقم (٦٢)، صحيح مسلم - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - باب مثل المؤمن مثل النخلة: ٤/٢١٦٤ رقم (٢٨١١) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٣/٣٧٠ رقم (١٧٩٢).

(٥) يراجع: أساليب النبي ٢ في الدعوة والتربية: ٣٣٦-٣٤٤، طرائق النبي ٢ في تعليم أصحابه: ١٢٥-١٢٨.

التربية بالأحداث

التربية بالأحداث تعني استغلال الأجواء النفسية التي ترافق وقوع الأحداث والمواقف في إعطاء توجيه معين يتعلق بالكيفية المثلى للتعامل مع الحدث والاستفادة منه^(١).

ويعد أسلوب التربية بالأحداث من أبرز الأساليب التربوية ارتباطاً بالجانب العملي للتربية وتحقيقاً للربط المباشر بين الأهداف التربوية وأحداث ومواقف الحياة المختلفة، كما يعد نزول القرآن الكريم منجماً حسب الوقائع والأحداث الأساس الأول الذي يبرز حقيقة التربية بالأحداث، ذلك أن القرآن الكريم ظل ينزل نجومياً مدة ثلاث وعشرين سنة، يتدرج مع النفوس في تربيتها، ويعالج الأحداث فور وقوعها، ويتماشى مع تطور المجتمع الإسلامي ونضج أفراد واستيعابهم لمتطلبات الدعوة ومتغيرات الحياة المختلفة^(٢). قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(٣).

"وبهذا كان أسلوب تنزيله أساساً لنجاح التربية وعمق أثرها في النفوس، فقد جعل من كل هزيمة عبرة، ومع كل نصر درساً، ولكل موقف تحليلاً، كما كان بناؤه مظهرًا رائعاً للخلود، جعله صالحاً للسير مع كل نفس موجهاً لكل جيل، بانياً لكل أمة لتمائل النفوس وتشابه الأحداث"^(٤).

وتكمن أهمية هذا الأسلوب في أنه يجيء في أعقاب الحدث ليثير العواطف ويحرك المشاعر ويهز النفس كلها هزاً فيجعلها أكثر قابلية للتأثير والاستجابة، ويكون التوجيه المصاحب للحدث أعمق وأطول أمداً في التأثير من التوجيهات العابرة التي تأتي بغير انفعال ولا حدث يهز المشاعر.

"والأحداث إما أن تكون تلقائية تحدث بسبب التصرفات الخاصة للناس، أو لأسباب خارجة عن إرادتهم وتقديرهم. وإما أن تكون منظمة ومخططة مسبقاً كي يمر بها الصغير والكبير بقصد إثارة مشاعره وانفعاله حتى يسهل "تشكيله" وتغيير سلوكه في الاتجاه المرغوب و "الحديد ساخن".

والمربي البارع لا يترك الأحداث - تلقائية كانت أم مخططة - تذهب سدى بغير توجيه في الاتجاه المرغوب"^(٥).

وقد كانت التربية بالأحداث من أبرز الأساليب التي تربي بواسطتها الأنبياء والمرسلون عليهم السلام، وهو ما يبرز جلياً في قصة يوسف U الذي ألقى في الجب صغيراً، ثم بيع كالعبيد لينتقل إلى قصر العزيز، وهناك يتعرض للفتنة فيعصمه الله U ويدفع ضريبة طهره وعفاه عدة سنوات يقضيها في السجن، وأخيراً يستقر به

(١) ينظر: منهج التربية الإسلامية: ١٥١ / ٢.

(٢) ينظر: منهج القرآن في التربية: ٢٤٩، أساليب التربية النبوية للجدد من خلال غزوات الرسول وتطبيقاتها المعاصرة- مشعل بن سيف عيضة الجعيد- رسالة ماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة- كلية التربية- جامعة أم القرى - مكة المكرمة: ١٣٣.

(٣) سورة الإسراء: الآية: ١٠٦.

(٤) منهج القرآن في التربية: ٢٤٩.

(٥) منهج التربية في التصور الإسلامي: ٣٣٦، ٣٣٧، و ينظر: منهج التربية الإسلامية: ١٥٣ / ٢.

المقام وزيراً على خزائن مصر ومسؤولاً عن تصريف شؤونها ليلتقى بإخوته ويجتمع بأبويه بعد طول فراق^(١). قال تعالى: {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} (٢).

وكذلك الحال بالنسبة لموسى **U** الذي تعرض للعديد من الأحداث والمواقف التربوية في حياته، ابتداءً من إلقاءه في اليم وإعادته إلى أمه، ثم انتقاله للعيش في قصر فرعون لتزول من قلبه مهابة الملوك والأغنياء، مروراً بخروجه مطارداً من مصر واستقراره في مدين راعياً للأغنام مخالطاً الفقراء ليتربى على البساطة والخشونة وتحمل المسؤولية، وانتهاءً بموقفه في الطور وتكليفه بالدعوة وإرساله إلى فرعون، وما أعقب ذلك من أحداث ووقائع مرت به **U** خلال فترة رسالته **U**^(٣).

"إن الله تعالى أراد أن يربي موسى **U** بالأحداث قبل الرسالة ولهذا دخل بقدر الله إلى مجتمع الرعاة، مستشعراً النعمة في أن يكون راعي غنم يجد القوت والمأوى بعد الخوف والجوع والمطاردة والمشقة. وعاش مع البسطاء في أخلاقهم وعاداتهم وخشونتهم وفقدهم وهذا كله تمرين له على تكاليف الدعوة التي سيتحملها.

إن التجارب الميدانية أقوى وأفيد في تربية النفوس البشرية من قراءة الكتب والمجلدات والجرائد ومن الندوات والحلقات الهادئة البعيدة عن المحن والشدائد والصعاب"^(٤).

لقد كانت الأحداث في حياة الجماعة المسلمة والتوجيهات القرآنية التي أنزلت بشأنها من أبلغ أساليب التربية لهذه الجماعة وأعمقها أثراً فيها، ففي كل حدث توجيه ودرس، وفي كل توجيه ودرس عبرة لا تنسى. كان الحدث يهز المجتمع الإسلامي كله فينفع به ويتفاعل معه، فينزل التوجيه القرآني والنفوس في ذروة انفعالها فيترك طابعه الذي لا يزول، وكان يقع الحدث فيتزلز التعليل عليه حاراً متدفقاً ليشعل النفوس ويثير الانفعالات ويحمل في طياته التوجيه المطلوب^(٥).

إن مراجعة سريعة لسورة المجادلة التي نزلت تعليقاً على موقف أوس بن الصامت **t** عندما ظهر من زوجته، وسورة النور التي نزلت لتصوير حالة المجتمع الإسلامي وهو يعيش حادثة الإفك وتبرى ساحة أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، وكذا سورة آل عمران التي نزلت تعليقاً على غزوة أحد، وسورة الأنفال التي نزلت لتبين حكم الغنائم وكيفية توزيعها بين المسلمين، بالإضافة إلى سورة التوبة التي نزلت تعليقاً على موقف المنافقين والمتخلفين من المسلمين عن غزوة تبوك، وسورة الأحزاب التي نزلت لتصوير الهزة العنيفة التي مرت بها المدينة خلال غزوة الأحزاب، وغير ذلك من السور والآيات التي اشتمل عليها القرآن الكريم والتي توضح كيف كانت التربية بالأحداث تتم في ضوء المنهج القرآني، كيف كان الشعور يحمي ليتوهج، ثم تنزل الطرقات

(١) يراجع: تفسير سورة يوسف في الظلال.

(٢) سورة يوسف: الآية: ٥٦.

(٣) يراجع: قصة موسى في الظلال، تبصرة المؤمنين بفقهاء النصر والتمكين: ٥٧ - ٧١.

(٤) تبصرة المؤمنين بفقهاء النصر والتمكين: ٦٥.

(٥) ينظر: منهج التربية الإسلامية: ١٥١ / ٢.

عنيفة متوالية لتطبع في النفس طابعاً لا يزول بعد أن تبرد المشاعر وتهدأ، بل يصبح جزءاً من كيائها لا يزول ولذلك كان الدرس يقال مرة ثم لا يعاد.

قال لهم في سورة الأنفال: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَّزِعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (١) فما عادوا بعد لما نهوا عنه.

وقال لهم في سورة آل عمران: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (٢). فما فارقهم هذا الاستعلاء بالإيمان مطلقاً بغض النظر عن وضعهم في المعركة منتصرين أم منهزمين (٣). وقد تنوعت الأحداث التي روى المنهج القرآني أفرادها بواسطتها لتشمل جوانب الحياة المختلفة سواء كانت شخصية اجتماعية أم سياسية عسكرية.

ففي جانب الحياة الشخصية عندما غضب أوس بن الصامت t على زوجته خولة بنت ثعلبه رضي الله عنها وظاهر منها، وبعد أن عرضت موضوعها على النبي r تدخل الوحي الإلهي ليبيّن الحكم في المسألة ويربي المجتمع المسلم على الإحساس بمعية الله U الذي يسمع عباده ويحس بمعاناتهم ويجيب دعائهم دون حاجة إلى شفيع أو وسيط، فارتفعت المعرفة في نفوس المؤمنين بهذا الحادث إلى مقام المعاينة والشهود، وأصبح الإيمان بقرب الله U من عباده ورعايتهم يقيناً جازماً بعد أن أصبح في واقع الحياة حقيقة ترى وتمس (٤). قال تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (٥).

وفي الجانب الاجتماعي حين أشاع المنافقون حديث الإفك وافتروا على عرض رسول الله r، ورموا بالفاحشة أحب نسائه إلى قلبه، وابنة أحب الناس إليه، وجعلوا المجتمع الإسلامي يعيش شهراً من الحيرة والترقب حيث تعلقت القلوب المؤمنة بالله، وتطلعت الأعين الحائرة إلى السماء، وابتهلت الأنفس المجروحة إلى الله U، وسرعان ما نزل الوحي وعادت الطمأنينة إلى المجتمع، وحلت السكينة في قلوب المؤمنين (٦)، " ونزلت سورة النور أحوج ما تكون الأمة إليها. كلها تربية، وكلها استجابة للمشاعر وارتفاع بمقاييس الحياة، وتطهير للمجتمع من الفاحشة والفساد، وبراءة لأم المؤمنين الطاهرة النقية، ووعيد لمن تولى كبر هذا الحديث بالعذاب الأليم" (٧).

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ

(١) سورة الأنفال: الآية: ٤٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ١٣٩.

(٣) يرجع: تفسير السور السابقة في الظلال، ينظر: منهج التربية الإسلامية: ١/ ١٥٢، ١٥١.

(٤) يرجع: تفسير سورة المجادلة في الظلال، ينظر: منهج القرآن في التربية: ٢٥٠، ٢٥١.

(٥) سورة المجادلة: الآية: ١.

(٦) يرجع: في ظلال القرآن: ٤/ ٢٤٩٤ - ٢٥٠٥، منهج القرآن في التربية: ٢٥١ - ٢٥٤.

(٧) منهج القرآن في التربية: ٢٥٢.

خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ * لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ
الكَاذِبُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ
بِالْسِّنِّتِ كُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ
مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ *
وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ
وَالسَّعَةَ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ
لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْعَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَسِنَّتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ
أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ * الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ
مُبرَأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ {^(١).

وفي الجانب السياسي تأتي حادثة حاطب بن أبي بلتعة t والمحاولة التي قام بها لمراسلة قريش
وإخبارهم بخروج النبي r والمسلمين لفتح مكة، واكتشاف النبي r ذلك وعفوه عنه لحسن سابقته وبلاءه في
الإسلام، تأتي هذه الحادثة في مقدمة الحوادث التي استغلها المنهج القرآني لتأكيد مفهوم الولاء والبراء، وخضوع
الجميع للمحاسبة والنقويم مهما بلغت منزلتهم، والاعتراف بالضعف البشري ومعالجته، والقضاء على البقايا
العصبيات وإزالة آثارها من النفوس، زيادة على توضيح طبيعة العلاقة بين المجتمع الإسلامي وغيره من
المجتمعات^(١). قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمُ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا
بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ
مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمُ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِنْ
يَتَّفِقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَسِنَّتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا
أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {^(٢).

وفي الجانب العسكري جاءت حادثة كعب بن مالك^(٣) t والنفر الكرام الذين تخلفوا عن رسول الله r
دون عذر في غزوة تبوك، ثم قبول الله u توبتهم تقديراً لصدقهم واعترافهم بالخطأ وحسن توبتهم، جاءت هذه

(١) سورة النور: الآيات ١١-٢٦.

(٢) يراجع: في ظلال القرآن: ٦/٣٥٨٣٥-٣٥٤٨، التربية الجهادية: ٣/٩-٢٢.

(٣) سورة الممتحنة: الآيات ١-٣.

(٤) كعب بن مالك بن أبي كعب أبو عبدالله السلمي، صحابي جليل شهد العقبة وبايع بها وتخلف عن بدر وشهد أحداً ومابعدا وتخلف في تبوك، وهو
أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، مات في خلافة معاوية t سنة ٥٠ هـ وقيل ٥٣ هـ. ينظر: الاستيعاب: ٣/١٣٢٣، الإصباح: ٥/٦١٠.

الحادثة لتشير إلى وجود الضعف البشري في حياة الإنسان ودور المربي في معالجة هذا الضعف، مع أهمية المحاسبة والتقويم ومعاينة المقصرين مهما بلغت مكانتهم في المجتمع الإسلامي، كما جاءت لفتح للمقصرين باب الأمل والرجاء في قبول توبتهم والتجاوز عن أخطائهم بشرط صدقهم مع الله U واستقامتهم على منهجه^(٢). قال تعالى: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} (٣).

هذه بعض الأحداث الفردية التي استغلها المنهج القرآني لتربية المجتمع الإسلامي والارتقاء به وهي أحداث يجب على المربين الاستفادة منها وعدم إغفالها ولاسيما عندما يتعلق الأمر بتربية وإعداد القيادات.

أما أبرز الأحداث الجماعية التي تناولها المنهج القرآني بالتعقيب واستثمرها في تربية المجتمع الإسلامي فيمكن الإشارة إلى أبرزها فيما يأتي:

أولاً: موضوع الخلاف حول تقسيم الغنائم يوم بدر:

بعد انتهاء غزوة بدر واندحار المشركين اختلف المسلمون في موضوع الغنائم وكيفية قسمتها والأحق بها منهم، فنزلت الآيات الكريمة لتنزع الأمر من أيديهم وترده بمجمله إلى الله U وإلى رسوله R إقامة للعدل وصيانة للحقوق وقطعاً لدابر الفتنة والاختلاف، وتربيةً للنفوس على التقوى وإخلاص العمل لله والاستعلاء على نشوة النصر والظفر^(٤). قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (٥).

ثانياً: غزوة أحد والدروس المستفادة منها:

عندما علم النبي R بخروج قريش لقتال المسلمين جمع أصحابه واستشارهم في أمر الخروج لملاقاة المشركين أو التحصن بالمدينة فكان رأي الأغلبية مع الخروج، فخرج بهم النبي R إلى أحد، وفي الطريق عاد عبد الله بن أبي ومعه ثلث الجيش من المنافقين، وعندما وصل الجيش الإسلامي إلى أحد وضع النبي R خمسين من الرماة على الجبل وكلفهم بحماية ظهور المسلمين وعدم مغادرة مواقعهم مهما كانت الأسباب، إلا أن الرماة خالفوا الأمر حين رأوا المسلمين يجمعون الغنائم بعد أن فر المشركون في أول اليوم، الأمر الذي مكن فرسان المشركين من الالتفاف على المسلمين وإيقاع القتل فيهم، فاستشهد سبعون من المسلمين، وجرح عدد

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ٣/ ١٧٣، التربية الجهادية: ٣/ ٤٤٨ - ٤٧٨.

(٣) سورة التوبة: الآيات: ١١٨ - ١١٩.

(٤) يراجع: في ظلال القرآن: ٣/ ١٤٧٣، التربية الجهادية: ١/ ٤٩ - ٥٢، السيرة النبوية للصلابي: ٢/ ٧٠٢ - ٧١١.

(٥) سورة الأنفال: الآية: ١.

كبير بينهم النبي ٣ الذي أشيع أنه قتل ٣ مما أثر على نفسيات كثير من المسلمين فتوقفوا عن القتال وولوا الأدبار، وانتهت المعركة بهزيمة قاسية للمسلمين^(١).

"لقد وصف القرآن الكريم غزوة أحد وصفاً دقيقاً وكان التصوير القرآني للغزوة أقوى حيوية ووضوحاً من الروايات التي جاءت في الغزوة، كما أن أسلوب الآيات المطمئنة المبشرة واللائمة، والمسكنة والواظمة كان رائعاً وقوياً، فبين القرآن الكريم نفوس جيش النبي ٣، وهذا تميز لحديث القرآن عن الغزوة ينفرد به عما جاء في كتب السيرة فسلط القرآن الكريم الأضواء على خفايا القلوب، التي ما كان المسلمون أنفسهم يعرفون وجودها في قلوبهم"^(٢).

وقد جاء هذا الوصف متميزاً بالدقة والعمق والشمول، الدقة في تناول المواقف والحركات، والعمق في تصوير أغوار النفوس ومشاعرها الدفينة، والشمول لجوانب النفوس والأحداث، كما تميز بالتحليل العميق للأسباب والنتائج، الحيوية في التصوير والايقاع والايحاء^(٣). قال تعالى: {وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ* إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} ^(٤).

لقد اشتملت الآيات على حصيلة ضخمة من الدروس والعبر والتوجيهات والفوائد التي لا غنى للمجتمع المسلم بقيادته وأفراده عنها رغم امتداد الزمان وتغير الأحوال، وهي حصيلة تنوعت بين التأكيد على أهمية الطاعة والالتزام الدقيق بتوجيهات القيادة، والمحاسبة والتقويم للأفراد وربطهم بالآخرة كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَأَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} ^(٥). وبين التذكير بالسنن الإلهية والدعوة إلى الاستعلاء الإيماني رغم كل شيء كما في قوله تعالى: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ} ^(٦).

كما أكدت على أهمية المبادئ وضرورة تربية الأفراد عليها مهما كانت النتائج كما في قوله تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ

(١) يراجع: في ظلال القرآن: ١/ ٤٥٧ - ٥٢٥، التربية الجهادية: ١/ ١٩٥ - ٣٣٧، السيرة النبوية للصلابي: ٢/ ٧٦٦ - ٨٤٦.

(٢) السيرة النبوية للصلابي: ٢/ ٨٢٤.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: ١/ ٥٣٢.

(٤) سورة آل عمران: الآيتان: ١٢١، ١٢٢.

(٥) سورة آل عمران: الآية: ١٥٢.

(٦) سورة آل عمران: الآية: ١٣٧.

يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} (١). وقوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (٢).

ومن هنا أكد الأستاذ سيد قطب رحمه الله على أن الحصيلة الضخمة التي استفادتها الجماعة المسلمة من أحداث أحد، ومن وراء التوجيهات القرآنية التي نزلت بشأنها أكبر وأعظم من حصيلة النصر والغنيمة؛ لأن حاجة الجماعة المسلمة ومن ورائها عموم الأمة عبر امتداد الزمان إلى هذه الحصيلة كانت أعظم من حاجتها إلى النصر والغنيمة (٣).

ثم يتحدث عن التعقيب القرآني على أحداث المعركة فيقول: "لعل مما يلفت النظر في التعقيب القرآني على أحداث المعركة هو ذلك الازدواج العجيب بين استعراض مشاهدتها ووقائها، والتوجيهات المباشرة على هذه المشاهد والوقائع.. وبين التوجيهات الأخرى المتعلقة بتصفية النفوس وتخليصها من غش التصور، وتحريرها من رقة الشهوات، وثقله المطامع، وظلام الأحقاد، وظلمة الخطيئة، وضعف الحرص والشح والرغبات الدفينة" (٤).
ولا بد من الوقوف أمام الحقائق التربوية الهامة التي أشار إليها صاحب الظلال في معرض تعقيبه الرائع على أحداث غزوة أحد والمنهج القرآني في التربية بالأحداث ومن أبرز هذه الحقائق ما يأتي:

- ١- توضيح طبيعة هذا الدين وأنه منهج إلهي يعمل في حياة البشر بجهد البشر أنفسهم وفي حدود طاقتهم، وواقعهم المادي والحضاري، وهذا ما أراد الله ﷻ أن يعلمه للجماعة المسلمة وهو يريها بالأحداث في غزوة أحد وبالتعقيب القرآني عليها. قال تعالى: {أَوَلَمْ آصَابِكُمْ مِصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (٥).
- ٢- توضيح طبيعة النفس البشرية والفطرة الإنسانية، والمقدار الذي يمكن أن تبلغه في تحقيق المنهج الإلهي، مع التأكيد على قصور هذه النفس وضعفها وقابليتها للنمو والارتقاء الأمر الذي يوجب بذل مزيد من الجهد في تربيتها وتنميتها وتهذيبها وعدم تعطيلها أو تحميلها فوق طاقتها، ومن هنا كان التعريف بالخطأ و التقصير في أحد من باب التوجيه والمعالجة وغرس الثقة بالنفس وليس من باب الإهانة والتحقير. قال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (٦).
- ٣- توضيح حقيقة الارتباط في المنهج القرآني بين واقع النفس المسلمة وبين كل معركة تخوضها مع أعدائها في مختلف الميادين وتطبيق عوامل النصر والهزيمة عليها وفي مقدمتها تأثير الذنوب والخطايا. قال تعالى:

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٤٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ١٥٩.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: ٤٥٨/١.

(٤) المصدر نفسه: ٤٥٨/١.

(٥) سورة آل عمران: الآية: ١٦٥.

(٦) سورة آل عمران: الآية: ١٣٩.

{إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} (١).

٤- توضيح طبيعة منهج التربية الإسلامية الذي يربي الأمة المسلمة بالأحداث، وما تتشبهه في النفوس من مشاعر وانفعالات تجعلها مهياً لقبول التوجيه والتربية وما يتبع ذلك من تعقيب قرآني يوجه المسار، ويعالج الخلل، ويقوم الاعوجاج، ويصحح المشاعر والتصورات والقيم، ويقر المبادئ التي يريد أن تغرس في النفوس وتقوم عليها الحياة، الأمر الذي يؤكد أهمية الاستفادة من الأحداث واعتبارها وسيلة من أهم وسائل التربية والإعداد.

٥- توضيح واقعية المنهج الإلهي في الاعتقاد والتصور والتربية والسلوك، وهو ما يبرز من خلال الموقف المبدئي من قضية الشورى حيث كان باستطاعة النبي ٣ تجنب الجماعة المسلمة تلك التجربة المريرة بنتائجها القاسية لو أنه قضى برأيه في عدم الخروج، ولكنه ولأمر أراده الله U أنفذ الشورى حتى تتحمل الجماعة المسلمة نتيجة قرارها فتستفيد من الموقف خبرة وتجربة ومعرفة وتربية.

ورغم كل ما أفضت إليه نتيجة الشورى من خروج ثم هزيمة وشهداء وجرحى إلا أن الأمر الإلهي جاء عقب المعركة ليؤكد أهمية تطبيق هذا المبدأ مهما كانت النتائج والتضحيات. قال تعالى: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (٢).

٦- التأكيد على أهمية المحاسبة والتقويم ومعالجة الأخطاء مهما كانت منزلة الأفراد ومكانتهم، وهو ما يظهر من خلال الآيات التي تحدثت عن مخالفة الرماة وانكشاف البعض عن النبي ٣، ذلك أن المنهج أكبر من الأشخاص والمبادئ أسمى من الأفراد (٣). قال تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّن بَعْدَ مَا أَرَأَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} (٤).

ثالثاً: موقف المسلمين يوم حنين:

في يوم حنين خرج المسلمون إلى المعركة واثقين من النصر اغتراراً بكثرتهم، فكان الدرس الإلهي سريعاً حيث فشلوا في أول اليوم وولوا الأدبار وسيطر الأعداء على أرض المعركة، ولم يثبت سوى النبي ٣ وقلة من الصحابة الكرام، إلا أن الله U أنزل عليهم الطمأنينة والرحمة فاستوعبوا الدرس وعادوا إلى الله U يسألونه النصر ويلتفون حول رسوله ٣ فحقق الله لهم نصره وأنجز لهم وعده (١). قال تعالى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٥٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ١٥٩.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: ١/٥٢٦ - ٥٣٣.

(٤) سورة آل عمران: الآية: ١٥٢.

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ٣/١٦١٦، السيرة النبوية للصلاحي: ٢/ ١٢٢٤ - ١٢٢٩.

كثيرةً وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلِيْتُمْ مُدَبِّرِينَ ۝ (٢).

يقول سيد قطب رحمه الله: "ويوم حنين الذي هزموا فيه بكثرتهم ثم نصرهم الله بقوته يوم أن انظم إلى الجيش الفتح ألفان فقط من الطلقاء، يوم أن غفلت قلوب المسلمين لحظات عن الله ، مأخوذة بالكثرة في العدد والعتاد، ليعلم المؤمنون أن التجرد لله وتوثيق الصلة به، هي عدة النصر التي لا تخذلهم حين تخذلهم الكثرة في العدد والعتاد، وحين يخذلهم المال والإخوان والأولاد"^(٢).

وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب التربية بالأحداث خلال تربيته لصحابته الكرام رضوان الله عليهم والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

١- استخدامه ﷺ مشهد قتلى بدر من المشركين وهم يلقون في القليب لتربية الجماعة المسلمة على التأمل في مصير الطغاة وعاقبة الظالمين، والتأكيد على وجود الحياة البرزخية التي يعيشها الإنسان بعد الموت^(٤).

٢- استخدامه ﷺ حادثة المرأة المخزومية التي سرقت وشفاعة أسامة بن زيد t فيها للتأكيد على قضية المساواة في الإسلام وضرورة تطبيق العدل على الجميع دون تمييز أو تفریق^(٥).

وهناك العديد من المواقف والأحداث التي استثمرها ﷺ لتربية الصحابة الكرام كمواظبه عند دفن الموتى وعند الخسوف والكسوف ، وقصة المرأة التي وجدت طفلها بعد فراق ، وأحداث قدوم الوفود وغيرها من الأحداث التي كان يستثمرها ﷺ في معالجة الأخطاء و الحث على بعض الأمور أو تقرير بعض المبادئ^(٦).

المبحث السابع التربية بالتكاليف

(٢) سورة التوبة: الآية: ٢٥.

(٣) في ظلال القرآن: ١٦١٦/٣.

(٤) ينظر: صحيح البخاري- كتاب الجنائز- باب ماجاء في عذاب القبر، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية: ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٥) ينظر: صحيح مسلم- كتاب الحدود- باب قطع السارق الشريف وغيره، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية: ٣٠٨.

(٦) تراجع: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية: ٣٠٤ - ٣١٠.

تعد التربية بالتكاليف من أهم أساليب التربية عموماً وتربية وإعداد القيادات على وجه خاص، ذلك أن التربية في جو السلم والدعة وأوقات الراحة والرخاء لا تكفي لإعداد شخصية قيادية متميزة؛ لأنها لا تكشف عن حقيقة الأفراد ولا تعطي الصورة الصحيحة الواضحة عنهم، فقد يظهر الفرد الاستيعاب للمنهج والحماس للتنفيذ والقدرة على القيادة وهو في الحقيقة بخلاف ذلك، الأمر الذي يوجب تربيته بأنواع من التكاليف والابتلاءات التي تسهم في الكشف عن مدى استيعابه للمنهج وتمتعه بالقدرة اللازمة، وتحمله لأعباء المسؤولية حتى لا يؤدي تقاعسه أو تخاذله في أوقات الشدة إلى تخذيل الآخرين والتأثير عليهم^(١).

ويأتي أسلوب التربية بالتكاليف متمشياً مع طبيعة الإنسان ككائن مكلف يتميز عن غيره من المخلوقات بتحمل الأمانة. قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}^(٢) ففي الآية تعظيم لأمر التكليف حيث اعتذرت جميع المخلوقات عن تحمل الأمانة خوفاً على نفسها، وخشية من عدم القدرة على القيام بمتطلباتها، وقبلها الإنسان رغم صغر حجمه، وضعف قوته، ومحدودية عمره^(٣).

إن الله U وهو الأعم بضعف الإنسان وعجزه وحاجته والعوامل المحيطة به لم يتركه أسير ضعفه وعجزه وأهوائه بل منحه من القدرات والإمكانات ما يعينه على القيام بواجبات التكليف وأداء الأمانة وفي مقدمة ذلك :

١- تحديد الغاية من خلق الإنسان وهي القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض: قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ} ^(٤).

والقيام بواجبات الاستخلاف إنما يتم بتحقيق العبودية لله U وعمارة الأرض وفق منهجه سبحانه وتعالى. قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} ^(٥). وقال تعالى: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} ^(٦).

٢- إمداد الإنسان بالمهارات والقدرات والاستعدادات التي تعينه على القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض: قال تعالى: {قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} ^(٧).

٣- منح الإنسان حرية الإرادة والاختيار، وقابلية العمل والحركة: قال تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} ^(٨). وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} ^(٩).

(١) ينظر: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم- د. عبد الوهاب بن لطف الديلمي- ط: ٢- مكتبة الإرشاد- صنعاء- الجمهورية اليمنية: ٢/ ١٠٥١.

(٢) سورة الأحزاب: الآية: ٧٢.

(٣) يراجع: تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٥٢٣، في ظلال القرآن: ٥/ ٢٨٨٤، ٢٨٨٥.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٣٠.

(٥) سورة الذاريات: الآية: ٥٦.

(٦) سورة هود: الآية: ٦١.

(٧) سورة الملك: الآية: ٢٣.



٤- تسخير قوى الكون المختلفة لخدمة الإنسان: قال تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ} (٥).

٥- واقعية التكاليف وعدم تجاوزها لطاقة الإنسان: قال تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} (٦). ومن خلال هذه العوامل المعينة وغيرها لم يعد للإنسان حجة في التقاعس عن التكاليف وإدعاء العجز عن أدائها (٧).

إن أسلوب التربية بالتكاليف من أبرز الأساليب التربوية التي رعى الله U بواسطتها أنبياءه ورسله عليهم السلام حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه من المكانة والمنزلة والقدرة على القيادة وتحمل المسؤولية، ومن هنا كان رعي موسى U للغنم، وإشتراك داود U في القتال مع طالوت، وإشتراك النبي ٣ في العديد من الفعاليات كحرب الفجار، وبناء الكعبة، وحلف الفضول، والرعي والتجارة وغيرها من الفعاليات الخاصة والعامّة قبل بعثته .٣

والتكاليف بشكل عام تحتاج إلى قدرة على فهمها وقوة في أخذها وجدية في التعامل معها حتى تتم الاستفادة منها و يتحقق للمكلف النجاح فيها. قال تعالى: {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَاأَخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ۗ} (٨). وقال تعالى: {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًا} (٩).

يقول سيد قطب رحمه الله: "والكتاب هو التوراة كتاب بني إسرائيل من بعد موسى، وعليه كان يقوم أنبياءهم يعلمون به ويحكمون. وقد ورث يحيى أباه زكريا، ونودي ليحمل العبء وينهض بالأمانة في قوة وعزم، لا يضعف ولا يتهاون ولا يتراجع عن تكاليف الوراثة" (١٠).

وقد أكد المنهج القرآني على أهمية التربية بالتكاليف في إعداد الأفراد والجماعات لاختبار مدى استيعابهم للمنهج واستعداداتهم لتنفيذ التوجيهات والقيام بالتكاليف ضماناً للتمييز بين الصادقين وغيرهم. قال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ

(١) سورة الإنسان: الآيتان: ٢، ٣.

(٢) سورة الملك: الآية: ١٥.

(٣) سورة لقمان: الآية: ٢٠.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٢٦٨.

(٥) يراجع: موسوعة نظرة النعيم: ١/ ٩٢ - ٩٩.

(٦) سورة الأعراف: الآية: ١٤٥.

(٧) سورة مريم: الآية: ١٢.

(٨) في ظلال القرآن: ٣/ ٢٣٠٣.



وَلِيَجْهَ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (١). وقال تعالى: {الم * أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} (٢).

يقول سيد قطب رحمه الله: "إن الإيمان ليس كلمة تقال إنما هو حقيقة ذات تكاليف؛ وأمانة ذات أعباء؛ وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال، فلا يكفي أن يقول الناس: آمنا. وهم لا يتركون لهذه الدعوى، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرها خالصة قلوبهم. كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به" (٣).

ولعل مما يوضح أهمية التربية بالتكاليف كأسلوب تربوي مميز في إعداد القيادات ما فعله طالوت خلال إعداده للصفوة المؤمنة التي خاضت معه معركة التحرير ضد جالوت وجنوده. قال تعالى: {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} (٤).

لقد أشار صاحب الظلال إلى عدد من الحقائق المستتبطة من هذا الموقف وعدها حقائق لا غنى للامة المسلمة عنها في كل حين ومن أبرزها:

١- إن الحماسة الجماهيرية قد تخدع القادة لو أخذوا بمظهرها الأمر الذي يوجب وضعها على محك التجربة قبل خوض المعركة الحاسمة مع العدو.

٢- إن اختبار الحماسة الظاهرة والاندفاع المتهور ينبغي أن يأخذ أشكالا وألوانا متعددة من التكاليف والابتلاءات المادية والمعنوية.

٣- إن الجماهير الغفيرة من بني إسرائيل قد تولوا عن طالوت بمجرد أن كتب عليهم القتال ، وهو ما يعني تخاذلهم من أول تكليف يوجه إليهم ثم لحقتهم دفعات أخرى كانت تتخلى عن طالوت ومواصلة الطريق معه مع كل تكليف.

٤- إن تتابع التكاليف من فرض القتال مروراً بالنهي عن الشرب من النهر وانتهاء بمواجهة جالوت وجنوده أسهم في تنقية الصف المؤمن من المتخالدين والمثبطين والمنهزمين بحيث لم تصمد مع طالوت سوى القلة المؤمنة التي نالت حظها من التربية والإعداد ونجحت في التكاليف المختلفة فاستحقت النصر والتمكين (٥).

ومما يؤكد أهمية التربية بالتكاليف أيضاً قوله تعالى: {الْم تَر إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا

(١) سورة التوبة: الآية: ١٦.

(٢) سورة العنكبوت: الآيات: ١، ٢٠.

(٣) في ظلال القرآن: ٥/٢٧٢٠.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٢٤٩.

(٥) ينظر: في ظلال القرآن: ١/ ٢٦١ - ٢٦٣.

رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا} (١).

يقول سيد قطب رحمه الله: "إن أشد الناس حماسة واندفاعاً وتهوراً، قد يكونون هم أشد الناس جزعاً وانهياراً وهزيمة عندما يجد الجد، وتقع الواقعة.. بل إن هذه قد تكون القاعدة! ذلك أن الاندفاع والتهور والحماسة الفائقة غالباً ما تكون منبعثة عن عدم التقدير لحقيقة التكاليف، لا عن شجاعة واحتمال وإصرار. كما أنها قد تكون منبعثة عن قلة الاحتمال. قلة احتمال الضيق والأذى والهزيمة؛ فتدفعهم قلة الاحتمال إلى طلب الحركة والدفع والانتصار بأي شكل. دون تقدير لتكاليف الحركة والدفع والانتصار.. حتى إذا ووجهوا بهذه التكاليف كانت أثقل مما قدروا وأشق مما تصوروا، فكانوا أول الصف جزعاً ونكولاً وانهياراً.. على حين يثبت أولئك الذين كانوا يمسون أنفسهم، ويتحملون الضيق والأذى بعض الوقت، ويعدون للأمر عدته، ويعرفون حقيقة تكاليف الحركة، ومدى احتمال النفوس لهذه التكاليف، فيصبرون ويتمثلون ويعدون للأمر عدته.. والمشهورون المندفعون المتحمسون يحسبونهم إن ذاك ضعافاً، ولا يعجبهم تمهلهم ووزنهم للأمور! وفي المعركة يتبين أي الفريقين أكثر احتمالاً؛ وأي الفريقين أبعد نظراً كذلك" (٢).

وهذا ما يتضح من خلال استعراض موقف بني إسرائيل الذين فشلوا في التكاليف المختلفة فاستحقوا الذلة والخزي والعيش في التيه حين تخلو عن نبيهم وقائدهم ورفضوا دخول الأرض المقدسة وتنفيذ أمر الله تعالى وهو ماصوره قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} (٣).

وبالمقابل نجد الصحابة الكرام الذين تربوا على التكاليف والابتلاءات والمحن منذ فجر الدعوة الإسلامية في مكة يقفون إلى جوار قيادتهم في أول مواجهة مع قوى الكفر والطغيان رغم قلة عددهم وعدتهم قائلين للنبي ﷺ: (والله يا رسول الله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك ودين يدريك وخلفك) (١). وقد كان ما قالوا حيث صدقوا في مناصرة الدعوة ومواجهة العدو فاستحقوا من الله U النصر والتمكين في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة.

(١) سورة النساء: الآية: ٧٧.

(٢) في ظلال القرآن: ٧١٢/٢.

(٣) سورة المائدة: الآيات: ٢٠ - ٢٦.

(١) سبق تخريجه : ص ٢٤ .

إن المنتبِع لمنهج القرآن الكريم في التربية يدرك سبب تركيزه على أسلوب التربية بالتكاليف سواءً ما يتعلق منها بالصلاة والصيام والزكاة والحج وبقية الأوامر أو الجهاد والأمر المعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من التكاليف.

وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب التربية بالتكاليف خلال تربيته أصحابه رضوان الله عليهم، حيث كان يكلفهم بالمهام المختلفة لصقل مواهبهم، واختبار كفاءتهم، وإتاحة الفرصة لهم لإبراز قدراتهم المختلفة ومهاراتهم المتعددة في مختلف المجالات، ولعل من أبرز ما يدل على ذلك:

- ١- تكليف علي بن أبي طالب **t** بالمبيت في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة والتأخر في مكة لأداء الأمانات إلى أهلها بعد هجرة النبي ﷺ^(١).
- ٢- تكليف حذيفة بن اليمان **t** بالدخول بين صفوف المشركين والإتيان بخبرهم ليلة الأحزاب^(٢).
- ٣- تكليف عبد الله بن عتيك^(٤) **t** وجماعة من الخزرج بقتل أبي رافع اليهودي الذي كان يؤذي رسول الله ﷺ والمسلمين^(٥).

(١) يراجع: السيرة النبوية لابن هشام: ١١/٣، تأريخ الأمم والملوك: ٦٠/١.

(٢) يراجع: حياح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب غزوة الأحزاب: ٣ / ١٤١٤ رقم (١٧٨٨)، التربية القيادية: ٧٨ - ٨٧.

(٤) عبد الله بن عتيك بن قيس بن الأسود الأنصاري، شهد أحداً ومابعداً، استشهد يوم اليمامة سنة ١٢ هـ. ينظر: الاستيعاب: ١٦٧/٤، لإصابة: ١٦٧/٤.

(٥) يراجع: التربية القيادية: ١٤٢/٤ - ١٥٢.



المبحث الثامن التربية بالثواب والعقاب

الثواب: هو الحافز المستخدم لتحريك دوافع الإنسان للقيام بالمهام المختلفة، أما العقاب فهو الإجراء المؤدي إلى تقليل احتمال حدوث السلوك في المستقبل^(١).

وتتبع أهمية التربية بالثواب والعقاب من أن الإنسان يميل بطبيعته البشرية التي فطره الله عليها إلى حب الثناء والإطراء والذي يعد شكلاً من أشكال الثواب، وبالمقابل فإنه يخشى العقاب بجميع أشكاله وأنواعه ويتجنب أسبابه لما ارتبط به العقاب من خروج عن المنهج وابتعاد عن الصواب^(٢)، كما تتبع أهمية التربية بالثواب من دوره في تحريك الدوافع الإنسانية وتحفيزها لتكرار السلوك الإيجابي والقيام بالمهام المختلف.

قال تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}^(٣). وقال تعالى: {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَدَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ^(٤)، وكذلك الأمر بالنسبة لأهمية التربية بالعقوبة التي شرعت لتعديل السلوك الإنساني وتقويمه عند عجز الطرق الأخرى. قال تعالى: {وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرِبُوهُنَّ فَإِنِ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا}^(٥).

والأصل في استخدام المنهج القرآني لأسلوب التربية بالثواب والعقاب أمران اثنان:

الأول: تربية الإنسان على التعلق بالله وحده وطلب العون منه والرغبة فيما عنده من نعيم الجنة، وعدم إغفال ذلك عند معاناته ومكابדתه في القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض. قال تعالى: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ^(٦)}. وقال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ^(٧)}.
الثاني: خشية الله U والخوف من عقابه في الدنيا والآخرة، وعدم الخوف مما سواه سبحانه وتعالى^(٨). قال تعالى: {الَّذِينَ يَبُلُّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا^(٩)}.
ولاشك أن تربية الإنسان على التعلق بالله U والارتباط به، وعدم الخوف مما سواه تكسبه قوة عظيمة تعينه على القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض وفق منهج الله U ، كما تمكنه من مواجهة متطلبات الحياة المختلفة.

(١) ينظر: أساليب التربية النبوية للجنود: ٦٤، ٧٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٦٤، ٧٠.

(٣) سورة الأحزاب: الآية: ٢٣.

(٤) سورة يونس: الآية: ٩٨.

(٥) سورة النساء: الآية: ٣٤.

(٦) سورة الرحمن: الآية: ٦٠.

(٧) سورة الرعد: الآية: ٢٩.

(٨) ينظر: منهج التربية في التصور الإسلامي: ٣٤٠.

(٩) سورة الأحزاب: الآية: ٣٩.

وقد أثبتت التجربة أن التربية القائمة على الحب والحنان كثيراً ما تفلح في بناء الإنسان السوي، بينما تقود التربية المستندة إلى العقوبة فقط إلى الانحراف، ومن هنا كان لابد من التوازن في بناء الشخصية الإنسانية بتربيتها على معاني الحب والحنان دون إفراط أو مبالغة، والاهتمام بجانب الثواب أكثر من العقاب، مع استخدام العقوبة عند الحاجة إليها في تعديل السلوك الإنساني وتقويم اعوجاجه^(١).

وتتعدد أنواع الثواب والعقاب في المنهج القرآني ما بين دنيوي وآخروي الأمر الذي يؤكد فعالية استخدام هذا الأسلوب في تربية وإعداد القيادات ذلك أن الإنسان السوي المستقيم في هذه الحياة لابد أن ينال ثوابه من الله U حياة طيبة في الدنيا وجنة ونعيماً في الآخرة، ومهما أودى هذا الإنسان أو عذب أو شرد أو ضيق عليه في الدنيا فلن يضيع صبره وجهده سدى وإنما تضاعف له الحسنات ويجزل له الأجر والثواب في الآخرة مع الانتقام له ممن ظلمه أو آذاه. قال تعالى: {مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (١). وقال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (٢). وبالمقابل لابد أن ينال المنحرف عقابه من الله U ضيقاً وذنكاً في الدنيا وجنة وعذاباً في الآخرة ما لم يتب إلى الله U. قال تعالى: {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى* وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (٤). وقال تعالى: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} (٥)، وإلى النوعين يشير قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ} (٦).

وكما تعددت أنواع الثواب والعقاب ما بين دنيوي وآخروي تنوعت كذلك أشكالهما ما بين مادية ومعنوية، الأمر الذي يتيح للمربي فرصة استخدام الشكل المناسب لشخصية الإنسان وطبيعته، ونوعية السلوك وحجمه خطأً أم صواباً، وهو ما يمكن الإشارة إليه فيما يأتي:

(١) ينظر: منهج التربية الإسلامية: ١/١٩٠، ١٩١، ٢/١٣٦، منهج التربية في التصور الإسلامي: ٣٤٠، ٣٤١.

(٢) سورة النحل: الآية: ٩٧.

(٣) سورة الزمر: الآية: ١٠.

(٤) سورة طه: الآيتان: ١٢٣، ١٢٤.

(٥) سورة النساء: الآية: ١٤.

(٦) سورة آل عمران: الآية: ١٤٥.

أولاً: أشكال الثواب:

- ١- الثواب المادي: ومنه قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ} (١).
- ٢- الثواب المعنوي: ومنه وقوله تعالى: {هَٰذَا لِكُلِّ قَوْمٍ مَّا هُوَ خَيْرٌ لِّمَا خَسِبُوا بِهِمْ وَخَيْرٌ عُقْبًا} (٢).

ثانياً: أشكال العقاب:

١- العقاب المادي:

ويشمل القتل حداً أو تعزيراً، والقطع، والجلد، والضرب تعزيراً.

أ. القتل قصاصاً أو تعزيراً: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (٣). وقال تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (٤).

ب. قطع اليد حداً كما في عقوبة السرقة: قال تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٥).

ج. الجلد حداً كما في عقوبة الزاني البكر وشارب الخمر: قال تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} (٦).

د. الضرب تعزيراً كما في حالة الزوجة الناشز: قال تعالى: {وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا} (٧).

٢- العقاب المعنوي:

ويشمل أنواعاً متعددة من العقوبات المعنوية التي احتوى عليها المنهج القرآني ومنها:

- أ. علانية العقوبة: قال تعالى: {وَلَيْشَهِدَ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} (٨).
- ب. رد الشهادة: قال تعالى: {وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (٩).

(١) سورة الرعد: الآية: ٢٩.

(٢) سورة الكهف: الآية: ٤٤.

(٣) سورة البقرة: الآية: ١٧٨.

(٤) سورة المائدة: الآية: ٣٣.

(٥) سورة المائدة: الآية: ٣٨.

(٦) سورة النور: الآية: ٢.

(٧) سورة النساء: الآية: ٣٤.

(٨) سورة النور: الآية: ٢.

(٩) سورة النور: الآية: ٤.

ج. التغريب: قال تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (١).

د. الهجر: سواء كان هجراً في المبيت كما هو الحال في هجر الزوجة الناشز، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: {وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا} (٢). أو هجراً في القول كما في حال الثلاثة الذين خلفوا، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (٣).

هـ. اللوم والعتاب: قال تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} (٤).

و. التخويف والتهديد بالعقوبة: قال تعالى: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (٥). وقال تعالى: {وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُزْمَةٌ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطْمَةِ} (٦).

وقد استخدم المنهج القرآني أسلوب التربية بالثواب والعقاب في تربية وإعداد القيادات فمن التربية بالثواب قوله تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَىٰ بَعْضَكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} (٧). وقوله ٣: (والله لا يتاتلهم اليوم رجل مؤمن مقبل غير مدب إلا أدخله الله الجنة...) (٨). هذا بالنسبة للثواب الأخرى أما الثواب الدنيوي فيؤكد توزيع النبي ٣ للغنائم عقب الغزوات، وقوله ٣ في الحديث الذي يرويه أبو قتادة t: (من قتل قتيلاً فله سلبه) (٩). وكذا قوله ٣ لسعد بن أبي وقاص t: (إرم فداك أبي وأمي) (١٠).

(١) سورة المائدة: الآية: ٣٣.

(٢) سورة النساء: الآية: ٣٤.

(٣) سورة التوبة: الآية: ١١٨.

(٤) سورة الحديد: الآية: ١٦.

(٥) سورة البقرة: الآية: ٢٨٤.

(٦) سورة الهمزة: الآيات: ١ - ٤.

(٧) سورة آل عمران: الآية: ١٩٥.

(٨) سبق تخريجه.

(٩) صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب استحقاق القاتل سلب القتيل: ٣/١٣٧١ رقم (١٧٥١).

(١٠) صحيح البخاري - كتاب المغازي باب إذهمت طائفتان منكم أن تقشلا: ٤/٤٩٠ رقم (٣٨٣١)، صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب في فضل

سعد بن أبي وقاص: ٦/١٨٧ رقم (٢٤١١) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٣/١٧٤ رقم (١٥٦١).

وأما التربية بالعقاب فتكفي الإشارة إلى عتاب الله U لموسى U عندما ترك قومه واستعجل ملاقة ربه في قوله تعالى: {وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ} (١).

وقد نص القرآن الكريم على عتاب الله U للنبي R في شأن عبد الله بن أم مكتوم t في قوله تعالى: {عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُرْكَى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَا مَنِ اسْتَعْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَا يَرْكَبُ * وَأَمَا مَنِ جَاءَكَ يُسَعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى} (٢)، وكذا العتاب الذي وجه إليه R عندما قبل أخذ الفدية من أسرى بدر في قوله تعالى: {مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُوا مِمَّا غَنَمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (٣).

ومما يدل على استخدام أسلوب التربية بالعقوبة في إعداد القيادات ما حصل من الهزيمة في يوم أحد، وتعقيب القرآن الكريم عليها بقوله تعالى: {إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَغِمَ لَكُمْ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (٤). وقول النبي R لأبي ذر t: (إنك امرؤ فيك جاهلية) (٥). عندما عير أحد الصحابة بأمه، وكذلك غضبه R من أسامة بن زيد t عندما شفع في أمر المخزومية التي سرقت، وأمره بمقاطعة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وهجرهم، زيادة على هجره R لنسائه شهراً كاملاً (٦).

إن الاستخدام الأمثل لأسلوب التربية بالثواب والعقاب يتطلب مراعاة عدد من العوامل المرتبطة بكل من الثواب والعقاب وذلك على النحو الآتي:

أولاً: العوامل المرتبطة بالثواب:

- ١- أن يكون مجزياً: قال تعالى: {وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ} (٧).
- ٢- أن يكون مناسباً للعمل والجهد المبذول: قال تعالى: {مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (٨).
- ٣- فورية الثواب وعدم تأخيره: قال تعالى: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} (٩).

(١) سورة طه: الآيات: ٨٣ - ٨٥.

(٢) سورة عبس: الآيات ١ - ١٠.

(٣) سورة الأنفال: الآيات: ٦٧ - ٦٩.

(٤) سورة آل عمران: الآية: ١٥٣.

(٥) صحيح البخاري-كتاب الإيمان- باب المعاصي من أمر الجاهلية: ١/٢٠ رقم (٣٠).

(٦) يراجع: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية: ٣٦٨ - ٣٨٢.

(٧) سورة الحديد: الآية: ١١.

(٨) سورة النحل: الآية: ٩٧.

(٩) سورة الرحمن: الآية: ٦٠.

٤- المساواة في الثواب بين العاملين في العمل الواحد: قال تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} (١).

٥- أن يكون معيار التفرقة في الثواب مرتبطاً بمدى الدقة والإتقان في العمل: قال تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ} (٢).

٦- عدم الاقتصار على الثواب المادي فقط: قال تعالى: {قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (٣).

٧- مراعاة الارتباط بين الثواب الدنيوي والآخروي: قال تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} (٤).

ثانياً: العوامل المرتبطة بالعقاب:

١- عدم التسرع والتثبیت قبل إيقاع العقوبة: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} (٥).

٢- المسؤولية الفردية: قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} (٦).

٣- ارتباط العقوبة بالخطأ: قال تعالى: {فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (٧).

٥- التدرج في إيقاع العقوبة من الأخف إلى الأشد: قال تعالى: {وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا} (٨).

٦- إيجاد الألم بالعقوبة وإلا فقدت أثرها: قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ} (٩).

٧- إختلاف العقوبة باختلاف الخطأ.

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٩٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ١٧٢.

(٣) سورة البقرة: الآية: ٢٤٧.

(٤) سورة العنكبوت: الآية: ٢٧.

(٥) سورة الحجرات: الآية: ٦.

(٦) سورة المدثر: الآية: ٣٨.

(٧) سورة الأنفال: الآية: ٥٢.

(٨) سورة النساء: الآية: ٣٤.

(٩) سورة فصلت: الآية: ٤٣.

٨- عدم المبالغة في العقوبة: قال تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} (١). وقال تعالى: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (٢).

٩- فورية العقاب وعدم تأخيره: قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} (٣).

١٠- العدل والمساواة في إيقاع العقوبة: قال ٣: (إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف

تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) (٤).

١١- التعرف على الدوافع والانفعالات المؤدية إلى الخطأ قبل إيقاع العقوبة: قال تعالى: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا

الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ} (٥)، ومن هنا كان تجميد عمر t لحد السرقة عام

الرمادة .

١٢- إحترام ذاتية المعاقب .

إن مراعاة هذه العوامل يقود إلى استخدام أمثل لأسلوب التربية بالثواب والعقاب، كما يؤدي إلى تحقيق

النتائج المرجوة من هذا الأسلوب (٦).

وهكذا نجد تنوع المنهج القرآني في استخدام الأساليب التربوية المختلفة مراعيًا اختلاف الحالات

والأشخاص والمواقف ، متوخياً إحداث التأثير في المتربي ودفعه لاستيعاب المنهج والتفاعل مع محتوياته .

(١) سورة النحل: الآية: ١٢٦ .

(٢) سورة المائدة: الآية: ٤٥ .

(٣) سورة الأعراف: الآية: ١٦٧ .

(٤) صحيح البخاري - كتاب الحدود - باب كراهة الشفاعة في الحد إذا رفع للسلطان : ٢٤٩١/٦ رقم (٦٤٠٦) ، صحيح مسلم - كتاب الحدود - باب قطع

السارق الشريف وغيره: ٣/٣١٥ رقم (١٦٨٨) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٢/٢١٤ رقم (١١٠٠).

(٥) سورة قريش: الآيتان: ٣- ٤ .

(٦) يراجع في ذلك: تربية الأولاد في الإسلام: ٧٥٩-٧٦٩، أساليب التربية النبوية للجنيد: ٦٧- ٧٤.

الفصل الخامس

مؤسسات التربية القيادية

المبحث الأول: الأسرة.

المبحث الثاني: مؤسسات التعليم المختلفة.

المبحث الثالث: المسجد.

المبحث الرابع: وسائل الإعلام والاتصال.

المبحث الخامس: مؤسسات المجتمع المدني.

المبحث السادس: مؤسسات التدريب والتأهيل القيادي.

المبحث الأول الأسرة

المطلب الأول

مفهوم الأسرة وأهميتها

تطلق الأسرة في اللغة على عدة معانٍ منها: الدرع الحصينة ، وأهل بيت الرجل وعشيرته ، والجماعة يربطها أمر مشترك (١).

والمراد بالأسرة هنا: الوحدة الاجتماعية المؤلفة من الزوج والزوجة والأبناء ، وقد يتسع مفهومها ليشمل الأقارب والأرحام ولاسيما إذا كانوا يعيشون معاً في بيت واحد (٢).

ولم ترد كلمة الأسرة في المنهج القرآني وإنما ورد عوضاً عنها لفظ الأهل في قوله تعالى: {يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُؤَا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} (٣).

والأسرة هي اللبنة الأولى في بناء الفرد والمجتمع ، والمؤسسة الرائدة في تربيتهما وإعدادهما للقيام بواجبات الحياة ومتطلبات الاستخلاف في الأرض، وتعد أهم مؤسسات التربية والإعداد على الإطلاق حيث ينشأ فيها الإنسان وهو يشعر بالأمن والاستقرار ، وتتكون فيها العلاقات المباشرة بين الفرد والبيئة المحيطة به ، كما يكتسب الإنسان من خلالها كثيراً من قيمه ومبادئه، ومعارفه ومهارته، وميوله واتجاهاته (٤).

"والأسرة هي المعمل النفسي الذي ينال الطفل فيه أول قسط من التربية وينعم فيها بالحب والطمأنينة ، ويصاحبه أثرها طوال حياته ، وللأسرة مسؤولية كبرى ودور هام في تقرير النماذج السلوكية التي يبدو عليها الطفل في كبره ، فلا شك أن شخصية الإنسان وفكرته عن هذا العالم وما يتشربه من تقاليد وعادات ومعايير للسلوك إنما هي نتاج لما يتلقاه الطفل في أسرته منذ يوم ميلاده " (٥).

ويرى علماء النفس الاجتماعي أن السنوات الست الأولى من حياة الطفل -وهي التي يقضيها في حضن أسرته قبل الانتقال إلى المدرسة - تلعب دوراً كبيراً في تشكيل نفسيته، وبناء شخصيته، وغرس القيم والمبادئ والتوجيهات في عقله، وهي قيم وتوجيهات تبقى راسخة في عقل الطفل وفي اللاشعور حتى عندما يكبر وتتقدم به السن، وتكون لها انعكاسات كبيرة على شخصيته المستقبلية وتصرفاته اليومية وطريقته في الحياة. (٦)

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة - مادة أسر: ٦١ ، لسان العرب - مادة أسر: ٢٠/٤.

(٢) ينظر: من أسس التربية الإسلامية للشيباني: ٤٩٧-٤٩٩.

(٣) سورة التحريم: الآية: ٦

(٤) ينظر: من أسس التربية الإسلامية للشيباني: ٤٩٧.

(٥) العلوم السلوكية: ١٤٢.

(٦) ينظر: علم الاجتماع السياسي - د. إبراهيم عطية الأبراشي - ط: ١ - دار الشروق - عمان: ٢١٢ - ٢١٤.

والأمر نفسه يؤكدُه القادة العسكريون في العصر الحديث حيث يؤكد اللورد مونتغمري وهو أحد أبرز القادة العسكريين في القرن العشرين على أهمية التربية الأسرية في إعداد القيادات فيقول: "أين يجب أن يبدأ التعليم؟ في البيت طبعاً، ذلك هو المكان الذي يجب أن يبدأ فيه تكون (السجية). وينبغي أن يتعلم الولد في البيت أموراً معينة تعد (خطأً) وأخرى تعد (صواباً)، ويجب أن يتعلم أسس الأمانة والإخلاص والصدق والثبات على ما يعتقدُه صواباً وحقاً، ثباتاً راسخاً برغم ما يواجهه من إغراء.

ويجب أن تبدأ أسس هذا التعليم في وقت مبكر، وأن ترسخ في ذهن الطفل عندما يبلغ السادسة من عمره، حتى إذا بدأ في الذهاب إلى المدرسة لا يكون فريسة لأية تأثيرات شريفة قد يواجهها"^(١) إن الطفل يولد خلواً من أي خبرات تحدد شكل تعامله مع الأحداث والمواقف والأشخاص إلا أنه سرعان ما يكتسب هذه الخبرات من خلال الأسرة، لما لها من قدرة كبيرة في التأثير عليه نظراً لما تملكه من قدرات على إشباع حاجاته الأساسية والضرورية، وما تقدمه له من توجيهات وإرشادات تعينه على مواجهة المواقف والتعامل مع الأشياء.

وقد حاولت بعض المجتمعات في العصر الحديث الاستغناء عن دور الأسرة بالمحاضن التي ترعى الأطفال فيها حواضن وأمّهات بديلات في مرحلتي المهد الأول والثاني أو آباء بدلاء في مرحلة الطفولة، ولكن هذه التجارب باءت بالفشل، وخرج الأطفال مرضى نفسياً وأصبحوا عالة على مجتمعاتهم وعوامل تدمير فيها؛ ذلك أن أيّاً من النساء مهما بلغ علمها وخبرتها وتخصصها في قضايا الأمومة والطفولة لا يمكن أن تغني عن دور الأم؛ لما تملكه الأم من دوافع الأمومة الحقيقية التي تملأ النفس بالحب والعطف والحنان، وتدفع إلى الصبر والتحمل والتضحية في رعاية الأطفال، وكذلك الأمر بالنسبة للرجال^(٢).

ويمكن إجمال أهمية الأسرة في حياة الطفل من حيث نموه وتشكيل ميوله واتجاهاته في عدة أسباب من أبرزها:

١- تأثير الجانب الوراثي في تكوين الشخصية الإنسانية:

من المعلوم أن الخصائص التي يرثها الإنسان عن والديه تحدد منذ اللحظة التي يتم فيها اتحاد البويضة الأنثوية بالحيوان المنوي الذكري، وهذه الخصائص تنتقل عبر الجينات التي هي حاملة الاستعداد الوراثي لدى الفرد، كمتعددة الوراثة عاملاً مهماً يؤثر في النمو الجسمي والحسي من حيث الشكل واللون، والنوع والجنس، والطول والعرض، وكذا بقية الصفات الجسمية الأخرى^(٣)، أما بالنسبة للصفات النفسية والسلوكية فإن الراجح تأثرها بالوراثة كما أشار إلى ذلك المنهج القرآني في العديد من الآيات والأحاديث.

(١) السبيل إلى القيادة: ١٩٨، ١٩٩.

(٢) ينظر: النبي المرابي: ١٧٩، ١٨٠.

(٣) ينظر سايكولوجية الشخصية: ٤١، الصحة النفسية والعلاج النفسي: ٨٢.

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (١). فالآية الثانية نص في أن الآباء الأطهار ينجبون أبناءاً أطهاراً ، وإلى هذا المعنى أشار الإمام الآلوسي رحمه الله عند تفسير هذه الآية بقوله: "والمعنى أنهم ذرية واحدة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبئ عنه التعرض لكونهم ذرية" (٢).

وقال تعالى: {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا} (٣).

ذهب الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله إلى أن هذه الآية نص في أهمية علاقة الأسرة ببعضها ببعض وانتقال الصفات النفسية والسلوكية من الآباء إلى الأبناء وفي ذلك يقول: "يدل المثلان على أن الوراثة سبب فطري لهذا التفاوت في الاستعداد ولهذا يحسن أن تفضل المرأة التقية الكريمة الأخلاق الطاهرة الأعراق على المرأة الجميلة إذا كانت من بيت دنئ وكذا على المرأة المتعلمة غير الكريمة الخلق ولا الطيبة العرق، وقد شبه النبي ٣ الناس بالمعادن، والمرأة الحسنة في المنبت السوء بخضراء الدمن، أي حشيش المزيلة.

ومن اختبر الناس رأى أن المعروف يخرج من الطيبين عفواً بلا تكلف، وأن الخبيثين لا يخرج الخير والمعروف ولا الحق الواجب عليهم إلا نكداً، بعد إلحاف وإيذاء في الطلب، أو إدلاء إلى أحكام، ومراوغة في الخصام" (٤). والشواهد الدالة على أهمية العامل الوراثي في تكوين الشخصية الإنسانية كثيرة لا يتسع المجال لحصرها (٥).

٢- سرعة عملية النمو الإنساني وتعدد نواحيها في سنوات الطفولة الأولى، الأمر الذي يجعل من التغيرات الحادثة أثناءها أكثر رسوخاً وأثبت أثراً.

٣- اعتماد الطفل الكبير على والديه وعلى من حوله في سنوات عمره الأولى يقوي نزعة المحاكاة والتقليد لديه، الأمر الذي يدفعه للتأثر بمن حوله وتشرب قيمهم ومبادئهم وميولهم واتجاهاتهم.

٤- شدة تأثير البيئة على الطفل في سنوات عمره الأولى وضعف هذا التأثير تدريجياً مع زيادة نموه وتقدم العمر، الأمر الذي يعني ضرورة الاستغلال الأمثل لسنوات الطفولة الأولى في غرس القيم والمبادئ الحسنة.

٥- إن عملية نمو الرقابة الذاتية والضمير الخلقى إنما تتم في المدة التي يقضيها الطفل في المنزل قبل ذهابه إلى المدرسة (١).

٦- أن الأسرة هي المكان الطبيعي لرعاية الإنسان وإشباع حاجاته المختلفة ولاسيما ما يتعلق منها بجانب الحب والعطف والحنان، الأمر الذي يدفعه لقبول توجيهاتها وإرشاداتها عن رضا واقتناع.

(١) سورة آل عمران: الآيتان ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) روح المعاني: ١٣٣/٣

(٣) سورة الأعراف: الآية: ٥٨ .

(٤) تفسير المنار: ٤٨٢/٨

(٥) يراجع: أثر الظروف النفسية والاجتماعية في سلوك الداعية - د. محمد أبو زيد - ط: ١ - دار الوفاء - المنصورة - ص ٢٧ -

٣٨، منهج التربية الإسلامية: ٨٩/٢ ، ١٠٣

(١) ينظر: العلوم السلوكية: ١٤٣

٧- طول المدة الزمنية التي يقضيها الفرد داخل الأسرة واحتكاكه المباشر بإفرادها أكثر من غيرها من المؤسسات التربوية الأخرى يُكسب الأسرة أهمية خاصة وقدرة أكبر في التأثير على الإنسان وتكوين قيمه واتجاهاته .

ويمكن إدراك أهمية دور الأسرة في حياة الفرد من خلال قصة موسى عليه السلام وإعادته إلى أمه ليتربى في حجرها ^(١)، وكذا دور السيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها في حياة النبي ﷺ ^(٢).

(١) يراجع: في ظلال القرآن: ٥/٢٦٧٥ - ٢٦٨٣، تبصرة المؤمنين بفقہ النصر والتمكين: ٥٧-٦٢.

(٢) يراجع: السيرة النبوية للصلاحي: ١/١٠٥ - ١٠٩، التربية القيادية: ١/٥٧ - ٨٢



المطلب الثاني

أهداف تكوين الأسرة ومقومات بنائها

تتأثر عملية التربية بالجو الأسري وما يسوده من مودة ومحبة أو بغض وكرهية، ومن تعاون واستقرار أو تنازع واضطراب، وكلما كانت الأسرة قائمة على أساس المحبة والمودة والتفاهم كانت التنشئة الاجتماعية أقرب إلى الصحة والسلامة، وكلما كانت متمسكة بالقيم والمبادئ والسلوكيات الصحيحة كانت أقدر على تربية الأطفال وتنشئتهم التنشئة السليمة.

ومن هذا المنطلق كان اهتمام المنهج القرآني بتكوين الأسرة ورعايتها فحدد الأهداف والغايات من تكوينها، ووضع الأسس والمقومات الكفيلة ببنائها بناءً سليماً يضمن لها الاستقرار والنجاح في أداء دورها وهو ما يمكن الإشارة إليه من خلال الآتي:

أولاً: أهداف تكوين الأسرة في المنهج القرآني:

يسعى المنهج القرآني إلى تحقيق جملة من الأهداف والغايات من وراء تكوين الأسرة لعل من أبرزها:

١- إقامة حدود الله تعالى في الأرض وتحقيق منهجه في واقع الحياة:

بالزواج تتكون الأسرة التي تمثل اللبنة الأولى في بناء المجتمع، وهذه الأسرة مطالبة بتطبيق المنهج الإلهي في شتى مجالات حياتها، الأمر الذي يؤثر في تكوين الطفل فينشأ معتقاً لعقيدة والديه مقتدياً بهما في تطبيق منهج الله U والسعي لتحكيم شريعته. قال تعالى: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ} (١). وقال تعالى: {فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (٢).

٢- تحقيق السكون النفسي والاطمئنان الروحي:

بالزواج تنمو المودة والألفة والمحبة بين الزوجين، الأمر الذي ينعكس إيجاباً على شخصية الطفل ويمنحه الثقة والاطمئنان والحب، ويبعده عن القلق والعقد النفسية التي تضعف شخصيته. قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (٣).

٣- المحافظة على النوع الإنساني:

بالزواج يستمر بقاء النسل الإنساني والمحافظة على النوع البشري، الأمر الذي يدفع إلى الاهتمام بوضع المناهج التربوية لتنشئة الإنسان واتباع القواعد الصحية للمحافظة على سلامته خلقياً وحُلقياً. قال تعالى:

(١) سورة البقرة: الآية: ٢٩٩.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢٣٠.

(٣) سورة الروم: الآية: ٢١.

{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ} (١) وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً} (٢).
٤- إعفاف النفس وإشباع الغريزة بالطرق المشروعة:

الزواج هو الوسيلة المشروعة لإشباع الغريزة الجنسية التي أودعها الله U في الإنسان، وبه يتحقق إعفاف النفس وإحصان الفرج، الأمر الذي يعني ضرورة تشجيعه وتيسير تكاليفه حماية للفرد والمجتمع. قال تعالى: {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (٣). وقال في الحديث الذي يرويه ابن مسعود t: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليزوج فإنه أغض للبص وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) (٤).

٥- المحافظة على الإنساب:

بالزواج تعرف الأنساب وتتحدد ويؤمن عليها من الاختلاط، ويفتخر الأبناء بانتسابهم إلى آبائهم، وفي ذلك تحقيق لذواتهم واستقرار لنفسياتهم واعتبار لكرامتهم الإنسانية. قال تعالى: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ} (٥). وقال تعالى على لسان يعقوب في خطابه لولده يوسف عليهما السلام: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنمِّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (٦).

٦- المحافظة على سلامة الفرد والمجتمع من الانحلال الخلقي والأمراض الفتاكة:

بالزواج تشبع الغرائز الجنسية فلا يكون هناك مجال للفساد أو الانحلال الخلقي والبحث عن الحرام لتصرف الشهوة وإشباع الغريزة، الأمر الذي يحمي المجتمع من الأمراض الفتاكة والأوبئة الناجمة عن العلاقات الجنسية المحرمة. قال في الحديث الذي يرويه أبو هريرة t: (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تتعلاوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض) (٧). وقال في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو يعدد الخصال المؤدية إلى هلاك الأمم: (يا معشر المهاجرين خمس نخمس وأعوذ بالله أن تدركون... ولم

(١) سورة: النحل: الآية: ٧٢.

(٢) سورة النساء: الآية: ١.

(٣) سورة النور: الآية: ٣٢.

(٤) صحيح البخاري - كتاب النكاح - باب قول النبي t من استطاع منكم الباءة: ١٩٥٠/٥ رقم (٤٧٧٨)، صحيح مسلم - كتاب النكاح - باب استحباب النكاح لمن تافت نفسه إليه: ١٠١٨/٢ رقم (١٤٠٠) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٩٩/٢ رقم (٨٨٤).

(٥) سورة الأحزاب: الآية: ٥.

(٦) سورة يوسف: الآية: ٦.

(٧) سنن الترمذي - كتاب النكاح - باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه: ٣٩٤/٣ رقم (١٠٨٤)، سنن ابن ماجه - كتاب النكاح -

باب الأكفاء: ٦٣٢/١ رقم (١٩٦٧) واللفظ له.

تظهر الفاحشة في قوم قطحني يعلنوا لها الإفشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا... (١)

٧- تشجيع الإنجاب وتكثير النسل المؤمن:

بالزواج يحصل الإنجاب ويتكاثر النسل وتتعاقب الأجيال وتوارث القيم السامية، ويتحقق أحد أهم أهداف الزواج، الأمر الذي يدعو إلى ضرورة الاهتمام بتربية الأولاد تربية صالحة؛ لأن المباهاة إنما تكون بكثرة النسل الصالح. قال تعالى: {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ} (٢). وقال تعالى في وصف عباد الرحمن: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} (٣). وقال ٣: (تزوجوا الولود والولد فانبي مكاش بكر الأمر يوم القيامة) (٤).

٨- صون فطرة الطفل عن الزلل والانحراف:

عد الإسلام الأسرة مسؤولة مسؤولية مباشرة عن صون فطرة الطفل والمحافظة عليها من الزلل والانحراف، حيث قرر أن الطفل يولد صافي السريرة سليم الفطرة موحد العقيدة، الأمر يعني أهمية الالتزام الديني والأخلاقي للأسرة، وضرورة تعويد الطفل على الاستقامة. قال ٣ في الحديث الذي يرويه أبو هريرة t: (ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟) (٥) ثم قرأ أبو هريرة t: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} (٦).

٩- تأجيج عاطفة الأبوة والأمومة لدى الزوجين، وإرواء الحاجة إلى المحبة عند الأطفال:

بالزواج تتأجج العواطف وتفيض الأحاسيس والمشاعر، الأمر الذي يدفع إلى الاهتمام برعاية الأبناء والسهر على مصالحهم وتوفير الحياة الكريمة لهم. قال تعالى: {زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآئِ} (٧).

(١) سنن ابن ماجه - كتاب الفتن - باب العقوبات: ١٣٣٢/٢ رقم (٤٠١٩) قال المنذري: " رواه ابن ماجه واللفظ له والبخاري والبيهقي ، ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم" . ينظر: الترغيب والترهيب: ٣٥٧/٢ رقم (٢٧١٥).

(٢) سورة آل عمران: الآية: ٣٨.

(٣) سورة الفرقان: الآية: ٧٤.

(٤) مسند أحمد: ٢٤٥/٣ رقم (١٣٥٩٤)، سنن أبي داود - كتاب النكاح - باب النهي عن تزويج من لم تلد من النساء: ٢٢٠/٢ رقم (٢٠٥٠) واللفظ له. قال الهيثمي: "رواه أحمد والطبراني في الأوسط وإسناده حسن" . مجمع الزوائد: ٢٥٨/٤.

(٥) صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب لا تبدل لخلق الله: ١٧٩٢/٤ رقم (٤٤٩٧)، صحيح مسلم - كتاب القدر - باب كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين: ٢٠٤٧/٤ رقم (٢٦٥٨) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٢٧٦/٣ رقم (١٧٠٢).

(٦) سورة الروم: الآية: ٣٠.

(٧) سورة آل عمران: الآية: ١٤.

ولاشك أن تحديد هذه الأهداف يمثل عنصر تميز للمنهج القرآني على المناهج الوضعية وموقفها من تكوين الأسرة، كما أنه يمثل عامل سعادة واستقرار للفرد والمجتمع^(١).
ثانياً: أسس ومقومات بناء الأسرة المسلمة الناجحة:

وضع المنهج القرآني عدداً من الأسس والمقومات لبناء الأسرة المسلمة حتى تتمكن من أداء رسالتها والقيام بواجباتها على الوجه المطلوب، ولعل أبرز هذه الأسس والمقومات يتمثل فيما يأتي:
١- اعتبار الزواج الشرعي وسيلة وحيدة لتكوين الأسرة:

والزواج الشرعي هو الذي يتم بين رجل وامرأة لا تدخل ضمن من يحرم عليه الزواج بها وهن:
أ. المحرمات بسبب القرابة من النسب أو الرضاع: قال تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}{^(٢). وقال ٣ في الحديث الذي يرويه ابن عباس رضي الله عنهما: (تخر من الرضاع ما تخر من النسب) ^(٣).

ب. المحرمات بسبب شركهن: قال تعالى: {وَلَا تَتَّخِذُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا}{^(٤).
ج. المحرمات بسبب إقامتهن على الزنا: قال تعالى: {الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}{^(٥).

وحتى يكون الزواج شرعياً لا بد من إيجاب وقبول، وولي وشاهدين، وإعلان للزواج وإشهار، وأن يكون بنية التأييد والاستمرار، وأن يسمى فيه المهر وتكون القوامة فيه بيد الرجل، وتفصيل هذه الشروط مبسطة في كتب الفقه فليرجع إليها.^(٦)

إن اعتبار الزواج الشرعي وسيلة وحيدة لتكوين الأسرة يعني تعويد الأمة على العفة والطهارة وإشباع الرغبات بالطرق المشروعة، والحفاظ على الأفراد والمجتمعات من الشذوذ والانحراف وآثارهما المدمرة، كما يعني حفظ الأنساب وضمان الاستقرار النفسي والأسري.

(١) ينظر: تربية الأولاد في الإسلام: ٢٧/١ - ٣٢، أصول التربية للنحلاوي: ١٣٥ - ١٤٠.

(٢) سورة النساء: الآية: ٢٣.

(٣) صحيح البخاري - كتاب الشهادات - باب الشهادة على الأنساب والرضاع المستفيض: ٩٣٥/٢ رقم (٢٥٢٠)، صحيح مسلم - كتاب

الرضاع - باب تحريم ابنة الأخ من الرضاع: ١٠٧١/٢ رقم (١٤٤٧) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١١٥/٢ رقم (٩١٩).

(٤) سورة البقرة: الآية: ٢٢١.

(٥) سورة النور: الآية: ٣.

(٦) يراجع: نيل الأوطار: ٢٦٨/٦ - ٢٧٥، الفقه الواضح: ٢٧/٢ - ٥٣.

وانطلاقاً من كل ماسبق فإنه لا اعتبار لأي علاقة جنسية تنشأ بعيداً عن هذا الكيان الشرعي، كما أنه لا اعتبار لأي من النتائج المترتبة عليها بدليل ما روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (الولد للفراش وللعاهر الحجر).^(١)

٢- حسن الاختيار:

وحسن الاختيار معني به الرجل والمرأة على حد سواء ، حيث ينبغي مراعاة عدد من الأسس والمعايير عند اختيار كل من الزوجين للآخر، ومن أبرز هذه المعايير ما يأتي:

أ. الدين والخلق:

لتحقيق أهم أهداف الزواج المتمثلة في إقامة حدود الله تعالى وتطبيق منهجه في واقع الحياة، وصيانة فطرة الطفل من الانحراف وتربيته تربية إسلامية صحيحة، زيادة على تحقيق الاطمئنان والاستقرار والأمن على العرض والنفس والمال. قال تعالى: {وَأَتَّكِحُوا الْيَأْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} ^(٢). وقال ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة t: (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض). ^(٣) وقال ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة t أيضاً: (تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها فاطفر بذات الدين تربت يداك) ^(٤). ومعنى تربت يداك: أي التصقت بالأرض من شدة الفقر. ^(٥)

ب. الاصطفاء:

لتجنب آثار الوراثة السيئة والضعيفة، وابتعاد عن المشكلات النفسية والعائلية. قال ﷺ: (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة) ^(٦)، وقال عمر t لجماعة من المسلمين: "يا بني السائب لقد ضوى نسلكم فانكحوا في النوايح". ^(٧) أي: ضعف فانكحوا الغريبات.

(١) صحيح البخاري - كتاب الفرائض - باب الولد للفراش حرة كانت أو أمة: ٦/٢٤٨١ رقم (٦٣٦٨)، صحيح مسلم - كتاب الرضاع - باب الولد للفراش وتوقي الشبهات: ٢/١٠٨٠ رقم (١٤٥٧) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٢/١١٧ رقم (٩٢٢).

(٢) سورة النور: الآية: ٣٢.

(٣) سبق تخريجه: ص ٤٣٣.

(٤) صحيح البخاري - كتاب النكاح - باب الاكفاء في الدين: ٩/٣٥ رقم (٤٨٠٢)، صحيح مسلم - كتاب الرضاع - باب استحباب نكاح ذات الدين: ٢/١٠٨٦ رقم (١٤٦٦) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ٢/١١٩ رقم (٩٢٨).

(٥) ينظر: النهاية الآية في غريب الحديث والأثر: ١/١٨٤.

(٦) سبق تخريجه: ص ١٣٨.

(٧) تلخيص الحبير - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق: عبدالله هاشم اليماني - طبعة سنة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م - المدينة المنورة: ٣/١٤٦.

ج. الكفاءة:

وتعني أن يكون هناك توافق بين الرجل والمرأة أو تقارب في مستوى الالتزام الديني والمرحلة العمرية بالإضافة إلى المستوى الثقافي والاجتماعي حتى يتمكنوا من إقامة حياة زوجية مستقرة ، بدليل ما روتته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (خير ما لطفكم وأنكحوا الأتقاء وأنكحوا إليهم)^(١).

د. البكورة:

وهي معيار تفضيلي حتى لا تطغى عواطف وذكريات و مواقف سابقة على الحياة الأسرية، ويتسرب الشك والقلق والاضطراب النفسي إلى أي من الزوجين، حيث يفترض أن يسود الحياة الزوجية الحب والتفاهم والوئام والتعاون ، وتتحصر الاهتمامات والذكريات بين كل من الزوجين فقط بما يسهم في تحقيق الطمأنينة النفسية والاستقرار الأسري، يدل على ذلك سؤاله ﷺ لجابر بن عبد الله t عندما تزوج وفيه: (هل تزوجت بكراً أم ثيباً؟ فقلت: تزوجت ثيباً. فقال: هل أتزوجت بكراً أم ثيباً وتلاعبها وتلاعبك...)^(٢). وقوله ﷺ: (عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً، وأنقى أرحاماً، وأقل خبأً، وأرضى باليسير)^(٣)، والمقصود بعذوبة الأفواه: طيب الكلام، وبتنق الأرحام: كثرة الأولاد، وأقل خبأً: أقل مكرراً وخديعة^(٤).

و- الإنجاب:

لأنه من أهم أهداف الزواج ، ولو غاب في البداية نظراً لتأجج العواطف والتهاب المشاعر وضغط الغرائز إلا أنه سرعان ما يظهر تحت ضغط عاطفة الأمومة والأبوة المستمرة ، وفي ذلك يقول ﷺ في الحديث الذي يرويه معقل بن يسار t : (تزوجوا الولود فإني مكاث بكم الأمر يوم القيامة)^(٥). ويمكن الاستدلال على إمكانية الإنجاب بالنظر في حال الأقارب والأرحام، وإجراء الفحوصات الطبية التي تؤكد سلامة الجسم من الأمراض التي تمنع الإنجاب. هذه أبرز الأسس والمعايير التي يجب مراعاتها عند اختيار كل من الزوجين للآخر، وهي تتفاوت أهمية وتفضيلاً لدى معيار الدين والخلق الذي لا يجوز التفريط فيه^(٦).

(١) سبق تخريجه : ص ٣٣١ .

(٢) صحيح البخاري- كتاب الجهاد والسير- باب استئذان الرجل الإمام: ١٠٨٣/٣ رقم (٢٨٠٥)، صحيح مسلم - كتاب المساقاة - باب بيع البعير واستئثاره ركوبه: ١٢٢١/٣ رقم (٧١٥) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١٧٧/٢ رقم (١٠٣٠) .

(٣) سنن ابن ماجه- كتاب النكاح - باب تزويج الأبكار: ٥٩٨/١ رقم (١٨٦١)، المعجم الكبير للطبراني: ١٤٠/١٧ رقم (٣٥٠).

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٢/٥ .

(٥) سبق تخريجه : ص ٤٣٤ .

(٦) ينظر: تربية الأولاد في الإسلام: ٣٣/١ - ٤٣، فلسفة التربية انتماء وارتقاء- د. أحمد رجب الأسمر- ط: ١- دار الفرقان- عمان- الأردن:

٣- الرضا والافتناع:

دعا الإسلام إلى تطبيق مبدأ الاختيار الحر والرضا الكامل ، بحيث لا تتزوج امرأة دون إبداء رأيها ومنحها الحرية الكاملة في قبول أو رفض من يتقدم لخطبتها وكذلك الأمر بالنسبة للرجل ، إذ لا يسمح الإسلام بإكراه أحد على الحياة مع إنسان ينفر منه أو لا يميل إليه، وفي ذلك يقول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو هريرة **t** : (لا تنكح الأيم^(١) حتى تسأمن ، ولا تنكح البكر حتى تسأذن ، قالوا: يا رسول الله وكيف إذنها ؟ قال: أن تسكت)^(٢).

وقد أبطل النبي ﷺ نكاح الخنساء بنت خدام^(٣) الأنصارية رضي الله عنها؛ لأن أباه زوجها وهي كارهه^(٤)، كما روى بريدة الأسلمي **t** أن فتاة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: (يا رسول الله إن أبي قد زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خيسننه . فجعل رسول الله ﷺ الأيسر إليها إن شاءت قبلت وإن شاءت رفضت . فقالت: قد أجزت ما صنع أبي ولكنني أردت أن تعلم النساء إن ليس للأباء من الأيسر شيء)^(٥).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: " إن البكر البالغة العاقلة الرشيدة لا يتصرف أبوها في أقل شيء من ملكها إلا برضاها ، ولا يجبرها على إخراج اليسير منه، فكيف يجوز له أن يتصرف فيها هي بدون رضاها، ومعلوم أن إخراج مالها بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لا تريد"^(٦).

وحتى يكون هذا لرضا جدياً ومستنداً إلى حقيقة فإنه لا بد من رؤية كل من الرجل والمرأة للآخر، لقوله ﷺ للمغيرة بن شعبة **t** حين خطب امرأة: (أنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما)^(٧)، وقوله ﷺ للرجل الذي جاء يخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار: (أنظرت إليها ؟ قال: لا . قال: فاذهب فانظر إليها فإن في عين الأنصار شيئاً)^(٨).

(١) الأيم: الرجل الذي لازوجة له والمرأة التي لازوج لها. ينظر: النهالآية في غريب الحديث والأثر: ،لسان العرب -سادة أيم: ٩٧/١١.

(٢) صحيح البخاري- كتاب النكاح- باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها: ٢٥٠/٣ رقم (٤٨٤٣) ، صحيح مسلم - كتاب النكاح - باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت: ١٠٣٦/٢ رقم (١٤١٩) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١٠٣/٢ رقم (٨٩٥).

(٣) الخنساء بنت خدام بن ودبعة الأنصارية، صحابية من الأوس أنكحها أبوها وهي كارهة فرد النبي ﷺ نكاحها. ينظر: الإستيعاب: ١٨٢٦/٤، الإصابة: ٦١١/٧.

(٤) ينظر: صحيح البخاري- كتاب النكاح- باب إذا زوج ابنته وهي كارهه فنكاحها مردود: ٢٥٠/٣ رقم (٤٨٤٥).

(٥) سنن ابن ماجه - كتاب النكاح - باب من زوج ابنته وهي كارهة: ٦٠٢/١ رقم (١٨٥٦) قال الكناني: " هذا إسناد صحيح رجاله ثقات "مصباح الزجاجة- أحمد بن أبي بكر الكتاني - تحقيق: محمد منتقى الكشاورب - ط: ٢ - دار العربية - بيروت:

(٥) زاد المعاد: ٩٧/٥.

(٦) سنن الترمذي - باب ماجاء في النظر إلى المخطوبة: ٣/٣٩٧ رقم (١٠٨٧) وقال : " حديث حسن " ، سنن ابن ماجه- كتاب النكاح - باب النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها: ٥٩٩/١ رقم (١٨٦٥) .

(٧) صحيح مسلم- كتاب النكاح- باب ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزويجها: ١٠٤٠/٢ رقم (١٤٢٤).

٤- قيام العقد على نية الدوام والاستمرار:

إن تأكيد قيام الزواج على الرضا والقبول والاختيار الحر إنما يهدف إلى توفير مقومات البقاء والاستمرار لهذا الزواج؛ حتى تتحقق ثمرته النفسية المتمثلة في توفير المودة والرحمة والسكن النفسي ، وغايته من استمرار التماسك والمحافظة على بقاء النوع الإنساني ، وحتى يتاح للزوجين الوقت الكافي لبناء الأسرة على أسس سليمة والقيام بمهام التربية والرعاية السليمة للأولاد^(١)، ومن هنا كان التأكيد على بطلان كل عقد ينص على تحديد مدة العلاقة الزوجية سواء طال مدة التوقيت أم قصرت. قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} ^(٢). وقال تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِغَيْبِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ} ^(٣).

ولا تتناقض بين قيام عقد الزوجية على نية الدوام والاستمرار وبين إباحة الطلاق؛ لأن الأصل في الطلاق أن لا يتم إلا عند استفحال الخلاف واستحالة استمرار الحياة الزوجية، واستنفاد جميع وسائل الإصلاح الأخرى تجنباً للانعكاسات الخطيرة والآثار المدمرة التي قد تلحق بالزوجين والأطفال جراء استمرار هذه العلاقة المضطربة. قال تعالى: {فَأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ} ^(٤).

٥- الترابط الوثيق بين أفراد الأسرة:

إن من أهم ما يميز الأسرة المسلمة هو اتحادها وتماسكها والترابط الوثيق بين أفرادها فالعلاقة بين الزوجين وبينهما وبين الأولاد علاقة حميمة تقوم على أساس المحبة والمودة والتفاهم والتعاون، فهي علاقة الامتزاج الكامل والاتحاد الدائم والمصير المشترك، ولعل أروع تمثيل يجسد العلاقة الزوجية هو قوله تعالى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} ^(٥).

٦- حسن العشرة الزوجية:

تعد حسن العشرة الزوجية من أهم مقومات بناء الأسرة الناجحة وهو واجب كلا الزوجين تجاه بعضهما ، وهو ما دل عليه قوله تعالى {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} ^(٦).

ولا يمكن أن تتحقق حسن العشرة الزوجية ما لم تتحدد الحقوق والواجبات بين طرفي الأسرة على أساس عادلٍ يضمن انسجام الزوجين واستقرار الأسرة ، وهو ما تميز به المنهج القرآني عندما حدد حقوق كل من الزوجين، حيث أوجب على المرأة طاعة زوجها في المعروف والمحافظة على بيته وماله وعرضه ومشاعره،

(١) ينظر: من أسس التربية الإسلامية للشيباني: ٥٠٥، ٥٠٦، النبي المرابي: ١٨٣.

(٢) سورة الروم: الآية: ٢١

(٣) سورة النحل: الآية: ٧٢

(٤) سورة الطلاق: الآية: ٢٢٩.

(٥) سورة البقرة: الآية: ١٨٧.

(٦) سورة النساء: الآية: ١٩.

وأوجب على الرجل توفير النفقة والسكن والرعاية لزوجته، والعدل في معاملتها، كما أوجب عليهما معاً إحسان العشرة، وحفظ الأسرار، وإعفاف كل منهما للآخر.

٧- تكليف الزوج بالقوامة على الأسرة:

لما كانت الأسرة تمثل تجمعا بشرياً صغيراً فإنها تحتاج إلى من يقودها ويتحمل مسؤوليتها ويوفر لها سبل الرعاية والعناية وتكون بيده قوامة الأسرة، وهذا القائد المناط به قيادة سفينة الأسرة هو الزوج بما منحه الله تعالى من القدرات والإمكانات المادية والمعنوية، وليس في ذلك أي انتقاص من شخصية المرأة أو امتحان لكرامتها بل على العكس من ذلك. قال تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} (١).

٨- المسؤولية المشتركة:

المسؤولية الأسرية في الإسلام مشتركة بين الزوجين لا ينفرد بها أحدهما عن الآخر فهما مسؤولان معاً عن جميع شؤون الأسرة والقيام بواجباتهما تجاه بعضهما وتجاه الأولاد والمجتمع (٢). وهو ما دل عليه قوله ٣: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته....) (٣).

(١) سورة النساء: الآية: ٣٤.

(٢) يراجع: المسؤولية في الإسلام - د. عبد الله أحمد قادري الأهدل - ط: ٣ - دار العمير للثقافة والنشر - جدة - السعودية: ٨٥ - ٢١٨، التربية في الإسلام للنحوي: ٣١٣ - ٣١٨.

(٣) سبق تخريجه: ص ٣٤.



المطلب الثالث

وظيفة الأسرة ودورها التربوي

تتعدد وظائف الأسرة وتتنوع بتنوع مجالات الحياة لتشمل المحافظة على حسن العشرة الزوجية والصلات الطيبة مع الأقارب والأرحام، والإنجاب وتكثير النسل وما يتبع ذلك من مهام ومسؤوليات، وكذا المشاركة الإيجابية في النشاط الاجتماعي وخدمة المجتمع في مجالات الحياة المختلفة^(١)، إلا أن أهم وظائف الأسرة إجمالاً تظل محصورة في وظيفتين اثنتين هما: توفير الرعاية الكاملة للأبناء وتربيتهم تربية صحيحة ومنتكاملة مع التركيز على إعدادهم وتأهيلهم لمواجهة متطلبات الحياة وهو ما يمكن الإشارة إليه فيما يأتي:

أولاً: رعاية الأبناء والقيام بشؤونهم:

حث المنهج القرآني على رعاية الأبناء والاهتمام بشؤونهم، ووضع لتحقيق ذلك عدداً من التشريعات الكفيلة بتوفير الرعاية الأسرية للأبناء والتي تمتد لتشمل مرحلة ما قبل ولادة الإنسان وما بعدها ولاسيما في مرحلة الطفولة التي تزداد حاجة الأبناء فيها إلى الرعاية، إلا أن ممارسة هذه الوظيفة تضعف كلما زاد نمو الإنسان وتقدمت به السن، ويمكن تحقيق هذه الرعاية من خلال:

١- حسن اختيار كل من الزوجين للآخر:

وذلك بان يقوم الاختيار على أساس الدين والخلق مع مراعاة بقية الأسس والمعايير كالاصطفاء والاعتدال والإنجاب والكفاءة. قال تعالى: {وَأَنْكَحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (٢).

٢- التزام آداب الجماع والمباشرة:

وهو ما دل عليه حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (لو أن أحدكم إذا أتى

أهله قال: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما مرزقتنا. ففضي بينهما ولد لم ينسأ) (٣).

٣- رعاية الأم والحفاظ على صحتها:

ولذلك شرع لها الفطر في رمضان وعدت من أهل الأعدار الذين يدخلون تحت قوله تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ

يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ} (٤).

(١) يراجع: من أسس التربية الإسلامية للشيباني: ٥٠٩، علم الاجتماع التربوي: ١٣٧، ١٣٨، التربية الاجتماعية: ١١١-١١٤.

(٢) سورة النور: الآية: ٣٢.

(٣) صحيح البخاري- كتاب الوضوء- باب التسمية على كل حال عند الوقاع: ٦٥/١ رقم (١٤١)، صحيح مسلم - كتاب النكاح- باب ما

يستحب أن يقوله عند الجماع: ١٠٥٨/٢ رقم (١٤٣٤) والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١١١/٢ رقم (٩١٠).

(٤) سورة البقرة: الآية: ١٨٤.

٤- تحريم الاجهاض وقتل الأولاد:

قال تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا} (١). وقال تعالى: {وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} (٢).

٥- الاستنبشار بالمولود وتوفير أجواء النهضة والسرور:

وذلك لتمتين الروابط الأسرية ونشر الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع. قال تعالى: {يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا} (٣).

٦- الأذان في أذن الطفل اليمنى والإقامة في اليسرى عند ولادته مباشرة؛ ليكون أول ما يقرع سمعه كلمات التوحيد والشهادة فيتأثر بها وينشأ عليها.

٧ - تحنيك (٤) المولود والدعاء له.

٨- حسن تسمية المولود.

٩- حلق شعر رأس الطفل؛ لتقوية وفتح مسام الرأس و تقوية حواس السمع والبصر.

١٠- ختان المولود؛ للنظافة، والتزيين، وتحسين الخلق، والحفاظ على الصحة، وتعديل الشهوة.

١١- إرضاع المولود عبر الأم أو المرضعة عند عدم استطاعة الأم ولمدة كافية.

١٢- توفير النفقة الحلال، والكسوة المناسبة، والتغذية الملائمة.

١٣- الحفاظ على صحة الطفل النفسية والجسمية.

وهناك جوانب أخرى تدخل ضمن الرعاية التي ينبغي أن تقوم بها الأسرة تجاه أبنائها إلا أننا ذكرنا يمثل

أبرز جوانب الرعاية الأسرية للأبناء (٥).

ثانياً: تربية الأبناء تربية إسلامية متكاملة:

ستظل الوظيفة التربوية على الدوام هي الوظيفة الأساسية للأسرة مهما تغيرت المفاهيم والأفكار وتطورت المؤسسات التربوية الأخرى وتعزز دورها، ولا يمكن لأي مؤسسة تربوية أخرى أن تحل محل الأسرة أو أن تلغي دورها، وكل ما يمكنها القيام به هو تدعيم الدور التربوي للأسرة ومواصلة عملية التربية والإعداد وفق الأسس والمبادئ التي وضعتها الأسرة وغرستها في أطفالها، ويمكن إجمال الدور التربوي للأسرة في تنمية الجوانب الآتية:

(١) سورة الإسراء: الآية: ٣١.

(٢) سورة التكاوير: الآيتان: ٨، ٩.

(٣) سورة مريم: الآية: ٧.

(٤) التحنيك هو مضغ التمرة وذلك حنك المولود بها لتقوية عضلات الفم حتى يتهيأ المولود للقم الثدي. ينظر: لسان العرب - مادة حنك: ٤١٦/١٠.

(٥) يراجع: تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم الجوزية، تربية الأولاد في الإسلام: ١/ ٣٦ - ١١٠، الطفولة ومسؤولية بناء المستقبل: ٣٥ -

١ - الجانب الروحي والإيماني:

- وتتلخص أبرز معالم الدور التربوي للأسرة في هذا الجانب فيما يأتي:
- أ. غرس العقيدة الصحيحة وتأكيد معاني الإيمان في نفس الطفل من خلال: تلقينه كلمة التوحيد عند ولادته، وتقريب المعاني الغيبية إلى ذهنه، وتنمية روح المراقبة والخشية، والشعور بالحاجة إلى الله تعالى وضرورة الاستعانة به، وكذلك البعد عن الخرافات والشعوذة، وتعميق روح الانتماء إلى الإسلام والاعتزاز به.
 - ب. تنشئة الطفل على العبادات وأداء الشعائر الدينية من خلال: الأمر بالصلاة، والحث على النوافل والذكر، والتشجيع على الصيام، وكذا القيام برحلات الحج والعمرة، والارتباط بالمساجد.
 - ج. تربية الأبناء على محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ.
 - د. تعليم القراءة والكتابة والتشجيع على حفظ القرآن الكريم ومعرفة العلوم الشرعية.
 - هـ. توفير البيئة الإسلامية في المنزل سماً وجواً وتوجيهاً.

٢ - الجانب الأخلاقي والاجتماعي:

- وتتلخص أبرز معالم الدور التربوي للأسرة في هذا الجانب فيما يأتي:
- أ. غرس القيم الأخلاقية الفاضلة مثل: الصدق، والأمانة، والوفاء، والصبر.
 - ب. التحذير من الظواهر السيئة ومعالجتها إن وجدت مثل: الكذب، والسرقه، والسباب والشتم، والميوعة، والاحتلال وغيرها من الظواهر السلبية.
 - ج. تعويد الأطفال على التزام الآداب الإسلامية في المأكل والمشرب، والاستئذان، والسلام، والحديث، والطريق، والتهنئة، والتعزية وغيرها من الآداب الإسلامية.
 - د. غرس القيم الاجتماعية والأصول النفسية النبيلة مثل: التقوى، والأخوة، والإيثار، والعفو، والرحمة وغيرها من القيم.
 - هـ. تعريف الأطفال بحقوق الآخرين ومتابعة التزامهم بها ولاسيما تجاه الوالدين والأقارب والجيران والمعلمين والكبار وذوي الاحتياجات الخاصة من المعاقين وأصحاب العاهات وغيرهم.
 - و. تكوين الأسلوب الصحيح في التعامل مع الآخرين من خلال: اصطحابهم إلى مجالس الكبار وإرسالهم لقضاء الحاجات.
 - ز. تعويد الأطفال على مساعدة الآخرين والإحسان إليهم والمشاركة في الأنشطة الاجتماعية المختلفة.
 - ح. التعاون مع الأولاد في اختيار الرفقة الصالحة.
 - ط. تنمية الذوق العام لدى الأولاد.



٣- الجانب العقلي والفكري:

وتتلخص أبرز معالم الدور التربوي للأسرة في هذا الجانب فيما يأتي:

- أ. تنمية القدرات العقلية للطفل مثل: الذكاء، والابداع، والحفظ، من خلال التشجيع على حفظ القرآن الكريم، وتوفير الألعاب المفيدة، والتعويد على حل المشكلات.
- ب. تشجيع الطفل على التصرف الحكيم في المواقف المختلفة واتخاذ القرارات المناسبة.
- ج. تعويد الطفل على تنظيم نفسه وترتيب شؤونه.
- د. توعية الطفل بحقائق الإسلام وأحكامه وتشريعاته، ومخططات الأعداء ومكائدهم.
- ح. الاهتمام بالجانب العلمي للطفل من خلال: حسن اختيار المدرس والمدرسة والمتابعة المستمرة، وتشجيعه على الالتحاق بالتخصص العلمي المناسب لميوله واتجاهاته.
- ط. تكوين مكتبة منزلية وتعويد الطفل على المطالعة الهادفة.
- ي. اختيار القنوات الفضائية والصحف والمجلات الملائمة لقيم الطفل وسنه وثقافته.

٤- الجانب السياسي:

وتتلخص أبرز معالم الدور التربوي للأسرة في هذا الجانب فيما يأتي:

- أ. تنمية قيم الولاء للعقيدة والانتماء للأمة والمجتمع.
- ب. تعريف الطفل بحقوقه وواجباته، وتعويده على أداء الواجبات والمطالبه بالحقوق.
- ج. تعويد الطفل على احترام الرأي والرأي الآخر من خلال تشجيعه على الحوار والنقاش وإبداء الآراء داخل الأسرة وخارجها واحترام آراءه مهما كان خطأها.
- د. تنمية قيم الحرية والشورى والعدالة والمساواة في شخصية الطفل من خلال تجسيدها واقعاً عملياً داخل الأسرة وفي تعاملاتها المختلفة.
- هـ. تعويد الطفل على الصراحة والجرأة في نقد كل ما يخالف عقيدة الأمة وقيم المجتمع ومبادئه.
- و. تكوين الوعي السياسي لدى الطفل من خلال توعيته بالأحداث والمواقف والاتجاهات المختلفة، والتفاعل الأسري مع العملية السياسية في المجتمع.
- ز. مساعدة الطفل على توضيح وترجمة قيمه واتجاهاته ومشاعره وآرائه بحرية تامة، وتوجيهها في الإطار الصحيح إسلامياً وقيماً.
- ح. ربط الأبناء بالاتجاهات السياسية الإسلامية المعتدلة.
- ط. إكتشاف القدرات والإمكانات السياسية لدى الطفل وتنميتها.
- ي. إكتشاف النزعة القيادية لدى الطفل وتنميتها.



٥- الجانب النفسي والوجداني:

وتتلخص أبرز معالم الدور التربوي في هذا الجانب فيما يأتي:

- أ. العمل على إشباع الحاجات النفسية والوجدانية لدى الطفل مثل: الأمن، والتقدير، والنجاح، والتقبل؛ لتحقيق التكيف النفسي للطفل مع ذاته ومجتمعه.
- ب. تنمية قيم الصراحة، والجرأة، والشجاعة، والانضباط، والثقة بالنفس، وتحمل المسؤولية.
- ج. إظهار مشاعر الحب، والحنان، والعطف، والرحمة، وإشعار الطفل بها من خلال التقبيل، ومسح الرأي، والسؤال، وتقديم الرعاية الصحية، وشراء اللعب والهدايا.
- د. معاملة الطفل بالرفق واللين، مع الابتعاد عن التدليل الزائد.
- هـ. ملاحظة الظواهر النفسية والوجدانية السيئة ومعالجتها إن وجدت مثل: الخجل، والانطواء، والخوف، والغضب، والحسد، والشعور بالنقص.
- ز. تقديم الرعاية الخاصة للبنات واليتيم وذوي الاحتياجات الخاصة من الأبناء.

٦- الجانب الجسمي والجنسي:

وتتلخص أبرز معالم الدور التربوي في هذا الجانب فيما يأتي:

- أ. إشباع الحاجات الأساسية للطفل من نوم وغذاء وإخراج وتنظيم أوقاتها.
- ب. تعويد الطفل على اتباع القواعد الصحية في الأكل والشرب والنوم والمشي.
- ج. المحافظة على صحة الطفل الجسمية من خلال: الاغتراب في الزواج، والنظافة العامة، والراحة الجسمية، والرياضة البدنية، واجتناب الحرام، والوقاية من الأمراض، واستخدام العلاج.
- د. إبعاد الطفل عن الظواهر السيئة وبيان خطرها عليه مثل: التدخين، والعادة السرية، والمسكرات والمخدرات، والزنا، واللواط.
- هـ. تعويد الطفل الأمور المتعلقة بالقضايا الجنسية حتى ينشأ مميّزاً بين الحلال والحرام، مدركاً لكيفية إشباع غريزته بالطرق المشروعة.
- و. تشجيع الطفل على الحركة واللعب والنشاط وممارسة الرياضة.

٧- الجانب الاقتصادي والمالي:

وتتلخص أبرز معالم الدور التربوي في هذا الجانب فيما يأتي:

- أ. تعويد الطفل على التوازن في الانفاق والابتعاد عن الإسراف والتبذير.
- ب. تشجيع الطفل على الادخار، وتوضيح الفرق بينه وبين البخل.
- ج. تعويد الطفل على شراء حاجيات المنزل وقضايا احتياجاته الخاصة.
- د. تعليم الطفل مهنة أو حرفة يدوية تغنيه عن السؤال والاحتياج للآخرين.
- هـ. اشراك الطفل في وضع ميزانية الأسرة والاسهام في مصروفاتها.



هذه باختصار وتركيز أبرز معالم الدور التربوي الذي يجب أن تضطلع به الأسرة حتى تتمكن من أداء وظيفتها في تربية وإعداد الأطفال إعداداً سليماً يضمن لهم الاستقرار النفسي والوجداني، والنمو الجسمي والعقلي، حتى يتمكنوا من التعامل مع متطلبات الحياة، والقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض، مع ضرورة التركيز على ذوي المواهب والقدرات الخاصة، وذوي الاستعداد القيادي بصفة خاصة^(١).

وحتى تتمكن الأسرة من أداء وظائفها المختلفة عموماً، والقيام بدورها التربوي بشكل خاص لا بد أن تتوفر في شخصية الوالدين المقومات الآتية:

- ١- تمثل القيم الإسلامية تمثلاً صحيحاً.
- ٢- اختيار كل من الزوجين للآخر على أساس الدين والخلق.
- ٣- تجسيد القدوة الحسنة في جوانب الثقافة المختلفة.
- ٤- أن يكون على قدر من العلم والمعرفة والثقافة والوعي.
- ٥- الاتصاف بالرحمة والرفق واللين، والتزام الحكمة والصبر والدعاء للأبناء.
- ٦- الابتعاد عن كثرة اللوم والعتاب وإظهار العيوب والتركيز على العنف والشدة في التربية.
- ٧- تحين الأوقات المناسبة لتوجيه الأبناء وإرشادهم.
- ٨- الانفتاح الواعي والتزام الوسطية والاعتدال، والبعد عن التشدد والانغلاق الحرمان.
- ٩- إيجاد نوع من التواصل الإيجابي مع المؤسسات التربوية الأخرى ولاسيما المسجد والمدرسة.
- ١٠- العمل على إشباع حاجات الأبناء النفسية والجسمية والعقلية.
- ١١- مراعاة الفروق بين الأطفال.
- ١٢- احترام ذاتية الطفل، والإجابة على أسئلته واستفساراته المختلفة بما يتناسب مع فهمه وسنه.
- ١٣- توفير الجو الأسري المستقر الذي يدفع الأبناء للبر والطاعة والتنافس الإيجابي^(٢).

(١) يراجع في الدور التربوي للأسرة: تربية الأولاد في الإسلام، من أسس التربية الإسلامية: ٥٠٩ - ٥٢٧، الدور التربوي للوالدين.

(٢) ينظر: موسوعة نظرة النعيم: ١/ ١٦٦ - ١٦٨، الدور التربوي للوالدين: ٢/ ٣١٣ - ٣٣٧.

المبحث الثاني مؤسسات التعليم المختلفة

المطلب الأول مفهوم المؤسسات التعليمية وأهميتها

يقصد بمؤسسات التعليم كافة المؤسسات التعليمية التي أنشأها المجتمع لتربية أبنائه، والقيام بنقل تراثه الثقافي إليهم، ابتداءً من الروضة والمدرسة، وانتهاءً بالمعاهد والكليات الجامعية والتخصصية. والمؤسسات التعليمية بيئة اجتماعية ووسط ثقافي قائم على فلسفة وأهداف المجتمع، وتعمل في إطار نظم المجتمع وقوانينه، وتتفاعل مع مكوناته المختلفة تأثراً وتأثيراً، بغرض تحقيق الأهداف التربوية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أنشأت من أجلها^(١).

إن ما يميز المؤسسات التعليمية عن غيرها من المؤسسات التربوية الأخرى هو طريقة تفاعلها مع مكونات المجتمع وثقافته ونظمه والتي تتم بطريقة منتقاه؛ لتعكس أفضل ما في ثقافة المجتمع، وتعيد إنتاجها في ضوء متطلبات واحتياجات المجتمع الحالية والمستقبلية، وبما يكسب طلابها قيم المجتمع وثقافته، وينمي مهاراتهم واتجاهاتهم، ويجعلهم قادرين على مواجهة متطلبات الحياة والتفاعل مع مكوناتها المختلفة. وتمتاز المؤسسات التعليمية كذلك بأنها بيئة تربوية مبسطة للمنهج التعليمي والثقافي الأمر الذي يتيح للطلاب فرصة الحصول على أكبر قدر من العلوم والمعارف، وأنها تضم جميع أبناء المجتمع الواحد الأمر الذي يسهل العملية التعليمية ويسهم في توسيع أفق المتعلم، ويتيح له الاستفادة من خبراته الشخصية وخبرات الآخرين، كما أنها بيئة تربوية موحدة لميول واتجاهات التلاميذ في بوتقة ثقافية واحدة الأمر الذي ييسر عملية التفاهم والتعاون بينهم عند ممارستهم للحياة العملية فيما بعد^(٢).

وتتبع أهمية المؤسسات التعليمية من أهمية رسالتها في نقل الثقافة ونشر الوعي بين أفراد المجتمع، وخطورة دورها في بناء وإعداد الأجيال، وحساسية موقعها كمسؤولة عن عملية التربية والتعليم واستكمال ما بدأت الأسرة من تربية بما يعني تعزيز الإيجابي من السلوك وتنميته وتقويم المعوج وتهذيبه، ومعالجة ما قد يكتسبه الفرد من مجتمعه من أخطاء.

ومن هذا المنطلق كان اهتمام النبي ﷺ بقضية التربية والتعليم حيث أنشأ أول مدرسة لتعليم المسلمين في بيته بمكة مع بداية الدعوة، ثم انتقل منها إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم t حين زاد عدد المسلمين واشتد إيذاء المشركين، لتكون هذه الدار أول مؤسسة تربوية إسلامية تعمل على نشر الدعوة، وإعداد القادة، وبناء

(١) ينظر: أصول التربية للحاج: ٢٠٠.

(٢) ينظر: موسوعة نظرة النعيم: ١/ ١٧٥.

الدولة، ففيه بدأت فكرة تأسيس الدولة الإسلامية العالمية على وحدة المصدر وهو القرآن، ووحدة الموضوع وهو الإنسان^(١).

لقد كان تلاميذ مدرسة الأرقم من مختلف الأمم والقوميات والأجناس، صهرتهم العقيدة والدعوة ووحدهم الهدف والغاية، وكان لهم منهجهم الفريد وهو القرآن الكريم الذي مثل بالنسبة لهم المنهج التربوي الوحيد الذي يتأدبون بأدابه ويتربون على معانيه، كما كان بين ظهرانيهم المربي الفذ وهو الرسول ﷺ أعظم مرب وأفضل معلم عرفته البشرية والذي مثل بالنسبة لهم المربي والقوة والمثل الأعلى، وكان لتفاعلهم الإيجابي مع المنهج والمربي أعظم الأثر في تكوين شخصياتهم، وصقل مواهبهم، وتنمية قدراتهم، الأمر الذي أهلهم لإحداث عملية التغيير في مجتمعاتهم، وقيادة البشرية العذبة إلى بر الأمان، واستحقاق مدح الله ﷻ لهم في القرآن الكريم^(٢). قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} ^(٣).

ونظراً لأهمية المؤسسات التربوية والتعليمية في حياة الأمم كان أول عمل قام به النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة هو بناء المسجد ليكون دار العبادة ومحضن التربية ومقر الحكم والسياسية وإدارة الدولة، ومارس ﷺ بنفسه مهمة التربية والتعليم فيه.

وانطلاقاً من أهمية المؤسسات التعليمية في تربية الأجيال وإعداد القيادات لجأت كل دول العالم في العصر الحديث إلى جعل التعليم إلزامياً ولاسيما في مراحله الأولى، وليس هذا من منطلق خدمة الأمة فقط ولكنه رغبة من الدولة أيضاً في السيطرة على مناهج التعليم وتحديد نوع المعرفة التي تنتقل للتلاميذ؛ ليضمن النظام السياسي دعم المؤسسات التعليمية لفلسفته العامة وتوجهاته السياسية، وقيامها بإعداد الأفراد وتأهيلهم وفق هذه الفلسفة والتوجهات^(٤).

وبشكل عام فإن مختلف المؤسسات التعليمية تسهم في تربية وإعداد القيادات عن طريق رسمي وآخر غير رسمي، فالرسمي يتعلق بالخطط التعليمية، والبرامج المقررة، والمناهج الدراسية، والتوجيهات الصادرة عن مؤسسات التعليم المختلفة لمنتسبيها، أما الطريق غير الرسمي فيشمل كل نشاط خارج إطار المقررات الدراسية كالندوات والمحاضرات الثقافية، والحلقات النقاشية، والرحلات الترفيهية، والجمعيات والاتحادات، وغيرها من الأنشطة الطلابية التي تسعى الأنظمة السياسية للسيطرة أو التنضيق عليها^(٥).

(١) ينظر: المنهج الحركي للسيرة النبوية: ١/ ٤٨، ٤٩، دولة الرسول من التكوين إلى التمكين: ١٢، ٢١٩، ٢٢٠.

(٢) ينظر: منهج التربية الإسلامية: ١/ ٣٥، ٣٤، دولة الرسول من التكوين إلى التمكين: ١٣، ٢٢٠ - ٢٢٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية: ١١٠.

(٤) ينظر: علم الاجتماع السياسي: ٢١٥.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢١٦.

ويمكن إجمال أهمية المؤسسات التعليمية في تربية وإعداد القيادات فيما يأتي:

- ١- إنها تمثل مركزاً لتكوين العلاقات الاجتماعية، والتدريب على كيفية التعامل مع الآخرين.
- ٢- تنظيم مراحل التعليم بصورة هرمية لغربة الدارسين وانتقاء الصفوة إلى تصل إلى قمة الهرم التعليمي وإعدادهم لقيادة المجتمع.
- ٣- وجود الأنشطة المصاحبة للمنهج التعليمي الأمر الذي يسهم في تنمية المواهب والقدرات وتكوين الاتجاهات السياسية.
- ٤- تنمية الوعي السياسي والتدريب على المشاركة السياسية من خلال انتخابات رؤساء الفصول والجمعيات والاتحادات وغيرها من التكوينات الطلابية.
- ٥- تنمية قيم الولاء للعقيدة والانتماء للوطن، وغرس ثقافة المجتمع في نفوس التلاميذ.
- ٦- تربية الطلاب على الطاعة والانضباط واحترام النظام والقانون^(١).

(١) يراجع: أصول التربية للحاج: ٢٠١- ٢١٠.



المطلب الثاني

محتوى المنهج التربوي الإسلامي وأسس نظامه

أولاً: محتوى المنهج التربوي الإسلامي:

لما كان الهدف العام لمنهج التربية الإسلامية هو بناء الإنسان الصالح القادر على عمارة الأرض والقيام بواجبات الاستخلاف فيها، كان لابد أن يؤدي محتوى المنهج التربوي إلى تحقيق هذا الهدف، وذلك بأن يشتمل على مجموع الحقائق والمعايير والقيم والمبادئ الإلهية الثابتة، والمعارف والخبرات والمهارات الإنسانية المتغيرة، التي يحتاج إليها التلميذ في حياته العملية وبما يتواءم مع متطلبات العصر^(١).

وعلى هذا فلا بد أن يكون منهج التربية والتعليم مستمداً من المصادر الإسلامية الثابتة بأصليها القرآن والسنة بمعناها الشامل، فضلاً عن المصادر الفرعية الأخرى المتمثلة في نتائج الأبحاث العلمية والنفسية والتربوية، والتجارب والخبرات البشرية، وكذا القيم والتقاليد الاجتماعية الصالحة، والمبادئ التي تقوم عليها الفلسفات المعاصرة ومواثيق المنظمات الدولية وبما لا يتعارض مع أسس وثوابت المنهج الإسلامي، مع مراعاة اختيار المحتوى المناسب لكل مرحلة تعليمية وعدم الاقتصار على الجوانب النظرية فقط^(٢).

إن اعتماد القرآن الكريم والسنة النبوية مصدرين أساسيين للمنهج التربوي لا يعني الاقتصار على تدريس العلوم الشرعية فقط لأمرين اثنين:

الأول: أن كل علم يسهم في بناء الإنسان الصالح القادر على أداء دوره في الحياة بإيجابية وفاعلية، والارتقاء بها وفق منهج الله هو علم مأمور به شرعاً، يستوي في ذلك العلوم الشرعية والعلوم الطبيعية والتقنية الحديثة^(٣).

الثاني: أن القرآن الكريم كتاب شامل كامل يحتوي في ذاته أصول العلوم والمعارف بمختلف مسمياتها وأنواعها انطلاقاً من قول الله ﷻ: { مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ }^(٤).

وعلى هذا فإن أبرز ما يجب مراعاته في المنهج التربوي الإسلامي ما يأتي:

- ١- أن يستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية والأصول الإسلامية الثابتة، ونتاج الفكر البشري الذي لا يتعارض مع هذه الأصول.
- ٢- أن يستبعد من المنهج ولا سيما في المراحل الأولى كل ما يخشى منه على العقيدة أو الخلق والسلوك.
- ٣- التركيز على الجوانب العملية وعدم الاقتصار على الجوانب النظرية.
- ٤- الترابط والتكامل بين محتويات المنهج وخبراته.
- ٥- الاهتمام بتنمية منهج التفكير والبحث العلمي.

(١) ينظر: منهج التربية في التصور الإسلامي: ٢٨٩.

(٢) ينظر: من أسس التربية الإسلامية للشيباني: ٢٨- ٣٢، منهج التربية في التصور الإسلامي: ٢٨٩.

(٣) ينظر: منهج التربية في التصور الإسلامي: ٢٩١-٢٩٣.

(٤) سورة الأنعام: الآية: ٣٨.

٦- غلبة مواد الثقافة الإنسانية ولاسيما ما يتعلق منها بالعلوم الشرعية والتربوية والنفسية والاجتماعية على المواد العلمية.

٧- الاشتغال على مواد الآداب والفنون لتنمية الذوق وترقية الوجدان.

٨- ارتباط المنهج بالميل والقدرات.

٩- القابلية للتطوير والتغيير.

١٠- الاشتغال على مواد كسب المهارة وتعلم الحرف والإعداد للحياة العملية^(١).

ثانياً: الأسس والمبادئ التي يقوم عليها النظام التربوي الإسلامي:

يقوم المنهج التربوي الإسلامي على عدد كبير من المبادئ والأسس التي تعمل على تربية الأجيال وتنمية مواهبها وقدراتها والارتقاء بها إلى المستوى الذي تطيقه في مدارج الكمال البشري، ولعل أهم هذه الأسس والمبادئ ما يأتي:

١- البدء المبكر بالتعليم قبل أن يستقر الأثر السيء في نفس المتعلم.

٢- التركيز على التعليم الذاتي والمستمر لتجديد المعلومات ومواكبة التطورات.

٣- مجانية التعليم ومكافأة المتعلمين.

٤- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين.

٥- مراعاة التدرج من السهل إلى الصعب ومن المحسوس إلى المعقول.

٦- مراعاة الميول والرغبات والاتجاهات لدى المتعلمين.

٧- استخدام الوسائل التوضيحية المعينة.

٨- احترام شخصية المتعلم وذاتيته.

٩- تهيئة الأجواء المساعدة على التحصيل العلمي السليم.

١٠- العناية بالموهوبين والمبدعين وذوي القدرات الخاصة.

١١- العناية بتربية الفئات المختلفة من ذكور وإناث وصغار وكبار.

١٢- الاهتمام بالمعلم وإعداده إعداداً متكاملًا يمكنه من القيام بواجباته علنًا لوجه المطلوب.

١٣- الإيمان بأهمية الأسرة في إنجاح عملية التربية وتوثيق العلاقة بين البيت والمدرسة.

١٤- بناء العلاقة الإيجابية بين التلاميذ، ودفعهم لطلب العلم واحترام النظام والإحساس بالمسؤولية بأسلوب لين رقيق بعيداً عن الشدة والقسوة والعقاب.

١٥- معالجة المشكلات التربوية أولاً بأول والقضاء على أسبابها^(٢).

(١) ينظر : منهج التربية في التصور الإسلامي: ٣١٥، ٣١٦.

(٢) يراجع: التربية الإسلامية وفلاسفتها- محمد عطية الأبراشي- طبعة دار الفكر العربي- القاهرة: ١٧٦-١٨٣، من أسس التربية الإسلامية

المطلب الثالث

وظائف المؤسسات التعليمية ودورها التربوي

تستطيع المؤسسات التعليمية أن تسهم بفاعلية كبيرة في بناء شخصية الإنسان بما تحمله من رسالة وما تمتلكه من أدوات وما تهبؤه من جو صحي يساعد على تحقيق عملية النمو المعرفي والانفعالي والاجتماعي والعقدي، لا بما تقدمه من معلومات نظرية فقط.

ويمكن إجمال أهم الوظائف التربوية التي يجب أن تقوم بها المؤسسات التعليمية فيما يأتي:

- ١- تنسيق الجهود التربوية بين مؤسسات التعليم المختلفة وبينها وبين المؤسسات التربوية الأخرى.
- ٢- تبسيط التراث الثقافي وتنقيته مما علق به خرافات وأوهام.
- ٣- نقل التراث الثقافي إلى التلاميذ وتوسيع آفاق الناشئ وزيادة خبراته.
- ٤- التعاون مع الأسرة في تربية الطفل والارتقاء بقدراته.
- ٥- تحديد المنهج التعليمي الذي يتوافق مع قيم المجتمع وطموحات الأفراد ومتطلبات العصر.
- ٦- تنشئة التلاميذ تنشئة إيمانية متكاملة من خلال الاستفادة من محتويات المنهج التربوي والأنشطة المصاحبة.
- ٧- مساعدة التلاميذ على تحديد أهدافهم في الحياة وكيفية تحقيقها.
- ٨- تحقيق التآلف والتجانس بين التلاميذ وتجسيد العلاقة الإيجابية بينهم.
- ٩- تحرير العقل وتربيته على التفكير العلمي السليم.
- ١٠- تكوين الشخصية العلمية الجادة.
- ١١- اكتشاف المواهب والقدرات وتميئتها.
- ١٢- تعليم الاتجاهات الخلقية السليمة، والقيام بمهام التوجيه والإرشاد التربوي النفسي.
- ١٣- ترسيخ قيم الطاعة والانضباط واحترام النظام والقانون.
- ١٤- تنمية قيم اللياقة والتعاون واحترام مشاعر الآخرين.
- ١٥- رعاية الموهوبين والنابعين وذوي الاستعداد القيادي^(١).

(١) يراجع: أصول التربية للنحلاوي: ١٤٨-١٦١، رؤى ثقافية: ٨٧-٩٤، صناعة القائد: ٢٣٢، ٢٣٣.

المطلب الرابع

واقع المؤسسات التعليمية وكيفية النهوض بها

التربية والتعليم هي العنصر المؤثر في حياة الأمم، والأشد تأثيراً في مجالات الحياة الأخرى، بصلاحتها يصلح الإنسان وتسمو الحياة وترتقي الأمم إلى ذروة المجد، ويفسدها ينحرف الإنسان وتأسن الحياة وتحدرد الأمم إلى الهاوية.

وما من عاقل في بلاد المسلمين اليوم وفي العالم أجمع فضلاً عن أن يكون متخصصاً في مجال التربية والتعليم يدعي صلاح التعليم وقيام المؤسسات التربوية والتعليمية برسالتها على الوجه المطلوب، فكم عقدت من مؤتمرات وكم تعالت من صيحات تندد بفساد التعليم وتدق ناقوس الخطر وتقدم التصورات والمقترحات لإصلاح التعليم وتطويره وتحسين واقعه.

ولاشك أن فساد التعليم نتج عنه فساد شامل وتخلف مريع في مجالات الحياة المختلفة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وفنياً ورياضياً، وتتعدد الجهات المسؤولة عن هذا الفساد ما بين الاستعمار الذي وضع مناهج التعليم وفق هواه وطبعها بطابعه المتعارض مع قيم وتقاليده المجتمعات الإسلامية، وبين الأنظمة الحاكمة في البلاد الإسلامية التي أفرغت التعليم من محتواه وسخرته لتحقيق مآربها وتبرير سياستها الفاشلة في قيادة الأمة، وبين القائمين على مؤسسات التعليم الذين لم يتقوا الله في الأمانة ولم يقوموا بواجبهم على الوجه المطلوب، وتظل الأنظمة الحاكمة هي السبب الرئيس لهذا الفساد ولاسيما بعد رحيل الاستعمار وخضوع مؤسسات التعليم المختلفة لسيطرتها.

لقد أدرك أعداء الإسلام خطورة التعليم فاستغلوا فرصة احتلالهم للعالم الإسلامي وعملوا على مسخ الشخصية الإسلامية والقضاء على هويتها، ووجدوا أن مناهج التعليم هي الوسيلة المثلى والأداة الفاعلة لتحقيق هذا الغرض الخبيث فقاموا بوضع المناهج التعليمية وحرصوا فيها على ما يأتي:

- ١- إبعاد القرآن الكريم والسنة النبوية عن المناهج وإضعاف دورها كمصدر أساسي لمحتوى المناهج التعليمية.
- ٢- تخريج أجيال مضطربة فكرياً وعقدياً، مرتبطة بالغرب أكثر من ارتباطها بدينها وأمتها.
- ٣- تشجيع العامية لتجهيل أبناء الإسلام بلغتهم العربية وتراثهم المجيد.
- ٤- وضع تاريخ مشوه للإسلام وتدرسه للطلاب، مع التوسع في تدريس التاريخ الغربي.
- ٥- وضع نظريات زائفة تتعارض بطبيعتها مع الدين والعقل والأخلاق وتضمينها مقررات العلوم الطبيعية والاجتماعية والنفسية وبقية العلوم.

وكان الهدف العام من وضع هذه المناهج يتمثل في تخريج أجيال ممسوخة من أبناء المسلمين لا هوية لها ولا هدف ولا غاية، تقدس الغرب وتؤمن بأفكاره وتلتزم تقاليده وتتسلخ عن عقيدتها وقيمها وتقاليدها^(١).

(١) ينظر: الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام - سعد الدين السيد صالح - ط: ١ - دار الأرقم - الزقازيق - مصر: ١٦٥، ١٦٦.

وبعد رحيل الاستعمار ظلت أفكاره وأدواته هي المسيطرة على كافة مجالات الحياة ولاسيما مجال التربية والتعليم، وحصلت تغييرات كثيرة للمناهج إلا أنها لم تمس جوهر المبادئ والأسس التي وضعها الاستعمار، ولم تكن مؤهلة إطلاقاً لتحقيق الهدف العام للتربية الإسلامية وهو إعداد الإنسان الصالح القادر على مواجهة متطلبات الحياة والقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض.

ويمكن إجمال أبرز سلبات الأنظمة التربوية والمؤسسات التعليمية القائمة فيما يأتي:

- ١- التبعية الكاملة للأنظمة السياسية وخضوعها التام لسيطرتها.
- ٢- التبعية الثقافية للغرب وفلسفته المبنية على الإلحاد.
- ٣- الانعزالية عن الحياة الاجتماعية بهمومها ومشكلاتها ومجالاتها المختلفة.
- ٤- تشطير شخصية التلاميذ بين ثقافة المجتمع المسلم الذي ينتمون إليه وبين ثقافة الغرب المسيطرة على محتويات المناهج التعليمية.
- ٥- إهمال التعليم الديني وعدم الاهتمام به بل ومحاربه والتضييق عليه في كثير من البلدان.
- ٦- وثنية الشهادات والامتحانات وتحويلها إلى غاية في حد ذاتها.
- ٧- اعتماد سياسة الحفظ والتلقين مما أدى إلى ضعف المواهب والقدرات.
- ٨- تخريج موظفين آليين ضعيفي الأداء، محدودي الثقافة، فاقدو الخبرة، عديمي القدرات.
- ٩- الاهتمام بمستقبل التلاميذ دون حاضرهم، وعدم الاهتمام بواقعهم ومشكلاتهم وميولهم ورغباتهم.
- ١٠- عدم وجود أنظمة لاكتشاف النابغين الموهوبين وذوي الاستعداد القيادي ورعايتهم^(٢).

إن واقع الأنظمة التربوية والمؤسسات التعليمية يتطلب وقفه جادة من قبل المعنيين لتدارك الخطر الناجم عن الاستمرار في تطبيق السياسات التعليمية الخاطئة التي تثبت فشلها في كل يوم، ولعل أبرز ما يجب مراعاته ما يأتي:

- ١- إعادة النظر في السياسة التعليمية بشكل عام فلسفةً وأهدافاً محتوياً وأساليب، وبنائها بما يتلائم مع عقيدة الأمة وثقافتها وقيمتها وتقاليدها، وبما ينسجم مع ميول واحتياجات التلاميذ ومتطلبات العصر.
- ٢- إسناد مهام التربية والتعليم إلى الشخصيات الكفؤة، وإيجاد المعلم القدوة والإداري القدوة ممن يجمعون بين الالتزام القيمي والوعي الاجتماعي والإجادة العلمية والمهارة التدريسية.
- ٣- رفع التناقض الموجود بين الدين والعلم في المناهج التعليمية.
- ٤- التركيز على الدراسات الإسلامية والعربية وتعميمها على جميع المراحل.
- ٥- إعادة كتابة التاريخ الإسلامي بما يبرز حضارة الأمة ودورها المشرق في تطوير واقع البشرية.

(٢) يراجع: أصول التربية للنحلاوي: ١٦٢- ١٧٠، علم الاجتماع التربوي: ١٢٨، ١٢٩، نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي - د. عبد الكريم بكار - طبعة دار المسلم - الرياض - السعودية: ١٤٨ - ١٥٢.

- ٦- تعريب التعليم الجامعي في مختلف التخصصات والعلوم بما يتيح الفرصة أمام الخبرات المتنوعة لتنمية القيم الإسلامية لدى الناشئة، وإتاحة الفرصة أمامهم لممارسة هذه الخبرات.
- ٧- تفعيل الأنشطة المصاحبة بما يضمن تحويل القيم والمبادئ والخبرات التي يتعلمها التلاميذ إلى ممارسات عملية.
- ٨- إعادة النظر في علاقة المؤسسات التعليمية ببقية مؤسسات التربية في المجتمع وتنظيمها بما يحقق التكامل المنشود، وكذا العلاقة بين العاملين في المؤسسات التعليمية ذاتها.
- ٩- تهيئة الأجواء المناسبة للتحصيل العلمي.
- ١٠- الاهتمام بالمكتبة المدرسية والتدقيق في اختيار محتوياتها.
- ١١- الاهتمام بالمنشآت الرياضية المختلفة وتفعيل دورها.
- ١٢- التركيز على التخصص والتخصص الدقيق واحترام المتخصصين.
- ١٣- إقامة المساجد في مختلف المؤسسات التعليمية وحث منتسبيها على الصلاة جماعة.
- ١٤- إعداد ملف مرافق لكل تلميذ يحتوي على كافة البيانات والمعلومات المتعلقة به تربوياً واجتماعياً وصحياً ومهارياً.
- ١٥- توفير مؤسسات تعليمية خاصة لاستيعاب الأذكى والموهوبين المبدعين وذوي الاستعداد القيادي. وبذلك يمكن أن يتحسن واقع التعليم وتتمكن المؤسسات التعليمية من أداء دورها التربوي على الوجه المطلوب^(١).

(١) يراجع: من أسس التربية الإسلامية للشيباني: ٢١، الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام: ١٧٢، ١٧٣، بين العقيدة والقيادة: ٥٣٨ - ٥٥٢.

المبحث الثالث المسجد

المطلب الأول

مكانة المسجد وأهميته في حياة الأمة

يستمد المسجد مكانته السامية ومنزلته العظيمة من صلته بالإسلام وارتباطه بتعاليمه وتطبيقاته العملية، ولذلك أمر الله المؤمنين ببنائه ورفع قواعده، كما أمرهم أن يحقوا عمارته الحقيقية بالعبادة فيه.

قال تعالى: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} (١). وقال تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (٢). وقال تعالى: {فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (٣).

ويستمد المسجد مكانته كذلك من كونه مضافاً إلى الله U المعبود باعتباره بيته الذي وضعه لعبادة في الأرض ليخلصوا العبودية له فيه. قال تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} (٤). وقال تعالى: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} (٥).

وانطلاقاً من هذه المكانة التي اختص بها المسجد دون وسائط العبادة الأخرى كان عماره مادياً ومعنوياً هم صفة خلق الله من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأتباعهم من المؤمنين الذين استحقوا شهادة الله U لهم بالإيمان والفوز بالهداية والوعد بالجنان. قال تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} (٦). وقال ٣ في الحديث الذي يرويه عثمان بن عفان t: {مَنْ بَنَىٰ مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَىٰ اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ} (٧).

(١) سورة الحج: الآية: ٢٦.

(٢) سورة البقرة: الآية: ١٢٧.

(٣) سورة النور: الآيات: ٣٦-٣٨.

(٤) سورة الجن: الآية: ١٨.

(٥) سورة البقرة: الآية: ١٢٥.

(٦) سورة التوبة: الآية: ١٨.

(٧) صحيح البخاري-كتاب المساجد-باب من بنى مسجداً: ١٢٧/١ رقم (٤٣٩)، صحيح مسلم-كتاب المساجد ومواضع الصلاة-باب فضل بناء المساجد والحث عليها: ٣٧٨/١ رقم (٥٣٣). والحديث متفق عليه. ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١/ ١١٨ رقم (٣٠٩).

لقد كان باني الكعبة أبو الأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، وباني المسجد الأقصى يعقوب U، وباني المسجد النبوي محمد R، وروادها المؤمنون، وزوارها الملائكة المقربون الذين يترددون على المساجد ليشهدوا مجالس الذكر وحلق العلم ويسجلوا شهادتهم للعابدين^(١).

وتظهر مكانة المسجد الاجتماعية باعتباره مركز التجمع ونقطة الانطلاق لتنمية الحياة الاجتماعية والارتقاء بها، فهو مصدر التوجيه والارشاد، وهو مؤسسة التربية والتعليم، وهو مكان التعارف والتآلف والتعاون وتقوية الروابط والصلات، كما أنه إلى جانب ذلك كله مقر الحكم والشورى، ومنطلق الجيوش والسفراء، ودار القضاء والافتاء ومأوى المحتاجين والغرباء.

ومن هنا كانت قلوب الصحابة الكرام رضوان الله عليهم معلقة بالمسجد النبوي لا تكاد تخرج منه إلا وهي في شوق للعودة إليه؛ لما يحسون فيه من أنس وراحة وطمأنينة، وما يكتسبون من علم وخبرة وتربية، ولإيمانهم أن التردد على المسجد من علامات الإيمان والبعد عنه من علامات النفاق، وتبعهم في ذلك الصالحون من عباد الله المؤمنين، ومن هنا عد رسول الله R المرتبطين بالمساجد ضمن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ومنهم (.. . ورجل قلبه معلق في المساجد)^(٢).

لقد كان المسجد وما يزال شعار الحياة وعنوان العقيدة في المجتمع الإسلامي، ولذا كان اهتمام النبي R بالمسجد عظيماً، إذ أنه ما فتئ يحط رحله في المدينة المنورة حتى حدد موضع المسجد وشرع في بنائه.

ويمكن إجمال أهمية المسجد فيما يأتي:

أولاً: أنه يعد الركيزة الأولى والأهم في بناء المجتمع الإسلامي:

يقوم المجتمع الإسلامي على عدد من الدعائم والمرتكزات التي يأتي في مقدمتها بناء المسجد وتحقيق الأخوة الإسلامية، ووضع الدستور الذي ينظم علاقة المجتمع الإسلامي ببعضه وعلاقته بالآخرين، ثم تأتي عملية التربية وإعداد الجيوش وإدارة شؤون الحياة^(٣).

وتعد إقامة المسجد الركيزة الأولى والدعامة الأساسية الأهم في بناء المجتمع الإسلامي، ذلك أن المجتمع إنما يكتسب صفة الرسوخ والتماسك بالتزام عقيدة الإسلام ونظامه وآدابه، وإنما ينبع ذلك كله من روح المسجد ووحيه. قال تعالى محذراً نبيه R من الصلاة في مسجد الضرار ومعقّباً بالتذكير بفضل مسجد قباء ومثنيّاً على رواده: {لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ} ^(٤).

(١) ينظر: المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ- عبد الله قاسم الوشلي- ط: ١- مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت: ١٣- ١٦.

(٢) سبق تخريجه: ص ٢٥٩ .

(٣) يراجع: السيرة النبوية للصلابي: ١/ ٥٠٠-٦٥٩.

(٤) سورة التوبة: الآية: ١٠٨.

ثانياً: دلالة المسجد على شمولية الإسلام وتكامله:

لم تمض مدة وجيزة على إنشاء المسجد في الإسلام حتى غدا رمزاً لما يتسم به الإسلام من شمولية وتكامل في جميع مجالات الحياة، فقد أنشئ ليكون معبداً للصلاة والذكر والعبادة، ومؤسسة للتربية والتنقيف، وجامعة للعلوم والمعارف، ومقراً للحكم والسياسة، وداراً للافتاء والقضاء، وملقى للنبي ٣ بالوفدين وطالبي الهداية.

كما أنشئ كذلك ليجد فيه الضال هدى، والمريض دواءً، والمحتاج عوناً، والغريب مأوى، وابن السبيل مستقراً موطناً. قال تعالى: { فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ }^(١).

ثالثاً: أنه يمثل مركزين الأفراد وربطهم بخالقهم:

ففي المسجد تنطهر النفس الإنسانية من حقدتها وغلها وحسدها وتزكو بالعبادة والخشوع والذكر والصلاة، كما تصقل ويزول عنها ما قد يعلق بها من عيوب الانعزال والتواكل والأثرة والأنانية وينطبع الفرد على الجدية والرجولة، وتتعلم الأجيال الهدوء والنظام والطاعة والانضباط والدقة في احترام المواعيد، وكذلك يتعلم فيه المسلمون العلم ويتفقهون في أمور دينهم، ويتبادلون الرأي والمشورة في شؤون دنياهم، ويحدث التعارف والتآلف فتتكون العلاقات الحسنة^(٢). قال تعالى: { اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ }^(٣).

ومن هنا تظهر أهمية المسجد كمؤسسة تربية للحفاظ على فطرة الإنسان وحماية عقيدته من الانحراف، وضرورته لصيانة الإنسان من الضلال ووقايته من الفتن، كما تظهر أهميته لترسيخ قيم التعاون وحسن التعامل ونشر الوعي بين المسلمين وتعريفهم بواقعهم، وكذلك لإضفاء روح الخشية والمراقبة والتقوى على سلوك المسلم ودفعه لالتزام قيم الخير والفضيلة^(٤). قال تعالى: { إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ }^(٥).

(١) سورة النور: الآيات: ٣٦ - ٣٨.

(٢) ينظر: المسجد وأثره في تربية الأجيال - عبد الله قاسم الوشلي - ط: ١ - مكتبة الرسالة - بيروت: ٢٨، ٢٩.

(٣) سورة العنكبوت: الآية: ٤٥.

(٤) ينظر: المسجد ونشاطه الاجتماعي: ٢٥، ٢٦.

(٥) سورة التوبة: الآية: ١٨.

المطلب الثاني

وظيفة المسجد ودوره التربوي

أولاً: وظيفة المسجد في الإسلام:

لم تقتصر وظيفة المسجد في أول الإسلام على كونه مقراً للعبادة ومكاناً للتعليم فقط، بل تنوعت وظائفه وتعددت بتعدد مجالات الحياة الإنسانية.

والذي يدقق النظر في وظيفة المسجد ورسالته يقف على هذا التعدد والتنوع ويدرك أهميته في حماية عقيدة الأمة وتعزيز وحدتها وتماسكها، إلا أنه يمكن إجمال أبرز هذه الوظائف فيما يأتي:

- ١- المسجد مكان العبادة والقيام بالفرائض الدينية.
- ٢- وسيلة إعلامية لتنقيف الأمة ونقل الأخبار والمستجدات والتعريف بأحوال المسلمين.
- ٣- مؤسسة للبناء والإعداد والتربية، وشرح تعاليم الإسلام.
- ٤- قاعدة لتحقيق الوحدة والتماسك الداخلي بين أفراد الأمة.
- ٥- جمعية للإصلاح والتكافل الاجتماعي.
- ٦- دار للرعاية وإصلاح المنحرفين.
- ٧- مأوى للمساكين والغرباء والمنقطعين.
- ٨- مستشفى لمعالجة المرضى والمجروحين.
- ٩- دارٌ للإفتاء ومحكمة للقضاء والفصل بين المتخاصمين.
- ١٠- مجمعٌ للشورى ومناقشة قضايا المسلمين.
- ١١- برلمانٌ وهيئة تشريعية لاتخاذ القرارات وإصدار القوانين.
- ١٢- مقرٌ للحكم والسياسة وإدارة شؤون الدولة الإسلامية.
- ١٣- ثكنة عسكرية لتجمع الجيش الإسلامي وانطلاقه وتعبئته المعنوية.
- ١٤- مكانٌ لاستقبال الوفود وإرسال السفراء، وعقد الاتفاقات والمعاهدات.
- ١٥- منبرٌ للحركات التصحيحية التي يقودها العلماء والمريون ضد الظلمة والطواغيت والمحتلين.

وغير ذلك من الوظائف التي يجب أن يقوم بها المسجد والتي دل عليها القرآن والسنة وسيرة النبي ﷺ وصحابته الكرام وتأريخ السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين^(١).

(١) ينظر: زاد المعاد: ٣/٣٨، المسجد ونشاطه الاجتماعي: ٣٩-٩٠، منهج النبي في الدعوة والتربية من خلال السيرة: ٣٠٨، ٣٠٩.

ثانياً: الدور التربوي للمسجد:

إن للمسجد دوره الهام والخطير في عملية التربية والإعداد بشكل عام وفي تربية وإعداد القيادات بوجه خاص من خلال ما يحتله من مكانة في النفوس، وما يؤديه من رسالة تربية شاملة، وكذلك من خلال ما يمتلكه من أدوات فعالة، وأجواء روحانية مؤثرة، وما يتيح من تواصل اجتماعي إيجابي، ولاسيما إذا ما توافرت له الإمكانات البشرية والمادية اللازمة.

والمسجد في الإسلام من أهم الدعائم التي يقوم عليها إعداد الفرد وبناء المجتمع عبر تاريخ الإسلام الطويل، ولا يزال المسجد في مقدمة المؤسسات التربوية التي تسهم في عملية البناء والتكوين، وسيبقى كذلك إلى أن يرث الأرض ومن عليها إن شاء الله تعالى.

إنه بغير المسجد لا يمكن للفرد المسلم أن يتربى روحياً وأخلاقياً واجتماعياً وفكرياً، ففي غير المسجد لا يمكن أن ينصت لصوت الأذان ويستمتع بأداء الصلاة، وفي غير المسجد لن يتفاعل مع الخطبة أو الموعظة التي تهز النفس والوجدان، وفي غير المسجد لن يتفقه في الدين ويتمكن من التمييز بين الحلال والحرام، كما أنه في غير المسجد لن يتقن القرآن ويتفاعل مع آياته، ولن يعيش أجواء المودة والمحبة والأخوة الصادقة، ولن يقف على أحوال المسلمين ويتعرف على مخططات الأعداء، ولن.. ولن.. ولن^(١).

يقول الشيخ عبد الرحمن النحلاوي: "عندما يأخذ المسجد مكانه الطبيعي الذي بني من أجله، وأراده الله له، يصبح من أعظم المؤثرات التربوية في نفوس الناشئين، فيه يرون الراشدين مجتمعين على الله، فينمو في نفوسهم الشعور بالمجتمع المسلم، والاعتزاز بالجماعة الإسلامية، وفيه يستوعبون دورهم في الحياة، وما أعدهم الله له في الدنيا والآخرة.

وفيه يتعلمون القرآن ويرتلونه، فيجمعون بين النمو الفكري والحضاري بتعلم القراءة والنمو الروحي وهو الارتباط بخالقهم.

وفيه يتعلمون الحديث والفقهاء، وكل ما يحتاجون من نظم الحياة الاجتماعية كما أراد الله أن ينظمها للناس، ومن هداية الله ورسوله، ومن العلوم المتممة لذلك كاللغة والتاريخ الإسلامي وغيرها...

فالمسجد على هذا يعلم الناشئين أن كل أمور الحياة تابعة للارتباط بالله، وصادرة عن هدف التربية الإسلامية الشامل الذي هو إخلاص العبودية لله، وينعرس هذا المعنى في نفس الناشئ عفواً من غير قصد ولا تكلف^(٢).

ومن هنا ندرك عظمة الأجيال التي تخرجت من المسجد والتي كانت غاية في الطهر والنقاء، وقمة في الحب والإخاء، ومثالاً في الالتزام الواعي والراقي الحضاري، وقدوة صالحة في كل شؤون الحياة.

فهم الدعاة الذين نشروا الإسلام، والعلماء الذين استوعبوا علوم الدين والدنيا وطوعوها لصالح البشرية، والاجتماعيون الذين تعايشوا في مختلف أنواع البشر، كما أنهم المجاهدون الذين فتحوا الدنيا، والساسة الذين حكموا العالم فنشروا الرحمة والعدل والأمن والاستقرار وكانوا خير أمة أخرجت للناس^(٣).

(١) ينظر: المسجد وأثره في تربية الأجيال: ٣٧، ٣٨.

(٢) أصول التربية الإسلامية للنحلاوي: ١٣٣، ١٣٤.

(٣) ينظر: المسجد وأثره في تربية الأجيال: ٣٩.

ويمكن الإشارة إلى الدور التربوي الذي يجب أن يؤديه المسجد فيما يأتي:

- ١- تنمية القيم الدينية والأخلاقية في النفس الإنسانية من خلال العبادات المختلفة التي يؤديها الإنسان في المسجد من صلاة وذكر واعتكاف وتلاوة للقرآن الكريم.
- ٢- تنمية المعايير السلوكية والاتجاهات الإيجابية من خلال ما يكتسبه الفرد من علوم ومعارف وخبرات في المسجد.
- ٣- تنمية الضمير الداخلي والرقابة الذاتية لدى الفرد من خلال التأكيد على قيم الإخلاص والخشوع وإتقان العبادات.
- ٤- تقوية روح الأخوة والمودة والتماسك بين المسلمين من خلال التعارف الدائم والتواصل المستمر والالتقاء اليومي في صلاة الجماعة.
- ٥- تنمية القدرة على إدارة الذات والتغلب على شهوات النفس والجسد.
- ٦- التدريب على النظام والطاعة من خلال تسوية الصفوف واتباع الإمام.
- ٧- التدريب على الانضباط واحترام المواعيد من خلال مواعيد الأذان والصلاة والالتزام بموعد الجمعة. والامتناع عن الحديث أثناء الخطبة والصلاة.
- ٨- صقل الشخصية الإنسانية ومعالجة ما قد يظهر عليها من آفات النفس مثل الانعزال والتواكل والذاتية والأنانية.
- ٩- تنمية روح العمل الجماعي والتعاون مع الآخرين من خلال الأداء الجماعي للعبادات.
- ١٠- تكوين الوعي السياسي وتميئه من خلال الخطب والندوات والدروس والمحاضرات واللقاءات التي تتم في المسجد.
- ١١- تنمية المشاركة السياسية من خلال المساهمة في اختيار المؤذن والإمام والخطيب، وإبداء الرأي في شؤون المسجد المختلفة.
- ١٢- تنمية القدرات القيادية لدى الإنسان من خلال الإمامة والخطابة والقاء الدروس والمحاضرات ومتابعة قضايا المسجد المختلفة.
- ١٣- تنمية المهارات والقدرات الذاتية من خلال المحافظة على تلاوة القرآن وحفظه والمشاركة في الأنشطة المسجدية المختلفة.

وهناك أدوار تربوية أخرى يقوم بها المسجد تهدف جميعها إلى تربية الإنسان والارتقاء به وتنمية قدراته^(١).

(١) يراجع: المسجد وأثره في تربية الأجيال: ٢٨، ٢٩، التربية السياسية لعلي عبد الحليم محمود: ٣٤٣-٣٦٩.

المطلب الثالث

واقع المسجد وكيفية النهوض برسائله التربوية

بانتهاؤ فترة الخلافة الإسلامية بدأ الضعف العام يدب في أوساط الأمة ليشمل مختلف مجالات الحياة فيها، الأمر الذي أفسح المجال أما أعداء الإسلام لنسج المؤامرات ضد الأمة والتدخل في شؤونها، وكان للمسجد نصيب كبير من هذه المؤامرات التي عملت على إضعاف دوره والقضاء على رسالته.

لقد أدرك أعداء الإسلام دور المسجد وأثره في حياة الأمة المسلمة من أول يوم أقام فيه النبي ٣ مسجده بالمدينة فأعلنوا الحرب عليه حيث حاربوه في رسالته العلمية والتربوية، وحاربوه في بنائه الشامخ رمز الشريعة الإسلامية والتوحيد، وحاربوه في خطبائه وأئمتيه بمختلف وسائل الحرب وأساليبه الفكرية والمادية والمعنوية^(١).

وكان من نتيجة ذلك أن غيبت رسالة المسجد الحقيقية، وغدت كثير من المساجد منبراً للتسييح بحمد الظلمة والطواغيت وتبرير سياساتهم الفاشلة، ومورداً للرزق لدى بعض المتكسبين بالعلم والمتاجر بالدين، ومواطناً للبدع والخرافات والأهواء والتشكيك في الدين، ومعقلاً للتعصب المذهبي والطائفي والرأي الشخصي بعيداً عن الحجة والدليل، ومع ذلك فقد ظلت بعض المساجد مؤدية لدورها في التربية والتعليم والتوجيه والإرشاد قائمة بواجبها في نشر الوعي وجمع الصف ومحاربة الظلم ومقاومة الأعداء وكشف مخططاتهم ضد الإسلام والمسلمين، وتحمل القائمون عليها في سبيل ذلك ألواناً من الأذى والتضييق وصنوفاً من البطش والتتكيل.

إن ضعف رسالة المسجد اليوم وانحساره دوره التربوي، واقتصار وظيفته على أداء الصلاة فقط أمر ناتج

عن عدد من العوامل والأسباب التي يمكن إيجازها فيما يأتي:

١- الاهتمام بالبناء المادي والزخرفة الظاهرية على حساب العمارة المعنوية وتوفير مقومات

الخشوع والخشية.

٢- بناء القبور في المساجد أو بجوارها ودفن الموتى فيها وإحداث البدع المختلفة عندها.

٣- بناء الأريطة والزوايا والجلوس فيها بحجة التفرغ للعبادة وهجر المساجد.

٤- إغلاق أبواب المساجد عقب الصلوات ومنع إقامة الدروس العلمية فيها.

٥- ممارسة البدع المختلفة في المساجد، وإظهار الذلة والضعف والمسكنة وغيرها مما ينفر الإنسان

من دخول المسجد.

٦- ابتعاد شؤون الحكم والسياسة عن المساجد بعد اتخاذ القصور وبناء مؤسسات الحكم المختلفة.

٧- إخراج التعليم من المساجد بعد ظهور التعليم النظامي وبناء مؤسسات التعليم الحديثة.

٨- ضعف التمسك بالإسلام والتقصير في العبادات والانشغال بالدنيا.

(١) ينظر: المسجد وأثره في تربية الأجيال: ٤٨.

٩- الجهل برسالة المسجد ودوره التربوي، مما أدى إلى قصره على الصلاة والذكر والموالد وقراءة القرآن.

١٠- سيطرة أنظمة الحكم على المساجد، مما أدى إلى إهمالها وعزلها عن واقع الأمة والانحراف بها عن رسالتها.

١١- الهجمة الشرسة التي تقودها قوى الكفر والطغيان ضد المساجد وروادها.

وبعد فهذه أبرز العوامل والأسباب التي أدت إلى ضعف رسالة المسجد وانحسار دوره التربوي في حياة الأمة^(١).

وقد نتج عن ضعف المسجد في أداء رسالته، مفارقة روح المسجد بما تحمله من سمو وطهر وبركة لجميع جوانب الحياة، فضعفت التقوى والخشية، وانفصمت عرى الأخوة والمحبة والتكافل، وغاب العدل والأمن والاستقرار، وظهر الجهل والفساد وتسلط الإعداء إلى غير ذلك من الآثار^(٢).

ولكي يعود المسجد إلى سابق عهده ويتمكن من القيام بوظيفته الاجتماعية ودوره التربوي في بناء الأجيال وإعداد القيادات لابد من الآتي:

١- استيعاب رسالة المسجد القائمة على الشمول والتنوع والسعي لإحيائها.

٢- إدراك حقيقة المؤامرة على المسجد ورسالته وكشفها والعمل على إحباطها.

٣- الاهتمام بعمارة المساجد شكلاً ومضموناً والتوسع في إنشائها لتشمل كل قرية ومدرسة ومصنع ومعسكر.

٤- توفير الكادر المؤهل القادر على القيام برسالة المسجد من مؤذن وإمام وخطيب وعالم ومدرس تحفيظ ومشرف ومنظف، وإعدادهم بما يتناسب والمهام الموكلة إليهم، وتوفير متطلبات العيش الكريم لهم.

٥- تشكيل لجان متخصصة من أهل الحي والمصلين لإدارة المساجد ورعاية مصالحها.

٦- توفير الدعم المالي اللازم لبناء المساجد وإعمارها، والقيام بمصالحها وتفعيل أنشطتها، عن طريق جمع التبرعات، وتشجيع الوقف على المساجد والاستثمار لصالحها.

٧- إقامة الأنشطة المسجدية المختلفة للارتقاء برواد المسجد تربوياً وفكرياً وجسماً.

٨- صيانة حرمة المساجد من العبث والانتهاك، وحماية أوقافها وممتلكاتها.

٩- إبعاد المساجد عن سيطرة أنظمة الحكم وتدخلها المستمر في شؤونها.

١٢- النأي بالمساجد عن الصراعات السياسية والمذهبية والطائفية.

١٣- إزالة كل ما قد يحيط بالمساجد من مظاهر اللهو والعبث والفساد والانحراف.

(١) ينظر: المصدر السابق: ٤٨- ٨٠، المسجد ونشاطه الاجتماعي: ٢٥٥- ٢٧٧.

(٢) ينظر: المسجد وأثره في تربية الأجيال: ٢٤، المسجد ونشاطه الاجتماعي: ٢٧٨- ٢٨٢.

١٤- إيجاد إدارة عالمية موحدة تعنى بشؤون المساجد في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

١٥- تشييد مساجد نموذجية في العواصم والمدن الرئيسية.

وبهذا يمكن أن تبدأ علمية إحياء رسالة المسجد ليعود إلى سابق عهده مؤسسة تربية ومنازة هدى، ولن يتحقق ذلك ما لم تتظافر الجهود الرسمية والشعبية خدمة للدين وحماية للأمة وتربية للأجيال^(١).

أما أهم مواصفات المسجد الذي يراد له أداء رسالته الإسلامية والقيام بدوره التربوي في بناء الأمة وإعداد قياداتها فيمكن الإشارة إلى أبرزها فيما يأتي:

١- جودة البناء وإحكامه واتساعه مع توفر الإضاءة اللازمة والتهوية الجيدة، بعيداً عن كثرة الزخرفة والنقوش المنهي عنها، وأن يلحق به قسم خاص بالنساء.

٢- تكامل مرافقه الضرورية للنظافة والطهارة مع التوفر الدائم للمياه.

٣- وجود الكادر المؤهل القادر على إحياء رسالة المسجد من:

مؤذن حسن الصوت ملتزم بمواعيد الأذان.

إمام حافظ للقرآن حسن الصوت مجيد للتلاوة بأحكامها.

خطيب جريء مفوه، واسع الثقافة خبير بالواقع وكيفية التعامل معه.

علماء قادرين على إقامة الدروس والمحاضرات والإجابة على أسئلة الناس.

موظفون يحرصون على نظافة المسجد والمرافق التابعة له.

مدرس لتعليم القرآن الكريم وتحفيظه للراغبين.

٤- توفر عدد من المرافق التربوية الضرورية:

أ. مكتبة عامة مزودة بالكتب والأشرطة والأفلام المفيدة.

ب. قاعة مطالعة واسعة ومؤثثة.

ج. قاعة محاضرات واجتماعات للمناسبات الاجتماعية التي لا يتحملها صحن المسجد.

د. مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم مع توفير المدرس الحافظ المتقن المجيد للأساليب التربوية المختلفة.

٥- وجود عدد من الملحقات الأساسية:

أ. مساكن ملائمة للمؤذن والإمام والخطيب والمنقطعين لخدمة المسجد.

ب. دار لاستقبال الغرباء ورعاية المنقطعين من طلاب العلم.

ج. مركز صحي مصغر لتقديم الإرشاد النفسي والعلاجي وتقديم الاسعافات الأولية.

د. دار تغسيل الموتى وتكفينهم.

هـ. مركز إرشادات عامة.

و. مركز تدريب وتأهيل نسوي.

(١) ينظر: المسجد وأثره في تربية الأجيال: ٨٩، ٩٠، المسجد ونشاطه الاجتماعي: ٢٨٩-٣٢٨.

٦- إقامة الأنشطة المختلفة:

- أ. تربوياً وثقافياً من خلال: الدروس والندوات والمحاضرات وتوزيع الكتب والأشرطة.
 - ب. تعليمياً من خلال: دروس التقوية، ومحو الأمية، ودورات تنمية المهارات.
 - ج. رياضياً وترفيهياً من خلال: ممارسة الرياضة والرحلات.
 - د. إجتماعياً من خلال: تشكيل لجان توزيع الزكاة، ورعاية الأرامل والأيتام، وتقديم العون للمحتاجين، وتزويج الشباب، والمشاركة في أنشطة المجتمع الأخرى.
- ٧- تكوين إدارة فاعلة لإدارة شؤون المسجد، وتنسيق جهود العاملين فيه، والإشراف على أنشطته، وتوفير متطلباته واحتياجاته.

٨- وجود ساحة أو حديقة حول المسجد وتوفير الألعاب والأدوات الرياضية فيها.

هذه أبرز مواصفات المسجد النموذجي الرسالي الذي يراد له القيام بواجبه في تربية الأجيال وإعداد القيادات^(١).

إن ما سبق الحديث عنه من بيان لمكانة المسجد وأهميته في الإسلام ووظيفته الاجتماعية ودوره التربوي في تنشئة الأجيال، يؤكد ضرورة الاهتمام به كمؤسسة تربوية ربانية معنية بتخريج القيادات القادرة على إدارة شؤون الأمة ورعاية مصالحها على الوجه المطلوب، والقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض، كما فعل ذلك صحابة النبي ﷺ وسلف الأمة الصالح الذين تخرجوا من المساجد فسادوا الدنيا وقادوا العالم وكانوا رحمة للعالمين.

(١) ينظر: المسجد وأثره في تربية الأجيال: ٩١-٩٣.



المبحث الرابع وسائل الاعلام والاتصال

المطلب الأول مفهوم الإعلام وأهميته

الإعلام لغة: الإظهار والنشر^(١).

أما في الاصطلاح: فهناك عدد من التعريفات التي تقتصر الباحث على ذكر اثنين منها لوضوحهما ودلالتهما على المراد من عملية الإعلام والاتصال، حيث يرى العالم الألماني (أتوجروت) يرى أن الأعلام هو: "التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت"^(٢)، وهو ما تؤكد الدكتورة شاهيناز طلعت عندما تعرف الإعلام أو الاتصال بأنه: "عملية نقل المعلومات والآراء والاتجاهات من المصدر إلى المستقبل وذلك بغرض التأثير عليه لهدف ما"^(٣).

وهناك عدة عوامل تساعد في إحداث التأثير الكبير الذي تحدثه وسائل الإعلام والاتصال مثل: تكرار المواد الإعلامية، والجاذبية الشخصية، والمشاركة الوجدانية، والتقليد، وتقمص الشخصيات، وغير ذلك من العوامل الأخرى.

وتتعدد وسائل الإعلام والاتصال لتشمل الصحافة، والإذاعة، والتلفزيون، والمسرح، والسينما، وشبكات الانترنت، كما تشمل المساجد والأندية الأدبية، والأسواق ومواسم الحج.

وتقوم عملية الإعلام أو الاتصال على أربعة عناصر هي:

- ١- المرسل: وهو القائم بعملية الإعلام.
- ٢- المستقبل: وهي جهة التلقي.
- ٣- الموضوع: وهو محتوى الرسالة الإعلامية.
- ٤- الوسيلة: وهي وسيلة الإعلام والاتصال المستخدمة^(٤).

وتؤدي وسائل الإعلام والاتصال دوراً بالغ الخطورة والأهمية في حياة الأفراد عامة والناشئة منهم بصفة خاصة، حتى أنها غدت مصدر المعرفة الوحيد لدى كثير من الناس متجاوزةً الكتاب والمدرسة ومؤسسات التعليم المختلفة، وازدحت تحتل مكانة كبرى في النفوس، الأمر الذي مكنها من الإسهام في تكوين القيم والمعتقدات، والميول والاتجاهات، والقيام بدور فعال في عملية التربية والتنشئة الاجتماعية.

(١) ينظر: لسان العرب-مادة علم:

(٢) الإعلام تأريخه ومذاهبه- طبعة دار الفكر العربي- القاهرة: ١٣، ١٤.

(٣) وسائل الإعلام والتنمية الاجتماعية- شاهيناز طلعت- ط: ١- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة: ٨.

(٤) ينظر:

ونتيجة للتقدم العلمي والتطور التكنولوجي والتقني تمكنت وسائل الإعلام والاتصال من الوصول إلى كل فرد والدخول إلى كل بيت متخطيةً بذلك جميع الحواجز والمسافات، وأصبح العالم اليوم يعيش في قرية صغيرة رغم كثرة دوله وتعدد قاراته واتساع مساحته الجغرافية.

"وقد لا نغالي إذا قلنا: بأننا نعيش اليوم مرحلة الدولة الإعلامية الواحدة التي ألغت الحدود، وأزالت السدود، واختزلت المسافات والأزمان.. اختصرت التاريخ وتكاد تلغي الجغرافيا، حتى بات الإنسان يرى العالم ويسمعه من مقعده ولم يقتصر ذلك على اختراق الحدود السياسية، والسدود الأمنية، وإنما بدأ يتجاوز إلى إلغاء الحدود الثقافية، ويتدخل في الخصائص النفسية وتشكيل القناعات العقيدية فيعيد بناءها وفق الخطط المرسومة لصاحب الخطاب الأكثر تأثيراً، والبيان الأكثر سحراً، والتحكم الأكثر تقنية...."

لقد أصبح الإعلام علماً له مقوماته، ومعاهده، وشروطه، وتقنياته، ومتخصصوه، وفناً له مستلزماته وأدواته، كما أصبح ثمرةً تشارك في إنصاجها كل المعارف والعلوم، وتوظف لها أرقى الخبرات، وصناعةً من الصناعات الفكرية الثقيلة التي لها مؤسساتها، وخططها، ونفقاتها، بل لعل نصيب الدعم الإعلامي في كثير من الدول اليوم من الميزانيات، يفوق الدعم الغذائي، الذي به أقوام الحياة..

ولئن كان الإعلام في الماضي يوظف ليكون أداة ترفيه وترويح وتسلية يعيش على هوامش المجتمع وفي خارجه، فهو اليوم في صميم المجتمع، يوظف الترفيه والتسلية لأداء رسالة، وإيصال فكرة، وتشكيل عقل، وصناعة ذوق عام، وزراعة اهتمامات معينة، حتى أنه لم يعد يكتفي برصد الحدث، وإيصال المعلومة، بل أصبح بما يمتلك من قوة وعوامل تأثير وضغط وتحكم، يقوم بصنع الحدث، والتحضير له في الوقت نفسه^(١).

ويتضح دور وسائل الإعلام والاتصال من خلال الإشارة إلى دورها في تفكك الاتحاد السوفيتي، وسقوط دكتاتوريات أوربا الشرقية، وإبراز معاناة الشعب الفلسطيني، وكذا من خلال الفرق الهائل بين دورها في تكوين رأي عام مؤيد لحرب الخليج عام ١٩٩٠م ومعارضٍ لها عام ٢٠٠٣م ولأسيما مع وجود وسائل إعلام عربية وإسلامية فاعلة.

إن أهمية وسائل الإعلام والاتصال لا تتبع من طبيعتها الإخبارية، أو تعبيرها عن هموم الشعب وآماله وتطلعاته فقط، وإنما تتبع في المقام الأول من طبيعة دورها التربوي وقدرتها على غرس القيم والمبادئ وتمييزها في نفوس الأفراد ولأسيما الناشئة، وتأثيرها الكبير على توجهات الأفراد وميولهم ومواقفهم الاجتماعية والسياسية، وكذا التأثير على أذواقهم وأنماط حياتهم المعيشية، بل ومن خلال قدرتها على تكوين القناعات الفكرية وتشكيل الهوية الثقافية للفرد والمجتمع.

وقد أدرك أعداء الإسلام خطورة وسائل الإعلام والاتصال كأداة توجيه وتنقيف فحرصوا على السيطرة عليها وتوجيهها بما يخدم مصالحهم وينفذ مخططاتهم الرامية إلى حرب الإسلام والمسلمين والسيطرة على العالم وذلك من خلال:

(١) مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي - نخبة من المفكرين والكتاب - ط: ١ - رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية - قطر: ٨، ٩.

- ١- السيطرة على أهم وأشهر وكالات الأنباء وامتلاك أكبر مؤسسات الإعلام والاتصال.
 - ٢- إحتكار صناعة تقنية المعلومات ووسائل الإعلام والاتصال المختلفة.
 - ٣- غزارة إنتاج المواد الإعلامية والمضمون البرامجي المشتتل على ثقافة الغرب وقيمه وتقاليده المنبثقة عن تصور علماني يحارب الدين ويفصله عن الدولة.
 - ٤- استخدام وسائل الإعلام المختلفة لتشويه صورة الإسلام وطمس معالمه والإساءة إلى رموزه^(١).
- كما أدركت الأنظمة السياسية الحاكمة أهمية هذه الوسائل فسعت للسيطرة عليها وتوجيهها بما يخدم مصالحها وتوجهاتها حاشدة لذلك أكبر عدد من المتخصصين في العلوم السياسية والاجتماعية والنفسية، فضلاً عن الإعلاميين والأدباء والمثقفين وأصحاب المصالح المختلفة، وذلك لضمان الهيمنة على أفكار الناس وعقولهم، وتكوين ميولهم واتجاهاتهم^(٢).
- وكلما كان النظام السياسي قائماً على الحرية والشورى والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان كلما كان هناك مجال أوسع للنتقيف والتوجيه، وضمان حرية التعبير وتعدد الآراء وممارسة النقد البناء ومعالجة الأخطاء، والحديث عن هموم المواطنين وسياسات الدولة داخل وسائل الإعلام، والعكس عندما يقوم النظام السياسي على الكبت والقهر، والاستبداد والديكتاتورية فإنه لا مجال للكفاءات الإعلامية المقتمدة حيث يسيطر الفاشلون والمنافقون الذين يحولون الإعلام إلى وسيلة للتسييح بحمد الحاكم، والإشادة بجهوده وتبرير سياسات النظام الحاكم، ويشغلون ما بقي من وقت بالغناء والرقص وكل ما يسهم في تحذير الأمة وزيادة غفلتها وإبعادها عن رسالتها.

(١) ينظر: المصدر السابق: ٤٦- ٤٩.

(٢) ينظر: علم الاجتماع السياسي: ٢٢٢، ٢٢٣.



المطلب الثاني

وظيفة وسائل الإعلام والاتصال ودورها التربوي

تؤدي وسائل الإعلام والاتصال دوراً هاماً في عملية التربية والتنشئة الاجتماعية، حيث سهل استخدام الوسائل الإعلامية نشر الأفكار والمبادئ والعلوم والمعارف، الأمر يسهم بدوره في التأثير على ميول الأفراد واتجاهاتهم وتزويدهم بالخبرات والمعارف مما يؤدي إلى تشكيل قناعاتهم الفكرية، وتكوين قيمهم السياسية، وإشعارهم بالمشاركة المباشرة في عملية التنمية الاجتماعية، ويمكن إيجاز أهم الوظائف التي تمارسها وسائل الإعلام والاتصال فيما يأتي:

- ١- التوجيه والتربية والإسهام في عملية التنشئة الاجتماعية والسياسية.
 - ٢- تثبيت قيم ومبادئ واتجاهات المجتمع والمحافظة عليها.
 - ٣- التنقيف وتكوين الوعي السياسي والاجتماعي ونشر ثقافة المجتمع.
 - ٤- تحقيق التوافق الاجتماعي وتثبيت النسق القيمي للمجتمع.
 - ٥- مراقبة البيئة المحلية والخارجية والتنبيه على مواطن الخلل والعمل على معالجتها قبل استفحال أمرها.
 - ٦- تكوين رأي عام متفاعل مع مختلف القضايا والأحداث التي تمر بها الأمة.
 - ٧- الترفيه والتسلية وعرض البرامج الهادفة^(١).
- أما الدور التربوي الذي يمكن أن تقوم به وسائل الإعلام والاتصال في عملية بناء وإعداد القيادات فيمكن إجمالها فيما يأتي:

- ١- تنمية القيم الفاضلة والمبادئ النبيلة من خلال ما تمتلكه من تنوع في الطرح، وتشويق في الأسلوب، وإثارة في تناول الموضوعات وفي طليعة هذه القيم:

أ. قيم التحاكم إلى الله تعالى ورسوله ﷺ والانعتاق من سلطان الأهواء والنزوات. قال تعالى: { إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }^(٢).

ب. توجيه الأفراد إلى التنافس في العبادة بمفهومها العام الذي يشمل جميع أوجه النشاط الإنساني لا التهاكك على الحطام الزائل. قال تعالى: { وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ }^(٣).

ج. إعلاء موازين الحق والعدل والمساواة والحرية والشورى بدلاً من الظلم والاستبداد. قال تعالى: { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ }^(٤).

(١) ينظر: التربية السياسية لعثمان عبد المعز: ٧٥، موسوعة نظرة النعيم: ١/١٧٩.

(٢) سورة النور: الآية: ٥١.

(٣) سورة المطففين: الآية: ٢٦.

(٤) سورة الشورى: الآية: ٣٨.

- د. الحث على العفو والتواضع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عوضاً عن الخصومة والشقاق والتكبر على الناس^(١). قال تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}^(٢).
- ٢- توجيه السلوك الاجتماعي نحو الأفضل من خلال الندوات والمحاضرات والأفلام والمسلسلات.
- ٣- تكوين الوعي السياسي عن طريق نقل الأخبار وتحليلها، وتفسير معنى الأحداث ووضعها في سياقها الصحيح.
- ٤- تنمية الخبرات والقدرات من خلال الحديث عن أنظمة الحكم وتأريخ الأمم وحياة القادة والزعماء، وتناول الأوضاع المختلفة في حياة البشرية.
- ٥- تنمية الذوق العام وترسيخ قيم الإحساس بالجمال.

(١) ينظر: دستور المهن في الإسلام: ٣٣٥، ٣٣٦.

(٢) سورة الأعراف: الآية: ١٩٩.



المطلب الثالث

الحاجة إلى الإعلام الإسلامي وكيفية النهوض به

انطلاقاً من الأهمية الكبرى والدور التربوي الذي تقوم به وسائل الإعلام والاتصال، ولاسيما في ظل التطور التقني والتكنولوجي المتسارع وظهوره ثورة المعلومات حيث أصبح العالم يشهد في كل يوم ظهور وسيلة إعلامية جديدة أدق من سابقتها وأشد تأثيراً منها، الأمر الذي يؤكد الحاجة الماسة إلى وجود إعلام إسلامي قوي، يستند إلى عقيدة الأمة وثقافتها وقيمها الأصيلة وتراثها الحضاري.

والمراد بالإعلام الإسلامي: تزويد الجماهير بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامي المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ٣ بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة، وبواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة ومتعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها وذلك بغية تكوين رأي عام صائب يعي الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته^(١).

وتستند المطالبة بإعادة صياغة الإعلام وصبغة بالصبغة الإسلامية إلى مسوغات ثلاثة هي:

١- مسوغ منطقي ينطلق من شمول المنهج الإسلامي وتكامله. قال تعالى: {مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} ^(٢).

٢- مسوغ واقعي نتيجة الهجمة الشرسة على الإسلام ولاسيما في وسائل الإعلام المختلفة. قال تعالى: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ} ^(٣).

٣- مسوغ إنساني ناتج عن حاجة البشرية الملحة إلى معرفة الحق والهدى، والخروج من التيه والقلق والاضطراب^(٤). قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } ^(٥).

إن الإعلام الإسلامي الذي ننشده ليس صفحةً في جريدة أو ركناً في مجلة، وليس شريطاً لمحاضرة أو برنامجاً في قناة، إنه شريط وجريدة ومجلة، كما أنه تلفزيون ومسرح ودار سينما، ووسائل متعددة تتوافر لها كافة مقومات النجاح المهنية والمنهجية من إعداد وتنفيذ وإنتاج وإخراج، كل ذلك في إطار الالتزام الكامل بالقيم والثوابت الإسلامية والأسس والمقومات المهنية.

" إن الإعلام الإسلامي - بهذا المفهوم المنهجي - روح تسري في النشاط الإعلامي كله، تصوغه، وتحركه، وتوجهه منذ أن يكون فكرة إلى أن يغدو عملاً منتجاً متكاملًا، مقروءاً كان أو مسموعاً أو مرئياً. وبذلك يصبح الإعلام الإسلامي منهجاً قويمًا تيسر وفقه جميع النشاطات الإعلامية في كافة الوسائل والقنوات دون أن

(١) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العلمية - محي الدين عبد الحليم - طبعة مكتبة الخانجي - القاهرة: ١٤٠.

(٢) سورة الأنعام: الآية: ٣٨.

(٣) سورة الأنبياء: الآية: ١٨.

(٤) ينظر: مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي: ٣١ - ٣٥.

(٥) سورة الأنبياء: الآية: ١٠٧.

يحدد نشاط واحدة منها عن الطريق، أو يتناقض مع النشاطات الأخرى سواءً في الوسيلة الواحدة أو الوسائل المتعددة" (١).

وحتى يتمكن الإعلام الإسلامي من كسب ثقة الجماهير وإيجاد التأثير الإيجابي على المشاهدين لابد أن يتميز عن غيره من وسائل الإعلام الأخرى بعدد من الميزات التي من أبرزها:

١- الالتزام الديني والأخلاقي ومراعاة قيم وتقاليد وثقافة المجتمع. قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (٢).

٢- الصدق والأمانة في نقل الأخبار والأحداث وطريقة عرضها وتحليلها والحكم عليها. قال تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَقُتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ} (٣).

٣- الواقعية في تناول الموضوعات التي تهم الإنسان وتمس جوانب حياته المختلفة. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} (٤).

٤- المرونة والقدرة على مواكبة التطورات المتسارعة في مجال الإعلام وحسن توظيفها.

٥- الانفتاح الواعي على الثقافات والحضارات الأخرى والاستفادة من خبراتها وتشجيع حوار الحضارات. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (٥).

٦- الدقة والموضوعية في نشر الأخبار والأحداث والتعامل معها. قال تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} (٦).

٧- إثارة العمل والإنتاج على الجدل والدعاية والإعلان. قال تعالى: {وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (٧).

٨- الاهتمام بقضايا الأمة المختلفة وإعطائها ما تستحقه من الأهمية.

٩- الشمول في مخاطبة الأفراد والفئات والتوجهات.

١٠- الوضوح والمشروعية في الفكرة والغاية والوسيلة.

١١- الترفيه المباح والترويح النظيف والتسلية الممتعة الهادفة.

(١) مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي: ٣٧.

(٢) سورة النور: الآية: ١٩.

(٣) سورة النحل: الآية: ١١٦.

(٤) سورة الحجرات: الآية: ٦.

(٥) سورة الحجرات: الآية: ١٣.

(٦) سورة النساء: الآية: ٨٣.

(٧) سورة التوبة: الآية: ١٠٥.

وغير ذلك من الميزات والخصائص التي يجب أن يتميز بها الإعلام الإسلامي من عفة في الأسلوب، واستناد إلى المصادر الموثقة، وإنسانية في أداء الرسالة الإعلامية^(١).

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}{^(٢).

إن واقع المؤسسات الإعلامية في الدول العربية والإسلامية واقع مؤلم يتراوح بين التبعية الكاملة للغرب ونقل أفكاره وثقافته والترويج لها، وبين الاشادة بالأنظمة الحاكمة وتبرير سياساتها، وبين الترويج والتسليية وتخدير الأمة، وبين هذا وذاك ضاعت وظيفتها الأساسية وغياب دورها التربوي، إلا أن ذلك لا يعني خلو الساحة من وسائل الإعلام الملتزمة والهادفة وإن كانت قليلة جداً.

وحتى يتم إيجاد إعلام إسلامي فاعل يقوم بمهام التوجيه والتنقيف والتربية ويحافظ على ثقافة الأمة وهويتها، ويوصل رسالتها الحضارية إلى كل بقاع الأرض لابد من عدة أمور:

- ١- الاهتمام بالتأصيل الشرعي لقواعد الإعلام وأصوله وممارساته.
- ٢- بناء سياسة إعلامية مستمدة من عقيدة الأمة وهويتها وقيمتها وتقاليدها، تلبي حاجات الأفراد، وتتواءم مع متغيرات العصر.
- ٣- تشكيل لجنة عليا للإشراف على وسائل الإعلام والاتصال من العلماء والسياسيين والمتخصصين في مجال التربية والثقافة والإعلام.
- ٤- إعداد الكادر الإعلامي المتميز القادر على أداء رسالته الإعلامية بأمانة وموضوعية وكفاءة واقتدار، وتأهيله تأهيلاً متكاملاً يشمل الالتزام العقائدي والأخلاقي، والنضج الفكري، والتخصص المهني، كما يشمل التدوق اللغوي والثقافة العامة.
- ٥- إنشاء معاهد وكليات ومراكز للبحوث الإعلامية ودعمها بكل ما تحتاج إليه من إمكانات بشرية ومادية.
- ٦- توفير الموارد المالية اللازمة التي تتطلبها عملية إعداد وتأهيل الكوادر، وإنتاج وتوزيع البرامج، وإنشاء وتشغيل الوسائل.
- ٧- تحقيق الاستقلال الإعلامي والتحرر من التبعية لوسائل الإعلام الغربية إعداداً وإنتاجاً وإخراجاً وتوزيعاً.
- ٨- التخفيف من سيطرة الأنظمة الحاكمة على وسائل الإعلام وتحقيق الاستقلال المهني.
- ٩- الإسهام الإيجابي في إصلاح أوضاع المؤسسات الإعلامية القائمة وترشيد مسارها، عبر المشاركة الفاعلة في تلك المؤسسات إدارة وإنتاجاً وتقويماً.

(١) يراجع: النظرة الإسلامية للإعلام- محمد كمال الدين إمام- ط: ١- دار البحوث العلمية- الكويت: ١٢٦- ١٤٥، دستور المهن في الإسلام: ٣٢٥- ٣٣٥.

(٢) سورة إبراهيم: الآيتان: ٢٤، ٢٥.

- ١٠- توفير أجواء الحرية المشجعة على الإبداع والابتكار، واحترام الرأي والرأي الآخر، وفتح أبواب الحوار والنقاش حول مختلف القضايا التي تهم الأمة.
- ١١- دعم إنتاج المواد والبرامج الإعلامية المتميزة في مختلف المجالات.
- ١٢- تنويع مصادر المعلومات والحرص على تقديم مادة إعلامية على مستوى عالٍ من الجودة والعمق لتحقيق التأثير المطلوب.
- ١٣- تكثيف البرامج ذات الطابع التربوي الخالص، وترشيد المادة الترفيهية لتحقيق مقاصد التربية.
- ١٤- التركيز على برامج المرأة والطفل والاهتمام بقضايا الأسرة والمجتمع.

هذه باختصار وتركيز أبرز العوامل المؤدية إلى إيجاد إعلام إسلامي فعال، وتحسين أداء المؤسسات الإعلامية القائمة حتى تتمكن من أداء رسالتها والاسهام في تحقيق نهضة الأمة^(١).

(١) يراجع: مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي: ٤١-٤٦، ١٠٢-١٠٨، موسوعة نظرة النعيم: ٨١/١-٨٣.



المبحث الخامس مؤسسات المجتمع المدني

المطلب الأول مفهوم المجتمع المدني وأبرز مكوناته

يقصد بالمجتمع المدني: مجموعة التنظيمات غير الرسمية، القائمة على أساس تطوعي حر، والتي تمارس مهامها في المجال العام بين الأسرة والدولة، وقد شاع استخدام هذا المصطلح في التسعينات ليشمل الأحزاب والنقابات والجمعيات والاتحادات والأندية وغيرها من المؤسسات الأخرى التي لا تخضع للسيطرة التامة من قبل الأسرة أو الدولة^(١).

وينطوي مفهوم المجتمع المدني على ثلاثة مقومات هي: الفعل الإداري الحر، والتنظيم الجماعي الطوعي، وقبول التنوع والاختلاف^(٢).

وتعد الأحزاب والتنظيمات السياسية، والنقابات المهنية والحرفية، والجمعيات الخيرية والتعاونية، والاتحادات الإبداعية، والأندية الرياضية والثقافية.

وتعد هذه المؤسسات من أبرز مكونات المجتمع المدني بمفهومه الحديث، ولعل طبيعة هذه الدراسة تفرض على الباحث التعريف بأبرز مؤسستين من هذه المؤسسات والتي تسهم إسهاماً مباشراً في بناء وإعداد القيادات وهما: الأحزاب والتنظيمات السياسية والنقابات الجماهيرية.

فالحزب في اللغة هو الطائفة، والجماعة من الناس ذوي القوة، ويطلق على المذهب السياسي والعقائدي الواحد^(٣).

أما في الاصطلاح فهو: "اتحاد بين مجموعة من الأفراد في الفكرة والهدف، يسعون للوصول إلى السلطة بقصد تنفيذ اهدافهم المترجمة في برنامج عمل"^(٤).

ومصطلح حزب هو مسمى الأكثر شيوعاً في مجال العمل السياسي إلا أن هناك مصطلحات ومسميات أخرى تعبر عن المضمون نفسه وتعد أكثر شمولاً من هذا المصطلح، ومن ذلك لفظ الجبهة، أو الحركة، أو المنظمة، أو المؤتمر، أو الجماعة، أو التجمع، وغيرها من المصطلحات التي توحى بالتححرر من القيود العقائدية والانضباطية الصارمة المفروض توافقها في الحزب السياسي^(٥).

(١) ينظر: العمل النقابي في اليمن - ط: ١ - مكتبة خالد بن الوليد - صنعاء - اليمن: ١٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٠، ١١.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة - مادة حزب: ٢٤٢، لسان العرب - مادة حزب: ٣٠٨/١.

(٤) الاتجاهات الحديثة في القيادة الإدارية للعبودي: ٤٤١.

(٥) ينظر: الموسوعة العربية العالمية: ١ / ٢٥١، ٢٥٢.

أما النقابة فهي تجمع طوعي يتأسس بالإدارة الحرة لأعضائه، خدمة لمصالحهم ودفاعاً عن قضاياهم، ويدار إدارة ذاتية من خلال مجالس وقيادات منتخبة يختارها أعضاء المنظمة^(١). وتمثل مؤسسات المجتمع المدني تجسيداً حياً للشورى والديمقراطية، كما تعد مؤسسة هامة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية والسياسية.

وتستمد مؤسسات المجتمع المدني شرعيتها من النصوص الشرعية والقواعد الفقهية والمقاصد الإسلامية التي تحث على عمل الخير وتدعو للتعاون على البر والتقوى، ومن ذلك:

١- قوله تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ^(٢). فالآية نص في وجوب إقامة جماعة تدعو إلى الخير وتقوم بواجبات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكل جماعة تنشأ لتحقيق هذه الأهداف الشرعية بالوسائل المشروعة فهي جماعة مشروعة.

٢- قوله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} ^(٣). فالآية نص في وجوب التعاون في مجالات الخير المختلفة التي ينظمها لفظ البر والتقوى، كما أنها نص في تحريم كل تعاون يفضي إلى الظلم والمعصية، ومن ثم فالتعاون من أجل تحقيق المصالح المشروعة وخدمة المجتمع تعاون مشروع يوجب اجتماع الأفراد وتشاورهم في تحديد أوجه التعاون وأهدافها ووسائلها.

٣- إن السعي لنصرة الدين وإقامة الحق والعدل، وإعطاء الحقوق إلى مستحقيها، ورفع الظلم عن المظلومين أمر واجب شرعاً، ولا يتم ذلك إلا بوجود جماعةٍ سواءً مثل ذلك حزياً أو نقابيةً أو اتحاداً إلى غير ذلك من المسميات التي تحمل على عاتقها تحقيق ما سبق ذكره فيكون العمل على إيجادها واجباً؛ انطلاقاً من قاعدة أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ومن هنا يمكن القول أن أي تجمع قام على أساس حزبي أو نقابي أو خيري لتحقيق النفع والخير للأمة ودفع الضرر والشر عنها، والتزم بالمنهج الإسلامي القائم على الوسطية والاعتدال في أهدافه وبرامجه، وسعى إلى تحقيقها بالوسائل المشروعة فهو تجمع شرعي^(٤).

(١) ينظر: العمل النقابي في اليمن: ٩، ١٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ١٠٤.

(٣) سورة المائدة: الآية: ٢.

(٤) يراجع: مشروعية الاحزاب السياسية في الإسلام- عبد الحميد فهمي الجعبة- رسالة ماجستير في التفسير- كلية الشريعة- الجامعة الأردنية: ٤٥.

المطلب الثاني

أهمية مؤسسات المجتمع المدني

يوماً بعد يوم تترسخ القناعات بأهمية التوجه الحقيقي لبناء المجتمع المدني ودعم مؤسساته لمعالجة الآثار المدمرة التي توجدها أنظمة الحكم الدكتاتورية من فقرٍ وجهلٍ ومرضىٍ وتخلفٍ، وحمايةٍ للفساد والمفسدين، وإعاقةٍ لحركة المجتمعات ومسيرة التنمية فيها، فضلاً عن إهدار المواد والعبث بإمكانات الأمة ومقوماتها، وتهديد أمنها وإستقرارها ووحدها الإجتماعية بالخطر، الأمر الذي يتطلب توسيع المشاركة الشعبية ودعم مؤسسات المجتمع المدني.

إن المشاكل التي تعانيها أمتنا اليوم والتي تتنوع بين الفقر والبطالة، والجهل والمرض وتفشي الأوبئة، وبين الاختلال الاجتماعي والفساد السياسي والارتهان الخارجي، وغيرها من المشكلات التي يصعب على الأنظمة السياسية معالجتها دون مشاركة حقيقية وإسهام فعال من قبل الجهات الشعبية في الأمة، وهو ما يحتم تفعيل مؤسسات المجتمع المدني وإتاحة الفرصة أمامها لتنظيم الجهد الشعبي وتفعيله وصولاً إلى تحقيق التكامل المطلوب بين الجهات الرسمية والشعبية. قال تعالى {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} (١).

وتعد مؤسسات المجتمع المدني بمختلف مكوناتها من أبرز المؤسسات التربوية التي تقوم بدورٍ فاعلٍ في تربية الأفراد وإعداد القيادات، وذلك من خلال إسهاماتها المباشرة في عملية التنشئة الاجتماعية والسياسية والفكرية للأفراد، ففيها يتعلم الإنسان فنون المشاركة، والتزام النظام، وإدارة الاجتماعات، ومواجهة المواقف، وفيها يتربى على حب الحرية والعدالة والمساواة، وعلى ممارسة الشورى واحترام الآراء، وعلى أداء الحقوق والشعور بالمسؤولية، فضلاً عن احترام الجماعة والعمل على خدمة المجموع، كما أنه من خلال مؤسسات المجتمع المدني أيضاً تتم بلورة شخصية الإنسان، وترسيخ قناعاته، وتنمية قدراته، وتأهيله تأهيلاً قيادياً مباشراً، زيادةً على دور مؤسسات المجتمع المدني في صناعة الثقافة السياسية للمجتمع من خلال ما تقدمه من برامج ومبادئ وما تقوم به من عمليات التوعية السياسية في مختلف المناسبات.

ونظراً لما تكتسبه مؤسسات المجتمع المدني من أهمية بالغة فقد سعت الأنظمة الحاكمة ولاسيما الشمولية منها إلى كسب هذه المؤسسات ومحاولة احتوائها وتحويلها إلى مجرد أداةٍ من أدوات القمع السلطوي لتقتصر وظيفتها على تبرير سياسات النظام الحاكم والدفاع عن توجهاته وإلا واجهت التضيق والتهميش والإلغاء.

(١) سورة المائدة: الآية: ٢.

المطلب الثاني

وظائف مؤسسات المجتمع المدني ودورها التربوي وكيفية النهوض بها

سبق التعرض لأهمية مؤسسات المجتمع المدني في حياة الأفراد والمجتمعات، وهو أمر يستشف منه الدور الكبير الذي يمكن أن تقوم به هذه المؤسسات كأدوات بناء تسهم في خدمة الأمة وتنميتها وتعزيز وحدتها، لا معاول هدم تستغل لإفساد المجتمع وتشويه الآخرين وتمزيق الأمة، ولن يتحقق ذلك إلا إذا صلحت النيات ووضحت الأهداف وتوفرت الحريات، ويمكن اجمال أبرز الوظائف التي ينبغي أن تمارسها مؤسسات المجتمع المدني فيما يأتي:

- ١- التعريف بالحقوق والواجبات السياسية والاجتماعية والمهنية والدفاع عنها.
 - ٢- رفع مستوى الكفاءة لدى الأفراد والارتقاء بهم روحياً وتربوياً وفكرياً ومهنياً.
 - ٣- العمل على تحسين مستوى الأفراد اجتماعياً وصحياً واقتصادياً.
 - ٤- حماية منتسبيها وصيانة كرامتهم وتوفير فرص العيش الكريم لهم.
 - ٥- إرساء دعائم العمل المؤسسي القائم على احترام النظام والقانون وتطبيق الأنظمة واللوائح.
 - ٦- التنبيه إلى مواطن الخلل في المجتمع، وممارسة النقد الذاتي، والقيام بواجبات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
 - ٧- السعي لإصلاح الأوضاع الفاسدة وقيادة عملية التغيير السلمي في المجتمع.
 - ٨- إعداد الدراسات والبحوث والبرامج العملية والمساهمة في عملية التطوير والتنمية.
 - ٩- تنسيق الجهود الرسمية والشعبية والعمل على إيجاد التكامل بينها.
 - ١٠- تحقيق الاندماج الاجتماعي وتقريب الفوارق بين أفراد المجتمع.
 - ١١- الإسهام في تشكيل الرأي العام والتعبير عن آماله وتطلعاته^(١).
- وانطلاقاً من عموم هذه الوظائف وأهميتها تقوم مؤسسات المجتمع المدني بدور هام في عملية تربية منتسبيها وإعدادهم كقيادات فاعلة للقيام بمهام التوعية والتأثير في الرأي العام وقيادة عملية الإصلاح والتغيير في صفوف المجتمع، حيث تتمثل أبرز جوانب الدور التربوي الذي تقوم به هذه المؤسسات فيما يأتي:
- ١- تنمية قيم العدل والمساواة من خلال توحيد الحقوق والواجبات التنظيمية وإتاحة فرص الانتخاب والترشيح لجميع الأفراد.
 - ٢- تنمية قيم الحرية والشورى من خلال النقاشات المفتوحة، وإتاحة فرص النقد والاعتراض والتعبير عن الرأي.
 - ٣- تنمية المهارات التنظيمية والإدارية من خلال ممارسة عملية التخطيط والتنفيذ والمتابعة والتقويم، والمشاركة في صياغة الأنظمة واللوائح وإقرارها، وإعداد الميزانيات ومناقشتها وإقرارها.

(١) يراجع: علم الاجتماع السياسي: ٢٣٠-٢٣٢، العمل النقابي في اليمن: ١٥، ٣٥، ٣٦، ٦٤، ٦٥، ٩٤.

- ٤- تكوين الوعي السياسي من خلال مطالعة النشرات والصحف والمجلات، ومتابعة الأخبار والأحداث والمواقف وتحليلها، وكذا عن طريق عقد الاجتماعات والمؤتمرات والاحتفالات.
- ٥- إتاحة الفرصة للمشاركة السياسية المنظمة عبر النقد البناء والتعبير عن الآراء، والمشاركة في عملية الانتخاب والترشيح للتكوينات القيادية المختلفة.
- ٦- تنمية جانب الطاعة المبصرة، والانضباط الواعي، واحترام النظام والقانون.
- ٧- التدريب على الحوار والنقاش، وتهيئة مناخات التعايش مع الآخر والقبول به، وتبادل المصالح والمنافع والتعاون على المشترك من الأهداف.
- ٨- تنمية قدرات التفكير والإبداع واتخاذ القرارات^(١).
- وحتى تتمكن مؤسسات المجتمع المدني من أداء وظائفها المتنوعة والقيام بدورها التربوي لا بد أن تتوفر فيها بعض المواصفات ومنها:

- ١- الانطلاق من المنهج الإسلامي بشموله واعتداله في أهدافها ووسائلها، والالتزام به في كافة أنشطتها وبرامجها. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً }^(٢).
- ٢- وجود مرجعية عليا تجمع بين العلم الشرعي والوعي التنظيمي والفهم للواقع، تتولى تحديد الأهداف ورسم السياسات وتحديد المواقف من القضايا. قال تعالى: { وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ }^(٣).
- ٣- وجود قيادة متفرغة تجمع بين العلم الشرعي والوعي التنظيمي، كما تجمع بين الكفاءة الإدارية والفهم للواقع، وتتمتع بالحب والاحترام والقبول من الأفراد. قال تعالى: { إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَزْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ }^(٤).
- ٤- الاستقلال المالي والإداري عن الدولة والتحرر من سيطرة الأنظمة الحاكمة.
- ٥- الجمع بين الوضوح في الأهداف والمشروعية في الوسائل والقدرة على الحركة.
- ٦- التركيز على الأنشطة التربوية والثقافية وجعلها المنطلق إلى عملية التربية المتكاملة للأفراد.
- ٧- توسيع المشاركة الداخلية في الحوار والنقاش، وتشجيع النقد البناء، واحترام الآراء المختلفة.
- ٨- اعتماد مبدأ الانتخاب وسيلة لاختيار القيادات، وضمان حرية الانتخاب والترشيح لكافة المواقع القيادية، والاسهام في عمليات التخطيط والتقويم. قال تعالى: { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ }^(٥).
- ٩- التجديد في القيادة وتحديثها بمدة زمنية، وعدم احتكارها تحت أي مبرر كان.
- ١٠- المرونة والانفتاح والقدرة على استيعاب المتغيرات والتعامل مع المواقف المختلفة.

(١) تراجع: التربية السياسية لعثمان عبد المعز: ٧٣، ٧٤، العمل النقابي في اليمن: ١٢، ١٣، ١٠٠، ١٠٤.

(٢) سورة الأنعام: الآية: ٣٨.

(٣) سورة البقرة: الآية: ٢٠٨.

(٤) سورة القصص: آي: ٢٦.

(٥) سورة الشورى: الآية: ٣٨.

المبحث السادس مؤسسات التدريب والتأهيل القيادي

المطلب الأول مفهوم التدريب ودعائمه

التدريب في اللغة: من الدربة وهي: التجربة، ويطلق على التعويد والمران^(١).

واصطلاحاً هو: "عبارة عن نشاط منظم يركز على الفرد لتحقيق تغير في معارفه وقدراته لمقابلة احتياجات محددة في الوضع الحاضر أو المستقبلي، في ضوء متطلبات العمل الذي يقوم به المرء، وفي ضوء تطلعاته المستقبلية للوظيفة التي يقوم بها في المجتمع"^(٢).

كما يعرف بأنه: "مجموعة من البرامج المهمة بالتعليم وتحسين أداء المتدرب ومهاراته الفنية"^(٣). ومن خلال التعريفين السابقين يتضح أن التدريب عملية مكونة من جانبين: نظري وعملي، كما أنها عملية مستمرة تهدف إلى إعداد القيادات المختلفة، والرفع من كفاءتها وقدرتها على أداء مهامها بفعالية واقتدار، وهو بذلك يشمل الجانب العملي من عملية الإعداد والتأهيل والتي تنقسم إلى جانب نظري وآخر عملي وكلاهما مرتبط بالآخر^(٤).

وفي ضوء ما سبق يمكن استنتاج أبرز المكونات الأساسية لعملية التدريب وتحديدها فيما يأتي:

- ١- زيادة وتطوير المعارف والمعلومات.
 - ٢- زيادة وتنمية المهارات اللازمة لأداء العمل.
 - ٣- محاولة التأثير على سلوك واتجاهات المتدرب بما يتفق وصالح العمل.
 - ٤- رفع مستوى الأداء للفرد والمنظمة التي ينتمي إليها.
 - ٥- أن تتم عملية التدريب بأسلوب عملي مخطط في كافة مستوياتها^(٥).
- وتعد عملية التدريب نتاجاً طبيعياً لتفاعل عناصر أساسية ثلاثة هي:**
- ١- المدخلات: وتشمل القوى البشرية من قدرات ورغبات واتجاهات وأنماط وسلوك، والموارد المالية من اموال ومعدات وتجهيزات ومواد أولية، زيادة على المواد المعنوية من قيم ومعتقدات وأساليب.
 - ٢- العمليات: وتتضمن تحديد الأهداف والاحتياجات التدريبية، وتصميم البرامج وتنفيذها وتقييمها.

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة- مادة درب: ٣٣٥، لسان العرب -مادة درب: ٣٧٤/١.

(٢) حول التربية والتعليم- د. عبد الكريم بكار- ط: ١- دار المسلم للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية: ٣٩٨.

(٣) دليل التدريب القيادي: ١١.

(٤) ينظر: التدريب وأهمية في العمل الإسلامي - د. محمد موسى الشريف - ط: ٢- دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع: ٢٧.

(٥) ينظر: الاتجاهات الحديثة في القيادة الإدارية للعبودي: ٢٤٦.

٣- المخرجات: وتتمثل في القوى البشرية المدربة، وتحسن مستوى وكمية الإنتاج، وتطور الخدمات والعلاقات^(١).

إن عملية التدريب في مفهومها العام تقوم على أساس أن النفس الإنسانية قابلة للإصلاح والتغيير عن طريق التزكية والتهديب والتربية. قال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} (٣).

وتشمل مؤسسات التدريب والتأهيل القيادي جميع المؤسسات المعنية بموضوع التدريب والتأهيل رسمية وغير رسمية مثل الجامعات والكليات والمعاهد، ومراكز البحوث والدراسات، وغيرها من معاهد ومراكز التدريب والتنمية البشرية.

وهناك عدد من الدعائم والمقومات التي تركز عليها عملية التدريب من أبرزها:

١- القياس العلمي للاحتياجات التدريبية:

ويقصد به مجموع التغيرات المطلوب إحداثها في المتدرب، والمتعلقة بمعلوماته وخبراته وسلوكه ومهاراته واتجاهاته، ويمكن التعرف عليها من خلال بيانات المتدرب، وملاحظات الرؤساء والأتباع والجهات المتعاملة معه.

٢- تخطيط المناهج:

ويقصد به تحديد الأهداف والوسائل والمضامين التي يمكن من خلالها الوصول بالمتدرب إلى المستوى المطلوب، مع مراعاة الواقعية والموضوعية والاحتياجات التدريبية والتقييم المستمر.

٣- الاهتمام بالمدرّب:

وذلك باختياره اختياراً دقيقاً يقوم على الموضوعية مع مراعاة مقوماته الخاصة وإمكاناته الذاتية.

٤- توفير الإمكانيات:

وتشمل الإمكانيات المادية والمعنوية التي يتوقف على توفرها تنفيذ عملية التدريب وإنجاحها.

٥- الحوافز المتعلقة بالمدرّب والمتدرب:

فالمدرّب لا يتطلع إلى مجرد التنمية الشخصية فقط وإنما يتطلع إلى أنواع التحفيز المادية والمعنوية التي تجعل من التدريب نشاطاً فعالاً يثير حماسه ويرضى طموحه، وكذلك المدرّب الذي تمثل الحوافز بالنسبة له دافعاً للاطلاع والابداع^(٣).

(١) ينظر: مهارات لا بد منها للصعود إلى القمة- محمد فتحي- طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة: ٩٥، ٩٦.

(٣) سورة الشمس: آيات: ٧- ١٠.

(٣) ينظر: الاتجاهات الحديثة في القيادة الإدارية للعبودي: ٢٥٥.

المطلب الثاني

أهمية التدريب والحاجة إليه

تعد عملية التدريب والتأهيل من أهم الأمور التي يحتاج إليها الإنسان حتى يتمكن من القيام بواجباته المختلفة ولاسيما مع تطور مجالات الحياة وتغير أساليبها باستمرار، ومن المعلوم أهمية دور البيئة وتأثيرها الكبير في حياة الإنسان، حيث أصبح ما يتعلمه الإنسان من علوم ومعارف وما يكتسبه من قدرات ومهارات أهم بكثير مما يرثه عن آبائه من ذكاء وقدرات.

إن العالم اليوم يسعى بقوة للوصول إلى القمة في كل جوانب الحضارة المادية، ويبدل بسخاء في سبيل هذا الأمر، ولذلك تتعدد المؤسسات العاملة في حقل التجارب والمخترعات، وفي مجال الدراسات والبحوث، وفي ميادين الإعداد والتأهيل، كل ذلك بهدف الارتقاء بقدرات الإنسان وتطوير أدائه وزيادة مستوى الإنتاج وتحسين نوعيته^(١).

وتتبع الحاجة إلى عملية التدريب والتأهيل من عدة اعتبارات أهمها:

- ١- اكتساب العلوم والمعارف الجديدة في مجال العمل وتفعيل القديم منها.
 - ٢- الارتقاء بالمستوى المعيشي للأفراد والمجتمعات.
 - ٣- استيعاب التقنيات الحديثة والمتطورة للاستفادة منها في واقع الحياة.
 - ٤- تعزيز الثقة بالنفس والقدرة على الانطلاق والإبداع.
 - ٥- تحسين مستوى الأداء والإنتاج بما يعود بالفائدة على الفرد والمجتمع.
- ولعل أبرز الجوانب التي يجب أن تركز عليها عملية التدريب تتمثل فيما يأتي:

١- تنمية المعارف والمعلومات:

ويقصد بها تطوير مدارك الفرد بتزويده بكافة المعلومات عن العمل ولوائحه وطرقه، وتحديد الاختصاصات والمسؤوليات والواجبات، وكيفية التعامل مع الآخرين.

٢- تنمية المهارات والقدرات:

- ويقصد بها تطوير قدرات واستعدادات الفرد لأداء المهام الموكلة إليه بكفاءة واقتدار ويشمل ذلك:
- أ. المهارات الفنية: للإلمام بطبيعة العمل.
 - ب. المهارات الإدارية: لإدارة المنظمة التي يقودها إدارة عملية صحيحة.
 - ج. المهارات الإنسانية: لإقامة علاقات إيجابية مع الأتباع ومع الجهات الأخرى.
 - د. المهارات العقلية: لتنمية القدرة على الإبداع والابتكار واتخاذ القرار.

(١) ينظر: التدريب وأهميته في العمل الإسلامي: ٣١-٣٤.

٣- تنمية السلوك والاتجاهات:

ويقصد بها مجموعة العوامل الذهنية التي تتفاعل مع بعضها لتكوين آراء معينة، وتحسينها بما يمكن القائد من اتخاذ المواقف الإيجابية، خلال أدائه العملي من خلال الحماس والإخلاص والتفاني في الإنجاز، وتسخير كافة الطاقات والإمكانات في خدمة العمل وتحقيق أهدافه والتعاون مع كل من يعمل لتحقيق هذه الأهداف^(١). وانطلاقاً مما سبق فإنه لا يكفي اختيار أكفأ الأشخاص لشغل المواقع القيادية، بل يجب أن تستمر عملية التدريب والتأهيل للارتقاء الدائم بهم، وأن تشمل جميع المستويات القيادية. ومما يؤكد أهمية التدريب وضرورته ما يفرضه الواقع وتميله ظروف ندرة أو انعدام القائد الفعال، بسبب عدم القدرة على اكتشافه أو عدم إتاحة الفرصة له لإبراز مواهبه وقدراته، أو بوضعه في المكان غير المناسب. وقد مثلت عملية التدريب والتأهيل معلماً بارزاً في تربية الله U لأنبيائه ورسوله عليهم السلام وإعدادهم لقيادة البشرية وتحمل تبعات الرسالة، ومن أبرز طرائق هذا التدريب ما يأتي:

١- رعي الغنم:

وذلك حتى يتدربوا على قيادة الأمم وسياستها نتيجة ما يكتسبونه من الصفات القيادية في عملية الرعي من يقظة ووعي، وصبر وقوة تحمل، وشجاعة وأمانة، وحلم ورحمة، وعناية بالضعيف، فضلاً عن حسن السياسة، والحرص على الرعية، وهدوء البال، والتمتع بجمال الصحراء^(٢). ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة t أن رسول الله r قال: (ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم. فقال أصحابه: وأنت؟ قال: نعم كنت أراعى الغنم). قرأ ريط^(٣) لأهل مكة^(٤).

قال ابن حجر رحمه الله: "قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم من الحلم والشفقة لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى ونقلها من مسرح إلى مسرح ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها فجبوا كسرها ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة لما يحصل لهم من التدريب على ذلك برعي الغنم.

وخصت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقياداً من غيرها"^(٥).

(١) ينظر: الاتجاهات الحديثة في القيادة الإدارية للعبودي: ٢٤٧.

(٢) ينظر: تأملات في سيرة الرسول ٣: ١٧-١٩، محمد رسول الله لمحمد الصادق عرجون: ١/١٧٧، السيرة النبوية لأبي فارس: ١٢-١٣٠.

(٣) القيراط: جزء من الدينار أو الدرهم. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤/٢٤، وفتح الباري: ٣/١٩٤.

(٤) صحيح البخاري - كتاب الإجارة - باب رعي الغنم على قرابط: ٢/٧٨٩ رقم (٢١٤٣).

(٥) فتح الباري: ٤/٤٤١.

٢- الخلوة مدة من الزمن:

وذلك حتى يصفو القلب، وتسمو الروح، ويتجمع الفكر، وتقوى العزيمة، فيكون الإنسان أقدر على مواجهة المواقف وتحمل أعباء الرسالة. قال تعالى: {وَوَاعِدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} (١).

يقول سيد قطب رحمه الله: "كانت فترة الإعداد ثلاثين ليلة أضيفت إليها عشر، فبلغت عدتها أربعين ليلة يروض موسى فيها نفسه على اللقاء الموعود، وينعزل فيها عن شواغل الأرض ليستغرق فيها في الخالق الجليل، وتصفو روحه وتستشف وتستضيء، وتتقوى عزمته على مواجهة الموقف المرتقب وحمل الرسالة الموعودة" (٢).

وأما رسول الله ﷺ فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن: (أول ما بدء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء، فينحس فيه - وهو العبد - الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله وينزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فينزود مثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء) (٣).

يقول سيد قطب رحمه الله: "وأما محمد ﷺ فقد مثلت عزلته في غار حراء للتأمل والتفكير في حال نفسه وقومه والكون من حوله جانباً من هذا الإعداد الإلهي له " وكان اختياره ﷺ لهذه العزلة طرفاً من تدبير الله له ليعده لما ينتظره من الأمر العظيم، ففي هذه العزلة كان يخلو إلى نفسه، ويخلص من زحمة الحياة وشواغلها الصغيرة، ويفرغ لموجهات الكون، ودلائل الإبداع، وتسبح روحه مع روح الوجود وتتعانق مع هذا الجمال وهذا الكمال وتتعامل مع حقيقته الكبرى وتمترن على التعامل معها في إدراك وفهم ولا بد لأي روح يراد لها أن تؤثر في واقع الحياة البشرية فتحولها وجهة أخرى لا بد لهذه الروح من خلوة وعزلة بعض الوقت، وانقطاع عن شواغل الأرض، وضجة الحياة، وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة...

وهكذا هيأ الله لمحمد ﷺ وهو يعده لحمل الأمانة الكبرى، وتغيير وجه الأرض، وتعديل خط التاريخ، هيأ له هذه العزلة قبل تكليفه بالرسالة بثلاث سنوات. ينطلق في هذه العزلة شهراً من الزمان، مع روح الوجود الطليقة، ويتدبر ما وراء الوجود من غيب مكنون، حتى يحين موعد التعامل مع هذا الغيب عندما يأذن الله ﷻ (٣).

(١) سورة الأعراف: الآية: ١٤٢.

(٢) في ظلال القرآن: ٣/١٣٦٧.

(٣) سبق تخريجه: ص ٩٣.

(٣) في ظلال القرآن: ٦/٣٧٤١.

٣- الصلاة الطويلة:

وذلك حتى يتم التعود على تحمل المشاق والتدريب على تذليل الصعاب، والانتصار على شهوات النفس وملذاتها. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمَرْمُلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا} (١).

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله في معرض شرحه لهذه الآيات: "إنها دعوة السماء، وصوت الكبير المتعال، قم.. قم للأمر العظيم الذي ينتظرك، والعبء الثقيل المهياً لك، قم للجهد والنصب والكد والتعب، قم فقد مضى وقت النوم والراحة، قم فتهيأ لهذا الأمر واستعد... ولقد عرف رسول الله ٣ حقيقة الأمر وقدره، فقال لخديجة رضي الله عنها وهي تدعوه أن يطمئن وينام: "مضى عهد النوم يا خديجة"! أجل.. مضى عهد النوم وما عاد منذ اليوم إلا السهر والتعب والجهد الطويل الشاق...

إنه الإعداد للمهمة الكبرى بوسائل الإعداد الإلهية المضمونة: قيام الليل، أكثره: أكثر من نصف الليل ودون ثلثيه، وأقله: ثلث الليل" (٢).

٤- التدريب بالمواقف والأحداث:

ومن ذلك إعداد الله U موسى U للدعوة والرسالة، وتكليفه بتحرير بني إسرائيل ومواجهة فرعون وجنوده، وهي مهمة جسيمة تحتاج إلى إعداد طويل وتدريب شاق وجهد كبير، ولذلك تمت عملية تدريبية U قبل البعثة وأثناءها، حيث تم تدريبه بالأحداث خلال سنوات وجوده في مدين لدى شعيب U، وتم اصطفاؤه وتكليفه بالرسالة في مشهد مهيب يمثل نوعاً من التدريب على مواجهة هيبة فرعون وطغيانه، كما تم تدريبه على كيفية مخاطبة فرعون والتعامل معه رغم قدرة الله U على تثبيته دون تدريب (٣).

قال تعالى: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى * وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى * لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى * أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى} (٤).

وقال تعالى: {أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى * فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى} (٥).

(١) سورة المزمل: الآيات: ١- ٦.

(٢) في ظلال القرآن: ٣٧٤٤/٦.

(٣) ينظر: التدريب وأهميته في العمل الإسلامي: ٧٩، ٨٠.

(٤) سورة طه: الآيات: ١٧- ٢٤.

(٥) سورة طه: الآيات: ٤٣- ٤٧.

وبهذه الأساليب من رعي للغنم، وعزلة وقتية عن مشاغل الحياة، وصلاة طويلة، وتدريب بالأحداث وغير ذلك من الأساليب تمت عملية تربية الله U وإعداده لأنبيائه ورسله عليهم السلام وتدريبهم للقيام بواجبات الدعوة والرسالة وقيادة البشرية^(١).

وقد أهتم النبي ٣ وصحابته الكرام والسلف الصالح رضوان الله عليهم بعملية التدريب والتأهيل في جوانبها المختلفة، ومن ذلك تدريبه ٣ لمعاذ بن جبل t على كيفية التعامل مع أهل اليمن قبل بعثته إليهم، وتدريبه ٣ الصحابة y على القضاء والفتوى وإدارة شؤون الحياة والاستعداد للجهاد، وكذا تدريب عمر لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما على القضاء، وتدريبه الرعية على القوة والاختيشان^(٢).

(١) يراجع: التدريب وأهميته في العمل الإسلامي: ٦٥ - ٨٢.

(٢) يراجع: المصدر نفسه: ٨٣ - ١٠١.



المطلب الثالث أنواع وأساليب التدريب الفعالة

المنهج القرآني في التربية القيادية منهج منفتح يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويستفيد من نتائج العلوم الحديثة في شتى مجالاتها، ومن هنا وجب على القائمين عليه استيعاب مختلف الفنون والمهارات المؤدية الى تحقيق أهداف هذا المنهج وفي مقدمة ذلك أنواع وأساليب التدريب الفعالة التي تمثل عاملاً مهماً من عوامل إنجاح التربية القيادية.

وهناك تقسيمات عديدة لأنواع التدريب الفعالة إلا أن أشهرها يقسم التدريب بحسب المدة الزمنية وبحسب التوزيع الجغرافي للمتدربين وفئاتهم وتخصصاتهم^(١). وتجمع الدول المتقدمة بين هذه البرامج على تعدد أنواعها واختلاف مضامينها وأساليبها، بهدف تطوير الأداء الإداري، وتنمية القدرات القيادية لدى الأفراد^(٢).

وتتنوع طرائق وأساليب التدريب الفعال لتشمل عدداً من الأساليب التي من أبرزها:

١ - المحاضرة:

وهي عبارة عن حديث يلقيه شخص محدد له إمام بالموضوع المطروح، بحيث يقدم مختلف النقاط في تسلسل منطقي ليصل إلى نتيجة ما.

٢ - الندوة:

وهي حديث يشترك فيه عدد من المختصين القادرين على عرض الموضوع من جميع جوانبه، بحيث يتولى كل منهم عرض جانب معين أو تقديم وجهة نظر حول الموضوع، ويتولى مدير الجلسة إدارة وتنظيم المناقشات والأسئلة حول الموضوع.

٣ - المحاورة:

وتجري بين متحاورين اثنين يقوم كل منهما بعرض موقفه من القضية المطروحة، ويسعى لشرح أفكاره وإفهامها للحاضرين.

٤ - المناظرة:

أحد أساليب المشاركة الجماعية، وتجري بين شخصين أو أكثر، ويقوم كل منهما بعرض وجهة نظره حول الموضوع المطروح ساعياً إلى إقناع الآخرين بها والحصول على تأييد الحاضرين.

٥ - المؤتمر:

ويستخدم عادة لتدارس مشكلة، أو مناقشة قضية، أو اتخاذ موقف، ويراعي فيه التوزيع المسبق لبرنامج العمل المحدد لجميع البرامج والفعاليات، والمشتمل على كافة الوثائق والأدبيات.

(١) تراجع: دليل التدريب القيادي: ٢٩٧-٣٠٢.

(٢) ينظر: أسس التدريب الإداري - يوسف محمد القبلان - ط: ١ - دار عالم الكتب - الرياض - السعودية: ٣٠، ٣١.

٦- الحلقات الدراسية:

وهي نشاط موجه نحو مواضيع تطرح للمناقشة، بهدف تثقيف المشاركين بشأن قضية تحظى بالاهتمام وفق برنامج معين يتكون من مجموعة محاضرات وندوات، وقد يحتوي على ورش عمل مصغرة.

٧- ورش العمل:

وهي عبارة عن لقاء عمل يشترك فيه جميع المتدربين بشكل فعال، لتطبيق ما تعلموه من معارف نظرية وما يمتلكونه من مهارات عملية في بيئة مماثلة لبيئة العمل الفعلية.

٨- دراسة الحالات:

ويقصد بها تركيز اتجاه المتدربين على موقف معين، بتسجيل هذا الموقف الواقعي بكل أبعاده ومشكلاته ووصفه وصفاً دقيقاً، مع عرض كامل للحقائق والآراء والمواقف التي بنيت عليها الآراء والقرارات دون عرض النتائج؛ لتشجيع المناقشة والتعبير الناقد، وتحسين القدرة على حل المشكلات.

٩- تمثيل الأدوار:

هو عرض تمثيلي قصير لتجسيد أو تشخيص مشكلة أو موقف ما، بحيث تمثل مدخلاً للمناقشة وإثارة الانتباه والاهتمام.

١٠- المباريات الإدارية:

تتمثل في تقسيم المتدربين إلى مجموعات صغيرة تمثل كل منها منظمة أو جماعة، وتعطى لكل منها معلومات محددة عن طبيعة العمل وظروفه لتتخذ بشأنها القرارات المناسبة.

ويقوم المدربون خلال هذه المباريات بمراجعة القرارات التي تتخذها كل مجموعة وتقييمها في نهاية كل جولة بشكل سري، ثم يعاد دراسة الموقف نفسه واتخاذ قرارات جديدة بشأنه، وهكذا تستمر العملية لعدة جولات يتم بعدها إعلان النتيجة في نهاية المباراة وتحديد المجموعة التي وفقت لاتخاذ قرارات سليمة.

ولكل من هذه الطرائق والأساليب التدريبية وشروطها الخاصة، ومميزاتها المتفردة، وعيوبها المستقلة^(١).

ويتوقف اختيار أساليب التدريب المناسب على عدد من الأسس وهي:

- ١- الأهداف التدريبية المراد تحقيقها.
- ٢- طبيعة المتدربين واتجاهاتهم، ومستوياتهم العلمية.
- ٣- إعداد المتدربين، ومواصفات المجموعات.
- ٤- نوع البرنامج التدريبي.
- ٥- مناسبة الأسلوب التدريبي للمتدربين.
- ٦- شخصية المدرب ومدى إلمامه بموضوع التدريب وأساليبه وكيفية التعامل مع الآخرين.
- ٧- الجوانب المادية المتعلقة بنفقات البرنامج والوسيلة التدريبية^(٢).

(١) ينظر: الاتجاهات الحديثة في القيادة الإدارية للعبودي: ٢٧٠-٢٧٨، دليل التدريب القيادي: ٣١٠-٣٢٢، أسس التدريب الإداري: ٣١٢-٣١٩.

(٢) ينظر: الاتجاهات الحديثة في القيادة الإدارية للعبودي: ٢٦٥، دليل التدريب القيادي: ٣١٠.



المطلب الرابع

سمات برامج التدريب الناجحة وخطوات تصميمها

تتفاوت البرامج التدريبية من حيث نسبة نجاحها ودرجة تحقيق الأهداف المرجوة منها، تبعاً لتفاوت الإعداد والتهيئة وتوفر مقومات النجاح اللازمة.

ويمكن إجمال أبرز سمات البرنامج التدريبي الناجح في الآتي:

- ١- وضوح الأهداف المراد تحقيقها وموضوعيتها وواقعيتها وقابليتها للتطبيق والقياس.
- ٢- استمرارية التدريب للارتقاء بالمتدربين، الأمر الذي يعني أهمية التخطيط المستقبلي طويل المدى، وضرورة توفر قاعدة بيانات متكاملة عن المدربين والمتدربين.
- ٣- شمول عملية التدريب لجميع الفئات والمستويات والأعمار والتخصصات.
- ٤- مواكبة التطورات والمتغيرات في مجال التدريب وأساليبه.
- ٥- تلبية احتياجات المتدربين الفعلية.
- ٦- مراعاة خصوصيات المتدربين من مستوى تعليمي ودرجة استيعاب وغيرها.
- ٧- الاشتراك الفاعل للمتدربين في برنامج التدريب تخطيطاً وتنفيذاً وتقسيماً^(١).

أما خطوات تصميم البرنامج التدريبي فتتمثل في الآتي:

- ١- تحديد الهدف المراد تحقيقه بالنص على السلوك المراد تغييره وكتابته في عناصر، ليتم على ضوء ذلك تحديد الموضوعات والمعارف والمواد التدريبية المحققة للهدف.
- ٢- تحديد المدة الزمنية التي يستغرقها إحداث التغيير المطلوب في السلوك.
- ٣- تحديد نوعية التدريب المطلوب تصميمه بناءً على عدد الأفراد ونوعياتهم، والهدف المراد تحقيقه، ومكان وزمان التدريب، والإمكانات المالية والبشرية المتوفرة.
- ٤- تحديد أساليب التدريب المتاحة والملائمة لنوعية التدريب مع مراعاة العوامل المؤثرة في ذلك.
- ٥- تحديد وسائل الإيضاح المطلوب توافرها عند التنفيذ.
- ٦- تحديد عدد المتدربين ونوعياتهم والشروط الواجب توافرها فيهم.
- ٧- تحديد معايير تقويم برنامج التدريب وطرق التقويم ومجالاته.
- ٨- تحديد الأفراد المكلفين بتنفيذ برنامج التدريب عموماً والمواد التدريبية خصوصاً مع مراعاة الشروط الواجب توافرها فيهم.
- ٩- إعداد مواد البرنامج التدريب، ومتابعة المكلفين بالإعداد والتأكد من قيامهم بذلك وفقاً للأساليب العلمية المتبعة.
- ١٠- تحديد التكلفة المالية لكل جانب من جوانب البرنامج وصولاً إلى تحديد الميزانية المقترحة لتنفيذ برنامج التدريب عموماً^(٢).

(١) ينظر: دليل التدريب القيادي: ٢٩١-٢٩٤، مهارات لا بد منها: ٩٦، ٩٧.

(٢) يراجع: مهارات لا بد منها: ٩٨-١٠٧.

الخاتمة

الخاتمة

بعد أن تناولت الدراسة في فصولها السابقة موضوع التربية القيادية في المنهج القرآني مفهوماً وأهميةً وأهدافاً، جوانب وأساليب ومؤسسات هاهي توشك على الانتهاء، الأمر الذي يدفع الباحث لتسطير أبرز النتائج التي توصل إليها والتوصيات التي خرج بها من خلال دراسته لهذا الموضوع والمتمثلة فيما يأتي:

أولاً : النتائج:

- ١- أن المنهج والمنهاج بمعنى واحد وهو السبيل أي الطريق الواضح.
- ٢- تظهر الدراسة أن المنهج القرآني في التربية القيادية يعني جملة القواعد التي وضعها القرآن الكريم، والخطة التي رسمها وسار عليها في عملية بناء وإعداد القيادات وتأهيلها للقيام بواجبها في قيادة الأمة والارتقاء بها في مجالات حياتها المختلفة.
- ٣- تؤكد الدراسة أن عملية التربية إنما تهدف في معناها العام إلى الحفاظ على فطرة الناشئ ورعايتها وتنمية مواهبه وقدراته وتوجيهها نحو الأفضل في تدرج مستمر يهدف إلى الارتقاء بها، كما تؤكد على أن هناك فرقاً كبيراً بين الرعاية والتربية ففي حين يقتصر دور الرعاية على إشباع الحاجات المادية للإنسان تمتد مهمة التربية لتشمل الحاجات الروحية والمادية على حد سواء.
- ٤- تؤكد الدراسة على أن المكان الطبيعي للقائد هو المقدمة ليكون دليلاً لمن يقودهم إلى الخير، وقدوة لهم في التزامه وسلوكه وتميزه، وهذا ما يفهم من المعنى اللغوي للقيادة.
- ٥- أن المدخل الفردي للقيادة يعيد القدرة عليها والنجاح فيها إلى شخصية القائد والسمات التي يتمتع بها، بينما يعيدها المدخل الاجتماعي إلى تأثير الجماعة في الموقف القيادي وقدرة القائد على إشباع الحاجات الأساسية للاتباع ، في الوقت الذي يؤكد فيه المدخل التوفيقي على أن القيادة عملية تفاعل اجتماعي بين شخصية القائد وكافة المتغيرات المحيطة بالموقف القيادي ولاسيما ما يتعلق منها بمجموعة التابعين ولاشك أن هذا المدخل هو الأقرب إلى طبيعة المنهج القرآني.
- ٦- تؤكد الدراسة أن القيادة ظاهرة اجتماعية تقوم على وجود جماعة من الناس يقودها شخص مؤثر نحو تحقيق الأهداف المشتركة التي تجمع بين أفرادها، وأن الأتباع هم العنصر الأساس في العملية القيادية والشيء الوحيد الذي يشترك فيه جميع القادة، الأمر الذي يوجب على القائد معرفة أتباعه معرفة تامة والعمل على الارتقاء الدائم بهم والاستفادة من طاقاتهم وإمكاناتهم.
- ٧- تظهر الدراسة أن أهمية التربية القيادية تنبثق من أهمية القيادة وخطورة دور القائد ، والأزمة التي تعانيها الأمة في مجال القيادة، فضلاً عن الضرورات التي يفرضها الواقع ، والاهتمام المتزايد من الأمم الأخرى

- بتربية وإعداد القيادات، كما تظهر أن أبعاد الأزمة التي تعانيها الأمة في مجال القيادة اليوم تتمثل في سيطرة الجهل والتخلف، وضعف استشعار المسؤولية، فضلاً عن غياب الفاعلية وضعف الأداء.
- ٨- إن التربية القيادية بكل جوانبها وأبعادها ومحتوياتها تهدف إلى إعداد القيادات المؤمنة الفاعلة لتكون ربانية الغاية والوجهة قادرة على الجمع بين متطلبات العبودية لله ﷻ والقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض.
- ٩- قيام التربية القيادية على الوسطية والاعتدال والتوازن والبعد عن الغلو والتشدد، وقابليتها للتحقيق في واقع الحياة والتفاعل الإيجابي مع جوانبها المختلفة.
- ١٠- تؤكد الدراسة على واقعية التربية القيادية في نظرتها للشخصية الإنسانية من خلال مراعاة الطبيعة البشرية التي تجمع بين الروح والمادة، ومراعاة الطاقات والإمكانات والفروق الفردية والتنوع بين الأفراد، فضلاً عن مراعاة التفاوت الفطري والظروف المحيطة بالإنسان.
- ١١- تظهر الدراسة أن أهم مظاهر التدرج والمرحلية في عملية بناء وإعداد القيادات تشمل التدرج في تنقية الشوائب وإزالة العادات الجاهلية والتدرج في التكاليف، وكذا التدرج في مراحل التربية ومنهج الإعداد.
- ١٢- تظهر الدراسة أن أهم الأهداف التي تسعى التربية القيادية إلى تحقيقها تتمثل في بناء وإعداد القيادات، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، بالإضافة إلى إتقان الأداء، وأن أبرز الأسس التي تقوم عليها عملية البناء والإعداد القيادي تتمثل في العقيدة والعبادة والأخلاق والعلم.
- ١٣- تؤكد الدراسة على أن العقيدة الراسخة أساس القيادة الناجحة، وأنه لا يمكن أن يكون هناك قائد فعال بدون عقيدة يؤمن بها ويتصرف وفق تعاليمها بغض النظر عن صحة هذه العقيدة من بطلانها.
- ١٤- تؤكد الدراسة أن دائرة العبادات واسعة رحبة تشمل جميع مظاهر النشاط الإنساني بما فيها الشعائر التعبديّة، فهي ليست طقوساً تؤدي وإنما هي روح تسري في النفس لتضبط إيقاع الحياة وفق هدى الله تعالى.
- ١٥- تؤكد الدراسة على أن أهم العلوم التي يجب التركيز عليها خلال مرحلة الإعداد والتأهيل القيادي هي العلوم الإنسانية المتمثلة في علوم الشريعة والفلسفة والأدب والتاريخ، وعلوم الاجتماع والنفوس والتربية والإدارة، بالإضافة إلى عرض التجارب البشرية مع التركيز على عوامل النجاح والإخفاق فيها.
- ١٦- تؤكد الدراسة على إمكانية اكتساب القدرات والمهارات القيادية إذ أن القيادة في حقيقتها مزيج متكامل من الفطرة والموهبة والعلم والفن، الأمر الذي يعني أن القادة يصنعون ولا يولدون إلا أن الأمر يعتمد على مدى توفر الموهبة والاستعداد القيادي لدى الأفراد.
- ١٧- قلة عدد الشخصيات التي تتمتع بالاستعداد القيادي أو التي تتوفر فيها المعايير القيادية المطلوبة وبالتالي ندرة المؤهلين للقيادة، الأمر الذي يتطلب جهوداً أكبر في البحث والتنقيب عن هذه الشخصيات ومن ثم تربيتها التربية القيادية اللازمة.



- ١٨- توضح الدراسة أن الجماهير من أفراد الأمة على استعداد للسير خلف من يتقدمها أو يؤثر فيها، وعلى استعداد كذلك للتصفيق لكل ظالم والتهاتف لكل مستبد، كما أنها مستعدة للتضحية بمن يقودها عند وجود من هو أقوى منه دون اعتبارٍ لمدى أهليته وكفاءته؛ الأمر الذي يتطلب إعادة تربيتها وتأهيلها حتى تتمكن من اختيار قادتها من ذوي القدرة والكفاءة والتضحية معهم، كما يتطلب من ذوي الاستعداد القيادي تأهيل أنفسهم والتقدم لخدمة أمتهم.
- ١٩- تظهر الدراسة أن عملية التربية والإعداد القيادي يجب أن تمر عبر مرحلتين الاصطفاء والانتقاء ثم الإعداد والتأهيل ، وأن مرحلة الاصطفاء والانتقاء مرحلة مهمة يجب أن تقوم عليها شخصيات مؤهلة تتصف بالالتزام العقائدي والأخلاقي وتمتلك القدرة والكفاءة، ولديها من الخبرة والمعرفة ما يمكنها من النجاح في اكتشاف المواهب والقدرات وتحديد ذوي الاستعداد القيادي وتهيئتهم لمرحلة الإعداد والتأهيل.
- ٢٠- تؤكد الدراسة على أن مفهوم الاصطفاء والانتقاء في المفهوم القرآني لا يقصد به اعتزال المجتمع والسلبية في مواجهة القضايا ، وإنما وإنما يقصد به الاختيار الموفق للأفراد والتهيئة المتكاملة لهم مع الإيجابية في التعاطي مع القضايا المختلفة والاختلاط الفاعل بأفراد المجتمع.
- ٢١- تظهر الدراسة أن عملية الاصطفاء والانتقاء سنة إلهية وضرورة واقعية لا بد أن تسبق عملية إعداد وتأهيل القيادات ، انطلاقاً من اصطفاء الله ﷻ لأنبيائه ورسله عليهم السلام واختيار هؤلاء الأنبياء لصفوة أممهم ، وكذا طبيعة القيادة في الإسلام والتي تقوم على أساس اختيار الأنسب وترشيح الأكفأ والبعد عن تزكية النفس ، فضلاً عن ندرة الشخصيات المؤهلة للقيادة.
- ٢٢- تؤكد الدراسة على أن الأمة الإسلامية بعلمائها ومربيها وشبابها ملتزم هم رواحل الإبل، وصفوة الناس، ونخبة المجتمع، وطلبة الأمة، وخالصة البشرية، الأمر الذي يوجب على كل فرد الاهتمام بتربية نفسه وتنمية مهاراته والارتقاء بقدراته والاستعداد لتحمل المسؤولية، كما تؤكد على أن آفاق القيادة واسعة ومجالاتها متعددة ، الأمر الذي يتطلب من الجميع أن يكونوا قادة في مجالات مختلفة ورواداً في فنون متعددة وأن يتقن كل منهم تخصصاً معيناً يبدع فيه ويبرز ليخدم من خلاله أمتة ويكون قائداً فيها.
- ٢٣- تؤكد الدراسة أن القائد الفعال هو الذي يحيط نفسه بمجموعة من القادة في صورة نواب وموظفين ومساعدين ومستشارين ممن تتوفر لديهم السمات القيادية ؛ ليعينونه على تحمل المسؤولية ويؤهلهم للقيام بأعبائها وهو أمر لا يجيده سوى القلة من القيادات.
- ٢٤- تظهر الدراسة أن عملية الاصطفاء لا بد أن تقوم على مجموعة من الأسس التي يأتي في مقدمتها سلامة الفطرة وشرف النسب وحسن الخلق ، كما يجب أن تشمل سلامة الحواس والأعضاء والتمتع بالقدرات العقلية الأساسية وفي مقدمتها الذكاء والقدرة على التركيز، فضلاً عن وجود الاستعداد القيادي المعبر عنه بوجود مجموعة من القدرات والمهارات الأساسية.

تؤكد الدراسة على أن الأصل في عملية الإعداد والتأهيل أن تبدأ في سن مبكرة من عمر الإنسان حتى يمكن استغلال مرحلة الطفولة في غرس القيم والمبادئ والمفاهيم اللازمة ، واخضاع الفرد لأطول مدة ممكنة من التربية والإعداد ، فضلاً عن طول مدة الاستفادة من هذه الشخصية بعد إعدادها.

٢٦- تظهر الدراسة أن عملية الإعداد والتأهيل إما أن تتم على يد قائد آخر يمتلك القدرة والكفاءة والخبرة والمعرفة بأهداف التربية القيادية وأساليبها ، أو عن طريق تعريض ذوي الاستعداد القيادي لأحوال الحياة ومواقف البيئة والاحتكاك المباشر بالأفراد والأحداث ، وكلا النوعين مربهما عددٌ من الأنبياء عليهم السلام.

٢٧- تؤكد الدراسة على أن عملية إعداد وتأهيل القيادات تقوم على منهجية واضحة تتمثل في غرس القيم والمبادئ والأفكار السامية ، والارتقاء بالاهتمامات وتنمية المهارات وتطوير القدرات وتفعيل جانب العلاقات الإنسانية ، كما تتمثل في تكوين الرؤية المرشدة ، وإيجاد التوازن بين طاقات الإنسان المختلفة ، وتحقيق القدرة على إدارة الذات والتأثير في الآخرين.

٢٨- تؤكد الدراسة على أن أبرز الخطوات التي يجب اتباعها عند التعامل مع الشخصيات الخاضعة لعملية الإعداد والتأهيل القيادي تتمثل في إعطائهم الجرعة التي يحتاجون إليها من التعليم والثقافة واتاحة الفرصة لهم للحوار والمناقشة وإبداء الرأي ، كما تتمثل في إعطائهم المكانة التي تميزهم عن غيرهم والتجاوز عن أخطاءهم وزلاتهم التي يعتذرون عنها ، فضلاً عن إشعارهم بالمسؤولية وتدريبهم عملياً على تحمل مسؤوليات القيادة ومنحهم الصلاحيات المناسبة لأداء المهام الموكلة إليهم.

٢٩- تظهر الدراسة على أن أهم المعايير الواجب توافرها في الشخصيات القيادات هي الالتزام العقائدي والأخلاقي والتمتع بالقدرات العقلية اللازمة ، وكذا الأمانة والقوة والعلم والخبرة فضلاً عن العدالة والشجاعة والفصاحة وسلامة الحواس والأعضاء ، ويزداد التأكيد على أهمية توفر هذه المعايير كلما ارتفع مستوى الإنسان القيادي أو اتسع نطاق مسؤولياته.

٣٠- تظهر الدراسة أن هناك نوعان من القوة التي تحتاج إليها القيادات ترتبط الأولى منهما بالموقع الذي تشغله وتختلف باختلافه ، بينما ترتبط الأخرى بشخصية القائد وقدرته على إصدار القرارات وتنفيذها.

٣١- تظهر الدراسة أن الأمانة في المجال القيادي تعني المصادقية واستحقاق الثقة والمبادرة إلى أداء المهام وإنجازها بإتقان ، كما تعني الضمير اليقظ الذي يحفظ الحقوق ويوجه الأعمال ، فضلاً عن توليه الأصلح وتعيين الأكفأ وعدم استغلال المنصب .

٣٢- توضح الدراسة أن العلم والخبرة شرط أساسي لتولي القيادة والمسؤولية، و ليس معني ذلك التبحر في العلم وسعة الإطلاع والتخصص وإنما المقدر الضروري الذين يعين على إقامة الدين ومعرفة الحياة وفهم الواقع وصابة الحق وإصدار الأحكام.

٣٣- تؤكد الدراسة على أن القائد لابد أن يكون ملماً بأتباعه عالماً بصفاتهم وخصائصهم ومميزاتهم حتى يتمكن من الاستفادة من طاقاتهم وقدراتهم ووضع كل منهم في الموقع المناسب لقدراته وإمكاناته ، بل



يجب عليه أن يتجاوز ذلك إلى المعرفة التامة بأعدائه كذلك حتى يمكنه التعامل مع كل شخصية بما يتناسب معها وبما يحقق مصلحة مجتمعه وأمته وهكذا كان رسول الله ﷺ.

٣٤- تؤكد الدراسة أن أهم العلوم والمعارف التي تحتاج إليها القيادات هي العلوم الشرعية المتعلقة بالعقيدة ومصادر التشريع ، والعلوم التخصصية المتعلقة بمبادئ الإدارة وأصول السياسة والكفايات التي تحتاج إليها في مجال عملها، وكذا العلوم الاجتماعية والنفسية المرتبطة بالسنة الإلهية في قيام الحضارات وسقوطها وفنون التعامل مع الآخرين ، وتندرج هذه العلوم والمعارف بمحتوياتها المختلفة ضمن ما يعرف بثقافة العلوم الإنسانية.

٣٥- تبين الدراسة أن الله ﷻ بعث أنبياءه ورسله عليهم السلام وزودهم بكل ما يعينهم على أداء مهامهم والقيام بواجباتهم القيادية على أكمل وجه فضمن لهم سلامة الحواس والأعضاء وأمدهم باللياقة البدنية والطاقة العصبية والقدرة على التحمل ، وبعثهم في صورة حسنة وهيئة معتدلة تضمن التقاف الناس حولهم وتفاعلهم معهم ، كما سلمهم من الأمراض المنفرة التي تبعد الناس عنهم وإن كانوا يصابون بالأمراض والابتلاءات الأخرى مثل غيرهم من بقية البشر.

٣٦- تظهر الدراسة أهمية التفريق بين الالتزام الشخصي والاستقامة الذاتية وبين الصلاحية للقيادة فليس كل مستقيم صالح لتولي القيادة ، مع مراعاة فقه الواقع عند اختيار القيادات والتركيز على المعايير التي يحتاج إليها العمل ويتطلبها الموقع القيادي، والبحث عن النوعيات القيادية التي يتطلبها الظرف أو المرحلة التي تمر بها الأمة.

٣٧- عدم اعتبار النسب القرشي شرطاً لتولي القيادة إذا لم يقترن بالكفاءة والمقدرة ، واعتباره شرط تفضيل عند توفر بقية المعايير.

٣٨- تؤكد الدراسة على أن الأمة وحدها هي صاحبة الحق في ترشح قياداتها واختيارها ، ونصحها وتوجيهها ، ومحاسبتها وعزلها، ولاشك أن ممارسة الأمة لهذه الحقوق مرهون بمدى ما تمتلك من وعي وقدرية على المطالبة بها وانتزاعها.

٣٩- تظهر الدراسة على أن الوصول إلى القيادة في المنهج الإسلامي يحكمه مدى توفر المعايير القيادية في الشخصية المرشحة للقيادة فضلاً عن الشورى واعتبار رأي الأمة.

٤٠- تظهر الدراسة أن اختيار القيادات العليا في الدولة الإسلامية ولاسيما في صدر الإسلام كان يتم عبر مرحلتي الترشيح التي يقوم فيها أهل الحل والعقد بترشيح الخليفة من خلال البيعة الخاصة ، قبل أن تأتي مرحلة اختيار الخليفة عن طريق البيعة العامة التي يشارك فيها عموم أفراد الأمة، وهي المرحلة التي تكتسب القيادة من خلالها شرعيتها.

٤١- تظهر الدراسة أن طلب القيادة غير جائز في حق الضعيف الذي لا يملك القدرة على القيام بواجبات القيادة ولا يقوى على تحمل مسؤولياتها ، وكذا في حق من يقصد من وراء الوصول إليها الحصول على الجاه والرئاسة وتحقيق المكاسب الشخصية سواء توفرت فيه شروط القيادة أم لا، بينما يجوز لمن وجد من



نفسه القدرة والكفاءة وتوفرت فيه شروط القيادة أن يطلب القيادة لنفسه بل قد يجب عليه ذلك إذا لم يكن يوجد غيره من أهل القدرة والكفاءة ولاسيما في العصر الحديث الذي تعتمد المشاركة السياسية فيه على ترشيح الإنسان نفسه للمواقع القيادية.

٤٢- تظهر الدراسة أن المقياس الحقيقي لنجاح التربية القيادية يتمثل في مستوى الأداء والإنجاز الذي يدل في نفس الوقت على مدى فعالية القيادة واستشعارها للمسؤولية.

٤٣- تظهر الدراسة أن التفرغ للقيادة واستشعار الرقابة الإلهية والمسؤولية تجاه الأمة ، وكذا معرفة القائد لقدراته الذاتية ومهامه القيادية ، بالإضافة إلى حسن اختياره لمساعديه ومستشاريه وتفعيل جانب الرقابة والمحاسبة عوامل مساعدة تؤدي إلى إنجاز المهام وإتقان الأداء.

٤٤- تظهر الدراسة أن أبرز أنواع الرقابة التي تساعد على إنجاز المهام وإتقان الأداء تتمثل في الرقابة الذاتية التي يراقب فيها الإنسان نفسه ، والرقابة السياسية التي تمارسها الأمة تجاه قياداتها ، فضلاً عن الرقابة الإدارية التي تمارسها القيادة تجاه مساعديه ومستشاريه.

٤٥- إن تربية الجانب الروحي يقصد بها تقوية الصلة بين الوجدان الإنساني والخالق سبحانه وتعالى حتى يصل الإنسان إلى نوع من المعرفة الروحية التي تشرق بها روحه، وتسموعبرها نفسه، وتظهر بواسطتها جوارحه.

٤٦- تظهر الدراسة أن أبرز القيم الروحية الواجب اكتسابها تتمثل في تنحية الموروثات الجاهلية والتحرر من أسرها والمحافظة على سلامة القلب ، وكذا الإحساس بوجود الله ﷻ ومراقبته ، والتوكل عليه واستشعار معيته سبحانه وتعالى ، وتحقيق الإخلاص في القول والعمل ، فضلاً عن تحقيق محبة الله ﷻ ورسوله ﷺ في النفس ، وتحرير الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين.

٤٧- تظهر الدراسة أن أهم عوامل تنمية الجانب الروحي تتمثل في امتلاك الإرادة وتذكر الهدف من الحياة وأداء الفرائض ، وكذا زيادة النوافل من صلاة وتلاوة وذكر وتفكير وتأمل في النفس الكون والحياة ، فضلاً عن المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والارتباط بالمساجد .

٤٨- تظهر الدراسة أن أهم عوامل تنمية الجانب الأخلاقي تتمثل في العلم والمعرفة وتقوية معاني العقيدة في النفس وأداء العبادات والفرائض ، وكذا رياضة النفس والتدريب العلمي، وتمثل القدوة الحسنة، والارتباط بالرفقة الصالحة وهجر البيئة الفاسدة ، فضلاً عن مدارس سير الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وتحقيق الوقاية الخلقية والالتزام الذاتي.

٤٩- تظهر الدراسة أن أهم عوامل تنمية الجانب الاجتماعي تتمثل في المحافظة على العبادات ولاسيما الجماعية منها ، وتأكيد العادات والتقاليد الإسلامية، والارتباط بالبيئة الصالحة ، وكذا البناء الصحيح للأسرة ، والاحتكاك بكبار السن وأصحاب التجارب وتعميق الروابط الاجتماعية ، فضلاً عن ممارسة العمل والمشاركة في الأنشطة الاجتماعية ، والعلاج المبكر للمشكلات التي يمر بها الإنسان.



- ٥٠- تؤكد الدراسة على أن الأمة الإسلامية اليوم لا تعاني من نقص الإمكانيات والوسائل فما لديها أكثر بكثير مما هو متوافر لبقية أمم الأرض الأخرى ، وإنما تعاني من ندرة العقول وضعف فاعليتها وانعدام الاستفادة الحقيقية منها.
- ٥١- تؤكد الدراسة أن القدرات العقلية تولد كامنةً في الإنسان وهي تنمو وتشد بالرعاية والتربية وتضعف وتموت بالإهمال وسوء الاستعمال أو سوء التربية والسلوك والعيش في أجواء القهر والاستبداد.
- ٥٢- تظهر الدراسة أن أهم عوامل تنمية الجانب العقلي تتمثل في المحافظة على سلامته من المؤثرات والمثيرات ، وتخليصه من الآفات التي تصيبه، واكتساب العلم والمعرفة ، وكذا إثارة الحواس والوجدان وتفعيلهما، وتفعيل القدرات العقلية ، والاستغراق في التأمل والتفكير ، فضلاً عن عدم تجاوز المجالات المحددة للعقل، وإشاعة أجواء الحرية، وتغذية العقل بالقيم اللازمة، وتحويل المثل العليا إلى حقائق واقعية .
- ٥٣- تظهر الدراسة أن أهم القيم السياسية الواجب اكتسابها هي التعرف على القواعد الأساسية التي يقوم عليها النظام السياسي، وتكوين الذات السياسية، واكتساب الوعي السياسي والقدرة على المشاركة السياسية ، بالإضافة إلى التمتع بالحقوق السياسية ، وتعزيز الولاء والانتماء للوطن والأمة ، وتنمية الروح الجماعية ، والدعوة إلى الإصلاح والتغيير والجهاد ، والالتزام بمبدأ العدل والإحسان في التعامل مع الآخرين.
- ٥٤- تظهر الدراسة أن أبرز عوامل تنمية الجانب السياسي تتمثل في القراءة والاطلاع والممارسة والتطبيق ، وحضور المحاضرات والندوات والمؤتمرات السياسية ، وكذا القراءة الواعية للتأريخ وإبراز سير القادة العظماء الذين أثروا في مسيرة التأريخ.
- ٥٥- تظهر الدراسة أن أهم القيم الوجدانية تتمثل في تحقيق التحرر الوجداني والمقدرة على ضبط الانفعالات وتنمية العواطف الإيجابية ، وكذا القدرة على إشباع الحاجات وتفعيل الضمير الإنساني، بينما تتمثل أهم عوامل تنمية الجانب الوجداني في غرس محبة الله ﷻ ورسوله ﷺ في النفس الإنسانية وتنمية الثقة فيها واحترام ذاتية الإنسان.
- ٥٦- تظهر الدراسة إن أهم عوامل تنمية الجانب الجسدي هي الاغتراب في الزواج وحسن اختيار كل من الزوجين للآخر ،والعناية بالزوجة والاهتمام بصحتها النفسية والجسدية ، ورعاية الأبناء وحسن تغذيتهم ، وكذا الإيمان بالله والتغلب على الهموم والضغوط النفسية ، والتزام النظافة والطهارة والحفاظ على البيئة ، فضلاً عن الابتعاد عن المحرمات ، والتزام القواعد الصحية في الأكل والشرب والنوم، وممارسة الرياضة ، والوقاية من الأمراض والعلاج المبكر منها.
- ٥٧- تظهر الدراسة أن أهم عوامل تنمية الجانب الاقتصادي تتمثل في الاعتماد على الذات والاستقامة الشخصية والادخار ، وكذا إدارة الموارد المتاحة وحسن استغلالها، والسعي لطلب الرزق ، والعلاقات الحسنة ، فضلاً عن استثمار الأموال وعدم كنزها، واكتساب المهارات ، وتشجيع المنتجات المحلية، والبعد عن الديون والكسب الخبيث.



- ٥٨- تؤكد الدراسة على أن أبرز أساليب التربية القيادية تتمثل في التربية بالقدوة والمثل والحدث والتكليف، بالإضافة إلى الحوار والمناقشة والثواب والعقاب.
- ٥٩- تؤكد الدراسة على أن التربية بالقدوة أنجح أساليب التربية وأفضلها على الإطلاق، ومع ذلك يجب التركيز على المبادئ دون الأشخاص حتى لا يربى الأفراد على الشخصانية وتقديس الذات، كما تؤكد على أن أي منهج تربوي مهما بلغ في تكامله وتميزه لا يمكن أن يطبق في الواقع سوى بوجود المربي القدوة الذي يجسد بسلوكه وأسلوبه أهداف المنهج وغاياته، وهو ما جسده رسول الله ﷺ وصحابته الكرام.
- ٦٠- تؤكد الدراسة أن استخدام أسلوب التربية بالحوار والمناقشة يدفع المتعلم إلى الإيجابية والتفاعل والمشاركة، كما أنه دليل على ثراء الموقف التربوي وتفاعل ومحتوياته، ومؤشر على وجود التفاعل الإيجابي بين المعلم والمتعلم، الأمر الذي يجعله أقرب إلى روح منهج التربية الإسلامية من أسلوب المحاضرات والتلقين.
- ٦١- أن التربية بالأحداث تعني استغلال الأجواء النفسية إلى ترفاق وقوع الحدث والموقف في إعطاء توجيه معين يتعلق بالكيفية المثلى في التعامل مع الحدث والاستفادة منه.
- ٦٢- تظهر الدراسة أن التربية بالتكاليف من أنجح الأساليب التي تبنى بواسطتها القيادات، والتي يتبين من خلالها مدى استيعاب الأفراد للمنهج والتزامهم به وقدرتهم على تنفيذه.
- ٦٣- تظهر الدراسة أن أهم مؤسسات التربية والإعداد القيادي تتمثل في الأسرة والمسجد والمؤسسات التعليمية، وكذا وسائل الإعلام والاتصال، بالإضافة إلى مؤسسات المجتمع المدني ومؤسسات التدريب والتأهيل القيادي.
- ٦٤- توضح الدراسة أن مصطلح المجتمع المدني يطلق على المجتمعات التي تتمتع بقدرة من الحرية يمارس الأفراد من خلالها حقوق الانتخاب والترشيح واختيار ممثليهم في المواقع القيادية المختلفة.
- ٦٥- تؤكد الدراسة على أن الأسرة كانت وستظل أهم مؤسسات التربية القيادية على الإطلاق فهي الجماعة الأولى التي ينتمي إليها الطفل وينشأ فيها، وتتكون فيها علاقاته المباشرة مع البيئة المحيطة، كما يكتسب من خلالها الكثير من قيمة ومبادئه وميوله واتجاهاته التي يظل تأثيرها مصاحباً له طيلة حياته.
- ٦٦- إن أهمية المؤسسات التعليمية تتبع من أهمية رسالتها في نقل التراث ونشر الوعي، وخطورة دورها في البناء والتربية، وحساسية موقعها كمسؤولة عن عملية التربية والتعليم في المجتمع.
- ٦٧- تظهر الدراسة أن أبرز ما يجب مراعاته في المنهج التربوي الإسلامي هو استمداده من القرآن والسنة والأصول الإسلامية الثابتة ونتاج الفكر الإسلامي الذي لا يتعارض مع هذه الأصول، وكذا تركيزه على ثقافة العلوم الإنسانية واهتمامه بتنمية منهج التفكير والبحث العلمي والمهارات المختلفة، فضلاً عن ترابط أجزائه وارتباطه بالميول والقدرات وقابليته للتطوير.



- ٦٨- تؤكد الدراسة على أهمية استيعاب رسالة المسجد القائمة على الشمول والسعي لإحيائها والاهتمام بعمارة المساجد شكلاً ومضموناً ، وتوفير الكادر المؤهل القادر على القيام برسالة المسجد بعيداً عن الصراعات السياسية والمذهبية والطائفية.
- ٦٩- توضح الدراسة أن مؤسسات المجتمع المدني المختلفة من أهم مؤسسات التربية القيادية في العصر الحديث بما تركز عليه من منهجية وما تحمله من تنوع في الأفكار والأساليب ، وما تجسده من ممارسة حقيقية للقيم والمبادئ المختلفة.
- ٧٠- تؤكد الدراسة أن عملية التدريب والتأهيل عملية مستمرة تُهدف إلى اكتساب الخبرات والمعارف والارتقاء بقدرات الإنسان وتطوير أدائه وزيادة مستوى الإنتاج وتحسين نوعيته، الأمر الذي يوجب الاهتمام بها وتطوير برامجها .
- ٧١- تؤكد الدراسة أن موضوع التربية القيادية معني به الرجل والمرأة على حدٍ سواء ،كلٌ حسب فطرته التي فطره الله عليها وفي حدود قدراته التي أودعها الله تعالى فيه، انطلاقاً من المفهوم الإسلامي الذي يجعل من المرأة شقيقة الرجل وشريكته في الحياة.



ثانياً : التوصيات:

-١





قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

● وهي بعد القرآن الكريم

أولاً: الكتب العامة:

الألف

١. الاتجاهات الحديثة في القيادة الإدارية- د. محسن العبودي- طبعة دار النهضة العربية- مصر- ١٩٨٤م.
٢. الإتقان في علوم القرآن- جلال الدين السيوطي ٩١١هـ- تقديم وتعليق : مصطفى ديب البغا- دار ابن كثير- دمشق ، بيروت - ط/١- ١٤١٠هـ ١٩٨٧م.
٣. إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء - محمد الخضري بك - طبعة دار الفكر - بيروت - د.ت.
٤. أثر الظروف النفسية والاجتماعية في سلوك الداعية- د.محمد أبو زيد- دار الوفاء -المنصورة- مصر- ط/١-١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
٥. أثر العقيدة في حياة الفرد والمجتمع- نعيم يوسف- دار المنارة - المنصورة - مصر - ط/١- ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
٦. الأحكام السلطانية - أبو يعلى محمد بن الحسن الفراء الحنبلي ٤٥٨هـ- صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي- شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - ط/٣- ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.
٧. الأحكام السلطانية والولايات الدينية - أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ٤٥٠هـ- طبعة دار ابن خلدون - الإسكندرية - د.ت.
٨. أحكام القرآن- أبو بكرأحمد بن علي الجصاص ٣٧٠هـ- طبعة دار إحياء التراث العربي- بيروت -١٤٠٥م.
٩. إحياء علوم الدين - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ٥٠٥هـ- دار القلم - بيروت- ط/١- د.ت.
١٠. الأخلاق الإسلامية وأسسها - عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني - دار القلم - دمشق - ط/٥ - ١٤٢٠هـ ١٩٩٠م.
١١. الأخلاق عند الغزالي - زكي مبارك - طبعة دار اليوسف للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة- د.ت.
١٢. إدارة الناس فن- جورج د. هالسي- ترجمة: أحمد زكي محمد- طبعة دار المعارف- مصر- د.ت.
١٣. أزمة القيادة وعلاجها في واقعا الإسلامي المعاصر- محمد الحسن- دار الثقافة - الدوحة - قطر- ط/١- د.ت.
١٤. الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام - سعد الدين السيد صالح- دار الأرقم - الزقازيق -مصر- ط/١- ١٤٠٩هـ ١٩٩٠م.



قائمة المصادر والمراجع

١٥. أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية- د.زياد محمودالعاني- شركة الراشد للطباعة والنشر - بغداد- ط/١- د.ت.
١٦. الإستيعاب في معرفة الأصحاب - يوسف بن عبد الله بن عبد البر- دار الجيل- بيروت- ١٤١٢هـ.
١٧. أسرار التميز الإداري والمهاري في حياة الرسول ﷺ- محمد أحمد عبد الجواد- دار البشير للثقافة والعلوم- طنطا- مصر- ط/١- ٢٠٠٢م.
١٨. الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية- أبو الأعلى المودودي- طبعة دار الفكر- دمشق- ١٣٧١هـ.
١٩. أسس التدريب الإداري "مع تطبيقات عن المملكة العربية السعودية"- يوسف محمد القبلان - دار عالم الكتب- الرياض - السعودية- ط/١- ١٤١٢ هـ.
٢٠. الإسلام- سعيد حوى- دار اكتب العلمية- بيروت - ط/٢- ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
٢١. الإسلام والحضارة ودور الشباب- مجموعة أبحاث ووقائع اللقاء الرابع- الندوة العالمية للشباب الإسلامي- الرياض - ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٢٢. الإسلام والعلاج النفسي- د.عبد الرحمن العيسوي- طبعة دارالفكر الجامعي- الإسكندرية - مصر- د.ت.
٢٣. الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية- جلال الدين السيوطي ٩١١ هـ- دار الكتاب العربي- بيروت - ط/١- ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
٢٤. الإصابة في تميز الصحابة- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ- تحقيق : علي محمد البجاوي- دار الجيل- بيروت- ط/١- ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
٢٥. أصول التربية الإسلامية وأساليبها- د. عبد الرحمن النحلوي- دار الفكر المعاصر- بيروت- طبعة مصورة عن الطبعة الثانية- ١٩٩٥م.
٢٦. أصول التربية- د. أحمد علي الحاج محمد- دار المناهج للنشر والتوزيع- عمان- ط/١- ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
٢٧. أصول الدعوة - د. عبد الكريم زيدان- مؤسسة الرسالة- بيروت - ط/٨.
٢٨. أصول الفكر التربوي في الإسلام - د.عباس محجوب- دار ابن كثير - دمشق ، بيروت - ط/١ - ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.
٢٩. الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العلمية - محي الدين عبد الحكيم - طبعة مكتبة الخانجي- القاهرة- ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
٣٠. الإعلام تأريخه ومذاهبه - طبعة دار الفكر العربي - القاهرة- ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.
٣١. الأعلام- خير الدين الزركلي- دار العلم للملايين- بيروت - ط/٥- ١٩٨٠هـ.
٣٢. الأغاني- أبو الفرج الأصفهاني- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط/٣- ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م.
٣٣. آفات على الطريق - السيد محمد نوح - دار اليقين - المنصورة - مصر- ط/١- ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
٣٤. أفراح الروح- سيد قطب- الدار العلمية- بيروت- ط/١- ١٣٩١هـ ١٩٧١م.



٣٥. الإلتفات إلى الذات- مريم عبد الله النعيمي- دار ابن حزم للطباعة والنشر- بيروت- لبنان - ط/١- ٢٠٠٢م.
٣٦. الأمراض والكفارات والطب والرقيات- محمد بن عبد الواحد ضياء المقدسي ٦٤٣هـ - تحقيق: أبو إسحاق الجويني الأثري - القاهرة - مصر - ط/٢- ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
٣٧. إن فرعون علا في الأرض- د. محمد أبو فارس- دار الفرقان- عمان -الأردن - ط/١- ١٩٩٨م.
٣٨. أنباه الرواة على أنباه النحاة - أبو الحسن على بن يوسف القفطي ٦٢٤هـ- تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم- دار الفكر - القاهرة ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - ط/١ - ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٣٩. الإنسان بين المادية والإسلام- د. محمد قطب- دار الشروق- القاهرة، بيروت- ط/١٠- ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
٤٠. الإنسان وصحته النفسية- د. سيد صبحي - طبعة المطبعة التجارية الحديثة - القاهرة -١٩٨٧م.
٤١. الإلتفات ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق- د. علي محمد الصلابي- مكتبة الصحابة - الشارقة- الإمارات - ط/٢- ٢٠٠٢م.
٤٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل - عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي ٧٩١هـ- تحقيق : عبد القادر عرفات العشا حسونة - طبعة دار الفكر - بيروت - ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
٤٣. أهداف التربية الإسلامية- د. ماجد عرسان الكيلاني- المعهد العالمي للفكر الإسلامي- الولايات المتحدة الأمريكية - ط/١-١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
٤٤. أوليات الفاروق السياسية- د. غالب عبد الكافي القرشي - دار الوفاء- المنصورة- مصر- ط/١-١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
٤٥. الإيمان والحياة- د. يوسف القرضاوي- طبعة مؤسسة الرسالة- بيروت- د.ت.
٤٦. إيليا أبي ماضي شاعر المهجر الكبير- دار اليقظة العربية- دمشق- د.ت.
- الباء**
٤٧. بدائع السلك في طبائع الملك - أبو عبد الله محمد بن الأزرق ٨٩٦هـ- تحقيق: علي النشار - طبعة دار الحرية للطباعة- بغداد- ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.
٤٨. بدائع الفوائد - محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية ٧٥١هـ- طبعة دار الكتاب العربي - بيروت-د.ت.
٤٩. البداية والنهاية- أبو الفداء إسماعيل بن كثير ٧٧٤هـ- طبعة دار المعرفة - بيروت- د.ت.
٥٠. البرهان في علوم القرآن- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ٧٩٤هـ- تحقيق : د. محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت - لبنان - ط/٢- د.ت.
٥١. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة- جلال الدين السيوطي ٩١١هـ - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم- طبعة دار إحياء الكتب العربية- مصر- د.ت
٥٢. بين العقيدة والقيادة- اللواء الركن/ محمود شيث خطاب - دار القلم - دمشق ، بيروت - ط/١- ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.



التاء

٥٣. تاريخ الأمم والملوك - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ٣١٠هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - ط/١ - ١٤٠٧هـ.
٥٤. تأملات في سيرة الرسول ﷺ - محمد السيد الوكيل - دار المجتمع للنشر والتوزيع - جدة - السعودية - ط/٢ - ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.
٥٥. تأملات - مالك بن نبي - طبعة دار الفكر - دمشق - ١٩٧٩م.
٥٦. تاريخ الخلفاء - جلال الدين السيوطي ٩١١هـ - تحقيق وتخرىج: قاسم الشماغي ومحمد العثماني - دار القلم - بيروت - ط/١ - ١٤٠هـ ١٩٨م.
٥٧. تبصرة المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم - د. علي محمد الصلابي - مكتبة الصحابة - الشارقة - الإمارات ، مكتبة عين شمس - القاهرة - ط/١ - ٢٠٠١م.
٥٨. التحرير والتتوير - محمد الطاهر بن عاشور - طبعة دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧م.
٥٩. تحفة المحتاج بشرح المنهاج - أحمد بن حجر الهيتمي - طبعة مطابع أصح المطابع - بومباي - د.ت.
٦٠. تحكم في سلوكك الشخصي تحقق التميز والنجاح - وفاء محمد مصطفى - دار ابن حزم - بيروت - ط/١ - د.ت.
٦١. التدريب وأهميته في العمل الإسلامي - د. محمد موسى الشريف - دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع - ط/٢ - ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
٦٢. التربية الأخلاقية الإسلامية - مقداد يالجن - طبعة مكتبة الخانجي - مصر - ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.
٦٣. التربية الإسلامية وفلاسفتها - محمد عطية الأبراشي - طبعة دار الفكر العربي - القاهرة - د.ت.
٦٤. تربية الأولاد في الإسلام - د. عبد الله ناصر علوان - دار السلام - حلب ، بيروت - ط/٣ - ١٩٨١م.
٦٥. التربية الاجتماعية الإسلامية - د. علي عبد الحليم محمود - دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - ط/١ - ٢٠٠١م.
٦٦. التربية الجهادية - د. منير الغضبان - دار الوفاء - المنصورة - مصر - ط/٤ - ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.
٦٧. التربية الخلقية - د. علي عبد الحليم محمود - طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
٦٨. التربية الدينية الغائبة - د. علي عبد الحليم محمود - طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
٦٩. التربية الروحية - د. علي عبد الحليم محمود - دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - ط/١ - ١٩٩٥م.
٧٠. التربية السياسية - د. علي عبد الحليم محمود - دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - مصر - ط/١ - ٢٠٠١م.
٧١. التربية السياسية - د. عثمان عبد العزيز رسلان - طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - ١٩٩٠م.



قائمة المصادر والمراجع

٧٢. التربية العقلية- د. علي عبد الحليم محمود- طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة ١٩٩٦م.
٧٣. التربية القيادية- د. منير الغضبان- دار الوفاء- المنصورة- مصر - ط/١- ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
٧٤. التربية المهنية والحرفية في الإسلام- د. جمال محمد الهندي- دار الوفاء- المنصورة- مصر - ط/١- ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
٧٥. تربية النبي ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم في ضوء الكتاب والسنة - خالد بن عبد الله القرشي- دار التربية والتراث - مكة المكرمة ، دار المعالي - عمان - الأردن - ط/١- ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
٧٦. التربية بالحوار- عبد الرحمن النحلاوي- دار الفكر- بيروت ، دمشق- طبعة معادة عن الطبعة الأولى- ٢٠٠٠م.
٧٧. التربية بضرب الأمثال - د. عبد الرحمن النحلاوي- دار الفكر- دمشق ، بيروت- طبعة معادة عن الطبعة الأولى- ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
٧٨. التربية في الإسلام النظرية والمنهج- د. عدنان علي رضا النحوي - دار النحوي للنشر والتوزيع - الرياض - ط/١- ٢٠٠٠م.
٧٩. التربية وبناء الأجيال في ضوء القرآن- أنور الجندي- طبعة دار الكتاب اللبناني - بيروت- ١٩٧٥م.
٨٠. الترغيب والترهيب- أبو محمد عبد العظيم بن محمد بن عبد القوي المنذري ٦٥٦هـ- تحقيق: إبراهيم شمس الدين- دار الكتب العلمية- بيروت ط/١- ١٤١٧هـ.
٨١. تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك - أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ٤٥٠هـ- دراسة وتحقيق: رضوان السيد- المركز الإسلامي للبحوث ودار العلوم للطباعة النشر - بيروت - ط/١- ١٩٨٧م.
٨٢. التشريع والفقہ الإسلامي - مناع القطان - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط/٢ - ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
٨٣. التصوير الفني في القرآن- سيد قطب- دار الشروق- القاهرة، بيروت - ط/١٢ - د.ت.
٨٤. تطور النظريات والأفكار التربوية- عمر محمد التومي الشيباني - طبعة دار الثقافة - بيروت - ١٩٧١م.
٨٥. تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية- د. ماجد عرسان الكيلاني- طبعة دار ابن كثير- دمشق- ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٨٦. التعريفات - علي بن محمد بن علي الجرجاني ٨١٦هـ- تحقيق: إبراهيم الأبياري - دار الكتاب العربي - بيروت- ط/١ - ١٤٠٥هـ.
٨٧. التغيير على منهاج النبوة - جمعة أمين عبد العزيز - دار الدعوة - الإسكندرية - ط/١- ١٩٩٥م.
٨٨. تفسير القرآن العظيم- أبو الفداء إسماعيل بن كثير ٧٧٤هـ- طبعة دار الفكر - بيروت- ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٨٩. التفسير الكبير - فخر الدين الرازي ٦٠٤هـ- قدم له خليل الميس - طبعة دار الفكر - بيروت - ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
٩٠. تفسير المراغي - أحمد مصطفى المراغي - ط/٤- ١٣٩٣هـ ١٩٧٤م.



٩١. تفسير المنار - محمد رشيد رضا - دار المعرفة - بيروت - ط/٢ - د.ت.
٩٢. التفسير الواضح - د. محمد محمود حجازي - دار الكتاب العربي - بيروت - ط/١٠ - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
٩٣. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق - أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه ٤٢١ هـ - طبعة المطبعة المصرية - القاهرة - د.ت.
٩٤. توجيهات نبوية على الطريق - د. السيد محمد نوح - دار الوفاء - المنصورة - القاهرة - ط/٩ - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٩٥. تولى القيادة (فن القيادة العسكرية وعلمها) - العقيد. صامويل هيز والمقدم/ وليم توماس - ترجمة/ سامي هاشم - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ط/١ - د.ت.
٩٦. تيسير الكريم المنان بسيرة عثمان بن عفان - د. علي محمد الصلابي - مكتبة الصحابة - دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - ط/٢ - ٢٠٠٣ م.

الثاء

٩٧. ثقافة الداعية - د. يوسف القرضاوي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط/١ - د.ت.

الجيم

٩٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ٣١٠ هـ - طبعة دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ هـ.
٩٩. الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ٦٧١ هـ - دار الشعب - القاهرة ط/٢ - ١٣٧٢ هـ.
١٠٠. الجمهورية - إفلاطون - ترجمة: حنا الجناز - بيروت - ط/٢ - ١٩٨٠ م.
١٠١. جند الله ثقافة وأخلاقاً - سعيد حوى - دار الكتب العلمية - بيروت - ط/٢ - د.ت.
١٠٢. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي - محمد بن أبي بكر بن القيم ٥٧١ هـ - اعتنى به: محي الدين الشارحي - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - ط/٢ - د.ت.
١٠٣. جيش الرسول ﷺ - اللواء الركن/ محمود شيث خطاب - مكتبة النهضة - بغداد - ط/١٠ - ١٩٩٨ م.

الحاء

١٠٤. الحرية السياسية في الإسلام - د. أحمد شوقي الفنجري - دار القلم - الكويت - ط/١ - ١٣٩٣ هـ.
١٠٥. حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة - محمد الغزالي - دار الدعوة - الإسكندرية - ط/٥ - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
١٠٦. حكم الشورى في الإسلام ونتيجتها - د. محمد عبد القادر أبو فارس - دار الفرقان - عمان - الأردن - ط/١ - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١٠٧. الحكومة الإسلامية - أبو الأعلى المودودي - ترجمة: أحمد إدريس - المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ط/١ - ١٩٧٧ م.
١٠٨. الحل الإسلامي فريضة وضرورة - د. يوسف القرضاوي - مكتبة وهبة - مصر - ط/٣ - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.



قائمة المصادر والمراجع

١٠٩. حول التربية والتعليم- د.عبدالكريم بكار- دار المسلم للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية- ط/١- ١٤٢٠هـ.

١١٠. حول تشكيل العقل المسلم- د. عماد الدين خليل- طبعة مطبعة الفيصل- الكويت. د.ت.

الخاء

١١١. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته- سيد قطب- طبعة سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١١٢. الخصائص العامة للإسلام - د. يوسف القرضاوي - طبعة مكتبة وهبة - مصر - ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

الدال

١١٣. دراسة تحليلية لشخصية الرسول ﷺ من خلال سيرته الشريفة- أ.د. محمد رواس قلعة جي- دار النفائس- بيروت- ط/٢- ١٩٩٦م.

١١٤. دراسة في منهاج الإسلام السياسي- سعدي حبيب- مؤسسة الرسالة- بيروت - ط/١- ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

١١٥. دستور المهن في الإسلام- عباس حسن الحسيني- الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر - ط/١- ٢٠٠٠م.

١١٦. دليل التدريب القيادي- د.هشام الطالب - المعهد العالمي للفكر الإسلامي- الولايات المتحدة الأمريكية- ط/٢- ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١١٧. الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة- حنان عطية الطوري الجهني- مكتبة الملك فهد- الرياض- السعودية - ط/١- ٢٠٠١م.

١١٨. دولة الرسول ﷺ من التكوين إلى التمكين- د. كامل سلامة الدقس- دار عمار- عمان - الأردن - ط/١- ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١١٩. ديوان أبو الأسود الدؤلي- حققه وشرحه وقدم له: عبد الكريم الدحييلي- شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة- بغداد- ط/١- ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

١٢٠. ديوان الإمام الشافعي- شرح وضبط وتقديم / عمر فاروق الطباع - طبعة دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - د.ت.

١٢١. ديوان جرير - جرير بن عطية الخطفي- طبعة دار صادر - بيروت.

١٢٢. ديوان زهير بن أبي سلمى - طبعة دار صادر- بيروت ١٩٦٠.

الذال

١٢٣. ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح- محمد خير رمضان يوسف- دار القلم- دمشق - ط/١- ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٢٤. ذيل التقييد - أبو الطيب محمد بن أحمد الفاسي - تحقيق : كمال يوسف الحوت- دار الكتب العلمية - بيروت- ط/١ - ١٤١٠هـ.

الراء



قائمة المصادر والمراجع

١٢٥. رئاسة الدولة في الفقه الإسلامي - د. محمد رأفت عثمان - طبعة دار الكتاب الجامعي - القاهرة - ١٩٧٥ م.
١٢٦. رؤى ثقافية - د. عبد الكريم بكار - طبعة دار المسلم - الرياض - السعودية.
١٢٧. الرجولة في الإسلام - عبد رب النبي علي أبو سعود - مكتبة وهبه - مصر - ط/١ - ١٩٩٤ م.
١٢٨. رسالة العبودية - أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ٧٢٨ هـ - المكتب الإسلامي - بيروت - ط/٢ - د.ت.
١٢٩. الرسول ﷺ - سعيد حوى - دار الكتب العلمية - بيروت - ط/٤ - ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.
١٣٠. الرسول القائد - محمود شيث خطاب - منشورات دار الحياة ومكتبة النهضة - بغداد - ط/٢ - ١٩٦٠ م.
١٣١. رعاية النابغين في الإسلام وعلم النفس - د. كمال إبراهيم موسى - دار القلم - الكويت - ط/٣ - ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.
١٣٢. الرقابة على أداء الجهاز الإداري - دراسة علمية وعملية في النظم الوضعية والإسلامية - رمضان محمد بطيح - طبعة دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٩٨ م.
١٣٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - محمود الألوسي أبو الفضل ١٢٧٠ هـ - طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت - د.ت.
١٣٤. الروح - محمد بن أبي بكر القيم ٧٥١ هـ - دار الكتاب العربي - بيروت لبنان - ط/٨ - ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م.
- الزاي
١٣٥. زاد المعاد في هدي خير العباد - محمد بن أبي بكر بن القيم ٧٥١ هـ - تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط/١٤ - ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م.
١٣٦. زيارة إلى معسكر الإداريين - محمد فتحي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - ط/١ - ٢٠٠١ م.

السين

١٣٧. السبيل إلى القيادة - المشير اللورد. مونتغمري - تعريب: العميد الركن / حسن مصطفى - طبعة دار الطليعة - بيروت - ١٩٦٩ م.
١٣٨. السفارات النبوية - اللواء الركن / محمود شيث خطاب - طبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد - ١٩٨٩ م.
١٣٩. السلام العالمي والإسلام - سيد قطب - دار الشروق - ط/٣١ - ١٤٢٢ هـ ١٩٩٤ م.
١٤٠. سنن أبي داود - أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ٢٧٥ هـ - تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد - طبعة دار الفكر - بيروت - د.ت.



قائمة المصادر والمراجع

١٤١. سنن ابن ماجه - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ٢٧٥هـ- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر - بيروت - لبنان - د.ت.
١٤٢. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد- د عبد الكريم زيدان- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط/٣- ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
١٤٣. سنن الترمذي - أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ٢٧٩هـ- تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون - طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - د.ت.
١٤٤. سنن النسائي - أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ٣٠٣هـ- تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة- مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - سوريا - ط/٣- ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
١٤٥. السياسية الشرعية في إصلاح الزراعي والرعية- تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ٧٢٨هـ- دار الكتب العلمية- بيروت - ط/١- ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.
١٤٦. سير أعلام النبلاء- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ- تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعیم العرقسوسي- مؤسسة الرسالة- بيروت - ط/٩- ١٤١٣هـ.
١٤٧. السيرة النبوية - أبو محمد عبد الملك بن هشام ٢١٣هـ- تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد - دار الجيل- بيروت - ط/١- ١٤١١هـ.
١٤٨. السيرة النبوية "دروس وعبر"- د. مصطفى السباعي- دار السلام- مصر - ط/١- ١٩٩٦م.
١٤٩. السيرة النبوية- د.علي محمد الصلابي- مكتبة الصحابة - الإمارات ، مكتبة التابعين - مصر - ط/١- ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.
١٥٠. السيرة النبوية دراسة تحليلية- د. محمد عبد القادر أبو فارس- دار الفرقان- عمان- الأردن - ط/٢- ٢٠٠١م.
١٥١. سيكولوجية الشخصية- د.سيد محمد غنيم- طبعة دار النهضة العربية - القاهرة- ١٩٧٥م.
١٥٢. سيكولوجية الجماعات والقيادة- لويس كامل مليكه- مكتبة دار النهضة المصرية- القاهرة - ط/٢- ١٩٦٣م.



الشين

١٥٣. شذرات الذهب في أخبار من ذهب - أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ١٠٨٩هـ - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - د.ت.
١٥٤. شرح النووي على صحيح مسلم - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي - ٦٧٦هـ - دار أحياء التراث العربي - بيروت - ط/٢ - ١٣٩٣هـ.
١٥٥. الشفا بتعريف حقوق المصطفى - القاضي عياض بن موسى اليحصبي ٥٤٤هـ - تحقيق : عبد الحق سعد وخالد محمد عثمان - مكتبة الصفا - مصر - ط/١ - ٢٠٠٢م.
١٥٦. الشورى في ضوء القرآن والسنة - أ.د. حسن ضياء الدين محمد عتر - دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث - دبي - ط/١ - ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
١٥٧. الشوقيات - أحمد شوقي بك - طبعة المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٩٤٨م.

الصاد

١٥٨. الصحة النفسية والعلاج النفسي - د. حامد عبد السلام زهران - عالم الكتب - القاهرة - ط/١ - ١٩٧٧م.
١٥٩. الصحة الإسلامية بين الجحود والتطرف - د. يوسف القرضاوي - دار الصحوة ، دار الوفاء - مصر - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
١٦٠. صحيح البخاري - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هـ - تحقيق : د. مصطفى ديب البغا - دار ابن كثير ، دار اليمامة - بيروت - لبنان - ط/٣ - ١٤٤٠هـ ١٩٨٧م.
١٦١. صحيح ابن حبان - أبو حاتم محمد بن حبان البستي ٣٥٤هـ - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة بيروت - ط/٢ - ١٤١٤هـ ١٣٩٣.
١٦٢. صحيح مسلم - أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٦١هـ - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت - د.ت.
١٦٣. صناعة الحياة - محمد أحمد الراشد - دار المنطلق - دبي - ط/١ - ١٩٨٩م - ١٤١٠هـ.
١٦٤. صناعة القائد - د. طارق السويدان ، فيصل باشراحيل - دار ابن حزم - بيروت - ط/١ - ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
١٦٥. صناعة النجاح - د. طارق السويدان ، فيصل باشراحيل - دار ابن حزم - بيروت - ط/٥ - ٢٠٠٢م.

الطاء

١٦٦. الطب النبوي - ابن القيم الجوزية ٧٥١هـ - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط/٧ - د.ت.
١٦٧. الطب الوقائي من القرآن والسنة - د. عبد الباسط محمد السيد - دار ألفا للنشر والتوزيع - مصر - ط/١ - ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
١٦٨. طبقات الحفاظ - جلال الدين السيوطي ٩١١هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - ط/١ - ١٤٠٣هـ.
١٦٩. طبقات الفقهاء - إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ٤٧٦هـ - طبعة دار القلم - بيروت.



قائمة المصادر والمراجع

١٧٠. الطبقات الكبرى - أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع ٢٣٠هـ - طبعة دار صادر - بيروت - د.ت.
١٧١. طبقات المفسرين - أحمد بن محمد الأذنوي - تحقيق : سليمان بن صالح الخزي - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - ط/١ - د.ت.
١٧٢. طبقات المفسرين - جلال الدين السيوطي ٩١١هـ - تحقيق : علي محمد عمر - مكتبة وهبة - القاهرة - ط/١ - ١٣٩٦هـ.
١٧٣. طبقات فحول الشعراء - محمد بن سلام الجحفي - طبعة مطبعة المدني - القاهرة - ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.
١٧٤. طرائق النبي ﷺ في تعليم أصحابه رضوان الله عليهم - د. أحمد محمد العليمي - دار ابن حزم - بيروت - ط/١ - ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
١٧٥. الطريق إلى التميز التربوي - عبدالله يحيى الكمالي - دار ابن حزم - بيروت - لبنان - ط/١ - ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.
١٧٦. الطريق إلى جماعة المسلمين - حسين بن محسن بن علي جابر - دار الدعوة - الكويت - ط/١ - ١٩٦٨م.
١٧٧. الطفولة ومسؤولية بناء المستقبل - د. نبيل سليم علي - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر - ط/١ - ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

العين

١٧٨. العبادة في الإسلام - د. يوسف القرضاوي - طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت.
١٧٩. العدالة الاجتماعية - سيد قطب - طبعة دار الشروق - بيروت ، القاهرة - د.ت.
١٨٠. العسكرية الإسلامية وقادتها العظام - جمال يوسف الخلقات وبهاء الدين محمد سعد - مكتبة المختار الزرقاء - الأردن - ط/٢ - ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
١٨١. العسكرية العربية الإسلامية عقيدة وتاريخا ، وقادة وتراثا ، ولغة وسلاحاً - محمود شيث خطاب - دار الشروق - بيروت - ط/١ - ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
١٨٢. عصرنا والعيش في زمانه الصعب - د. عبد الكريم بكار - دار المسلم - الرياض - ط/١.
١٨٣. العقائد الإسلامية - السيد سابق - دار الفكر - بيروت - ط/٣ - ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
١٨٤. العقد الفريد - أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ٣٨٢هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٨٥. علم الاجتماع التربوي - د. عبد الله الرشدان - دار عمار للنشر والتوزيع - عمان - الأردن - ط/١ - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
١٨٦. علم الاجتماع السياسي - د. إبراهيم عطية الأبراشي - دار الشروق - عمان - الأردن - ط/١ - ١٩٩٨م.
١٨٧. علم النفس الاجتماعي أسسه وتطبيقاته - د. زين العابدين درويش وآخرون - مركز النشر لجامعة القاهرة - مصر - ط/٣ - ١٩٩٤م.
١٨٨. علم النفس الاجتماعي - د. حامد عبد السلام زهران - طبعة عالم الكتب - القاهرة - د.ت.



قائمة المصادر والمراجع

١٨٩. العلوم السلوكية- حسن خير الدين- طبعة جامعة عين شمس- القاهرة- مصر- ١٩٨٣م.
١٩٠. العمل النقابي في اليمن "الواقع والآفاق" -س مكتبة خالد بن الوليد - صنعاء - اليمن- ط/١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٩١. العواصم من القواصم- القاضي أبو بكر بن العربي ٥٤٣هـ- تحقيق: محب الدين الخطيب- طبعة المكتبة العلمية- د.ت.
١٩٢. عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية - د. يوسف القرضاوي- دار الصحوة- القاهرة - ط/٢ - ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
١٩٣. عيون الأنبياء في طبقات الأطباء - أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس ٦٦٨هـ- طبعة دار مكتبة الحياة - بيروت- د.ت.
- الفاء**
١٩٤. الفاروق القائد - اللواء الركن / محمود شيث خطاب - مكتبة الحياة - بيروت - ط/٢- د.ت.
١٩٥. فتح الباري في شرح صحيح البخاري- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ- تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب- طبعة دار المعرفة- بيروت - ١٣٧٩هـ.
١٩٦. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- محمد بن علي الشوكاني ١٢٥٠هـ- دار ابن كثير- دمشق ، بيروت- ط/١- ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
١٩٧. فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب- د. علي محمد الصلابي- مكتبة الصحابة- الشارقة - الإمارات - ط/١- ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
١٩٨. الفصل في الملل والأهواء والنحل - علي بن أحمد بن حزم ٥٤٨هـ- طبعة مكتبة الخانجي - مصر - د.ت.
١٩٩. فصول في التفكير الموضوعي- د. عبد الكريم بكار- طبعة دار القلم- دمشق. د.ت
٢٠٠. فقه السيرة - محمد الغزالي - دار الكتب الحديثة- القاهرة - مصر - ط/٧ - ١٩٧٦م.
٢٠١. فقه السيرة - محمد سعيد رمضان البوطي - دار الفكر - بيروت - ط/٨ - ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
٢٠٢. الفقه الواضح- د. محمد بكر إسماعيل- دار المنار- القاهرة - ط/٢- ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
٢٠٣. الفكر الإداري الإسلامي والمقارن- د. حمدي أمين عبد الهادي- دار الحمامي للطباعة- القاهرة- ط/١- د.ت.
٢٠٤. فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة- د.عبد الحميدالصيد الزنتاني- طبعة الدار العربية للكتاب - طرابلس - ليبيا - ١٩٩٣م.
٢٠٥. فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم- علي خليل أبو العينين- مكتبة إبراهيم الحلبي- المدينة المنورة- ط/٣.
٢٠٦. فلسفة التربية في الإسلام "إنتماء وارتقاء" د. أحمد رجب الأسمر - دار الفرقان - عمان - الأردن- ط/١- ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.



قائمة المصادر والمراجع

٢٠٧. الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع مع تحقيق كتابه سلوك المالك في تدبير الممالك - د. ناجي التكريتي - دار الأندلس - بيروت - ط/٢ - ١٩٨٠م.
٢٠٨. فن القيادة في الإسلام - أحمد عبد ربه مبارك بصبوص - مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن - ط/١ - ١٩٨٨م.
٢٠٩. فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين - جمعه أمين عبد العزيز - دار الدعوة - الإسكندرية - مصر - ط/٢ - ١٤١١هـ ١٩٩١م.
٢١٠. الفوائد - محمد بن أبي بكر بن القيم ٧٥١هـ - دار الريان - القاهرة - ط/١ - ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
٢١١. في ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق - بيروت ، القاهرة - ط/١١ - ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٢١٢. في فقه التدين فهماً وتنزيلاً - د. عبد المجيد النجار - مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية - قطر - ط/١ - د.ت.
٢١٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير - عبد الرؤوف المناوي ١٠٣١هـ - طبعة دار المعرفة - بيروت - ١٣٥٧هـ.

القاف

٢١٤. قادة فتح العراق والجزيرة - اللواء الركن / محمود شيث خطاب - دار الفكر - بيروت - ط/٢ - ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.
٢١٥. القدوة على طريق الدعوة - مصطفى مشهور - طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - مصر - د.ت.
٢١٦. القدوة منهاج ونماذج - د. إسماعيل قابل - دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - مصر - ط/١ - ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
٢١٧. القرآن الكريم رؤية تربوية - د. سعيد إسماعيل علي - دار الفكر العربي - القاهرة - ط/١ - ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
٢١٨. القصص الإسلامي منطوقه ومفهومه - عبد الكريم الخطيب - مطبعة السنة المحمدية - مصر - ط/١ - ١٤٨٤هـ ١٩٦٤م.
٢١٩. القضاء في الإسلام - د. محمد عبد القادر أبو فارس - مكتبة الأقصى - عمان - الأردن - ط/٢ - ١٣٩٨هـ.
٢٢٠. القيادة الإدارية - د. خميس السيد - عالم الكتب - القاهرة - ط/١ - ١٩٧٣م.
٢٢١. القيادة الإدارية - د. نواف كنعان - دار العلوم - الرياض - ط/١ - ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
٢٢٢. القيادة الإدارية في الإسلام - عبد الشافي محمد أبو الفضل - المعهد العالمي للفكر الإسلامي - القاهرة - ط/١ - ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٢٢٣. القيادة الإدارية في الإسلام - محمد صابر البرديسي - طبعة مجمع البحوث الإسلامية - مصر - ١٩٨٩م.
٢٢٤. القيادة التربوية في الإسلام - مفيدة إبراهيم - دار مجد لاوي - عمان - الأردن - ط/١ - ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
٢٢٥. قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية - أحمد راتب عرموش - دار النفاس - بيروت - ط/٢ - ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.



قائمة المصادر والمراجع

٢٢٦. القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ - عبد الله محمد الرشيد - دار القلم - دمشق - ط/١ - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٢٢٧. القيادة في الإدارة العربية وموقفها من النظريات المعاصرة والتراث العربي الإسلامي - د. نعيم نصير - طبعة المنظمة العربية للعلوم الإدارية - الأردن - ١٩٨٧م.
٢٢٨. القيادة في القرن الحادي والعشرين - د. طارق السويدان ود. أكرم العدلوني - طبعة قرطبة للإنتاج الفني - الرياض - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٢٢٩. القيادة والتغيير - بشير شكيب الجابري - طبعة دار حافظ للنشر والتوزيع - جدة - السعودية - ١٩٩٤م.
٢٣٠. القيادة وفعاليتها في ضوء الإسلام - أحمد ماهر البقري - طبعة المكتب الجامعي الحديث - الإسكندرية - مصر - ١٩٨٤م.
٢٣١. القيم التربوية في القصص القرآني - د. سيد أحمد طهطاوي - دار الفكر العربي - القاهرة - ط/١ - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- الكاف**
٢٣٢. الكامل في التاريخ - أبو الحسن علي بن علي الكرم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير ٦٣٠هـ تحقيق: عبدالله القاضي - دارالكتب العلمية - بيروت - ط/٢ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٢٣٣. كتاب الإشارة إلى أدب الإمارة - أبو بكر محمد حسن الحضرمي القيرواني - دراسة وتحقيق: رضوان السيد - طبعة دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت.
٢٣٤. كتاب الاختيارين - الأخفش الصغير - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط/٢ - د.ت.
٢٣٥. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ٥٣٨هـ - طبعة دار عالم المعرفة - بيروت - د.ت.
٢٣٦. الكفاءة الإدارية في السياسية الشرعية - د. عبد الله أحمد قادري - طبعة دار المجتمع للنشر والتوزيع - جدة - ١٤٠هـ - ١٩٦٠م.
٢٣٧. كيف نتعامل مع القرآن الكريم - د. يوسف القرضاوي - طبعة مركز بحوث السنة والسيرة - قطر - ١٩٩٧م.



اللام

٢٣٨. لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور ٧١١هـ - دار صادر - بيروت - ط/١ - د.ت.
٢٣٩. لمحات في فن القيادة - كوارثوا - تعريب: المقدم الهيثم الأيوبي - بيروت - ط/٢ - ١٤٠هـ ١٩٨٠م.
٢٤٠. الله في العقيدة الإسلامية - حسن عبد الرحمن لبنا - طبعة دار الشهاب - القاهرة - ١٩٧٧م.

الميم

٢٤١. المؤمن القوي - طه الساعي - طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
٢٤٢. مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة - ناصر عبد الكريم العقل.
٢٤٣. مباحث في علوم القرآن - مناع القطان - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط/٨ - ١٤٠١هـ ١٩٩٠م.
٢٤٤. مبادئ القيادة والإدارة في الإسلام - د. محمد عبد الله البرعي - نادي المنطقة الشرقية - السعودية - ط/٢ - ١٩٩٦م.
٢٤٥. مجمع الأمثال - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ٥١٨هـ - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحي - طبعة دار القلم - بيروت - د.ت.
٢٤٦. مجمع الزوائد - علي بن أبي بكر الهيثمي - طبعة دار الريان للتراث - القاهرة ، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٧هـ.
٢٤٧. مجموع فتاوى ابن تيمية - جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي - مطابع الرياض - ط/١ - ١٣٨٢هـ.
٢٤٨. المجموع في شرح المذهب - أبوزكريا محي الدين بن شرف النووي ٦٧٦هـ - تحقيق: محمود مطرحي - دار الفكر - بيروت - ط/١ - ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٢٤٩. محاسن التأويل - محمد جمال الدين القاسمي - تصحيح وتخريج: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - ط/١ - ١٣٧٩هـ ١٩٦٠م.
٢٥٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي - طبعة قطر - د.ت.
٢٥١. محمد رسول الله - محمد الصادق عرجون - دار القلم - بيروت - ط/٢ - ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
٢٥٢. مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ٧٢١هـ - طبعة مكتبة لبنان - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٢٥٣. مختصر سياسة الحروب - الهرثمي - تحقيق اللواء / عبد الرؤوف عون - طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة - القاهرة - د.ت.
٢٥٤. مختصر شعب الإيمان للبيهقي - اختصار: أبو المعالي عمر بن عبد الرحمن القزويني ٦٩٩هـ - تحقيق وتعليق: عبد القادر الأرناؤوط - دار ابن كثير - دمشق ، بيروت - ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.



قائمة المصادر والمراجع

٢٥٥. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - محمد بن أبي بكر بن القيم ٧٥١هـ - تحقيق : محمد حامد الفقي - دار الكتاب العربي - بيروت - ط/٢ - ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.
٢٥٦. مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام - عبد الرحمن الباني - المكتب الإسلامي - الرياض - ط/٢ - د.ت.
٢٥٧. مدخل إلى التنمية المتكاملة - د. عبد الكريم بكار - دار المسلم للنشر والتوزيع - الرياض - ط/١ - ١٩٩٧م.
٢٥٨. المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية - اللواء محمد جمال الدين علي محفوظ - طبعة مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب - د.ت.
٢٥٩. مدخل لمعرفة الإسلام - د. يوسف القرضاوي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط/١ - ٢٠٠١م.
٢٦٠. مدى توافق السمات القيادية مع المعايير الإسلامية في اختيار القائد التربوي - طاهر حامد الحاج محمد - طبعة مكتبة جده ، مكتبة الإرشاد بصنعاء - د.ت.
٢٦١. المرشد الشخصي للسعادة والنجاح - د. إبراهيم القعيد وخالد المبارك - دار المعرفة للتنمية البشرية - الرياض - السعودية - ط/١ - ١٤٢٣هـ.
٢٦٢. المسؤولية الخلقية والجزاء عليها - د. أحمد عبد العزيز بن محمد الحليبي - شركة الرياض للنشر والتوزيع - الرياض - ط/١ - ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٢٦٣. المسؤولية في الإسلام - د. عبد الله أحمد قادري الأهدل - دار العمر للثقافة والنشر - جدة - السعودية - ط/٢ - ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
٢٦٤. المستخلص في تركية الأنفس - سعيد حوى - طبعة دار عمار - بيروت، عمان.
٢٦٥. المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة - د. عبد الكريم زيدان - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط/١ - ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
٢٦٦. المسجد وأثره في تربية الأجيال ومؤامرة أعداء الإسلام عليه - عبد الله قاسم الوشلي - مكتبة الرسالة - بيروت - لبنان - ط/١ - ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٢٦٧. المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ - عبدالله قاسم الوشلي - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - ط/١ - ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
٢٦٨. مسند أبي يعلى - أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي ٣٠٧هـ - تحقيق: حسن سليم أسد - دار المأمون للتراث - دمشق - ط/١ - ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
٢٦٩. مسند أحمد - أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ٢٤٠هـ - طبعه مؤسسة قرطبة - مصر - د.ت.
٢٧٠. مشكلات الشباب والحلول المطروحة والحل الإسلامي - د. عباس محجوب - رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية - قطر - ط/٢ - ١٤٠٦هـ.
٢٧١. مصباح الزجاجة - أحمد بن أبي بكر الكتاني ٨٤٠هـ - تحقيق: محمد منتقى الكشناوي - الدار العربية - بيروت - ط/٢ - ١٤٠٣هـ.
٢٧٢. ٧٦٦ مصطلح إداري - محمد فتحي - طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - مصر - ٢٠٠٣م.



قائمة المصادر والمراجع

٢٧٣. المصفي من صفات الدعاة- عبد الحميد البلالي- دار الدعوة- الكويت- ط/٧- ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م.
٢٧٤. مع الأنبياء في القرآن الكريم- عفيف عبد الفتاح طيارة- دار العلم للملايين- بيروت- ط/٣- ١٩٨٤ م.
٢٧٥. معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم- د. عبد الوهاب بن لطف الديلمي- مكتبة الإرشاد - صنعاء- اليمن - ط/٢- ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م.
٢٧٦. معالم القصة في القرآن الكريم- محمد خير العدوي- دار العدوي - الأردن - ط/١- ١٤٥٨ هـ ١٩٨٨ م.
٢٧٧. معالم في الطريق- سيد قطب - دار الشروق- بيروت- القاهرة- ط/١٠- ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.
٢٧٨. معاني القرآن- أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ٢٠٧ هـ- تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي- طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر- ١٩٧٢ م.
٢٧٩. معجم الأدباء - ياقوت الحموي ٤٢٦ هـ- طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت - د.ت.
٢٨٠. معجم البلدان - أبو القاسم علي بن حسن بن هبة الله بن عساكر - تحقيق: مركز جمعة الماجد- دار الفكر المعاصر - بيروت - دمشق- ط/١- ١٤١٣ هـ.
٢٨١. المعجم الأوسط- سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ٣٦٠ هـ- تحقيق: طارق بن عوض الله محمد - طبعة دار الحرمين- القاهرة- ١٤١٥ هـ.
٢٨٢. المعجم الفلسفي - جميل صليبيبا وآخرون- دار الكتاب اللبناني - بيروت: ١٩٧١ م.
٢٨٣. المعجم الكبير - سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني - مكتبة العلوم والحكم - الموصل - ط/٢ - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م.
٢٨٤. معجم المؤلفين- عمر رضا كحاله - طبعة المكتبة العربية- دمشق- ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م.
٢٨٥. معجم المحدثين- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨ هـ - مكتبة الصديق - الطائف - ط/١- ١٤٠٨ هـ
٢٨٦. معجم المفردات في ألفاظ القرآن - أبو القاسم الحسين محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ٥٠٢ هـ- تحقيق: نديم مرعشلي- طبعة دار الفكر - بيروت - د.ت.
٢٨٧. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم- محمد فؤاد عبد الباقي- طبعة دار الفكر- بيروت- ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.
٢٨٨. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع - أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ٤٨٧ هـ- تحقيق: مصطفى السقا - عالم الكتب - بيروت - ط/٣- ١٤٠٣ هـ.
٢٨٩. معجم مقاييس اللغة - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ٣٩٥ هـ- اعتنى به: د. محمد عوض مرعب، فاطمة أصلان- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط/١- ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م.
٢٩٠. مفاهيم ينبغي أن تصحح - د. محمد قطب - دار الشروق- القاهرة- ط/٨- ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م.
٢٩١. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة - محمد بن أبي بكر بن القيم ٧٥١ هـ- طبعة دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م.
٢٩٢. مقاصد المكلفين- د. عمر سليمان الأشقر - مكتبة الفلاح - الكويت - ط/١- ١٤٠١ هـ.



قائمة المصادر والمراجع

٢٩٣. مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي - نخبة من المفكرين والكتاب - رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية - قطر - ط/١ - ١٤١١ هـ.
٢٩٤. مقدمات في المنهاج - عبد السلام ياسين - دار النشر للثقافة والعلوم الإسلامية - مصر - ط/٢ - د.ت.
٢٩٥. مقدمات للنهوض في العمل الدعوي - د. عبد الكريم بكار - طبعة دار المسلم - الرياض.
٢٩٦. مقدمة ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي - دار القلم - بيروت - ط/٤ - ١٩٨١ م.
٢٩٧. مقومات رجل الإعلام الإسلامي - تيسير محجوب الفتياي - ط/١ - دار عمان - الأردن: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
٢٩٨. ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده - د. يوسف القرضاوي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط/١ - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٩ م.
٢٩٩. من أسس التربية الإسلامية - د. عمر محمد التومي الشيباني - المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان - طرابلس - ليبيا - ط/٢ - ١٩٨١ م.
٣٠٠. من أجل انطلاقة حضارية شاملة - د. عبد الكريم بكار - طبعة دار المسلم - الرياض.
٣٠١. من نبأ المرسلين "هود ويوسف عليهما السلام" - د. حسن عيسى عبد الظاهر - دار الثقافة - الدوحة - ط/١ - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.
٣٠٢. مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ٥٩٧ هـ - تحقيق: د. زينب إبراهيم القاروط - دار الكتب العلمية - بيروت - ط/٣ - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٣٠٣. مناهج البحث العلمي - عبد الرحمن بدوي - طبعة دار النهضة - القاهرة - د.ت.
٣٠٤. مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد عبد العظيم الزرقاني - تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث - دار الفكر - بيروت - ط/١ - ١٩٩٦ م.
٣٠٥. المنتخب في تفسير القرآن - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر - ط/٥ - ١٩٧٥ م.
٣٠٦. المنجد في اللغة الأعلام - لويس معلوف - دار الشروق - بيروت - ط/٢٠.
٣٠٧. المنطلق - محمد أحمد الراشد - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط/١٨ - ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٣٠٨. منهاج السنة النبوية - أجمد بن عبد الحليم بن تيمية ٧٢٨ هـ - تحقيق: د. محمد رشاد سالم - مؤسسة قرطبة - ط/١ - ١٤٠٦ هـ.
٣٠٩. المنهاج القرآني في التشريع - د. عبد الستار فتح الله - دار الطباعة والنشر - القاهرة - ط/١ - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
٣١٠. منهج التربية الإسلامية - محمد قطب - دار الشروق - بيروت ، القاهرة - ط/١٠ - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
٣١١. منهج التربية النبوية للطفل - محمد نور بن عبد الحفيظ سويد - مؤسسة الريان - لبنان - ط/٥ - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٣١٢. منهج التربية في التصور الإسلامي - د. علي أحمد مذكور - دار الفكر العربي - القاهرة - ط/١ - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.



٣١٣. منهج التفكير الإسلامي - د. علي جريشه - مكتبة وهبه - القاهرة - ط/١ - ١٩٨٦ م.
٣١٤. المنهج الحركي للسيرة النبوية - د. منير الغضبان - مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن - ط/١ - ١٤٠٤ هـ
١٩٨٤ م.
٣١٥. منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع - د. محمد السيد يوسف - دار السلام - القاهرة - ط/١ - د.ت.
٣١٦. منهج القرآن في التربية - محمد شديد - طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - د.ت.
٣١٧. منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة - د. محمد أمحزون - دار السلام -
القاهرة - ط/١ - ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م.
٣١٨. مهارات لا بد منها للعودة إلى القمة - محمد فتحي - طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة -
١٤٢١ هـ.
٣١٩. الموافقات في أصول الشريعة - إبراهيم بن موسى الشاطبي ٧٩٠ هـ - تحقيق: عبد الله دراز - طبعة دار
المعرفة - بيروت - د.ت.
٣٢٠. الموسوعة العربية الميسرة - إبراهيم مذكور وآخرون - طبعة دار الشعب - ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.
٣٢١. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض - ١٤٠٩ هـ
١٩٨٩ م.
٣٢٢. موسوعة نظرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم - د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون - دار الوسيلة للنشر
والتوزيع - جدة - السعودية - ط/٢ - ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م.
٣٢٣. موضوعات في فن القيادة - محمد تيسير التميمي - دار الفارس - الأردن - ط/١ - ١٩٩٢ م.
٣٢٤. ميزان العمل - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ٥٠٥ هـ - تحقيق: سليمان دينا - طبعة دار المعارف -
القاهرة - ١٩٦٤ م.
٣٢٥. ميلاد مجتمع - مالك بن نبي - ترجمة: عبد الصبور شاهين - طبعة دار الفكر - دمشق - ١٩٧٤ م.
- النون**
٣٢٦. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن - د. محمد عبد الله دراز - طبعة سنة ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م.
٣٢٧. النبوة والأنبياء - أبو الحسن الندوي - طبعة الدار السعودية للنشر - جدة - د.ت.
٣٢٨. النبي المرابي - د. أحمد رجب الأسمر - دار الفرقان للنشر والتوزيع - عمان الأردن - ط/١ - د.ت.
٣٢٩. نحو صحوة إسلامية في مستوى العصر - فتحي يكن - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط/٢ - د.ت.
٣٣٠. نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي - د. عبد الكريم بكار - طبعة دار المسلم - الرياض - السعودية.
٣٣١. نحو مجتمع إسلامي - سيد قطب - دار الشروق - بيروت - ط/٦ - ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.
٣٣٢. النظام الإلهي للرقى والإنحطاط - محمد تقي الأمين - ترجمة: مقتدى الأزهري - دار الصحوة للنشر والتوزيع -
القاهرة - ط/١ - ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م.



قائمة المصادر والمراجع

٣٣٣. النظام السياسي في الإسلام- د. محمد عبد القادر أبو فارس- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط/٣- ١٤٢٣هـ
٢٠٠٢م.
٣٣٤. النظرة الإسلامية للإعلام - محمد كمال الدين إمام- دار البحوث العلمية- الكويت ط/١- ١٤٠١هـ
١٩٨١م.
٣٣٥. النظريات السياسية الإسلامية- محمد ضياء الدين الرئيس- مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ط/٢-
١٩٥٧م.
٣٣٦. نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع- محمد الغزالي- بحث مقدم إلى ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية
بجامعة أم القرى في مكة المكرمة- نشر شركة مكة - ١٤٠٠هـ.
٣٣٧. نكت الانتصار لصحة نقل القرآن- أبو بكر الباقلاني ٤٠٣هـ- طبعة مكتبة منشأة المعارف - مصر- د.ت.
٣٣٨. النهاية في غريب الحديث والأثر- المبارك بن محمد الجزري - تحقيق: طاهر أحمد الزواوي، محمود محمد
الطناحي- طبعة المكتبة العلمية - بيروت- ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٣٣٩. نيل الأوطار- محمد بن علي الشوكاني ٢٥٠هـ- طبعة دار الجيل- بيروت- ١٩٧٣م.

الهاء

٣٤٠. هذا الدين- سيد قطب- دار الشروق - ط/٧- ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
٣٤١. هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس - د. ماجد عرسان الكيلاني - طبعة دار الفرقان -
عمان- الأردن - ١٤٩٠هـ ١٩٩٨م.

الواو

٣٤٢. الواابل الصيب من الكلم الطيب - محمد بن أبي بكر بن القيم ٥٧١هـ- تحقيق : محمد عبد الرحمن عوض
- طبعة دار الكتاب العربي- بيروت- ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٣٤٣. وسائل الإعلام والتنمية الإجتماعية - شاهيناز طلعت - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة- ط/١- ١٤٠٠هـ
١٩٨٠م.
٣٤٤. الوسطية في القرآن الكريم- د.علي محمد الصلابي - مكتبة الصحابة - الشارقة - ط/١- ١٤٢٢هـ
٢٠٠١م.
٣٤٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ٦٨١هـ - تحقيق :
د. إحسان عباس- طبعة دار الثقافة - بيروت ١٩٦٨م.



ثانياً: الرسائل العلمية:-

- ١- أساليب التربية النبوية للجنود من خلال غزوات الرسول ﷺ وتطبيقاتها المعاصرة- مشعل بن سيف بن عيضة الجعيد- رسالة ماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة- كلية التربية- جامعة أم القرى- مكة المكرمة- ١٤١٨هـ.
- ٢- التربية الوجدانية في الإسلام- سمية محمد علي حجازي- أطروحة دكتوراه في التربية الإسلامية والمقارنة - كلية التربية- جامعة أم القرى- مكة المكرمة- ١٤١٧هـ.
- ٣- التربية بالموعظة الحسنة- عصام حسن علي حجازي- رسالة ماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة- كلية التربية- جامعة أم القرى- مكة المكرمة- ١٤١٣هـ.
- ٤- سمات الطفل القيادي وعلاقتها بالذكاء والابتكار- مدثر سليم أحمد- أطروحة دكتوراه في علم النفس- كلية التربية- جامعة أسيوط- ١٩٩٤م.
- ٥- القيادة المؤمنة كما يعرضها القرآن - محمد كاظم رشيد صواحة - رسالة ماجستير في التفسير - كلية الشريعة - الجامعة الأردنية.
- ٦- مشروعية الأحزاب السياسية في الإسلام- عبد الحميد فهمي الجعبي- رسالة ماجستير في الدراسات الإسلامية المعاصرة- جامعة القدس - ٢٠٠٢م.
- ٧- مقومات التربية الجسمية في الإسلام- صالح بن علي أبوعراد الشهري- رسالة دكتوراه في التربية الإسلامية والمقارنة- كلية التربية- جامعة أم القرى- مكة المكرمة- ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

ثالثاً: المجلات والدوريات

١. مجلة الدراسات التجارية الإسلامية- كلية التجارة- جامعة الأزهر- العدد الأول- السنة الأولى- يناير- ١٩٨٤م.
٢. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية- مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت- العدد (٣٥) - أغسطس- ١٩٩٨م.

رابعاً: الأشرطة

١. مجموعة أشرطة وأفلام إعداد الجيل القيادي - د. طارق السويدان - إنتاج مؤسسة قرطبة للإنتاج والتوزيع الفني - الرياض.



Abstract

Praise be to Allah, the Cherisher and Sustainer of the worlds; and prayer and peace upon his messenger Mohammed and his near of kin and followers.

Then:

The subject of leadership is the most important and most effective in life of individual and communities which make the concerning in leaders education and preparation through a complete educational method put the Islamic doctrine as a support and the midst and fair as a feature and the graduate as a style.

The successful educational method is the one who care of creatives and whom have talents and leading powers then rapidly discover them and holding them to improve their abilities and capacities and educate them an entirely education including all sectors of life before reaching them to a suitable leader position to make their contribution in serving their societies and making their leading duties in complete way, this matter is important to all nations and they put a great amount of materials and financial possibilities.

From this point the importance of this study come to represent a step on the treatment path for the leadership problem little and performance, activity and sensing through putting the Quranic method in leadership education and preparation which became a religious task and social necessity to improve the nation situation and preventing it many conflicts and disasters.

The most reasons to choose this study is its importance and the nation's needs in the shadow of underdevelopment and laceration and also the variety of leadership education methods.

This study includes an introduction and six chapters and end, the details about Quranic education as a concept, importance, characteristics, and objectives and in addition to leadership education sides its procedures and its establishments.

The prominent conclusions were as follow:

- 1- Save the nation from its bad situation.
- 2- The most important sciences which must be obtained during the leadership education stage are jurisprudence , education , history, philosophy, literature, psychology, and also administration, policy and linguistics and in addition to showing the humanity experiences to find the success and failure sides.
- 3- The most important and dangerous stage is the childhood , the child is in his house before he go to school , he must live in a stable family and saturate his needs especially his sentimental needs and use this stage to plant a noble values and altitude principles and confidence in his personality.
- 4- Improving the ability and skills and creative in freedom climate while the tyrannies ending them.
- 5- The subject of leadership education and preparing them is a woman and man concern according to their abilities gifts by God.

And there are many recommendations submitted by the researcher at the end of this study to the establishments of education and preparation leaders and to the effected destinations of this nation like, in addition to the recommendation submitted to the researchers and the researches and studies center.